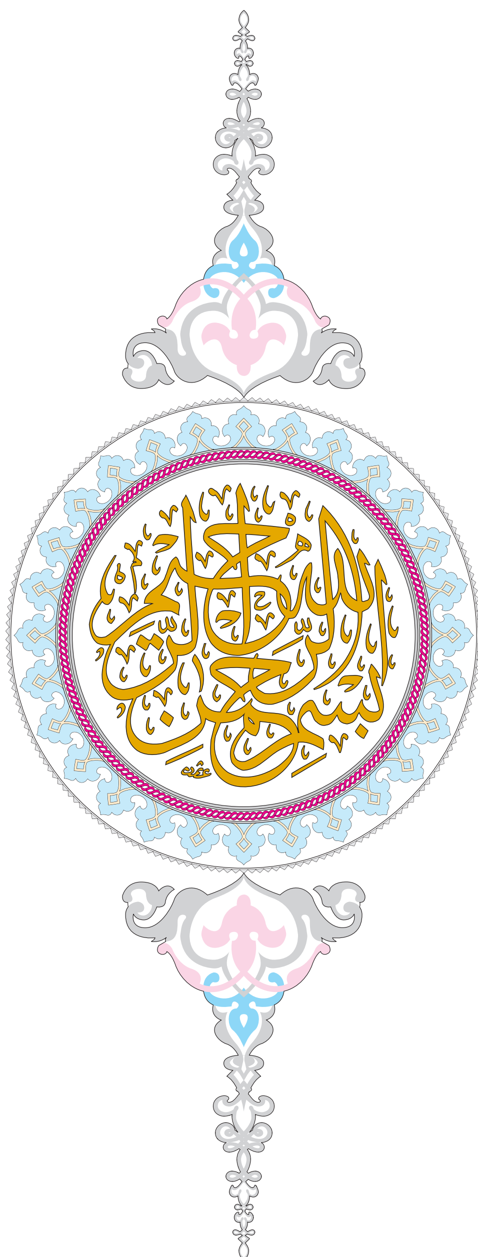
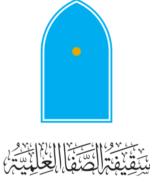
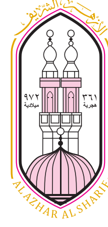




٥٢


بسم الله الرحمن الرحيم





مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

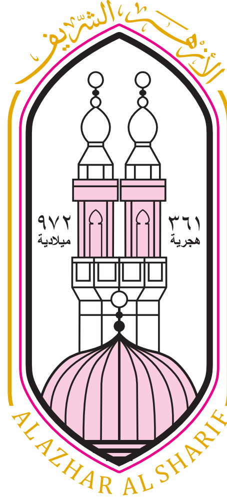
٥٢

المجلد الثامن والأربعون ـ القسم الثاني

السنة ١٣٩٦هـ

سقيفة الصفا العلمية

الأزهر الشريف



مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية
SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا
www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

المشرف على التحرير:
الدكتور عبد الودود شلبى

بدل الاشتراك
١٠٠ فى جمهورية مصر العربية
١٢٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء السابع — السنة الثامنة والأربعون — رمضان ١٣٩٦هـ — سبتمبر سنة ١٩٧٦م



بسم الله الرحمن الرحيم

وإنه لكتاب عزيز

للإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

يقول الله سبحانه عن ليلة نزول القرآن :

« انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين • فيها يفرق كل أمر حكيم • أمرا من عندنا انا كنا مرسلين • رحمة من ربك انه هو السميع العليم » •

وهذه الليلة المباركة هى ليلة القدر ، وعنها يقول الله سبحانه :

« انا أنزلناه فى ليلة القدر • وما أدراك ما ليلة القدر • ليلة القدر خير من ألف شهر • تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر • سلام هى حتى مطلع الفجر » •

كيف حدث ذلك •• ؟

فى أوائل كتاب البخارى — أصح الكتب بعد كتاب الله سبحانه — وصف كيفية نزول القرآن : عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : « أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم ،

فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه (وهو التعبد الليالى ذوات العدد) قبل أن ينزع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها ، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ .. قال ما أنا بقارىء .. قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال اقرأ .. قلت : ما أنا بقارىء .. فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ .. فقلت : ما أنا بقارىء .. فأخذنى فغطنى الثالثة ، ثم أرسلنى فقال : « اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . اقرأ وربك الأكرم » .

وكما وصف الله سبحانه ليلة نزوله بأنها مباركة ، فانه وصف القرآن نفسه بأنه مبارك : « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب » .

ولقد استفاض القرآن الكريم فى وصف القرآن ، ونبدأ الحديث عن هذه الأوصاف بملاحظة نرجو القارىء أن يتدبر معناها : ان الله سبحانه وتعالى يختم سورة الشورى بهذه الآيات الكريمة: « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم . وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم . صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ألا الى الله تصير الأمور » .

فى هذه الآيات الكريمة يذكر الله سبحانه صفتين من صفاته تعالى :

« انه على حكيم » ، وانه سبحانه على فى الأرض وهو على فى السماء ، وهو سبحانه أحكم الحكماء ، انه على حكيم دون تشبيه أو تمثيل ، وبعد هذه الآيات الكريمة يبدأ القرآن مباشرة فى سورة الزخرف والآيات الأولى منها : « حم . والكتاب المبين . انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . وانه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم » ، وفى

هذه الآيات يصف سبحانه وتعالى القرآن الكريم بالوصفين اللذين وصف بهما نفسه ، ولكنه يزيد شيئا من التأكيد .

ان القرآن علىّ على كل ما عداه من قول ، اذا نظرت اليه من الناحية اللفظية وجدته فى أعلى مستوى من مستويات البلاغة ، وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر البشر ، لقد أعجز البلغاء فى كل عصر وتحداهم فى كل بيئة .

واذا نظرت اليه من ناحية المعنى فانك تجده : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » .

لقد أتى الباطل على كتب الله السابقة حين غيرت وبدلت ، ولقد أثبت علم تاريخ الأديان فى أوربا وأمريكا هذا التغيير والتبديل بما لا مجال للشك فيه .

لقد أثبته مثلا فى فرنسا الأستاذ شارل جنبيير فى عدة كتب من مؤلفاته ، والأستاذ شارل قمة من قمم التحقيق العلمى ، وقد احتل أكبر المناصب العلمية فى علم تاريخ الأديان فى فرنسا ، وهو منصب رئيس قسم تاريخ الأديان فى جامعة باريس وأثبته الأستاذ لودس ، وهو من كبار أساتذة تاريخ الأديان فى فرنسا أيضا فى عدة كتب من مؤلفاته ، وأثبته غيرهما .

أما القرآن — فان الأستاذ ديمومبين وعشرات غيره من المستشرقين الغربيين قد قالوا : ان القرآن الذى نقرؤه الآن هو القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ، وصدق الله العظيم اذ يقول:

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (الحجر ٩) .

ولم يدخل عليه الباطل من جانب المبادىء وانما كان التغيير والتبديل فى الكتب السابقة قد أفسد المبادىء التى أتت بها الأديان السابقة ، فان المبادىء التى رسمها القرآن هداية للانسانية باقية على الدهر تعلن عن مصدرها وانها « تنزيل من حكيم حميد » ، وأى نظرة الى هذه المبادىء تثبت صدقها :

انها فى التشريع ترتكز على العدالة: « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء

والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون» (المائدة ٨ والنحل٩٠)٠

وفى الأخلاق ترتكز على الرحمة : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (الأنبياء ١٠٧) ٠

وفى العلاقات الاجتماعية ترتكز على الأخوة ٠

وفى العقائد ترتكز على الأساس الثابت للعدل والرحمةوالأخوة وهو التوحيد ، والانسان الموحد حقا هو الانسان الذى أحب الاسلام أن يكون مثلا للانسانية أجمع ٠

وفى الآيات الكريمة التى نحن بصددها وصف القرآن بأنه نور ومن أسماء الله « النور » ٠

ويقول الله سبحانه :«ق٠والقرآن المجيد » ويقول : « بل هو قرآن مجيد » ، ومن أسماء الله « المجيد » (ق ١ والبروج ٢١)

ومن أوصاف القرآن أنه عزيز « وانه لكتاب عزيز » ، ومن أسماء الله تعالى « العزيز » (فصلت ٤١)٠

وفى نهاية الحديث عن هذه الأوصاف التى فى القرآن والحديث، نبين أن الله سبحانه وتعالى أقسم على وصف نفيس للقرآن : هو أنه كريم ، وهو أيضا وصف يعبر عن اسم من أسمائه سبحانه وتعالى « فلا أقسم بمواقع النجوم ٠ وانه لقسم لو تعلمون عظيم ٠ انه لقرآن كريم ٠ فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون ٠ تنزيل من رب العالمين » (الواقعة ٧٥ ــ ٨٠) ٠

يقول صاحب «لطائفالاشارات»: « انه لقرآن كريم » والكرم نفى الدناءة ، أى انه غير مخلوق ، ويقال هو قرآن كريم ؛ لأنه من عند رب كريم على رسول كريم على لسان ملك كريم « فى كتاب مكنون » يقال فى اللوح المحفوظ ويقال فىالمصاحف وهومحفوظ عن التبديل ، « لايمسه الا المطهرون » عن الأدناس والعيوب والمعاصى ويقال هو خبر فيه معنى الأمر ، أى لا ينبغى أن يمسالمصحف الا من كان متطهرا من الشرك وعن الأحداث ، ويقال لا يجد طعمه وبركته الا من آمن به ، ويقال

لا يقربه الا الموحدون فأما الكفار فيكرهون سماعه فلايقربونه، وقرىء « المطهرون » أى الذين يطهرون نفوسهم عن الذنوب والخلق الدنىء ويقال لا يمس خيره الا من طهر من الشقاوة ، ويقال لا يفهم لطائفه الا من طهر سره ، ويقال المطهرون سرائرهم عن غيره ، ويقال الا المحترمون له القائمون بحقه ، ويقال الا من طهر بماء السعادة ثم بماء الرحمة .

ولقد تحدث الرسول صلى الله عليه وسلم عن القرآن فى استفاضة ومن عدة زوايا ، ونقتصر هنا على ذكر أربعة أحاديث :

١ ـ عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه ، غير أنه لا يوحى اليه ، ولا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ولايجهل مع من جهل وفى جوفه كلام الله » (رواه الحاكم وقال : صحيح الاسناد) .

٢ ـ عن عبد الله ـ يعنى ابن مسعود ـ رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا مأدبته ما استطعتم ، ان هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع ، عصمة الله لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لا يزيغ فيستعتب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضى عجائبه ، ولا يخلق من كثرة الرد ، اتلوه فان الله يأجركم على تلاوته ، كل حرف عشر حسنات ، أما أنى لا أقول (ألم) حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف » (رواه الحاكم وقال : هو صحيح) .

٣ ـ عن أنس رضى الله عنه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان لله أهلين من الناس : قالوا من هم يا رسول الله ... قال أهل القرآن هم أهل الله وخاصته » (رواه النسائى وابن ماجه والحاكم وقال المنذرى : اسناده صحيح) .

٤ ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الذى ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب» (رواه

الحاكم وقال : صحيح الاسناد ، والترمذى وقال : حسن صحيح) .

ولقد نهض القرآن بالأمة الاسلامية نهضة لا مثيل لها فى التاريخ حينما طبقته تحت قيادة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأخرجته عن وضع النظريات الى الواقع المطبق فى المجتمع ، ولقد كان مجتمعا تبطن والتحف التوحيد .

وهذا المجتمع القرآنى فعل الأعاجيب ، وفى ذلك يقول المستشرق دى يور : « أفلح محمد (عليه الصلاة والسلام) هو وخلفاؤه الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلى فى أن بعثوا فى نفوس أبناء الصحراء وفى نفوس من هم أكثر منهم تحضرا من أهل البلاد الواقعة فى الأطراف روح الاتحاد فى العمل ، والى هذا البعث يرجع الفضل فى المكانة التى يتبوؤها الاسلام كدين عالمى ، ولقد صدق الله المسلمين وعده بالنصر ، وكأنما تأييده لهم استجابة لندائهم عند لقاء الأعداء : (الله أكبر) وكأنما قد صغرت رقعة الدنيا فطووها فى فتوحهم طيا ، ولم يمض زمن طويل حتى فتحت بلاد الفرس كلها ، وانتزع العرب من الامبراطورية الرومانية الشرقية أحسن ولايتين فيها وهما الشام ومصر » .

ان هذا المستشرق يرى أن هذه الفتوحات ـ التى كانت لنشر الخير والحق لا تفسر الا بأحد أمرين : اما أن تكون الكرة الأرضية قد صغرت فى عهدهم فجابوها بهذه السرعة ، واما أن الأرض كانت تطوى من تحت أرجلهم ، ولكنه الايمان ، ولكنه مجتمع القرآن .

ومجتمع القرآن يتسم بصفتين : الأولى أنه مجتمع قوى ، والثانية أنه مجتمع سعيد .

وذلك ان الله سبحانه وتعالى قد رسم فى القرآن طريق العزة بالله ، ورسم طريق السعادة ، فاذا طبق المجتمع المبادىء القرآنية فى أى عصر من العصور فانه يسعد وينهض .

والأمة الاسلامية فى العصر الحاضر لا سبيل لنهضتها الا اذا أسلمت قيادها للقرآن الكريم ، تستمد منه الطريق الى السعادة والقوة ، ولن يصلح أمر هذه الأمة فى عصر من عصورها الا بما صلح به أولها وأن كبار علماء المسلمين على مر العصور يعلمون هذه الحقيقة ، انهم يعلمون أنه لا نجاة ولا انقاذ للأمة الاسلامية الا بالقرآن ـ فعكفوا عليه مفسرين وموضحين ومستنتجين وداعين به الى الله وهادين به الى الحق فجزاهم الله أحسن ما يجزى العلماء عن أمتهم .

واننا فى هذا الشهر المبارك ندعو الله سبحانه أن يوفق الأمة الاسلامية للأخذ بوسائل السعادة والقوة وندعو زعماء العالم الاسلامى الى أن يكون القرآن الكريم أساس النهضة الاجتماعية حتى تكون الأمة الاسلامية قوية سعيدة .

دكتور عبد الحليم محمود

خطبة لعمر بن عبد العزيز :

كان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يقول فى خطبته : « أيها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ، ولم تتركوا سدى ، وان لكم معادا يجمعكم الله عز وجل فيه للحكم فيكم والفصل بينكم ، فخاب وشقى عبد اخرجه الله عز وجل من رحمته التى وسعت كل شىء وجنته التى عرضها السموات والأرض ، وانما يكون الأمان غدا لمن خاف الله تعالى ، واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقاوة بسعادة ، الا ترون انكم فى أصلاب الهالكين وسيخلفكم بعدكم الباقون ، ألا ترون أنكم فى كل يوم تشيعون غاديا رائحا الى الله قد قضى نحبه وانقطع أمله ، فتضعونه فى بطن صدع من الأرض غير موسد ولا ممهد ، قد خلع الأسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب ؟ » .

دعاء النبى

صلى الله عليه وسلم

للأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

(معرب من الأردية)

الفضائل النبوية لها قسمان :

يمكن أن تقسم الفضائل النبوية التى توفرت فى شخصية النبى الكريم — صلى الله عليه وسلم — الى قسمين : « العبودية الكاملة » « والنبوة الجامعة » .

الدعاء والدعوة :

الدعاء هو مظهر العبودية كما أن مظهر النبوة هو الدعوة ، وكلاهما من أهم وأبرز عناوين السيرة المحمدية ، وناحيتان منفردتان ، وفصلان مستقلان لهذه الصحيفة المعجزة ، أما الدعوة فقد وقع عليها نظر كل دارس ، ولفتت عناية كل باحث ، وزخرت الكتب والمؤلفات بتفاصيلها ، وتنور العالم كله بأنوارها ، ولا يزال يتمتع بآثارها وثمارها وذلك ؛ لأن الدعوة تتعلق بالمشاهد والمجالس ، فشهدها كل انسان جلية واضحة ، أما الدعاء فقد قل عدد من تأمل فيما يحمله من الأهمية من بين جوانب السيرة ، وما كان نصيبه من التأثير فى الدعوة النبوية نفسها ، والى أى حد من الأوج والكمال انتهى النبى — صلى الله عليه وسلم — بهذه الناحية للعبودية ، والخضوع التام أمام الرب ، وكيف قام باحياء هذه الناحية الهامة وانمائها وريها وسقيها — وقد كانت ضائعة مهملة كجميع نواحى العبادة والعبودية — ولم يلحق برفيقه الأعلى الا بعد ما قام بتكميلها وتعميمها .

ضعف الصلة بين العبد والمعبود فى الجاهلية :

كل من درس تاريخ العقائد والديانات دراسة عميقة شاملة ، وأحاط به فى معنى الكلمة عرف جيدا : ان الصلة بين العبد والمعبود

فى هذا العهد ـ الذى تسمى بالجاهلية ـ قد ضعفت واضمحلت ، حتى نضب معين الدعاء ـ الذى ينبع من اليقين والحب والخشوع والخشية ـ فى داخل النفوس البشرية ، وقد تعلق العبد ـ فيما يتعلق بنفسه وبالمعبود معا ـ بأوهام وأخيلة كان معها من المستحيل أن تتحرك فى النفوس عاطفة الدعاء ، وتشعر بالحاجة اليها ، فان الدعاء لا يكاد يصدر حتى يتمكن العبد من الايمان بالذى يحقق جميع متطلباته وحاجاته ، ثم من اليقين بأنه مليك مقتدر على كل شيء ، ثم من الثقة بأنه لا ملجأ الا اليه ، ولا معطى الا هو ، وبالتالى من الايمان بأنه يحب الاعطاء ، وان المحبة والرحمة ، والجود والسخاء ، والكرم والعطاء من أهم صفاته وأكرم أخلاقه ، ويفرح بالاعطاء فرحا لا يفرحه أحد بالأخذ والقبول ، ثم من تأكد أن العبد احتياج فى احتياج ، وسؤال فى سؤال ، وفقر فى فقر ، وأن المعبود أقرب الى العبد بأكثر مما يتصور من كل شيء فى الكون ، حتى من نفسه ، بل انه أقرب اليه من حبل الوريد ، يجيب دعوة الداعى اذا دعاه ، ويقبل على نصره اذا ما استنصره ، ويؤتى سؤله ، ويقضى حاجته ، ويفرج كربته .

نفى الصفات وأثرها فى النفوس البشرية :

ان نظرة عابرة على التاريخ الجاهلى كفيلة بالدلالة على ما لقيه كل يقين هناك من تزعزع واضمحلال ، وكم ثارت حول الحقائق من الشكوك والشبهات ، وكم خيمت عليها من الأوهام والمغالطات ، أما الفلسفة اليونانية فلفضل ابائها الشديد لصفات واجب الوجود « أو المبدىء الأول » وتأكيدها على تجريده من كل وصف ، واصرارها الأكيد على اثبات الذات المجردة من كل وصف وايمانها بذلك ايمانا لا تشوبه شائبة من الشك قد سدت باب الدعاء والالتجاء ، وقطعت كل خيط من الأمل والرجاء ، فما معنى السؤال والاستغاثة ـ يا ترى ـ بمن تجرد من كل صفة ، وتخلى من كل قوة ، وفرغ من كل كمال ؟ والذى لا دخل له فى أى شأن من شئون الكون وفى أى أمر من أموره ، وقد

تعطل بعد ما خلق « العقل الأول » . و « الواحـد » الذى لا يمكن أن يصدر عنه الا « واحد » وقد انتهى هـذا الصدور — فيمـا تعتقـده الفلسفة اليونانية القديمة — فكيف يصح الأمل فى صدور الأعمال عنـه متتابعة فى كل حين وآن ؟

عقيـدة الشرك والوثنية تمنعان عن الدعاء :

وبالعكس من ذلك كانت الوثنية والعقيدة الجاهلية قد خلعا كل صفة من صفات الاله على أشخاص ممن خلق ، فهذا يحمـل القـدرة على الاحياء ، وذلك يقـدر على الرزق وهذا علمه محيط ، فأصبح له كل غيب كالشـهود ، وذاك يستطيع أن يصل متى شاء الى من يشاء وهكذا ، فهل كان هناك رجاء فى السؤال — والحـال على هـذا المنوال — من « الاله الواحد » والالتجاء اليه ، والرجوع اليه ؟ ولا سيما اذا كان هذا الاله ما وراء الرؤية وما فوق الادراك ، على حـين كانت الآلهـة « المحلية » مشهودة محسوسة ، وفى متناول اليد ، ولا يغيبن عن البال أن الصفات الالهية والأعمال الالهية قد أصبحت هنـاك فى طى النسيان ، وضمير الغيب ، لا تكاد تذكر ، على حين كانت النوادى والمجالس عامرة بذكر مآثر الآلهة الكثيرة ، وأعمالها الجليلة ، وكانت القلوب والأذهـان مأخوذة بمكارمها النبيلة ، وصنائعها المجيـدة ، « فالوضـع الذهنى والفكرى » الذى صـوره القرآن الكريم كان نتيجة حتمية منطقيـة لهذه البيئة : « واذا ذكر الله وحده اشـمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه ، اذا هم يستبشرون » (١) .

الفلسفة اليونانية والعقيدة الجاهلية واثرهما :

وعلى كل فالفلسفة اليونانية بفضل موقفها الذى وقفته من الصفات — قد أقفلت كل باب من أبواب الدعاء والالتجاء ، كما أن عقيدة الشرك — تحكم اسباغها للأوصاف والكمالات الالهية على الخالق — قد اتجهت بكل ماتنطوى عليه كلمات الدعاء والتضرع

---

(١) سورة الزمر الآية : ٤٥

والسؤال من الخالق الى المخلوق ، وغيرت اتجاهها من العابد الى المعبود ، فكلتاهما ــ الفلسفة اليونانية وعقيدة الشرك ــ أدتا الى نتيجة واحدة موضوعية ، وهى أن أصبح السؤال من الله ــ الخالق ــ مباشرة ، والالتجاء اليه ، والاطراح على عتبته دون وساطة ، من المعانى التى لا تدرك ، والغايات التى لا تقصد ، ولذلك فلا تجد فى هذه الفترة حتى أشخاصا معدودين ، متعودين على الدعاء ، عارفين الطريق الى الالتجاء ، مرتاحين اليه بألسنتهم وضمائرهم وقلوبهم .

فضل الرسول صلى الله عليه وسلم على الانسانية :

ومن فضل محمد رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فدته أنفسنا وأرواحنا ــ انه أعاد الى الانسانية المحرومة ، ثروتها المفقودة ــ الدعاء ــ وجعل العبد يتشرف بالمناجاة مع ربه ، والتكلم معه ، فكان ان أعاد اليه لذة العبادة ، بل ولذة الحياة وشرفها وكرامتها ، وأتاح للانسانية المطرودة أن تتشرف باللقاء ، وتتمتع بالحضور والاجتماع ، وعاد ابن آدم الآبق من ربه الى عتبة ربه معتذرا ، يقول بلسان حاله :

الهى عبدك العاصى أتاكا
مقرا بالذنوب وقد دعاكا

عامل من عوامل الحرمان من الدعاء :

كان من عوامل الحرمان الكبرى من الدعاء فكرة الجاهلية الخاطئة : أن الله بعيد عنا ، فكيف يصل اليه صوتنا ؟ فأعلن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من قبل الله ، وبشر العبد : « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعى اذا دعان (١) .

النافع والضار الحقيقى :

وكانت العقيدة الثانية الفاسدة : ان هناك من غير الله من يملك النفع والضر ويقدر على الاعانة والاغاثة ، ومن جناية هذه العقيدة أنها حولت اتجاه الدعاء والاستغاثة والاستنجاد بالنافع والضار الحقيقى الى الآلهة

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٨٦

« المساعدين » فأعلن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بكل قوة وصراحة هذا الاعلان الذى وجه اليه مباشرة .

« قل يأيها الناس ان كنتم فى شك من دينى فلاأعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين . وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين . ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين . وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم » (١).

للدعاء شأن أى شأن :

ولم يصرح النبى ــ عليه الصلاة والسلام ــ بأن العبد يستطيع أن يدعو معبوده والمعبود يجيب دعوته، فينصره ، لم يصرح بذلك فحسب ، بل وأثبت كذلك أن الدعاء مطالب به من الله ، ويسبب رضاه ، ويجلب سروره ، كما أن الاضراب عنه يسبب سخطه وغضبه ، والدعاء أبرز مظاهر العبودية ، وأوضح عناوينها ، وأعمقها أثرا ، والاعراض عن الدعاء دلالة على الاستكبار والعصيان والطغيان ، وقد أدى اعلان النبى ــ النبى صلى الله عليه وسلم ــ بالدعاء الى ما أدى ، فانتهى به من أعمال العبادة الاجبارية الى مكانة العبادة العظمى ووسائل التقريب الكبرى :

« وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين »(٢)

وتدل أحاديث النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ صريح الدلالة على أن عدم الدعاء والالتجاء الى الله ليس من عوامل الشقاء والحرمان فحسب، بل يجلب سخط الله وغضبه فيقول الحديث :

« من لم يسأل الله يغضب عليه » ولم يكتف بذلك ، فجعل الدعاء مخ

---

(١) سورة يونس،الآيات : ١٠٤ ــ ١٠٧ .
(٢) سورة غافر الآية : ٦٠

العبادة وقال : « الدعاء مخ العبادة » وجعله مفتاح الرحمة والبركة ، فقال: « من فتح له منكم أبواب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة » .

الأدعية المأثورة دلائل مستقلة على النبوة :

ولم تكتف النبوة المحمدية ــ على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ــ بهذا التجديد فى الدعاء ، ولم تقتصر على هذا القدر من التكميل فى بابه، بل تخطته ، فبينما علمنا النبى الدعاء ، اذا هو جعل مكتبات العالم الأدبية تزخر وتموج ، فعادت تفيض بالجواهر واليواقيت التى عييت آداب العالم ــ على غناها ــ عن أن تقدم نظيرها ، فى لمعانها ، وصفائها ، وبهائها ، اللهم الا بعض الصحف السماوية والكتب المنزلة ، فقد دعا ربه بكلمات وألفاظ لم يستطع أحد ــ ولن يستطيع ــ أن يأتى بأكثر منها تأثيرا وبلاغة ، وأحسن منها اعتدالا واتزانا ، ومن ثم فهذه الأدعية دليل مستقل من دلائل النبوة ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومعجزة ذاتية كمعجزاته الأخرى الكثيرة ، وانها ــ فى نفس الوقت ــ تدل دلالة واضحة على أنها انما جرت على لسان رسول من رسل الله ، فيشع منها نور النبوة ، ويتجلى فيها يقين الأنبياء ، وتمتزجها عبودية « العبد الكامل » وتواضعه ويختلطها اعتماد حبيب رب العالمين، وثقته ، ودلاله ، وتسرى فيها طبيعة النبوة مع بساطتها وعفتها ، وتجمع بين بساطة القلب المتألم وانكساره ، والحاح ذى الحاجة وقلقه واضطراره، وحزم من يقف على آداب العتبة الالهية ، والبلاط القدسى وأدبه والاعتماد على مواساة المواسى واغاثته ، وبين اظهار الألم واعلان الواقع الصادق ، كما قال الشاعر الفارسى :

« رب قد أصبتنى بالألم، فواسيتنى أنت ، واحتضنتنى أنت بالعطف والحنان وعالجتنى أنت بنفسك » .

قيمة الدعاء الأدبية :

ان هذه الأدعية المأثورة تحتل ــ بالاضافة الى قيمتها الروحية وحقيقتها المعنوية ــ أعلى مكانة أدبية وأرفعها ، وأنها درر الأدب

اليتيمة ، وآثاره النادرة الخالدة التى ينقطع نظيرها فى المكتبات الأدبية البشرية بأسرها •

هناك رسائل شخصية قد نالت من نقاد الأدب مكانة كبيرة ؛ لأنها تحمل سذاجة وتنزها عن التصنع، وتعبر عن عواطف القلب تعبيرا صادقا ، بيد أنه قد فاتهم أن يدركوا أن هناك نوعا من الأدب يحمل من السذاجة والحقيقة ما لا تحمله الرسائل والكتابات وتصبح هناك المصطلحات اللغوية بأنواعها هباء منثورا ، حينما يصب فيها المتكلم عصارة قلبه ويعبر لسانه عن القلب بأصح ما يكون وأصدق ما يتصور، ويستغنى المتكلم عن الترحيب والتمجيد والاشارة والتقدير ، ولا تحاسب حسابا للسامع ، بل يخاطب قلبه ، ويتناجى مع مشاعره ويتحدث مع عواطفه ، وهذا النوع من الأدب الرفيع هو « الدعاء » و « المناجاة » •

الاخلاص والصدق والواقعية من أهم عناصر الأدب :

ان من أهم عناصر الأدب : الاخلاص والصدق ــ اللذين ظل يتغافل عنهما معظم نقاد الأدب • وهما يهبان الأدب روحا وقوة وحيوية ، ويجعلانه حقيقة أبدية خالدة ــ وقد اتسم « الدعاء » و « المناجاة » بهذين العنصرين بما لم يتسم ــ ولا يمكن أن يتسم ــ به أى نوع من أنواع الأدب ، فكيف اذا كان الداعى والمناجى رقيق القلب ، وجريح الكبد ؟ وله كل نصيبه من القدرة على التعبير عن ألمه بأنواع الأساليب ؟ فتكون الكلمات الصادرة عن لسانه معجزة من الأدب ، فانها أفلاذ كبده وقطع قلبه ، ودموع عينيه ، فتملك القلوب ، وتبكى آلاف البشر قرونا طوالا •

أما اذ كانت هذه الكلمات قد جرت على لسان تكرر عليه الوحى الالهى، وامتلك ناصية البلاغة وعنان الفصاحة ، فلا تسأل عن تأثيرها واعجازها •

الحديث موصول

ابو الحسن الندوى

عزارة في الإنتاج وسوء في التوزيع

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

— ١ —

أعرف شابا كان يتولى الامامة والخطابة والوعظ فى مسجد من مساجد بغداد قبل اثنتى عشرة سنة ، كانت له هامة وقامة ، وجبّة وعمامة ، يتسم بالورع والاستقامة ، ويتحلى بالدين والأمانة .

وكان هذا الشاب قد درس على شيخ عالم عاملٍ مخلص ، لا تزال آثاره باقية فى طلابه ، فقد كان عليه رحمة الله يبنى الرجال ولا يبنى المؤلفات ، وكان يرعى العقول والقلوب ويهمل المظاهر والأجسام ، ولا يزال طلابه الشيوخ قادة منابر المساجد فى بغداد وغيرها من المدن : سامراء والفَلّوجة والرّمادى وهيت وعانات من مدن العراق .

وأراد هذا الشاب أن يستكمل علومه الدينية ، فقصد الأزهر الشريف ، وانخرط فى احدى كلياته طالبا مجدا ، حتى نال درجة (الماجستير) و (الدكتوراه) ، وعاد دكتورا الى بغداد .

وكنت فى القاهرة أيام دراسته فى الأزهر الشريف ، فأراد أن يدخل تحسينات على مظهره ، فحلق لحيته أولا ، وكانت تزين وجهه وتسبغ عليه سمات الورع والتقوى والوقار ، ثم خلع الجبة والعمامة وارتدى السترة والسروال ، حاسرا رأسه ، مسبلا شعره ، فتخلى عن سمات رجل الدين وخسر من جملة ما خسر مخبره أيضا .

والذين يتعللون بأن (المظهر) لا أثر له فى (المخبر) ، مخطئون أو

واهمون أو مغرر بهم، فارخاء اللحية سنة من سنن النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى الأثر أن من دعاء الملائكة: « سبحان الذى زين وجوه البشر باللحى » ؛ كما أن العمائم تيجان العرب متى وضعوها ذلوا ، والعمامة والجبة من مظاهر علماء الدين ، والعمامة تمنع المروق والفسق كما يقولون . وقد أثبت علماء النفس ، أن للمظهر أثرا فى المخبر ، وهؤلاء العلماء الذين أثبتوا أن للمظهر أثرا فى المخبر فى الأجانب ، ونسوق ذلك للذين لا تطربهم مغنية الحى ؛ أما العلماء المسلمون ، فقد سبقوا علماء الغرب المحدثين قرونا طويلة فى هذا المجال ، ولكن أين من ينقب على علمهم الأصيل ؟؟

والمشاهد عيانا أن الذين تخلوا عن قيافة علماء الدين ، واستبدلوا الذى هو خير بالذى هو أدنى انحرف أكثرهم عن تعاليم الدين الحنيف سرا أو علانية ، فهم يظهرون أنهم تخلو عن العمائم والجبب لازدحام المواصلات ، وقسم من هؤلاء الناكصين على أعقابهم لا يعانون من مشكلة المواصلات فى بلادهم ، وهم يظهرون أنهم تخلوا عن زيهم المهيب لازدراء الذين فى قلوبهم مرض بزيهم ، وهذا محض اختلاق ، فأنا أعلم أن الناس لا يزالون بخير ، وهم يحترمون الزى الدينى للعلماء ويجلون العلماء ، ولم أر من يترك مكانه فى الحافلات وغيرها من وسائط النقل للمرتدين الزى الغربى ، ورأيت كثيرا ممن يتركون أماكنهم فى وسائط النقل لرجال الدين وهم فى زيهم المعروف .

وأنا أنصح الذين يتعللون بهذه التعلات التافهة ليسوغوا بها اعراضهم عن زى رجال الدين ، أن يتخلوا عنها الى الأبد ؛ لأنها لا تخضع عاقلا ولا ترضى غير أعداء الدين ، واذا أظهر لهم قسم من الناس باقتناعهم بمسوغاتهم المتهافتة مجاملة أو نفاقا ، فانى أصارحهم بكل أمانة واخلاص بأنهم يظهرون مالا يبطنون ويعلنون ما لا يخفون ، وأنهم ضاقوا ذرعا بزيّهم الذى يبعدهم عن الرذيلة ، فآثروا عليه زيًا يبعدهم عن الفضيلة .

— ٢ —

عاد صاحبنا الشاب الى العراق ، بعد أن (تدكتر) فى الأزهر الشريف ، فعرض عليه منصب دينى فى مسجد

كبير ببغداد ليتولى فيه الامامة والخطابة والوعظ والتدريس •

وكان هذا المسجد الكبير عامرا بالمصلين والطلاب ، هذا الشاب رأى أن هذا المنصب لا يناسب قدره بعد أن أصبح دكتورا ، ففضل عليه منصب التدريس فى الجامعة •

وتولى منصبه الجديد ، فأراد أن يظهر أنه شيخ مرن متطور ، أليس هو دكتورا؟ أحل ما حرم الله، وأفتى بما لم يفت به العلماء العاملون المخلصون ، وتساهل بما لم يتساهل به الدين الحنيف ، وأرضى المنحرفين وأغضب الله ••

لقد نكص على عقبيه ، فضيع المشيتين ، كالغراب الذى أراد أن يمشى مشية العصفور ، فلم يبق غرابا ولم يصبح عصفورا ، اذ لم يقبله الدكاترة الدراسون بأوروبا فى صفوفهم ، وتخلى عنه رجال الدين كما تخلى عنهم ، والبادىء أظلم •

وحرص على مخاطبته بكلمة : دكتور ، بمقدار حرصه على عدم مخاطبته بكلمة : شيخ ، وأصبح يهش ويرتاح عند مخاطبته بكلمة : دكتور ، ويعبس ويتذمر عندمخاطبته بكلمة : شيخ •

وطبع فى احدى المطابع بطاقة شخصية كتب اسمه عليها متوجة بكلمة : دكتور ، بغير ألف ولام التعريف ، وأخذ يوزعها على من لايعرف بمناسبة وغير مناسبة •

ولمس الناس مبلغ حرصه الشديد على مخاطبته بكلمة : دكتور ، فحرصوا بشدة على ألا يخاطبوه الا بكلمة : شيخ •

وكنت كلما أراه فى جمع من الناس خاطبته بصوت عال : يا شيخ ! فكان يذكرنى مرات ومرات بأنه دكتور وليس شيخا ، وما كنت أجهل انه دكتور ، ولكننى أعتقد بأن « الشيخ » أكبر من الدكتور •

وشهد مرة صلاة الجمعة فى مسجد من مساجد بغداد مع المصلين ، فغاب امام المسجد ، فرجاه بعض الحاضرين أن يخطب فيهم ويصلى بهم ، فرفض الرجاء وتعالى عن ارتقاء المنبر •

هكذا .. بكل بساطة وصراحة ، يترفع (الدكتور) عن اعتلاء منابر المساجد لئلا يتهم بأنه (شيخ) أو يمت بصلة الى الشيوخ !!

كان قبل أن يتورط بشهادته العالية أو قبل أن تورطه هذه الشهادة موضع ثقة الناس به ومحل رجائهم، فأصبح بعد أن صار دكتورا موضع سخرية الناس واشمئزازهم ؛ لأنه كان مؤمنا حقا فأصبح فاسقا حقا ، وكان متواضعا ، فأصبح متكبرا ، وكان دمثا فأصبح فظا ، وكان على شيء من العلم فأصبح على كثير من الجهل !!

وكان الناس يخاطبونه مخاطبة رجال الدين : سيدنا الشيخ .. مولانا الشيخ .. فكفوا عن مخاطبته بمثل هذا الاحترام والتكريم ، فليس هناك في الدنيا من يخاطب دكتورا : سيدنا الدكتور .. مولانا الدكتور ..

وكانوا يقدمونه حين يسيرون ، فليس هناك من يتقدم رجال الدين من المتمدينين وغير المتمدينين أيضا ، فأصبحوا يتقدمون عليه : قدموه احتراما لزى رجال الدين ، فلما ارتدى ما يرتدون ، آن لأبي حنيفة أن يمد رجله !!

وكان الناس يقومون له ويخلون له صدور مجالسهم ، تواضعا للدين الذى يمثله وتكريما لرجال الدين ، فأصبحوا لا يكترثون به قادما أو مغادرا .

وكانوا يشيرون اليه بالبنان ، فأصبح لا ينتطح فيه عنزان .

وكان عند الناس كبيرا ، فأصبح عند نفسه كبيرا ، وعند الناس صغيرا .

وكانت قيافته الدينية تسبغ عليه هالة من الوقار تجعله أكبر من حجمه الطبيعى ، فعاد من تلقاء نفسه الى حجمه الطبيعى : لا يرد كلامه أحد احتراما للدين حين كان معمما ، فلما أصبح بغير عمامة رد عليه الناس فانكشف عنه غطاؤه ، وعاد كأى فرد من الأفراد .

لم يلحق الضرر بأحد فى تصرفه بعد أن أصبح دكتورا ، بل ألحق الضرر بنفسه ، فتخلى متطوعا مختارا

عن مكانته ومنزلتــه ، والمرء حيث يضع نفسه .

ولكن الذى لا أغتفره له : هو تعاليه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيوت الله .

ان كل منبر فى كل مسجد هومنبر رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام وقد قاد النبى صلوات الله وتسليمه عليــه أصحابه الغر الميــامين عليهم جميعا رضوان الله من فوق منــبره ومن داخل مسجده .

لقد حســب الدكتور أن منــبر الجامعة أكبر من منبر المسجد ، ومع تقديرنا الشــديد لمنابر الجامعات ، الا أنها لا يمكن أن تقارن بمنــابر المساجد فى حال من الأحوال ، اذليس فوق منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم منبر ، وليس فوق قدر أشرف المرسلين قدر .

كما أن العلماء ورثة الأنبيــاء ، وهؤلاء العلمــاء هم علمــاء الدين لا علماء القــانون أو الكيميــاء أو الفيزياء أو النفس .. الخ .

— ٣ —

ولست بصدد مقاومة الشــهادات الجامعية العالية .. بالعكس . فاننى أحث على المزيد من العلم ، وأتمنى ألا يقتصر الطالب على الشهادات ثم يجلس متفرجا ، بل يستمر فى التعلم والتعــليم من المهــد الى اللحــد كما يقولون .

ولكننى بصدد استنكار (تكبر) أصحاب تلك الشهادات على المساجد ، وايثارهم الجامعات على الجوامع .

ولست أجهل أن كثيرا من حمــلة الشهادات العالية ، فضلوا ما عنــد الله على ما عنــد النــاس ، فآثروا الجوامع على الجامعات ، الا أن عدد هؤلاء قليل بالنسبة الى الذين هجروا واجباتهم العلميــة الدينية فى رحاب المساجد : خُطباء ووعاظا ومدرسين ومفتين .

اننى أرفض هــذا التكبر على الجوامع وأستهجنه ، فالعالم العامل المخلص يتّسم بالتواضع الجم والخلق الكــريم ، فيشرفه أن يرقى منبر رسول الله صــلى الله عليه وســلم ويدرس تعاليم الدين الحنيف ، ويأمر

بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويوجّه المسلمين الى الطريق السوى •

وقد صليت الجمعة فى مسجد من مساجد القاهرة فى الأسبوع الأول من شهر رجب الفرد سنة ١٣٩٦ هجرية ، فانتظر المصلون امام المسجد فلم يحضر ليلقى خطبة الجمعة • وينهض شاب من بين الحاضرين واعتلى المنبر وألقى خطبة الجمعة ، فزلزل سيبويه فى قبره وقرأ آيات من القرآن قراءة من لم يقرأ القرآن فى حياته ولم ينصت الى المذياع المسموع أو المرئى ، وأورد أقوالا متهافتة زاعما أنها أحاديث نبوية !!

وقضيت الصلاة فاقتربت من هذا الخطيب المفوه لأسأله : « هل أنت أزهرى ؟ » ، فقال بغير اكتراث : لا ! أنا فنان » ثم علمت أنه اعتلى المنبر ؛ لأنه تذمر من تأخر الامام ، وله عمل عاجل لا يتحمل التأخير !

لقد أدركت أياما كان لكل جامع من جوامع المدن خطباء ، وكان لكل جامع فى كل قرية نائية بأعماق الصحراء وبأعالى الجبال خطيب •

ودار الزمان دورته ، فأصبحت الجوامع فى الحواضر خالية من الخطباء ، بالرغم من كثرة المتخرجين من الأزهر الشريف والكليات الدينية الأخرى فى ديار المسلمين •

وكان الخطباء المفوهون يعدون بالعشرات فى كل مدينة ، فأصبحوا اليوم أندر من الكبريت الأحمر •

لقد كثر الشيوخ الذين تخرجوا فى الأزهر الشريف وفى المعاهد الدينية فى أرجاء الوطن الاسلامى ، ولكنهم ذابوا فى مجال التعليم المدنى والوظائف الادارية والمدنية ، ولى جار فى القاهرة تخرج فى كلية الشريعة بالأزهر الشريف ولكنه يعمل فى وزارة السياحة •

وطالما ساءلت نفسى : ماذا يصنع الشيخ فى وزارة السياحة والسواح ، وفى السياحة والسواح قضايا تناقض الدين الحنيف ولا يرتضيها الخلق القويم •

سيقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض : ان مع السواح عملة صعبة تحتاج اليها البلاد •

وهب أن موارد السياحة مبالغ ضخمة من العملة الصعبة ، ولكن ما نخسره من شرف ودين لا يمكن أن يقاس بأى حال من الأحوال بالعملات الصعبة .

ان الله سبحانه وتعالى هو مالك الملك بيده الخير كله ، فاذا اعتمدنا على البشر فى استجلاب العملات الصعبة مالا حراما بالتضحية بأبسط تعاليم الدين الحنيف وتقاليد الشرف الرفيع ، فان الله يمهل ولا يهمل .

قبضنا العملة الصعبة ، فابتلى الله بلدا بدودة القطن ، وبالحروب بلدا آخر ، والفتن بلدا ثالثا ، والفتن بلدا رابعا ، والوباء بلدا خامسا ، فخسرنا أضعاف أضعاف ما ربحناه من تلك العملة الصعبة الحرام .

وصدق الله العظيم : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) (١) ، (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة) (٢) ، (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) (٣) ، (وتلك القرى أهلكناهم لما ظلموا) (٤) ، (وما كنا مهلكى القرى الا وأهلها ظالمون) (٥) .

فكيف يستسيغ أزهرى أن يعمل دليلا للسواح فى ساحات الملاهى وعلب الليل والحانات ؟ !

وكان الخلفاء الراشدون أفضل الصلاة والسلام واعظا ومدرسا وخطيبا فى المسجد حتى التحق بالرفيق الأعلى ، فبلغ الرسالة وأدى الأمانة ، فجزاه الله عنا وعن البشرية أعظم الجزاء .

وكان الخلفاء الراشدون المصريون وقادة الفتح الاسلامى العظيم وعاظا ومدرسين وخطباء فى المساجد حتى أتاهم اليقين عليهم رضوان الله .

وكان العلماء العاملون المخلصون فى كل زمان ومكان وعاظا وخطباء ومدرسين فى المساجد حتى قضوا نحبهم عليهم رحمة الله .

---

(١) سورة الأعراف الآية : ٩٦
(٢) سورة هود الآية : ١٠٢
(٣) سورة هود الآية : ١١٧
(٤) سورة الكهف الآية : ٥٩
(٥) سورة القصص الآية : ٥٩

ولا يزال العلماء العاملون المخلصون وسيبقون حتى قيام الساعة خطباء ومدرسين ووعاظا فى المساجد .

وربما سينسى الناس ما قدم المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام للأدب ، ولكنهم لن ينسوا ما قدمه للدين الحنيف من خدمات ، فقد كان داعية حين كان أستاذا جامعيا وسفيرا لمصر فى المملكة العربية السعودية والباكستان ، فلما تقاعد بنى فى (حلوان) مسجدا وتولى الوعظ والارشاد والتدريس ، ثم دفن فيه وقبره فى مسجده يزار .

فمن يكون هؤلاء الشيوخ الذين تخلوا عن مهمتهم الدينية وآثروا عليها المناصب الأخرى الى جانب الرسول القائد عايه أفضل الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين وقادة الفتح الاسلامى وقادة الفكر الاسلامى عليهم رضوان الله ؟ !

انهم ماتوا وهم أحياء ولن يكون منهم من يذكره التاريخ بالفخر والاعتزاز ، أما الذين حافظوا على مهمتهم واحتفظوا بقيافتهم ، فقد يكون لهم شأن أى شأن !

ان العرب والمسلمين اليوم بحاجة الى علماء عاملين مخلصين ــ وهم يعانون من ضعف وهوان مايعانون ــ كالعز بن عبد السلام وابن تيمية كحاجتهم الى قادة قادرين أفذاذ كخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيبانى ، ليعيد لهم قادة الفكر معنوياتهم وليعيد لهم قادة الفتح عزتهم ، وما أحوج العرب والمسامين اليوم الى المعنويات العالية والعزة القعساء .

ــ ٤ ــ

لقد لبيت دعوة شيخ جليل من أساتذة الأزهر الشريف فى يوم من أيام صيف سنة ١٣٩٠ هـ ، وكان هذا الشيخ منتدبا للتدريس فى كلية الامام الأعظم ببغداد ، فعرفت الشيخ معرفة كاملة ، وهو بحق عالم عامل مخلص .

ورأيت فى داره تصاوير أقرانه وشيوخه يوم كان طالبا فى الأزهر القديم ، وتصاوير أقرانه من الشيوخ وطلابهم يوم أصبح أستاذا ، وتصاوير دفعات من الشيوخ والطلاب فى الأزهر الجديد .

ولاحظت أن جميع الشيوخ والطلاب فى التصاوير الأولى ملتحين معممين يرتدون الجبب ، ولاحظت أن قسما من الشيوخ والطلاب فى التصاوير الثانية ملتحين معممين يرتدون الجبب وقسما من الشيوخ بغير لحى ولكنهم معممون يرتدون الجبب وأكثر الطلاب بغير لحى ولا عمائم ولا جبب ، ولاحظت فى التصاوير الأخرى أن القليل من الشيوخ والنادر من الطلاب معممون ملتحون يرتدون الجبب .

وزرت القاهرة سنة ١٣٧٢ هـ لأول مرة ، فتجولت فى الأزهر الشريف والساحات المحيطة به ، فوجدت العمائم تغمر الساحات والباحات ، واليوم نجد تلك الساحات والباحات ، خالية من العمائم الا نادرا .

وقد أصبح لقب الشيخ : الذى أحبه شخصيا وأكاد أكون به مغرما ، غريبا حتى فى الأزهر الشريف ومدير مجلة الأزهر : الذى يحمل لقب : الدكتور ، يخاطب به ويكتب ازاء اسمه على البحوث والمقالات والمحاضرات وفى البطاقات الشخصية أيضا ، والذى لا يحمل هذا اللقب يخاطب بكلمة : أستاذ !

حتى فى الأزهر الشريف وفى مجلته أصبح لقب : الشيخ غريبا !! لماذا !

* * *

وقد تنازل شيخ الأزهر الأسبق مصطفى عبد الرازق عليه رحمة الله عن لقب : الباشا ، وآثر عليه لقب : الشيخ .

فهل يتعلم منه سادتنا الشيوخ هذا الدرس ؟ ! ... يا ليت .

على الأقل يقتضى أن يكتب هؤلاء الشيوخ ازاء أسمائهم : الشيخ الدكتور . . على الأقل ... والا فحرام عليهم أن يهجروا هذا اللقب المبارك العريق .

ان الأزهر الشريف هو ركن القرآن الكريم لغة وعقيدة وتشريعا ، والمفروض أن يكون الأزهريون بخاصة ورجال الدين من غير الأزهريين بعامة سدنة القرآن وعقيدة القرآن وتشريع القرآن ، فلا يقبلون ولا ينبغى لهم أن يقبلوا هذا الحرص على ألقاب علمية غير عربية : ليسانس ، وماجستير ، ودكتوراه .

والعربية والحمد لله أغنى اللغات العالمية ألفاظا ومفردات ، فهى ليست عاجزة عن وضع مصطلحات علمية عربية تقابل تلك المصطلحات العلمية الأجنبية ، مع الاحتفاظ بكل تلك الدرجات العلمية بالنسبة لرجال الدين بلقب : الشيخ .

وأقترح أن يطلق على الطالب المتخرج فى كلية من كليات الأزهر الشريف بدرجة ليسانس لقب : شيخ ، فيقال له مثلا : الشيخ محمد .

وأقترح أن يطلق على الشيخ الذى يتخرج فى الأزهر الشريف بدرجة ماجستير لقب : الأستاذ فيقال له مثلا: الشيخ الأستاذ محمد .

وأقترح أن يطلق على الشيخ الذى ينال درجة الدكتوراه لقب : العالم، فيقال له مثلا : الشيخ العالم محمد .

أما الذين ينالون درجة الأستاذية فيقال لأحدهم : الشيخ العالم الأستاذ محمد .

انى أحب من صميم قلبى وأدعو الله أن يعود الأزهريون طلابا وشيوخا الى زيهم الدينى الجميل .

فاذا تخلى أكثر الشيوخ والطلاب الأزهريين عن زيهم الدينى لسبب أو لآخر ، فلا أقل من أن يحتفظ هؤلاء بلقب : الشيخ ، فذلك أفضل للشيوخ وأكرم .

وعلى مجلة الأزهر بخاصة والمجلات الدينية الأخرى بعامة ، أن تكتب لقب : الشيخ ، ازاء الكاتبين فيها ، فمن المؤلم جدا والمؤسف حقا أن يختفى هذا اللقب حتى فى مجلة الأزهر الشريف !!

أما ظاهرة تهرب الشيوخ من الوظائف الدينية الى الوظائف المدنية، حتى أصبح كثير من المساجد خالية من الخطباء والوعاظ والأئمة ، فلابد من التفكير فى معالجتها من أعلى المستويات فى الأزهر وفى الجامعات والمعاهد العلمية الأخرى فى الوطن الاسلامى وفى كل مكان فيه مسجد تقام فيه الشعائر الدينية .

انى أنادى وأطالب بمساواة خريجى الجامعات الدينية بأمثالهم من خريجى الجامعات الأخرى فى الراتب الاسمى والعلاوات والمخصصات والترقية ، فيكون ما يتقاضاه خريج كلية الشريعة فى الأزهر الشريف مثلا مساويا لما يتقاضاه خريج كلية الحقوق .

بل أنادى وأطالب باعطاء امتياز لخريجى الجامعات الدينية الذين يتولون مناصب دينية ، هو تخصيص سكن داخل المسجد أو مجاور له يسكنه امام المسجد وخطيبه ومدرسه بدون مقابل .

وقد أنشئت دور مجاورة للمساجد الجديدة وفى داخلها التى أقيمت ببغداد ، وفى مدينة الضباط ببغداد مثلا دار مريحة داخل المسجد يسكنها شيخ مصرى منذ سنوات منتدب للتوجيه الدينى فى العراق ، وهو موضع اعتزاز الضابط وتقديرهم .

وربما تكون هذه المساواةوالتمييز حافزا للطلاب والمتخرجين على التمسك بالوظائف الدينية والحرص عليها وأداء واجباتهم باتقان .

ولكن الحوافز المادية لا تكفى وحدها ، والأهم منها الدافع النفسى للمرء الذى يجعله فدائيا للدين ، يحبه حبا جما ، ويتفانى فى الدفاع عنه ونشره بين الناس .

هذا الذى يهوى الدين ، لا يمكن أن يتخلى عنه ولو جاع والتحف الثرى .

ان الدراسة الدينية يجب أن تبدأ من الابتدائية ، ثم تمر بمراحل المتوسطة والثانوية والجامعة والتخصص ، كما كان يفعل أسلافنا من قبل .

وأن يجرى اختيار التلاميذ الصغار من أبناء الشيوخ والعوائل المتمسكة بأهداب الدين الحنيف .

وأن يوجه هؤلاء التلاميذ منذ الصغر توجيها دينيا خاصا برعاية شيوخ ورعين يخافون الله ، ومن هذا التوجيه أداء الصلاة فى أوقاتها والمحافظة على الخلق الكريم .

ان اختيار الطلاب للأزهر الشريف من خريجى الدراسة الثانوية العامة خطأ فاحش بغير جدال ؛ لأن بعض هؤلاء الطلاب وقد بلغوا السادسة عشرة من عمرهم على الأقل فى مجتمع فاسد ، يكونون ملوثين خلقيا ولا أزيد .

والملوث خلقيا لا يفيد الدين ولا يكون متدينا ، ويتهرب من الوظائف الدينية كلما استطاع الى ذلك سبيلا .

وأكثر هؤلاء يلجأون الى الكايات الدينيــة لضعف معــدلاتهم ، ولأن الكليات المدنية مسدودة فى وجوههم ، فهم مرتزقة لا هواة ، لذلك يهربون من الوظائف الدينية بعــد تخرجهم مباشرة ويرضــون لأنفسهم أتفــه الوظــائف ما دامت تــدر عليهــم ما يطمعون فيه من مال •

والمرتزق لا يفيد الدين ولا يكون متدينــا ، لأنه بواد والدين بواد •

ان رجل الدين قــدوة حســنة للناس ، فلابد من أن يكون متدينا حقا ليؤثر فيهم ، والفضــائل تنتقل بالعــدوى الى النفوس ، والأرواح جنود مجندة ، والدين قمة الفضائل وركنها الركين •

ان اعــداد المدارس الابتدائيــة والمتوسطة والثانوية لتخريج الطلاب للأزهر الشريف وللكليات والجامعات الاسلامية الأخرى واجب دينى من أعظم الواجبــات واعــداد هــذه المــدارس بكل متطلباتهــا ليس من واجب الأزهر وحده ، بل لابد من تعاون الدول الاسلامية لوضع خطة المعاهد الأزهرية فى حيز التنفيذ ، اذ الأزهر ليس ملكا لمصر وحدها ، بل هو ملك للمسلمين ، فلابد من دعم الأزهر (ماديا) من المسلمين كافــة حكومات وشعوبا •

وأرجو الا يلوم المسلمون الأزهر الشريف على تقصير قد يكون حقيقيا أو يكون وهميــا ، فعــلى الأزهر (واجبات) تجاه المسلمين ، وقــد قدم لهم خدمات لا تقدر بثمن خلال ألف سنة مما يعــدون ، ولا يزال يقدم لهم خدمات ملموسة فى مجال اللغة والدين •

وكما أن على الأزهر (واجبات) تجــاه المســلمين ، فان له عليهــم (حقــوقا) ، فهل أدى المسلمون ما للأزهر الشريف عليهم من حقوق ؟!

انى أطــالب المســلمين حكومات وشعوبا ، أن يعاونوا الأزهر الشريف ماديا بمــا يستطيعون مهما قــل ، فالقليل الحلال يزيد ويتكاثر ، وهذا الدعم المــادى هــو الذى ييسر للأزهر القيام برسالته على أفضــل الوجوه •

فهل من سـميع مجيب ، أم على قلوب أقفالها !!

انى أتمنى أن يخـرج الأزهـر الشريف والكليات الأخرى فى أرجاء العالم الاسلامى علماء عاملين مخلصين لا موظفين متقاعسين ، ودعاة لله وفى سبيل الله باعوا أنفسهم لله ، لاتلهيهم تجارة ولا بيع .

ان المسلمين اليوم بحاجـة الى علمـاء لا الى تجار علم ، ويومئذ تخفق رايات الاسلام عاليـة ويقبل الناس على دين الله أفواجا ، وحينذاك يحـل نصر الله ويفـرح المؤمنون بنصر الله .

محمود شيت خطاب

الاسود الراعى

قال ابن اسحاق :

« كان من حـديث الأسـود الراعى فيما بلغنى : أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصـون خيـبر ، ومعه غنم له كان فيها اجيرا لرجل من يهود ، فقال يا رسول الله : اعرض على الاسلام ، فعرض عليه فأسـلم ــ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقر أحدا أن يدعوه الى الاسـلام ويعرضه عليه ــ فلما أسلم قال يا رسول الله : انى كنت اجيرا لصـاحب هـذه الغنم ، وهى امانة عندى ، فكيف أصنع بها ؟ قال : اضرب فى وجوهها فانها سترجع الى ربها ــ فقام الأسـود ، فأخـذ حفنة من الحصى فرمى بها فى وجوهها ، وقال : ارجعى الى صاحبك فو الله لا اصحبك ابدا فخرجت مجتمعة كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن . ثم تقدم الاسود الى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وما صلى لله صـلاة قط ، فأتى به رسـول الله صلى الله عليه وسـلم فوضـع خلفه ، وسجى بشملة كانت عليه ، فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من أصحابه ثم أعرض عنه ، فقالوا يا رسول الله لم أعرضت عنه ؟ قال ان معه الآن زوجتيه من الحور العين » .

طيب الله ذكر الأسود الراعى ، وأبلغنا منازل الشـهداء

تحديات العصر والشباب

للأستاذ أبو الأعلى المودودى

ترجمة من الأردية ـ خليل الحامدى

يجب عليكم قبل كل شيء أن تتفكروا : ما هو العصر الجديد ؟ أن الانسان فى كل عصر اعتبر عصره « عصرا جديدا » وظن العصور السالفة عصورا بائدة كانت تخلو من المزايا والمحاسن ، وكان الناس فيها مصابين بالجهل والرجعية ، أماعصره فهو جديد وأبناؤه متنورون متحضرون متحلون بالعلوم والفنون ، ونملك من الأشياء ما لم يحظ به الأولون . هذا الظن الخاطىء وقع فيه الانسان فى كل عصر . مع أننا اذا صرفنا النظر عن الابتكارات العلمية والتطورات التقنية ـ التى قد فتح الله أبوابها على الانسان رويدا رويدا ـ رأينا أن الانسان لم يدخل عليه أى تبدل منذ الانسان الأول (آدم عليه السلام) الى يومنا هذا : ظل قالب ذهنه نفس القالب وظلت مواهبه الفكرية نفس المواهب وظلت اهواء نفسه نفس الاهواء ، وظلت متطلبات جسده نفس المتطلبات ، وظل نمط تفكيره نفس النمط لم يحصل أى فرق جوهرى فى تلك الجوانب أبدا . وذلك أن الفطرة التى فطر عليها الانسان ما زالت نفس الفطرة التى فطر عليها سيدنا آدم عليه السلام وهذا هو السر فى أن المنكر الذى أصيب به قوم لوط منذ أربعة آلاف سنة ـ نرى اليوم وبعد أربعة آلاف من السنين ـ يصاب به البلد البالغ فى التحضر والتطور مثل أمريكا التى تدعى أنه لا يقارعها بلد فى العالم كله فى نهضتها ورقيها ـ ونرى فيها ورثة قوم لوط يربو عددهم على عشرين مليونا من الناس . فأى فرق يا ترى قد طرأ على الانسان فى فطرته فى تلك المئات من القرون ؟ وهكذا اذا قال فرعون ـ فى قديم الأزمان ـ

لوزيره : فاجعل لى صرحا لعلى أطلع الى اله موسى • أين هو ؟ ومن هو ؟ وكيف هو ؟ نرى اليوم وبعد ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة مضت على تلك القولة انه لما ارتفع القمر الصناعى الأول الذى أطلقته روسيا الى مائه وخمسين أو مائتى ميل من الأرض الى الفضاء انفجر رئيس وزرائها آنذاك المستر خروشوف قائلا : اطلعنا الى الآفاق السماوية فلم نجد فيها أى وجود للاله ؟ ويعلم من ذلك بداهة أنه لم يدخل أى تعديل على عقاية الانسان فى تلك الحقبة الطويلة من الزمان التى تشتمل على ثلاثة آلاف وخمسمائة من السنين لم يتبدل أسلوب تفكيره ونظره الى الأشياء • نعم اذا حصل هناك فرق فى هذا الباب فهو أن فرعون ما كان يقدر فى ذلك العصر الا أن يبنى عمارة شامخة لتحقيق غايته الى أكثر الحد ، أما منكرو العصر الحاضر وفراعنته فقد تمكنوا من صنع الأقمار الصناعية وغزو الفضاء أى حصل تطور فى التكنولوجيا فقط ولم يحصل أى تطور من الناحية العقلية • وكما أن الدهرية قد وجدوا فى سالف الأزمان كذلك يوجدون فى العصر الحاضر • وكما كان دعاة الفجور والمجون ومقترفو السوء والفاحشة قد برزوا على مسرح الحياة فى الأحقاب الخالية كذلك شوهدوا اليوم وفى العصر الحاضر • وكما أن الدنيا رأت أناسا عرفوا الحق وآمنوا به وجاهدوا فى سبيله فى زمن نوح عليه السلام كذلك ترى الدنيا اليوم وفى العصر الحاضر جماعات من البشر من حملة الحق ودعاته • فما زال الخير هو الخير « بنصه وفصه » • وما زال الشر هو الشر بقضه وقضيضه •

ولا يغيبن عن البال أيضا أن الناس فى كل عصر من العصور اعتبروا معالم التقدم فيه نقطة النهاية وخاتمة المطاف •

ولكن لم يلبث أن تحول ذلك العصر بتقدمه وبهيله وهيلمانه الى عصر بائد نعت بالبلى والخلوقة • ثم وقع الناس فى العصور التالية فى نفس الفكرة الخاطئة التى وقع فيها أسلافهم من العصور الأولى • فالى نهاية القرن الماضى وجد فى الدنيا

بعض العلماء والفلاسفة الذين كانوا يرون أن الجهاز الحديدى أو أى شىء يكون أثقل من الهواء لايستطيع التحليق فى الجو . وكانوا يرون ذلك أمرا مستحيلا . غير أنه لم يمض على هذه الفكرة فترة طويلة الا وصارت الأجهزة الحديدية تحلق فى السماء فى العشر الأول من القرن العشرين. وثبت من ذلك أن الذين كانوا الى ماقبل عشر أو خمس عشرة سنة يقولون باستحالة ذلك كانوا رجعيين . هذه هى حقيقة ما اصطلحوا عليه «العصر الجديد» أى حسب الانسان فى كل عصر من عصور التاريخ انه بلغ من التقدم أقصاه . ولكن العصر الذى لحقه انفتح فيه المزيد من أبواب التقدم ، وتحقق فيه المزيد من الرقى حتى أصبح العصر الذى سبقه فترة رجعية بائدة بالنسبة اليه . ان الفلسفة لم تكن اليوم فى المستوى الذى كانت عليه فى مفتتح هذا القرن . ونفس القول ينطبق على العلوم الطبيعية . اذ أن الوضع الذى كانت عليه العلوم الطبيعية فى بداية هذا القرن يختلف كثيرا عن وضعها الراهن وكذلك فى باب الأخلاق . فان مظاهر العرى والخلاعة التى كانت توصف فى مستهل هذا القرن بمنتهى الحرية توصف اليوم بالرجعية وهلم جرا ..

وبعد أن أدركتم حقيقة العصر الجديد ادراكا جيدا خذوا الآن النكتة الثانية من البحث وهى ما هو المراد من الشباب .

الشباب ليس خيرا محضا أو شرا محضا . الشباب عبارة عن الدم الفائر، عن قابلية اكتساب كل ماهو حديث، عن كائن اذا اقتنع بشىء انه حقيقى بالاكتساب لا يتأخر عن التضحية بالنفس فى سبيله ، بغض النظر عما اذا كان ذلك الشىء سيئا أو حسنا ، وقوة الشباب هذه مثلها كمثل حد السيف سواء بسواء يستخدمه المجاهد فى سبيل الله أو قاطع الطريق . ان الشباب هم الذين كانوا دعاة المساوى والمنكرات فى أقدم العصور كما كانوا هم الجيش العرموم لرفع ألوية الخير والصلاح، حسنة كانت أو سيئة ، ان الشباب هم أسرع اندفاعا اليها من الشيوخ.

وهـذه الظـاهرة لاتختص بعصر دون عصر بل عمت جميع العصـور وشملت كل الدهور . ان القبـائح الخلقية التى تنتشر اليوم فى أرجاء العالم كان الشباب هم أول المقبلين عليها . وهم الذين يزيدونها انتشارا ورواجا أكثر من غـيرهم ، بل هم الذين يتفننون فى ابتكار المسـاوى الجديدة فى الحياة الاجتماعية .

ولأجل ذلك أقـول : ان الشباب ليس عبارة عن الخير المحض . كما أنه ليس عبـارة عن الشر المحض . انـه اذا رغب فى شىء من الخـير واطمأن الى كونه خيرا وجد فى نفسه ما يجعله يضحى فى هـذا السبيل بنفسه ، ويقارع كل قوة ضده مهما بلغ شأنهـا وعظم أمرها ، وتنشط مواهبه فى ترويجه بعلمه وعمله .

خذوا حضارة مصر القديمة . ان أوضاعها فى عصر سيدنا يوسف عليه السلام لم تكن تختلف عمـا كانت عليه حضارة أمريكا وأوربا . ولكن قام شـاب وحيد ــ يوسف عليـه السلام ــ يحارب كل ما تضمنته تلك الحضارة من ضـلالات وانحرافات بصمود واباء وبرفض كل ما تحتوى عليه من مغريات ومطامع . انه جعل السـيدات المتحضرات اللائى كدن يفتحن له أحضانهن ويغرينـه على السوء جعلهن يلهجن بسمو خلقـه ونزاهة ذيله . وأعلن وهو فى غياهب السجن ، رفضـه لآلهة مصر الباطلة المزيفة واقراره بوحدانية الله الواحد القهار وفتح البلاد المصرية كلهـا ، لابجيش مدجج بالسلاح ، بل بمحض ما كان عليه من طهارة الأخلاق وما أوتى من العلم والذكاء حيث قال : « اجعلونى على خزائن الأرض » . فتجاوب معـه من كانت بيده تلك الخزائن ، بدون تلكؤ قائلا : هذه هى الخـزائن ، وانك لأنت الأمين الذى تفوض اليه الخزائن وتسـلم اليه المقاليد .

لقد رأينا فى عهد الرسول عليـه الصلاة والسلام أنه لمـا قام صلى الله عليـه وسلم يدعو النـاس الى الحق وقام رؤسـاء مكة يحاربون دعوته ويصدونه عن سبيل الله صار الشباب فى طليعة المستميتين فى هذا الصراع فى كلا الطرفين : طرف الحق وطرف الباطل ففى جانب كان الشباب من الكفار يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسـلم وأصحابه ويصبون

عليهم أنواعا من العذاب والتنكيل بتحريض من سراتهم . من كانوا أولئك الذين جروا بلالا على رمال ملتهبة ؟ ألم يكونوا شباب مكة الذين سلكوا هذا الطريق المعوج بوحى من شيوخهم . وفى الجانب الآخر نرى الذين تولوا نصرة الحق والذود عن حياضه هم من شباب مكة نفسها من الذين آمنوا بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصادقة باخلاص وتجرد . ثم تناهوا فى الاستماتة والتضحية فى سبيلها . خذوا القائمة بأسماء أصحاب الرسول الأوائل ، لا تجدوا فيها الا بضعة أشخاص ممن كانوا أكبر سنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والباقون كلهم كانوا أصغر منه سنا . منهم من كان فى السنة العاشرة من عمره . ومنهم من لم يتجاوز خمسة عشر عاما . ومنهم من لم يبلغ الا ثمانية عشر عاما . ومنهم من بلغ من عمره عشرين أو واحدا وعشرين ربيعا فقط . وكان أكبرهم سنا لم يتجاوز عمره ثمانية وثلاثين عاما . وهؤلاء الشباب هم الذين تواثبوا الى نيران النماردة بدون توقف ، كانوا يرون بأم أعينهم نيران العسف تتلظى ، كانوا يعلمون علم اليقين أن اعتناق الاسلام عبارة عن تأليب الوحوش الكاسرة عليهم لتنهشهم نهشا .

ولكن على الرغم من ذلك قاموا وأعلنوا أن لااله الا الله محمد رسول الله . ولم يكترثوا أبدا بعواقب هذا الاعلان . فكابدوا كل محنة وعذاب . واستقبلوا كل ظلم واضطهاد ، ولما ضاقت عليهم أرض مكة تركوا ديارهم وأموالهم وأقاربهم وأهليهم وهاجروا الى الحبشة والمدينة دون أن يمر بخلدهم ماذا عسى أن يجابههم فى المهجر من محن وشدائد . الشباب هم الذين سجلوا هذه التضحيات فى سبيل الحق . بما فيهم فتيات وفتيان وهؤلاء كانوا ابناء الأسر التى كان رؤساؤها ألد أعداء الاسلام . وأخيرا وبفضل تضحياتهم الجسيمة وبطولاتهم الرائعة رفرف علم الاسلام فوق المعمورة . انهم بمسايرتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه أحدثوا فى العالم انقلابا عظيما دام قرونا طويلة . ولايزال قائما وسيبقى ما دامت السموات والأرض . باذن الله العلى الكبير .

ولتلقوا نظـرة عابرة على هـذا « العصر الجديد » الذى يقال عنه بمنتهى الاعتزاز والمباهاة انه عصر التقـدم والرقى ، انه عصر الفـكر المتنور .

ومما يمتاز به هـذا العصر هـو تقدمه العلمى وهو على كونه أمرا جـديرا بالتقـدير والاجلال يستغل استغلالا فاحشـا فى دمار الانسان وهلاكه وشقائه أكثر من أن يستغل فى سعادته وصلاحه . وبواسطة هذا التقـدم العلمى يبتكر اليوم لابادة الشعوب بأسرها أخطر ما يمكن من الأسلحة والأدوات ، ما لا مثيل له فى تاريخ الشيطانية ، ونكتشف اليوم للجاسوسية أساليب لم يبق أمامهـا أى معنى لحياة الانسان الخاصـة ، وتكرس الدراسات لولادة الانسان بطريقـة العـلم بدون اتصال الأب والأم . وطبعا فان المولودين بتلك الطريقة العلمية سوف لا ينتمون الى أسرة من الأسر ولا يميل بعضهم الى بعض والى غيرهم من الانسان ميلا فطـريا ، ولا يرتبطـون بالتقـاليد المتوارثة أو الجذور الممتدة. وسوف تجهز المصانع لاستخراج أطفال من كل لون من الألوان وكل صورة من الصـور وكل شيمة من الشيم وكل قابلية من القـابليات حسب مبـدأ الطلب والعرض فى الأسواق وتبيعهم للأشخاص أو للشركات والحكومات بالتجزئة أو بالجملة . وهكذا يريد تمرد العلمـاء الملحدين أن يبلغ من التدهور نهايته ليفتح على البشرية بابا من أخطر وأوسع أبواب الفساد والشر ينحط فيه الانسان الى درجة الأغنام والأبقار . بل لعـل المصانع سوف تعد للأنظمة المناوئة لكرامة الانسانية فى العالم أناسا عند الطلب يكونون أشد افتراسا من الوحوش الضارية. وهذا هو التقدم العلمى الذى يفتخر به غاية الافتخار ويدعى أنه قد سما بالانسان الى آفاق السماء . مع أنه قد هبط بالانسان الى أحط درك .. وعـاد به الى الوراء ألوف السنين متمردا على كل القيم . وكان نكسة رهيبة للانسانية التى فقدت ربانهـا المـاهر فى بحر العواصف والهموم والقلق .

ابوالأعلى المودودى

التوازن بين الفردية والجماعية في نظام الإسلام

للدكتور يوسف القرضاوي

التوازن من أبرز الخصائص التى تميز بهـا الاسـلام عن الأديان والمـذاهب والفلسـفات قديمهـا وحديثها ، واليه يشير قوله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا » •

ومن دلائل ذلك النظام الاسلامى: التقاء الفردية والجماعية فى صـورة متزنة رائعة ، تتوازن فيها حرية الفرد ومصلحة الجمـاعة ، وتتكافأ فيهـا الحقوق والواجبات ، وتتوزع فيها المغانم والتبعات بالقسطاس المستقيم•

لقد تخبطت الفلسفات والمذاهب من قديم ، فى قضية الفرد والمجتمع والعلاقة بينهما : هل الفـرد هـو الأصـل والمجتمع طـارىء مفروض عليه ؛ لأن المجتمع انما يتكون من الأفراد ؟ أم المجتمع هـو الأساس والفرد نافلة ؛ لأن الفرد بدون المجتمع مادة غفل (خام) والمجتمع هو الذى يشكلها ويعطيها صورتها • فالمجتمع هو الذى يورث الفرد ثقافته وآدابه وعاداته وغير ذلك ؟

من الناس من جنح الى هـذا ، ومنهم من مال الى ذاك ، واحتـد الخلاف بين الفلاسـفة والمشرعين والاجتمـاعيين والاقتصـاديين والسياسيين فى هـذه القضية ، فلم يصلوا الى نتيجة •

كان (أرسطو) يؤمن بفرديـة الانسان ، ويحبذ النظام الذى يقوم على الفردية •

وكان أسـتاذه أفـلاطون يؤمن بالجماعية ــ الاشتراكية ــ كما يتضح ذلك فى كتابه « الجمهورية » •

وبهـذا لم تستطيع الفلسفـة الاغريقية ــ أشهر الفلسفات البشرية القديمة ــ أن تحل هذه العقدة ، وأن تخرج الناس من هذه الحيرة • كشأن الفلسفة دائما فى كل القضايا الكبيرة

تعطى الرأى وضده ، ولا يكاد أقطابها يتفقون على حقيقة ، حتى قال أساتذتها : الفلسفة لا رأى لها !!

وفى فارس ظهر مذهبان متناقضان: أحدهما فردى يدعو الى التقشف والزهد ، والامتناع عن الزواج ، ليعجل الانسان بفناء العالم ، الذى يعج بالشرور والآلام ، وهذا هو مذهب « مانى » ويمثل أقصى الفردية . وقام فى مقابله مذهب آخر يمثل أقصى «الجماعية» وهو مذهب « مزدك » الذى دعا الى شيوعية الأموال والنساء وتبعه كثير من الغوغاء ، الذين عاثوا فى الأرض فسادا، وضجت منهم البلاد والعباد.

وقد جاءت الأديان السماوية لتقيم التوازن فى الحياة ، والقسط بين الناس ، كما قرر ذلك القرآن الكريم (١) ، ولكن اتباعها سرعان ما حرفوها وبدلوا كلمات الله ، ففقدت بذلك وظيفتها فى الحياة ، حين فقدت مزيتها الأولى ، وهى : ربانية المصدر .

لهذا لم تقدم الأديان السابقة قبل الاسلام حلا لهذه المشكلة ، فقد كان اليهود الذين تفرقوا فى الأرض يؤيدون الفردية، بتفكيرهم وسلوكهم القائم على الأنانية « وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل » (٢) كما سجل عليهم القرآن العزيز .

وجاءت المسيحية أيضا تهتم بنجاة الفرد قبل كل شىء ، تاركة شأن المجتمع لقيصر ، أو على الأقل، هذا ما يفهم من ظاهر ما يحكيه الانجيل عن المسيح . واذا طوينا كتاب التاريخ وتأملنا صفحات الواقع ، فماذا نرى ؟

ان عالمنا اليوم يقوم فيه صراع ضخم بين المذهب الفردى ، والمذهب الجماعى . فالرأسمالية تقوم على تقديس الفردية ، واعتبار الفرد هو المحور الأساسى ، فهى تدلله باعطاء

---

(١) فى قوله تعالى : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط » . (سورة الحديد الآية ٢٥) .
(٢) سورة النساء الآية ١٦١ .

الحقوق الكثيرة ، التى تكاد تكون مطلقة ، فله حرية التملك ، وحرية القول ، وحرية التصرف ، وحرية التمتع ، ولو أدت هذه الحريات الى اضرار نفسه ، واضرار غيره ، ما دام يستعمل حقه فى «الحرية الشخصية» •
فهو يتملك المال بالاحتكار والحيل والربا ، وينفقه فى اللهو والخمر والفجور ، ويمسكه عن الفقراء والمساكين والمعوزين • ولا سلطان لأحد عليه ؛ لأنه « هو حر » •

والمذاهب الاشتراكية ــ وبخاصة المتطرفة منها كالماركسية ــ تقوم على الحط من قيمة الفرد والتقليل من حقوقه ، والاكثار من واجباته ، واعتبار المجتمع هو الغاية ، وهو الأصل • وما الأفراد الا أجزاء أو تروس صغيرة فى تلك « الآلة » الجبارة ، التى هى المجتمع ، والمجتمع فى الحقيقة هو الدولة • والدولة فى الحقيقة هى الحزب الحاكم ، وان شئت قلت : هى اللجنة العليا للحزب ، وربما كانت هى زعيم الحزب فحسب ، هى الدكتاتور !!

ان الفرد ليس له حق التملك الا فى بعض الأمتعة والمنقولات ، وليس له حق المعارضة ، ولا حق التوجيه لسياسة بلده وأمته ، واذا حدثته نفسه بالنقد العلنى أو الخفى ، فان السجون والمنافى وحبال المشانق له بالمرصاد !

ذلك هو شأن فلسفات البشر ومذاهب البشر ، والديانات التى حرفها البشر ، وموقفها من الفردية والجماعية ، فماذا كان موقف الاسلام ؟

لقد كان موقفه فريدا حقا ، لم يمل مع هؤلاء ولا هؤلاء ، ولم يتطرف الى اليمين ولا الى اليسار •

ان شارع هذا الاسلام هو خالق هذا الانسان ، فمن المحال أن يشرع هذا الخالق من الأحكام والنظم ما يعطل فطرة الانسان أو يصادمها • وقد خلقه سبحانه على طبيعة مزدوجة : فردية واجتماعية فى آن واحد • فالفردية جزء أصيل فى كيانه ، ولهذا يحب ذاته ، ويميل الى اثباتها وابرازها ، ويرغب فى الاستقلال بشئونه الخاصة •

ومع هذا نرى فيه نزعة فطرية الى الاجتماع بغيره ، ولهذا عد السجن

الانفرادى عقوبة قاسية للانسان ، ولو كان يتمتع داخله بما لذ وطاب من الطعام والشراب •

والنظام الصالح هو الذى يراعى هذين الجانبين : الفردية والجماعية ، ولا يطغى أحدهما على الآخر • فلا عجب أن جاء الاسلام ــ وهو دين الفطرة ــ نظاما وسطا عدلا ، لا يجور على الفرد لحساب المجتمع، ولا يحيف على المجتمع من أجل الفرد • لا يدلل الفرد بكثرة الحقوق التى تمنح له ، ولا يرهقه بكثرة الواجبات التى تلقى عليه • وانما يكلفه من الواجبات فى حدود وسعه، دون حرج ولا اعنات ، ويقرر له من الحقوق ما يكافىء واجباته ، ويلبى حاجته ، ويحفظ كرامته ، ويصون انسانيته :

١ ــ من هنا قرر الاسلام حرمة الدم فحفظ للفرد « حق الحياة » وأعلن القرآن : « أن من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا »(١)• وأوجبت الشريعة فى قتل العمد القصاص ، الا أن يعفوا أولياء المقتول ، أو يقبلوا بدلا ، وأوجبت فى قتل الخطأ الدية والكفارة •

٢ ــ وقرر حرمة العرض ، فصان للفرد « حق الكرامة » فلا يجوز أن يهان فى حضرته ، أو يؤذى فى غيبته، بأى كلمة أو اشارة تسوؤه : « يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب » (٢) « ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ؟ » (٣) •

٣ ــ وقرر حرمة المال فصان للفرد « حق التملك » فلا يحل أخذ ماله الا بطيب نفس منه ، ولا يجوز للدولة ، ولا لفرد آخر ، نهب ماله وأخذه بغير حق • قال النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى حجة الوداع :

---

(١) سورة المائدة الآية : ٣٢
(٢) سورة الحجرات الآية : ١١
(٣) سورة الحجرات الآية : ١٢

« ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا »(١).

٤ ــ وقرر حرمة البيت ، فصان بذلك للفرد « حق الاستقلال الشخصى » فلا يجوز لأحد أن يتجسس عليه أو يقتحم عليه بيته بغير اذنه ، قال تعالى : « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا ، وتسلموا على أهلها » (٢) وقال : « ولا تجسسوا » (٣) .

٥ ــ وقرر للفرد «حرية الاعتقاد» فلا يجوز أن يكره على ترك دينه ، واعتناق دين آخر « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى »(٤) « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » (٥) .

٦ ــ وقرر للفرد « حرية النقد »، فمن حق كل فرد أن يعارض ما يراه من عوج ، وما يلاحظه من تقصير ، بل من واجبه ذلك اذا لم يقم غيره به . وهو ما سماه الاسلام « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » .

٧ ــ وقرر « حرية الرأى والفكر » . فمن حق كل انسان ، بل من واجبه ــ أن يفكر وينظر . فقد أمر الاسلام الناس أن يتفكروا. وما دام التفكير حقا ــ أو واجبا ــ لكل بشر ، فمن حق كل مفكر أن يخطىء . ولا لوم عليه فى ذلك اذا كان خطؤه بعد تحر واجتهاد وطلب للحق . وأكثر من ذلك أن الاسلام لا يحرم المجتهد من التوبة والأجر، وان أخطأ اصابة الحقيقة . ففى الحديث : « المجتهد اذا أخطأ فله أجر ، وان أصاب فله أجران » (٦) .

وليس فى الدنيا دين ولا نظام يشجع على استعمال الفكر ويرحب بنتائجه ــ أيا كانت ــ مثل هذا الاسلام ، الذى يثيب على الاجتهاد الخطأ .

---

(١) من خطبة الوداع .
(٢) سورة النور الآية : ٢٧
(٣) سورة الحجرات الآية : ١٢
(٤) سورة البقرة الآية : ٢٥٦
(٥) سورة يونس الآية : ٩٩
(٦) متفق عليه .

ثم تتعايش هذه الأفكار والاجتهادات المختلفة جنبا الى جنب، دون ضيق ولا تبرم، كما رأينا ذلك فى عهد الصحابة ومن تبعهم باحسان.

وفى ظل هذه الحرية الفكرية ظهرت المدارس والمشارب المختلفة : فى الفقه والتفسير والكلام وغيرها ، من غير نكير ، الا ما توجبه المناقشة العلمية .

٨ ـ وقرر الاسلام « المسئولية الفردية » وأكدها تأكيدا بليغا فى كتابه ، فقال تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة » (١) « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » (٢) « ولا تزر وازرة وزر أخرى » (٣) .

وهذه الآيات تطبق على الانسان فى الدنيا وفى الآخرة ، فهو فى الحياتين لا يحمل وزر غيره .

ومع هذه الحقوق والحريات التى منحها الاسلام للفرد ، فقد فرض عليه للمجتمع واجبات تكافئها ، وقيد هذه الحقوق والحريات الفردية، بأن تكون فى حدود مصلحة الجماعة .. وألا يكون فيها مضرة للغير . وليس للفرد أن يستخدم حقه فيما يؤذى الجماعة ويضرها ، بل ولا فيما يؤذى نفسه ويضرها . اذ لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام . أى لا يضر الانسان نفسه ولا يضار غيره . كما أن حق الفرد اذا تعارض مع حقوق الجماعة . فان حق الجماعة أولى بالتقديم :

(أ) فالحياة التى صانها الاسلام للفرد ، اذا اقتضى المجتمع المسلم بذلها لحمايته ، وجب عليه أن يقدمها راضى النفس ، قرير العين ، معتقدا أن الموت هنا هو عين الحياة ، وكذلك اذا اعتدى على حق نفس أخرى كقاتل العمد ، أو على حق المجتمع فى الأمن والاستقرار ، كقاطع الطريق ، أو خرج على دينه وفارق الجماعة كالمرتد ، فقدت حياته ما لها من عصمة .

(ب) وحق التملك مقيد بأن يأخذ المال من حله ، وينفقه فى محله ،

---

(١) سورة المدثر الآية : ٣٨

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٨٦

(٣) سورة فاطر الآية : ١٨

ولا يبخل به اذا طلبته الجماعة ، فملكية الفرد للمال ليست مطلقة كما ينادى أنصار « المذهب الحر » بل هى مقيدة بحدود الله وحقوق المجتمع ، حتى ان انتزاع هذا الملك من صاحبه يجوز للمصلحة العامة ، على أن يعوض عنه ثمن المثل .

ذلك أن المال مال الله ، وهو مستخلف فيه ، وبعبارة أخرى : هو وكيل الجماعة فى رعاينه وتثميره وانفاقه ، فاذا أساء التصرف فى المال ، كان من حق الجماعة أن تغل يده ، وتحجر عليه ، كما أن للجماعة عليه حقوقا فى هذا المال ، بعضها دورى ثابت كالزكاة بأنواعها ، وبعضها غير دورى كما فى الحديث « ان فى المال حقا سوى الزكاة » (١) وبعضها يفرضه ولى الأمر عند الحاجة .

(جـ) والحريات والحقوق كلها مقيدة برعاية أخلاق المجتمع وعقائده ومثله العليا ، فليس معنى حرية الاعتقاد أو الرأى ، اباحة الطعن على الاسلام وأهله ، واذاعة الكفر بالله ورسوله وكتابه ، والتشكيك فى القيم العليا ، ونشر الخلاعة والفجور . فان حرية الافساد لا يقرها عقل ولا شرع .

(د) ومع المسئولية الفردية التى أكدها الاسلام ، نراه قد أكد كذلك مسئولية الفرد عن الجماعة . فكل فرد فى المجتمع المسلم راع فى مجال من المجالات ، كما فى الحديث الصحيح : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها ، والخادم راع فى مال مخدومه ، وكل على ثغرة من ثغر الاسلام ، فلا يجوز له اهمالها » . وفريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تقتضى مسئولية المسلم عن المجتمع ، وتوجب عليه مراقبة أحواله ، وتقويم عوجه ان اعوج بكل ما استطاع : بيده أولا ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان .

ان النصيحة لكافة المسلمين خاصتهم وعامتهم ركن ركين من

---

(١) رواه الترمذى :

الاسلام ، ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم •

وليس لمسلم أن يعتزل الحياة والناس ويقول : نفسى نفسى ، ويدع نار الفساد تلتهم الأخضر واليابس من حوله ، فان هذه النار اذا تركت وشأنها ، لم تلبث أن تحرقه هو ، وتحرق كل ما يحرص عليه • ولهذا يقول القرآن : « واتقوا فتنة لا تصيبين الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب » (١) وفى الحديث : « ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده » •

(هـ) ومن معان الجماعة فى الاسلام ما عرف فى الشريعة باسم « فروض الكفاية » فكل علم أوصناعة أوحرفة أونظام أومؤسسة، تحتاج اليها الجماعة المسلمة فى دينها أو دنياها ، فتحقيقها فرض كفاية على المسلمين ، على معنى أنه اذا قام بها عدد كاف فقد ارتفع الحرج ، وسقط الاثم عن باقى الجماعة ، والا أثمت الجماعة كلها ، واستحقت عقوبة الله •

(و) والمسلمون مسئولون مسئولية تضامنية عن تنفيذ شريعة الاسلام ، واقامة حدوده • ومن هنا كان خطاب التكليف فى القرآن الى الجماعة • وتكرر قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا » بهذه الصيغة الجماعية ليؤكد وجوب التكافل بين الجماعة ، فى تنفيذ ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى عنه • خوطبت الجماعة كلها بمثابة قوله تعالى :

« والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما(٢)» «الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة » (٣) • وان كان الذى يقوم على هذه الحدود هو الدولة والحكام ؛ لأن الجماعة كلها مسئولة عن اقامتها ، مؤاخذة بعقاب الله اذا عطلتها •

---

(١) سورة الأنفال الآية : ٢٥
(٢) سورة المائدة الآية : ٣٨
(٣) سورة النور الآية : ٢

(ز) حتى العبادة التى هى صلة بين الفرد وربه ، أبى الاسلام الا أن يضفى عليها روحا جماعية ، وصبغة جماعية ، فدعا الى صلاة الجماعة ورغب فيها ، حتى جعلها أفضل من صلاة المسلم وحده ، بسبع وعشرين درجة ، وكلما كان عدد الجماعة أكبر ، كان ثواب الله عليها أعظم .

بل هم الرسول أن يحرق على قوم بيوتهم ، لتخلفهم عن الجماعة فى المسجد ، ولم يرخص لأعمى يسمع الأذان ، أن يصلى فى بيته ويترك صلاة الجماعة . وقال : « لا صلاة لمنفرد خلف الصف » (١) كراهية منه للشذوذ والانفراد ولو فى المظهر .

واذا صلى المسلم منفردا فى خلوة لم تزل الجماعة فى وجدانه وضميره ، فهو اذا ناجى الله ناجاه بصيغة الجمع ، واذا دعاه دعاه باسم الجميع : « اياك نعبد واياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم » (٢) .

كما شرع صلاة الجمعة فى كل أسبوع مرة ، وصلاة العيد فى كل عام مرتين ، وفرض الحج فى العمرة مرة على كل مسلم . وكلها شعائر لابد أن تؤدى فى صورة جماعية .

(ح) وفى مجال الآداب والتقاليد ، حث الاسلام على جملة من الآداب الاجتماعية ، أراد بها أن يخرج المسلم من الفردية والانعزالية ، التى قد تروق للانطوائيين من الناس ، فتحية الاسلام ، والمصافحة عند اللقاء ، وتشميت العاطس ، والتزاور والتهادى ، وعيادة المريض ، وتعزية المصاب ، وصلة الأرحام ، واحسان الجوار ، واكرام الضيف ، وحسن الصحبة فى السفر والحضر ، والبر باليتامى والمساكين وابن السبيل ، وغير ذلك من الآداب والواجبات هى التى جعلت الشعور الجماعى ، والتفكير الجماعى ، والسلوك ، جزءا لا يتجزأ من حياة المسلم .

(ط) وفى مجال الأخلاق ، حث الاسلام على المحبة والاخاء والايثار ، وأمر بالتعاون على البر والتقوى ،

---

(١) حديث شريف .

(٢) الفاتحة : الآيتان ٥ ، ٦

ودعا الى توحيد الكلمة وجمع الصف. كما دعا الى التراحم والتسامح ، والى البذل والتضحية ، واحترام النظام ، والطاعة لأولى الأمر فى المعروف .

وبجوار ذلك حذر من الحسد والبغضاء ، والحقد ، والفرقة ، والتنازع ، وسائر الرذائل التى تنشأ من الأنانية والغلو فى حب الذات وحب الشهوات .

وبهذا كله أقام الاسلام ــ بالتشريع والتربية ــ الموازين القسط بين الفرد والمجتمع ، أو بين الفرد والجماعية فى حياة الانسان .

وبهذا أيضا يتبين للباحث المنصف: أن من الظلم للاسلام أن يعد فى المذاهب الفردية ، أو فى المذاهب الجماعية (الاشتراكية) . فهو فى الواقع نظام متفرد ، فقد اعترف بالفرد وبالمجتمع كليهما ، وقرر له حقوقه بالعدل ، وألزمه واجبات تقابلها بالمعروف . وهذا هو القسط وان شئت قلت : هذا هو التوازن الذى اختص به هذا الاسلام .

د: يوسف القرضاوى

ان أى طاغية فى داخل العالم « الاسلامى » ــ سواء أعلن حربه صريحة على الاسلام أم تظاهر بالجدب على الاسلام ورعايته وهو فى دخيلة نفسه عدو .

ان أى طاغية لايمكن أن يطبق الاسلام، لسبب واحد بسيط : أن الاسلام يجعل ولاء الناس لله بينما هو يريد الولاء لشخصه من دون الله .

وتلك ــ فى بساطة ــ قضية كل طاغية فى التاريخ مع العقيدة ومع المؤمنين .

وذلك فضلا عن أن أمثال أولئك الطغاة فى العالم الاسلامى لايقومون بأمر أنفسهم انما الاستعمار الصليبى الصهيونى ليقوموا ــ بالوكالة عنه ــ بمهمة القضاء على الاسلام وتدمير المؤمنين .

شخصية المؤمن وعناصر تكوينها

للأستاذ أبو الوفا المراغى

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير، احرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز، وان أصابك شىء فلا تقل لو انى فعلت لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فان لو تفتح عمل الشيطان » . أخرجه مسلم .

يحرص الاسلام على أن يكون المؤمن ذا شخصية قوية تعطى وتأخذ ويتبادل المنافع مع غيره من أبناء الجماعة الاسلامية لتكون من الجميع أمة قوية مترابطة تنافس غيرها من الأمم ، وتأخذ مكانها فى مزدحم الجماعات العالمية عزيزة كريمة ، وقد بيّن الاسلام فى كثير من آيات القرآن وأحاديث الرسول عناصر بناء هذه الشخصية، فنبه الى فضيلة الصدق والوفاء والأمانة والعفة والتسامح والتعاون والتواد والتراحم والمحبة والايثار وغير ذلك من الفضائل التى يكمل بها بناء الشخصية .

وقد نبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث الى أمهات الفضائل وهى القوة ، والحرص على ما ينفع ، والاستعانة بالله فى كل الأمور ، وعلى الشباب فى مواقف الشدة وعدم الاستسلام لليأس وترك التندم والتحسر على ما فات من الرغائب .

والقوة كلمة جامعة تشمل كل معانى القوة سواء فى ذلك القوة الجسمية الحسية أم القوة الخلقية المعنوية ، والقوة الجسمية تكون باتباع ما عرف من الوسائل بالرياضة المباحة أو العمل المباح وتجنب

ما يؤذى الجسم والنفس من طعام وشراب والبعد عن التفكير فيما يؤذى الناس وما لا خير فيه فان ذلك عناء يرهق الجسم ويشيع فيه الضعف والوهن والقوة النفسية الخلقية تتحقق بالتخلق بالفضائل التى رسمها الشرع واستحسنها العقل وجرى بها العرف الصحيح .

وفى مقدمة تلك الفضائل تكميل النفس بالعلم وتحصيلها بما يتاح منه وافادة الناس به فللعلم زكاة يؤاخذ العالم بالتقصير فيها كما جاء فى الأثر، « من كتم علما يحسنه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة » .

وثانى هذه العناصر التى تكون شخصية المؤمن ؛ الحرص على ما ينفع، وما ينفع كلمة عامة أيضا كالقوة ،، فما ينفع كثير ، فمنه ما ينفع فى الدين وما ينفع فى الدنيا وجو الحديث يشعر بأن المقصد الأهم هو ما ينفع فى الدين . وما ينفع يختلف باختلاف الأشخاص واختلاف الأنواع من الرجال والنساء وما ينفع قسمان ؛ قسم لا سبيل الى الاختلاف فى نفعه كالعقائد والعبادات والمعاملات وما أوصى به الدين وأوجب التزامه فى السلوك الانسانى كالصدق والتسامح والانتصار للحق ومحاربة الظلم والظالمين وغير ذلك مما أشرنا اليه ، وقسم هو محل الاجتهاد والنظر يجتهد فيه الانسان ويقدره ويقرره حسب قدرته وتفكيره وتوسم الخير فيه ، الا أنه يجب أن يكون التقدير والتقرير فى نطاق الأصول العامة للشريعة . فلا يكون من النفع الذى يجب الحرص عليه ما يكسب من المال بطريق الغش والخداع والتدليس ، ولا يكون من النفع ما يصل اليه الانسان من المناصب بطريق الرشوة والتملق والنفاق؛ لأن الأصول العامة للشريعة تأبى ذلك وتحرمه .

ومن تلك العناصر ، الاستعانة بالله على ما يعزم عليه من الأمور ؛ لأن الاستعانة بالله والاعتماد عليه تريحه من عناء التفكيرات المضنية وتبعد عنه كثيرا من الأوهام المضللة المحيرة ، وتسهل عليه انجاز الأمور وتزيل من طريقه المعوقات وتعينه

على تحمل المسئوليات ، والانسان ـ مهما كان ـ ضعيف بحوله وحيلته قوى بمعونة الله وبحوله ، وفى أول سورة من القرآن الكريم مما يكرر فى كل صلاة : « اياك نعبد واياك نستعين» ومن كان مع الله بالاستعانة والتوكل كان الله معه بالمعونة والتيسير « ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » ان المؤمن فى حاجة الى الاستعانة بالله لينير له طريق الرشاد ، ويختار له ما فيه الخير والسداد ويهبه الطمأنينة ويلهمه الأمل والاستبشار بانجاح المقاصد فيقبل على ما يريد بروح وثابة لا يبالى بما يلقى من المصاعب والآلام .

والعنصر الأخير فى بناء الشخصية المؤمنة الذى ورد فى الحديث ، الثبات أمام المصاعب والمصائب ومواجهتهما برضاء واطمئنان ، ومما يعينه على ذلك أن يتذكر أن ماوقع له كان بتقدير الله وانه لابد كائن مهما تحرز بالحيطة والحذر وتدرع بأسباب الفوز والنجاح ، والحديث يحذر من الاستسلام لليأس والتضعضع عند الشدائد ويطلب اليه أن يتجنب التحسر والتندم على فائت ، فقد يكون فى فواته خير يستبين فى مستقبل الزمان وان بدا فى فواته عكس المطلوب الآن .

ان الحديث يحذرنا أن نأسى على ما فات ونلجأ الى هذه العبارات التى جرى العرف أن تنطق بها الألسنة فى مثل تلك المناسبات مثل قول القائل : لو انى فعلت كذا وكذا أو ليتنى فعلت كذا أو لولا أنى فعلت كذا لما حصل كذا ولو ذلك مما لا يرفع واقعا ولا يرد فائتا .

ليت وهل ينفع شيئا ليت
ليت شبابا بوع فاشتريت

ويعلل الحديث تحذيره من التندم بهذه العبارات بأنها تفتح عمل الشيطان ، وعمل الشيطان هنا الوسوسة بأن ما وقع ضد المصلحة وضد فائدة المؤمن ، وقد

يجره الاسترسال فى هذه الوساوس الى التسخط على الله وعدم الرضا بماقضاه فيتبلبل فكره وربماتشوشت عليه عقيدته ، ويرشد الحديث الى ما ينبغى أن يقال فى هذا المقام بدل تلك العبارات الموهمة للغضب مما وقع عبارات توحى بالرضا والاخبات للقضاء مثل قولنا قدر الله وما شاء فعل ليخلع عن نفسه لباس الخنوع والاستكانة ويلبس لباس النشاط والقوة ويستأنف العمل بجد وعزم يحقق بهما ما فات ، وربما كان خيره فيما هو آت ، وينبغى للمسلم أن يستذكر على الدوام قوله تعالى: « ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على يسير • لكى لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور » •

هذا وقد يسأل بعض المستذكرين للحديث فيقول كيف السبيل الى التوفيق ودفع التعارض بين ما ورد فى هذا الحديث من التحذير من استعمال عبارات لو ونحوها فى مواقف الفشل وفوات المطلوب وبين ما ورد فى الحديث الآخر من قوله صلى الله عليه وسلم : « لو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما أهديت ولولا أن معى الهدى لأحللت » •

وقد أجاب بعض شراح الحديث عن هذا السؤال فقال: والجواب عن ذلك يسير سهل ، فان الحالة التى ذكر فيها الرسول كلمة لو حالة دينية كان يود أن يبد لها بقربة أخرى لولا أنه ساق الهدى • اما لو المنهى عنها فى الحديث فانها التى تفتح باب الندم ويشعر صاحبها بالأسف على ما فات من شئون الدنيا وتسلك به سبيل الشيطان •

تلك هى العناصر التى تكمل بها شخصية المؤمن ويكون قويا،ويكون قريبا من الله محبوبا منه مرضيا عنه، فائزا بما هو أهل له من ثوابه حيث جرى على مارسمه له ونفذ ما أمربه• وكلما افتقد المؤمن عنصرا من هذه العناصر بعدعنه بمقدارما افتقده،الا أنه لا يخرج من رعايته ولا يحرم من

مشوبته لما فيه من أصل الخير وهو الايمان بالله الذى هو المطلوب الأول والغرض الأهم من خلق الانسان وذلك معنى قوله صلى الله عليه وسلم فى الحديث : « المؤمن القوى خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفى كل خير » .

والمؤمن مهما فرط فى الطاعات وأفرط فى المعاصى ففى قلبه أصل الخير وهو الايمان ؛ لأنه يبعث فى النفس الخوف من الله والطمع فى رضاه فيجاهد نفسه فى طاعته ويحاسبها على غفلتها، ولابد أن يعود يوما الى رحابه وفى الحديث : « مثل المؤمن والايمان كمثل الفرس فى آخيته (حبله) يجول ثم يرجع الى آخيته ، وان المؤمن يسهو ثم يرجع الى الايمان» . ومعنى الحديث أنه يبعد عن ربه بالذنوب وأصل الايمان ثابت فى قلبه .

وبعد . فقد تناول بعض المحدثين شرح الحديث على أنه اخبار ومقارنة بين المؤمن الضعيف والمؤمن القوى ولكنى تناولته بالشرح على أنه ارشاد وتنبيه الى ما ينبغى ان يتوافر فى المؤمن من خصال ليكون قويا واذا لم تتوافر فيه كان ضعيفا والذى يرجح عندى ما ذهبت اليه ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجل، ففى الحديث : « احرص على ما ينفعك . واستعن بالله ولا تعجل، وقل ما شاء الله فعل ، ولا تقل لو أنى فعلت كذا » .

وفى كلا الشرحين بيان للمقصود من الحديث وهو رسم الطريق لما يرضاه الاسلام للمسلمين .

ابو الوفا المراغى

« قال ابن اسحاق ، اخبرنى عبد الله بن ابى نجيح انه ذكر له أن الشهيد اذا ما أصيب تدلت له زوجتاه من الحور العين تنفضان التراب عن وجهه ، وتقولان : ترب الله وجه من تربك وقتل من قتلك » .

تذكرة الصائم

للأستاذ منشاوى عثمان عبود

معنى الصيام :

الصيام فى اللغة : الامساك مطلقا عن الطعام أو الشراب ، أو غيرهما كالكلام ، قال تعالى على لسان مريم: « انى نذرت للرحمن صومافلن أكلم اليوم انسيا » (١) .

وشرعا :

هو الامساك عن ادخال شىء الى البطن ، وعن شهوة الفرج من طلوع الفجر الى غروب الشمس بنية ممن كان أهلا للصيام .

الأدلة على وقت الصيام :

يدل على بدء وقته قوله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » (٢) .

فالخيط الأبيض المراد به الفجر الصادق ، فقد أباح تعالى الأكل والشرب الى طلوع الفجر ، فيحرم عنده ، ويكون هذا ابتداء وقت الصيام .

ويدل على نهايته قوله تعالى : « ثم أتموا الصيام الى الليل » (٣).

وأيضا ما رواه البخارى أنه عليه الصلاة والسلام قال : (اذا أقبل الليل من ههنا فقد أفطر الصائم) — أى اذا وجدت الظلمة حسًّا فقد دخل وقت الفطر ، أو صار الصائم مفطرا حكما ، لأن الليل ليس ظرفا للصوم.

(١) سورة مريم الآية : ٢٦

(٢) سورة البقرة الآية : ١٨٧

دليل لزوم النية فيه :

الأول : ما رواه البخارى ومسلم من قوله عليه الصلاة والسلام : (انما الأعمال بالنيات) •

الثانى : الصوم ، ولا تتميز العبادة عن العادة الا بالنية فلا بد منها لتصحيح عبادة الصيام ، وتمييزها عن غيرها من عادات الانسان •

اهلية الصيام :

المراد بها خلو المرأة من الحيض والنفاس ، فاذا حاضت المرأة ، أو كانت نفساء يحرم عليها الصوم ، ولا يصح منها ، وبعد ذلك تقضى الحائض الصوم المفروض بعدد أيام حيضها ، وتقضى النفساء بعدد أيام نفاسها •

حكمة مشروعية الصيام

شرع الله تعالى الصيام لحكم سامية نجملها فيما يأتى :

١ ــ تعويد الانسان الصبر ليقوى على احتمال المشاق ، ويصمد أمام الأحداث •

٢ ــ تقوية الارادة عند الصائم بقهر النفس ، والانتصار على شهواتها •

٣ ــ بالصوم تصح الأبدان ، وتبرأ من بعض العلل والأسقام •

٤ ــ به يذوق الأغنياء مشقة الحرمان ، فيسارعون الى مواساة المعوزين والبائسين •

٥ ــ فى تشريع الصيام تحقيق عملى لمبدأ المساواة بين الناس ، واعلامهم بأسلوب واضح ، أن تفاوتهم فى حظوظ الدنيا ــ لا أثر له فى منزلتهم عند الله تعالى •

٦ ــ فيه تربية القلوب على الخشية منه سبحانه ومراقبته فى جميع التصرفات ، ومن راقب ربه حذر من مخالفته ، وسارع الى مرضاته ، وتلك هى التقوى التى جعلها ــ سبحانه ــ غاية للصوم حيث قال :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (١) •

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٣

اثبات رمضان :

يثبت شهر رمضان بأحد أمرين :

الأول : رؤية هلالــه بعد غروب شمس اليوم التاســع والعشرين من شعبان .

الثانى : اكمال عدة شعبان ثلاثين يوما اذا لم تتيسر الرؤية لعارض من العوارض الجوية كالغيم والغبار ــ كما أرشــد الى ذلك صــلوات الله وســلامه عليه حيث قال : صوموا لرؤيته ، وافطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شــعبان ثلاثين يوما) (١) .

الحكم اذا ثبتت الرؤية فى قطــر دون غيره :

اذا ثبتت رؤية الهلال فى قطر دون غيره ــ تلزم سائر أقطار الاســلام التى تتفق مع قطر الرؤية فى جزء من الليــل ، بلا فرق بين قطر وقطر ، كما لا فرق بين بلد من قطر الرؤية ، وبلد آخر فيه .

بهذا قال جمع كثير من الفقهاء ، ــ ويتلاقى هــذا القول مع ما يدل عليه الحديث الشريف ، فان الحديث ربط الصوم والفطر بمطلق الرؤية الثابتة عندالمخاطبين ، ولم يشترط لصوم كل شخص وفطره أن يرى بنفسه ، فمجرد حصول الرؤية من البعض كاف فى ايجاب الصوم ، أوالفطر على جميع المسلمين ، ويشهد لسداد هذا القول أيضا أنه ينشــأ عن الأخــذ به ــ تحقيق ما تهدف اليــه الشريعة من توثيق الروابط بين المسلمين ، وتوحيد مشــاعرهم فى أداء ركن عظيم من أركان الدين ، هذا وكما دل الحديث على ربط الصــوم والفطر بالرؤيةــ دل أيضا على أنه ينبغى للمسلمين أن يحاولوا التماس الهلال ، ويتنافسوا فى الوصــول الى مشــاهدته حرصا على اليقين فى عبادتهم ، وشوقا الى طاعة ربهم ، وتعظيما لشعائر دينهم .

من الذى تقبل رؤيته للهلال ؟

يقبل فى ثبوت هلال رمضان اخبار واحد أنه رآه اذا كان مسلما بالغــا عاقلا عدلا (أى ظاهر الاستقامة) أو مستور الحال ، وأما فى هــلال شوال فــلا يثبت الا بشهادة رجلين عدلين ، أو رجل وامرأتين .

---

(١) رواه البخارى عن أبو هريرة رضى الله عنه .

وانما اشترط لثبوت هلال شوال ما لا يشترط لهلال رمضان للاحتياط فى أمر عبادة الصوم ، فهذا الاحتياط يقتضى الحكم بثبوت هلال رمضان باخبار الواحد العدل ، والاحتياط أيضا يقتضى ألا يحكم بانهاء العبادة الا بنصاب الشهادة .

روى أبو داود والدارقطنى وابن حبان والحاكم والبيهقى عن ابن عمر قال : تراءى الناس الهلال ، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنى رأيته ، فصام ، وأمر الناس بصيامه .

وروى الخمسة الا أحمد عن عكرمة عن ابن عباس قال : جاء أعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال ، انى رأيت الهلال ، يعنى رمضان ، فقال : (أتشهد أن لا اله الا الله ؟ قال : نعم ، قال : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ قال : نعم ، قال : يا بلال ، اذن فى الناس ، فليصوموا غدا) .

وروى الدارقطنى أيضا ، والطبرانى فى الأوسط من طريق طاووس قال : شهدت المدينة وبها ابن عمر وابن عباس ، فجاء رجل الى واليها ، وشهد عنده على رؤية هلال شهر رمضان ، فسأل ابن عمر وابن عباس عن شهادته ، فأمراه أن يجيزه ، وقالا : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجاز شهادة واحد على رؤية هلال رمضان ، وكأنه لا يجيز شهادة الافطار الا بشهادة رجلين .

فهذه النصوص المذكورة تدل على أنه تقبل شهادة الواحد فى دخول رمضان ، ولا ريب أن ابن عمر رضى الله عنهما — كان ظاهر العدالة ، وأما الأعرابى الذى شهد عند الرسول عليه الصلاة والسلام ، والرجل الذى شهد عند والى المدينة فالظاهر أن كلا منهما كان مستور الحال .

وما نقله طاووس عن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهما — صريح فى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — كان يشترط نصاب الشهادة لثبوث هلال شوال .

يوم الشك وحكم صومه :

يوم الشك هو اليوم الذى يلى التاسع والعشرين من شعبان ولم تثبت فى ليلته رؤية هلال رمضان ، وحكمه أنه يمنع من صومه من أراد أن يصومه على أنه من رمضان لئلا يكون ذلك ذريعة الى فتح باب الزيادة فيما فرضه الله تعالى وقدره — ولما روى الخمسة الا أحمد عن عمار ابن ياسر رضى الله عنه قال:(من صام اليوم الذى يشك فيه فقد عصى أبا القاسم محمدا صلى الله عليه وسلم) ومثل هذا لا يقوله الصحابى الا بتوقيف وسماع من الرسول صلى الله عليه وسلم •

ويجوز صومه اذا وافق عادة للشخص ، كأن اعتاد أن يصوم يوم الاثنين مثلا ، فصادف يوم الشك ، فيجوز صيامه بنية النفل •

وروى أبو داود عن ابن عباس — رضى الله عنهما — عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا تقدموا الشهر بصيام يوم ولا يومين ، الا أن يكون شيئا يصومه أحدكم ، ولا تصوموا حتى تروه ، ثم صوموا حتى تروه ، فان حال دونه غمامة فأتموا العدة ثلاثين ، ثم أفطروا) •

فان ظهر هذا اليوم الذى صامه بنية النفل — من رمضان — أجزأ عنه ، لتعين الوقت له — كما ذهب الى هذا بعض الفقهاء ، وبه نأخذ تيسيرا على الناس •

الدليل على فريضة صوم رمضان :

دل على فرضيته الكتاب والسنة والاجماع ، أما الكتاب فقوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » (١) ومعنى (كتب) فرض ، والصيام المكتوب المراد به صوم رمضان •

وقوله تعالى : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » (٢) أى من كان حاضرا مقيما غير مسافر فى الشهر فليصم فيه •

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٣
(٢) سورة البقرة الآية ١٨٥

وأما السنة فروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان» .

وأما الاجماع فقد اتفقت الأمة كلها على فرضيته ، فمنكر الفريضة كافر ، لانكاره معلوما من الدين بالضرورة .

شروط وجوبه :

هى التى اذا وجدت يفترض الصوم ، ويلزم الانسان ، وعددها ثلاثة : الاسلام ، والبلوغ ، والعقل وتعتبر أيضا شروط للتكاليف العامة .

شروط وجوب أدائه :

هى التى اذا توفرت يجب على الشخص انجاز فعل الصوم ، ويأثم بتأخيره — ويشترط لوجوب الأداء شرطان :

١ — الصحة ، فلا يجب الأداء على المريض ، ولا يأثم بتأخير الصيام ، مع أنه وجب عليه ، وذمته مشغولة به ، ولهذا يطالب بالقضاء بعد شفائه من المرض .

٢ — الاقامة فلايجب الصيام على المسافر مع أنه مكلف بالصيام ، وذمته مشغولة به ، ولذا يطالب بقضائه بعد انتهاء السفر ، قال تعالى فى بيان حكم المريض والمسافر : « ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (١) .

شروط صحة الأداء :

هى التى اذا تحققت كان الصوم معتبرا شرعا ، ويشترط لصحة الصيام — كما ظهر من تعريفه — شرطان :

الأول : الطهارة من الحيض والنفاس ، فلا يصح للحائض والنفساء أداء الصيام مع أنه يجب عليهما ، ويلزمهما قضاؤه بعد الطهارة

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٣

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٥

من الحيض والنفاس ــ وكما يشترط لصحة الصيام الطهـارة من الحيض والنفاس ــ تشترط أيضا لصـحة الصلاة الطهارة منهما ــ لكن لايلزم فيهما قضاء الصلاة •

روى الجمـاعة عن معاذة قالت : سـألت عائشـة ، فقلت : ما بال الحائض تقضى الصوم ، ولا تقضى الصـلاة ؟ قالت : كان يصيبنا ذلك مع رسول الله عليه وسلم ، فنؤمر بقضاء الصوم ، ولا نؤمر بقضـاء الصـلاة •

الثانى : النية ، فـلا يصح أداء الصوم الا بالنية كسائر العبادات ، وحقيقـة النية : أن يعلم بقلبه ليلة الصيام أنه يصوم غدا ، ولا يخلو مسلم عن هذا فى ليالى رمضـان ، ويعتبر السحور نية ، وليس التلفظ بها شرطا ــ ويطلب لصحة النية أن تقع فى جزء من ليلة اليوم الذى يراد صومه •

روى الخمسـة عن ابن عمـر رضى الله عنهمـا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (من لم يجمع الصيام قبل الفجر فلا صيام له) •

ركن الصـوم :

الامساك عن سـائر المفطرات فى الوقت المحدد شرعا للصيام ،

مبطلات الصـوم :

يبطل الصوم عند الجناية عليه بما يزيل ركنه وهو الامساك ، ــ فاذا كانت الجنـاية غـير كاملة أوجبت القضـــاء فقط ، واذا كانت كاملة أوجبت القضاء والكفارة •

ما يبطل الصوم ويوجب القضاء فقط: ثلاثة أمور :

الأول : أن يتناول الصائم شيئا ليس فيـه غـذاء ، أو ما فى معنى الغذاء ، وما فيه غذاء هو ما تميل النفس الى تنـاوله ، وتنقضى بـه شهوةالبطن، كالفاكهة بعد نضجها ــ وما فيه معنى الغذاء هو الدواء •

الثانى : أن يتناول غذاء أو دواء لعـذر شرعى كمرض أو سفر ، أو خطـأ ، كأن أهمل وهو يتمضمض فوصل المـاء الى جوفه •

الثالث : أن يقضى الصائم شهوة الفرج غير كاملة •

أمثلة الأمر الأول :

أن يأكل الصائم أرزا نيئا ، أو أكل ملحا كثيرا دفعة واحدة ، أو أكل ثمرة لا تؤكل عادة قبل نضجها ، أو ابتلع نواة ، أو حصاة ، أو قطعة من النقود ، أو تعمد اخراج القيء وكان ملء الفم •

أمثلة الأمر الثانى :

اذا تسحر أو جامع شاكا فى طلوع الفجر ، وهو طالع ، أو أفطر يظن الغروب ، والشمس باقية ، ويجب عليه الامساك بقية اليوم تعظيما لوقت الصيام •

أمثلة الأمر الثالث :

اذا أنزل بقبلة ، أو لمس امرأة •

ما يبطل الصوم ويوجب القضاء والكفارة :

أمران :

الأول : أن يتناول الصائم غذاء ، أو ما فى معناه — عمدا — بدون عذر شرعى كالأكل والشرب ونحوهما مما تميل اليه النفس ، وتنقضى به شهوة النفس •

الثانى : أن يقضى شهوة الفرج كاملة بالجماع فى القبل أو الدبر ،

وتسقط الكفارة بعد أن وجبت بطروء عذر ليس من صنع الانسان ، كأن يطرأ مرض مبيح للفطر فى اليوم الذى وقع فيه الابطال الموجب للكفارة ، أو يطرأ على المرأة الحيض أو النفاس ،

بيان كفارة الصيام :

الكفارة أنواع ثلاثة مرتبة الترتيب الآتى :

١ — عتق رقبة سليمة من العيوب ، وتخليصها من الرق •

٢ — عند العجز عن تحرير الرقبة يلزم صيام شهرين متتابعين ، ليس فيهما رمضان ، ولا يوما العيد ، وأيام التشريق •

٣ — عند العجز عن صيام الشهرين يلزم اطعام ستين مسكينا بأكلتين مشبعتين ، أو اطعام مسكين واحد ستين يوما كذلك ، أو دفع قيمة الطعام نقودا ، ويقدر طعام المسكين فى اليوم بخمسة عشر قرشا مصريا — تقريبا •

دليل وجوب الكفارة عند تعمد الافطار :

يدل على وجوبها عند الجماع ما رواه الجماعة عن أبى هريرة قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : هلكت يا رسول الله، قال : (وما أهلكك ؟ قال : وقعت على امرأتى فى رمضان قال : هل تجد ما تعتق رقبة ؟ قال : لا ، قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ قال : لا ، قال : فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا ؟ قال : لا) الحديث ...

وكما يدل الحديث المذكور على وجوب الكفارة عند الجماع ـ يدل أيضا على لزوم ترتيب أنواعها .

وأما وجوب قضاء يوم بدل اليوم الذى حصل فيه الافطار ـ فيدل عليه ما جاء لابن ماجه وأبى داود فى رواية للحديث : وصم يوما مكانه).

وأما وجوب الكفارة عند تعمد الأكل أو الشرب ـ فيدل عليه ما رواه أبو داود أن رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : شربت فى رمضان ، فقال صلى الله عليه وسلم : (من غير سفر ، ومرض ؟ قال : نعم ، فقال له : اعتق رقبة) .

وعن على رضى الله عنه أنه قال : انما الكفارة فى الأكل والشرب والجماع ، ويدل على سقوط الكفارة عند طروء مرض مبيح للفطر ، أو طروء حيض أو نفاس للمرأة ـ أن هذا أمر عارض لادخل للشخص فيه ، وظهر أن صوم ذلك اليوم لم يكن مستحقا ، فلا تلزم الكفارة بالافطار فيه .

الأعذار التى تبيح الافطار :

الأعذار التى تبيح الافطار للصائم كثيرة منها :

١ ـ المرض ، فان مرض الصائم ، أو خاف زيادة المرض ، أو تأخر الشفاء ، أو حصول مشقة شديدة جاز له الفطر .

٢ ـ خوف الحامل أو المرضع الضرر على أنفسهما ، أو ولدهما ، ولا فرق فى المرضع بين أن تكون أما أو مستأجرة للارضاع .

٣ ــ حصول عطش شديد ، أو جوع يخاف منه الهلاك ، والخوف المعتبر فى كل هذا ما كان مستندا لغلبة الظن بتجربة أو اخبار طبيب مسلم ماهر فى طبّه .

٤ ــ السفر بشرط أن يبيح قصر الصلاة ، أى ينوى قطع مسافة ٨١ كيلومترا تقريبا ، وبشرط أن يشرع فيه قبل الفجر .

٥ ــ الحيض أو النفاس ، فلو عرض للصائمة الحيض أو النفاس وجب عليها الفطر ، ولا يصح صيامها ، وعليها القضاء ، كما يجب القضاء أيضا على من أفطر من أصحاب الأعذار السابقة .

٦ ــ كبر السن ، والمرض الذى لا يرجى شفاؤه ، فالشيخ الهرم الفانى الذى لا يقدر على الصيام فى جميع فصول السنة ، وكذا المريض مرضا مستعصيا لا أمل فى البرء منه ــ يفطر كل منهما ، وعليه عن كلّ يوم فدية طعام مسكين ، وهو مقدار قدح وثلث من القمح ، ويساوى خمسة عشر قرشا مصريا تقريبا .

أشياء لا تفسد الصيام :

توجد أشياء لا تفسد الصيام ، وقد يشتبه حكمها على بعض الناس ، نذكر منها ما يأتى :

١ ــ غلبة القىء على الصائم من غير تعمد اخراجه ، فهذا لا يفسد الصوم وانما يفسده تعمد الاخراج .

روى الخمسة الا النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (من ذرعه القىء فليس عليه قضاء ، ومن استقاء عمدا فعليه القضاء) .

٢ ــ دخول غبار ، أو ذباب ، أو دخان الى حلق الصائم من غير صنعه ، وكان هذا غير مفسد للصوم لتعذر الاحتراز منه ، ووجود الحرج فى اتقائه ، والحرج مرفوع بالنص ، قال تعالى : « ما جعل عليكم فى الدين من حرج » (١) .

---

(١) سورة الحج الآية : ٧٨.

٣ ــ جواز أن يصبح الصائم جنبا ، فالصيام لا يتنافى مع الجنابة التى وقعت بالليل ، وهذا لأن الله تعالى أباح الرفث وهو الجماع ليلة الصيام بقوله سبحانه : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » (١) وما دام النص قد أباح هذا طيلة الليل الى الفجر ، فانه يدل باشارته على جواز أن يصبح الصائم جنبا .

روى أحمد ومسلم وأبو داود عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا قال : يا رسول الله تدركنى الصلاة وأنا جنب ، وأصوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (وأنا تدركنى الصلاة وأنا جنب ، فأصوم ، فقال : لست مثلنا يا رسول الله ، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، فقال عليه الصلاة والسلام : والله انى لأرجو أن أكون أخشاكم لله ، وأعلمكم بما أتقى) .

٤ ــ استعمال الكحل والتقطير فى العين ، حتى ولو وجد الصائم أثر ذلك فى حلقه ــ وهذا لما روى أنه عليه الصلاة والسلام اكتحل وهو صائم ، وأيضا لأن الواصل الى الحلق من ذلك انما وصل عن طريق المسام والترشيح ، والمفسد للصوم الوصول الى المعدة من منفذ طبيعى كالفم أو الأنف ، وليس بين العين والحلق منفذ طبيعى ، ولا يفسد الصوم بالكحل والتقطير .

٥ ــ الحقن العضلية ، أو التى تكون تحت الجلد ، والتى تكون فى الأوردة أو التى لعلاج البلهارسيا ، وحتى الحقن التى تكون للتغذية ــ لا يفسد شىء من ذلك الصيام ، لأن السائل لا يدخل بها فى الجوف من منفذ معتاد كالفم والأنف ــ والمفسد الوصول الى الجوف من طريق طبيعى ، ولكن ينبغى التنبيه الى أن تعاطى حقن التغذية يكره اذا كان من غير ضرورة ، لأن تعاطيها بدون عذر يجعل الصائم لا يدرك المشقة الأصلية للصيام ، ولا تتمثل فيه حكمة مشروعيته .

---

(١) سورة البقرة الآية ١٨٧

وأما الحقنة الشرجية فقد قرر الفقهاء أنها تفسد الصيام ، لأن السائل بها يدخل الى الجوف من منفذ معتاد — لكن يجب بها قضاء اليوم فقط ، ولا تجب الكفارة ، حيث لم تتكامل الجناية على الصوم، فلم تأخذ حكم الأكل أو الشرب ، أو الجماع عمدا .

٦ — استعمال السواك سواء كان يابسا أو رطبا ما دام لم يتفتت منه شيء يصل الى الجوف ، وهذا لأنه ما دام لم يتفتت منه شيء — لم يزل ركن الصوم ، وهو الامساك ، فلا فساد .

٧ — أكل الصائم ، أو شربه ناسيا ، وهذا وان كان قد زال به ركن الصوم وهو الامساك الا أنه عليه الصلاة والسلام قد حكم فى هذا بعدم فساد الصوم .

روى الجماعة الا النسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، (من نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه ، فانما الله أطعمه وسقاه) .

وروى الدارقطنى باسناد صحيح هذا الحديث بلفظ (اذا أكل الصائم ناسيا ، أو شرب ناسيا ، فانما هو رزق ساقه الله اليه ، ولا قضاء عليه .

ورواه الدارقطنى أيضا ، وابن خزيمة ، وابن حبان ، والحاكم بلفظ : (من أفطر يوما من رمضان ناسيا فلا قضاء عليه ولا كفارة) .

ما يكره للصائم :

يكره للصائم أمور نكتفى منها بما يأتى :

١ — ذوق شيء لم يتحلل منه ما يصل الى الجوف ، الا فى حال الضرورة ، فيجوز للمرأة أن تذوق الطعام لتبين ملوحته اذا كان زوجها سيء الخلق ، ومثلها فى هذا الطاهى (الطباخ) .

وانما كره الذوق من غير ضرورة لما فيه من تعريض الصوم للفساد .

٢ — مضغ شيء بلا عذر كالمرأة اذا وجدت من يمضغ الطعام لصبيّها

كمفطرة لحيض ، أما اذا لم تجـد من يمضغه سواها ممن يحل له الفطر فلا كراهة لصيانة الولد •

ومن المكروه مضغ العلك (اللبان) الذى لم يصل منه شيء الى الجوف مع الريق ـ وانما يكره ذلك لما فيه من التعرض للاتهام بالافطار ، ولا يجوز للعـاقل الأريب الوقوف مواقف التهمة ، قال عليه الصـلاة والسـلام : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخـر فـلا يقفن مواقف التهمة) •

وقال الامام على رضى الله عنه : « اياك وما يسبق للعقول انكاره » •

وان كان عندك اعتذاره •

٣ ـ تقبيل الرجل امرأته اذا لم يأمن على نفسه من الانزال أو الجماع أما اذا أمن فلا يكره •

روى الجماعة الا النسـائى عن عائشة رضى الله عنهـا قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل وهو صائم ، ويباشر وهو صائم ، ولكنه كان أملككم لأربه ـ وروى أبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا سأل النبى صلى الله عليـه وسلم عن المباشرة للصائم فرخص له، وآتاه آخر فنهاه عنها ، فاذا الذى رخص له شيخ ، واذا الذى نهاه شاب

قولها : (لأربه) الأرب : الحاجة ، والمراد الحاجة الى الجماع •

قولها : (يباشر) الأصل فى المباشرة للتقاء البشرتين ، وتشمل التقبيل ، ما لم يبلغ ذلك طبعا الى حد الجماع •

واذنه عليه الصـلاة والسلام فى المباشرة للشيخ ، وعدم اذنه للشاب يدل على ما سبق ذكره فى حـكم القبـلة ، لأن الشـيخ مظنة عـدم الشهوة ، فيأمن على نفسه الانزال والجماع ، فـلا يكره له القبـله ، والشباب مظنة الشهوة ، فـلا يأمن على نفسـه الانزال أو الجمـاع ، فتكره له القبـلة ـ ولذا روى أن الشاب قال للنبى صـلى الله عليـه وسلم : ان دينى ودينه واحد ، قال : (نعم ، ولكن الشيخ يملك نفسه) •

ط ــ فعل ما يظن أنه يضعفه عن الصيام كالفصد (١) والحجامة (٢). أما اذا كان يظن أنه لا يضعفه ، فلا كراهة .

روى الامام أحمد والبخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، أن النبى صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم ، واحتجم وهو صائم .

وروى البخارى أيضا عن ثابت البنانى أنه قال لأنس بن مالك رضى الله عنه : أكنتم تكرهون الحجامة للصائم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا الا من أجل الضعف .

فحديث ابن عباس يثبت جواز الحجامة للصائم ، وحديث أنس يشهد لهذا الجواز ، ويدل على كراهتها حين تكون مظنة اضعاف الصائم ، وكل عمل شاق يأتيه الصائم يفصل القول فيه كالحجامة.

ما يستحب للصائم :

يستحب له أشياء نكتفى منها بما يأتى :

١ ــ السحور ولو بمقدار قليل من الطعام والشراب ، لما فيه من التقوّى على الصيام ، ولما يحصل من المتسحر من الذكر والاستغفار ، ولأن هذا الوقت مظنة استجابة الدعاء ، فاذا قام الشخص وتسحّر ربما يدعو بدعوات ، فيستجاب له.

روى الجماعة الا أبا داود عن أنس رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (تسحروا فان فى السحور بركة) .

وروى الامام أحمد عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (السحور بركة فلا تدعوه ، ولو أن يجرع أحدكم جرعة من ماء ، فان الله وملائكته يصلون على المتسحرين).

(١) الفصد : قطع العرق ، وبابه ضرب .

(٢) يقال : حجمه الحاجم حجما من باب قتل شرطه لاخراج الدم ، والاسم الحجامة .

ويستحب أيضا تأخيره ، فان ذلك أبلغ فى تحقيق الحكمة من شرعيته ، وأعون على أداء صلاة الفجر •

٢ ــ تعجيل الفطر بعد التأكد من دخول وقت المغرب ، ويستحب قبل الصلاة ، لتقليل فترة حرمان البدن من الغذاء ، وهذا أكمل فى صيانته ورعايته ، روى الامام أحمد عن أبى ذر رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول : (لا تزال أمتى بخير ما أخروا السحور ، وعجلوا الفطر) •

ويستحب للصائم فى فطره أن يفطر على رطب فتمر فماء •

روى الامام أحمد وأبو داود والترمذى عن أنس رضى الله عنه قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطر على رطبات قبل أن يصلى ، فان لم تكن رطبات فتمرات ، فان لم تكن تمرات حساحسوات من ماء ، كما يستحب أيضا أن يدعو بالدعاء المأثور حين الشروع فى الفطر •

روى أبوداود عن معاذ بن زهرة أنه بلغه أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أفطر قال : (اللهم لك صمت ، وعلى رزقك أفطرت) فمثل هذا الدعاء يؤكد اخلاص عبادة الصيام لله سبحانه ، والشعور بجلال نعمته وفضله •

٣ ــ كف اللسان عن اللغو وفضول الكلام ، وهذا الكف وان كان يطلب فى كل زمان ــ الا أنه يتأكد طلبه فى رمضان •

٤ ــ الاكثار من الصدقة والاحسان وصلة الأرحام ، والذكر والاستغفار ، ومدارسة العلم ، وقراءة القرآن ، فان رمضان فرصة سانحة للمؤمن ينبغى أن يغتنمها ، ففيه يعظم أجر العمل الصالح ، ويتضاعف جزاؤه •

نسأل الله تعالى أن يجعل صيامنا خالصا لوجهه الكريم ، وأن يملأ قلوبنا بمحبته ، والشوق الى طاعته ، ويمنحنا جزيل عطائه ، ومزيد تشريفه وتكريمه •

منشاوى عثمان عبود

إلى متى يؤجل الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر ؟

للأستاذ عبد العزيز عبد الحق

نشرت الصحف العربية بالقاهرة منذ نحو أربع سنوات أن جمهورية مصر العربية تعتزم الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر ، وذلك بعد احتفالها بالعيد الألفى لانشاء القاهرة سنة ١٩٦٩ م . بالتاريخ الميلادى فى كل من الحالتين أو المناسبتين . وكانت النية قد اتجهت منذ أكثر من ثلاثين سنة الى الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر بحساب التاريخ الهجرى . ولكن ظروف الحرب العالمية الثانية حالت آنذاك دون انفاذه .

وكان الدكتور بدر الدين أبو غازى قد نشر فى جريدة الأهرام فى العاشر من أكتوبر سنة ١٩٧٢ م مقالا ضافيا ممتعا فى هذا الصدد يدل على اهتمام حكومة مصر بهذا الاحتفال والاعداد له . ففى مقاله الذى كتبه تحت عنوان : العيد الألفى للأزهر وماذا أعددنا له ؟ أوضح أهمية هذه المناسبة وقال ان عام ١٩٧٢ م هو عام الأزهر ففيه ينقضى ألف عام على انشائه وأشار الى أن العام أوشك على الانقضاء وأضاف أن الأزهر أقدم جامعة فى العالم وأنه مفخرة مصر الاسلامية ومجدها الحى وأنه جدير فى عيده الألفى باحتفالات ترتفع الى مستوى هذا الحدث الحضارى العظيم فى تاريخ مصر .

وقال « ان الدولة الواعية بتراثها وحضارتها لتعد لمثل هذه المناسبات التاريخية اعدادا يسبق تنفيذها بأعوام ، تحشد لها الجهود وتجمع حولها أهل الرأى والفكر وتتخطى حدودها الاقليمية لتجعل من هذا الحدث الحضارى حدثا انسانيا يشترك فيه العالم كله . وانقضاء

ألف عام على الأزهر هو من أبرز الأحداث التى كان من الواجب أن تتبع للاعداد لها هذا الاسلوب . ولعلها فى هذه الآونة بالذات أحق بالاهتمام ليرتفع دور الأزهر واسم مصر العظيم فوق هامة الأحداث الحضارية هذا العام » .

وأضاف : « لقد أخذت وزارة الثقافة منذ أواخر عام ١٩٧٠ م فى الاعداد للاحتفال وحشدت لجان المجلس الأعلى للآداب والفنون والعلوم الاجتماعية من أجل التخطيط للعيد الألفى للأزهر وصدر عن هذه اللجان توصيات هى خلاصة فكر أهل الرأى فى هذا المجال ومن قوام هذه التوصيات تشكلت صورة لبرنامج الاحتفال » .

ثم سرد الدكتور أبو غازى هذه التوصيات التى بلغت عدتها عشرا . ثم ختمها بقوله : « ولقد كانت هذه التوصيات وغيرها محل دراسات جادة ومشتركة بين الأزهر وأجهزة الثقافة . ولكن الاعداد لها واخراجها الى حيز التنفيذ يتطلب جهدا متصلا وان عاما آخر يعد خلاله لهذا الاحتفال ليس شيئا بالقياس الى ألف عام . وكم من دول أرجأت الاحتفال بمناسبات تقل جلالا عن ألفية الأزهر حتى تستكمل لها كل الأسباب وتعد لها ما يليق بمعناها الحضارى . وخيرا فعلت وزارة الثقافة باتخاذها قرار التأجيل كما نشر أمس بشرط أن يبدأ العمل الجدى من أجله منذ الآن . لا أن يتأجل العمل أيضا الى السنة القادمة . وجدير بالتاريخ فى هذا المكان أن تكون له ذاكرة حية متجددة ... وليكن عام ١٩٧٢ م بدءا للاحتفالات بألفية الأزهر لا نهاية له ولتحشد منذ الآن الجهود من أجل هذا الحدث العظيم » .

ونحن نعرف من الأحداث التالية أن مصر كانت تعد لعلاج النكسة التى أصيبت بها فى عام ١٩٦٧م وأنها قبل عام ١٩٧٢ قد حشدت قواتها لعبور القناة واقتحام خط بارليف وتحطيم خرافة الجيش الاسرائيلى الذى لا يقهر . وتوج هذا بانتصار أكتوبر سنة ١٩٧٣ م . وشغلت مصر

بعـد ذلك بمشكلات كثيرة يقتضى علاجها وقتا وجهدا • ومع ذلك فانا نعتقـد أنه لا يزال هناك متسع من الوقت لبعث مشروع الاحتفـالات بالعيد الألفى للأزهر حتى لا يقـال ان الجهود السابقة التى بذلت لهذا الاعـداد كانت كصرخة فى واد أو نفخة فى رماد •

وكان كاتب هذه السطور عضوا فى اللجنة التى ألفت فى عام ١٣٦١ هـ للاحتفال بالعيد الألفى للأزهر بالتاريخ الهجرى وهو الاحتفال الذى صرف النظر عنه بسبب الحـرب العـالمية الثانية • ثم بعـد ذلك بثلاثين عاما كتب تقريرا ضافيا عن مشروع هذا الاحتفال قدمه للأمين العـام لمجمع البحوث الاسلامية فى العـاشر من نوفمبر سنة ١٩٧١ م • ولعـل من المناسب نشر فقرات من هذا التقرير •

لقد حظى الأزهر بمكانة رفيعـة فى العالم العربى والاسلامى بفضـل تاريخه الحافل فى تخريج أفواج من العلمـاء ، منهم من طبقت شـهرته الآفاق من أعلام الفكر الاسـلامى الذين تزخر بسيرهم معجمات التراجم وكتب الطبقات • فاليه يرجع جانب كبير من الفضـل فى تجلية التراث الثقافى العربى ونشره ابان العصور الزاهرة فى تاريخ الثقافـة العربيـة ثم فى صيانتـه والحفـاظ عليه ابان المحن والنوازل التى حلت بالعـرب والمسلمين • وبذلك تركزت فى الأزهر على مر العصـور مقومات الثقافـة العربية وقيمها ، اذ كان كالطـود الشامخ الذى وقاها من الاندثار ، بل عصمها فى الأزمنة الحـديثة من محـاولات ما يسـمى بالاستعمار الثقافى • وعلينا تبعا لذلك اعترافا بالجميل نحو هذا المعهد العتيق أن يكون الاحتفال به فى هذه المناسبة التاريخية الفـذة مضـاهيا لمـآثره ومتوافقـا مع الرسالة العظمى التى اضطلع بها المنتسبون اليه •

ولا ننسى استفادة بعض المستشرقين فى القرن المـاضى من الأزهر وعلمائه فقـد اختلف الى دروس الأزهر المستشرق المجرى (جولد زيهر) وكان يتسمى بالذهبى واستعان المستشرق الانجليزى (لين) فى وضع معجمـه العـربى الانجليزى بالشيخ ابراهيم عبد الغفـار الدسوقى أحـد أعلام الأزهر وجهابذة اللغـة فى القـرن المـاضى • وقد أبان الدسوقى هذه

المعاونة فى ترجمته الذاتية التى أوردها على مبارك فى خططه (ج ١١ ص ١٠ : ١٣) . وكان محمد عياد الطنطاوى من علماء الأزهر الذين ذهبوا الى الروسيا فى العهد القيصرى لتدريس اللغة العربية وعلومها (أنظر ترجمته فى مجلة الزهراء سنة ١٩٢٢ م) . ومن علماء الأزهر فى القرن الماضى من نشر العلوم العربية والاسلامية فى أقطار خارج مصر كما صنع عمر التونسى وولده محمد فى دارفور (أنظر ترجمة الأخير الذاتية فى مقدمة رحلته الى دارفور المسماة تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان) .

ومع أن الأزهر أنشىء فى القاهرة فانه قد اكتسب ما يمكن أن يسمى بالصفة العالمية فهو ليس معهدا خاصا بأبناء البلد الذى أقيم فيه، اذ فى أسماء الأروقة التى يشتمل عليها ما يدل على أنه كان ولا يزال يخدم أبناء المسلمين من مختلف بقاع العالم العربى والاسلامى . يجتمع فى حلقات دروسه الآسيويون والافريقيون يوثق بينهم أواصر الاخاء والمودة ويغرس فيهم المبادىء الانسانية التى يدعو اليها الاسلام. والأزهر فى هذا المجال انما هو أشبه بمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة المعروفة باسم اليونسكو . اذ قبل انشاء هذه المنظمة بعصور طويلة كان الأزهر قد سبقها فى النهوض بما تسعى هى اليه . وهذه الصفة العالمية للأزهر تسمح بأن يشترك فى الاحتفال بعيده الألفى والكتابة عنه العلماء المسلمون من مختلف بقاع العالم الاسلامى مهما تباينت أجناسهم وتعددت مذاهبهم وتباعدت بلادهم .

ولا شك أنه ستصدر بعض الكتب التذكارية لمناسبة هذا الاحتفال . وفى مقدمة ما نقترحه منها ما يتعلق بتاريخ الأزهر : عمارته وأوقافه ، ونظمه الدراسية ، وطلابه وكتبه المدرسية ، وأروقته، ومكتبته وتراجم علمائه وقوانين اصلاحه . ولقد أفاض الكثيرون فى هذه الموضوعات منذ مطلع القرن الرابع عشر الهجرى الى اليوم . ونخص بالذكر منهم الباحثين المصريين مثل على مبارك فى الخطط التوفيقية

وسليمان وصهر الحنفى فى كنز الجوهر فى تاريخ الأزهر ـ القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ والأزهر لمصطفى بيرم وهى رسالة تقدم بها مؤلفها لمؤتمر المستشرقين الذى عقد فى همبورج سنة ١٩٠٢ م وطبعت فى القاهرة سنة ١٣٢١ هـ . والعلم والعلماء للشيخ محمد الأحمدى الظواهرى (طنطا سنة ١٩٠٤ م) والمنار والأزهر للشيخ محمد رشيد رضا (القاهرة سنة ١٣٥٣ هـ) وتاريخ الجامع الأزهر لمحمد عبد الله عنان (القاهرة سنة ١٩٤١ م) وتاريخ الاصلاح فى الأزهر للشيخ عبدالمتعال الصعيدى (القاهرة سنة ١٩٤٣ م) والسياسة والأزهر من مذكرات الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى (القاهرة سنة ١٩٤٥) والشيخ محمد مصطفى المراغى بقلم أبى الوفا المراغى (القاهرة سنة ١٩٥٧ م) والأزهر فى ألف عام لمحمدعبدالمنعم خفاجى (القاهرة سنة ١٩٥٧ فى ثلاثة أجزاء) والأزهر تاريخه وتطوره (وزارة الأوقاف وشئون الأزهر ـ القاهرة سنة ١٩٦٤ م) .

وهذه المؤلفات تتفاوت فيما بينها من حيث الايجاز والتفصيل والاقتصار على وجهة نظر معينة . وبعضها فى حاجة الى مزيد من الاحاطة واستيعاب المصادر التى تعذر على مؤلفيها الرجوع اليها ومنها اعتصار ما يرد عن الأزهر فى معجمات التراجم وكتب الطبقات . ومع ذلك فهى تمهد السبيل لوضع مرجع شامل عن تاريخ الأزهر يكتب بطريقة علمية ويكون فى مستوى المؤلفات الافرنجية الخاصة بتاريخ الجامعات الأوروبية والتى نذكر منها كتاب راشدول : جامعات أوروبا فى العصور الوسطى الذى صدر فى أكسفورد سنة ١٨٩٥ م والذى عنى بتحقيق نصه والتعليق عليه عالمان بريطانيان من أساتذة تاريخ أوربا فى العصر الوسيط وهما: بويك وايمدن وأخرجاه فى ثلاثة مجلدات فى لندن فى سنة ١٩٣٦ م

وتوكيدا للصلات الوثيقة بين العلماء المسلمين يحسن انتهاز فرصة الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر لاعداد رسائل مفردة فى تاريخ معاهد العلم الاسلامية الأخرى التى أسهمت بنصيبها فى اقامة صرح الثقافة العربية

سواء قبل انشاء الأزهر أو بعده . ومن النوع الأول حلقات العلم فى المدينة ومكة والفسطاط والقيروان وجامع القرويين فى فاس . هذا ولا ننسى أن كان للكوفة والبصرة من نباهة الفكر فى تاريخ العلوم العربية والاسلامية ما حمل أحمد زكى شيخ العروبة المتوفى عام ١٩٣٤ م على القول بأنهما كانتا تحتلان من المكانة ما يماثل جامعتى اكسفورد وكمبردج فى تاريخ الثقافة فى انجلترا . والقياس فى نظرنا مع الفارق بالنسبة لسعة انتشار الثقافة العربية ابان ازدهار الحضارة الاسلامية .

أما ما أنشىء من المعاهد بعد الأزهر فمثل معاهد الشام والمدرسة النظامية والمستنصرية فى بغداد ، والمدارس النظامية الأخرى فى أراضى الخلافة الشرقية . وحبذا لو أسندت كتابة تلك الرسائل الى علماء البلاد لتى أنشئت فيها هذه المعاهد . هذا وقد سبق الأستاذ أسعد طلس الى كتابة رسالة عن المدرسة النظامية فى بغداد وتاريخها وقد نشرها بالفرنسية فى باريس سنة ١٩٣٩ م . كما عنى المستشرق الفرنسى شارل بيلا بدراسة التاريخ الثقافى للبصرة فى بحث قيم له عنوانه : البيئة البصرية وتكوين الجاحظ ، نشره فى باريس سنة ١٩٥٤ م .

ولدينا فى تاريخ الثقافة العربية ظاهرتان يحار الباحثون المحدثون فى تعليلهما : أولاهما : أن هذه الثقافة انتشرت ابان نشوئها ولما يستو عودها بعد فى بيئات غير عربية لها تقاليد وخلفيات ثقافية أخرى مغايرة لها . ومع ذلك لم تقو الأخيرة على تحوير الثقافة العربية بالقدر الذى يغير معالمها الأساسية . وما حدث هو أن الثقافة العربية التى كانت آنذاك غضة لينة أمكنها أن تجرى من التعديل والتحوير فى هذه الثقافات بما يتلاءم مع جوهر مفاهيم الثقافة العربية ومقوماتها . فصار ما هضم من الثقافات الأجنبية وكأنه عنصر أصيل فى الثقافة العربية .

والظاهرة الثانية: هى هذا الانتاج الوفير فى المؤلفات التى تتناول العلوم العربية والاسلامية والكونية . وليس حقا ما يقال من أن التأليف الموسوعى مقصور على ما أنتجه مفكرو القرنين الثامن ، والتاسع الهجريين من أمثال

النويرى والعمرى والذهبى والصفدى وابن شاكر وابن خلدون والمقريزى وابن حجر العسقلانى وابن منظور والعينى وابن تغرى بردى وغيرهم • كما أنه ليس حقا ما يقوله الفرنجة فى تاريخ الثقافات ان هذا النوع من التأليف الموسوعى الذى يحدث فى العصور المتأخرة انما يمثل شيخوخة الثقافة ويستشهدون على ذلك بما حدث للثقافة الاغريقية فى العهد السكندرى •

هذا لا ينطبق على تاريخ الثقافة العربية اذ أن ظاهرة التأليف الموسوعى صاحبت الثقافة العربية منذ عصر التدوين فى أوائل القرن الثالث الهجرى فلدينا فى هذا القرن كتاب الأم للشافعى والطبقات الكبرى لابن سعد ومجاميع الحديث من المسانيد والمصنفات وتاريخ الطبرى وتفسيره• وفى القرن الرابع كتاب الأغانى لأبى الفرج وأخبار الزمان للمسعودى وجمهرة اللغة لابن دريد والتهذيب للأزهرى والمجمل لابن فارس • وفى القرن الخامس حلية الأولياء لأبى نعيم وتاريخ بغداد للخطيب والاستيعاب لابن عبد البر ، والمحكم والمخصص لابن سيده وفى القرن السادس تاريخ دمشق لابن عساكر ومؤلفات أبى الفرج بن الجوزى وموسوعة الفنون لأبى الوفا بن عقيل وفى القرن السابع مؤلفات ياقوت الحموى وعز الدين بن الأثير وسبط ابن الجوزى وفيمن ذكرنا قصدنا به أن يكون مثالا لا استقصاء•

ان هذه المؤلفات الضخمة التى قضى المستشرق الألمانى كارل بروكلمان (١٨٦٨ – ١٩٥٦ م) حياته الطويلة فى تتبع مظانها والبحث عن مخطوطاتها يتخلل الكثير منها اصطناع مؤلفيها للنقد وامعان النظر وليست فى جملتها مجرد جمع وتصنيف • وانا لنتساءل كيف تيسر لأصحابها أن يكتبوها فى عصر لم ينعموا فيه بالمخترعات الحديثة من اضاءة وطباعة وغيرها • ونحن على ما لدينا من هذه الوسائل نقضى عشرات السنين فى تحقيقها وضبطها • ولا شك أن هؤلاء المؤلفين كانوا يتحلون بما يسمى بالتصوف العلمى•

واذا كان الباحثون ، فى تاريخ الثقافة العربية لم يوردوا ما يفسر لنا هاتين الظاهرتين فليس لنا الا أن نبحث فى المؤثرات التى أدت الى هذا

الانتاج الوفير وتلك التى ساعدت على هضم الثقافات الأجنبية • وفى مقدمتها فيما نعتقد خصائص التعليم الاسلامى الذى لم يكن فى حقيقته نظاما وانما كان مجرد سمات تميز بها • فهؤلاء المؤلفون نشأوا فى بيئة عربية أو اسلامية • ولا شك أنه كان لما تلقوا من تربية أثر فى انتاجهم فما هى خصائص هذه التربية ؟

فى مقدمتها حض الاسلام على طلب العلم ففى الأثر طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة • وروى أبو الدرداء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من سلك طريقا يطلب فيه عاما سلك الله به طريقا الى الجنة » • والأحاديث المروية فى هذا المعنى وغيره جمعها ابن عبد البر النمرى فى كتاب نفيس أسماه : جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله • وفى الحق المقصود هنا هو العلم الذى يتصل بالدين • ولكن الحماس فى التحصيل امتد الى دراسة العلوم الدنيوية من الطب والنبات والحيوان والهيئة والفلسفة • ولم يكن الاسلام عائقا يحول دون تحصيل هذه العلوم•

وبينا نجد المسيحية فى عصورها الأولى تغلق معاهد الاغريق وتقصر التعليم على الأديرة فى القرن الوسطى فان التعليم الاسلامى كان مباحا للكافة ، طليقا متحررا من سيطرة الهيئات الحاكمة • دوافعه نابعة من عامة الشعب أى أنها صادرة من أسفل وليست مفروضة مما هو أعلى • وعلى الرغم من التفرقة بين المعلمين والمؤدبين فلم تكن هناك معاهد خاصة بالطبقات العالية فالجميع سواسية فى ورود مناهل العلم دون أية تفرقة • والتعليم الاسلامى هو أصدق مثال لما يسمى حديثا بديمقراطية التربية ومبدأ تكافؤ الفرص • ولاننسى فى هذا الصدد ماتميز به التعليم الاسلامى من مجانيته وتزويد طلابه بنفقات اعاشتهم مما لم تأخذ به حضارة الغرب الا فى ظل النظم الاشتراكية فى القرن العشرين •

ومن خصائص التربية الاسلامية التلقائية فالطالب يدرس ما يميل اليه من المواد وهو يتلقى العلم مشافهة عن أستاذه ولا يأخذه من الكتب • وهذا يؤدى الى توكيد الصلة الشخصية بين الطلبة والأساتذة •

والطالب ينتسب الى الأساتذة الذين أخذ عنهم ولا ينتمى الى المعهد الذى تلقى فيه العلم . وفى معجمات التراجم يذكر مؤلفوها فى ترجمتهم لعالم من العلماء شيوخه الذين أخذ عنهم والطلبة الذين أخذوا عنه .

والرحلة فى طلب العلم من أبرز مميزات التعليم الاسلامى فالطالب يقطع مئات الأميال ويتجشم وعثاء السفر ومخاطره للأخذ عن شيخ طبقت شهرته الآفاق أو لتلقى رواية حديث من الأحاديث أو حتى للتثبت من صياغة أخرى فى روايته . وفى اللغة العربية لفظ خاص للعالم الذى يرحل اليه الطلاب من كل فج فيقال عنه العالم الرحلة بضم الراء وتسكين الحاء المهملة ولا يخفى ما فى هذه الرحلات من صدق الرغبة فى التحصيل واكتساب التجارب وتوسيع المدارك واحتكاك الأذهان وتبادل الأفكار . ويصحب هذا أيضا التحلى بالأخلاق التى تدعو اليها مبادىء الثقافة العربية ويصدق هذا بصفة خاصة على المشتغلين برواية الحديث اذ يشترط فى تلقى الأحاديث التخلق بما تدعو اليه من مكارم الأخلاق ويتفق هذا مع تعريف الثقافة بأنها ما يكتسبه المرء من علم وتجربة يكون لهما أثر فى حسن تصرفه وسلوكه .

وقد عبر غير واحد من المستشرقين عن دهشتهم من هذا الحماس المقطوع النظير فى طلب العلم والرحلة اليه . وهكذا كان لوحدة اللغة وخصائص التربية الاسلامية أثر بالغ فى ربط أجزاء العالم الاسلامى بما كان يفوق القانون الرومانى من أثر فى ربط اقاليم الدولة الرومانية القديمة كما قال صلاح الدين خودا بخش فى الجزء الثانى من كتابه عن الحضارة الاسلامية (كلكتا سنة ١٩٣٠ م).

وقبل انشاء المدارس فى القرن الخامس الهجرى بل فى القرن الرابع كما ذكر التاج السبكى فى طبقات الشافعية كانت المساجد هى معاهد التعليم ووظيفة المسجد فى صدر الاسلام لم تكن مقصورة على أداء العبادات بل كان مقرا للامارة ودارا للقضاء ومعهدا للدراسة التى شملت اللغة والأدب وغيرهما بالاضافة الى العلوم الاسلامية بل كان أيضا دارا يأوى اليها الغرباء . وفى العصر الأموى كانت تجرى فى المسجد المناقشات السياسية وما يتعلق

بالمسائل العامة حتى وصفه لامنسى فى كتابه عن معاوية بأنه « برلمان الاسلام » . وجملة القول أنه كان للمسجد فى صدر الاسلام من الوظائف ما جعله واسطة عقد الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية فى الاسلام .

هذه هى على ايجازها خصائص التعليم الاسلامى التى كانت دون ريب عاملا فعالا فيما أنتجه العرب والمسلمون من اضافات فى ثقافة الجنس البشرى حتى صارت اللغة العربية فى العصور الوسطى لغة الثقافة العالمية التى حرص مسيحيو الغرب على تعلمها للوقوف على أحداث الآراء فى العلوم المختلفة كما ترجموا عددا منها الى اللغة اللاتينية . ولهذا الغرض اختلف عدد منهم الى معاهد الأندلس .

ومن النقاط الهامة التى لم تدرس بعد أثر التعليم الاسلامى فى أوروبا فى العصر الوسيط . فمن المعلوم أن المعاهد الاسلامية أنشئت قبل انشاء الجامعات الأوروبية فى العصور الوسطى . وهناك وجوه شبه كثيرة بين أنظمة الجامعات فى العالمين الاسلامى والمسيحى مثل نظام الاجازة والمعيد ومصطلحات القراءة والسماع . وقد أشار الى هذا المستشرق ألفريد جيوم فى الفصل الذى كتبه عن الفلسفة وعلم الكلام فى ص ٢٤٤ من كتاب تراث الاسلام (أكسفورد سنة ١٩٣١ م) . وأضاف بأن كلمة بكالوريوس التى لم يهتد قاموس أكسفورد الانجليزى الى تفسير أصلها تفسيرا مرضيا ربما رادفت فى معناها عبارة : « بحق الرواية » أى حق التعليم بتخويل من الغير . ولكنه علق على هذه المشابهات قائلا : « يبدو أن القول بأن الجامعة المسيحية أسست على غرار الجامعات الاسلامية يعد رأيا واهيا الى أن نحصل على دليل أكثر تحديدا يؤيد ذلك » .

وقال راشدول فى ص ٣ من حـ ١ من كتابه : « الجامعات الأوروبية فى العصور الوسطى » : ان الجامعة كنظام مثل البابوية والامبراطوية لا تدين فحسب بصورتها الأولى وبتقاليدها بل بوجودها ذاته الى مجموعة من الظروف العرضية وان نشأتها لا يمكن فهمها الا بالاشارة الى تلك الظروف » .

وقد علّق بويك وايمدن على هذه الفقرة من كلام راشدول قائلين: « لقد أكد العالم الاسبانى خوليان ريبيرا (فى ص ٢٤٣ من الجزء الأول من مجموعة أبحاثه ورسائله التى نشرت فى مدريد سنة ١٩٢٨ م) أن الجامعة الأوروبية فى العصر الوسيط انما تدين بالكثير لمحاكمة مقصودة لنظام التعليم العربى » وأضافا أن ريبيرا يبنى رأيه على سرعة نمو التعليم الجامعى ابتداء من القرن الثانى عشر الميلادى ••• مشيرا الى المزج بين نمطين من أنماط الحضارة ومنح الألقاب أو الدرجات العلمية بيد أن حجته ليست مقنعة (قارن ما ذكره عن الاجازة فى كتابه السابق من ص ٣٣٤ الى ص ٣٤٠) •

وكنا نود ترجمة ما كتبه ريبيرا فى هذا الصدد من الاسبانية لنحصل على بيان تفصيلى للأدلة التى ساقها لبيان تأثير الجامعات الاسلامية فى الجامعات الأوروبية فى العصر الوسيط • فلعها تبدو فى نظرنا مقنعة اذ أن أوجه الشبه بين التعليم الجامعى الأوروبى ونظيره الاسلامى الذى سبقه تاريخيا نرجع اقامة الأول على غرار الثانى • ولذلك كان يحسن بمحررى كتاب تراث الاسلام (اكسفورد سنة ١٩٣١م) أن يضيفوا فصلا عن التربية الاسلامية لبيان أثرها على نظم التعليم فى الغرب • ونلحظ هذا الاغفال نفسه فى كتاب: « أثر العرب والاسلام فى النهضة الأوروبية » الذى أعده مركز تبادل القيم الثقافية بالتعاون مع هيئة اليونسكو • وقد نشر فى القاهرة سنة ١٩٧٠ م •

على أن الثقافة العربية فى العصر العثمانى لم تحتفظ بحيويتها فاقتصر التعليم فى الأزهر على العلوم اللغوية والعلوم الاسلامية أو ما يسمى بعلوم الآلات وعلوم المقاصد فأغفلت المطولات واقتصر على المختصرات أو المتون ولايضاح ما غمض من المتون زودت بشروح ثم بحواش على الشروح وتقارير على الحواش واسترسل المدرسون فى تشقيقات لفظية تعنى بالعرض دون الجوهر ، ورسخ الاعتقاد بأن هذه الفوارق الدقيقة هى التى تكسب الذهن حدة وتوسع الأفق وتعين على استيعاب العلم • كما راجت النظرية

القائلة بأن رسالة الأزهر مقصورة على دراسات علوم الآلات وعلوم المقاصد ، ولما أدخلت علوم الرياضة والكيمياء والأحياء والجغرافية والتاريخ فى برامج التعليم فى المعاهد الدينية سميت علوما حديثة كما لو كان العرب خلال تاريخهم لم يشتغلوا بها قط ، وأين دراساتهم فى الرياضة واستحداثهم لعلم الجبر وكشفهم لقوانين انكسار الضوء وتقريرهم كروية الأرض • وقد قضى المستشرق الروسى كراتشوافسكى أربعين عاما فى دراسة الأدب الجغرافى عند العرب ولم يتجاوز فيه القرن العاشر الهجرى •

وكان فى مقدور محمد على أن يصفى تركة العصر العثمانى لو أنه أنشأ المدارس التى استحدثها فى صميم الأزهر لاعادته الى ما كان عليه حيث كانت تدرس فيه هذه المواد •فالطب كان يدرس فى الأزهر كما ذكر ذلك عبد اللطيف البغدادى الذى وفد على مصر فى سنة ٥٨٩هـ كما أوضحه فى ترجمته الذاتية التى أورد فقرات منها ابن أبى أصيبعة فى كتابه : عيون الأنباء فى طبقات الأطباء • وقد أدى انشاء محمد على للمدارس الجديدة مستقلة عن الأزهر الى أن ظهر فى مصر نوعا من التعليم : التعليم الدينى والتعليم المدنى • وقد ترتب على ذلك ما يسمى بثنائية الثقافة فى مصر ،وهى ظاهرة مستحدثة غريبة عن تاريخ التعليم الاسلامى فى عصوره الزاهرة، وهذا لم يحدث فى كلية عليكرة التى أنشأها محمد خان بهادور فى الهند فى سنة ١٨٧٥ م حيث كانت تدرس بها العلوم العربية والاسلامية جنبا الى جنب مع العلوم الكونية كما هو الحال فى جامعتى اكسفورد وكمبردج •

ان قانون تطوير الأزهر الصادر فى سنة ١٩٦١ م يعيد للأزهر ما كان عليه فى عصوره الزاهرة • فانشاء كليات للطب والهندسة والزراعة وغيرها ملحقة به ليس أمرا غريبا عليه لأنا نقرأ فى معجمات التراجم عن علماء يجمعون بين دراسة العلوم الاسلامية والكونية ويعبر عن ذلك بكلمة مشاركة فيقال بأن أبا حنيفة الدينورى صاحب الأخبار الطوال انه كان مؤرخا وله مشاركة فى علم النبات وآخر كان فقيها وله مشاركة فى الطب وهكذا •

وقد عبر البعض عن مخاوفه من أن اضافة مواد التعليم الثانوى المدنى للتعليم الثـانوى فى الأزهر ارهاق للطلاب قد يدفعهم الى اهمال العلوم العربية والاسلامية وان فى هذا اضعافا لمـا خصص الأزهر له • ولكنا نرجو أن تحل هـذه المشـكلة بما يحفظ للأزهر مكانته ويدعم رسالته •

وليس الزمن ببعيد حينما نرى من الأزهريين من هم علماء فى الرياضيات والطب والأحياء والهندسة والنبات والاقتصـاد وعلم طبقـات الأرض كما هو الحال فى جامعـات الغرب حيث رأينا من القسس من يجمع الى درجته العلمية فى اللاهوت درجـة أخرى فى هذه الدراسات •

ان فى هذا ما يمكن التحدث عنه عند الاحتفال بالعيد الألفى للأزهر •

عبد العزيز عبد الحق

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه :

« أسألك بكل اسم سميت به نفسك ، أو انزلته فى كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، ان تجعل القرأن ربيـع قلبى ، ونوربصرى ، وجلاء حزنى ، وذهاب غمى » •

ولا تطرد الذين يدعون ربهم • • ؟

حضر باب عمـر بن الخطاب رضى الله عنـه جماعة منهم وسهيل بن عمرو وعيينه بن حصن ، والأقرع بن حابس فخرج الاذن فقال : أين صهيب ، أين عمارة ، أين سلمان ، فتمعرت وجوه القوم ، فقال واحد منهم لم تتـمعر وجوهكم ؟ ؛ دعوا ودعينا فأسرعوا وأبطأنا ولئن حسدتموهم على باب عمر ، فان ما أعد الله لهم فى الجنة أكثر .

معركة فى بنك تركى ..!

كتب مراسل صحيفة «The Times» اللندنية هذه القصة منذ سنوات . فقد أرغمته الظروف ليكون طرفا فى هذه المعركة التى أذهلتـه وأذهلت غيره من الأجانب والأتراك .

كنت ذات يوم فى المصرف العثمانى أريد صرف صـك . فاذا بمشـادة غريبة لدى احدى مناضد الصرف وعدد من موظفى المصرف يقبلون فى جدال عنيف على سـيدة كهلة تدل ملابسها وسائر سمتها الظاهرة على أنها من الفلاحين .

وكانت السيدة تصيح بلهجة تركية حازمة : (لن آخذه . كلا لن آخذه) وهى تومىء معززة اصرارها باشارة قاطعة تكاد تبلغ الاشمئزاز (كلا أبدا اصـنعوا بالنقـود ما بدا لكم ولا تعطونى اياها . ألم يرد فى كتاب الله أن أكل الربا حرام مهلك ..؟) .

ودنوت منهم مأخوذا بهذا المشهد الرائع . وقام من بينهم محمد (بك) وهو تركى من أبناء الجيل الحـديث ذوى الصـبغة الأوربية الخالصـة ولا يكاد يظن الناظر اليه فى أى مكان الا أنه غربى ، وكان محياه ــ وقد عهدته باسما رزينا ــ قد علاه خليط عجيب من الحرج والاستعلاء والضيق . فأقبل على مبينا انها قروية لها مع المصرف حساب ، وهو أمر قد أصبح مألوفا نتيجة الاثراء الذى طرأ منذ أعوام على كثير من الفلاحين الاتراك . ثم روى لى كذلك انها : (مسلمة شديدة التدين شأن سائر الفلاحين) وانها اسـتحقت خمسين ليرة فائدة على ودائعها لكنها تأبى اباء قاطعـا أن تمس شيئا منها لأن القرآن ينهى عن أخذ الربا .

أمعنت فيها النظر ، فاذا هى ضاربة على رأسها بالخمار المعهود ساترة به ذقنها ومسدلة اياه على أسفل الجبهة .

وهذا الشرشف ـ كما يسمونه ـ هو البقية الباقية من سالف الحجاب فى تركيا ، وكانت ترتدى ثيابا فاقعة الألوان وسراويل واسعة فضفاضة مما يعرفونه باسم (الشلفاز) • ولبثت تتأمل فى كشف رصيدها بكثير من الريبة • ثم انبرت فجأة مشيرة ببنانها ـ اشارة اتهام ـ الى جملة من الأرقام أضيفت الى الحساب ، معلنة بحزم فاصل : (ان هذا هو الفائض وانه الاثم) وأخذت تدقق فى الأرقام بنظرة مذعورة كأنها حشرات كريهة تدب دبيبا على ورقة الكشف وهى تكرر قولها : (ان الكتاب يحرمه فلايحل لى أن آخذه) •

وتساءلت ـ عجبا ـ كم مرة ألفى محمد بك نفسه مضطرا للتعامل مع (زبونة) كهذه ، ومال هو من فوق المنضدة الى تلك الكهلة العنيدة يستدرجها بصوت خافت ـ بينما أصبحت هى تبدو كبهيمة الحقل الثائرة التى تساق سوقا الى الحظيرة (مهلا • مهلا) ان من الخير لك أن تأخذى هذه النقود فانها لك تصنعين بها ما تشائين أو تتصدقين بها على الفقراء ان كنت زاهدة فى الانتفاع بها) • وقد بدا جليا أن محمد بك ـ وهو التركى المستغرب ناله حرج كبير بل أدركه الخجل من أن يجرى كل هذا فى مصرفه لا سيما أمام غربى مثلى يفهم التركية • وقد ذكرنى حاله بمضيفة شابة على جانب من الجمال شهدتها يوما تحاول اقناع امرأة من المسافرين كى تخلع عن نفسها الحجاب ••

ولكن السيدة الكهلة لم تزدد الا اصرارا : (لا • لن أمس الربا • هبوه أنتم للفقراء كما شئتم ولا شأن لى به البتة) • ثم التفتت الى ـ على جزع وارتباك من الموظفين ـ وأخذت ثنية معطفى الطاعن فى البلى بين ابهامها والسبابة وقالت : بجرأة معروفة فى أهل الريف الأتراك : (اعطوها لهذا الفتى ان رأيتم فربما كان له بها حاجة) • وأدركت عندئذ أنه دورى فى الأخذ

والرد ، فاستجمعت شتات ذكريات من كتـــاب « مبادىء الاقتصـــاد » للأستاذ توسيق ، وشرعت أوضح لها النظرية أى نظرية الفائدة المصرفية ، وان مالها حينما أودع فى المصرف قد خرج ــ الى حين ــ عن دائرة تصرفها ، وان المصرف انما يتعهـــد الآن بأن يؤدى لها عوضا عما فاتها من ذلك . لكن عباراتى التركية المتعثرة ضاعت سدى وهباء ، فقد رمتنى تلك السيدة الكهلة بنظرة شزراء ، وانا فى حسابها ــ بلا ريب ــ لا أعـــدو أن أكون كافرا نحس الطلعة . وما هى قيمة مبادىء توسيق ازاء مبادىء الله ؟

وغادرت المصرف ولم تزل السيدة محورا لحلقة متزايدة من جمـــاعة المصرف الاداريين والتنفيذيين والعرق يتصبب منهم ، بينما هى صـــامدة مكانها لا تبدو عليها باردة من وهن ..

ان النظام المصرفى الحديث أهون من أن يرقى فى رأسها الى مقـــام محمد ..

ثلاثة تقر بها العيون :

المرأة الموافقة ، والصديق الودود ، والولد الصالح الأديب .

وثلاثة يكدرون العيش : جار السوء ؟ والزوجة الشريرة والولد العاق .

قال بعض الملوك لوزيره يوما :

ما احسن الملك لو كان دائما ؟ فقال الوزير لو كان دائما ما وصل اليك .

آداب المفتى

للدكتور : ى . ق

« لقد استفتى من لا علم له ، وظهر فى الاسلام أمر عظيم ، ولبعض من يفتى ههنا أحق بالسجن من السراق » ..

ابن أبى عبد الرحمن

الفتوى منصب عظيم الأثر ، بعيد الخطر ، فان المفتى – كما قال الامام الشاطبى – قائم مقام النبى – صلى الله عليه وسلم – فهو خليفته ووارثه « العلماء ورثة الأنبياء » .. وهو نائب عنه فى تبليغ الأحكام . وتعليم الآنام ، وانذارهم بها لعلهم يحذرون. وهو الى جوار تبليغه فى المنقول عن صاحب الشريعة ، قائم مقامه فى انشاء الأحكام فى المستنبط منها بحسب نظره واجتهاده فهو من هذا الوجه – كما قال الشاطبى – شارع واجب اتباعه ، والعمل على وفق ما قاله وهذه هى الخلافة على التحقيق . (١)

واعتبر الامام أبو عبد الله ابن القيم المفتى موقعا عن الله تعالى فيما يفتى به وألف فى ذلك كتابه القيم المشهور «أعلام الموقعين» (٢) عن رب العالمين الذى قال فى فاتحته :

« اذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحل الذى لا ينكر فضله ولا يجهل قدره وهو من أعلى المراتب السنيات فكيف بمنصب التوقيع عن رب الأرض والسموات ؟ » .

---

(١) انظر : الموافقات ، للشاطبى ج ٤ ص ٢٤٤/٢٤٦ بتحقيق الشيخ عبد الله دراز .

(٢) بعض العلماء ينطقونها « أعلام الموقعين » جمع علم لأن المؤلف ذكر عددا من أعلام الفتوى فى أوائل الكتاب . ولكن هذه الصفحات لا تجعل الكتاب كتاب تراجم اسلامية لأعلام المفتين . بل هو كتاب لأعلام المفتين ما يجب أن يعلموه من أمر الفتوى وما يتعلق بها والكتاب من أوله الى آخره فى ذلك كما يعرف من قراءته ففتح « الاعلام » خطأ جزما .

وقد عرف السلف رضى الله عنهم للفتوى كريم مقامها ، وعظيم منزلتها وأثرها فى دين الله وحياة الناس ، وترتب على ذلك عدم أمور أومواقف تهيب السلف للفتوى .

أحدها : تهيبهم لها ، وتريثهم فى أمرها ، وتوقفهم فى بعض الأحيان عن القول ، وتعظيمهم لمن قال : « لا أدرى » فيما لا يدرى ، وازراؤهم على المتجزئين عليها دون اكتراث ، استعظاما منهم لشأنها ، وشعورا بعظم التبعة فيها .

وأول الناس فى ذلك الصحابة ، فكان كثير منهم لا يجيب عن مسألة حتى يأخذ رأى صاحبه ، مع مارزقوا من البصيرة والطهارة والتوفيق والسداد ، كيف لا وقد كان النبى — صلى الله عليه وسلم — يسأل أحيانا فلا يجيب حتى يسأل جبريل .

وكان الخلفاء الراشدون ، مع ما أتاهم الله من سعة العلم — يجمعون علماء الصحابة وفضلاءهم عندما تعرض لهم مشكلات المسائل، يستشيرونهم ، ويستنيرون برأيهم ، ومن هذا اللون من الفتاوى الجماعية نشأ — الاجماع فى العصر الأول .

وكان بعضهم يتوقف عن الفتوى فلا يجيب ويحيل الى غيره أو يقول: لا أدرى قال عتبة بن مسلم : صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهرا ، فكان كثيرا ما يسأل فيقول : لا أدرى .

وقال ابن أبى ليلى أدركت مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل أحدهم عن المسألة فيردها هذا الى هذا ، وهذا الى هذا ، حتى ترجع الى الأول ، وما منهم من أحد يحدث بحديث، أو يسأل عن شىء « الا ود » أخاه كفاه .

وقال عطاء بن السائب : أدركت أقواما ان كان أحدهم ليسأل عن شىء فيتكلم وانه ليرعد (١) .

(١) اعلام الموقعين جـ ٤ — ٢١٨ — ٢١٩ .

وقال عمر بن الخطاب : أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار (١) •

وقال ابن مسعود : والله ان الذى يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون •

وروى عن ابن عباس : اذا أخطأ العالم « لا أدرى » أصيبت مقاتله ونسب الى غيره أيضا •

واذا انتقلنا الى التابعين نجد سيدهم وأفقههم سعيد بن المسيب كان لا يكاد يفتى ، ولا يقول شيئا ، الا قال : اللهم سلمنى وسلم منى •

وسئل القاسم بن محمد — أحد الفقهاء السبعة بالمدينة — عن شىء فقال: انى لا أحسنة •فقال له السائل: انى جئتك لا أعرف غيرك — فقال له القاسم : لا تنظر الى طول لحيتى، وكثرة الناس حولى— والله لاأحسنه• فقال شيخ من قريش جالس الى جنبه: يا ابن أخى الزمها ، فوالله ما رأيناك فى مجلس أنبل منك اليوم • فقال القاسم : والله لأن يقطع لسانى أحب الى من أن أتكلم بما لا علم لى به•

وسئل الشعبى عن مسألة ، فقال: لا أدرى : فقيل له : ألا تستحى من قول « لاأدرى » وأنت فقيه العراق؟ فقال : « لكن الملائكة لم تستح حين قالوا : « سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا » ، وبعد التابعين نجد أئمة المذاهب المتبوعة لايستنكفون من قول : « لا أدرى » فيما لا يحسنونه •

وقد حفظ عن أبى حنيفة — مع براعته فى الجواب، وقدرته الفائقة على الاستنباط والتوليد •• مسائل معروفة قال فيها : « لا أدرى » ••

روى الخطيب البغدادى بسنده عن أبى يوسف قال : سمعت أباحنيفة يقول : لولا الفرق (الخوف) من الله أن يضيع العلم ما أفتيت أحدا يكون له المهنا ، وعلى الوزر •

---

(١) ذكره ابن بطة فى رسالته فى الخلع ص٣١ موقوفا على عمر ، ولكن السيوطى فى الجامع الصغير ذكره مرفوعا . نسبة الى الدارمى من حديث عبد الله بن أبى جعفر مرسلا .

وقال أيضا : من تكلم فى شىء من العلم وتقلده وهو يظن أن الله لايسأله عنه : كيف أفتيت فى دين الله ؟ فقد سهلت عليه نفسه ودينه(١) .

وكان أشدهم فى ذلك مالك رحمه الله ، فكان يقول : من سئل عن مسألة فينبغى له قبل أن يجيب فيها أن يعرض نفسه على الجنة والنار ، وكيف يكون خلاصه فى الآخرة ، ثم يجيب فيها .

وقال ابن القاسم : سمعت مالكا يقول : انى لأفكر فى مسألة منذ بضع عشرة سنة ، فما اتفق لى فيها رأى الى الآن .

وسمعه ابن مهدى يقول : ربماوردت على المسألة ، فأسهر فيها عامة ليلى .

قال مصعب : وجهنى أبى بمسألة ـ ومعى صاحبها ـ الى مالك يقصها عليه ، فقال : ما أحسن فيها جوابا ، سلوا أهل العلم .

قال ابن أبى حسان : سئل مالك عن اثنتين وعشرين مسألة ، فما أجاب الا فى اثنتين بعد أن أكثر من « لا حول ولا قوة الا بالله » .

وكان الرجل يسأله عن المسألة ، فيقول : العلم أوسع من هذا . وقال بعضهم ، اذا قلت أنت يا أبا عبدالله: لا أدرى فمن يدرى ؟ قال : ويحك ما عرفتنى . وما أنا ؟ وأى شىء منزلتى حتى أدرى ما لا تدرون ؟ ثم أخذ يحتج بحديث ابن عمر يقول : لا أدرى ، فمن أنا ؟ وانما أهلك الناس العجب وطلب الرئاسة وهذا يضمحل عن قليل . وقال مرةأخرى: قد ابتلى عمر بن الخطاب بهذه الأشياء فلم يجب فيها . وقال ابن الزبير : لا أدرى ، وابن عمر : لا أدرى

وقال مصعب : سئل مالك عن مسألة ، فقال : لا أدرى . فقال له السائل : انها مسألة خفيفة سهلة ، وانما أردت أن أعلم بها الأمير ، وكان السائل ذا قدر فغضب مالك وقال : مسألة خفيفة سهلة ، ليس فى العلم شىء خفيف . أما سمعت قول الله

---

(١) الفقيه والمتفقه المجلد الثانى ص ١٦٨ مطابع القسيم بالرياض .

تعالى: « انا سنلقى عليك قولا ثقيلا» فالعلم كله ثقيل، وبخاصة ما يسأل.

قال بعضهم : ما سمعت قط أكثر قولا من مالك : « لا حول ولا قوة الا بالله » ولو شاء أن ننصرف بألواحنا مملوءة بقوله لا أدرى « ان نظن الا ظنا ، وما نحن بمستيقنين لفعلنا » (١) .

وقال أبو داود : سمعت أحمد ابن حنبل يسأل عن مسألة فقال . دعنا من هذه المسألة المحدثة . وما أحصى ما سمعت من أحمد ، سئل عن كثير مما فيه الاختلاط من العلم، فيقول : « لا أدرى » .

وجاء رجل يسأله عن شىء فقال : لا أجيبك فى شىء . ثم قال : قال عبد الله بن مسعود : ان كل من يفتى الناس فى كل ما يستفتونه لمجنون(٢) .

وهكذا كان أئمة الاسلام .

انكارهم على من « أفتى » بغير علم :

ثانيا : كان السلف ينكرون أشد الانكار على من اقتحم حمى الفتوى ولم يتأهل لها ويعتبرون ذلك ثلمة فى الاسلام ، ومنكرا عظيما يجب أن يمنع .

وفى الصحيحين من حديث ابن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم « ان الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الرجال ، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، فاذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا ، فسئلوا فافتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا

وروى الامام أحمد وابن ماجة عن النبى صلى الله عليه وسلم : « من أفتى بغير علم كان اثم ذلك على الذى أفتاه « .

وذلك لأن المستفتى معذور اذا كان من أفتاه لبس لبوس أهل العلم، وحشر نفسه فى زمرتهم ، وغر الناس بمظهره وسمته .

غير أن من أقر هذا المفتى بعد تبين جهله وخلطه ــ من ولاة الأمور يشاركه فى الاثم أيضا ، ولا سيما

(١) أنظر : ترتيب المدارك للقاضى عياض جـ ١ ص ١٤٤ وما بعدها.
(٢) أعلام الموقعين جـ ٤ ص ٢٠٦

اذا كان من أهل الحظـوة لديهم ، والقربى اليهم ، فهو ينفعهم ، وهم ينفعـونه ،، على طريقـة « احملنى أحملك » •

ومن ثم قررالعلماء : أن من أفتى وليس بأهل للفتوى فهو آثمعاص، ومن أقره من ولاة الأمور على ذلك فهو عاص أيضا •

ونقل ابن القيم عن ابى الفرج بن الجوزى رحمه الله قال : ويلزم ولى الأمر منعهم ، كما فعل بنو أمية •

قال : وهـؤلاء بمنزلة من يـدل الركب وليس لـه علم بالطـريق ، وبمنزلة من لا معرفة له بالطب وهو يطب الناس ، بل هو أسوأ حالا من هؤلاء كلهم •

واذا تعين على ولى الأمر منع من لميحسن التطبيبمن مداواة المرضى فكيف بمن لم يعرف الكتاب والسنة ولم يتفقه فى الدن ؟

وكان شيخ الاسـلام ابن تيمية شديد الانكار على هؤلاء،ولمـاقال له بعضهم يوما : أجعلت محتسبا على الفتـوى ؟ قال له : يكـون على الخبـازين والطبـاخين محتسب ولا يكون على الفتوىمحتسب؟(١) •

والامام أبو حنيفة رغم ذهابه الى عـدم الحجـر على السفيه احتراما لآدميته يقـول بوجوب الحجر على المفتى الجاهل والمتلاعب بأحـكام الشرع لمـا وراء تلاعبه من ضرر عام على الجماعة المسلمة ، لا يقاوم حقه الفردى فى حرية التصرف (٢) •

وقـد رأى رجـل ربيعة بن أبى عبد الرحمن يبكى فقال : ما يبكيك؟ فقال : استفتى من لا علم له ،، وظهر فى الاسلام أمرعظيم • قال : ولبعض من يفتى ههنـا أحـق بالسجن من السراق •

قال بعض العلماء فيمـا نقله ابن القيم عنـه : فكيف لو رأى ربيعـة زماننا ؟

---

(١) اعلام الموقعين ج ٤ / ٢١٧

(١) يرى أبو حنيفة وجوب الحجر على ثلاثة : الطبيب الجـاهل ، والمفتى المـاجن (المتلاعب) والمكارى (المقاول) المفلس دفعا لضررهم عن عن الجماعة •

واقدام من لا علم له على الفتيا ، وتوثبه عليها ، ومد باع التكلف اليها ، وتسلفه بالجهل والجرأة عليها ، مع قلة الخبرة وسوء السيرة وشؤم السريرة ، وهو من بين أهل العلم منكر أو غريب ، فليس له فى معرفة الكتاب والسنة وآثار السلف نصيب (١) .

ونقل أبو عبد الله بن بطة ما رواه الأعمش عن شقيق ابن مسعود : والله ان الذى يفتى الناس فى كل مسألة لمجنون ، وقول الحكم للأعمش : « لو سمعت منك هذا الحديث قبل اليوم ما كنت أفتى فى كثير مما كنت أفتى فيه » .

ثم قال أبو عبد الله : فهذا عبد الله ابن مسعود يحلف بالله ، ان الذى يفتى الناس فى كل ما يسألونه مجنون . ولو حلف حالف لبر ، ان أكثر المفتين فى زماننا هذا مجانين ، لأنك لا تكاد تلقى مسئولا عن مسألة ، متلعثما فى جوابها ولا متوقفا عنها ، .. ولا خائفا لله ، ولا مراقبا له أن يقول له : من أين قلت ؟ بل يخاف ويجزع أن يقال سئل فلان عن مسألة فلم يكن عنده جواب .. يفتى فيما عيى عنه أهل الفتوى ويعالج ما عجز عن علاجه الأطباء(٢).

وقال غير واحد من السلف فى بعض أهل زمانه ، ان أحدهم يفتى فى المسألة لو عرضت على عمر لجمع لها أهل بدر .

وأقول : فكيف لو رأى ربيعة وابن بطة وابن القيم ومن قبلهم ومن بعدهم من علماء زماننا نحن ؟ وكيف أصبح يفتى فى قضايا الدين الكبرى من لا علم له بالأصول ولا بالفروع ، ولم يتصل بالقرآن والسنة اتصال الدارس المتعمق ، بل اتصال الخاطف المتعجل ؟

كيف أصبح بعض الشباب يفتون فى أمور خطيرة بمنتهى السهولة والسذاجة مثل قولهم بتكفير الأفراد والمجتمعات . وتحريمهم على أتباعهم

---

(١) أعلام الموقعين جـ ٤ ص ٢٠٧ ، ٢٠٨

(٢) من رسالة لأبى عبد الله بن بطة بعنوان « جزء فى الكلام عن مسألة الخلع » ص ٣٣ مطبعة المنار سنة ١٣٤٩ هـ . مع مجموعة رسائل أخرى .

حضور الجمع والجماعات أو قول آخرين باسقاط الجهاد حتى تقوم الدولة القرآنية والخلافة الاسلامية .

وكثير من هؤلاء ليسوا من « أهل الذكر » فى علوم الشريعة ولا كلف نفسه أن يجلس الى أهل الذكر ويأخذ عنهم ، ويتخرج على أيديهم ، انما كون ثقافته من قراءات سريعة فى كتب المعاصرين ، أما المصادر الأصلية فبينه وبين قراءتها مائة حجاب وحجاب ، ولو قرأها ما فهمها ، لأنه لا يملك المفاتيح المعينة على فهمها وهضمها فكل علم له لغة ومصطلحات لا يفهمها الا أهله العارفون به المتخصصون فيه ، فكما لا يستطيع المهندس أو الطبيب أن يقرأ كتب القانون وحده دون مرشد ومعلم ، ... ولا يستطيع القانونى أن يقرأ كتب الهندسة وحده كذلك لا يستطيع أحد هؤلاء أن يدرس كتب الشريعة وحده دون موجه يأخذ بيده .

وهذا ما ينتهى بنا الى الأمر الثالث ، وهو : ما يلزم الانسان من علم وثقافة لكى يفتى .

(للبحث بقية)

نحو عقيدة عسكرية إسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين

— ٦ —

بعد أن تناولنا ما انطوت عليه الحرب فى الاسلام من قواعد فاضلة وآداب وعدالة ، سبق بها الاسلام القانون الدولى قرونا طويلة ، مثل منع قتل من لا يحارب ومنع التخريب ، ومنع قتل الضعفاء والشيوخ والنساء والأطفال ، وحسن معاملة الأسرى والقتلى ومنع تعذيب الجرحى أو قتلهم ، والوفاء بالعهد والتأمين للمحارب ، وعدم التعرض بالأذى لرسل العدو ، وحسن معاملة الشعوب المغلوبة ، واقرار الصلح فور طلبه من قبل العدو .. الخ ، تتناول آثارها الاستراتيجية التى انفردت بها العقيدة العسكرية الاسلامية ، والتى لم تحظ بها أية عقيدة عسكرية أخرى على مدى التاريخ .

لقد اتفق علماء الاستراتيجية العسكرية ــ كما يقول الكاتب الاستراتيجى صح ليدل هارت ــ على المبادىء التالية :

١ ــ ان الغرض من الحرب يجب أن يكون « الحصول على سلم أفضل » ، ومن أجل ذلك يجب أن تكون الأضرار الدائمة الناجمة عن عن الضربات أقل ما يمكن ، وأن تكون الجراح قابلة للشفاء .

٢ ــ ان الأساليب الوحشية فى القتال والطلبات المجحفة والشروط الجائرة التى تفرض على الجانب الآخر لا يمكن أن تهيىء الظروف المناسبة لقيام سلم حقيقى ومستقر بعد الحرب ، ويصف الاستراتيجيون ذلك السلام بأنه سلام مشوه

لاحتوائه ـــ على حد تعبيرهم ـــ على « جراثيم حرب تالية » •

وقد حفل التاريخ بأدلة قاطعة على أن الشطط والمبالغة فى ادارة الحروب لا يهيئان مناخا صالحا لقيام سلام مستقر أو دائم »، ولقد أدرك هذه الحقيقة رجال السياسة فى القرن الثامن عشر بعد سلسلة من الحروب الواسعة التى كان على رأسها الحرب الثلاثينية ، فرأوا بضرورة كبح أطماعهم وتجنب الشطط والمبالغة فى كل الأعمال التى قد تطيح بالآمال المقصودة على حالة ما بعد الحرب •

وامتدت حروب نابليون قرابة عشرين عاما ، ولم تحقق له ما كان يتصوره من سلام عن طريق الحرب تلو الأخرى ، بل لقد وصل الأمر الى حد انهيار الامبراطورية النابليونية •

ومن أكبر الدروس التى لا تنسى فى هذا المجال أن المعاملة القاسية التى لقيتها ألمانيا على يد الحلفاء المنتصرين فى الحرب العالمية الأولى تحت شعار « ويل للمغلوب » ، والعقوبات الاقتصادية التى أثقلت كاهل الاقتصاد الألمانى جعلت السلام الذى جاء بعد تلك الحرب « سلاما مشوها يحمل جراثيم حرب جديدة » ، وهذا ما حدث فعلا ، اذ كانت تلك القسوة بالذات هى الدافع الرئيسى لهتلر فى العمل بكل الوسائل على انهاض ألمانيا وبالتالى سرعة نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩

أما حروب الاسلام بدوافعها الفاضلة وآدابها وانسانيتها وسماحتها ، فلم تنطو على ما يقطع الأمل فى سلم حقيقى ومستقر ، بل كانت تجعل جراح المغلوبين تلتئم بسرعة ، أى أنها كانت « خالية من جراثيم حرب أخرى » ، بل لقد كان السعى نحو ذلك النوع من السلام هدفا من أهم الأهداف كما يشهد بذلك سجل التاريخ • ففى غزوة الفتح ـــ على سبيل المثال ـــ كانت كل الظروف مهيأة أمام المسلمين لتحقيق نصر عسكرى ساحق على قريش، ولو كان هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحقق النصر على

أعدائه دون أدنى اعتبار لما بعد النصر ، ما نفذ ذلك المخطط العبقرى الذى حقق به فتح مكة بلا قتال .

واذا كان من شأن المنتصر أن يستبد ويملى شروطه بدافع الانتقام والغرور بالقوة ، فان الرسول صلى الله عليه وسلم — على الرغم من كل ما فعلته قريش ضد الاسلام والمسلمين — لم يفعل شيئا من ذلك، بل كان كل همه وكل قصده أن يؤلف قلوب المشركين ، ويجعلها تقبل على الاسلام الذى هو دين السلام ، وكان تصرفه فى أهل مكة وهم ينتظرون ما هو فاعل بهم تطبيقا عمليا لمبادىء الاسلام السمحة ، وعقيدته العسكرية السليمة ، بل كان مثلا فذا للعبقرية السياسية والعسكرية معا ، حين قال لهم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

وأهم الآثار الاستراتيجية لهذه السياسة الاسلامية السمحة أن قريشا لم تقبل على الاسلام فحسب ، بل حملت رايات الجهاد فى سبيل الله ، وتحولت ، وتحولت اتجاهاتها من أشد الناس عداوة للاسلام ، الى أحرص الناس على رفع راية الجهاد فى سبيله ، وليس هذا فحسب ، بل كان من عرب شبه الجزيرة قادة عسكريون أفذاذ شهد لهم التاريخ ورجال العسكرية بأنهم من أعظم القادة العسكريين مثل خالد بن الوليد وعمرو بن العاص .

وقد سار على نفس المنهج الخلفاء الراشدون ، فنرى أبا بكر رضى الله عنه يقول فى وصيته لقائد الجيش وهو يستعد للخروج للقتال :

« استعمل العدل ، وباعد عنك الجور ، فانه ما أفلح قوم ظلموا ، ولا نصروا على عدوهم ، واذا نصرتم عليهم فلا تقتلوا شيخا ولا امرأة ولا طفلا ، ولا تحرقوا زرعا ولا تقطعوا شجرا ، ولا تذبحوا بهيمة الا ما يلزمكم للأكل ، ولا تغدروا اذا هادنتم ، ولاتنقضوا اذا صالحتم ، وستمرون على أقوام فى الصوامع رهبان ترهبوا لله ، فدعوهم وما انفردوا اليه ، وارتضوه لأنفسهم ، ولا تهدموا صوامعهم ولا تقتلوهم » .

وأوصى عمر بن الخطاب رضى الله عنه سعد بن أبى وقاص قائده الذى

وجهه لفتح فارس فقال : « أما بعد فانى أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله فى كل حال ، فان تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فى الحرب ، وأن تكون أنت ومن معك أشد احتراسا من المعاصى من عدوكم ، فان ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وانما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ولا عدتنا كعدتهم فان استوينا فى المعصية كان لهم الفضل علينا فى القوة ، وان لم ننصر عليهم بطاعتنا لن نغلبهم بقوتنا ، واعلموا أن عليكم فى سيركم حفظة من الله ، يعلمون ما تفعلون ، فاستحيوا منهم ، ولا تعملوا بمعاصى الله وأنتم فى سبيل الله ، واسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم ، وأقم بمن معك فى كل جمعة يوما وليلة حتى تكون لهم راحة يحيون منها أنفسهم ، ويرمون أسلحتهم وأمتعتهم ، وابعد منازلهم عن قرى أهل الصلح والذمة فلا يدخلها من أصحابك الا من تثق به » .

وكان عمر رضى الله عنه بالشام ، وحانت الصلاة وهو فى كنيسة القيامة ، فطلب البطريق من عمر أن يصلى بها ، وهم أن يفعل ، ثم صلى على درجة من درجات السلم خارجها ، واعتذر بأنه يخشى أن يأخذها المسلمون فيما بعد بدعوى أنه صلى فيها ، وكتب للمسلمين كتابا يوصيهم فيه بألا يصلوا على الدرجة التى صلى عليها الا واحدا واحدا غير مؤذنين للصلاة وغير مجتمعين .

وكان لتلك السياسة السمحة التى سار بها الخلفاء الراشدون على هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم آثارها الاستراتيجية العظيمة ، فكانت الشعوب المختلفة ترحب بالمسلمين الفاتحين ، وتنضم اليهم أحيانا لتنجو من عسف الفرس والروم ، وتستظل ببوارف من العدل والسماحة والحرية ، ولقد تحقق لهذه الشعوب ما أملته ، وسرعان ما دان أكثرها بالاسلام عن رغبة واختيار ، وسرعان ما صارت البلاد المفتوحة موئلا للاسلام ،

وصار أهلها من دعاته وحملة لوائه ومن المجاهدين فى سبيله .

وهكذا يثبت التاريخ أن سماحة الاسلام فى الحروب قد حققت آثارا استراتيجية لم تصل اليها أية عقيدة عسكرية أخرى فى أى عصر ، وهذا ما يميز العقيدة العسكرية الاسلامية عن غيرها ، ويبوئها مكانة عليا لا تتسامى اليها أية عقيدة عسكرية أخرى .

ولقد أثار تحول الشعوب المفتوحة وتحول اتجاهاتها الى حمل لواء الاسلام والجهاد فى سبيله دهشة الفيلد مارشال مونتجمرى ، فقال فى كتابه (الحرب عبر التاريخ) : ومن العجيب أن القوة الرئيسية للجيوش الاسلامية فى فتح أسبانيا بين عامى ٧١٠ ــ ٧١٣ كانت مشكلة من الليبيين والتونسيين ! ! وقد علل مونتجمرى سر الفتوحات الاسلامية وسر بلوغها مدى لم تصله فى أى عهد سابق بأن المسلمين كانوا يستقلون فى كل مكان يصلون اليه باعتبارهم محررين للشعوب من العبودية ، وذلك لما اتسموا به من تسامح ، وانسانية وحضارة ، فزاد ايمان الشعوب بهم ، وقد ظلت جميع المناطق التى فتحها العرب فى القرن السابع حتى يومنا هذا ــ ما عدا أسبانيا ــ تحتفظ بالدين الاسلامى وكذلك بالعادات والتقاليد والتراث الاسلامى .

ويقول جوستاف لوبون فى كتابه (حضارة العرب) : ان القوة لم تكن عاملا فى نشر القرآن ، وان العرب تركوا المغلوبين أحرارا فى أديانهم ، فاذا كان بعض النصارى قد أسلموا واتخذوا العربية لغة لهم فذلك لما كان يتصف به العرب الغالبون من ضروب العدل الذى لم يكن للناس بمثله عهد ــ ولما كان عليه الاسلام من السهولة التى لم تعرفها الأديان الأخرى ، وقد عاملوا أهل سورية ومصر وأسبانيا وكل قطر استولوا عليه بلطف عظيم ، تاركين لهم قوانينهم

ونظمهم ومعتقداتهم غير فارضين سوى جزية زهيدة فى مقابل حمايتهم لهم وحفظ الأمن بهم .. والحق أن الأمم لم تعرف فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب .

ويقول الكونت هنرى دى كاسترى: ان المسلمين امتازوا بالمسالمة وحرية الأفكار فى المعاملات ومحاسنة المخالفين ، وهذا يحملنا على تصديق ما قاله (روبنسون) : ان شيعة محمد وحدهم الذين جمعوا بين المحاسنة ومحبة انتشار دينهم . وهذه المحبة هى التى دفعت العرب فى طريق الفتح ، فنشر القرآن جناحيه خلف جيوشه المظفرة ، ولم يتركوا أثرا للعسف فى طريقهم الا ما كان لابد منه فى كل حرب وقتال ، ولم يقتلوا أمة أبت الاسلام .

محمد جمال الدين

يقولون لى فيك انقباض وانما
رأوا رجلا عن موقف الذل أحجما

أرى الناس من داناهم هان عندهم
ومن أكرمته عزة النفس أكرما

ولم أقض حق العلم ان كان كلما
بدا طمع صيرته لى سلما

وما كل برق لاح لى يستفزنى
ولا كل من لاقيت أرضاه منعما

اذا قيل هذا منهل قلت قد أرى
ولكن نفس الحر تحتمل الظما

مجدد الألف الثانية الشيخ أحمد السرهندى

للدكتور عبد المقصود محمد شلقامى

حارس أصول الدين ومن أعظم الشخصيات الاسلامية فى شبه القارة الهندية ، قال عنه أستاذه الخواجة الباقى بالله المتوفى ١٠١٢هـ/١٦٠٣م: ان الشيخ أحمد كالشمس والعديد من أمثالنا كآلاف النجوم تختفى بطلوعها ، وقف هذا الصوفى العظيم والعالم الشجاع ضد أعظم الملوك فى عصره ألا وهو الملك « أكبر » أمبراطور الهند الذى اخترع دينا جديدا وأخذ الناس به وحملهم عليه حتى أوشكت شمس الاسلام فى الهند على الغروب ، ولم تقف حركة الشيخ المجدد عند هذا الحد وانما كان له أكبر الأثر فى الفكر الصوفى والثقافة والأخلاق .

ولد الشيخ أحمد فى ١٤ من شوال ٩٧١ هـ ٢٧ من مايو ١٥٦٤ فى قرية « سهرند » بكسر السين وسكون الهاء وكسر الراء وسكون النون والدال المهملة وهى قرية على الطريق المعبد بين دلهى ولاهور وتقع حاليا داخل حدود دولة الهند ، وقد حرف اسمها الآن فصار الناس يقولون سرهند ينسبون المجد اليها فيقولون « أحمد السرهندى » .

كان والده الشيخ عبد الأحد الفاروقى عالما جليلا وصوفيا كبيرا يتبع الطريقة الجشتية والقادرية ويتصل نسبه بالخليفة الثانى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فى سلسلة من الآباء تبلغ ثمانية وعشرين والدا ولا يعلم بالتحديد متى فصل هذا الفرع عن تلك الشجرة الباسقة فى المدينة المنورة غير أن ما عرف من تاريخ شيخنا السرهندى فى هذا الأمر هو أن أحد أجداده كان قد هاجر الى كابل فى أفغانستان وبعد

وقت ما نزحت أسرته الى بلاد الهند واستوطنت سرهند حيث ولد صاحب هذه الترجمة .

وتذكر المراجع ـ وهى اما أردية أو فارسية ـ أن الشيخ عبد الأحد الفاروقى رأى قبيل ولادة الشيخ أحمد السرهندى حلما عجيبا قال : كان الظلام حالكا ووحوش مفترسة تفتك بالناس ، وفجأة انبثق من صدرى شعاع ظهر فيه شخص عظيم مرموق المكانة يجلس متكئا على عرش وقد بدىء أمامه بذبح كل الوحوش ذبح الغنم والماعز وشخص ما يتلو بصوت مرتفع : جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا . وقد عبر له هذه الرؤيا الشيخ كمال كيتلى قائلا : سيولد فى بيتك ولد يقضى على الفتن وظلام البدع .

تلقى المجدد تعليمه الأولى وبعض تعليمه الثانوى وحفظ القرآن على يد والده ، ويقال انه اهتم بالتصوف فى هذه الفترة المبكرة فقرأ عوارف المعارف وفصوص الحكم وغيرهما درسا درسا ، ثم ارتحل الى سيالكوت فأخذ المنطق والفلسفة على الشيخ كمال الدين بن موسى الكشميرى فكان زميلا للشيخ عبد الحكيم السيالكوتى ، وأخذ علوم الحديث على الشيخ يعقوب الكشميرى والقاضى بهلول البدخشى ، وانتهى من تحصيل علومه فى السابعة عشرة من عمره ثم انكب على التدريس والتأليف .

المجدد والطريقة :

ارتبط تاريخ الاسلام وانتشاره فى شبه القارة ارتباطا وثيقا بالتصوف ورجاله وطرقه المتعددة التى كانت تختلف فى المسلك والأسلوب وتتفق فى الغايات والأهداف متمتعة فيما بينها بالوئام والسلام حتى لقد صار كل مسلم يرى لزاما عليه أن ينخرط تحت لواء واحدة منها أو أكثر ، ويبايع هذا الشيخ أو ذاك ليصبح تابعا أو مريدا يتعلم ويتلقى ثم يعمل فيرقى ضمانا لعقيدته من الزيغ بين بيئات الهند الوثنية ، وتبعا لذلك أخذ المجدد بيعة الطريقة الجشتية والقادرية عن والده لكنه لم يحصل على خلعة الخلافة القادرية الا من الشيخ كمال كيتلى الذى تنبأ بمستقبله وهو فى بطن أمه .

توفى والده الشيخ عبد الأحد الفاروقى سنة ١٠٠٧هـ / ١٥٩٩ م ، وفى هذا العام عزم المجدد على الحج فلما وصل دهلى عائدا ذكر له الشيخ حسن الكشميرى حسن صحبة الخواجة الباقى بالله وأنه يجب أن يقابله ، وكانت الطريقة النقشبندية قد وقعت من نفسه منذ وقت طويل فلم يملك الا أن حضر الى الخواجه الباقى بالله ــ وكان ينتظر لقاءه لما سمع عنه ــ فأظهر بشاشته بهذا اللقاء واحتفى بالمجدد الذى انخرط بعد يومين فى سلك النقشبندية ، ثم أقام فى جوار شيخه الجديد أكثر من شهرين استأذن بعدهما فى الرجوع الى سرهند ، ويقول صاحب سبحة المرجان : وللخواجة الباقى باللهفىحق المجدد عنايات عظيمة وكلمات كريمة منها ما كتبه فى أوائل ملازمة المجدد له الى بعض الأكابر بالفارسية ما ترجمته هذه : الشيخ أحمد رجل من سرهند ــ كثير العلم قوى العمل جالسه الفقيرعدة أيام وشاهدعجائب كثيرة فى أوقاته ويتراى أنه سيصير شمسا تتنور بها العوالم .

ثم جاء المجدد بعد ذلك الى دلهى ــ دهلى ــ مرتين ليحضر مجلس الخواجة الباقى بالله ، وفى المرة الأخيرة استقبله الخواجه بالترحاب وبشره بمستقبل عظيم ثم أجلسه مكانه وفوض اليه ادارة المجلس ورئاسته فى حضرته ، وقال عند وداعه : الآن أحس أن الضعف يغلب على وأن أيامى قد أصبحت قليلة جدا ثم أوصى المجدد قائلا : هذان ولداى : الخواجة عبيد اللهوالخواجة عبد الله قد أصبح أمرتعليمهما وتربيتهما روحيا أمانة فى عنقكم . وتظهر عظمة الشيخ المجدد من الحركة التى قام بها ضد الملك أكبر .

عقيدة أكبر ومحنة المسلمين :

حكم «أكبر» بلاد شبه القارة قرابة خمسين عاما ٩٦٣ ــ ١٠١٤ ــ ١٥٥٦ ــ ١٦٠٥ وانتصر فى معاركه الكثيرة ضد الحركات الانفصالية ثم اتجه شمالافدانت له كابلوقندهار ودخلت تحت ارادته المباشرة ، كما قام باصلاحات داخلية تستحق الاعجاب وتؤهله للثناء عليه ، لكن ما عقيدته التى ابتدعها ؟ وما الأسباب التى دفعته الىاختراع دين جديد ؟ . ذلك ما سنعالجه فى السطور الآتية :

بالرغم من أن هذا الامبراطور المغولى لم يتلق فى صغره تعليما

يعصمه بل تذكر المراجع أنه كان أميا الا أنه كان مولعا بالعلماء يحضر مجالسهم ويستمع الى نصائحهم ويتبرك بهم ، وظل ـ على ذلك قرابة عشرين عاما من حكمه ثم داخله الغرور لما قام به من فتوح وانجازات داخلية فاستغل بعض ممن حوله روح الغرور فيه وزينوا له أنه ظل الله فى أرضه وأن رأيه فوق رأى العلماء .. فصادف ذلك هوى فى نفسه واستمر ذلك الوهم ينمو حتى تحرر من قيود الشريعة الاسلامية ونبذ علماءها الا من وافقه ، وفكر ثم فكر ..وأخيرا خرج على الناس بعقيدة جديدة سماها « الدين الالهى » وكأنه أراد أن يجمع بها شعبه المتعدد الديانات على عقيدة واحدة فأعلن أن الاسلام قد مضى زمانه بمرور ألف عام على مجيئه وأن مبادئه أصبحت غير صالحة لهذا الزمان ، واستمر فأنكر الوحى والبعث والدار الآخرة وسائر السمعيات كما أنكر المعجزات وقال بتناسخ الأرواح ومنع ذبح البقر ـ معبود الهندوس ـ وأحل كثيرا من المحرمات فى الاسلام ، وقدس نار المجوس،واستبدل كلمة «لا اله الا الله محمد رسول الله» «بالكلمة» لا اله الا الله أكبر خليفة الله ،وأشاع كثيرا من عقائد الهندوس وعاداتهم وهنا هلل الهندوس ورأوها فرصة سانحة للتخلص من الاسلام والمسلمين فى الهند فأخذوا يحيطونه بالرعاية ويفدونه بالأرواح الى أن اطمأن اليهم وتزوج منهم كمازوج ابنه ودعا حاشيته وأفراد دولته الى الثقة بهم والتزاوج معهم حتى صارلهم نفوذ كبير فى بلاطه وتوجيه سياسته فأخذوا ينفذون مخططهم الهدام ولندع المجدد يتكلم واصفا ما اقترفوه ضد الاسلام وأهله ـ حيث يقول فى خطاب الارشاد رقم ٩٢ : كفار الهند لم يتحاشوا هدم المساجد لاقامة معابدهم مكانها ، وفى الخطاب رقم ٤٧ : فى عهد أكبر فرض الكفار أحكام كفرهم فى بلاد الاسلام بالقوة والمسلمون قد عجزوا عن أداء أحكام دينهم علانية ، واذا جهر أحد المسلمين بعبادته يقتلونه ... ياللأسف ويا للخراب ... وطالب علم محمد صلى الله عليه وسلم ذليل ، أما طالب المنكر فعزيز مكرم !! وكان المسلمون فى ذلك الوقت ينعون الاسلام بقلوبهم المجروحة التى كان عدوهم

ينضحها بالملح ويذيقهم ألوانا من السخرية والعنت » لقد اختفت شمس الهداية !!! ، ومثل ذلك خطاب رقم ٦٥ : كيف وصل الاسلام الى هذا الحد : الكفار يعترضون على الاسلام ويذمون المسلمين وبلا خوف يؤدون مراسم الكفر في الشوارع والأسواق وعلى العكس من ذلك يمنع المسلمون من أداء شعائرهم الطاهرة ويعترض عليهم وعليها .

وأرسل أكبر الى البرتغاليين وكانوا يحتلون بعض ثغور الهند يطلب من يفقهه فى عقيدتهم فلبوا دعوته وبعثوا اليه بانجيل أمر بترجمته الى الفارسية ، وعهد الى الرهبان اليسوعيين بتعليم ولده مراد ثم أذن لهم بفتح مدارس فى أكرا العاصمة وبعض عواصم الولايات الهندية .

ومما لا نزاع عليه أن أكبر قد أرضى كل الأديان ما عدا دين الاسلام الذى كان ينتمى وأسرته المغولية اليه والذى انسلخ عنه وناصبه العداء وقال عنه : ان واضعه من فقراء العرب ... وهناك حقيقة لا يمكن ان نغض الطرف عنها هى أن بلاط أكبر كان يضم بعضا من علماء المسلمين ممن باعوا آخرتهم بدنياهم من أمثال الشيخ مبارك ابن خضر الناكورى وابنه « أبو الغيض فيضى » صاحب التغير العجيب المسمى : سواطع الالهام وأخيه « أبو الفضل » وغيرهم من أصحاب المآرب الشخصية والاتجاهات الهدامة ، كما ينبغى أن نذكر أيضا أن يد أكبر الآثمة قد امتدت الى علماء آخرين عارضوا عقيدته المفتراه ورفضوها فكان نصيبهم الطرد من البلاد أو القتل والابادة من أمثال الشيخ عبد الله السلطانبورى والشيخ عبد الغنى الكنكوهى اللذين امتنعا عن التوقيع على بيان كان قد أعده الشيخ مبارك والذى يقول فيه: ان أكبر ظل الله فى أرضه وأن له أن يشرع ... وكان قد وقعه من ثمانية عشر عالما قبلهما بالرضا أو بالاكراه .

دور المجدد :

بعد هذا العرض الموجز السريع لعقيدة أكبر أكاد أسمع صوتك قارئى : فما دور الشيخ أحمد السرهندى ؟ وكيف استحق لقب مجدد الألف الثانية؟ والواقع أن المجدد لم

يكن بعيدا عن هـذه الحركة وانما كرس جهـده ووقته وسائر ما يملك لرفضـها ووقاية المسـلمين من غوائلها لكن ما وسـائله الى ذلك ؟ هل هى المظاهرات واثارة القلاقل أو اعلان العصيان والتمرد ؟ أم الدعوة فى سرية بعيـدا عن أنظـار أكبـر ومعاونيه ؟ بيد أن كل ذلك لم يكن يوائم طبيعة الشـيخ من ناحيـة ولم يـوافق مقتـضى الحال من أخـرى فالشـيخ لا يمـلك من وسـائل المظاهرات والثورة كما أنه رأى وسمع كيف أن أكبر فيه من القوة والبطش ما جعله يسكت ولايات بأكملها كانت قد خرجت عليه بسبب عقيدته الجديدة فلم يقدر لثوراتها النجاح أو اثارة منه، واذا اختار جانب الدعوة السرية فماذا يمكن أن يتـاح له من النجاح انه ولا شك سيجد أنصارا لأن كل مسلم أحس بحرج موقفه وغربته فى بلاده لكنه مهدد بالتعذيب والتجويع والقتل والاحراق ان ارتفع صوته بالرفض أو علم منه ذلك ، لقد ترك المجـدد هذه الفكرة لا جبنا منه ولكن رأفة بالمسلمين وصونا لدمائهم وأعراضهم ولو أن الأمر كان سيتعلق به وحده لمـا أحجم فلم يكن يخشى فى الحق أحدا : جاء مرة الى آكرا عاصـمة أكبر ودعا أبا الفضـل وغـيره من المقربين قائلا : لقد صار الملك أكبر خارجا على الله ورسـوله ، اذهبوا اليه وبلغوه عنى أن مملكته وسلطانه وجنـوده وكل شىء لديه ذاهب فى يوم ما وأنه يجب أن يتوب الى الله ورسـوله والا فلينتظر غضب الله .

غـير أن الفتنـة كانت قـد عمقت جذورها ولم يعد يجدى معها النصح والوعظ أو اثارة الحمية لذلك أخذ المجدد يفكر ويتفرس فيما وصل اليه الحال ثم حدد أساس الفتنة فى ثلاثة أصناف من الناس ركز على اصلاحهم:

١ ــ رجال الحـكومة والحاشية الذين يستفيدون من أخطاء الحـكم واقتـراب الدولة الى الهندوسـية ببعدها عن الاسلام .

٢ ــ علماء السوء الذين يلحدون مع رجال الحـكومة ويسـيرون فى ركابهـا ويزينون للملك وأعـوانه حرصا منهم على مصلحة دنيوية أو اتباعا لغرفة ضالة ويسخرون فى سبيل ذلك علمهم وخبرتهم الدينية .

٣ ــ المبتدعون والمنحـرفون من رجـال التصـوف الذين يرون أن

الاسلام شريعة وطريقة أو ظاهر وباطن وأن الشريعة لا تقوى على الوقوف أمام الطريقة .

وقف المجدد جهده على اصلاح كل طبقة من تلك الطبقات الثلاث وكأنه رأى أن صلاح الدولة ورجوعها الى الاسلام مرهون بصلاح تلك الفئات ، واستمر لبعض السنين يستغل فى ثبات ورسوخ كل فرصة ممكنة لكن الذى كان له أكبر الأثر فى ذلك أنه كان يرسل خطابات لبعض الناس فى مختلف المواقع فانتشرت بذلك دعوته فى سائر أرجاء الهند ومنها عرف العوام وتأكد الخواص من زيف عقيدة أكبر ، ولهذا لا نكون مبالغين اذا قلنا ان رجلا واحدا فقيرا أحدث تعلمه انقلابا فى الحياة وأرغم قوة السيف على التسليم وهو جالس فى زاويته .

ولتقدير قوة ونزاهة قلمه نلقى نظرة على أحد خطاباته وهو الذى أرسله الى الوزير الأعظم (خان خانان) أعظم خان حيث يقول : فى أول الأمر بالاسلام كان المسلمون فى حال من الضعف والفقر والقلة لكن أحدا منهم لم يكن ينظر الى شىء من ذلك ولا يهمه سوى نصر دين الله لذلك نصر الله حبيبه وأصحابه وأيدهم ، وفى وقتنا الحاضر من يعمل لدينه ولو قليلا ينل من الله ثوابا عظيما ، وما يتيسر لكم الآن من هذا العمل هو الجهاد باللسان وهو الجهاد الأكبر أعنى كلمة حق تقولها عند السلطان أكبر تقصد بها اصلاحه ، ونحن فى موقع لا يرتفع صوتنا منه الى السلطان ، واذ قد حرمت من هذه النعمة فانى أحملكم اياها . ومثل ذلك ما كتبه الى جهانكير ابن الملك أكبر عندما عينه حاكما على ولاية بيهار ومنه : اذا بدأت حكومتكم بنشر ورد اعتبار المسلمين فبها ونعمت والا فسوف تكون هناك مصاعب كثيرة .

لقد كان المجدد يوجه نشاطه الى الفئات الثلاث بقدر متساو ولكنه لم ينس عامة الشعب الذين كان يجلس معهم دائما معلما ومرشدا ويحرص على عدم الاخلال بدروسه النظامية لطلابه ومريديه ، فهل نجح المجدد ؟ وهل استجاب له رجال الدولة والبلاط الملكى ؟ . والواقع أن المجدد وقد وقف وحيدا ضد نظام حكم قوى قد هيأ أذهان العامة لفكرة الرفض

وأكدها كما قلنا عند الخاصة واقنع رجال البلاط والحكومة بخطأ عقيدة أكبر — وان لم يتراجعوا عنها — فلم يستطع ذلك الامبراطور رغم حكمه الطويل — خمسين عاما تقريبا — وملكه العريض وسلطانه القاهر أن يرى عقيدته المزعومة مقبولة لدى فئات شعبه كما كان يقدر لها وانما مات وهى تتأرجح تحت تأثير هزات المجدد حينا وتترنح أحيانا كثيرة بسبب ضربات قوية من توجيهاته وقلمه ، ولما تولى ابنه جهانكير حكم الهند ١٠١٤/ ١٦٠٥ سارع فأبطل ما ابتدعه أبوه ضد الاسلام فألغى فكرة الدين الالهى بيد أنه أبقى على بعض آثار عهد أبيه ومن ذلك التقليد القاضى بتقبيل الأرض والسجود تحية للملك ، وعلى كل حال هدأت بذلك نفوس المسلمين ورأى المجدد أن جهاده قد أثمر فأخلد الى التصوف والروحانية واستغرق فيها حتى لقد كتب يوما الى أحد أصدقائه يصف مكاشفاته الروحية التى تخطى بها مقامات الأولياء وغيرهم ليصل الى الى مقام الصديق أبى بكر ثم يعبره الى مقام أعلى يقول:وظهر مقام آخر نورانى فى نهاية الحسن لم ير مثله قط محاذيا لمقام الصديق مرتفعا عنه قليلا كما تجعل الصفة مرتفعة عن وجه الأرض وعلمت أنه مقام المحبوبية وكان ملونا منقشا فوجدت نفسى ملونة منقشة بانعكاس ذلك المقام ثم وجدت نفسى فى تلك الكيفية لطيفة فانتشرت أنا كالهواء أو قطعة من السحاب فى الآفاق وانبسطت على بعض الأطراف والخواجة بهاء الدين فى مقام الصديق ووجدت نفسى فى مقام محاذ له على كيفية ذكرتها .

ويفهم من قول المجدد السابق أنه يرى أن مقامه فوق مقام الصديق أبى بكر لذلك ناصبه العلماء العداء وعقدوا العزم على خصامه وذكروا ذلك للسلطان جهانكير فاستدعاه وعند ذلك هلل خصومه علما منهم بأن المجدد ان استطاع أن يبرر شطحته الصوفية فانه لن يستطيع أن ينجو من العقاب بعدم السجود للامبراطور ولو أنه فطن الى مؤامرتهم وسجد للملك فانه يكون قد ناقض نفسه وسقط فى نظر الخاصة والعامة ، وعلم بهذه المؤامرة

الأمير خرم ـ شاهجان فيما بعد ـ ابن الملك جهانكير وكان مخلصا للشيخ المجدد فأرسل اليه قبل أن يحضر عند السلطان رسولين هما : أفضل خان والخواجة عبد الرحمن المفتى ومعهما بعض كتب الفقه وحملهما قوله الى المجدد : جوز العلماء سجدة التحية للسلاطين فان تسجدوا للسلطان عند المقابلة فأنا ضامن ألا يصل اليكم ضرر فلم يقبل الشيخ قائلا : هذه رخصة والعزيمة أن لا يكون السجود لغير الله .

دخل الشيخ السرهندى على الامبراطور جهانكير مرفوع الرأس ترتسم على وجهه كبرياء العلماء فحياه بتحية الاسلام وجلس فبادره السلطان : سمعت أنكم كتبتم أن مرتبتكم فوق مرتبة الصديق أبى بكر . فأجاب المجدد : انكم تطلبون الأدنى من خدامكم فتعطفون عليه وتسرون اليه حديثا فلا يصل اليكم ذلك الأدنى الا بعد طى مقامات الأمراء ثم يرجع الى محله ليقف فيه ولا يلزم من هذا أن تكون مرتبة ذلك الأدنى فوق مرتبة الأمراء فسكت السلطان بهذا الجواب وأعرض عن العقاب وعند ذلك خاطب أحد الحاضرين السلطان قائلا : أرأيتم هذا الشيخ ما سجد لكم مع أنكم ظل الله وخليفته وما أدى التحية الملكية المعمول بها فى بلاطكم فغضب جهانكير وأمر بحبسه فى قلعة كواليار ، والى ذلك الموقف أشار غلام على آزاد شاعر العربية الأكبر فى بلاد الهند قائلا :

لقد برع الأقران فى الهند ساجع
وجدد فن العشق يا للمجدد
فلا عجب ان صاده متقنص
ألم تر فى الأسلاف قيد المجدد

لبث المجدد فى السجن ثلاث سنين ثم أخرجه السلطان على أن يقيم بعسكره ويرحل معه أينما سار وأخيرا رخصه فعاد المجدد الى سرهند وأقام بها الى أن توفى فى أول صفر ١٠٣٤/١٣ من نوفمبر ١٦٢٤ وله من العمر ٦٣ عاما .

ولما تولى شاهجهان بعد أبيه ١٠٣٧/ ١٦٢٨ قضى على سائر البدع وأجرى أحكام الاسلام وطهره مما ألصق به فى عهد أكبر وجهانكير وألغى سجدة التحية للملك فعاد للاسلام مكانته واحترامه فى نفوس

العامة والخاصة والبلاط ورجال الحكومة ، وكان ذلك بفضل جهود الشيخ أحمد السرهندى الذى عرف له مسلمو الهند هذه الأيادى فيما بعد فرفعوه مكانا عليا ولقبوه بمجدد الألف الثانية لأنه كما يقولون نفخ فيهم حياة جديدة بعد أن أعلن السلطان أكبر أن الاسلام قد أصبح لا يساير العصر بمضى ألف عام على مجيئه ، ثم أخذ أهل الهند يبحثون عن آثار الشيخ ومؤلفاته ويصوغون حياتهم وثقافتهم على هدى منها فجمعت خطاباته فى مجلدات ثلاث صارت مع أعماله الأخرى مصادر بحث ومنارة اشعاع يتجه اليها الباحثون فى مجال التصوف والأخلاق .

أما مؤلفاته فقد عرف منها : الرسالة التهليلية ، رسالة فى اثبات النبوة ، المبدأ والمعاد ، المكاشفات الغيبية ، آداب المريدين ، المعارف اللدنية ، تعليقات العوارف ، شرح رباعيات الخواجة الباقى بالله ، المقدمة السنية فى انتصار الفرقة السنية وهذه المصنفات بالفارسية بيد أن الرسالة الأخيرة قد حظيت بالنقل الى العربية ترجمها عالم جليل يعادل الشيخ المجدد شهرة وعظمة هو الشاه ولى الله الدهلوى ١١٧٦/١٧٦٢ بناء على طلب من بعض علماء العرب ، ولم يحصر المترجم نفسه داخل دائرة النص الأصلى للرسالة وانما أضاف اليها وحذف مختلفا مع المؤلف فى مواضع كثيرة ثم جاء الشاه عبد العزيز الدهلوى ١٢٣٩/١٨٢٣ ابن المترجم فأعاد ترجمتها وعلق عليها مختلفا مع أبيه فى مواضع وافق فيها المؤلف الأصلى الشيخ أحمد السرهندى .

تلك لمحات من تاريخ المجدد وكفاحه أردنا بها تعريف القارىء العربى وتوجيه نظر الباحثين من العرب نحو ذلك العالم العامل والصوفى الحق الذى عرف عظمة الحق فاحتقر ما سواه من الباطن ، وذاق حلاوة القرب فهان فى نظره عز الملوك وسلطانهم ووقف مناضلا عن الحق فى سبيل الحق . رحمه الله رحمة واسعة جزاء ما قدم لدينه والملايين من شعبه وأمته .

د : عبد المقصود محمد شلقامى

مع الجنرال "برى" فى منى !

للدكتور عبد الودود شلبى

كان ذلك منذ ثلاث سنوات .. وبالضبط فى موسم الحج عام ١٣٩٣ هـ .. كنت نزيلا فى بيت من بيوت الضيافة المخصصة لزوار المملكة العربية السعودية بدعوة من جلالة الملك المرحوم فيصل ..

تهيأت للخروج فى صبيحة يوم من أيام التشريق لرمي الجمار . واذا بالضابط السعودى المكلف لحراسة البيت الذى كنا ننزل فيه يوجه الى سؤالا :

ـ أتعرف من هذا الواقف على باب البيت ؟

ـ قلت : لا .. لا أعرف .

ـ قال : هذا هو الجنرال «برى» رئيس جمهورية الصومال .

وباندفاع شديد توجهت الى الرجل .. عرفته بنفسى ثم قلت :

ليس مهما أن تعرفنى ... ولكن الأهم من ذلك كله أن تسمع منى هذه الكلمات ، وأن تتقبل برحابة صدر ما أقوله فى هذا الموقف .

كان الحديث بالانجليزية ، وقد نظر الرجل الى نظرات جامدة لم أفهم منها أى شىء .. !

قلت له : اننى سعيد جدا برؤيتك هنا ... لقد قرأت فى الصحف ، وسمعت من الاذاعات . أن الحركة التى قمت بها كانت من تدبير الشيوعية الدولية . ولكن وجودك هنا ياسيادة الرئيس ينفى كل ما كتب وكل ما أذيع .. !

ثم أضفت قائلا : ان تاريخ الصومال المسلم ، وموقعه الاستراتيجى ، وأطماع الدول الاستعمارية فى أرضه ، والحركة الكبرى التى قام بها الامام المجاهد الشيخ « محمد بن حسن » أو

المهدى الصومالى . كل ذلك يجعل من بلادكم عرضة لكل التيارات والمؤمرات الدولية . وليس أدل على ذلك من تقسيم بلادكم الى خمسة أقسام استغل منها قسمان وبقيت أقسام تحت حكم جيرانكم الأعداء!

واننى أقول مؤكدا ... اذا بقى الصومال الذى يدين شعبه كله بالاسلام ... اذا بقى محافظا على دينه وعقيدته وحريته . فلسوف يحقق مجدا للاسلام فى هذه المنطقة الحيوية من العالم ..

ثم قلت :

اننى أعلن اليك مشاعرى كمسلم، وهى مشاعر تتجاوز كل الاعتبارات التى تفصل بين الناس لعوامل أرضية ، أو قومية ، أو سياسية . وهذه المشاعر هى مشاعر كل مسلم يحب الصومال وشعبه ، ويعلق عليه رجاءه وأمله ...

ان الرجل لم يزد على كلمة واحدة ـ ان شاء الله ـ قالها بعين زائغة ... ! وكان يصاحبه رجل لم أجد فى سماته رغم ملابس الاحرام التى كان يرتديها سوى المكر والخبث .

ثم أقبلت السيارات ... واختفى كل منا على مقعده . ونسيت هذا اللقاء وصاحبه . حتى كان هذا اليوم الأسود فى تاريخ الصومال . اليوم الذى حرق فيه العلماء،وحرف فيه القرآن ، وضرب ماركس بمنجله الدموى ومطرقته الحديدية فى رأس الصومال المسلم .. !!!

وفى التقرير التالى عرض وتحليل لما تجرى عليه الأمور فى بلاد الصومال ..

ع . ش

تقرير عن الوضع الخطير فى الصومال

يقول هذا التقرير الذى حصلت عليه مجلة المجتمع الكويتية :

ان الوضع هناك فى غاية من الخطورة حيث تحاول الشيوعية العالمية أن تتخذ من الصومال نقطة الانطلاق الى بقية الدول الافريقية والى منطقة الشرق الأوسط واذا سارت الأمور على وضعها الحالى ولم يتنبه المسلمون قبل فوات الأوان فلا شك أن النتيجة ستكون مفجعة ويكون مصير الصومال كمصير الأجزاء العزيزة الأخرى التى ضاعت على المسلمين نتيجة اهمالهم وتكاسلهم عن الجهاد فى سبيل الله • ومن المعلوم أن هناك خطة دقيقة وضعها الاتحاد السوفيتى لمحو كل أثر اسلامى فى الصومال وأما النظام الحالى فى الصومال فانما هو أداة تنفيذ لما يتلقاه من ساسة كرمليين •

وتتلخص تلك الخطة فيما يلى :

١ ــ الغاء المواد الدينية من برامج التعليم أو الابقاء عليها اسما بحيث لا يكون لها أثر فى نفوس الطلبة حتى تأتى الفرصة السانحة لالغائها كليا •

وتقرير الفلسفة الماركسية فى جميع مراحل التعليم •

٢ ــ فتح مراكز للتوجيه الماركسى فى جميع المدن والقرى الصومالية وتسمى هذه المراكز بمراكز الارشاد ويوجد فى العاصمة مقديشو وحدها ١٤ مركزا رئيسية ويتبع كلا منها ٥ فروع وبذلك يصبح عدد المراكز للتوجيه الشيوعى فى مقديشو سبعين مركزا كما أنشئت فى جميع الهيئات الحكومية مراكز خاصة للعمال لنفس الغرض واضافة الى ذلك فقد فتح أخيرا المعهد الاشتراكى للدراسات الماركسية ويلزم كل فرد من أفراد الشعب بالذهاب الى هذه المراكز الماركسية والاستماع الى ما يلقى

فيها وينشر من أفكار هدامة والتظاهر بالاقتناع بها حتى يضمن الحصول على قوته وقوت عياله حيث وضعت المواد الغذائية فى أيدى المسئولين فى مراكز التوجيه الذين دربوا بصفة خاصة فى الاتحاد السوفيتى مدة من الزمن تتراوح ما بين سنة الى ثلاث سنوات وتوزع المواد الغذائية بواسطة البطاقات من تلك المواد وأقل عقوبة بالنسبة للذين لا يحضرون مراكز التوجيه الشيوعى هى حرمانهم من قوت يومهم ومن هنا أصبحت الشرذمة الماركسية المارقة تتحكم فى رقاب الشعب الصومالى المسلم والى جانب ذلك تعمل السلطات المركسية بنشاط كبير لتحطيم القيم الأخلاقية والاستهتار بالمثل العليا للقضاء على روح المقاومة فى المجتمع ليتسنى لها نشر المبادىء الهدامة بسهولة ومثال ذلك أن الرئيس الصومالى زار مركزا من مراكز التوجيه فى مدينة حركة التى تبعد عن العاصمة نحو ٩٠ كيلومتر •

وكان فى المراكز عدد كبير من الطلبة بنين وبنات وكان الوقت وقت الغذاء فوجد الرئيس عندما وصل الى المركز أن البنين يتغذون فى جانب والبنات يتغذين فى جانب آخر بدون اختلاط فلم يعجبه هذا المظهر الذى يدل على أن هناك شيئا من الحياء والروح الاسلامية لا زالت باقية فى نفوس تلك المجموعة فقال موجها الكلام الى الطلبة : ان مظهركم هذا مظهر رأسمالى رجعى وقد بذلنا جهودا لازالة مثل هذه المظاهر البالية وأنكم بعملكم هذا تهدمون فى ساعة ما كنا نبنيه فى سنوات ثم أمر أن يجلس كل فتى الى جانب فتاة ولما تم التوزيع على ذلك النحو الغريب قال أى الرئيس للطلبة : الآن أصبح مظهركم مظهرا اشتراكيا •

٣ ـ ضرب العناصر الاسلامية وابعادها من الجيش ومن الجهاز الحكومى واستبدالها بعناصر ماركسية وبعد ذلك يتم اعتقال العناصر التى أبعدت عن المراكز

القيادية أو ارسالها الى روسيا لتغيير عقيدتهـا أو وضعها تحت المراقبـة الشديدة ويحدث كل ذلك ضد الفئة المؤمنة لأتفه الأسباب • فقد حدث أن قام ضابط صومالى برتبة مقـدم اسـمه آدم ورس ـ ببناء مسـجد صغير فى مقـر كتيبة الدبابات التى كان يقودها وكان مقر الكتيبة قرب العاصمة مقديشو وقبل اتمام بنـاء المسـجد قـدم الخبراء الشيوعيون الروس تقريرا عن الضباط واتهموه بمحاولة عرقلة خططهم الراميـة الى خلق جيش شيوعى فى الصومال وفجأة أبعد الضابط الى روسيا وفرض عليه دراسـة الفلسفة المـاركسية مـدة أربع سنوات •

٤ ـ تحويل المساجد الى مراكز للفكر المـاركسى وتفسير الاسـلام تفسـيرا ماركسـيا وقـد أصبحت المساجد فى الصـومال معـاقل لبث الفكر الشيوعى المخرب •

٥ ـ جعل اللغة الصومالية المكتوبة بالاحـرف اللاتينية اللغة الرسـمية للبلاد واعتبـار اللغة العربية لغـة أجنبية واهمالها اهمالا مقصودا حتى يفقـد الشعب الصومالى صلته بلغة دينه والسؤال الوارد هنا لماذا دخلت الصومال فى الجامعة العربية فى الوقت الذى تعتبر فيـه اللغة العربيـة لغة أجنبية وتحاربها ؟

والجـواب ان ذلك كان ضـمن خطة مدروسـة لضمان عدم اجهاض النظام الماركسى فى مراحله الأولى قبل أن يقوم على قدميه فقد كانت الحكومة الصومالية بعد أن أعلنت على الملأ اعتناقها للاشتراكية العلمية الماركسية كانت تتوقع هجمات وانتقادات من داخل الصـومال ومن الدول العربية الاسلامية والعالم الاسـلامى أجمع ولكى تضـلل الرأى العام فى داخل الصـومال ولكى تسلم من انتقادات الدول العربيـة التى تعطـى بعض اهتمامها للنواحى الاسلامية ولأجل ذلك فقط دخلت الصـومال جامعة الدول العربية لتتخذها حصنا تحتمى به وليس دخـول الجامعة العـربية بالنسبة للنظام الماركسى فى الصومال

هـدفا ثابتا وانما هو خطـة مرحلية وكل شىء بالنسبة للنظام الحالى فى الصومال انما يستخدم لضمان نجاح الفلسفة الشيوعية •

فقـد قال الرئيس الصـومالى فى خطبة له انما نستخدم الدين مرحليا • اذا فكما يسـتخدم الدين مرحليـا لضمان نجاح النظام الماركسى تستخدم الجامعة العربية كذلك لنفس الغرض•

هذا وان ما يجرى فى الصـومال ضد الاسلام كثير وكثير ولا يمكن استـيعاب ذلك الا فى مؤلفات وما أشرنا اليه فى هذه الأسطر انما يعتبر قطرة من بحر بالنسبة الى الأحداث الخطيرة فى الصـومال ولكـن هل استسلم الشعب الصـومالى المسلم للواقـع المرير الذى يواجهه ؟ وهل ضعفت عزيمتـه أمام الغزو المـاكر الالحادى الذى يسعى الى القضـاء على عقيدته وعلى استقلاله وحريته ؟ الجـواب •• لا •• لا «وسـيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلـون »

موعظة

شيع الحسن جنازة فجلس على شفير القبر ، فقال : ان أمرا هذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله ، وان أمرا هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره . اخوانى كيف الامن وهذا الفاروق يقول : لو أن لى طلاع الأرض ذهبا وفضـة لافتديت بها • كيف الأمن ؟ من هو ما أمامى قبل أن أعلم ما الخـبر ؟ لمـا طعن عمر قال لابنه ضع خدى على التراب فوضعه فبكا حتى لصـق الطين بعينيـه وجعل يقول «ويلى وويل أمى ان لم يرحمنى ربى »

ابن الجوزى فى المدهش

وثيقة تاريخية :

من الملا محمد عبد الله الى شعب الصومال(١)

« نحن قوم قاموا بالعزم والايمان، وعقدوا نيتهم على ان يدافعوا عن دينهم ووطنهم وشرفهم بآخر قطرة من دمائهم •• يجاهدون فى سبيل الله تعالى لاعلاء كلمة الاسلام • الى أن يحققوا غرضهم أو يستأصلوا من فوق الأرض •

نحن قوم نكافح لنطهر جميع أنحاء الصومال من الأعداء الكافرين المستعمرين • لأننا نعلم أنه لا يمكن لنا أن نعبد الله فى أرضنا آمنين ولا أن نقيم أحكام كتابه — ولا أن نستنشق نسيم الحرية فيها الا بعد تحقيق الغرض المذكور •••

ونحن قوم أحاط بهم الكفار والمنافقون من جميع الجهات ••• وقطعت عنهم جميع المواصلات والامدادات ••• وملئت صدورهم من الغضب والغيظ لأجل تخاذل المسلمين وتخالفهم مع كثرتهم •

ونحن قوم لا يخضعون لأعداء دينهم ووطنهم ، ولو كثرت جنودهم وتتابعت هجماتهم ، وتنوعت آلات المهلكات ، واشتدت وطأتهم ، لأننا نريد ونحب الجنة •

ونحن قوم لا نسمح للكفار أن يحتلوا بلادنا •• أو يحكموها ، ولا نذل قوانين الشريعة وأحكامها ، ولا نجعلها خاضعة لقوانين الكفرة ، وأحكام الطاغوت •

بل نعلن حربنا على الزعماء ، وعلى الذين يسمحون لهم بدخول بلادنا

---

(١) الملا محمد عبد الله أو « المهدى الصومالى » بطل من أبطال الاسلام الذين جاهدوا فى سبيل اعلاء كلمة الله حتى قتل شهيدا فى معركة بينه وبين الانجليز فى أواخر القرن التاسع عشر •

واستعمارها ... ونوجه لومنا للعلماء والقضاة الذين يهملون شريعتنا الاسلامية ويجعلونها تحت أقدام الكفرة الفجرة .

ولأجل ذلك ... اتجهنا الى دفاع العدو وأذنابه ، وقررنا أن نواصل الكفاح المرير الأليم ... وبذلنا لهم الضربة بضربتين .. واللطمة بلطمات وقاتلناهم بعزم وشجاعة وحكمة .

وبعد ما ذاقوا العذاب والقسوة منا ... سمونى مع سيدهم الكافر الانجليزى الشيخ المجنون ، ولا أستبعد ذلك من الحكومة الانجليزية لسببين :

أولا : لأنها تقلد فى ذلك الأمم السابقة التى كانت تتهم المصلحين وغيرهم من الأنبياء بهذه الكلمة .
ثانيا لأنها تستبعد محاربة رجل واحد ومناوأته للدول العظمى .

وقد قالوا : ان الحكومة الانجليزية تتسلح بآلة تحرق الأرض وتحرق جميع بلاد الصومال ... فلما علمت ذلك سكنت فزع الأمة وقلت لهم : ان تلك الآلة على فرض وجودها ، فهى لن تحرقنا وحدنا .. بل ستحرق معنا جميع الكفار الذين فى أرضنا ومن يساعدونهم ... وهذا ربح لنا وخسارة لهم . لأننا نموت شهداء . والشهادة هدفنا الرئيسى ، والكفار سيفارقون الدنيا وهى غرضهم الأول وسيدخلون النار المؤبدة عليهم .

متى نصمت ومتى نتكلم

قال رجل لعمر بن عبد العزيز : متى أتكلم ؟ قال اذا اشتهيت أن تصمت ، قال : فمتى أصمت ؟ قال : اذا اشتهيت أن تتكلم .

الإسلام فى مرآة الغرب :

منافذ الفكر الإسلامى إلى الغرب

للدكتور عبد الجليل شلبى

— ٢ —

كانت الأندلس ـ أوسع هذه المنافذ وأغزرها رافدا للثقافة الاسلامية ، وقد فتحها العرب من وقت مبكر وأقاموا بها ثمانية قرون كوامل (٩٨ ـ ٨٩٧) هـ . وفى هذه الفترة الطويلة تطورت الثقافة والحضارة الاسلامية ، وجرى على العرب هناك ما جرى عليهم فى الشرق من تنافس وانقسام ، كما تلونت ثقافتهم وامتدت ودخلتها عناصر فكر أجنبية ومهما يكن من محاكاتها للفكر الشرقى كان لها طابع خاص بها ، وكانت عوامل بيئتها تمدها بعوامل حضارية وأدبية لا تتوفر فى البيئات الشرقية وكان التأثير والتأثر أمرا متبادلا بين العرب والمسلمين وبين الأوربيين الاندلسيين وغير الاندلسيين . وظل أثر المسلمين مستمرا حتى بعد اخراجهم ، اذ بقى هناك مسلمون حتى بعد سنة ١٦٠٠ م أى ما يزيد على قرن من الزمن ، وقد أرغم هؤلاء على التنصر وأطلق عليهم اسم الموريسكيين ، وكان منهم من تنصر بالفعل ومنهم من تنصر ظاهرا وبقى على اسلامه ، غير أن شعائر الاسلام كانت مقيدة ، والعقوبات عليها صارمة عنيفة ، ثم طرد هؤلاء أيضا .

وقد اندمج العرب بالاندلسيين من أول ما نزلوا هذه البلاد ، بل نجد نية الاختلاط مبيتة من قبل الفتح ، فقد منى طارق بن زياد فى خطبته الشهيرة جنوده ببنات الرومان الرافلات فى الحرير والعقيان ، وما كاد هذا الفتح يأخذ طرقه فى أنحاء هذه الجزيرة حتى

أقبل العرب على الأوربيات اقبالا منقطع النظير ، ومع أن العرب كانوا يتعالون على سكان البلاد المفتوحة ، ويعتبرون أنفسهم طبقة أرفع منهم ، كان للنساء الأندلسيات سلطان فعال على قلوب العرب ، وتتيجة لهذا التعالى كان تسرى الأندلسيات واتخاذهن اماء أكثر من الزواج منهن ، وكانت المرأة الأندلسية من عوامل الفساد والفناء التى صحبت حياة العرب هناك منذ بدايتها ، فالاندلسيون كاثوليك متعصبون ، وهناك أندلسيات تظاهرن بالاسلام وانغمسن فى حياة المسلمين شعبا وحكاما وكن يعملن فى الخفاء جواسيس على المسلمين .

أما سلطان هؤلاء على قلوب الحكام المسلمين فقد نسجت حوله أساطير منها ما يمكن أن يصدق ومنها ما لا يستسيغه العقل ، ولكنها كلها ذات دلالة على خضوع العرب لهؤلاء الفاتنات . وأشهر من حيكت حوله هذه المبالغات عبد العزيز بن موسى بن نصير ، فقد خلف والده على القيادة ، وتزوج من امرأة « لذريق » ــ القائد الذى قتله طارق ابن زياد فى أول معركة ، وكانت قد صالحت العرب وأقامت على دينها حتى فتن بها هذا القائد الجديد فتزوجها وخضع لها خضوعا اتهم بسببه أنه تنصر وترك الاسلام ، ولم يستطع الجهر بتنصره ، ويقال انها نسجت له مما كان عندها من الحلى والجواهر تاجا كان يلبسه وهو فى داخل بيته ولكن تصادف أن رآه بعض جنده وهو يلبسه فحدث به فشغب عليه جنده ، فقتلوه ، ثم حيكت حوله الأساطير البعيدة فقيل أنه تنصر وقيل أقام معها فى كنيسة فى أشبيلية ، وقيل انها طلبت منه أن يسجد له الناس كما كانوا يسجدون « للذريق » فجعل للحجرة التى يجلس فيها بابا منخفضا يضطر من دخله أن ينحنى ، واعتبر هذا الانحناء ركوعا ترضى به زوجه الحسناء .

ومهما يكن من مبالغات هذه الأحاديث فانا نجد آثار هذا الخضوع للمرأة الأندلسية باديا لدى غير عبد العزيز ، فقد بنى عبدالرحمن الناصر مدينة الزهراء وسماها باسم حظية له ، ويقال أنه استخدم فيها

عشرة آلاف عامل عملوا طوال خمسة وعشرين عاما ، ويقال ان المعتمد بن عباد تسمى بهذا الاسم من أجل زوجه « اعتماد » ومن أجلها بناتها أنشأ فى بيته بحيرة فرش جوانبها بالكافور وعجنه بماء الورد، ومشين فى عجينته حافيات ، كل ذلك لأنها رأت بعض الخادمات يمشين فى وحل الشارع فأعجبها بياض سيقانهن وأرادت محاكاتهن ، ولم يرض الملك لها ولبناته ذلك فعمل ما ذكرنا .

أما المرأة الأندلسية فعملت من قبلها على رفع مكانتها فى عيون الرجال ، تعلمت الشعر والغناء والموسيقى والرقص ، وبالغت فى التجمل وتزيين نفسها ، وغصت بهؤلاء الفواتن قصور الخلفاء وبيوت الأثرياء ، وكان وجودهن عاملا على زرع الضغائن والأحقاد فى البيوت وبين الناشئة ، ومن عوامل الضعف فى الدولة بوجه عام .

ونلمح من هذا التأديب أثر البيئة الأوروبية ، كما أن الأندلسيين زينوا بعض مساجدهم بالصور ، وهذا ما لم يوجد فى مساجد الشرق ويروى أن مسجد قرطبة الكبير كانت بعض عمده تحمل صورا ، منها غراب نوح، ومنها عصا موسى ، ومنها الكهف الذى ذكر فى القرآن وصور أهله وكلبهم ، وهذا كله تأثر بالمسيحية ولا ريب .

وكان الأندلسيون عارى الرؤوس لا يلبسون العمائم الا قليلا منهم ، بينما كانت العمائم حتمية لدى الشرقيين ، وكشف الرأس مما يعاقب به الحكام ، ويبدو أيضا أن هذه مما تأثروا به من حياة الأوروبيين ، ولعل كثرة الأجناس فى أسبانيا مما هون على سكانها تغيير عاداتهم وهيأ لهم أن يتقبلوا من مظاهر الحياة الاجتماعية كل ما راقهم ، وهذا على نحو ما نجد لدى الأمريكيين ، فهم شعب ناشىء وأجناس طارئة لا تتقيد بعادات خاصة .

ومع أن اللغة العربية انتشرت فى الأندلس بسرعة ، لم تستطع أن تمحو لغة البلاد الأصلية وهى اللاتينية ، ولكنها تراجعت وانكمشت فى الأديرة والكنائس ، وبقيت للأسواق لغة دارجة سميت « لطينية الأندلس » ، وكان العرب يستعملونها أيضا فى

حياتهم العامة ويتعلمها حكامهم وغير حكامها ، ويبدو أن شيوع هذه اللغة مما سهل شيوع الموشحات والزجل وهيأ لظهورهما هناك والمعروف الآن أن الزجل العامى نشأ قبل الموشحات ، فكان ظهوره استجابة لذوق العامة الذين لا يفهمون الفصحى ، ثم ارتفع الشعراء الى شيء وسط يشبه الزجل فى لجهته وموسيقاه ولكن ألفاظه فصيحة معربة ، وهذا النوع من الشعر ترك فى الأدب الأوروبى آثارا واسعة • وقد برز فيه الشاعر الفكه « ابن قزمان » ، وديوانه الباقى الى الآن يدل على مدى شيوع الألفاظ الأندلسية فى لغة العرب ، ونحن لا نستطيع الآن أن نفهم معانى شعره لكثرة ما فيها من الألفاظ الغامضة الدخيلة ، وما يحويه من فحش وعبث يصور لنا جانبا من حياة الأندلسيين وما كان فيها من ضعف وانحلال •

واذا كانت اللغة الفصحى قد عجزت عن استئصال اللغة المحلية ، فمما لا ريب فيه أن الجيل المولد الناشيء من الاماء الأوروبيات والعرب كان من أسباب شيوع العامية ورواجها ، ولشيوع العامية يعزى صعوبة الاعراب على الأندلسيين فى كلامهم حتى أن أبا على الشلوبينى — وهو من كبار النحاة كان لحانة لا يستطيع النطق بعربية فصيحة ، وكانت صعبة على لسانه لا يكاد يبينها •

ونعنى بهذا كله أنه كان هناك تبادل مشترك فى التأثير والتأثر وأن الأسبانيين لم يكونوا كالمصريين مثلا مسالمين أو مستسلمين ولكنهم خالطوا المسلمين على دخن ، وانضووا تحت لوائهم وهم يضمرون لهم الكيد والضغينة ، حقا ان الأكثرية منهم اعتنقوا الاسلام عن ايمان وعقيدة ، وآثروا العربية وحفظوا القرآن سواء فى ذلك نساؤهم ورجالهم حتى انه كان فى قرطبة وحدها مائة وخمسون امرأة تعلم القرآن الكريم ، لكن الجسم يعتل بدخول بعض الجراثيم فيه ، وهذه الجراثيم تكمن فى الجسم وتخفى طالما كان هذا الجسم قويا ، فاذا ضعف وهزل لسبب ما ، استشرت الجراثيم وفشت

حتى تفتك به وتورده حتفه ، وكذلك كان شأن هؤلاء ، وكان فيما وراء جبال قشتالة رقعة ضيقة لم يفتحها العرب ، وكان سكانها من بدو الأسبان ذوى الخشونة والبأس ، هؤلاء ظلوا يتربصون بالمسلمين دوائر السوء ويعملون على كيدهم واستطلاع أسرارهم ، فلما أحسوا أن الضعف بدأ يدب فى كيانهم أخذوا هم يستقطعون من البلاد الاسلامية ما يتاح لهم استقطاعه ، فظلت معاقل المسلمين تنهار واحدة تلو الأخرى حتى كانت أشبيلية آخر معاقل المسلمين سقوطا •

وقد استعان مسلموا أسبانيا بأخوتهم من مسلمى افريقية ولم يبخل عليهم هؤلاء بما يستطيعون لكن الخطر كان قد تفاقم وكان العرب يحملون معهم داءهم المستمر المستحكم ، وهو شدة التنافس والرغبة فى الرياسة والتعالى ، فكان ذلك يفت فى عضدهم • ويوهن من قوتهم ، بينما كان عدوهم يعمل بجهد وقوة ، حتى استطاع آخر الأمر أن يستأصلهم ويزيلهم من بلاده •

وكان طرد المسلمين من أسبانيا أول نصر حاسم للأوروبيين عليهم ، وقبل ذلك أراد شارلمان أن يغزوهم فلم يستطع ، ويقال ان الخليفة هرون الرشيد هو الذى حرضه على هذا الغزو ، أما معركة شارل مارتيل ، فكانت ردا للعرب لا هجوما عليهم ، ولكن « صقلية » التى فتحت بعد الأندلس كانت قد سقطت أيضا قبلها •

من هذا نرى أن الصلة بين الأوروبيين والمسلمين ـ كانت صلة عداء مستحكم ، وقد ظهرت آثار هذا العداء فى معاملة الأسبانيين من بقى من العرب ببلادهم ، ولم يكن ذلك عداء للعرب ولكنه كان عداء للاسلام لأنهم أرغموهم على التنصر ، وظلت مساجد المسلمين طوال هذا التاريخ مغلقة معطلة ، ولم يسمح لشخص ما أن يعتنق غير المسيحية الكاثوليكية حتى بدت نزعة تسامح ضيقة منذ عام واحد تقريبا •

وبقى أن نعرف مدى استفادة أوروبا كلها وليس أسبانيا فقط من وجود المسلمين هناك •

د : عبد الجليل شلبى

أين الله ؟

انه شاب عربى اعتنق الشيوعية وأخلص لها ، فكوفىء على ذلك باختياره فى بعثة دراسية على نفقة الاتحاد السوفيتي الى دولة من دوله، وبقى فيها خمس سنين ، وأتم دراسته وحصل على « الدكتوراه » فى فنه ، ولكنه خرج منها هاربا بعد أن كفر بالشيوعية أشد الكفران ، حتى أنه فى أول ورقة رسمية قدمت له على حدود الدولة التى هرب اليها ، كتب تاريخ يوم هروبه مكان تاريخ الميلاد .

حدثنى هذا الشاب فى أمور كثيرة .

حدثنى عن قصة اتصاله بالشيوعية ، وكيف تطورت صلته بها ، أو صلتها به ، حتى كفر بالله وبالأديان ، وكيف أنه تعلم فى « تكنيك » الدعاية ــ بعد أن نضج فى فهم المذهب وأصبح من رجاله ــ ألا يهاجم دينا من الأديان ، بل أن يدخل المسجد ليصلى ، وهو كافر بالصلاة ، ليوهم المسلمين أن الشيوعية لا تنافى الاسلام . ومما قاله فى ذلك : اذا قال لك شيوعى أنه مسلم أو مسيحى فهو أحد اثنين : اما جاهل لم يفهم الشيوعية بعد ، واما شيوعى أصيل يجيد الفن كما كنت أجيده .

وحدثنى عن قصة حياته فى الدولة التى درس فيها ... عن أمله الذى ذهب به والفجيعة التى حطمت اعصابه وقال فى ذلك ان الشيوعيين فى طور الدعوة يصلون حسب مفاهيمهم الى ذروة من العنف فيما يسمونه النزعة الانسانية والكفاح المشترك

وانصاف الكادحين حتى اذا استولوا على الحكم وفشلو فى تحقيق أحلام الدعوة لم يتهموا انفسهم ولا فكرتهم ولكن يتهمون الشعب بعدم الوعى وبالرجعية المتأصلة ، فيكون من هذه الفلسفة حكم الارهاب الذى يشيع الجاسوسية حتى تتجسس المرأة على زوجها والابن على أبيه ، وحتى تكفى أقل همسة لتزج بك فى السجن دون محاكمة ، أو لترسلك الى المنفى أو ما يسمونه (معسكرات التصحيح) حيث ينكل بك أشد التنكيل دون رقيب • ويمكن لذلك كله النظام الاقتصادى المحكم الذى يجعل أعناق الأفراد جميعا فى يد الفئة الحاكمة فكلهم أجراء يمكن تجويعهم فى أية لحظة بينما تنعم المالشيا(عصابة العمال المسلحين) وضباط الجيش (لا الجنود) بامتيازات خاصة جزاء مايلقون من عنت فى ترويض الشعب الرجعى الجاهل •

وسرد على فى كل ذلك قصصا رآها بنفسه ، وقال : لوكنت مسؤولا لما حاربت الشيوعية بالحديد والنار فان ذلك يقويها ولا كتفيت بارسال المتحمسين لها الى هناك ليعيشوا كما عشت •

ثم كان آخر ما قاله لقد جئت اليك اليوم يا أخى لشىء هو أهم عندى من ذلك كله جئتك بنفسى التى كفرت بالله هذه السنين الطوال وأصبحت صدئة حائرة لا تجد النور •• فخذ بيدى يا أخى الى الله •

ش • ع

دعاء

يارب تظاهرت على منك النعم ، وتداركت منى الذنوب ، فلك الحمد على النعم التى تظاهرت واستغفرك للذنوب التى تداركت .

يارب أمسيت عن عذابى غنيا وأصبحت الى رحمتك فقيرا .

اللهم انى أسألك نجاح الامل عند انقطاع الأجل .

اللهم اجعل خير عملى ما ولى أجلى .

اللهم اجعلنى من الذين اذا أعطيتهم شكروا ، واذا ابتليتهم صبروا ، واذا ذكرتهم ذكروا .

البخارى المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعى

— ١٧ —

لست علم الله — ممن يسارعون الى الحكم على أى امرىء بالمروق والزندقة والخروج من الملة لمجرد رأى اجتهده فاشتط ، أو أصيب بلوثة من الشطحات الباطنية التى لا يسوغ فى صريح المنقول قبولها .

ولكن — والأمر ليس بيدى — بل انه مطروح برمته بين يدى ذوى الحجى ، وفى ساحة أولى النهى فليروا فيه رأيهم ، وليحكموا حكمهم فان كان صاحب هذه الترهات الملعنة، والخرافات المقيتة لا يزال على مكان يربطه بهذا الدين خيط من خيوط العنكبوت — ولا أغلظ منه — فليدلونى على هذا الخيط حتى أمسك عن القول بردة هذه العظاية (١) ، وعضرفوطها (٢) الكبير المدعو أبو رية .

١ — فهذه (ماء زمزم مكان للقاذورات ومباءة للحشرات والهوام ومسقط للدلاء النجسة) (ماء زمزم الملوث بكل شىء) ص ١٣٦

٢ — ان درجة النبوة اكتسابية ، والا عد الرسول كالدمية يتحرك كما يشاء له غيره — وهو الله تعالى طبعا — لا كما يشاء هو بارادته واستقلاله حتى يستحق أن يمنح الرسالة ، لأنه لو كان الأمر كذلك لكان أحقر مسلم أفضل منه والقول

---

(١) العظاية واحدة العظاء ، و هى الوزغة أو ما يسمى بالعامية (السحلية) .

(٢) العضرفوط : كبير العظاء .

بأن النبى خلق نبيا وحشى صدره بالحكمة وأنه مفطور على العصمة عار وأى عار !!! ص ١٣٧ .

٣ ــ العروج الى السماء هو لقاء تم بين النبى وبين جبريل فى مكان ما على الأرض ، وليس هناك صعود ولا هبوط ولا عروج بمعناه الحقيقى ، كما ورد فى القرآن والسنة ، واذا كان الاسراء الأرضى أمرا غريبا بل شديد الغرابة فكيف بالعروج الى السماوات ص ١٣٨

٤ ــ انكار فرضية الصلوات فى ليلة الاسراء ، وتردد النبى بين موسى وربه مستشهدا بكلام عبد الكريم الخطيب ص ١٣٩

٥ ــ كيف يسمع النبى صريف الأقلام ، وهل للأقلام صريف ؟ واذا كان لها صريف كانت أقلاما بدائية ليست من الباركر والشيفرز ، وانما هى من الغاب أو البسط الردىء وهذه أشجار لا تزرع فى السماوات ص ١٤١

٦ ــ كيف يكون للسماوات أبواب وهل خشى الله سطو اللصوص عليها أو فرار أحد من سكانها الى آفاق أخرى ؟ ص ١٤٢

٧ ــ كيف يكون للجنة أبواب وللنار أبواب ؟ وهما لم تخلقا الى اليوم وان كانتا قد خلقتا فهل خاف الله أن يقتحم الجنة بعض من لا يستحق دخولها فيحتلها وينعم بخيراتها ؟ أو يهرب سكان جهنم فكان أن أوصدها عليهم حيث لا مهرب من ساحتها ؟ ص ١٤٢

٨ ــ ليس هناك شىء اسمه بركة فى الطعام حدث على يده صلى الله عليه وسلم ــ وليلاحظ القارىء أننا نسوق التصلية من عندنا لأن الكتاب المشبوه خلا من أوله الى آخره من شيئين : خلا من بسم الله الرحمن الرحيم ، لا فى مقدمته ولا فى خاتمته ولا فى أبوابه لأنها دخيلة على الاسلام وهى من الاسرائيليات ، لأنه جاء ليطهر كتب الاسلام من الاسرائيليات فبدأ بنفسه فطهر كتابه من بسم الله الرحمن الرحيم كما فعل ذلك فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فالنبى صلى الله عليه وسلم اسمه (ص) اسم النبى صاد ، وهكذا لا يوجد فى هذا المنشور الخبيث

الا (النبى صـاد) ولا أدرى من صاد هذا ؟ وسبحان واهب العقول وسالبها ، وسـالب الايمان وقاذف الكفران فى قلب من غضب عليـه ولعنه وأعد له جهنم وساءت مصيرا

٩ ـ لا يمـكن للنبى أن يـرى الشيطان ولا أن يتغلب عليه ، وأنه لا سلطان لأحد من البشر على الجن سوى سليمان بن داود أما القـول بأن محمـدا له سلطـان على الجن فهذه اسرائيليات !!!

اللهم لا ترينا هذه الوجوه الكالحة حتى لا يدفعنا الغضب لدينك فنطوح بها عن كواهلها ، أو نلتمس فى أيدينا أسباب الردع والزجر لمن تجرد من عقله ودينه عامدا متعمدا على حـد تعبير امام السلفية ابن قيم الجوزية :

وما هو الا الحق أو حد مرهف
يقيم ظبـاه أخـدعى كل مائل
فهـذا شفاء الداء من كل عاقل
وهذا دواء الداء من كل جاهل

١٠ ـ انكار حديث ماجعل الامام الا ليؤتم به ، واتهامه بالاسرائيليات.

١١ ـ انـكار أن عمر بن الخطاب توسل بالعباس فى الاستسـقاء ولو صح لكان وثنية وردة من عمر ومن المسلمين ص ١٤٧

١٢ ـ انكار أن الله تعالى لا يغيث النـاس ولا يسقيهم بالصـالحين ، ولا بغير الصالحين وأن هذا كله من الاسرائيليات ص ١٤٨

١٣ ـ ليست عائشة أفضل من النساء ولا فاطمة والا كانت هنـاك محسوبية أقام النبى (صاد) دولتها وهيج قرمهـا ، والنبى (صـاد) لا يعرف الأفضل من المفضول ولا يوحى اليه بشىء من هذا ص ١٤٩

١٤ ـ النبى لم يشـفع لعمـه أبى طالب ولم يخفف عنه العـذاب بهذه الشفاعة ، وبمقتضى الفهلوة ، والفهم الفهلاوى تكون هذه الأحاديث كلها اسرائيليـات (ومن لا يعجبـه فليشرب البحر)

١٥ ـ كيف يبكى موسى ليلـة المعراج من كثرة أمة محمد وقلة أمة بنى اسرائيل ، وكيف أدرك موسى أن أمة محمد أكثر عددا من أمته ؟ أن هذا

الفهلاو ومن اتبعه من أهل الفهلوة يقولون : لا ، من الذى عرفنا ؟ وهل كنا أعددنا كشوف حصر بتعداد كل من الأمتين ، ولماذا لا يكون بنو اسرائيل رغم أنهم قد احتشدوا فى مكان أو مكانين فى الدنيا أكثر من أمة محمد التى تمتد على مدى امتداد خطوط العرض والطول فى قارات الأرض جميعا .

ان الفهم الفهلاو الأصيل النابع من كركرة بعض ثمار جوز الهند فى زقاق مظلم من أزقة الاسكندرية وبشدة التأمل فى هذا الدخان الأزرق الذى يتصاعد من الكرسى يمكن الحكم جزما بأن بنى اسرائيل أكثر عددا من أمة محمد ص ١٥٢

١٦ — ان بطن النبى (صاد) مستودع للبصاق — هكذا يكون التخريج والايضاح — فلماذا يترك النبى (صاد) المسلمين جائعين مادام بصاقه يكثر الطعام فتكون بطنه مخازن تموين مثل شونة الخواجة خريمة فى الاسكندرية (وطبعا التشبيه بالشونة مستمد من عبارة مستودع بصاق) الذى شاء له أدبه وأصالته الرفيع أن يعبر به عن نبى المسلمين الذى يزعم بوقاحة عجيبة أنه منهم .

١٧ — كيف يشرب الصحابة ماء وضوئه (صاد) أليس هذا من الوثنية والاسرائيليات المدسوسة على الاسلام ، لأن ماء وضوئه يسمى عند هذا الفهلاو فضلات وبقايا) وأنها ملوثة بالمكروبات والجراثيم ص ١٥٨

١٨ — أبو هريرة أسلم وعمره سبعة أعوام وتوفى النبى صاد وعمره عشر سنين (أى والله) هذا كلام مطبوع فيما يشبه الكتب وفى ص ١٥٩ وأنه عاش بعد النبى صاد سبعة وأربعين سنة — مات أهل الحياء — حكمة تسمعها ولا تتحققها الا فى مثل هذه المواقف الحرجة وكأن أبا هريرة كان من أهل الصفة وهو حدث لم يبلغ الحلم .

١٩ — الله لا يستطيع أن يخلق أناسا يكمل بهم سكانها وساحاتها « أى الجنة » ص ١٦٣ لأنه حينئذ يكون كالترزى الذى يخيط الجلباب واسعا على الزبون ، والله قد خلق الجنة على قدر الزبائن ص ١٦٣ ، ١٦٤

٢٠ ـ القول بنزول عيسى فى آخر الزمان يسلب النبى (صاد) خاتميته للأنبياء ، وعلى هذا فلن ينزل عيسى ولن يظهر الدجال ، وانما الدجال هذا هو كل من ألف كتابا ضالا أوبث تخريفا وتحريفا وزندقة نجمت عن رؤوس حشيت بكل كريه عفن ص ١٦٦

٢١ ـ انكار حنين الجذع الذى شهده جمهرة من الصحابة فوق مستوى الشبهات رضى الله عنهم أجمعين كجابر بن عبد الله وغيره •

٢٢ ـ الرقيا بفاتحة الكتاب من الاسرائيليات وانكار حديث أبى سعيد الخدرى وغيره •

٢٣ ـ انكار حديث المقترض الذى ألقى بالدين فى خشبة عبرت البحر والتقطها الدائن مع ذهاب المدين ليوفى الدين مرة أخرى •

٢٤ ـ انكارأن آية الكرسى تحصن قارئها من الشيطان ص ١٧٦

٢٥ ـ كيف يجلس موسى على يمين الرب على العرش يوم القيامة (ولا أدرى من أين أتى بهذه الفرية) ولكن انحطاط الأخلاق يصل بصاحبه الى حد الاختلاق على النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى البخارى والقول على المسلمين بما لم يقل به أحد فسأل الله السلامة والعافية •

٢٦ ـ انكار حد الرجم وأن الله تعالى لم يشرع الرجم ولم يشرع التغريب ولم يشرع غير جلد المائة للبكر والثيب والقول بالرجم من الاسرائيليات !

٢٧ ـ نزول الله تعالى الى السماء الدنيا فى كل ليلة فيقول: هل من مستغفر فأغفر له هل من تائب فأتوب عليه الى آخر هذا الحديث من الاسرائيليات ولا تأويل ولا فهم ولا يحزنون •

٢٨ ـ انكار ماحدث بين ملك الموت وموسى عليه السلام عند موته مما أزحنا شبهاته •

٢٩ ـ انكار الانابة فى الحج أو أى عبادة أخرى ص ١٩٠

٣٠ ـ انكار أن المدينة لا يدخلها الطاعون ، ولا الدجال وأن هذا من الاسرائيليات •

٣١ ـ انكار أن يكون للجنة باب للصائمين اسمه الريان •

٣٢ ـ انكار أن الشياطين تصفد فى رمضان •

٣٣ ـ التهكم بالبراق وتسميته بالدابة السيسى وادعائه أنه صعد به الى السماوات ناسبا هذا المعراج بالسيسى الى البخارى وانكار التقائه بالأنبياء ص ٣٠٩

٣٤ ـ ان أبا هريرة كان قليل الأدب لا وفاء عنده ولاحياء ص ٥٩ ، ٦٠ نقلا عن عضرفوطه ، أبى ريه •

٣٥ ـ ان أنس بن مالك اختلط فى آخر عمره والله أعلم بنيته وقصده (يريد أن ينزع الثقة من نفس المسلم بخادم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقرب الناس له أكثرهم له عشرة وكأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يستطع أن يؤثر حتى فى خادمه ليكون صادقا) ص ٦١ نقلا عن العضرفوط أبى رية •

٣٦ ـ انكار حديث « لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق الى آخره » ص ٥٧

٣٧ ـ معاوية بن أبى سفيان يضع الأحاديث على النبى ص ٤٥

٣٨ ـ تناقض الصحابة فى روايتهم عن النبى الى غير ذلك مما تناولناه بالتفنيد وما سنتناوله ان شاء الله •

أيها القارىء ان ماسقناه آنفا هو بعض العظائم التى رددنا عليها فى مقالاتنا وبحوثنا السابقة ، وان بقية تفنيد العظائم الجسام سيأتى فى بحوثنا اللاحقة ، وانما أردنا بسوق هذه الخلاصة للشبهات التى عالجناها **ورددنا مفترياتها أن يكون مانسوقه مما يثير العجب العجاب من أسباب الترفيه فى لحظات الصوم فيشغل الصائم ـ لاسيما وأن ممن يقبل الله تبارك وتعالى دعاءهم الصائم حتى يفطر ـ بالدعاء الى الله تعالى أن يهدى كل ضال ، ويرد كل شارد الى الصواب ، والسداد ، وأن يقينا سوء** الخاتمة ووخامة العاقبة ، وفساد العقيدة ، والى العدد القادم ان شاء الله •

محمد نجيب المطيعى

الشيخ عبد الرحيم فودة
المفكر الإسلامى

للأستاذ السيد حسن قرون

— ٢ —

هناك عالم اسلامى ، وهناك مفكر اسلامى،ولكل منهما مجاله وعطاؤه، وتسألنى عن مميزات هذا وذاك ، والأمر كما هو معهود لايحتاج الى كثير من التأمل وكشف الفروق والمعطيات ؟ فالعالم الاسلامى غالبا انسان تخصص فى الشريعة ، وأطال النظر فى الكتاب والسنة ، وما جاء نتيجة لهما من العلوم كالتفسير وتمحيص الأحاديث وبيان الصحيح وغير الصحيح وكأصول الفقه الذى ظهر على يد الامام الشافعى ، ولكنه قد قيد نفسه بما حصله من كل أولئك ، فهو يردد أقوال من سبقوه من أصحاب المذاهب الفقهية ، ويتعرض لشرح الآى أو الأحاديث فى ضوء ما فهمه وعنى نفسه فيه من الشراح وعلى طريقتهم من الاعراب وقضايا علوم البلاغة،وينشرح صدره حين يستطيع أن يوصل ما عنده الى طلابه أو سامعيه ، وانى لأذكر لأول عهدى بطلب العلم فى العقد الثالث من قرننا هذا أن شيخ المعهد كان يعلن:أنه لوضاع مذهب مالك لجمعه من صدره ، وهو جهد يشكر عليه ويثاب على نيته فيه، ولكنه لا يعد مفكرا اسلاميا ؟ لأن المفكر الاسلامى يجمع الى التجرد للعلم والتبحر فيه بعث الحركة فى الدين ، وجلاء ما خفى على معاصريه حتى ليعدونه مجددا ، وهو دائما يتطلع الى آفاق بعيدة ، فيه من القلق والتوتر ما يدفعه الى منازلة خصومه بروح البطل الواثق بنفسه وسلاحه ، وله من دينه السمح وكتابه المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، وما سنه الرسول ، وما

رواه عن السلف الصالح ذخيرة يغلب بها المكابرين ، ويدحض بها حجج المناهضين سواء فى دائرته الضيقة بين مريديه أو دائرته الواسعة فى دوائر الفكر على اختلاف أمكنتها ونظمها وأديانها ، ولا يلتفت الى قولهم : ان باب الاجتهاد قد سد ، فالعقول التى وهبها الله للمتقدمين لايضن بها على المتأخرين ، ومشاهد لنا فى محيط العلم أنه يتقدم من جيل الى جيل حسب الأيام والأعوام ، والقرآن الكريم لا تنقضى عجائبه ، ولم يصل فيه أحد من المفسرين الى تفسير يقال فيه انه وصل الى مراد الله فيه ، وكلما نضجت العقول ، وتفتحت الأفهام أتت بجديد ، ولكل عصر أعلامه ، ومن الموروث لدينا أن لكل قرن علمه الذى يجدد ويبعث الحياة فى النفوس والقلوب والعقول فيعود الاهتمام بالشريعة ، ويقبل الناس على العبادة ، وينهض الناهضون للذود عنه ، والموت فى سبيله بعيدين عن الأوهام والخرافات ، وكأنهم قد عادوا الى صدر الاسلام بايمانهم القوى ، وقدوتهم الرائدة ، وفى عصرنا هذا ظهر مفكرون كان لهم الأثر الطيب ، والمنهج الحميد فى الاصلاح : من العقيدة الى الاشتراك فى صنع التاريخ ، ولهم جدهم وتجديدهم فى التأليف والتعريف بما يفيد ويدعو الى التطلع للمزيد منه ، وفرق كبير بين طريقة (الخريدة) ومنهج (رسالة التوحيد) للامام محمد عبده ، فالأولى (أكاديمة) والثانية تصلح للدرس كما تصلح للنشر يقرؤها المتخصص وغيره فتنير للجميع ، وتعمق العقيدة فى كل من قرأها أو درسها أو سمع الحوار حولها .

وأين موضع الشيخ عبد الرحيم فودة من هذين الصنفين ؟ وأنا لا أتكلف الاجابة عن هذا السؤال ، ولكنى أحاول أن أضعه فى موضعه ، كان الشيخ فودة يسر سرورا عظيما حين يجد من طلابه تقبلا لأرائه فى الكتاب الذى يدرسه لهم ، ولكنه فى الوقت نفسه يريد أن يرى نفسه فى مجتمعه وأمته موجها يهدى سواء السبيل ، ومن هنا ظهرت له مقالات فى الصحف تحت عنوان « مع الناس » أو « السلام عليكم » وهى تشير الى أنه لا يكتفى بدروسه بين

طلابه ، ولا بالكتاب المقرر عليهم ، فدائرته أوسع ، وحبه لدينه ولأمته ولخير الناس جميعا كل أولئك يتطلب منه أن ينظر قريبا وبعيدا حتى ينير الطريق للسالكين ما وجد الى ذلك سبيلا ، وله قدوة فيمن أحبهم وعرف فضلهم ، واستبانت له طرائقهم فى فهم الدين والحياة ، وانك لتعجب اذا رأيته يتخذ من الشيخ الدردير (١) مثله الأعلى ، فالرجل مع علمه الواسع ، وتفرغه لدرسه فى صحن الأزهر كان لا يسكت عن ظلم يقع على الشعب فيخرج مع المظلومين الى الحاكمين ليرد ذلك الظلم ، ويزيل الغصة التى علقت بمن وقع عليهم الظلم ، واعجابه بالشيخ المراغى وأستاذه محمد عبده يسلكه فى صفوف المفكرين ، ولقد صاح فى شبابه نحن جنود المراغى لا لطائفة غيره ، ومعنى هذا أنه رتب نفسه على أن يفكر ويكشف ، ويكون من جند الرحمن الذين يحاربون الطغيان والشيطان بالقلم واللسان ، وقد كان ، فما من قضية من قضايا الفكر أو قضايا المجتمع الا شارك فيه ، فرأيناه فى مجلسه وفى الاذاعة والتليفزيون وفى الصحف يبدى الرأى مؤمنا بما يقول ، واتخذ سبيل المصلح بجانب الرجل الدينى المفكر ، فهو يحاور ويكتب بروح بعيدة عن التعصب ، وتبنى الرأى المثير . وقد ظهرت فى هذا العصر مذاهب اقتصادية وعقلانية وفلسفية تقف من الدين الاسلامى موقفا عدائيا ، فكان على ذوى الرأى النير من العلماء المسلمين أن يبدو آراءهم المؤيدة بالبراهين حتى لا يضل شباب المسلمين ، ومن الأراء التى نهض الشيخ فودة للرد عليها ، وبيان الخطل فيها دعوة اسرائيل فى حقهم نحو فلسطين العربية ، فألف كتاب « العرب واليهود فى القرآن » وانك لتراه يقف موقف الذى يتحرى الحقيقة ويقول الصدق ، فمن كلامه فى هذا الكتاب عن منهجه : « وقد توخيت فى هذه الكلمة هذا الصراط

---

(١) عالم من علماء القرن الثامن عشر .

المستقيم ، وهذا النهج القويم ، فلم أمدح العرب لأنهم عرب ، ولم أذم اليهود لأنهم يهود ، وانما ذكرت بعض ما يمدح به العرب ، وما يذم به اليهود مستنبطا من كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ليعرف العرب واجبهم تجاه ربهم ، وواجبهم تجاه عدوهم ، وواجبهم تجاه تاريخهم الذى شرفوا به ، وواجبهم نحو مصيرهم الذى أشرفوا عليه . » وانظر اليه كيف يبطل الأوهام الشائعة من تميز اليهود عن غيرهم بالمواهب العقلية وأن كثيرا من المخترعات الحديثة يقترن بأسماء علماء من اليهود ... كما يدفع وهم الواهم الذى يقول : ان العقل الآرى يمتاز عن العقل السامى بخصائص العمق فى البحث والاستقراء .. وأن العقل السامى سطحى البحث ، ضحل القرار يقف عند ظواهر الأشياء ، فيقول : والصحيح أن كلتا الفكرتين مجرد زعم كاذب ، ووهم خاطىء وأن الظروف الاجتماعية ، والمادية ، والتوجيه العلمى ، والشعور بالحاجة وما الى ذلك من مختلف العوامل

هى التى تعمل على ايقاظ المواهب أو تعمل على اخمادها ، واطفاء نورها ، وقد عاش اليهود آلاف السنين قبل عصر النهضة الأوربية غارقين فى ظلام الجهل والذل دون أن ترى لهم أثرا أو خطرا ، وعاش الأوربيون كذلك آلاف السنين ذئابا ... والثابت الذى لاشك فيه أن هذه المنطقة من العالم عرفت الحضارات قبل أن يعرف أولئك وهؤلاء طريق الحياة» ويدحض نظرية الآرية وتميزها عن السامية بقوله : « هذه النظرية – ان صحت – تهدم مايقال عن مواهب اليهود ، لأنهم ساميون ، وان صح أن عقلية اليهود كما يقال كان ذلك دليلا على خطأ النظرية التى تشيد بالعقلية الآرية» وكان انتصار اسرائيل دافعا العرب والمسلمين أن يفكروا فى آيات (سورة الاسراء) التى تحدثت عن بنى اسرائيل ، وكذا الكلام فى قوله تعالى : «لتفسدن فى الأرض مرتين» واليك النص القرآنى وتعليق الشيخ فودة عليه وبيان الحقيقة فيه : قال تعالى : « وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد

أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا • ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا • ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وان أسأتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » •

وهنا ينبرى بكل فكره وبيانه ليجلو المراد من هذه الآيات ، فيبين الفساد فى بنى اسرائيل من أن الأبناء ائتمروا على أخيهم يوسف ليقتلوه ثم ألقوا به فى غيابة الجب ، وكذبوا على أبيهم ، وساق قصتهم حين جاء الى مصر ومعهم أبوهم ، وعاشوا فى مصر الى أن خرجوا ثم قال :

« ونخلص من ذلك بأن الفساد المراد من قوله تعالى « لتفسدن فى الأرض مرتين » ليس هو الفساد العام الذى عرف عنهم وعرفوا به فى كل طور من أطوار حياتهم ، وانما هو فساد كبير لا يقاس به غيره ، ولا يعد غيره معه فسادا ، ولهذا خصه الله بالذكر ، وأكد أنه سيحدث معهم مرتين يستفحل فيهما أمره وشره •

المرة الأولى : وينتهى فيها أمرهم وأمره بأن يسلط الله عليهم عبادا يشرفون بعبادته والانتساب اليه ، ويعرفون بقوة البأس والشدة ، فلا يجرؤ بنو اسرائيل على مقاومتهم أو مناهضتهم أو معارضتهم أو الوقوف فى سبيلهم ، بل يخلون لهم الطريق ليجوسوا خلال الديار ، وهذا ما تم فى عهد عمر ••• هذا الى أن الفرس وقتذاك كانوا مجوسا يعبدون النار وقوله تعالى ، « عبادا لنا » يشعر بأن المراد بهم المسلمون ؛ لأنهم الذين يعبدون الله وحده ••• ومما يؤكد ذلك قول الله بعد ذلك « أولو بأس شديد » فان هذا الوصف يذكرنا بقوله تعالى:«محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار» ويفهم من قوله «ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا » أن المراد بهم العرب المسلمون ؛ لأن اليهود لم تكن لهم كرة على الفرس ، ولم يعرف لهم موقف مع الفرس يفهم منه ذلك،وانما كانت الكرة على

العرب المسلمين بمعونة الاستعمار وجهود الصهيونية ، وهذا ما يشهد به واقعهم ، فقد كثرت أموالهم وكثر بنوهم واستطاعوا بحيلهم وأموالهم أن يخدعوا العالم ويشتروا الذمم حتى صاروا مع من ينفرون معهم ويظاهرونهم على حرب العرب والمسلمين أكثر نفيرا .

المرة الثانية : من الفساد الخطير هى ما فعله ويفعله بنو اسرائيل الآن، فقد استشرى شرهم،وتفاقم خطرهم، وأصبحوا مع دول الاستعمار حربا لاينطفىء لها أوار على كل القيم والفضائل الانسانية ، ومن ثم نلمح مصيرهم فيما يفهم من قوله تعالى :

« فاذا جاء وعد الأخرة ليسوءوا وجوهكم وليدخلوا المسجدكما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا » فان هذا يعنى أن الذين سلطهم الله عليهم فى المرة الأولى هم الذين سيسلطهم عليهم ويمكنهم منهم فى الثانية أو الآخرة؛لأن مرجع الضمير واحد وهو « عبادا لنا » أولى بأس شديد» ولكن مصيرهم فى هذه المرة سيكون السوء الذى تظهر آثاره على وجوههم،والخراب والدمار لديارهم، فان معنى التتبير الهلاك ومعنى «ليتبروا ما علوا » ليهلكوا ما يتمكنون منه ويتسلطون عليه ، وسيتمكن العرب والمسلمون ـ بعون الله ـ من رقابهم، ويدمرون بأسلحتهم،وبكل مايستطيعون من قوة كل ما بنوه فى الأرض السليبة التى وثبوا عليها كالذئاب الضارية فى حمى الاستعمار والصهيونية » .

واذا اتسم الأسلوب فى الآخر بالعنف ، فلأن الموقف يدعوه اليه ، ولأن من تصدوا لشرح هذه الآيات فى الاذاعة المرئية لم يتنبهوا الى ما كشفه وحققه .

ولما أخذت مصر بمبدأ الاشتراكية أبدى رأيه ، وألف فيها كتابه «الاشتراكية العربية فى ضوء الاسلام» ورآها لا تخرج عن الاطار الذى جاء به الاسلام ، « انها فيه تقوم على الايمان بالله خالق الجميع ورازق الجميع ، وعلى أن المال مال الله ، فيجب أن يوجد لخدمة الجميع وعلى أن المؤمنين اخوة فيجب أن يسودهم التضامن والتعاون» ويجعل هذا أساسا تقوم عليه الحياة الطيبة للفرد والجماعة والأمة «فليس المال ملكا خالصا للدولة

حتى تجور على الأفراد فتأكل جهودهم ، وتلغى وجودهم ، كما هو الشأن فى الشيوعية ، وليس ملكا خالصا للأفراد حتى يحق لهم احتجابه واختزانه ، أو استغلاله بطرق آثمة ووسائل ظالمة كما هو الشأن فى الرأسمالية ، انما هو ملك لله يأخذ منه الانسان بالوسائل التى شرعها الله ، كالعمل الصالح المثمر ، والارث أو الهبة ، والوصية ، وتأخذ منه الدولة بمقدار ما يعينها على تأمين حدودها وتأكيد وجودها وتيسير أسباب الخير والحياة الطيبة لبنيها فالملكية مشروعة فى الاسلام على أساس أنها ملكية نسبية ناقصة لا ملكية حقيقية تامة ، والضرر الخاص الذى يقع على بعض الأشخاص يجب أن يتحمل فى سبيل رفع الضرر العام كما هى القاعدة الشرعية » (١) وهكذا يبدى رأيه فيما يجد من نظم ، ولكن يرجع فى كل مايبديه الى التشريع الاسلامى حتى الاتحاد الاشتراكى يضعه فى دائرة الوحدة التى دعا اليها الاسلام « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها » ومن هنا حمل على الأحزاب ، وعد النزاع حول الخلافة الاسلامية والقتال حولها بداية الانحراف ، والحرية عنده مظهر القوة والكرامة والانسانية ، وليس من الحرية فى شىء الدعوة الى التبذل والتحلل والترويج للمذاهب المنحرفة ، كالوجودية مثلا ، ولا النقد المغرض الهدام للأوضاع والتقاليد الصالحة ، « ومن ثم كان علينا أن نحرر معنى الحرية حتى يخلص للمعانى الكريمة ، والحرية فى الديمقراطية الغربية منقوصة ، لأن حق المعارضة فى النقد والتوجيه يضع على ارادة الحكومة قيودا تحد من حريتها وارادتها .. فنلاحظ أنها فى الاسلام أوسع ؛ ذلك لأن الحكم فيه لله وحده يخضع له الحاكم والمحكوم ، فلا خضوع لارادة بشرية ، لأنهم يحكمون بما أنزل الله لا بارادتهم ، فاذا انحرفوا الى الحكم بالهوى والغرض والاستبداد

---

(١) الاشتراكية فى اطار الاسلام من الكتاب .

بالرأى فليس عليهم حق السمع والطاعة ، « ولا شك أن الديمقراطية تلتقى مع الاسلام فى مبدأ الشورى؛ فانه أصل من أصول الحكم فيه ، كما يفهم من قوله تعالى فى المؤمنين «وأمرهم شورى بينهم» وقوله لرسوله صلى الله عليه وسلم : « وشاورهم فى الأمر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين » .

وبهذا وغيره صار من المفكرين الذين ينظرون فى ضوء الاسلام الى ما ينفع المجتمع الاسلامى ويرفعه .

وفى السنوات الأخيرة رأيته يستدعى من الجهات الشعبية والرسمية ليحاضر ويستفتى ، « يتنقل بين سوهاج وأسيوط وبنى سويف والاسكندرية والزقازيق وسائر المحافظات » ، وفى كل مجتمع من هذه المجتمعات يتجلى بعلمه وايمانه وسلوكه فيجلو البصائر ، ويهدى من أراد الله هدايته ، وقد رأيت مكتبه فى مجلة الأزهر زاخرا بالوفود من السعودية ولبنان والسودان وغيرهم ممن جاءوا ليستفيدوا ويفيدوا ومورائده دائما الوصول الى الحقيقة ورضا الله .

لمحات من مؤلفاته

من عادة المؤلفين فى عصرنا الحاضر أن يجمع الكاتب مقالاته التى نشرها فى الصحف أو بعضها فى كتاب ، وأحيانا يعمد الى ما يكتبه فى موضوع ما فى فصول يضمها كتاب ثم يقدمه للمطبعة لينشره على القراء ، ولاسيما اذا كان من كتاب الصحف والمجلات ، وكاتبنا عبد الرحيم فودة سلك هذا المسلك ، فهو يجمع مقالاته التى نشرها فى الصحف وغيرها ويخرجها للناس كتابا له مقدمته واسمه أحيانا ، وأحيانا يتبع الطريقة الأخرى ، فيؤلف الكتاب كله ثم يدفعه الى المطبعة ليكون بعد فى أيدى قرائه ، من ذلك كتاب «الاشتراكية العربية فى ضوء الاسلام» و « العرب واليهود فى القرآن » ومنهج المؤلف طبعى ، فهو يبدأ بالكليات ثم يتبعها بالجزئيات ، وهو ينمى بحوثه بروافد تغذى وتثرى ، فالعرب واليهود فى القرآن مثلا بدأ بالحديث عنهما ، ثم وازن بينهما مشيرا الى خصائص كل منهما بالموازنة ، ثم تحدث عن سيدنا ابراهيم وهو الجد الأكبر الذى يجمعهما ، ثم يتحدث عن خير بيت ، وخير يوم ،

وخير كتاب ، وخير نبى ، وخير أمة؟ فموضوعات الكتاب متصلة تجىء نتيجة حركة ذهنية واعية، وتجد فى الكتاب حديثا عن (قلعة العروبة) ويعنى بها مصر ، ولا جدال فى أن مصر من أمة وصفت بأنها خير أمة أخرجت للناس ، وجهدها للمسلمين معروف موصوف « قد احتملت فى دفاعها عن العروبة والاسلام مالم تحتمله أمة أخرى ؛ فكافحت فى كل ميدان، وضحت فى كل محنة ، وبذلت من دماء أبنائها، وأموال شبعها ما لا يفضله أو يعدله الا شرف ايمانها بالقيم التى كافحت فى سبيلها ، ونافحت عنها ، وقد امتد اشعاعها الفكرى والروحى الى كل اتجاه ، فحيثما أقام مسلم أو عربى فمصر فى قلبه وعقله ولسانه ؛ لأنها نداء دينه، ونور عقله، ولغة لسانه ... وذلك قول لاتمليه عاطفة وطنية ولا نزعة قومية ، وانما تمليه الحقيقة التاريخية ... » هكذا قال .

فاذا جئت الى مقالاته التى نشرت فى الصحف والمجلات وصارت مؤلفات تجد السمة الغالبة عليها هى منهجه فى الاجمال والتفصيل ، أو بتعبير موضح يتحدث عن البذرة ثم الشجرة ثم الفروع ثم الثمار، ولنأخذ كتابه « الدين عند الله » مثالا لما اتجه اليه فى تأليفه ، وهو يبصرك بالدخول من أبوابه بمفتاح يضعه بين يديك ، هو مقدمة الكتاب ، فيقول : « انه كتاب ، كل باب فيه خليق بكتاب ، ولكنه على ايجازه يصفه معالم الدين الذى ارتضاه الله ، ويكشف عن صلته بالمجتمع والحياة ، وقد وضعته على الترتيب الطبيعى الذى قام عليه الدين ، فتحدثت عن الوحى ... الخ » بل هو فى الحقيقة بدأ بما قبل الوحى ، فتناول معنى الدين ، وهداية الدين الى أن وصل الى الوحى والدين ، واذا جعلنا هذا جانبا فيمكننا أن نقسم الكتاب الى أقسام :

١ ـ أصل التشريع : الكتاب والسنة .

٢ ـ دعائم الاسلام : ويشمل الموضوعات الآتية : التوحيد ، اقامة الصلاة ، ايتاء الزكاة ، صوم رمضان، حج البيت .

٣ ـ الجهاد فى سبيل الله ويشمل جهاد النفس والأعداء وانفاق المال والصدقات والتكافل الاجتماعى •

٤ ـ مكارم الأخلاق : ويشمل الصدق ، وقوة العزم والحزم،والوفاء بالعهد ، وحسن الظن بالله وتربية الضمير ، والحرص على الكرامة •

٥ ـ بناء الأسرة : ويشمل الخطبة أولا ، والميثاق الغليظ ، ورياسة الأسرة ، وحسن التبعل ، وحسن التربية •

٦ ـ الدين والحياة : ويشمل المجتمع والحضارة والنظام والسلام ويسر الدين والاعتصام به ، والمواسم والأعياد والأسوة الحسنة •

٧ ـ ويختم الكتاب : بخاتم النبيين، وصلوا عليه وسلموا تسليما •

وهو بهذا لم يترك شأنا من شئون الدين الا تكلم عنه بروح المؤمن القوى الايمان ، والدارس المتعمق الحسن البيان ، صاحب الرأى ، الحصيف ، المستنير بهدى القرآن والسنة ، وهو يقدم اللغويات ويربطها بالاصلاحات مقارنا وموازنا ، له من القرآن أدلة واستشهاد ، ومن الأحاديث سند وملاذ ، ومن الشعر تأكيد ورشاد ، يقول فى « معنى التدين » يلتقى معنى الدين فى الاصطلاع الشرعى مع معناه فى اللغة ؛ فان معنى دانه يدينه ملكه أو حكمه أو ساسه مديره ، أو قهره أو حاسبه أو جازاه وكافأه ، ومعنى يوم الدين يوم الحساب والجزاء ، ويقال دان فلان لفلان بمعنى خضع له ، وخشع أمامه وأطاعه ، ودان فلان بكذا على معنى اعتقده واعتاده واتخذه مذهبا له • وهكذا نجد معنى الدين فى اللغة ومعناه فى الاصطلاح يتلاقيان على التزام ما شرعه الله من أحكام ، واليقين بأنه كما يقول تعالى « ألا له الخلق والأمر » وهو فى كثير من موضوعاته يذكر شيئا يوضح فكرته مما يراه الناس ويعرفونه ليصل بذلك الى تثبيت المفاهيم فى النفوس ، فحين تكلم عن « الحياة بعد الوفاة » قدم بين يدى فكرته مايعرفه الناس بالمشاهدة ليقيس عليه ما هو معلوم من الدين وهو غيب • قال : « قد يموت فى جسم الانسان عضو أو عدة أعضاء فيبقى كما هو

انسانا بكل سماته النفسية ،وخصائصه العقلية ، ثم هو ينام فيغمض عينيه ، ويفقد احساسه بما حوله ، فيرى فى نومه ما يسعد به أو يشقى فيه ... معناه أن فيه الانسان المدرك الذى لاينعدم بانعدام الجسد أو جزء منه» فاذا شرح هذا وألح فى الشرح وبينه بما مثل انتقل الى القرآن والحديث ليثبت تلك الحقيقة،وهو أن الانسان لا ينتهى بانتهاء الحياة ،، يقول الله تعالى : « يأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » ثم قد بين النبى ذلك حيث قال : « القبر اما روضة من رياض الجنة ، أو حفرة من حفر النار » ويأتى بأمثلة كثيرة ليؤيد رأيه مما جاء فى القرآن عن آل فرعون وعن الشهداء ، وحبيب النجار ويختم مقاله بشعر أبى العلاء :

خلق الناس للبقاء فضلت
أمة يحسبونهم للنفاد

انما ينقلون من دار أعما
ل الى دار شقوة أو رشاد

فهو فى صنيعه هذا يعطيك المشاهدة والغيب معا ، ويرفع عنك قسوة الأفكار والأدلة بذكر القصص والشعر .

وقد تناول القرآن الكريم فى موضوعات طريفة تدلك على علمه وسعة أفقه ، وتفكيره الاسلامى الذى يتخذ من النقل والعقل سبيله الى الاقناع ، ويذكر حوارا جرى بينه وبين محاوره فى عجز الناس عن الاتيان بسورة من مثله ، وفى قدرة الجن على ذلك ، فيورد الشيخ أدلة قاطعة تفحم هذا المحاور ، ومن طريف ما رد به : أن القرآن خير لا ذرة فيه من شر .. وكيف يستقيم منهجه مع خطة ابليس وجنوده وهى تقوم على الاضلال والاذلال والاغراء والاغواء ؟ ثم كيف يتصور ـ مع ايمان المؤمنين من الجن ـ أن ينسبوا الى الله ما ليس له ، ويفتروا عليه ما لم يقله ؟ ويلحق هذا بقوله تعالى: « وما تنزلت به الشياطين وما ينبغى لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون » وهو حوار ممتع لا أستطيع نقله كله هنا ، لأنى بسبيل ذكر ملامح من مؤلفاته ولمحات .

وقد يبدأ المقال بقصة ليجذب القارىء اليه،ويدعوه الى الاشتراك معه فى رأيه ، فهو فى مقاله « التكافل الاجتماعى » وهو موضوع دسم يحتاج الى بيان وبرهان ، يتخذ القصة سبيله الى جذب قارئه كما قدمنا : بدأ هكذا : رأى عمر بن الخطاب رضى الله عنه شيخا ضريرا يسأل على باب ، فلما علم أنه يهودى قال له : ما ألجأك الى ما أرى ؟ قال:الجزية والحاجة،والسن، فأخذ ــ رضى الله عنه ــ بيده وذهب به الى بيته فأعطاه ما يكفيه يومه ، وأرسل الى خازن المال يقول له : انظر هذا وضرباءه ، فو الله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم، انما الصدقات للفقراء والمساكين ، والفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب . ووضع عنه وعن ضربائه الجزية ، بهذه القصة يفسر التكافل الاجتماعى الذى عرفه الغرب لأول مرة فى القرن السابع عشر ... « وبهذا المدخل شرع فى تبيان ما يهدف اليه من بيان واجب الدولة نحو رعاية الفقراء والمرضى والشيوخ والعجزة ومن اليهم كالعمال الذين يصابون أثناء العمل ، ولا يفوته أبدا الاستئناس بالقرآن والحديث، وآراء الصحابة.

وهو كاتب عصرى يبعد عن المقدمات ، وفضول الكلام ، ويقصد الى ما يريد من أقرب طريق ، انظر معى مقال « التوكل على الله » كيف بدأه ؟ انه يرسل السهم ليصيب المحز ، لا يتأتى ولا يتعنى ، بدأه : « لكى نفهم معنى التوكل على الله حق الفهم ينبغى أن نعود بالكلمة الى الأصل الذى اشتقت منه ، لأنه يعين على فهمه فهما سليما ، فمعنى التوكل ...» وهنا يعرض المعنى اللغوى بايراد قول الراغب الأصفهانى ثم المقصود من التوكل وهو يكون بمجموع أمرين : الاعتماد على الله والثقة به ، ثم الأخذ بالأسباب والوسائل والعمل .

وهو يستخدم ما علمه مما درسه ؛ ليساعده على توصيل ما يريده الى الأذهان ، ففى مقال «الدين والحياة» يذكر ما علمه الزمخشرى فى عصره ، وما علمه هو من العلم الحديث ؛ فالزمخشرى تحدث عن بعض أنواع

الحيوانات الصغيرة ، فقال : وربما رأيت فى تضاعيف الكتاب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها ، فاذا سكنت فالسكون يواريها ، ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها ، وتجنبت مضرتها ، فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة ، ولعل من خلق الله ما هو أصغر منها وأصغر « سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون » ويقول الأستاذ فودة : ولو بعث الزمخشرى فى هذا العصر ، ورأى ما يكشف المجهر المكبر للناظر من ملايين الأحياء التى تجتمع فى قطرة ماء لاستعظم حجم الدويبة التى استصغرها ، ورأى أن الناظر اليها لا يراها على ورقة من كتاب الا حين تتحرك .. هذه الحياة التى يعرفها الجميع ويستوى فى الجهل بسرها الجميع ترجع الى مبدئها ومنشئها من العدم وهو الله جل شأنه .. غير أن مفهوم الحياة تطور حتى أصبح يفهم منه المعنى القابل للدين ، وتصور بعض الناس أن عمل الدين لا يكاد يتعدى علاقة الفرد بالله .. وهذا خطأ نشأ عن انحراف التفكير وغرور الانسان بما وصل اليه من العلم ولو عقل لتلا قول الله تعالى : «ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك» وهكذا يمزج القديم بالحديث ، ويرد العلم عن مطامحه ، ويضعه فى مكانه ، وأن ماوصل اليه لا يزال عند قول الله عز وجل : « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

واذا كان الايجاز سمة الكتاب كما ذكر فى المقدمة ، فهو ايجاز فى حجم كل موضوع لا فى حجم الكتاب فقد بلغت صفحات الكتاب (٣٨٤) صفحة وقد أعطى عطاء كشف عن معالم الدين وأصول تشريعاته ، وجال وصال فى كل ما يفيد المسلم ويهديه ، وهو بغية كل من أراد تفقها وتفهما لمعرفة واجب الانسان نحو ربه ونفسه ومجتمعه والانسانية جمعاء ، يستوى عنده المتخصص وغيره ، فيزيدهم علما وهداية .

ولمحات مؤلفاته لا تقف عند هذا الحد ، فقد يأتيك برأى كنت تبحث عنه ، وتريد الوقوف عليه من ذلك طلبك معرفة « الصلاة الوسطى »

التى خصها الله فى أمره : « حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين » وبعد أن بين فضلها وأنها الفضلى ، وخير الصلوات ، اذ خصها الله بالذكر تنويها بقدرها ، لنتحراها ، ونحافظ على أدائها ذكر عشرة أقوال فى بيان وقتها : قيل انها صلاة الظهر لأنها وسط النهار ، وقيل انها صلاة العصر لأنها تقع بين صلاتى نهار وصلاتى ليل ، وقيل انها المغرب لأنها متوسطة فى عدد الركعات بين الأربع والاثنتين وقيل انها صلاة العشاء لانها وسط بين صلاتين لا تقصران وهما المغرب والصبح ، وقيل : انها صلاة الصبح لأنها وسط بين صلاتين يجهر فيهما وهما المغرب والعشاء وصلاتين لا يجهر فيهما وهما الظهر والعصر . . ولكل قول وجهة وسند يعضده ويؤيده ومن هذه الأقوال أنها غير معينة ، وأن الله خبأها فى الصلوات كما خبأ ليلة القدر فى رمضان ، وكما خبأ ساعة فى يوم الجمعة وساعات فى الليل يستجاب فيهن الدعاء ؛ وذلك ليجتهد المؤمن ويحافظ على الصلوات كلها ، فيضمن الصلاة الوسطى من بينها . ثم يعقب برأى يحسن الاعتماد عليه ، وأرجح الأقوال عنده أنها صلاة الجمعة لأمرين :

الأول : أنها تؤدى فى جماعة ، ويشترط فيها الخطبة .

الثانى : أن الله خصها بالذكر وأمر بالسعى اليها ، وحرم البيع ، وكل ما يشغل عنها ، ومع ذلك يقول كما يقول السلف ، والله أعلم بالمراد منها :

هذه بعض الملامح واللمحات فى تلك المؤلفات التى أذكر لك ما عندى منها .

١ ـ مشاعل على الطريق .

٢ ـ الاسلام والقومية العربية .

٣ ـ الاشتراكية العربية فى ضوء الاسلام .

٤ ـ قصة بنى اسرائيل .

٥ ـ من معانى القرآن .

٦ ـ العرب واليهود فى القرآن .

٧ ـ كلمات قرآنية .

٨ ـ أحاديث مختارة ١ ، ٢

٩ ـ شرح عبقريات العقاد .

وله كثير من المقالات الجادة فى الصحف والمجلات الاسلامية ومجلة الأزهر ، وديوان شعر طبعه فى صباه .

خاتمة

فى غرة ربيع الأول ١٣٩٦ هـ الموافق ٢ من مارس ١٩٧٦ م أسلم الروح ذلك المفكر الاسلامى الشيخ عبد الرحيم محمود فودة عن اثنين وستين عاما قضاها فى اسداء البر والخير ، والبحث والمعرفة ، وفى دراسة القرآن والسنة ، ونشر المعرفة والعرفان ، وبث الايمان فى النفوس ، واحياء القلوب ، حياة وجدانية وعقلية فى الذروة من الصفاء والنقاء واننا لنذكر أن آخر ما أدى أنه كتب مقالة فى جريدة الجمعة بالأخبار تحية للمولد النبوى الشريف بعنوان « مكانة النبى » فكانت آخر ما كتب ونرجو أن تعد فى حسنائه ، فينظر له الله بالقبول ، « واليه يرفع الكلم الطيب » وقد كتبت المقالة يوم الاثنين ، وشيعت جنازته يوم الثلاثاء .
ومن المرغوب فيه أن ننقل ذلك المقال فى مجلة الأزهر التى كان يديرها ، لأنها آخر ما سطر قلمه ، وناجى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان فى كتبه يختم بحوثه بالصلاة عليه فى عبارة أو مقالة ، وكذلك ختم حياته بالصلاة عليه وتحيته فى ذكرى مولده ، وبهذا الاعتبار نحن نضن بها ، ونحرص على نشرها فى المجلة التى أحبها ، وعاش لها وجعلها منارة للمسلمين ، تترجم عن أفكار الأزهريين وموقعهم من هداية أهل الاسلام فى الغرب والشرق ، وعن كل من أخلص لدينه ، واتبع رضوان الله ، واليك ذلك المقال ، قال كاتبا :

مكانة النبى ، انه عند المؤمنين كما يقول الله : « النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم » وفى ميزان الايمان كما يقول صلى الله عليه وسلم : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما » وفى ميزان الانسانية كما يقول الله له : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » وكما يقول الله : « يأيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » .

ورحم الله العقاد حين نظر الى هذا المعنى فقال : انه نقل قومه من عبادة الأوثان الى عبادة الله ، ونقل العالم كله من سكون الى حركة ، ومن فوضى الى نظام ، ومن مهانة حيوانية الى كرامة انسانية .

فاذا احتفل العرب والمسلمون بذكرى مولده فى هذا الشهر الأغر ، ليذكروا نعمة الله عليهم به ، واحسانه اليهم برسالته فذلك استجابة طبيعية لشعورهم نحوه ، وحبهم له ، وصلاتهم عليه، واقتدائهم به ؛ فانه كما يقول الله فيه : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » ولاشك أن الاحتفال بمولده يصلهم بسيرته العطرة ، وأخلاقه الكريمة ، وشريعته العظيمة ، ومن ثم كان تقليدا حميدا أن يستقبلوا شهر ربيع الأول بالفرح والأمل والاستبشار بالمستقبل ، فقد كان مولده كذلك بداية عهد جديد وطالع مستقبل سعيد ، وصلت فيه الأمة العربية الى القمة التى لم تصل اليها أمة ، وآلت اليها قيادة العالم فى كل شىء كان يعرفه العالم ، وصارت حضارتها هى المشعل الذى أضاء لأوربا طريق الخلاص من ظلام العصور الوسطى .

وكان ذلك هو التفسير الواقعى والتاريخى لقول الله فيه — صلى الله عليه وسلم — : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » صلى الله عليه، ووفقنا الى اتباع سننه ، والانتفاع بهديه .

رحم الله عبد الرحيم فودة بمقدار ما أدى لأمته فى كتبه وخطبه ومقالاته وأحاديثه ، وأفسح له فى جناته جزاء ايمانه وصلاته ، وطول عبادته ومناجاته ربه حين ينام الناس وتسكن الأحياء ، ولنا من كتاباته ما يجعله دائما معنا . وسلام على عبد الرحيم .

السيد حسن قرون

موضوعات البحث

١ — تمهيد .
٢ — وليد دنشواى .
٣ — الفتى الأزهرى .
٤ — الأديب الألمعى .
٥ — المفكر الاسلامى .
٦ — لمحات من مؤلفاته .
٧ — خاتمة .

تعقيبات على بعض ما ينشر ويذاع

للأستاذ على البولاقى

— ٨ —

الملائكة والجن ، والتزوج من الجن :

سئل (بريد الاسلام) باذاعة القرآن الكريم عن حكم التزوج من الجن ، فأحال السؤال الى عالم كبير ، فأجاب ، بأن لدينا أربعة مفهومات : الملائكة ، والانس ، والجن ، والشياطين . ثم قال : ان الشياطين اما من الجن ، واما من الانس ، فليسوا حقيقة رابعة . ثم قال : ان الجن هم المجتنون ، أى : المستترون عن أعيننا ، وهم الملائكة ، فليسوا حقيقة ثالثة سواء أكانوا من الشياطين المتمردين أم لا ، لأن العصيان والتى لا يخرج صاحبه عن طبيعته ، فكما أن شيطان الانس لا يخرج عن كونه انسانا كذلك شيطان الجن لا يخرج عن كونه من الجن والملائكة . ثم أراد أن يقرر للسامعين أن ما قاله من كون الجن هم الملائكة قد سبقه اليه المفسرون ، فنقل عن الزمخشرى صاحب الكشاف أنه قال فى قوله تعالى : « وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون » ١٥٨ الصافات — قال : الجنة هم الملائكة ، والمعنى : وجعل المشركون بين الله تعالى وبين الملائكة نسبا وولادة ، حيث قالوا : ان الملائكة بنات الله ، ولقد علمت الملائكة ان هؤلاء المشركين لمحضرون للعذاب يوم القيامة لشركهم وافترائهم على الله تعالى حيث نسبوا اليه الولادة وجعلوا الملائكة اناثا . وأخيرا تهكم الأستاذ بالسؤال عن التزوج بالجن بعد العلم بأن الجن هم الملائكة ، وأنه ليس هناك الا حقيقتان اثنتان : الملائكة ، والانس . انتهى بالمعنى .

(أقـول) لا تعقيب لى على أن الشياطين لا يعـدون حقيقة رابعـة ، فانهم فى الأصل المضلون من الجن ، وقد يراد منهم ، المضلون من الجن ، مجازا لأنهم يشبهونهم فى الاضـلال والوسوسة والتحريض على الفساد وتحسين القبيح وتقبيح الحسن وقد ذكر الشـيطان فى القـرآن الكريم ثمانيا وثمـانين مرة ولم يقصـد به شيطان الانس الا مرة واحدة ، وذلك فى قوله تعالى:«واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن » ١٤ البقرة وأريد به ما يشمل المضلين من الفـريقين مرة واحـدة ، وذلك فى قوله تعالى:« وكذلك جعلنا لكل نبى عـدوا شـياطين الانس والجن يوحى بعضـهم الى بعض زخـرف القـول غرورا » ١١٢ الأنعـام وفى المرات الست والثمانين الباقية قصد به شيطان الجن .

ولا تعقيب لى أيضا على أن لفظ الجن أو الجنة قـد يراد به الملائكة لاجتنانهم واستتارهم عن أعين الناس كما فى الآية السابقة الذكر ، ولعله ليس فى القـرآن الكريم آية سواها يذكر فيها الجان أو الجن أو الجنة بهـذا المعنى ، فقـد ذكر الجان فى القرآن الكريم سـبع مرات ، وكان بمعنى الحية مرتين ، وذلك فى قوله تعالى فى الآية العاشرة من سـورة النمل والحادية والثلاثين من سورة القصص(٣)«فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب » وفى المرات الخمس الأخـرى ذكر الجان بمعنى الجن الذى هـو نوع ثالث غـير المـلائكة والانس ، وفى القـرآن الكريم أيضـا ذكر لفظ الجنة عشر مرات : خمس منها بمعنى الجنون ، واثنتـان بمعنى الملائكة وثلاث بمعنى الجن الذى هو نوع ثالث كما سبق: فالآيات الخمس التى ذكـرت فيهـا كلمـة « جنـة » بمعنى « جنـون » أولاها قوله تعـالى فى آية ١٨٤ من سـورة الأعراف : « أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة » وباقيهـا آيتـا ٢٥ ، ٧٠ من سورة المؤمنون والآية الثامنة من سورة سبأ آية ٤٦ منها .

والآيات الثلاث التى ذكرت فيها الجنة بمعنى النوع الخاص هى قوله تعالى « وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين» ١١٩ هود فالشياطين والعصـاة منهم يعـذبون بالنـار ، وقوله تعـالى : ولـكن حق

القول منى لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » ١٣ السجدة ، وهى كسابقتها ، وقوله تعالى : « قل أعوذ برب الناس » الى قوله تعالى : « الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس» وهى كسابقتها ، فالوسواس هو بعض الجن وبعض الانس وهو الشيطان من الفريقين .

والآية التى ذكرت فيها الجنة مرتين بمعنى الملائكة هى آية الصافات التى سبق عن الكشاف ما قاله فيها ، وليس ما قاله بلازم ولا متعين فقد تكون الجنة فيها بمعنى المخلوقات المستنيرة التى هى غير الملائكة والانس ، وذلك أن المشركين الذين قالوا : الملائكة بنات الله قيل لهم : فمن أمهاتهم ؟ فقالوا : سروات الجن ،» بفتح السين والراء) أى الشريفات من الجن فزعموا مزاعم كاذبة : منها أن الملائكة اناث وأنهم منسوبون الى الله بالبنوة والولادة وأن أمهاتهم من الجن وأن هذه الجن أزواج الله سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا وبهذا جعلوا بينه وبين الجن مصاهرة ، فالجنة فى الآية ليس معناها الملائكة وانما معناها النوع الثالث الخاص كما فى الآيات الثلاث السابقة .

وذكر لفظ « الجن » فى القرآن الكريم ثنتين وعشرين مرة ،، وقصد به النوع الخاص الذى ليس ملائكة ولا انسا ومن أدل الدلائل على مغايرتهم للملائكة قوله تعالى : «ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة : أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون » ٤٠و٤١ سبأ . فالملائكة يستنكرون أن المشركين كانوا يعبدونهم ويقررون أنهم كانوا يعبدون الجن ، وهذا صريح فى أن الملائكة غير الجن وأن الجن غير الملائكة ، وكذلك قوله تعالى حكاية عن الجن : « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا . وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا » ٨ و ٩ الجن. فالجن يقولون انهم كانوا يتسمعون من السماء ثم منعوا من التسمع ،

وليست هـذه صفة الملائكة فانهم لا حاجة بهم الى استراق السمع وهم يملئون السموات كما قال رسـول الله صـلى الله عليـه وسلم : « أطت السـماء وحق لها أن تئـط. ما فيها موضع أربع أصابع الا وعليه ملك واضع جبهته » رواه أحمـد وابن ماجه والحاكم عن أبى ذر مرفوعا ، ورواه الترمذى بلفظ « ملك ساجد لله تعـالى » .

(فان قيـل) : ان ابليس قـد استثنى من الملائكة ووصف بأنه من الجن ، فى قوله تعـالى : « واذ قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم ، فسجدوا الا ابليس كان من الجن » ٥٠ ــ الكهف . ومقتضى الاستثناء أنه من الملائكة ، فيكون من الملائكة ومن الجن ، ويصح قول القائل ان الجن هم الملائكة .

(قلنا) ان ابليس كان من الجن كما صرحت به الآية ، وقد وصف بالفسـق فى الآية نفسها ، ووصف أيضـا فى نفس الآية بأن له ذرية ، وذلك قوله تعالى : « كان من الجن ففسـق عن أمر ربه ؛ أفتتخـذونه وذريته أوليـاء من دونى وهم لكم عدو ؟ بئس للظالمين بدلا » والملائكة معصومون لا يعصون الله ما أمرهم وليسوا ذرية وليس لهـم ذرية فهم لايتناكحون ولا يتناسلون ولا يتصفون بأنوثة ولا ذكورة ، وفى الآية نفسها النهى عن اتخاذهم أولياء وبيان أنهم أعداء ، والملائـكة على العكس من ذلك ، فالناس مأمورون بموالاتهم ومنهيون عن معاداتهم ، قال تعـالى : « من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميـكال فان الله عـدو للكافرين » ٩٨ ــ البقرة وقال تعالى : « ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصـالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير » .

٤ ــ التحريم: والاستثناء لا يقتضى أن يكون ابليس من الملائكة حقيقة بل يكفى فى صحته أن يجمعه اللـه الى الملائكة لأمر ما ثم يأمر الملائكة بالسجود لآدم وهو حاضر معهم وأقل شأنا منهم فيعلم علم اليقين أنه مثلهم بل أولى منهم بالسجود ، ألا ترى أن الملك لو قال لوزرائه اذا رأيتم

فلانا فقوموا له وكان مع الوزراء بعض تابعيهم ــ فلا شك أن هؤلاء التابعين يعلمون أنهم مأمورون بالقيام بدلالة الخطاب وان لم يخاطبهم الملك خطابا مباشرا ، ويكونون عاصين اذا لم يقوموا ؟

على أن كلمة « الجن » فى الآية لا يمكن أن يراد بها الملائكة ، اذ لو وضع مكانها كلمة «الملائكة» لكانت هكذا « كان من الملائكة ففسق عن أمر ربه » ولا شك أن ترتيب الفسق على كونه من الملائكة يخالف ما هو معلوم بالضرورة من كرامة الملائكة وملازمتهم للطاعة ، وقد ذكرت كلمة «الملائكة» و «الملكين» و «الملك» فى القرآن الكريم ٨٨ مرة كعدد الشياطين ، ووصفوا بأوصاف تباعد بينهم وبين الجن أشواطا ، فهم لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتناسلون ولا يوصفون بأنوثة ولا ذكورة ، وهم معصومون عن الكفر والفسق والعصيان ، والجن يخالفونهم فى كل ذلك •

١ ــ أما أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون فلا خلاف فيه ، ومن أدلته أن الملائكة لما جاءوا ابراهيم عليه السلام قدم لهم عجلا سمينا مشويا ينقط الدهن منه فلما لم يأكلوا منه خاف أن يكونوا أهل عداوة وشر ، فقالوا له : انا رسل ربك أرسلنا الى قوم لوط ولو كانوا ممن يأكل ويشرب لما امتنعوا من الأكل على مائدة ابراهيم أبى الكرماء عليه السلام • اقرأ ان شئت قوله تعالى :

«ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما ، قال سلام ، فما لبث أن جاء بعجل حنيذ : فلما رأى أيديهم لاتصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة ، قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط » ٧٠ هود •

٢ ــ وأما أنهم لا يتصفون بأنوثة ولا ذكورة ولا يتناكحون ولا يتناسلون ، فلا خلاف فيه بين الأمة الاسلامية ، وقد نفى الله عز وجل عنهم الأنوثة التى زعمها بعض المشركين ، فقال تعالى : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا• أشهدوا خلقهم ؟ ، ستكتب شهادتهم ويسألون » ١٩ الزخرف • ويلزم من خلوهم من الاناث خلوهم من الذكور ، فان جهاز التناسل فى

الذكور لا بد أن يكون فى مقابلته جهاز تناسل أنثوى .

٣ ــ وأما أنهم معصومون عن الكفر والفسق والعصيان فلقوله تعالى : « عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » ٦ ــ التحريم . وقوله عز وجل: «وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون » . « لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون » « يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » ٢٦ ــ ٢٨ ــ الأنبياء . الى آيات كثيرة يطول الكلام بذكرها .

(فان قيل) اذا كانوا لا يعصون فكيف عصى ابليس وهو منهم وكيف علم الملكان الناس السحر وتعليم السحر حرام ؟

(قلنا) ان ابليس ليس منهم وانما كان معهم لأمر ما فكان مأمورا بالسجود لآدم كما سبق ، والملكان هاروت وماروت أنزلهما الله عز وجل لتعليم الناس السحر وتحذيرهم منه ، وهذا أمر أمرهما الله به فليس معصية ولا كفرا وانما هو ابتلاء من الله للناس كما يتعلمون الآن من العلوم ما يستطيعون به الافساد والاصلاح .

٤ ــ وأما أن الجن يأكلون ويشربون فله دلائل كثيرة فى السنة المطهرة ، فمن ذلك ما رواه مسلم وأبو داود عن علقمة قال : قلت لابن مسعود رضى الله عنه : هل صحب النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الجن أحد منكم قال : ما صحبه منا أحد ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه فى الأودية والشعاب فقلنا استطير أو أغتيل فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما أصبحنا اذا هو جاء من قبل حراء فقلنا يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم ، قال : « أتانى داعى الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن » قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم ، فسألوه الزاد فقال : « لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى أيديكم أوفر ما يكون لحما ، وكل

بعرة علف لدوابكم » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم» هذا لفظ الحديث فى كتاب مسلم ، والذى فى كتاب أبى داود: «كل عظم لم يذكر اسم الله عليه » وأكثر الأحاديث تدل على معنى رواية أبى داود ، وقال بعض العلماء رواية مسلم فى الجن المؤمنين والرواية الأخرى فى حق الشياطين ، وهذا الجمع مستبعد فان الذين سألوه هم المؤمنون .

ومن ذلك ما رواه ابن العربى بسنده عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال : بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نمشى اذ جاءت حية فقامت الى جنبه فأدنت فاها من أذنه وكأنها تناجيه ــ أو : نحو هذا ــ فقال النبى صلى الله عليه وسلم « نعم » فانصرفت . قال جابر : فسألته فأخبرنى أنه رجل من الجن ، وأنه قال : مر أمتك لا يستنجوا بالروث ولا بالرمة ، فان الله جعل لنا فى ذلك رزقا . ومعنى الرمة « العظام البالية » ، وهى بكسر الراء وتشديد الميم .

ومن ذلك ما رواه مالك ومسلم وأبو داود والترمذى من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يأكلن أحد منكم بشماله ولا يشربن بها فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بها » .

ومنها ما رواه مسلم وأبو داود عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه ، قال : كنا اذا حضرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضع يده ، وانا حضرنا مرة معه طعاما ، فجاء أعرابى كأنما يدفع فذهب ليضع يده ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده ، ثم جاءت جارية كأنما تدفع فذهبت لتضع يدها فى الطعام ، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدها ، قال : « ان الشيطان ليستحل الطعام الذى لم يذكر اسم الله عليه ، وانه جاء بهذا الأعرابى ليستحل به ، فأخذت بيده ، وجاء بهذه الجارية يستحل بها فأخذت بيدها ، فوالذى

نفسى بيده وان يده فى يدى مع أيديهما » •

ومنها ما رواه أبو داود عن أمية ابن مخشى رضى الله عنه ، قال :كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا ورجل يأكل ولم يسم الله تعالى ، حتى اذا لم يبق من طعامه الا لقمة ، فلما رفعها الى فيه قال : بسم الله أوله وآخره ،، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : «مازال الشيطان يأكل معه ، فلما ذكر اسم الله استقاء ما فى بطنه » •

٥ ــ وأما أن الجن ينقسمون الى ذكور واناث ويتناكحون ويتناسلون فمن أدلته قوله تعالى فى وصف الحور العين : « لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان ٥٦ و ٧٤ ــ الرحمن • أى لم يباشرهن المباشرة المزيلة للبكارة انس قبل أزواجهن ولا جان • وهذا يدل على أن الجان يستطيع أن يفض بكارة الأنثى كما يستطيع ذلك الانسان ، وفى ذلك اشارة الى أن فيهم اناثا وذكورا وأنهم يتناكحون•

ومن الأدلة آية الكهف التى سبق ذكرها قريبا ، وهى قوله تعالى : « أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو ؟ » فهى صريحة فى أن لابليس ذرية أى أولادا ، وهو يدل على أن الجن يتناكحون ويتناسلون

وفى المسألة أحاديث كثيرة تدل على امكان المناكحة بين الجن والانس وعلى وقوع ذلك،ولا نطيل بذكرها•

٦ ــ وأما أن الجن ليسوا معصومين عن الكفر والفسق والعصيان ، فمن أدلته قوله تعالى حكاية عن كلام الجن : « وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا» وقوله: « وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا » وقوله : « وأنامنا الصالحون ومنادون ذلك كنا طرائق قددا » وقوله : « وأنامنا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا •• وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا» سورة « الجن » •

قال شيخ الاسلام تقى الدين ابن تيمية : لم يخالف أحد من طوائف

المسلمين فى وجود الجن ، وجمهور طوائف الكفار على اثبات الجن ،، أما أهل الكتاب من اليهود والنصارى فهم مقرون بهم كاقرار المسلمين ، وان وجد فيهم من ينكر ذلك فكما يوجد فى بعض طوائف المسلمين كالجهمية والمعتزلة من ينكر ذلك فان كان جمهور الطائفة وأئمتها مقرين بذلك،وهذا لأن وجود الجن تواترت به أخبار الأنبياء عليهم السلام تواترا معلوما بالاضطرار ، ومعلوم بالاضطرار أنهم أحياء سفلاء فاعلون بالارادة مأمورون ، منهيون ليسوا صفات وأعراضا قائمة بالانسان أو غيره كما يزعمه بعض الملاحدة . فلما كان أمر الجن متواترا عن الأنبياء عليهم السلام تواترا ظاهرا يعرفه العامة والخاصة لم يمكن طائفة من طوائف المؤمنين بالرسل أن تنكرهم، فالمقصود هنا أن جميع طوائف المسلمين يقرون بوجود الجن وكذلك جمهور الكفار كعامة أهل الكتاب وكذلك عامة مشركى العرب وغيرهم من أولاد سام ، والهند وغيرهم من أولاد حام،وكذلك جمهور الكنعانيين واليونانيين وغيرهم من أولاد يافث، فجماهير الطوائف تقر بوجود الجن بل يقرون بما يستجلبون به معاونة الجن من العزائم والطلاسم والرقى مما فيه عبادة للجن وتعظيم لهم ، وعامة ما بأيدى الناس من العزائم والطلاسم والرقى التى لا تفقه بالعربية فيها ما هو شرك بالجن ولهذا نهى علماء المسلمين عن الرقى التى لا يفقه بالعربية معناها لأنها مظنة الشرك وان لم يعرف أنها شرك وفى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه رخص فى الرقى ما لم تكن شركا وقال : من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل وقد كان للعرب ولسائر الأمم من ذلك أمور يطول وصفها ، وأخبار العرب فى ذلك متواترة عند من يعرف أخبارهم من علماء المسلمين وكذلك عند غيرهم ولكن المسلمين أخبر بجاهلية العرب منهم بجاهلية سائر الأمم ، ولم ينكر الجن الا شرذمة قليلة من جهال الفلاسفة والأطباء ونحوهم أما أكابر القوم فالمأثور عنهم اما الاقرار بهم واما أن يحكى عنهم قول فى ذلك ومن

المعروف عن أبقراط أنه قال فى بعض المياه انه ينفع من الصرع لست أعنى الصرع الذى يعالجه أصحاب الهياكل وانما أعنى الصرع الذى تعالجه الاطباء »، وأنه قال طبنا مع طب أهل الهياكل كطب العجائز مع طبنا وليس لمن أنكر ذلك حجة يعتمد عليها تدل على النفى وانما معه عدم العلم اذا كانت صناعته ليس فيها ما يدل على ذلك كالطبيب الذى ينظر فى البدن من جهة صحته ومرضه الذى يتعلق بمزاجه وليس فى هذا تعرض لما يحصل من جهة النفس ولا من جهة الجن وان كان قد علم من طبه أن للنفس تأثيرا عظيما فى البدن أعظم من تأثير الأسباب الطبية وكذلك للجن تأثير فى ذلك قال صلى الله عليه وسلم : «ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وهو البخار الذى تسميه الاطباء الروح الحيوانى المنبعث من القلب السارى فى البدن الذى به حياة البدن » ا هـ

على حسن البولاقى

روعة الخلق

لو كان الهواء أرفع كثيرا مما هو ، فان بعض الشهب التى تحترق الآن كل يوم بالملايين فى الهواء الخارجى ، كانت تضرب فى جميع أجزاء الكرة الارضية . وهى تسير بسرعة تتراوح بين ستة أميال وأربعين ميلا فى الثانية ، وكان فى امكانها أن تشعل كل شىء قابل للاحتراق ولو كانت تسير ببطء رصاصة البندقية ، لارتطمت كلها بالارض ولكانت العاقبة مروعة . أما الانسان فان اصطدامه بشهاب ضئيل يسير بسرعة تفوق سرعة الرصاصة تسعين مرة ، كان يمزقه اربا من مجرد حرارة مروره .

العلم يدعو الى الايمان

صفحات من تاريخ القاهرة

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

— ١٤ —

جزيرة الروضة

— ٢ —

قلعة الروضة :

كما أن الظروف السياسية دفعت أحمد بن طولون لانشاء حصن بجزيرة الروضة فقد دفعت الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧ — ٦٤٧) الى انشاء قلعة الروضة •

فقد كان الهم الأكبر للدولة الأيوبية طول عمرها القصير الذى استمر ٨١ عاما تقريبا (٥٦٧—٦٤٨) هو مكافحة من كانوا يسمون بالصليبيين الذين اشتد ضغطهم للاستيلاء على الشام وفلسطين • وانتصارات صلاح الدين الأيوبى عليهم فى كثير من المواقع أشهرها معركة حطين سنة ٥٨٢هـ (١١٨٦م)• واسترداد بيت المقدس وغيره من المدن والمواقع خبر معروف وليس هنا مكانه •

وقصد الصليبيون الاستيلاء على مصر ثلاث مرات • وكانت المرة الأولى فى أواخر عهد الفاطميين • فلما اشتد التنافس بين ضرغام وشاور على وزارة العاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين • وتغلب ضرغام • استنجد شاور بالسلطان نور الدين بن زنكى وكان يملك دمشق وأغلب الشام • فأرسل معه أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين بن أيوب • وأمكن لشيركوه هزيمة ضرغام وقتله • ثم اختلف شاور مع شيركوه • فراسل شاور الأفرنج ليعينوه على أسد الدين شيركوه•

وأطمعهم فى تملك مصر وعاد شيركوه الى الشام واشتد طمع الأفرنج فى مصر • حتى تسلموا أسوار القاهرة الفاطمية • وأعدوا فيها شحنة (قوة عسكرية) للمقاسمة فيما يتحصل فى العوايد والرسوم •

وساء أمر شاور واشتد عسفه وازدت اهانة الأفرنج للمسلمين • وأحرق شاور الفسطاط بحجة الخوف من استيلاء الأفرنج عليها • واستمر الحريق بها ٥٤ يوما حتى أتى على ما فيها وتركها خرابا وكاتب العاضد الفاطمى السلطان نور الدين سنة ٥٦٤هـ (١١٦٨م) يستنجد به فأرسل أسد الدين شيركوه ثانية • ومعه ابن أخيه صلاح الدين • على رأس قوة هزمت الأفرنج • وقتل شاور وتقلد شيركوه وزارة العاضد • ولكنه توفى بعد شهرين • فأقام العاضد صلاح الدين مكانه فى الوزارة • فاستبد صلاح الدين بالحكم • وانتهى به الأمر أن قطع خطبة العاضد • وخطب للخليفة المستضىء بالله بن المستنجد بالله •

وتوفى العاضد فى عاشوراء سنة ٥٦٧ (١١٧١/٩/١٢م) بعد قطع اسمه من الخطبة بثلاثة أيام • وانتهى حكم الفاطميين • والمذهب الشيعى فى مصر • وبدأ عهد الأتوبيين •

والمرة الثانية من قصد الافرنج لمصر كانت فى عهد الكامل الأيوبى (٦١٥ ــ ٦٣٥هـ) والكامل ابن أخى صلاح الدين وهو الخامس من سلاطين بنى أيوب •

فقد استولى الافرنج على دمياط سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩ م) بعد حصار سبعة عشر شهرا تقريبا • وأنشأ الكامل وقتها مدينة المنصورة لتكون مركزا له ولقواته فى صد العدو • وتقدم نحو المنصورة • وأخيرا أمكن للمسلمين التغلب عليهم وتم الاتفاق فى رجب سنة ٦١٨ هـ (١٢٢١ م) على جلائهم عن دمياط بعد أن مكثت فى أيديهم مايقرب من السنتين • وأعطى الأفرنج عشرين ملكا وأميرا بصفة رهائن لتنفيذ الاتفاق • كما قدم الكامل ابنه الصالح نجم الدين أيوب بصفة رهينة •

والمرة الثالثة بعد الثانية بحوالى ثلاثين عاما • فقد عاد الافرنج سنة ٦٤٦ فى عهد الصالح نجم الدين أيوب

واستولوا على دمياط ثانية لمدة سنة تقريبا ثم أمكن للمسلمين سنة ٦٤٧ التغلب عليهم • وأسر لويس التاسع ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية • واستمر فى الأسر ٣٢ يوما • حتى افتدى نفسه بمبلغ كبير من المال(١)• مع الجلاء عن دمياط • وكان الافرنج قد حصنوها تحصينا يجعلها تصد أى هجوم •

وكان الصالح ولى عهد أبيه الكامل • ثم غضب عليه فجعل ولاية العهد للعادل الثانى بن الكامل • الذى تولى بعد أبيه ما يقرب من السنتين•ثم تغلب الصالح على أخيه• وخلعه وتولى الحكم من ٦٣٧ — ٦٤٧ هـ كما سبق ذكره •

وكان الصلح مشاركا لأبيه فى شئون الحكم • فاستشعر الخطر على مصر وطمع الأفرنج فيها • فلما تولى الحكم شرع فى تحصين نفسه سنة ٦٣٨ هـ • كما فعل ابن طولون• بانشاء قلعة بجزيرة الروضة • لجعلها مركزا للدفاع عن البلاد • اذا تقدم الافرنج للداخل ولم يمكن صدهم •

وكانت جزيرة الروضة ملكا للمظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب • وتقى الدين عمر كان ابن أخى صلاح الدين الأيوبى • وهو والد وجد الملوك الذين حكموا ولاية حماة بصفتهم نوابا عن سلطان مصر لمدة تقل قليلا عن القرنين وآخرهم أبو الفدا المؤرخ المعروف •

وكان صلاح الدين بالشام • فأرسل ابنه العزيز عثمان لينوب عنه فى حكم مصر • وطلب تقى الدين عمر اليه بالشام • وتحقق لتقى الدين عمر أنه لن يعود الى مصر • وكان من أملاكه الدار المعروفة بمنازل العز بالفسطاط • وهى أصلا قصر يطل على النيل كان ملكا للسيدة تغريد زوجة المعز لدين الله الفاطمى

---

(١) توفى لويس التاسع فى حملة صليبية اخرى على تونس سنة ٦٦٩ هـ . واستمرت الحروب الصليبية حتى عهد الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩ — ٦٩٣ هـ) حيث تمكن من استرداد عكا وصيدا وصور وبيروت وانطرسوس . وبذلك طهر الشام وسواحله منهم نهائيا . بعد أن لوثوه باحتلالهم ما يقرب من القرنين .

ووالدة ابنه العزيز . وكان صلاح الدين وهبها له فاتخذها سكنا . فلما تقرر انتقاله جعل هذه الدار مدرسة عرفت بالمدرسة التقوية . وأوقف عليها جزيرة الروضة بتمامها .

فاستأجر الصالح نجم الدين الجزيرة سنة ٦٣٨ من القاضى المعروف بابن السكرى مدرس المدرسة المذكورة . وله مباشرة أوقافها . لمدة ستين سنة . فى دفعتين فى كل دفعة قطعة . القطعة الأولى من البحر شمال جامع غين المعروف موضعه الآن بزاوية الأباريقى بالقرب من مكتب بريد الملك الصالح . وسيأتى ذكره باذن الله . والقطعة الثانية باقى الجزيرة . وأنشأ الصالح القلعة فى القطعة الثانية . وتسلمت القطعة الأولى للوقف بعد نهاية مدة الايجارة سنة ٦٩٨ هـ . ثم تنوسبت مع تقادم الزمن هذه الايجارة واعتبرت من أملاك الدولة بوضع اليد (الخطط التوفيقية لعلى مبارك حـ ١٨ ص ١٨ عن كوكب الروضة للسيوطى) .

فوقع الهدم فى المساجد والدور والقصور التى كانت بالجزء الجنوبى من الجزيرة . بجانب المقياس . وأنشأ القلعة . وجعل بها ستين برجا دائرا حولها . وملأها بالغلال والمؤن والأقوات . ونقل اليها العمد الصوان والرخام من المعابد المصرية القديمة . وشحنها بالأسلحة وأدوات الحرب . وبالغ فى الاجتهاد فيها والأنفاق عليها . حتى قيل أن كل حجر منها تكلف دينارا .

ولعل الصالح كان يرى أن موقع هذه القلعة بالجزيرة يحيط بها الماء من كل جهة أفضل استراتيجيا من قلعة الجبل التى أنشأها صلاح الدين . واتخذها الكامل مقرا للحكم . أو لعله أراد ــ فضلا عن التحصين ــ أن يتخذها متنزها وسكنا خاصا يحوى أمواله وذخائره وحريمه ومماليكه الذين أكثر من شرائهم . وعرفوا باسم المماليك البحرية نسبة لنشأتهم بالجزيرة بين أحضان بحر النيل . والذين وصل بهم الأمر أخيرا أن أدالوا دولة

الأيوبيين وحلوا محلهم فى الحكم .

وبلغت عدة الجوامع التى هدمها الصالح بالجزيرة ٣٣ جامعا كما قيل . وأظن فى هذا الرقم بعض المبالغة . وهـدم البستان المختار والهودج . وقطع ألف نخلة مثمرة فائقة الثمار كان يتهادى ثمارها الملوك .

وفى هدم أحد هذه المساجد خبر يذكر للعظة والعبرة .

فقد أمر بهدم مسجد بعينه ليقيم مقامه قاعة من قاعات القصر بالقلعة. وتلكأ من كلف بذلك . كراهـة فى هدم المسجد . وأحس الصالح بهذا التلكؤ . فكلف آخر بهدم المسجد ليلا . ونفذ الأمر . وبنيت القاعة . ولكن لم يدخلها الصالح .

فقد قدم الافرنج . وخرج الصالح بعسـاكره اليهم . وتوفى الصـالح أثناء المعركة . وأخفت زوجته شجرة الـدر خبر وفاته عـن الجيش حتى لا تتزعزع أحوالهم . وكانت تصدر الأوامر كأنهـا منه . وأرسلت سرا الى ابنـه توران شاه . وكان غائبا بالشام . فقـدم . وأمكن هزيمـة الأفرنج . وأسر لويس التاسع كما سبق ذكره . ثم أساء توران شـاه التصرف مع اماليك البحرية . فقتلوه فى المحـرم سـنة ٦٤٨ هـ (أبريل سنة ١٢٥٠ م) . وأقاموا شجرة الدر فى الحكم . ولعلهـا المرأة الوحيدة التى حكمت فى الاسـلام بصـفة رسمية .

وحمـل جثمان الملك الصالح فى مركب . وأتى به الى الروضـة . وحفظ جثمانه فى تلك القـاعة التى أنشئت محل المسجد . حتى بنيت له تربته بجـوار مدرسته الصـالحية بجهة خان الخليلى . فنقـل اليهـا جثمانه .

الجسـور والكبـارى حـول جزيرة الروضة :

ذكرنا أنه عند الفتح العربى اشتد حصار العرب لحصن بابليون (قصر الشمع) . ولمـا أوشك على السقوط فى أيديهم ترك المقوقس فيـه بعض القوات . وانحاز بمن معه من جموع

القبط والروم الى الجزيرة . وقطع الجسر بين الفسطاط والجزيرة .

هذا الجسر كان من مراكب من البر الى البر . ويربط بعضها ببعض . وتوضع عليها ألواح خشبية . ثم تكس هذه الألواح بطبقة من التراب . فيمكن السير عليها . والماء يمر من تحتها .

واستمرت هذه الطريقة فى عمل الجسور على النيل . فبعد الفتح أعيد هذا الجسر . وكان يقابله جسر آخر بين الجزيرة والجيزة . وقد جدد الخليفة المأمون عندما قدم مصر سنة ٢١٧ هـ (٨٣٢ م) عمل هذين الجسرين . وكانا موجودين عندما قدم جوهر القائد سنة ٣٥٨ هـ من المغرب لفتح مصر . فعبر عليهما بجيشه الى الفسطاط . واعتنى كثيرون من الحكام بدوام الاتصال بالجزيرة بهذه الطريقة .

ولما أنشأ الصالح نجم الدين أيوب ٦٣٨ هـ (١٢٤٠ م) قلعة الروضة . أقام جسرا بين الجزيرة والفسطاط عرضه ثلاث قصبات - (١١ مترا و ٥٥ سم لأن القصبة كانت ٣ مترا و ٨٥ سم وقتذاك) (١) وكان لا يمر عليه أحد راكبا غير السلطان . أما غيره فيترجلون عند عبوره . وكان هذا الجسر مكان الجسر القديم .

وقد ذكرنا مقتل الخليفة الآمر بأحكام الله الفاطمى سنة ٥٢٤ هـ عند رأس هذا الجسر بالقرب من الهودج . وقال المؤرخون أن رأس هذا الجسر كان يقابل جنوبى دار النحاس بالفسطاط . وبذلك كان موقعه هو موقع كوبرى الملك الصالح الحالى . أو شمالا منه بقليل .

واستمرت هذه الطريقة فى عمل الكبارى على النيل حتى العصر الحديث .

فقد ذكر الجبرتى فى كتابه المسمى (عجائب الآثار فى التراجم والأخبار)

---

(١) بحث لكاتب المقال عن الذراع وحدة قياس نشر بمجلة الأزهر فى ذى الحجة سنة ١٣٩٣ هـ (يناير سنة ١٩٧٤ م) .

أنه عندما قدم ابراهيم باشا بن محمد علي من الحجاز في صفر سنة ١٢٣٥هـ (ديسمبر سنة ١٨١٩ م) بعد تغلبه على الوهابيين ، حضر عن طريق القصير ، فنودى بزينة المدينة — يعنى العاصمة — سبعة أيام بلياليها ، وبات ابراهيم باشا بجزيرة الروضة بقصر شريف بك المطل على النيل تجاه الجيزة ، وكانوا قد هيأوه له ، وزينوا له في اليوم التالي موكبا دخل به من باب النصر ، وعلى رأسه شعار الوزارة ، وشق الموكب بالمدينة في الشارع الأعظم (شارع المعز لدين الله حاليا) ، وحضر والده الى الغورية بقصد الفرجة على موكب ابنه ، ووصل الموكب الى القلعة (يعنى قلعة الجبل) ، ثم صار الى جهة مصر القديمة ، حيث عبر النيل الى الروضة ، على جسر عملوه من المراكب ربطت بعضها ببعض من البر الى البر وردموا فوق المراكب الأتربة حتى يتمكن الموكب من السير عليها ،

ومن هذا الخبر نفهم أنه لم يكن هناك جسر وقتذاك ، وأن طريقة عمل الجسور من المراكب كما كان متبعا أهملت في عهد الحكم العثماني كما شمل الركود كثيرا من نواحي العمران غير ذلك ،

وقد ذكرنا انشاء كوبرى قصر النيل سنة ١٨٧٢ (١) ، وكوبرى

(١) اقدم الكبارى على النيل — اذا استثنينا القناطر الخيرية — هى التى انشئت لتخدم خط السكة الحديدية بين الاسكندرية والقاهرة . فقد بدىء بانشاء هذا الخط سنة ١٨٥٢ فى عهد عباس حلمى الأول . بالاتفاق مع روبرت ستيفنسون مخترع القاطرة البخارية . وتم هذا الخط سنة ١٨٥٦ . وكان اول خط سكة حديدية فى الشرق كله .

فأنشىء كوبرى بنها سنة ١٨٥٦ لمرور خط مفرد من السكة الحديدية. وأنشىء كوبرى كفر الزيات فى سنة ١٨٥٧ — ١٨٥٩ لمرور خط مفرد أيضا . ثم تقوى الكوبريان فيما بعد لمرور خط مزدوج .

والمقصود تاريخ انشاء الكبارى القديمة . . فقد انشىء بدلهما أخيرا .

اما كوبرى انبابة فقد انشىء سنة ١٨٩٠ ليسير عليه خط مفرد أيضا . وتقوى بعد ذلك . ثم أنشىء شمالا منه الكوبرى الحالى وانتهى العمل فيه سنة ١٩٢٥ . وقبل انشاء كوبرى انبابة . كانت نهاية خط السكة الحديدية محطة انبابة . ثم يعبرون النيل عندها بالمراكب الشراعية شرقا أو غربا لاستكمال الرحلة من أو الى الصعيد . (ملحق تقويم النيل لأمين باشا سامى) .

البحر الأعمى المسمى حاليا كوبرى الجلاء سنة ١٨٧٧ فى عهد اسماعيل. وكانا أول وثانى الكبارى الثابتة على النيل مقابل العاصمة . ونذكر هنا الكبارى المحيطة بجزيرة الروضة .

كوبرى الجيزة (او كوبرى عباس سابقا) :

على فرع النيل الغربى :

افتتح للمرور فى ١٩٠٨/٢/٦ . وكان طوله ٥٣٥ مترا وعرضه ٢٠ مترا منها ٥ أمتار للافريزين وكان اسمه كوبرى عباس لأنه تم فى عهد الخديوى عباس حلمى الثانى . وبعد الثورة سنة ١٩٥٢ أطلق عليه كوبرى الجيزة .

وظهر به الخلل وعدم الكفاية لمقتضيات العصر الحديث من حيث قوة التحمل . فرمم مرارا . ثم تقرر انشاء كوبرى آخر مكانه فأوقف المرور عليه فى ١٩٦٧/٢/١ . وشرع فى ازالة الكوبرى القديم وانشاء الكوبرى الجديد الحالى . وكان المفروض أن يتم فى ثلاث سنوات . ولكن نظرا لظروف العدوان الاسرائيلى فى يونية سنة ١٩٦٧ تأخر بعض الوقت ولم يتم الا فى سنة ١٩٧١ . وهو أكثر عرضا من الكوبرى السابق .

وكانت طريقة عمل الكبارى السابقة جعل جزء من الكوبرى يتحرك على صينية لامكان فتح الكوبرى لمرور المراكب الشراعية . وكان فى هذا تعطيل للمرور فوق الكبارى . فلجأوا الى عمل الكبارى الثابتة . وبها انحناء تدريجى أعلاه فى الوسط لمرور المراكب . على أن تكون قلوع المراكب الشرعية بمفصلات ليمكن أن تنطبق عند مرورها . تحت الكوبرى .

والكبارى التى أنشئت بعد الثورة سنة ١٩٥٢ أنشئت بهذه الطريقة .

كوبرى الملك الصالح على الفرع الشرقى للنيل :

وهو مقابل كوبرى عباس السابق ذكره . وانفتح للمرور أيضا سنة ١٩٠٨ وكان طوله ٨٣ مترا . وعرضه

١٥ مترا منها ٣ أمتار للأفريزين • ثم أزيل وأقيم آخر مكانه أكثر عرضا منـه وافتتـح رسميا للمـرور فى ١٩٦٦/٧/٢٤

كوبرى محمد على على الفرع الشرقى النيل :

قريبا من سراى الأمير السـابق محمد على توفيق • وهو يبعد عن السراى بحوالى المـائتى متر • وهو غير كوبرى المنيل المجاور للسـور البحـرى للسراى مباشرة • وآتى ذكره •

وقـد افتتح كوبرى محمد على سنة ١٩٠٨ وطوله ٦٧ مترا وعرضه ١٥ مترا منها ٣ أمتار للأفريزين •

وأنشئت بعد الثورة سنة ١٩٥٢ ثلاث كبارى أخرى بجزيرة الروضة•

كوبرى المنيل على الفرع الشرقى للنيل بجوار السور البحرى لسراى محمـد على كما ذكر وهـو مقابل كوبرى الجامعة الآتى ذكره •

كوبرى فم الخليج على الفـرع الشرقى للنيل أيضا شمال ميـدان فم الخليج بقليل •

كوبرى الجامعة على الفرع الغربى للنيل بجزيرة الروضة • يصـل الى الجيزة بالميدان الذى نقل اليه تمثال نهضة مصر للمثال محمود مختار من مكانه السـابق بميدان رمسيس • ونقـل الى ميـدان رمسيس تمثال رمسيس الثانى بعد أن ظل ملقى على الأرض فى ميت رهينـة حـوالى ٣٥٠٠ سنة •

ويؤدى امتداد كوبرى الجامعـة الى جامعة القاهرة بالجيزة !

وعرضـه ٣٠ مترا وطـوله ٤٨٤ مترا • وبلغت تكاليفه ١٫٤٠٠٫٠٠٠ جنيه مليونا وأربعمائة ألف جنيه • واستمر العمل فيه من سنة ١٩٥٥ ــ سنة ١٩٥٧

ولاستكمال الصـورة نذكر أن كوبرى بولاق المعـروف بكوبرى (أبو العلا) على الفرع الشرقى للنيل بجزيرة الزمالك • ويقابله على الفرع الغربى للنيل كوبرى الزمالك فقد فتحا للمرور سنة ١٩١٢ فى عهـد عباس حلمى الثانى أيضا •

الترام بجزيرة الروضة :

وكان الترام يسير بجزيرة الروضة مخترقا شارع الروضة بين كوبرى الملك الصالح وكوبرى الجيزة (عباس) . ولم يكن هكذا عند بدء سير الترام بالقاهرة .

فقد تأسست شركة الترام سنة ١٨٩٤ م . وكان امتيازها أولا لثمانية خطوط منها ستة تبدأ من العتبة الخضراء الى بولاق والعباسية والقلعة ومصر القديمة وغيرها . وكان الذاهب الى الجيزة يركب الترام الى فم الخليج عن طريق شارع القصر العينى . ومن فم الخليج يركب زورقا بخاريا الى الشاطىء الغربى للفرع الغربى للنيل حيث ينتظره هناك ترام آخر .

وقد احتفل فى ١٨٩٦/٨/١ بسير أول مركبة كهربائية فى شوارع العاصمة . وركب الترام وقتذاك ناظر (وزير) الأشغال وكبار موظفى الوزارة من بولاق الى العتبة ثم الى القلعة وغص ميدان العتبة بالمدعوين من الأمراء والنظار والعظماء وكبار الموظفين والأعيان ومحافظ العاصمة وقناصل الدول ورجال القضاء . وكان مدير الشركة يرحب بالمدعوين . وسارت المركبات بهم الى القلعة بين جماهير المتفرجين . ثم عادت الى مقر الشركة ببولاق حيث قدم للمدعوين المرطبات . وكان تعليق الجرائد على الترام أنه سريع يسابق الريح .

وكان أجر الركوب ستة مليمات للدرجة الأولى وأربعة مليمات للدرجة الثانية . ولم يكن للحكومة نصيب فى أرباح الشركة أولا . ثم تداركت الأمر سنة ١٩٠٨ فتقررت لها نسبة ٥٪ من ايراد الشركة تدفع شهريا (الترام للأستاذ محمد سيد كيلانى) .

ومن الفكاهات التى قيلت عن تسيير الترام وقتذاك ووردت فى الكتاب المذكور أنه سئل أحدهم كيف يسير الترام ؟ فأجاب : لازم مركبين فيه حمير من تحت !

وفى سنة ١٩٠٨ سيرت الشركة الترام من العتبة الى الجيزة رأسا عن طريق الروضة بعد انشاء كوبرى عباس وكوبرى الملك الصالح . كما أنها سيرت سنة ١٩١٢ الترام للجيزة رأسا عن طريق الزمالك بعد انشاء

كوبرى بولاق (أبو العلا) وكوبرى الزمالك •

وفى سنة ١٩٥٦ أبطل سير الترام من شارع القصر العينى كما أبطل قبـل ذلك من شارع ٢٦ يوليـة (فؤاد الأول سـابقا) ورمسيس وغيرها من الشوارع الهامة لاعتباره معـوقا لحركة المـرور السريعـة الحديثة • فأصبح لايوجد ترام الى فم الخليج ومصر القديمة• وبالتالى لا يوجد ترام بالروضة •

عود الى قلعة الروضـــة والظاهـر بيبرس :

ذكرنا أنه بعد وفاة الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٧ هـ تولى ابنه المعظم توران شاه • أثناء مقاومة الافرنج عند المنصـورة • ثم قتله المـاليك البحـرية فى المحـرم سنة ٦٤٨ هـ • وتولت شجرة الدر الحـكم • وتلقبت بعصـمة الدين أم خليل الصالحية •

وكانت ولاية سـيدة لشـؤون الحكم حدثا قوبل بالاستهجان من جميع الطبقات • وأخصهـا الخليفة العبـاسى فى بغـداد • وكانت له السيادة الروحية • والحاكم فى مصر يستمد شرعية حكمه منه • فلبثت شجرة الدر فى الحكم أقل من ثلاثة شهور (من ١٠ صفر الى آخر ربيع الآخر سـنة ٦٤٨ هـ) • فتنازلت وتزوجت المعـز عز الدين أيبـك التركمانى — أحد مماليك المـلك الصـالح البحـرية — الذى تولى الحكم باللقب المذكور •

واختلف المعز أيبـك مع زملائه المماليك البحـرية • وعلى رأسـهم بيبرس وقلاوون — اللذان توليـا الحكم فيما بعـد • فحصرهم فى القـاهرة الفاطمية بقصد ابادتهم • فاتجهوا الى باب كان معروفا باسم باب القراطين بالسور الشرقى للمدينة فوجدوه مغلقـا • فأحـرقوه • ونفـذوا منه هاربين الى الشـام • وعرف البـاب المـذكور من ذلك التاريخ باسم الباب المحروق •

وأمر المعز أيبك بهـدم قلعـة الروضة • وأخذ من أنقاضها مابنى به مدرسة أنشأها بالفسطاط كان اسـمها المدرسة المعـزية • وأخذ بعض أعيـان الدولة من أخشـاب

القلعة وشبابيكها ورخامها جانبا • وباع البعض جانبا آخر • وظلت تمتد لها الأيدى حتى تولى الظاهر بيبرس الحكم (٦٥٨ — ٦٧٦ هـ)

وهو الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى • وقع أسيرا فى زحف التتار • فاشتراه أحد تجار الرقيق • وباعه فى حماه الى أستاذه (أى مالكه) علاء الدين ايدكين البندقدار • والبندقدار هو من يحمل غرارة البندق خلف السلطان أو الأمير • والبندق كرات صغيرة من الحجر أو الرصاص تستعمل فى صيد الطيور • ولما صادر الصالح نجم الدين أيوب أستاذه أيدكين البندقدار المذكور • آل بيبرس الى الصالح نجم الدين • ومن هنا كانت نسبته البندقدارى الصالحى •

وكان للمماليك البحرية فضل فى هزيمة الصليبيين سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) فى المعركة التى أسر فيها لويس التاسع • وتوفى الملك أثناءها • وأظهر بيبرس شجاعة فائقة فى تلك المعركة مما قدمه على زملائه • ثم هربوا من المعز أيبك للشام كما سبق ذكره •

وقتل المعز أيبك سنة ٦٥٥ — قتلته زوجته شجرة الدر • وتولى بعده ابنه المنصور على من ٦٥٥ — ٦٥٧ هـ • ثم انتزع منه الحكم المظفر قطز • وفى هذه الأثناء كان زحف التتار المخرب حتى قضوا على الخلافة العباسية فى بغداد سنة ٦٥٦ هـ • وتقدموا نحو الشام • فسقطت أغلب مدنه فى أيديهم • فحرقوا ونهبوا وسلبوا وسبوا وخربوا • وكان الموقف فى حاجة الى تناسى الأحقاد وتضافر الجهود • فانضم بيبرس وزملاؤه الى المظفر قطز •

وكان لبيبرس كبير الأثر فى الهزيمة التى أنزلها الجيش المصرى بالتتار فى عين جالوت سنة ٦٥٨ هـ • (١٢٦٠ م) وهى أول هزيمة لحقت بالتتار • فقد كان بيبرس يقود طلائع الجيش المصرى • وهى طلائع فدائية • جعلت صغيرة لتستدرج جيش التتار • بينما اختفى أغلب الجيش • حتى اذا تقدم التتار نحو الطلائع وبدأت المعركة ظهر الجيش وأحاط بهم • وتحقق النصر •

وشمخت أنوف البحرية بما كان لهم من فضل الانتصار • وفكر

قطز فى القضاء عليهم • فقد انتهت الحاجة اليهم • وشعروا بذلك • فبادروا الى قتله فى طريق عودته للقاهرة • وأقاموا بيبرس سلطانا • ودخل بيبرس القاهرة • وقد زينت لقطز • وجلس فى سرير الحكم • وتلقب بالقاهر ثم غير لقبه الى الظاهر •

واذا كان بيبرس هو الخامس من سلاطين المماليك البحرية فى ترتيب الحكم (باعتبار شجرة الدر منهم) • لكنه فى الواقع يعتبر المنشىء الحقيقى لدولة المماليك • فهو الذى مكن لها بفتوحاته الخارجية • واصلاحاته الداخلية • ووطد مركزها بنقل الخلافة العباسية للقاهرة يستمد منها الظاهر ومن تلاه منهم من سيادتها الروحية مسوغا شرعيا لحكم المماليك بعد أن كان من غير المستساغ حكم مملوك مشترى (الظاهر بيبرس ـ للدكتور سيد عبد الفتاح عاشور) •

واستمرت الخلافة العباسية فى مصر من سنة ٦٥٩ هـ حتى انتقلت الى سلاطين تركيا باستانبول سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) بعد الفتح العثمانى • (١)

ولا نريد أن نسترسل فى سرد تاريخى يخرجنا عن الموضوع •

فنذكر أن الظاهر بيبرس • بالحنين الطبيعى لمكان نشأة المماليك البحرية • وللاعتبارات الاستراتيجية التى أدت الى انشاء قلعة الروضة • فقد اهتم باعادة عمارتها • وتجديد أبراجها • ووزع هذه الأبراج على أمراء البحرية لصيانتها وحمايتها • فأعيدت للقلعة حرمتها ومكانتها •

وكان بالجزيرة عدد كبير من أشجار الجميز على النيل كان يقصده الناس للنزهة والترويح تحت ظله • فقطعه بيبرس لاستعمال أخشابه فى تجديد أسطوله الذى دمر فى حملة فاشلة على قبرص •

وبعد وفاة الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦ هـ تولى بعده اثنان من أولاده (السعيد بركة خان والعادل سلامش)

---

(١) أعلنت الجمهورية التركية سنة ١٩٢٢ م . وألغيت الخلافة الاسلامية من تركيا سنة ١٩٢٤ م •

فترة قصيرة . ثم انتزع الحكم المنصور قلاوون (٦٧٨ — ٦٨٩). فامتدت يده الى القلعة . فأخذ من عمدها ورخامها وأعتابها شيئا كثيرا أدخله فى بناء المدرسة والمارستان بجهة بين القصرين من القاهرة الفاطمية .

ولما تولى الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ — ٧٤١) (٢) أخذ أيضا من أنقاضها ليبنى الايوان الذى عرف باسم دار العدل فى قلعة الجبل . وللجامع الجديد الناصرى الذى اندثر ويرجح أن موضعه كان قريبا من فم الخليج .

وقال المقريزى (الخطط ج ٢ ص ١٨٤) : وتأخر منها — يعنى القلعة بالروضة — عقد جليل تسميه العامة بالقوس كان مما يلى جانبها الغربى أدركناه باقيا نحو سنة ٨٢٠ (١٤١٧ م) . وبقى من أبراجها عدة قد انقلب أكثرها وبنى الناس فوقها دورهم المطلة على النيل .

وبالروضة الآن شارع اسمه شارع قلعة الروضة يتفرع من شارع الروضة ويتجه جنوبا حتى يصب فى شارع المختار السابق ذكره .

كما أن هناك شارع المماليك البحرية شمال شارع المختار السابق ذكره وموازى له . ويصل بين الفرعين الشرقى والغربى للنيل . وبوسطه تقريبا ميدان المماليك البحرية به المحطة النهائية لبعض خطوط الأتوبيس .

وشمال شارع المماليك البحرية شارع الملك المظفر وموازى له . ويصل أيضا بين فرعى النيل .

ولا ندرى هل قصدت البلدية بهذا الاسم الملك المظفر قطز الذى هزم التتار فى عين جالوت وكان أصلا أحد المماليك البحرية . أو الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب الذى كان يملك جزيرة الروضة . وأوقفها على المدرسة التقوية

---

(٢) يتخلل هذه الفترة خمس سنوات تقريبا فى أوائلها استبعد فيها الناصر من الحكم وتولى خلالها ثلاثة سلاطين . ثم استقام الحكم من سنة ٧٠٩ — ٧٤١ للناصر محمد بدون انقطاع .

بالفسطاط . واستأجرها الصالح نجم الدين أيوب لينشىء قلعة الروضة كما سبق ذكره .

ونرجح أن البلدية تقصد الملك المظفر تقى الدين عمر . فشمال النهاية الشرقية لشارع الملك المظفر شارع صغير يتفرع من شارع الملك الصالح أو سيالة الروضة اسمه شارع ابن السكرى . وهو اسم القاضى الذى كان ناظرا على وقف المظفر تقى الدين عمر واستأجر منه الصالح أيوب جزيرة الروضة .

وجنوبى النهاية الشرقية لشارع الملك المظفر شارع صغير اسمه شارع البسطامى نسبة لزاوية هناك معروفة باسم زاوية البسطامى . وذكرها على مبارك نقلا عن السيوطى فى كوكب الروضة باسم جامع الريس . وقال أنه رابع جامع أنشىء بجزيرة الروضة . وأرى أن هذا التحديد تنقصه الدقة اذا رجعنا الى ما بسطه من تاريخ هذه الزاوية . والى ما ذكر عن عدد الجوامع التى هدمها الصالح أيوب لانشاء قلعة الروضة .

وقد ذكر السيوطى أن أول الانشاء كان زاوية أنشأها محمد ابن أصيل بن مهدى من ذرية أبى يزيد البسطامى (وهو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى من أئمة الصوفية توفى سنة ٢٦١ هـ) . وكان الأنشاء سنة ٦٩٦ هـ بتصريح من السلطان المنصور حسام الدين لاجين . ثم أكد هذا التصريح سنة ٧٠٨ بتوقيع من السلطان المظفر بيبرس الجاشناكير .

ثم حوالى سنة ٧٧٠ هـ جعلت هذه الزاوية جامعا عرف بجامع الريس . نسبة لرئيس الخلافة فتح الدين صدقة بن ناصر الدين بن زين الدين فى سلطنة الأشرف شعبان بن الأمير حسين بن الناصر محمد ابن قلاوون .

والزاوية المذكورة موجودة للآن . وبها ضريح مكتوب على كسوته اسم أبى يزيد البسطامى .

ويهمنا من ذكر هذه الزاوية أنها كانت ملاصقة للسور الشمالى لقلعة الروضة .

وكان كثير من المبانى لغاية الأربعينات من هذا القرن يطل على الفرع الشرقى للنيل دون فاصل

وهو المعروف الآن بسيالة الروضة فنفذ شارع بجوار النيل بينه وبين المبانى من جنوبى الجزيرة حتى سراى محمد على توفيق • واطلق على هذا الشارع من جنوبى الجزيرة حتى كوبرى الملك الصالح اسم شارع الملك الصالح • ثم من الكوبرى المذكور لغاية سراى محمد على اسم شارع قصر المنيل • ثم بعد الثورة سنة ١٩٥٢ تغير هذا الاسم الأخير الى اسم شارع متحف المنيل •

كذلك عند الفرع الغربى للنيل حول الجزيرة نفذ شارع من منطقة المقياس بأقصى الجنوب حتى فندق الميريديان بأقصى الشمال • يفصل بين النيل والمبانى المطلة عليه • واسمه شارع الملك عبد العزيز آل سعود تخليدا لذكرى العاهل السعودى • وكان هذا الشارع أول الأمر من المقياس حتى شمال كوبرى الجيزة (عباس) بقليل • ثم بعد الثورة سنة ١٩٥٢ نفذ الى النهاية الشمالية للجزيرة •

وفى فترة حصلت جفوة بين مصر والمملكة السعودية • فغير اسم هذا الشارع الى شارع جدة • ثم الى شارع الجزيرة العربية • ولكن ظل الاسم الأصلى على ألسنة الناس • حتى عاد الصفاء السياسى فأعيد الاسم الأصلى رسميا • ولم يكن من اللائق التفكير فى تغيير الاسم • ويبدو أن من فكر فى التغيير كان يشعر أيضا بالحرج • فاختيار الاسمين — جدة والجزيرة العربية • فيهما الحرص على الأخوة العربية •

وبكل أسف أقيمت عملية مياه بجنوبى الجزيرة فى السنوات الأخيرة • فقطعت هذا الشارع لتطل هذه العملية على النيل مباشرة • وكان من الممكن توصيل مياه المأخذ بمواسير تحت أرض الشارع • ولكنها بهذا عطلت دوران الكورنيش حول الجزيرة • وأصبحت هذه العملية عقبة فى سيولة الاتصال بمنطقة المقياس والمناسترلى • وهى منطقة أثرية وسياحية • ويمكن انشاء فندق عالمى هناك فريد فى موقعه • يحيط به الماء من ثلاث جهات • فيكون الميريديان فى شمال الجزيرة والفندق الجديد فى جنوبها ؟

(يتبع) محمد كمال السيد محمد
المحامى

قرارات المؤتمر العالمى للسيرة النبوية

انعقد مؤتمر السيرة العالمى الأول بالباكستان فى الفترة ما بين الأول والثانى عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٩٦ هـ الموافق ١٢ مارس سنة **١٩٧٦** م تحت اشراف وزارة الشئون الدينية ومؤسسة «همدرد» الوطنية .

وقد حضر هذا المؤتمر عدد من قادة المسلمين وكبار العلماء من شتى بقاع العالم ـ وذلك تلبية لدعوة كريمة من حكومة باكستان .

وقد قرر المؤتمر مناشدة الدول الاسلامية أن تعقد مؤتمرا سنويا مماثلا للسيرة النبوية الشريفة على مستوى عالمى تستضيفه الحكومات الاسلامية واحدة بعد أخرى .

ويناشد المؤتمر جميع الحكومات الاسلامية العناية بتدريس السيرة وجعلها جزءا أساسيا **فى** برامج الدراسة بالمراحل الابتدائية والثانوية وانشاء كراسى بجامعاتها لتدريس السيرة كما يناشدها أن تحاول اقناع الجامعات الغربية بانشاء كراسى مماثلة بها .

وينادى المؤتمر الحكومات الاسلامية جميعا بتطبيق الشريعة الاسلامية وجعلها أساسا لجميع تشريعاتها .

ويطالب المؤتمر الحكومات الاسلامية بالتضامن وتوثيق عرى الأخوة الاسلامية بينها ، والعمل بشتى الوسائل على تجنب الخلافات وعلى الوصول الى تفاهم أخوى ودى فى جميع القضايا التى تعنيها .

كما يناشد المؤتمر جميع الحكومات الاسلامية بمزيد العناية

التامة وبذل كل الجهود فى نشر التعليم مع مضاعفة الجهود فى اجراء البحوث العلمية حتى فى مجال العلوم التكنولوجية الى مستوى الدول الغربية المتقدمة .

كما يناشد المؤتمر جميع الحكومات الاسلامية بمزيد العناية فى نشر اللغة العربية وتدريسها بين مواطنيها حتى تصبح لغة الكتاب الكريم سائدة للتفاهم بين المسلمين فى جميع أنحاء العالم .

ويناشد المؤتمر الدول الاسلامية وجميع المعنيين الامتناع عن المشاركة فى اصدار فيلم عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والعمل على احباط هذا المشروع وعدم عرضه فى بلادهم وذلك لأن شخص المصطفى صلى الله عليه وسلم لا يليق تصويره أو تمثيله .

وينصح المؤتمر بجمع ما دار بجلسات من مناقشات وما ألقى اثناءها من محاضرات فى كتاب ينشر ويوزع — وذلك بعد مراجعة كل ذلك والتأكد من السلامة من الخطأ وعلى أن ينص على أن صاحب كل محاضرة مسئول وحده عن فحواها .

ويؤكد المؤتمر ضرورة الأخذ على يد كل من يحاول تحريف النص القرآنى الكريم وانزال العقاب الصارم بمن يحاول استيراد نسخة قرآنية محرفة أو توزيعها .

وقد قرر المؤتمر بمناسبة توصيته فى الفقرة الثانية من هذه القرارات تأليف لجنة تأسيسية دائما للمؤتمر تكون مهمتها متابعة قرارات هذا المؤتمر الأول والتعاون فى الاعداد لعقد المؤتمرات السنوية فى الأعوام المقبلة — على أن تضع اللجنة قواعد أو نظاما لنفسها تسير على ضوئها — وعلى أن تتكون هذه اللجنة التأسيسية الدائمة من السيد معالى مولانا كوثر نيازى وزير الشئون الدينية بالباكستان كرئيس لها — والسادة الوزراء ورؤساء الوفود التى اشتراكت فى المؤتمر الأول من أفغانستان والأردن وأندونيسيا وايران وبنجلاديش وتركيا وجزر القمر وسوريا والكويت وكينيا

ولبنان وليبيا ومصر والمغرب ومالزيا والمملكة العربية السعودية وموريتانيا وموريسيس ونيجريا ودولة الامارات العربية المتحدة واليمن الشمالى •

كما قرر المؤتمر انشاء سكرتيرية دائمة للجنة التأسيسية الدائمة بمدينة اسلام آباد وعين السيد حكيم محمد سعيد سكرتيرا عاما لها ويساعده أربعة أمناء عامين مساعدين وهم : الدكتور محمد عبد الرءوف مدير المركز الاسلامى بواشطن ، والسيد حسن اقصائى وزير الأوقاف فى تركيا والسيد على المختار وكيل وزارة الحج والأوقاف بالمملكة العربية السعودية ، والدكتور أحمد عبد الله من كينيا ، والشيخ عبد الله ابراهيم المفرح وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بدولة الكويت•

ويوصى المؤتمر جميع الحكومات الاسلامية بالتأييد التام للقضايا الاسلامية والعمل على تحقيق الأهداف الوطنية للأقليات أو المغلوب على أمرهم من المسلمين مثل اخوان المسلمين فى فلسطين وكشمير وقبرص وجزر القمر وأريتريا وتاليند وفلبين مع العناية أيضا بحال المسلمين فى أفريقيا بصفة خاصة •

كما يرى المؤتمر ضرورة بذل الجهود لدى حكومات الدول الغربية كى تيسر للاقليات الاسلامية بها الوسائل لاتباع شعائر دينهم وتطبيق أحكام الشريعة الاسلامية فيما يتصل بالأحوال الشخصية من زواج ونحوه فى شأنهم •

ويوصى المؤتمر الحكومات الاسلامية بأخذ الوسائل اللازمة للحد من نشاط المبشرين بين مواطنيهم والعمل على انسحابهم بسلام من البلاد الاسلامية مع تشييد المؤسسات التعليمية والخيرية ليلجأ اليها المسلمون ويستفيدوا منها بدلا من المؤسسات التبشيرية •

كما يناشد المؤتمر جميع الحكومات الاسلامية أن يجعلوا يوم الجمعة عطلة اسبوعية كما يوصى بدراسة امكان توحيد الأعياد والمناسبات الاسلامية •

ويوصى المؤتمر الحكومات والمؤسسات الاسلامية بالاعداد لاقامة مهرجان اسلامى كبير فى عام ١٤٠١ هـ •

ويعلن المؤتمر عن بالغ أسفه لاستمرار الاحتلال الصهيونى على مدينة القدس الاسلامية ويحتج بشدة على تعدى الاسرائيليين على حرمة الأماكن المقدسة بالقدس وحرم الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام وينادي بوجوب المحافظة على جميع المقدسات الاسلامية ـ واعادة هذه المقدسات الكائنة بفلسطين الى أهلها وبانسحاب الاسرائيليين من القدس وغيرها من الأراضى العربية المحتلة دون أى تأخير أو مماطلة ويعتبر المؤتمر أن القدس مسئولية فى عنق كل مسلم حيثما وجد •

ويؤكد المؤتمر أن الاسلام الذى لا يقبل اغتصاب ومصادرة الأراضى والممتلكات من أصحابها بأى وجه يفرض على المسلمين فى العالم تأييد حق اخوانهم الفلسطينيين بذلك يلفت المؤتمر نظر العالم المسيحى وبصفة خاصة فى البلاد الغربية الى ما لحق شعب فلسطين من غبن فادح من أجل اقامة وطن يهودى فى بلادهم مما يتنافى مع أبسط قواعد العدالة ومع تعاليم المسيحية وسائر الأديان لذلك يناشد المؤتمر العالم الغربى بالعطف على حق الفلسطينيين واصلاح الأوضاع بمحو ما لحق بهم من ظلم وغبن •

والمؤتمر وقد سره أن تعلم بالمسابقة العالمية التى أعلنت عنها رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة لأحسن بحث يقدم عن السيرة النبوية الوارد تفصيلها فى الملحق المرافق يهنىء الرابطة على هذا العمل الجليل ويدعو الحكومات والمسئولين أن يحذوا حذوا الرابطة فى هذه الخطوة الحكيمة وأن يخصصوا صندوقا ماليا للانفاق منه على نشر الكتب والمؤلفات عن السيرة النبوية الشريفة •

كما يوصى المؤتمر اتباعا لقوانين الشريعة الاسلامية بأن يعامل ككافر كل من يدعى النبوة أو يسلم بها لأى شخص بعد الرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم آخر الرسل وخاتم النبيين •

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● **الاسلام والعصر الحديث :**

تأليف : العلامة وحيد الدين خان

الناشر : المختار الاسلامى ــ القاهرة

العلامة المفكر الاسلامى : وحيد الدين خان ، ليس فى حاجة الى التعريف به ، فهو الذى قدم للمكتبة الاسلامية من قبل: الاسلام يتحدى، والدين فى مواجهة العلم . وحكمة الدين ، والمفكر الاسلامى الهندى الكبير الأستاذ وحيد الدين خان ، ليس ككثير من كتابنا الاسلاميين الذين يملكون القدرة على الكتابة، وفى استطاعتهم أن يسودوا آلاف الصفحات ليحولوها الى كتب ، تتخم بها المكتبات دون أن يكون لها صدى فى نفوسنا أو فى تفكير شبابنا المسلم المتعطش الى الفكر الاسلامى الجاد ، وانما مفكرنا الكبير من الكتاب الاسلاميين القلائل الذين يعدون على الأصابع، والذين قد اشتقوا لأنفسهم طريقا وعرا ، لأنهم يملكون القدرة على التفكير لا القدرة على الكتابة وحدها . هذا الطريق الوعر .. هو طريق المواجهة بالاسلام ضد التحديات التى تهب عليه من كل مكان .. من خارجه ومن داخله على السواء ، ويعتبر كتاب « الاسلام يتحدى » وكتاب «الدين فى مواجهة العلم » وكتاب « الاسلام والعصر الحديث . الذى بين أيدينا بمثابة مشاعل على الطريق الوعر الذى اختاره المؤلف لنفسه ، هذه المشاعل لم تجتذب الشباب المسلم المثقف فحسب ، بل أعطت الاشارات الى ما يحدق بالاسلام عقيدة وفكرا

ونظاما ، من خطر ، يجب أن يتنبه له كل مثقف قادر على التفكير ، ليحمل قلمه ، ويقف فى صفوف المناضلين من أجل الاسلام .

ان كتاب الاسلام والعصر الحديث لم تتجاوز صفحاته الستين ، قد يقرأه القارىء العادى فى ساعة ، لكن القارىء المثقف لا يستوعبه الا فى أيام ، لأن الكتاب على تواضعه من حيث الكم ، كتاب يحتاج الى تأمل عميق من حيث الكيف ، لأنه يناقش قضايا على جانب من الخطورة ، يناقش هذه القضايا بفكر العالم المتعمق ، وبأسلوب المفكر الموضوعى ، هذه القضايا هى : الثورة الفكرية قبل الثورة التشريعية ، حوار مع المتغربين ، امكانيات لم يستخدمها العالم الاسلامى ، الايمان والحركة الايمانية ، ثم الدراسة الموضوعية عن الانسان .. ثم دعوة فى نهاية المطاف الى بعث اسلامى ..

والمقام لا يتسع هنا لعرض سائر القضايا ، وحسبنا أن نختار قضيتين ، احداهما : من القضايا المسلمة وهى « الدراسة الموضوعية عن الانسان» والأخرى : تحتاج الى شىء من التحفظ وهى « الثورة الفكرية قبل الثورة التشريعية » ففى القضية الأولى : يشير المؤلف الى أن هناك نظريتين ، كلتاهما تدعى حل مشكلات الانسان ومعضلاته : النظرية الأولى تقول : ان الانسان حيوان سياسى « أى أن السياسة هى العامل الجامع بين الجوانب الشاسعة من الحياة الانسانية وان السياسة هى الأصل الذى يجمع ويوفق بين كل الجوانب الأخرى ، لكن النظرية الأخرى ترفض هذا التفسير ، وتقرر : أن الانسان حيوان اقتصادى .. أى أن الجامع الذى يجمع بين مختلف جوانب الحياة الانسانية فى مجموعة متناسقة هو نظام الانتاج الاقتصادى ذلك الذى يوجد فى الحياة الخارجية للانسان .. ويرى المؤلف : أن الدراسة العلمية لآثار النظريتين ــ اللتين اعتبرتا قبل قرن أهم كشوف التاريخ ــ لم تصدق دعاواهما ، أما من الناحية العلمية التطبيقية ، فان الأحوال السائدة فى كل الدول التى طبقت النظريتين ، لدليل فاصل فى اخفاقهما فى حل قضايا الانسان ،

لأنهما قد حرمنا اليوم من رأسمال اليقين من الناحية « الأيديولوجية » أو القيمة المنفعية » .

هذه القضية ، نحن نسلم بوجهة نظر المؤلف فى مناقشتها ، أما القضية الأخرى « الثورة الفكرية قبل الثورة التشريعية » التى تتحفظ حيالها ، فمؤدى رأى المؤلف : أنه لا يمكن البدء بتنفيذ الأحكام الاسلامية اليوم ، لأن هناك عقبة تقف فى وجه تنفيذ التعاليم الاسلامية ، هى الحضارة المادية الحديثة التى تسلحت بالطاقات العقلية والعملية وغزت العالم كله « والواجب أولا هو خلق جو فكرى ملائم » وقد يكون لمثل هذا الرأى قدر من الوجاهة ، لكن الحضارة المادية الحديثة ليست هى العقبة الرئيسية ، وانما الأنظمة الحاكمة فى ديار المسلمين ونحن اذا أجرينا استفتاء عاما بين المسلمين على قضية « تطبيق الشريعة الاسلامية » ستكون النتيجة حتما فى جانب الشريعة بأغلبية ساحقة وعن اقتناع ، ومعظم الشواذ الذين لا يصوتون الى جانب الشريعة ، هم ممن ترتبط مصالحهم وفى مقدمتهم الأجهزة الحاكمة ـ بخلو الميدان من شريعة الله ، والحل ليس ـ فحسب ـ خلق جو فكرى ملائم ، بل ايجاد وعى اسلامى قوى يفرض نفسه على العقبات التى تتصدى للشريعة الاسلامية يكون هذا الوعى الاسلامى القوى ثمرة للجو الفكرى الملائم ، ونضيف الى ذلك أننا لسنا بحاجة اليوم الى اقتناع المجتمعات الاسلامية بتطبيق شريعة الله ، وانما بحاجة ماسة أن يرد لشريعة الله اعتبارها فى ديار المسلمين ...

● **كتب جديدة :**

كيف تتأدب مع المصحف :

للاستاذ محمد رجب فرجانى

كتاب نشرته دار الاعتصام » فى أكثر من مائتى صفحة من القطع المتوسط ، والمؤلف واعظ بالقوات المسلحة ، وهذا الكتاب باكورة انتاجه، وقد اختار للتأدب مع المصحف مجالات

أربعة : الكتابة والقراءة ، والتعليم والاستماع ، والحق أن المؤلف العالم الفاضل قد بذل جهدا فكريا طيبا ، حتى جاء كتابه زادا فقهيا وعلميا ، حيث حرص على عرض الكثير من الأحكام التى نحن فى حاجة اليها ، والتساؤل عنها لا يزال متواصلا ، ومن هذه الأحكام مثلا : حكم حصول معلم القرآن على أجر ، وحكم تعليم القرآن للكافر ، وحكم ترجمة نص القرآن ، بالاضافة الى ما زود المؤلف به كتابه من علوم القرآن ، مثال ذلك : أقسام كلام الله تعالى ، أسماء القرآن الكريم .

● الخلافات الزوجية
للدكتور عبد الحى الفرماوى

كتاب نشرته « دار مصر العربية » فى مائة وعشرين صفحة ، وهو يتناول قضية ذات أهمية خاصة اليوم ، والمؤلف يعرض للخلافات الزوجية : صورها وأسبابها وعلاجها ، من الوجهة الاسلامية بالطبع ، عرض للقوامة والنشوز ، والخلافات من ناحية الزوجة ، ومن ناحية الزوج ، ثم الشقاق ، والحق أن المؤلف يسير فى كتابه على منهج سليم مدروس ، فهو يعرض الصورة ، ثم الأسباب ثم العلاج ، فمثلا حول مسألة النشوز ، يعرض للمصطلح اللغوى والشرعى للفظ «النشوز» ومن هى المرأة الناشز ، ومن هو الرجل الناشز ، ثم أهمية العلاج عن طريق الوسائل التى نص عليها تشريعنا الاسلامى .

● الرئيس واذاعة القرآن الكريم :

نشرت جريدة الأهرام حديثا حول اذاعة القرآن الكريم ، أدلى به السيد الرئيس محمد أنور السادات للأستاذ الدكتور كامل البوهى « مدير اذاعة القرآن الكريم» أشار فيه سيادة الرئيس بالدور الفعال الذى تقوم به اذاعة القرآن الكريم ، وما يجب أن يكون عليه صوت الدعوة الاسلامية من ملاحقة التطور المقبل ، حتى يصل الى أذهان الملايين من مختلف الدول وبمختلف اللغات .

لا شك أن هذه لفتة كريمة طيبة من السيد الرئيس نأمل أن يستجيب لها المسئولون عن الاعلام ، فقد بحت الأصوات تطالب بتقوية اذاعة القرآن، واعطائها الامكانيات التى يتيسر لها القيام بدورها كما ينبغى ..

● **قراءات :**

« الحق أن الاسلام ليس مجرد نظام من العقائد والعبادات ، انه أعظم من ذلك كثيرا، هومدنية كاملة ..انه يشمل مزيجا كاملا من الثقافات التى نمت حول الأصل الدينى.. فهو مزيج ذو خصائص يتميز بها فى تكوينه السياسى والاجتماعى والاقصادى ، وفى تصوره للقانون ، وفى نظرته الخلقية ونزعاته العقلية وأساليبه فى الفكر والعمل » ..

المستشرق الانجليزى « جب »

محمد عبد الله السمان

لقد أعيانا سفيان

لقى أبو جعفر المنصور سفيان الثورى فى الطواف وسفيان لا يعرفه فضرب بيده على عاتقه وقال : اتعرفنى ؟

قال : لا ولكنك قبضت على قبضة جبار

قال : عظنى أبا عبد الله .

قال : وما عملت فيما علمت فأعظك فيما جهلت .

قال : فما يمنعك أن تأتينا .

قال ان الله نهى عنكم فقال تعالى : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار» فالتفت أبوجعفر الى أصحابه فقال : القينا الحب الى العلماء فلقطوا الا ما كان من سفيان فانه أعيانا فرارا .

باب الفتوى

للأستاذ محمود محمد رسلان

زكاة الورق النقدى

السؤال

ما هى الزكاة المستحقة على ورق النقد « البنكنوت » المتداول بين الناس فى معاملاتهم المختلفة طبقا للمذاهب الأربعة ؟ علما بأن هناك من الأقوال المتضاربة ما تمنع وجوب الزكاة على مثل هذه المعاملات .

الجواب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فقد دار أمامى حوار داخل حجرة المجلة بين اثنين من أساتذتى حول زكاة النقد أو ورق « البنكنوت » ولما كنت حريصا على مثل هذه الموضوعات التى تهم المسلم فى دينه ودنياه بدأت فى البحث عن جواب يملأ نفس المسلم بالطمأنينة والسرور فوجدت على صفحات مجلة نور الاسلام المجلد الثالث ص٢٠٩ومابعدها لسنة١٣٥١هـ اجابة للمرحوم الأستاذ طه حبيب . عضو المحكمة العليا الشرعية .

يقول رحمه الله : « الزكاة ركن من أركان الدين أوجبها الله سبحانه وتعالى على الأغنياء رعاية الفقراء ورأفة منه بهم ورحمة ، فأوجب جل شأنه على المسلم العاقل البالغ الحر المالك ملكا تاما لنصاب تام قابل للزيادة بالتوالد أو التجارة ، أو ممكن النمو فى ذاته ولو لم ينمه صاحبه اخراج جزء من ذلك المال قدره سبحانه وتعالى .

وقد جعل الله مناط الوجوب ملك النصاب متى كان المال منتفعا به أو فى الامكان الانتفاع به ، فالمال المودع عند أمين تجب فيه الزكاة ولو لم يعمل فيه صاحبه ، والدين الذى على ملىء

لامكان الانتفاع به لتيسر الحصول على تجب فيه الزكاة عما مضى من السنين ذلك المال ، فيجب الأداء على المالك متى قبض الدين •

وقد قسم الامام الأعظم رحمه الله الديون الى ثلاثة أقسام رأى وجوب الزكاة فيها جميعها على التفصيل الآتى، وهى :

أولا : دين قوى وهو بدل مال القرض ومال التجارة ، وهذا يجب فيه الزكاة اذا حال الحول ولو لم يقبض الدائن من المدين ، غير أن الأداء يتراخى الى أن يقبض أربعين درهما فيجب عليه أداء درهم ، وكلما قبض شيئا بعد هذا وجب الأداء بحسابه •

ثانيا : متوسط وهو بدل ما ليس للتجارة كثمن الثياب ودار السكنى ، والحكم فى هذا كالأول ، الا أن الأداء لا يجب الا اذا قبض نصابا تاما •

ثالثا : دين ضعيف وهو بدل ما ليس بمال كالمهر والوصية وبدل الخلع ، وهذا لا تجب فيه الزكاة عما مضى من سنتين قبل القبض ، وتجب بعد القبض اذا قبض نصابا وحال عليه الحول •

ورأى صاحباه وجوب الزكاة فى الديون كلها قبل القبض ، وكلما قبض شيئا زكاه قل ذلك أو أكثر ، ولم يستثنوا الا بعض أفراد الديون •

واذ قد تبين هذا فالجواب هو ما يأتى :

اعتادت الدول فى هذه الأزمنة اتخاذ وحدات غير النقدين للتعامل بها بقيم اسمية مختلفة وحفظ ما يوازى قيمة هذه الوحدات من ذهب أو فضة ، أو من ذهب وسندات فى خزائنها ضمانا لما تصدره من الأوراق ، وقد نهجت حكومتنا السنية هذا النهج فى سنة ١٨٩٨ واستصدرت دكريتو لأحد المصارف المالية (البنك الأهلى المصرى) تدفع قيمتها لحاملها عند الطلب ، وقد اشترط على المصرف أن يكون فى خزائنه ذهب يعادل نصف قيمة هذه الأوراق التى تصدرها والنصف الثانى يكون من القراطيس التى تعينها الحكومة • وقد نص فى الأوراق التى استصدرها المصرف أنه يتعهد بأن يدفع لحاملها لدى الطلب المبلغ المسمى بها •

وقد تعامل الناس بهذه الأوراق معاملتهم بالنقدين ، وصارت هـذه الأوراق أثمـانا ، فيصـح القـول بوجوب الزكاة فيها حيث ان الثمنية قد عرضت لها وصار الناس يتعاملون بهـا على اعتبار أنها أثمان رائجة ، فتجب الزكاة فيها باعتبار قيمتهـا ، ويكون ذلك قياسا لها على الفلوس المسكوكة ان كانت أثمـانا رائجة أو سلعا للتجارة • وقد نص الحنفية على وجوب الزكاة فى قيمتها ، ففى فتاوى قارىء الهداية ــ الفتوى على وجوب الزكاة فى الفلوس اذا تعومل بها وبلغت ما يساوى مائتى درهم أو عشرين مثقالا من الذهب •

وفى الشرمبلالية ــ الفلوس اذا كانت أثمانا رائجة أو سلعا للتجارة تجب الزكاة فى قيمتها ، والا فلا •

غير أن هذا يبعده أن هذه الأوراق لا قيمة لها فى ذاتها ، واعتبارها انما جاء من ضمان جهـة الاصدار لمـا سمى بها ، حتى اذا تنحت الجهـة الكافلة عن الضمان أو أصيبت جهة الاصـدار بالافـلاس تصبح هـذه الأوراق ولا قيمة لهـا ، فرواجها فى الواقع ونفس الأمر ناشىء من ضمان أرباب الأموال الموثوق بهم وبقدرتهم على الدفع لقيمتها ، فليست كالفلوس المسكوكة التى تعرض لها الثمينة ، أوينوى بها التجارة، وليست هذه الادارة سندا بوديعة فيكون ايجاب الزكاة فيها باعتبار المال المودع فى المصرف ، لأن الوديعة تسليط الغير على حفظ المال صريحا أو دلالة بتعاقد بين الطرفين وشىء من هذا لم يحصل بين مدير المصرف وحامل هذه الأوراق ، ولأن المـال المودع لا يضمن عند الهلاك الا بقيود ، والقيمة الاسمية للأوراق مضمونة على المصرف ، ولأن المـال المودع فى المصرف الذى يصدر هذه الأوراق يكون أقـل من قيمتهـا الاسمية فى كثير من الأحيان ، وقد يكون المودع فى المصرف سـندات على الغير فيبعد اعتبار هذه الأوراق سندات بودائع حتى يكون ايجـاب الزكاة فيها باعتبار المـال المودع •

والذى يظهر هـو اعتبار هـذه الأوراق سندات بدين (هو المبلغ المسمى بها) على الجهة التى أصدرتها تطالب به ، ويجب عليها وعلى الجهة التى كفلتها فى الاصدار الأداء عنـد الطلب ، وهذا أقرب شىء الى ما نص

عليـه فى هـــذه الأوراق ، والى ما اشترطته الحكومة من الشروط .

واذ قـد علمت أن الامام الأعظم أوجب الزكاة على الدائن فى ديونه ، فلا تمتد فى وجوب الزكاة فى قيمـة الأوراق المـالية (البنكنوت) على حاملهـا متى بلغت نصابا أو نصابا وحال عليه الحلول ، وأنها تجب فيها على السنين المـاضية قبـل القبض لأنها سندات بدين قوى ميسـور الحصول على القيمة فيه . أما القول بعدم وجوب الزكاة فيها فأمر لايوافق روح الشريعة ، واحتيال على دفـع الوجوب ، وهـدم لركن من أركان الدين الحنيف .

وقد جرى السادة الشافعية على وجوب الزكاة فى الدين الحـال ، قال فى مختصر المزنى :

قال الشافعى : وان كان له دين يقدر على أخذه فعليه تعجيل زكاته كالوديعة .

ومـذهب المـالكية : أن الدين اذا لم يكن ثمن عرض وكان حـالا فيزكيه عن كل سنة ولو قبل قبضه .

وقال الحنابلة : أن من له دين على ملىء باذل من قرض أو دين عروض تجارة أو ثمن بيع وحال عليه الحول، فكلما قبض شيئا أخرج زكاته عمـا مضى . وفى الدين على غـير ملىء روايتـان الصحيح من المذهب أنه كالدين على الملىء فيزكيه اذا قبضه عما مضى .

فيتبين من هـذا وجوب الزكاة فى قيمة الأوراق المـالية عند أئمتنا الأربعة على الوجـه السابق بيانه ، والله أعلم » . اهـ .

حكم التلهى ببعض الألعاب :

السـؤال

ما حكم لعب السيجة ، والطاولة، والدمينو ، مع العلم بأن كل ما تقدم يتخذ للتسلية .

الجـواب

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فهذا سؤال قديم ، جديد ينطبق على كثير من الأجيال المدبرة والمقبلة

ومنه أن كل ما يشغل عن الله فهو شؤم على صاحبه ، فلا يسعنا هنا الا أن نذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ، ولقد وجدت اجابة هذا السؤال على صفحات مجلة نور الاسلام أيضا المجلد الثالث ص ٥٦٩ وما بعدها لسنة ١٣٥١ هـ ما يلى :

« قال الحنفية : كره تحريما اللعب بالنرد والشطرنج ، وكره كل لهو وعبث ، فلا يجوز لعب السيجة ولا الطاولةولاالدومينو، كما لايجوز تضييع الوقت فى غير الشىء النافع . وأجاز الامام الشافعى وأبو يوسف رحمهما الله اللعب بالشطرنج بشرط ألا يكون للهو وألا يقامر عليه . وقد نصوا أيضا على عدم جواز الرقص والسخرية والتصفيق وضرب الأوتار : من الطنبور ، والبربط ، والرباب ، والقانون ، والمزمار ، والصنج ، والبوق . هذه الأمور جميعها مكروهة تحريما ، والمكروه تحريما كالحرام يستوجب فعله العقوبة بالنار . وانما كان الحكم كذلك لأن هذه الأمور من شأنها أن تلهى الانسان عن العبادة والطاعة ، وأن تمنعه عن مباشرة عمله مباشرة دقيقة .

ولو فقه الذين يلعبون هذه الألاعيب الى ما فيها من ضياع وقت كبير يستطيع أن يتعلم فيه الانسان علوما جمة ، وأن يستفيد فوائد عظيمة ، ما وسعهم أن يفعلوها . على أن فى فعل البعض منها ما هو مسقط للمروءة ، كالرقص ، والسخرية ، والضرب بالدف دون حاجته الى ذلك ، وفيما أباحه الشارع من الأفعال الموجبة للسرور ، والمفيدة للشجاعة كركوب الخيل ، والسباحة والفروسية ، وتعلم ضرب السلاح ، وما الى ذلك مندوحة عن هذا الصنيع الذى لو تأملت بعض التأمل فيه لوجدت حكمة الشارع فى كراهيته واضحة جلية .

أنظر أنت الى ما تجده فى الأسواق الآن من جماعات يجتمعون زرافات مكبين على لعب الطاولة والدومينو مضيعين أثمن الأوقات فى ذلك ، وقد

يكون أحدهم أحوج ما يكون الى جزء من هذه الأوقات يسعى فيه لتحصيل رزقه ورزق عياله • وتأمل قليلا فيما تجده بين هؤلاء من مشاحنات ومشاجرات تنجم عن هذه الألاعيب الخبيثة التى قد تدعو لاعبيها الى أن يقامروا بها فيخسروا أموالهم فوق خسران أوقاتهم •

على أن الذى يدعى أنه انما يلعب للتسلى لو فطن الى أن التسلية بالمباح وبما يجلب النفع خير ألف مرة من التسلية بأمثال هذا الذى يطلبه ، لما قال ما قاله : من أنه يلعب للتسلية •

ولو أن هؤلاء عملوا فى تلك الأوقات لتكميل أنفسهم ولما ينفع أمتهم • لما كان هذا حالتنا اليوم من تأخر عن بقية الأمم الناهضة ! فليتق الله المسلمون ، وليستيقظوا ويعملوا على ما فيه خيرهم ، خير من ضياع الأوقات فى مثل هذه السخافات التى لا تجدى نفعا ، بل تجلب ضررا » •

والله أعلم • اهـ

محمود محمد رسلان

معنى «كاد » فى الاثبات والنفى

قال أهل اللغة « كاد » موضوعة للمقاربة ، فان لم يتقدمها نفى كانت لمقاربة الفعل ولم يفعل ، كقوله تعالى : « يكاد البرق يخطف أبصارهم » وان تقدمها نفى كانت للفعل بعد بطء ، وان شئت قلت : المقاربة عدم الفعل ، كقوله تعالى: « فذبحوها وما كادوا يفعلون »

النووى فى شرح صحيح مسلم

أخبار العالم الإسلامى

للأستاذ ابراهيم حامد النويهى

مصر

• تمت ـ فى الفترة الأخيرة ـ عدة لقاءات بين فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وبين عدد من سفراء الدول فى القاهرة وعدد من مفتشى ووعاظ الأزهر وكبار المسئولين فيه ، وذلك لبحث سياسة التعليم فى معاهد الأزهر ومشاكل المسلمين فى العالم والنهوض بالدعوة الاسلامية ، والدفاع عن الاسلام ، والتصدى للغزو الفكرى ومقاومة الالحاد والتيارات الهدامة بكل صورها .

وطالب فضيلته ـ أثناء هذه اللقاءات من مفتشى ووعاظ الأزهر ، بذل الجهود فى الدعوة الى انشاء معاهد أزهرية ، على اختلاف مراحلها ، لأهمية التربية الدينية فى دعم الأخلاق ، وبناء الجيل المسلم ، ولمجابهة التحديات التى يجابه بها الاسلام .

وشرح لهم تيسير الأزهر للراغبين فى العلم من أبناء الأمة الاسلامية للالتحاق بالتعليم الأزهرى .

تحية لامام المسلمين على جهوده وكفاحه فى سبيل اعلاء كلمة الله ونشر دينه الحنيف .

• أجريت بالأزهر مسابقة للراغبين فى العمل بالوعظ من خريجى كليات الأزهر (أصول الدين ، والشريعة ، واللغة العربية ، والدراسات الاسلامية) ، الذين يعملون خارج الأزهر فى الوزارات والهيئات والمؤسسات والشركات .

وتقدم لهذه المسابقة ٤٠٠ خريج ، دخل الامتحان منهم ٨٨ خريجا ، نجح

منهم ٤٤ خريجا ، وأجل امتحان ٣٠ خريجا ورسب ١٤ خريجا •

وبهذا تكون نسبة النجاح الأولية ٥٠٪ •

• تمت الموافقة على تحويل معهد الدراسات الاسلامية والعربية بجامعة الأزهر الى كلية للدراسات الاسلامية والعربية •

المغرب

فى نبأ لوكالة الأنباء المغربية أن ٢١٤ أجنبيا من الذين يقيمون فى المغرب قد دخلوا الاسلام ، ومن بين هؤلاء أساتذة ومهندسون وطلبة وصيادلة ومديرو شركات وتجار وزراع •

وذكر النبأ أن عدد الفرنسيين فى هذه القائمة يقدر بمائة وخمسة عشر شخصا أشهروا اسلامهم •

وهكذا نرى الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ، تأكيدا لأصالة الاسلام ، وصدق مبادئه ودقة أحكامه ، وانه الدين الخاتم الذى تهرع اليه النفوس، فتجد فى رحابه الطمأنينة والخير والسلام وراحة النفس والقلب والوجدان ، وسيظل كذلك حتى يرث الله الأرض ومن عليها •

• صدر العدد الأول من مجلة الرسالة التربوية التى تصدرها جمعية الوعى التربوى بوزارة التعليم الابتدائى والثانوى بالمملكة المغربية •

وهدف هذه المجلة ، التعبير عن النهضة التعليمية المعاصرة ، ورصد نظم العمل التربوى •

السعودية

• نشرت صحيفة الميثاق المغربية أن جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ، عاهل المملكة العربية السعودية سيفتتح فى ٢٠ من مارس القادم ١٩٧٧ مؤتمر التضامن الاسلامى فى مجال العلم والتكنولوجيا ، الذى تنظمه كلية الهندسة ، بجامعة الرياض ، وذلك بقاعة الملك فيصل •

• تعقد جامعة الامام محمد بن سعود المؤتمر العالمى للفقه الاسلامى الذى سيعقد فى الفترة من ٢٠ الى ٢٧ من ذى القعدة ١٣٩٦ هـ والذى يرعاه مديرها بالنيابة الدكتور عبد الله التركى •

ومن أهم الموضوعات التى ستطرح للمناقشة ما يلى :

١ - وجوب تطبيق الشريعة الاسلامية فى كل مكان وزمان .

٢ - الشبهات التى تثار حول تطبيق الشريعة الاسلامية فى العصر الحديث.

٣ - الاجتهاد فى الشريعة الاسلامية ونظام القضاء فى الاسلام .

٤ - التربية الاسلامية وأثرها فى المجتمع .

٥ - الاعلام وأثره فى نشر القيم الاسلامية وحمايتها .

٦ - الغزو الفكرى والتيارات المعادية للاسلام .

٧ - المعارف الاسلامية بين النظرية والتطبيق .

• أصدر المؤتمر العالمى الأول للاقتصاد الاسلامى الذى عقد بمكة المكرمة بدعوة من جامعة الملك عبد العزيز عدة توصيات ومقترحات هامة ، من أهمها :

١ - ايجاد سوق اسلامية مشتركة لتحقيق الاكتفاء الذاتى بين المسلمين .

٢ - اقامة مصارف لا تتعامل بالربا .

٣ - التوصيات بجعل الاقتصاد الاسلامى مادة أساسية فى جامعات البلاد الاسلامية تمهيدا لوضعه موضع التنفيذ .

تركيا

• أفتتح فى أسطنبول كلية اسلامية ، تتولى الاشراف عليها الرئاسة العامة للشئون الدينية فى تركيا .

والهدف من انشاء هذه الكلية نشر الثقافة الاسلامية فى منطقة اسطنبول وخارجها .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الكلية ستعنى بتدريس العلوم الاسلامية ، والأدب الاسلامى والعربى ، وستكون اللغة العربية من اللغات الرئيسية فى منهاجها الدراسى ، وسيحصل الدارس فى هذه الكلية على دبلوم فى العلوم الاسلامية .

كوريا

أقيم فى سيول عاصمة كوريا الجنوبية مركز اسلامى كبير يضم مسجدا ، وقاعة للمحاضرات ، ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم .

ويعد هذا المركز فى هذا المكان ، نافذة نور ، وخطوة موفقة ، نسأل الله أن تليها خطوات •

تحية للقائمين بهذا العمل ودعاء لهم بالتوفيق والسداد •

فرنسا

أفتتح فى نانسى بمنطقة مورترو موزال المركز الثقافى الاسلامى الذى نظم تحت اشراف المعهد الاسلامى وجامعة باريس •

ويضم المركز مسجدا للصلاة ومكتبة وقاعات للمؤتمرات والقاء المحاضرات الدينية •

كما سيتم افتتاح معهد ثقافى لتعليم اللغة العربية فى باريس تبرع الشيخ عيسى بن سليمان آل خليفة أمير دولة البحرين بمبلغ مليون فرنك فرنسى للمساهمة فى اقامة هذا المعهد •

أمريكا

• ذكرت جريدة نيويورك تايمز أن عدد الطلاب الذين يدرسون اللغة العربية فى الجامعات والمعاهد، والمدارس الخاصة قد زادت بنسبة ٥٠٪ ، وقد حدث تطور فى أسلوب التدريس نفسه الذى أصبح يهتم بالحديث والمفردات والقواعد الأساسية •

وذكرت الجريدة أن لغة المائة مليون عربى أصبحت تلقى اهتماما من الشعب الأمريكى ، وبخاصة بعد أن أصبحت احدى اللغات الرسمية فى الأمم المتحدة •

ابراهيم حامد النويهى

● كتب احد الولاة الى الخليفة عمر بن عبد العزيز يطلب مالا كثيرا ليبنى به سورا حول عاصمة الولاية فأجابه عمر ، وماذا تنفع الأسوار ؟

حصنها بالعدل ، ونق طريقها من الظلم .

كتاب الشهر:

بحث واف

في مشروعية الصيام وصلاة التراويح وفي الدعاء
والإجابة وفي ليلة القدر وزكاة الفطر

تأليف
مصطفى محمد الحديدي الطير

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فقد فرض الله الصوم على عباده فى جميع الرسالات ، لما له من فوائد جليلة تعود على الروح والخلق والجسد ، وجعله فى الاسلام أحد قواعده الخمسة التى يقوم بناؤه الكلى عليها ، وأفرد له شهرا كريما من شهور السنة القمرية ، هو شهر رمضان المبارك الذى أنزل فيه القرآن ، وجعل فيه ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر ، وأعقبه بعيد الفطر ليفرح فيه الصائمون باكمالهم لفريضة الصيام ، وليغتبط فيه البؤساء بصدقة الفطر التى جعلهم يشاركون المياسير فى مباهجه ومظاهره ، وليتواصل الجميع بالود والتراحم فيما بينهم .

وقد حفل هذا الشهر الكريم بأحداث جليلة كان لها أثر فى مسيرة الاسلام وانتشار نوره فى المشارق والمغارب ، فمن حقه علينا أن نفرد له رسالة تتضمن الكثير مما يتصل به من الأحكام والأحداث ، لتكون مشكاة للمهتدين ، وذكرى للذاكرين ، ولتغنيهم عن البحث فى أمهات الكتب وراء المسائل التى ضمناها اياها ، والله الهادى الى سواء السبيل .

فريضة الصوم وتطوراتها

قال الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

لطائف الخطاب :

يخاطب الله المسلمين بقوله : « يأيها الذين آمنوا » فى نيف وثمانين موضعا من القرآن ، بينما يخاطب اليهود فى التوراة بقوله : يأيها المساكين ، ويخاطب النصارى فى الانجيل بقوله : يا أبناء الماء والطين .

ونداء الله للمسلمين فى القرآن بذلك يمنح الكرامة ، ويورث الاعتزاز بأن ربهم اعتبرهم مصدقين بالحق ، لا يجادلون فيه بالباطل ، وجعلهم أهلا لوعده الجليل « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » .

معنى الصيام وكتابه

الصيام فى اللغة : الامتناع عن أى شىء ، ومنه قول مريم : «انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا » وصومها امتناعها عن الكلام .

وفى الشرع : الامتناع عن الأكل والشرب والجماع فى وقت مخصوص مع النية القلبية ، وكتابه فرضه ، وقد أخبرنا الله تعال فى الآية أنه فرض الصيام علينا كما فرض على من قبلنا ، فجميع الشرائع تضمنت فرض الله للصيام على أممها .

والصيام فى كل أمة له نظام قد يختلف عنه فى أمة أخرى ، ولكنه بصفة عامة يمنع النفس من غشيان ملذاتها وشهواتها ، ويمنحها الصبر وقوة العزيمة ، ويحضها على بر الفقراء والمعوزين ، ويضفى على الأجساد الصحة والعافية ، وعلى الروح السمو والصفاء ولهذه المزايا وغيرها فرض فى جميع الأديان كما تقدم .

لعلكم تتقون

بين الله فى قوله «لعلكم تتقون» الغاية من فرض الصيام، وهى حصول التقوى للصائمين والتقوى بابها واسع ، فهى من الوقاية، والوقاية تدخل فى الطاعات والأخلاق والأجساد والأرواح .

فالمعنى يأيها الذين آمنوا فرض عليكم الصيام كما فرض على أهل الأديان السابقة لتقوا أنفسكم وتحفظوها من وضر الاثم ، ودرن الخلق ، وفساد الجسم ، وصدأ النفس وظلمة القلب .

ولكون الصوم يحفظ من المعاصى وصفه النبى صلى الله عليه وسلم علاجا للشباب الذين لايجدون مؤنة الزواج من الانحراف فقال «يامعشر الشباب ، من استطاع منكم الباءة : (أى مؤنة الزواج فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء » أى وقاية من الفحشاء .

والأديان غير السماوية تهتم بالصيام رياضة للتقوى وتقوية للعزائم ، كمافى البوذية والهندوسية ، وبعض أولئك يصل بتقوية ارادية بالصيام الى درجة تحمل الآلام والتحكم فى النفس وشرايين الدم ، فتراهم ينامون على الواح برزت منها مسامير تغوص فى أجسادهم فلا يتألمون ولاينزف من أجسادهم دم ، وبعضهم يدفن ساعات تحت الرمل ، والهواء لا يصل اليه فى

محبسه ، ولايموت بذلك ، وقدحدث أن رجلا كان يسمى نفسه الدكتور سالمون دفن نفسه فى الاسكندرية فى ثلاثينيات هذا القرن لمدة ست ساعات تحت الأرض بحضور لجنة من الأطباء ، ثم رفع التراب عنه فاذا هو حى ، ولكنه كان يتصبب عرقا وقد عاصرنا هذا الحادث ، وهذا التحمل كان منه بفضل رياضة الصيام التى يجهل فضلها الجاهلون .

« أياما معدودات » .

كان الصيام أول الاسلام أياما معدودات ، فقد كان المسلمون يصومون من كل شهر هلالى ثلاثة أيام ١٣،١٤،١٥ ، وهى أيام الليالى البيض ، قيل وحدها ، وقيل معهايوم عاشوراء ، ثم نسخ ذلك بآية « شهر رمضان » قال ابن عباس أول مانسخ بعد الهجرة أمر القبلة والصوم اهـ ، فأما القبلة فانها نسخت من بيت المقدس وحولت الى الكعبة ، وأما الصوم فقد علمت أمره .

وذكر الأجهورى فى كتابه (فضائل شهر رمضان) أن الأيام المعدودات المذكورة التى فرض الله تعالى صومها قبل شهر رمضان كان فرضها فى شهر صفر من السنة الثانية الهجرية ، أما فرض رمضان فكان فى شهر شعبان لليلتين خلتا منهفى السنة الثانية الهجرية أيضا ، وبذلك يكون المسلمون قد صاموا على هذا النمط لمدة ستة أشهر ، فتكون جملة هذه الأيام ثمانية عشر يوما ، وأن الصوم لم يفرض الا فى المدينة .

ومن العلماء من قال ان الأيام المعدودات هى شهر رمضان ، قال مقاتل، كل معدودات فى القرآن أو معدودة فهى دون الأربعين ، ولا يقال ذلك لما زاد ، اهـ .

واذا كان المراد بالأيام المعدودات شهر رمضان فان التعبير عنه بذلك للايذان بأنه تعالى ترفق بنا وخفف عنا بصيام أيام قلائل ، بدلا من أن يكلفنا بعدة أشهر أو بصيام الدهر كله .

« فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر» .

أفاد هذا الجزء من الآية أنه تعالى أباح الفطر للمريض والمسافر ، وأوجب على المريضأن يقضى ماأفطره

بعد شفائه ، وعلى المسافر أن يقضى ما أفطره بعد انقضاء سفره سواء كان المراد من الأيام المعدودات أيام الليالى البيض أم شهر رمضان كما تقدم بيانه « وعلى الذين يطيفونه فديه طعام مسكين » •

أى وعلى الذين يقدرون على صيامه ويريدون الفطر فدية طعام مسكين ان أفطروا ، وهذا الحكم معناه التخيير بين الصيام وبين الفطر والفدية ، وقد كان هذا فى أول مشروعية الصيام ، قبل أن يلزم به القادرون عليه الزاما لاتخيير فيه ، بقوله تعالى « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » •

والحكمة فى أن الصوم لم يشرع محتوما فى أول التكليف به أنه فريضة شاقة وأن بلاد الحجاز وقت فرضه كانت شديدة الحرارة ، فتكليفهم الصيام على القطع يشق عليهم ، وقد جرت عادة الاسلام بالتدرج فى التكاليف التى تشق على الناس ، كما صنع فى تحريم الخمر ، حيث بين لهم أولا أن اثمها أكبر من نفعها ، ثم طلب منهم ثانيا أن لا يقربوا الصلاة وهم سكارى ، فبقى بعضهم يشربها فى وقت لا يقدم فيه على الصلاة وهو سكران ، ثم حرمت نهائيا بآية « انما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » وأكد التحريم بقوله تعالى فى نهاية الآية الثانية « فهل أنتم منتهون » •

ومما يدل على أن الصوم كان مخيرا فيه أول التكليف به ، ما أخرجه البخارى ومسلم وأبو داود وغيرهم عن سلمة بن الأكوع قال لما نزلت هذه الآية « وعلى الذين يطيقونه فدية » كان من شاء منا صام ومن شاء أفطر ويفتدى ، فعل ذلك حتى نزلت الآية التى بعدها فنسختها « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » وقد ذهب الى ذلك أكثر العلماء ومنهم عبد الله بن عمر وسلمة بن الأكوع قاله ابن العادل وخلاصة ما تقدم أن الصوم أول ما فرض كان أياما معدودات ، وهى اما ثلاثة أيام من كل شهر قمرى ١٣ ، ١٤ ، ١٥ على قول ، واما شهر رمضان على قول آخر ، وأن المسلم كان مخيرا بين الصيام والفدية ، فان كان يرغب فى الصيام ولا يبغى به بديلا ، ومنعه عنه المرض أو السفر أفطر وقضى بعد زوال العذر بعدد ما أفطره ، وان كان يريد الفطر سواء أكان صحيحا

أم مريضا أفطر وأعطى فدية طعام مسكين .

ومن العلماء من قال ان التكليف بالصيام أولا كان لشهر رمضان، وكان حتميا لا تخيير فيه ، والأيام المعدودات عنده هى شهر رمضان ، وفسر قوله تعالى « وعلى الذين يطيقونه فدية » بمعنى وعلى الذين يصومونه بمشقة (من أطاق الشىء قدر عليه بمشقة) وهم الشيوخ الضعفاء عليهم ان أفطروا فدية بدل صيامهم ، ففى الآية اباحة الفطر لهم مع الفدية وهذا الرأى فضلا عن مخالفته لظاهر الآية ، فهو مخالف لحديث سلمة بن الأكوع الذى روته كتب الصحاح ، ويلزم عليه تكرار حكم المريض والمسافر مرتين فى حالة واحدة بدون داع ، والفدية المذكورة هى مد من طعام عند أهل الحجاز عن كل يوم ، والمد رطل وثلث ، وعند أهل العراق نصف صاع من بر عن كل يوم أو صاع من غيره والصاع أربعة أمداد، والمد عندهم رطلان ويمكن دفع قيمة البر المطلوب، بدلا من البر نفسه « فمن تطوع خيرا فهو خير له » .

المراد من تطوع الخير اما الزيادة على القدر المذكور فى الفدية ، أو الزيادة على عدد من يلزم اطعامه بأن يطعم عن اليوم مسكينين مثلا ، أو الجمع بين الاطعام والصيام .

« وأن تصوموا خير لكم » من الفطر والفدية « ان كنتم تعلمون » ما فى الصوم من الفضيلة وعظيم الثواب « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان » .

أفاد هذا الجزء من الآية أن الله تعالى أنزل القرآن الشريف فى شهر رمضان لهداية الناس الى الحق والخير عقيدة وخلقا وتشريعا ، منذ أنزله الله الى أن تقوم الساعة ، ومع كون القرآن الكريم أنزل فيه لهداية الناس .

فهو آيات واضحات من جملة الكتب الالهية الهادية الى الحق ، والفارقة بين الحق والباطل ، باشتمالها على المعارف الالهية والأحكام العملية .

وفى اختيار شهر رمضان لانزال القرآن اعظام لشأن هذا الشهر الكريم ، فلا بدع أن يجعله الله ميقاتا للصوم الذى فرضه الله على المسلمين، ليجتمع له بذلك شرفان ، شرف نزول القرآن فيه وشرف صيامه ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

أى فمن علم منكم بهلال الشهر ليلة الثلاثين من شعبان فليصمه ، فشهود الهلال ليس شرطا للصيام بمعناه الخاص وهو الرؤية له ، بل بالفرض منه وهو العلم بوجوده فى الأفق بالرؤية أو عن طريق العلم بحكم القاضى بثبوت الرؤية ، أو بتصديق من رآه ، أو عن طريق الحساب الوثيق كما سنبينه .

أما من شك فى رؤية ليلة الثلاثين من شعبان فانه يحرم عليه صوم يوم الثلاثين المذكور وحده ، وبهذا الجزء من الآية الكريمة نسخ التخيير بين الصيام وبين الفطر والفدية للصحيح المقيم وتحتم الصوم عليه .

وأعلم أنه اذا شهد عدلان عند القاضى برؤيتهما هلال رمضان ليلة الثلاثين من شعبان فانه يجب عليه الحكم بثبوت الهلال ووجوب الصيام غدا على أنه أول رمضان ، كما يجب عليه الحكم بوجوب الفطر بثبوت الهلال ليلة الثلاثين من رمضان بشهادة عدلين عنده أما ان شهد برؤية الهلال فى كل عدل واحد ، فانه يحكم بثبوت هلال رمضان ووجوب صيام الغد دون هلال شوال احتياطا للعبادة فى بدء الصيام ونهايته ، فيقبل قوله فى رمضان ليصوموا ولا يقبل قوله فى هلال شوال ليتموا رمضان ثلاثين يوما .

ويدل لثبوت هلال رمضان شاهد عدل واحد (أن ابن عمر رضى الله عنهما رآه ، فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فصام وأمر الناس بصيامه » رواه أبو داود وابن حبان وصححه، وأن ابن عباس قال:(جاء أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال انى رأيت هلال رمضان ، فقال أتشهد أن لا اله الا الله ، قال نعم ، قال أتشهد أن محمدا رسول الله ، قال نعم ، قال يابلال أذن فى الناس فليصوموا غدا) صححه ابن حبان والحاكم .

ويعلم ثبوت الهلال برؤية المآذن مضاءة ، وقد كانت قبله لانطفاء ، كما يعلم ذلك بقراءة الصحف أو السماع

من المذياع بأن القاضى قد حكم بثبوته ، كما يعلم بنحو ضرب الدفوف والطبول كما يحدث فى بعض البلاد ولقد جرت عادة الجهات الشرعية العليا بمصر أن تحتفل بهذه المناسبة، وتبعث بمندوبيها الى المآذن وقمم المرتفعات ، كما يقوم مرصد حلوان برصد الهلال ، فاذا أبلغ شهود الرؤية الجهات الشرعية المذكورة أنهم رأوه أعلنت ذلك فى طول البلاد وعرضها .

وأحيانا تعتمد فى ذلك على بعض البلاد العربية الدائمة الصحو القريبة من مصر مثل السعودية والسودان ، فتثبت رؤية الهلال لدى أهل مصر برؤيته فى تلك البلاد ، وتوجب الصوم بذلك ، وهو مسلك شرعى سليم .

فاذا وجد المسلم ببلاد لا يرى فيها الهلال لأنها غائمة فى معظم أيام السنة ، فانه يكمل شعبان ثلاثين يوما، قال صلى الله عليه وسلم : «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ، فان غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يوما » .

ولا يثبت رمضان برؤية أحد للنبى صلى الله عليه وسلم مناما وقوله للرائى غدا من رمضان ، حكى القاضى عياض الاجماع على ذلك ، ولا من طريق الكشف بأن رأى الرسول يقظة وأخبره بذلك ، لأن التلقى عن الرسول بأى صفة بعد الوفاة ليس من الأدلة ، قاله الشيخ الخضرى الكبير ولأن حكم الله لا يتلقى الا من لفظ أو استنباط ، وما ذكر أولا ليس واحدا منهما ، وعلى التنزل فهذا من قبيل تعارض الدليلين ، فيعمل بما فى اليقظة دون المنام،لأن الأول أرجح .

وقال جماعة منهم صاحب المهذب ، ان غم الهلال وعرف رجل بالحساب ومنازل القمر دخول رمضان يلزمه الصوم ، لأنه عرف الشهر بدليله ، فكان كمن عرف بالبينه،وعليه حمل قوله صلى الله عليه وسلم فى رواية « فان غم عليكم فاقدروا له » وجمع بينه وبين الرواية الأخرى « فأكملوا عدة شعبان ثلاثين » بأن الأول لمن يعرف منازل القمر ، والأخير لمن لا يعرفها .

وجاء فى الكفاية ما نصه . وعن الشيخ أبى حامد أنه ذكر فى التعليق وجها أن ذلك بمنزلة الشهادة على الرؤية ، فيتعدى الوجوب ممن عرفه بالحساب الى من لم يعرفه .

واذا عارض الحساب أو التنجيم الرؤية فى اثبات الهلال وعدمه قدمت الرؤية ولو من عدل واحد ، كما قاله بعض العلماء ، وقال الشيخ محمد بن عوض الدمياطى فى كتابه منحة العلى المتعال فيما يثبت به الهلال ص ٢١ (فقد استفيد من كلام الرملى أولا وأخيرا أنه اذا عارض الحساب الشهادة يعمل بالشهادة بالنسبة لعموم الناس ، وأما الحاسب والمنجم فيجب عليهما حينئذ العمل بما اقتضاه الحساب والتنجيم ، وكذا من صدقهما ، لكن لابد أن يكونا ذوى قدم راسخ فى هذا الفن ، فعليهما حينئذ التثبت التام ، وعلى من يصدقهما كذلك ، ليكون على ثقة تامة من الركون الى قولهما .

وقال ابن حجر فى الاتحاف كما نقله ابن عوض المذكور (تنبيه) قال السبكى محل قبول شهادة العدل بل العدلين اذا دل الحساب على امكان الرؤية ، فان دل على عدم امكانها وهو يدرك بمقدمات قطعية لم تقبل شهادتهما لاستحالتها ا هـ ملخصا .

وقال القليوبى فى حاشية على الخطيب قوله (وتثبت رؤيته بعدل) ما نصه : أى ان لم يدل الحساب القطعى على عدم رؤيته ، والا لم يعمل بقوله العدل وان تعدد ، بل يحكم بكذبه كما قال العبادى ، وهو مما لا يجوز القول بخلافه . ا هـ

« ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر » .

المراد بالمرض ما يشق معه الصوم وبعسر ، كما يؤذن به قوله تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وهو قول الأصم وجماعة ، وأكثر الفقهاء على أنه هو الذى يؤدى الصيام معه الى ضرر فى النفس أو زيادة فى العلة .

والمراد بالسفر السفر الطويل ، فانه هو الذى يشق معه الصوم ، وقدره الشافعية بستة عشر فرسخا ، والفرسخ ثلاثة أميال، وهو بالكيلو متر

نحو ٩٠ كم من دمياط الى الراهبين ودليلهم قوله صلى الله عليه وسلم « يا أهل مكة لا تقصروا فى أدنى من أربعة برد • من مكة الى عسفان » فدل ذلك على أنه السفر الذى تحصل به المشقة عادة ، قياسا للصيام على القصر بل هو أولى ، وبهذا أخذ أحمد ومالك واسحق •

وهناك آراء أخرى للفقهاء فى تقدير مسافة السفر المبيح للفطر ، ومنها رأى أبى حنيفة ، اذ قدرها بأربعة وعشرين فرسخا ، فأرجع الى المطولات ان شئت المزيد من المعرفة •

والحكم المستفاد من الآية أن من كان مريضا أو على سفر فأفطر فعليه صيام أيام بقدر ما أفطره من شهر آخر غير رمضان، والفطر لهما رخصة عند الأكثرين ، فان شاء أصاما وان شاء أفطرا ، ما لم يتضررا بالصوم ضررا لا يحتمل عادة ، فان الصوم يكون حراما عليهما ، وذهب قوم من الصحابة الى أن الفطر واجب عليهما مطلقا ، وبه قال ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم ، ونقل عن ابن عمر أن المسافر لو صام فى السفر فعليه القضاء فى الحضر ، وهذا اختيار داود بن على الأصفهانى ، ومن حججهم قوله صلى الله عليه وسلم « ليس من البر الصيام فى السفر » قاله حين رأى رجلا جالسا تحت ظلة وهو مجهد من الصيام فى السفر •

ومن حجج الجمهور ما رواه أبو داود أن حمزة الأسلمى سأل النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هل أصوم على السفر • قال صلى الله عليه وسلم « صم ان شئت وأفطر ان شئت » • ويشترط الشافعية فى اجازة الفطر للمسافر أن يسبق السفر طلوع الفجر لقوله تعالى (أو على سفر) أى أنه متمكن من السفر قبل الصوم ، فان كان سفره بعد الفجر لم يفطر يومه هذا •

واذا أفطر كل من المريض والمسافر ففى طريقة القضاء بعد زوال العذر قولان: أحدهما أن يقضى ما أفطر فيه على التتابع وجوبا ، وبه قال على وابن عمر والشعبى ، وثانيهما أن التتابع فى القضاء مستحب وهو قول الأكثرين •

ولا يجب القضاء على الفور خلافا لداود ، ومن أفطر رمضان كله وكان تسعة وعشرين يوما قضى عدته ،

ولا يقضى شهرا ثلاثين يوما ، واذا كان رمضان تاما فأفطره قضى مكانه ثلاثين يوما ، لا شهرا تسعة وعشرين يوما ، فان العبرة بعدة ما أفطر فيه .

بعض أحكام الصيام :

١ - لا يشترط فى السفر المشقة ، فالسفر بالوسائل الحديثة المريحة لا يمنع من رخصة الفطر وان كان الصيام أولى ، بل قال أنس بن مالك ومالك والشافعى وأبو حنيفة وغيرهم الصيام أولى للمسافر القادر عليه وان كان السفر شاقا ، وكذا المريض ، وقال أحمد والأوزاعى وغيرهما الفطر أولى ، وقال غيرهم أفضلهما أيسرهما .

٢ - ومن أحكام الصيام أنه لا يضره وصول غبار طريق أو غربلة دقيق أو غبار عرقسوس أو نحو ذلك الى جوف الصائم لأن الاحتراز عنه شاق والله يقول « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

٣ - ولو وصل الطعام أو الشراب الى جوفه مكرها أو حال نومه فلا يفطر ، لأنه لا اختيار له فى ذلك وكذا لو أكل أو شرب ناسيا، خلافا لمالك، الحديث « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » ولخبر الصحيحين « من نسى وهو صائم فأكل أو شرب فليتم صومه ، فانما أطعمه الله وسقاه » وزاد فى صحيح ابن حبان « ولا قضاء عليه ولا كفارة » .

٤ - ومن كان يتسحر فسمع الفجر فليلق ما فى فمه من طعام أو شراب ولا يبتلعه ، وليغسل فمه وليمسك ، وصيامه حينئذ صحيح ولا اعادة عليه ، وكذا من كان يأتى أهله فسمع الفجر فنزع فورا ، بخلاف ما لو ابتلع الطعام أو الشراب الذى فى فمه فانه يفطر مع الاثم وعليه الامساك وقضاء هذا اليوم بعد رمضان ولا كفارة عليه عند الشافعية وعليه الكفارة فى مذهب المالكية ، ومن استمر يجامع زوجته بعد سماعه أذان الفجر فعليه مع القضاء الكفارة الكبرى (١) وعليه كالذى قبله الامساك

(١) وهى عتق رقبة مؤمنة ، فان لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا كما سيأتى بيانه فى شرح آية « أحل لكم ليلة الصيام .. » .

احتراما ليوم الصيام وان كانا قد أفطرا بما فعلا •

٥ ـ ومن غلبه القيء فلا يفطر ما لم يرجع منه شيء الى جوفه ، فانه يفطر ، وكذا من تعمد القيء وان لم يرجع منه الى جوفه شيء •

٦ ـ وابتلاع نخامة وصلت الى ظاهر الفم يفطر عند بعض الفقهاء ولا يفطر عند آخرين •

٧ ـ ولا يفطر أثر طعام تذوقه لتعرف شئونه ثم مجه ، ولا يفطر بالاكتحال ولو ظهر طعمه فى حلقه ولا برطوبة من مسام بالاستحمام ، ولا بدهن من مسام عضو طلى بالدهن ، ولا حقنة جلدية أو وريدية أو عضلية ، لأنها وصلت الى الجسم لا عن منفذ مفتوح ، وفى الحقنة الشرجية خلاف بين الأئمة ، فمنهم من يقول بالفطر بها ، ومنهم من لا يقول بذلك ولا يفطره ريح طيب وصل الى أنفه •

٨ ـ ومن مبطلات الصوم انزال المنى بلمس بشرة بشهوة ، كالوطء بلا انزال ، وفى الأخيرة الكفارة الكبرى مع القضاء ، أما نزول المنى بالاحتلام فلا يبطل الصوم ، كنزوله بنظر أو فكر ، وتكره القبلة لمن يحل تقبيله كالزوجة ، ان لم تحرك شهوة ، فان حركتها حرمت • فان قبلها ونزل المنى بسببها أفطر ، ولا يفطر بفصد ولا بحجامة •

٩ ـ ولابد من نية الصيام ليلا ، ويكفى عند مالك أن ينوى صيام الشهر أول ليلة فيه والنية محلها القلب ، وليس التلفظ شرطا ولا مسنونا ، ومن تسحر أو شرب ليلا ليتقوى على الصيام ، أو امتنع عن المفطرات خوف طلوع الفجر كان ذلك نية ، ويكفى فى صيام النفل أن ينوى قبل الزوال بشرط أن لا يسبقها مفطر نهارا •

١٠ ـ ويسن تعجيل الفطر لحديث الصحيحين « لا تزال أمتى بخير ما عجلوا الفطر » زاد أحمد « وأخروا السحور » وأن يكون على رطب فتمر فماء فحلو فحلوى ، ويسن بعد الفطر أن يقول « اللهم انى لك صمت وعلى رزقك أفطرت » الى آخر الدعاء المأثور •

١١ ـ ويسن السحور لحديث الصحيحين « تسحروا فان فى السحور بركة » ولخبر الحاكم « استعينوا بطعام السحر على صيام النهار ، وبقيلولة النهار على قيام الليل » ويحصل بقليل المأكول وكثيره لحديث فى صحيح ابن حبان « تسحروا ولو بجرعة » .

١٢ ـ ويدخل وقت السحور بنصف الليل ، ويسن تأخيره ما لم يقع فى شك .

١٣ ـ وعلى الصائم أن يصون لسانه عن الفحش من الكذب والشتم والغيبة والنميمة ونحوها ، لحديث البخارى « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » ولخبر الحاكم « ليس الصيام من الأكل والشراب ، الصيام من اللغو والرفث » أو كما قال .

١٤ ـ ويكره شم الرياحين ، لأن المقصود من الصيام كسر النفس .

١٥ ـ ويغتسل الصائم من الجنابة قبل الفجر ، ليكون على طهر من أول الصيام فذلك أفضل ، فان اغتسل بعده فلا شيء عليه ، ولا مانع من الاغتسال فى الصيام للنظافة أو التبرد ، ولا يفطر الصائم بوصول ماء الى أذنه ، لأنها لا توصل شيئا الى الداخل .

١٦ ـ ولو سبق ماء المضمضة أو الاستنشاق الى جوفه كرها فلا يفطر ، ما لم يكن ذلك من مرة زائدة على الثلاثة أو نتيجة غرغرة ولو من احدى المرات الثلاث ، فانه يفطر لأن الزيادة على الثلاث غير مستحبة ، والمبالغة فى المضمضة والاستنشاق مكروهه حذرا مما ذكر .

١٧ ـ والفطر واجب على الحائض والنفساء ، وعليهما القضاء بعد زوال العذر ، فان صامتا كانتا آثمتين ولا يصح صومهما ، وعليهما قضاء ما صاماه حال عذرهما .

١٨ ـ وللحامل والمرضع أن يفطرا كما لهما أن يصوما ، فان أفطرتا فعليهما القضاء بعد الحمل أو الرضاع ، ولا فدية عليهما ان أفطرتا خوفا على أنفسهما ، أو عليها وعلى الولد ، فان كان الفطر خوفا على الولد فقط فعليهما

مع القضاء الكفارة ، وقد مر بيان مقدار الفدية عند قوله تعالى « وعلى الذين يطيقونه فدية » .

١٩ ـ وفريضة الصوم معلومة من الدين بالضرورة ، فمن جحدها فهو كافر ، الا أن يكون قريب عهد بالاسلام ، أو نشأ بعيدا عن العلماء .

٢٠ ـ ومن أقر بفريضة الصوم ، ولكنه أفطر بغير عذر حبس ومنع عن الطعام والشراب نهارا ، عقابا له وتعويدا على الصوم جبرا .

فضل صوم رمضان :

جاء فى فضل رمضان أحاديث عديدة نذكر منها ما يلى :

١ ـ جاء فى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » وفى رواية « وما تأخر » أخرجه الشيخان .

٢ ـ وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل « كل عمل ابن آدم له ، الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به ، والصيام جنة ، فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ، فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى صائم ، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما ، اذا أفطر فرح بفطره ، واذا لقى ربه فرح بصومه » رواه البخارى ومسلم .

٣ ـ وفى رواية لمسلم « كل عمل ابن آدم يضاعف . الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، قال الله تعالى الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به ، يدع طعامه وشرابه من أجلى للصائم فرحتان ، فرحة عند فطره ، وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك .

شرح بعض المفردات :

« جنة » أى واق لصاحبه من الشهوات المؤذية ومن النار « فليقل انى صائم » أى فليقل ذلك بلسانه ليسمع الشاتم فينزجر ، وبقلبه ليمنع نفسه من المشاتمة والمسابة «فلا يرفث» أى لا يفحش فى القول « ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك » خلوف فمه ريحه المتغير بسبب الصيام ، والمراد من كونه

أطيب عند الله من ريح المسك أنه تعالى يرضى عن الصائم لأنه صبر على عدم تناول الطعام حتى تغير فمه ، ويثيبه على ذلك لأن استطابة الروائح بمعناها الحقيقى من صفات الخلق لا من صفات الخالق وهذا لا يقتضى أن يترك الصائم فمه بدون سواك ، بل من السنة أن يستاك حماية لجوفه من ريقه الذى يصل اليه متغيرا بتلك الرائحة ملوثا بصديد الأسنان الذى هو أحد سببى هذا الخلوف ، والسبب الثانى الجهاز الهضمى ، ومن قال بكراهة السواك فى الصيام فقد أخطأ فهم المراد من الحديث ، ولم يفطن الى الضرر الناشىء عن ترك مصدر الرائحة الكريهة بدون ازالة • أخرج أبوداود والترمذى عن عامر بن ربيعة قال (رأيته صلى الله عليه وسلم يستاك وهو صائم مالا أعد ولا أحصى) •

٤ ـ وجاء فى الحديث الصحيح « ان فى الجنة بابا يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لايدخل منه أحد غيرهم ، فاذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد » رواه البخارى ومسلم وغيرهما ، زاد الترمذى « ومن دخله لم يظمأ أبدا » •

٥ ـ وجاء فيه أيضا « اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة ، وغلقت أبواب النار ، وصفدت الشياطين » رواه البخارى ومسلم ، والمراد من تصفيد الشياطين حبسها عن الاغواء ، ولعل ذلك بما حصن الله به الصائمين من قوة الارادة وبغض المعصية ، ومن شأن ذلك فشل الشياطين فى الاغواء فكأنهم مصفدون •

٦ ـ وجاء فيه « اغزوا تغنموا وصوموا تصحوا » رواه الطبرانى ورواته ثقات •

٧ ـ وجاء فيه «الصيام جنة يستجن به العبد من النار » رواه أحمد باسناد حسن ورواه البيهقى •

٨ ـ وجاء فيه « من أفطر يوما من رمضان من غير رخصة ولا مرض لم يقضه صيام الدهر كله وان صامه » رواه الترمذى وأبو داود والنسائى وغيرهم ، واللفظ للترمذى •

٩ ـ جاء فيه « من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه البخارى ومسلم •

١٠ ـ وجاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم « لكل شىء زكاة ، وزكاة الجسد الصوم ، والصيام نصف الصبر » .

١١ ـ وجاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حين يفطر والامام العادل ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام،وتفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين » .

١٢ ـ وجاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم « أعطيت أمتى خمس خصال فى شهر رمضان لم تعطهن أمة قبلهم خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ، وتصفد فيه الشياطين، ويزين الله تعالى كل يوم الجنة ، ويقول : ويوشك عبادى الصالحون أن يكف عنهم السوء والأذى يغفر لهم فى آخر ليلة منه ، قيل يارسول الله . أهي ليلة القدر ؟ قال لا،ولكن العامل انما يوفى أجره اذا قضى عمله » .

١٣ ـ وجاء فيه عنه صلى الله عليه وسلم قال « جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله أرأيت ان شهدت أن لا اله الا الله ، وأنك رسول الله ، وصليت الصلوات الخمس ، وأديت الزكاة ، وصمت رمضان وقمته فممن أنا ، قال من الصديقين والشهداء » .

١٤ ـ وجاء فيه عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «رمضان سيد الشهور».

« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » .

أى أنه تعالى شأنه أنه يريد بعباده اليسر ولا يريد بهم العسر ، ولهذا رخص فى الفطر لعذر السفر أو المرض .

« ولتكبروا الله على ما هداكم » .

أى وشرع لكم الأحكام الماضية من صوم شهر رمضان عند العلم بهلاله ، والترخيص بالفطر لعذر السفر أو المرض ، وقضاء ما فاتكم منه لتكملوا عدة رمضان بما تصومونه أداء أو قضاء ولتعظموا الله علىماهداكم اليه من الصوم النافع لأرواحكم وأبدانكم ، والفطر عند العذر،ولعلكم تشكرون نعمة هذا التشريع فى جميع صوره ، لما فيه من الفوائد والمنافع

صوما ، والتيسير على المعذورين فطرا » •

صلاة التراويح :

يجمل بنا قبل أن نشرح باقي آيات الدعاء والصيام أن نتكلم على صلاة التراويح وعدد ركعاتها لاختلاف الناس في أدائها حتى يكونوا على بينة مما يفعلون ، وفيما يلي البيان :

روى الامام البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة من رمضان ، فصلى في المسجد وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم صلوا معه ، فأصبح الناس فتحدثوا ، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة فعجز المسجد عن أهله حتى خرج عليه الصلاة والسلام لصلاة الصبح ، فلما قضى الفجر أقبل على الناس ثم قال « قد رأيت الذي صنعتم ، ولكني خشيت أن تفرض عليكم » وفي الصحيحين عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى التراويح ليالي فصلوها معه ، ثم تأخر فصلاها في بيته بقية الشهر ، وقال خشيت أن تفرض عليكم فتعجزوا عنها » •

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي والناس يصلونها فرادى، وكان الأمر كذلك في خلافة أبي بكر وصدر خلافة عمر ، ثم جمع عمر الرجال على أبي بن كعب ، والنساء على سليمان بن أبي خثمة ، فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أول ليلة من رمضان فسمع القراءة في المساجد ، ورأى القناديل فيها ، فقال نور الله قبر عمر كما نور مساجدنا بالقرآن ، وكذلك قال عثمان بن عفان في خلافته •

وسميت بهذا الاسم لأن كل أربع منها يتروح المصلون عقبها ، أي يستريحون ، وهي تؤدى ركعتين ركعتين ، وكل ركعتين بنية وتكبير وبتشهد وتسليم •

والناس مختلفون في أدائها ، فمنهم من يؤدونها عشرين ركعة بعشر تسليمات ، ويوترون بعدها بثلاث ركعات ، ومنهم من يؤدونها ثماني ركعات بأربع تسليمات ويوترون بعدها بثلاث ركعات ، وكل منهم له سند فيما يفعل •

فمن يؤديها بالطريقة الأولى سنده ما روى عن مالك عن يزيد بن رومان (أن الناس كانوا يقومون رمضان فى زمان عمر بثلاث وعشرين ركعة) •

ومن يؤديها بالطريقة الثانية سنده ما رواه مالك فى الموطأ عن محمد بن يوسف عن السائب بن يزيد أنه قال (أمر عمر بن الخطاب أبى بن كعب وتميما الدارمى أن يقوما للناس باحدى عشرة ركعة ، قال وقد كان القارىء يقرأ بالمئين ، حتى كنا نعتمد على العصى من طول القيام ، وما كنا ننصرف الا فى بزوغة الفجر) •

فمن هذين الخبرين علم أن الناس كانوا يصلونها فى عهد عمر بالصورتين المذكورتين وعلى هذا لا ينبغى لأحد أن ينكر على الآخر اذا صلى بصورة منهما •

وبما أن التشريع أساسا مصدره الكتاب والسنة ، فلهذا لابد أن تكون الطريقتان المذكورتان رؤى الرسول صلى الله عليه وسلم يصلى بهما فى المرات التى ظهر لهم فيها وهو يصليها ، أو أنهم عرفوهما فى عهد عمر بحديث عنه صلى الله عليه وسلم سمعوه ولم يصل الينا •

الدعاء واجابته :

« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب » •

لما أمر الله عباده المؤمنين بصوم رمضان ومراعاة عدته ، وحثهم على تكبيره وشكره ، عقب ذلك بهذه الآية الدالة على أنه سبحانه خبير بأفعالهم سميع لأقوالهم ، مجيب لدعائهم مجازيهم على أعمالهم تأكيدا لما مر وحثا عليه •

سبب النزول :

مما ذكره الفخر الرازى فى سبب نزولها أن أعرابيا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال أقريب ربنا فنناجيه ، أم بعيد فنناديه فنزلت •

وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى غزوة فرفع أصحابه أصواتهم بالتكبير والتهليل والدعاء فقال صلى الله عليه وسلم « انكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، انما تدعون سميعا قريبا » •

وقال الحسن ، سأل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا أين ربنا ، فأنزل الله هذه الآية •

معنى الآية :

واذا سألك عبـادى عنى فقل لهم انى قريب ، وقربه تعالى من عبـاده قرب علم وحفظ وليس قربا بالجهة والمكان ، فان ذلك للحوادث ، والله يقول « ليس كمثله شىء وهو السميع البصير » •

ولأن من كان فى مكان فهو مفتقر الى ذلك المكان ، وذلك على الله محال، ولأنه لو كان فى مكان لما كان قريبا من الكل ، بل كان اذا قرب من شىء بعـد عن شىء آخـر ، والآية تقول «فانه قريب» وذلك يقتضى أنه قريب من كل شىء ، فثبت أن القرب بالعلم وليس بالمكان وهـذا هو معنى قوله تعالى « وهو معكم أينما كنتم » وهو المقصود من قوله « ونحن أقرب اليه من حبل الوريد » ومن قوله «ما يكون من نجـوى ثلاثة الا هـو رابعهم » الآية •

ومعنى اجابته تعالى للداعى اذا دعاه أن يقول له لبيك عبدى لأنه يسمعه، أو أنه يحـقق له ما دعاه ، فتـكون الاجابة بهذا المعنى مشروطة بمشيئة حملا للآية على قوله تعالى « فيكشف ما تدعون اليه ان شاء » •

فان قيل ان المطلوب بالدعاء ان كان مقـدرا وقوعه فى علم الله فما فائدة الدعاء بالنسـبة له وهو واقع ولابد ، وان كان غير مقدر الوقوع فان الدعاء لا يحقق وقوعه ، لأن ما فى علم الله لا يتخلف •

والجواب أن الدعاء ينفع فيما جعله الله أزلا مترتبا عليه، فلابد من حصول الدعاء ليحصل ما يترتب عليه ، كما لابد من حصول العلاج بالدواء الذى توقف شفاء المريض فى علم الله عليه، وكما أنه لا يصح أن يمتنع المريض عن تعاطى الدواء اتكالا على ما كتبه الله فى علمه من الشفاء أو عدمه • أخذا بالأسـباب فكذلك لا ينبغى أن يترك العبـد دعاء ربه فى أموره المختلفـة اتكالا على ما قدره الله فى شأنها أزلا أخذا بالأسباب •

ولمثل هذا الاتكال سألت الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: أرأيت أعمالنا هذه ، أهى شىء قـد فرغ منـه ؟ أم هى أمر يستأنفه الله تعالى ، فقال صلى الله عليه وسلم « بل هى شىء قد فرغ منـه » فقالوا ففيم العمل اذن ؟ فقال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » •

وبعد هذا التحقيق نعلم أن وعده الكريم بالاستجابة للداعى هنا مقيد بمشيئة الله تعالى وفقا لقوله تعالى فى آية أخرى « فيكشف ما تدعون اليه ان شاء » حملا للمطلق على المقيد .

وان من رحمته تعالى أن يجعل اجابة الدعاء مرهونة بمشيئته لا بمشيئة الداعى فان لله مقادير فى عباده لا يتركها ولا يهملها من أجل دعاء الداعى ، فقد تكون استجابته تعالى لدعائه فى غير مصلحته العاجلة أو الآجلة ، أو فى غير مصلحة أسرته أو البيئة التى حوله ، فعلمه تعالى بالمصلحة أعمق وأشمل ، وحكمته فيما يقدره أرفع وأجل شأنا من رغبة الداعى فكل ما يقضى به الله من صحة أو مرض ، ومن غنى أو فقر ، ومن حمل أو عقم ، ومن سلم أو حرب ، ومن خصب أو جدب ، أو غير ذلك، لله فيه حكم عظيمة ، والخيرة دائما فيما يختاره الله وان خالفت ما يشتهيه الداعى .

ولو أنه تعالى أجاب كل داع الى مايلتمسه منه لفسد نظام أهل الأرض، بل لهلكوا جميعا ، فان كل امرىء لا يخلو من عدو ، فان استجاب الله دعاء كل داع فى خصمه بأن يهلكه لهلك الناس جميعا ، فأى حكمة فى ذلك ، وكل انسان يحب الغنى ويكره الفقر ، فلو استجاب الله فأغنى كل من يطلب الغنى لفسد نظام الناس ، اذ لا يستطيع أحد أن يسخر أحدا فى خدمته ، فكل غنى يترفع عن خدمة غنى مثله،فتعطل بذلك مصلحة الخلائق ، وتفسد أمورهم ، ولهذا قال سبحانه « ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا » .

ولو توالد الناس جميعا وأنجبوا كما يريدون وكما يسألون ربهم ،ولم يمت من ذرياتهم أحد كما يطلبون من مولاهم لضاقت عليهم الأرض بما رحبت ولم تكفهم أرزاقها ، ولأكل الناس بعضهم بعضا ـ لأن حاصلات الزراعة والبروتين الحيوانية والسمكية لا تفى بضروراتهم ـ ولأصبح الناس لا يجدون متنفسا لأنفاسهم من عظيم تكدس بعضهم فوق بعض ،وقس على ذلك بقية المطالب التى يدعو بها العباد ربهم ، فلهذا كان من حكمته تعالى أن لا يجيب أحد الى ما سأل الا وفق مشيئته وحكمته المبنية على نظام محكم

لخير البشرية جميعا ، واعلم أن دعاء الداعى لا يمكن أن يذهب سدى ، فاما أن يلقى استجابة من الله ان وافق مايدعو به مشيئته تعالى ، واما انشراحا فى صدره وصبرا يسهل معه احتمال البلاء ان لم يوافق مشيئته جل وعلا ، واما عوضا فى الدنيا أو الآخرة .

وفى الحـديث عن أبى سـعيد الخدرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعوة المسلم لاترد الا لاحـدى ثلاث ، مـا لم يدع باثم أو قطيعة رحم ، اما أن يعجل له فى الدنيا واما أن يدخر له فى الآخرة ، واما أن يصرف عنـه من السـوء بقـدر مادعا »

والدعاء مزية كبيرة بين أنـواع العبـادة ، قال صـلى الله عليه وسـلم « الدعاء مخ العبادة » وذلك لما فيه من تفويض الأمر الى الله تعالى ، والاعتراف بأن مرد كل شىء اليه سبحانه وحسبك فى الدلالة على أهميته انه تعالى يغضب من عبده اذا نزلت به شدة فلا يدعوه ، قال تعالى « فلولا اذ جاءهم بأسنا تضرعوا ، ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون » .

والله يحب من عبـده أن يسـأله حازما ، قال صلى الله عليه وسلم « لا ينبـغى أن يقول أحدكم اللهم اغفرلى ان شئـت ، ولكن يجزم ويقول اللهم اغفر لى » .

ومعنى « فليستجيبوا لى » فليجيبونى الى ما طلبته منهم من العبـادة والطاعة فانى قريب منهم بعلمى ، مجيب دعاءهم اذا دعـونى « وليؤمنـوا بى لعلهـم يرشدون » أى يهتدون الى مصالحهم فى دنياهم وأخراهم .

الجماع فى ليالى الصيام :

ويقـول الله عقب ذلك « أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » الآية ، وسبب نزولها كما روى أحمد وجماعة عن كعب بن مالك قال « كان الناس فى رمضان اذا صام الرجل فنام حرم عليه الطعـام والشراب والنسـاء حتى يفطر من الغد ، فرجع عمر بن الخطاب رضى الله عنه من عند النبى صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقد سمر عنده ، فوجد امرأته قد نامت فأيقظها وأرادها ، فقالت انى قد نمت ، فقال مانمت ، ثم وقع عليها ، وصنع كعب بن مالك مثل ذلك ، فغدا عمر بن الخطاب رضى الله عنه على النبى صـلى الله عليه وسلم فأخبره فنزلت » .

وكانوا اذا صلوا العشاء الأخيرة وان لم يناموا حرمت عليهم المفطرات ومنها الجماع فنزلت هذه الآية لاباحة ذلك من الغروب الى الفجر كما سنبينه .

والرفث الجماع ، ونساؤكم زوجاتكم وفى حكمهن الاماء والمملوكات بملك اليمين أى أحل الله لكم الجماع لزوجاتكم وامائكم ليلة الصيام من غروب الشمس حتى الفجر ، وذكر الله حكمة ذلك بقوله « هن لباس لكم وأنتم لباس لهن » وهو كناية عن أن كلا منهما يمنع الآخر ويستره من الفجور ، وفى الخبر « من تزوج فقد أحرز ثلثى دينه » وبما أن الله تعالى جعلهن وقاية للرجال من الفاحشة ، وجعل الرجال وقاية لهن منها فلهذا أفسح الله وقت الاستمتاع بهن فى الصيام منعا من الوقوع فيما لا يحل ، فأباح الاستمتاع . فى أى وقت من الليل كله بدلا من الوقت الضيق السابق الذى أوقعهم فى الحرج وجعلهم يغشون الاثم .

« علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم الخيانة عدم الوفاء والاختيان الخيانة الشديدة كما قاله الزمخشرى ، واختيانهم لأنفسهم عدم وفائهم بحفظها من المعاصى ، أى علم أنكم كنتم تسرون بالمعصية اذ تجامعون زوجاتكم سرا بعد النوم أو بعد صلاة العشاء وتأكلون وتشربون كذلك ، وبذلك تخونون أنفسكم لأنكم جلبتم لها العقاب ، ومعنى « فتاب عليكم » فقبل توبتكم من المعصية التى خنتم بها أنفسكم « وعفا عنكم » فلا يعاقبكم بسبب هذه التوبة المقبولة .

« فالآن باشروهن » أى فجامعوهن ليلة الصوم من الآن دون حرج ولو بعد النوم أو صلاة العشاء فقد حل لكم ذلك بعد ما كان محرما بعدهما « وابتغوا ما كتب الله لكم » أى اطلبوا ما كتبه الله وقدرة لكم من الذرية بسبب هذا الجماع ، لا مجرد قضاء الشهوة فقط ، فان ذلك هو الغرض الأسمى من النكاح ، قال صلى الله عليه وسلم « تناكحوا تناسلوا تكثروا » أو اجعلوا هذه المباشرة فى حدود ما شرعه الله لكم وهو أن تكون للحلائل من زوجة أو مملوكة فى الطهر .

« وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر » أى فالآن باشروا حلائلكم

بالوقاع ليلة الصيام وكلو واشربوا حتى الفجر ، فالفجر غاية لحل الوقاع والأكل والشرب ،في أيوقت من ليل الصيام ، أما بعد بداية الفجر فيحرم كل ذلك .

والمراد من الخيطالأبيض أول ما يبدو من الفجر الصادق المعترض فى الأفق قبل انتشاره والمراد من الخيط الأسود ما يمتد مع الفجر من آخر ظلمه الليل ، وقوله « من الفجر » بيان لأول الخيطين ، ومنه يتبين أن الخيط الثانى من الليل ، وخصه بالبيان لأنه هو المقصود بالحكم ، وقيل هو بيان للخيطين الأبيض والأسود فالفجر مكون منهما ، قال الطائى : وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه : وهو على هذا يشبه قولك : حتى يتبين العالم من الجاهل من القوم .

فاذا فأجأك الفجر وأنت تأكل أو تشرب أو تجامع ، فألقيت ما فى فمك من طعام أو شراب ، ونزعت نفسك من مباشرة أهلك فورا صح صومك ، وقد مربيان ذلك :

ومن كان معه (ساعة) لضبط الوقت ، ومعه توقيت للفجر ، وكانت ساعته مطبوعه كفته (ساعته) هذه فى معرفة الفجر حسب التوقيت

ويعرف الصائم أيضا لسماع المؤذن الذى عرفه أهل الحى بالدقة فى مراعاة الوقت ، وينبغى له أن يؤذن للفجر بصفة خاصة فى ميقاته تماما ، فلا يضيف اليه دقائق كما يفعله بعض المؤذنين الجاهلين ، حتى لا يتسبب فى فساد صيام بعض الناس فيتحمل اثمهم ، فان من الناس من يصحو قبيل الفجر فيأكل أو يشرب أو يأتى أهله اتكالا على أن الليل لا يزال باقيا فاذا أذن المؤذن للفجر بعد فوات دقائق من أول وقته ، وهؤلاء لايزالون يباشرون أكلهم وشربهم ووقاعهم ، فقد أوقعهم فى الفطر وهم لا يعلمون ، فيكون بذلك آثما ويصح صومهم ماداموا جاهلين ، فان علموا قضوا يومهم هذا .

ويعرف الفجر أيضا برؤية أول بياضه فى الأفق وبقراءة القرآنوورد وباخبار ثقة .

ومن السنة الامساك عن المفطرات قبل الفجر بزمن يسير يسع قراءة خمسين أية احتياطا للعبادة كما كان يفعل النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن أكل أو شرب أو جامع ناسيا أنه صائمولم تذكره زوجته أو غيرها فصيامه صحيح لحديث أبى هريرة عن

النبى صلى الله عليه وسلم (أن رجلا قال أكلت وشربت وأنا صائم ، فقال صلى الله عليه وسلم « أطعمك الله وسقاك فأنت ضيف الله فتم صومك » ولقوله صلى الله عليه وسلم : « رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » .

وليحذر الصائم مغالطة ربه فيزعم أنه ناس وهو كاذب ، فانه تعالى يعلم السر وأخفى ، وليحذر الأزواج من مداعبة زوجاتهم نهارا حتى لايقعوا فى الخطيئة الكبرى بجماعهم فى نهار رمضان ، فانه اثم عظيم ، وكفارته هى الكفارة الكبرى مع قضاء اليوم ، والكفارة الكبرى هى عتق رقبة مؤمنه فان لم يجد فصيام شهرين أو ستين يوما متتابعة ، بحيث لو أفطر يوما ولو لعذر استأنف ، فان لم يستطع اطعم ستين مسكينا لكل مسكين مد ، والمد رطل وثلث من غالب قوت البلد « ثم أتموا الصيام الى الليل » .

أفادت الآية أن الصيام يبدأ من أول الفجر الصادق عند تبين الخيط الأبيض من الخيط الاسود ، وأنه يتم عند غروب الشمس حيث يبدأ الليل ، فيحل الفطر حينئذ بأى مفطر قل أو أكثر ، ويحرم الوصال فى الصيام دون فصل ، فقد روى الشافعي عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الوصال ، قيل يارسول الله انك تواصل فقال: «انى لست مثلكم ، انى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى » أى أن الله تعالى يجعل النبى صلى الله عليه وسلم فى قوة من أكل وشرب ، وان لم يطعم ولم يشرب «ولاتباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد » .

لما أباح الله مباشرة النساء ليلة الصيام وضع هنا قيد لحل هذه المباشرة ، وهو أن تكون فى غير المساجد ، فلا يحل للصائمين المعتكفين فيها أن يستدعوا اليهم زوجاتهم لمباشرتهن ليلا فيها ، فكما تحرم تلك المباشرة نهارا لحرمة الصيام تحرم ليلا بالمساجد لحرمة بيوت الله

« تلك حدود الله فلا تقربوها » .

أى ما تقدم من الأحكام اباحة ومنعا أحكام الله التى حددها ، فلا تقربوها محاولين اقتحامها بتحريم ما أحل أو تحليل ما حرم .

« كذلك » البيان الواضح فيما مر يبين الله أياته للناس » فى شرائعه

المختلفة ، لتكون واضحة المعالم « لعلهم يتقون » أي يحذرون عقوبته بامتثالها .

حكم الصوم وما ينبغي فيه :

حكم الصوم كثيرة منها أن يعرف الأغنياء قدر النعيم فيشكروا الله عليه ، فان الصائم الغني يرى نفسه محروما من الطعام والشراب والاستمتاع الحلال بزوجته نهارا ، فيتذكر أن غيره من الفقراء محروم من هذا بصفه دائمة ، أما هو فانه يجده طول العام فيما عدا شهر الصيام ، كما يجده ليلا في الصيام ، فيدرك بذلك فضل الله تعالى عليه فيشكره ، اذ لا يعرف قدر النعمة كما ينبغي الا من غابت عنه .

ومنها أن يذكروا الفقراء فان من شبع لا يذكر من جاع ، وانما يذكره أن لوجاع مثله ، ومنهاصحة الأجساد وراحة الأجهزة الهضمية التي تعبت طول العام من ألوان الطعام الدسمة ، ووجباته العديدة ، وكمياته الكثيرة ، لأن الطبيب يعالج المريض بالحمية حتى ينفع فيه الدواء ، والصيام أفضل حمية وأجل علاج ، بشرط أن تكون وجبتا الفطور والسحور معتدلتين مقدارا ونوعا ، حتى تحصل الفائدة المرجوة منه للجسم والجهاز الهضمي .

وينبغي للصائم أن يحرص على أكل الحلال والاكثار من الصدقة في رمضان لحديث (أي الصدقة أفضل ؟ قال صلى الله عليه وسلم « الصدقة في رمضان » وكان صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان ، فلرسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة ، كما ورد في الحديث الصحيح .

والصدقة الطيبة مجزية من الله ولابد ، قال تعالى : « من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا » الآية فسماها قرضا لتحقيق جزائها وثبوته كثبوت سداد الدين ، وهي ترضي الرب ، قال صلى الله عليه وسلم: «الصدقة تطفىء غضب الرب » ويكون صاحبها في ظلها ، قال صلى الله عليه وسلم : « المؤمن في ظل صدقته حتى يقضي الله بين الناس » .

وينبغي للصائم أن لا يرد السائل المحتاج ولا يخيب رجاءه ما دام قادرا قال صلى الله عليه وسلم : « اذا وقف السائل بالباب وقفت الرحمة معه ، ردها من رده ، وقبلها من قبله » وكان صلى الله عليه وسلم اذا لم يجد شيئا

يعطيه للسائل يلين له الكلام ، ويعده بالعطاء فى وقت آخر ، وكانت عائشة رضى الله عنها تعطى السائل ما وجدت ولو تمرة ، والصدقة تدفع البلاء ، قال صلى الله عليه وسلم : «أكثروا من الصدقة ، فان البلاء لا يتخطاها » ولا تنقص من المال ، قال صلى الله عليه وسلم : « ما نقص مال من صدقة ، ومازاد الله أحدا يعفو الا عزا ، وما تواضع أحد لله الا رفعه الله » ولها أجر عظيم عند الله ، قال صلى الله عليه وسلم « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولايقبل الله الا الطيب ، فان الله يتقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يرى أحدكم فلوه (١) حتى تكون مثل الجبل وان الرجل ليتصدق باللقمة فتربو فى يد الله حتى تكون مثل الجبل فتصدقوا ، ثم قرأ « يمحق الله الربا ويربى الصدقات » .

وينبغي للصائم أن لايمن بصدقته على من أخذها فان المن حرام ومحبط للثواب ، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم . كان أبى يقول : اذا أعطيت رجلا شيئا ورأيت أن سلامك يثقل عليه فكف عنه سلامك .

وينبغى له أن يمتنع من اللغو والسباب وقول الزور والعمل به ، قال صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » وقال : سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » .

كما ينبغى أن يواظب على الصلوات فى أوقاتها جماعة ، وأن يصل رحمه ويتزاور مع الصائمين ، وأن يكثر من قراءة القرآن ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر من قراءته فى رمضان ، وكان يدارس جبريل فيه ، وبالجملة ينبغى له أن يأتى بما يستطيع من خير ويبتعد عن كل سوء حتى يخرج من صيامه وهو من الأبرار الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه .

ليلة القدر

جاء فى آيات الصيام السابقة أن شهر رمضان أنزل فيه القرآن والليلة التى أنزل فيها ، هى ليلة القدر من هذا الشهر المبارك ، قال تعالى :

---

(١) الفلو : كسمو وكعدو وكحمى المهر .

« انا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ؟ ليلة القدر ؟ خير من ألف شهر • تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر • سلام هى حتى مطلع الفجر » •

فأنت ترى أنه تعالى اختار لانزال القرآن الكريم ليلة القدر ، فكانت به أشرف الليالى وأعظمها قدرا ، وحسبك فى بيان قدرها أنها خير من ألف شهر ، وأن الملائكة تتنزل فيها من أجل كل أمر قدره الله ، وأنها ليلة السلام منه تعالى حتى مطلع فجرها •

وكيف لا ينزل فى أشرف ليلة وهو أجل كلام من أجل متكلم نزل على أعز رسول لأعز أمة وخيرها •

وحسبك فى الدلالة على فضل القرآن قوله تعالى: « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » وقد بقى هذا التحدى الى يومنا هذا ، وسيبقى الى يوم القيامة ، وقد جاء به نبى أمى « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك • اذا لارتاب المبطلون • بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم • وما يجحد بآياتنا الا الظالمون » فاذا كان الحكماء والفصحاء قد عجزوا عن الاتيان بسورة مثله فمحمد مثلهم ، لأنه فوق قوى البشر جميعا من ناحية فصاحته وبلاغته وروحانيته الجذابة للقلوب والأرواح وتشريعاته الباقية على مر الدهور ، الصالحة لكل زمان ومكان ، واذا كان فوق مستوى البشر كما أنه فوق مستوى الجن ، فلابد أن يكون من عند الله العليم بمصالح عباده ، أيد به رسوله محمدا الذى عرف طيلة حياته بالصدق والأمانة ومكارم الأخلاق « قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون » فكان الايمان به حقا له على العباد ، ومسلكا من مسالك الهدى والرشاد •

اسماء ليلة القدر :

تسمى ليلة البركة لقوله تعالى فى سورة الدخان : « انا أنزلناه فى ليلة مباركة » وليلة السلام لقوله تعالى فى حقها : « سلام هى حتى مطلع الفجر » وليلة الرحمة لقوله تعالى فى سورة الدخان : « رحمة من ربك انه هو السميع العليم » بعد قوله

« انا أنزلناه فى ليلة مباركة » الآيات من ٣ ـ ٦

عظمة ليلة القدر :

عظم الله ليلة القدر بقوله « وما أدراك ما ليلة القدر » أى أنها من فخامة القدر وعظم الشأن تفوق دراية المخلوقين ، ولا يعلم قدرها سوى رب العالمين .

وعظمها بطريقة أصرح اذ قال « ليلة القدر خير من ألف شهر » وقيل فى تفسير ذلك أن العمل الصالح فيها خير منه فى ألف شهر ليست فيها ، وروى عن ابن عباس أنه ذكر للرسول صلى الله عليه وسلم أن رجلا من بنى اسرائيل حمل السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب لذلك ، وقال يارب جعلت أمتى أقصر الأمم أعمارا وأقلها أعمالا ، فأعطاه الله تعالى ليلة القدر خيرا من ألف شهر الى يوم القيامة .

ولا أعتقد أن هذا الخبر صحيح النقل ، فبنو اسرائيل ليسوا أطول منا أعمارا ولا أكثر منا أعمالا ولايعرفون قداسة الجهاد ، فهم الذين قالوا لموسى : « اذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » كما أن ألف شهر تساوى ثلاثة وثمانين عاما وثلثا ، ولا يعقل أن هذا الاسرائيلى المزعوم، يظل طيلة هذه المدة يجاهد فى سبيل الله ، فطاقة الجسد على الجهاد لاتبقى هذه المدة الطويلة .

ومن أسباب رده أنه يصرف الناس عن الجهاد فى سبيل الله ، والاعتماد على قيام ليلة القدر التى تعدل ألف شهر جهادا فى سبيل الله ، ولاشك أن خطر ذلك على الاسلام لا حد لفظاعته ، لهذا نرفض هذا الخبر شكلا (أى سندا) وموضوعا .

دستور الله لعباده وقانونه لخلقه

والذى أفهمه من الآية أن هذه الليلة عظم الله قدرها بنزول القرآن الشريف فيها ، فهو دستور الله لعباده ، وقانونه لخلقه ، ولاشك أن الليلة التى نزل فيها تعتبر خيرا من ألف شهر لم ينزل فيها ، لما فيه من المنافع التى تعود على العباد فى عقائدهم وأخلاقهم ومعاشهم ومعادهم ، بما اشتمل عليه من قوانين وتشريعات ، وآيات بينات وارشادات واضحات .

فانك ان قارنت بين هذه الليلة التى نزل فيها هذا البلسم الشافى لأمراض

المجتمع الانسانى وعلله ، وبين العصر الذى سبق نزول القرآن تجد أن ذلك الحكم حقيقى خال من المبالغات فقد كان الناس يعيشون قبله بعقول متأخرة ، وأذهان راكدة،حتى عبدوا الحجارة والتماثيل والحيوانات التى هى عاجزة عن حماية أنفسها من الذباب « وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه . ضعف الطالب والمطلوب » وكانت الحروب بينهم لأدنى الأسباب وأوهى العلل ، ولاتكاد حرب تنتهى حتى تتبعها أخرى ، وكانت الجهالة منتشرة ، والظلم سائدا ، والأعراض مسلوبة،والأموال منهوبة ، والضعفاء مستذلين،والأقوياء مستبدين ، الى غير ذلك من المآسى فكانت هذه الليلة التى نزل فيها القرآن حدا فاصلا بين هذا كله وبين العلم والعرفان وتمجيد الواحد الديان ، والالتزام بقوانين السلوك الرشيدة ، والأخلاق الحميدة ، والاستقرار والتجمع بين الأمة العربية وسواها على أساس من تبادل الخير والنفع والمحبة والسلام تحت دين واحد لرب واحد ، فكيف لا تفضل هذه الليلة التى نزل فيها القرآن الجامع لأشتات الخير ، المانع من اقتراف المآثم كيف لا تفضل ألف شهر؟أليست ليلة الشفاء خيرا من عمر طويل تقضيه عليلا طريح الفراش .

وليس المقصود من ألف شهر العدد بعينه ، بل هى خير من الزمان كله ، ولاشك أن العبادة فى ليلة لها هذا القدر عظيمة المكانة عند الله تعالى ، ولهذا صح فيها عن النبى صلى الله عليه وسلم من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

ومما سبق علمت أنها انما سميت ليلة القدر لأنها ذات قدر وشرف عظيم بسبب انزال القرآن الشريف فيها ، من قولهم فلان له قدر بين الناس أى شرف وكرم ومكانة .

وقيل سميت بذلك لأن الله ينزل فيها مقادير الأمور للعام المقبل،ليقوم الملائكة مدبرات الأمور بتنفيذها فى حينها ، فينزل لملائكته آجال العباد وأرزاقهم ومقادير الرياح والسحب والأمطار والحروب ، ورحلات الطيور ، والمواليد والموتى ، وغيرذلك من شئون الخلائق من انسان وحيوان ونبات وجماد .

ومدبرات الأمور هم رؤساء الملائكة الأربعة ، وحين يقومون بالتنفيذ يفعلون ذلك بمعونة تابعيهم من الملائكة، وفى ذلك يقول الله تعالى : «انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم » .

وقيل للحسين بن الفضيل أليس الله قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض قال بلى ، قيل فما معنى ليلة القدر، قال سوق المقادير الى المواقيت، وتنفيذ القضاء المقدر .

وقيل سميت بذلك لأن للطاعة فيها قدرا عظيما .

كيف أنزل القرآن فيها :

نصت الآية على أن القرآن أنزل فى ليلة القدر ، ولكن لايعلم منها صراحة أنه أنزل كله دفعة واحدة فيها ، أو ابتدىء انزاله ، وقد ذهب الى الأول بعض العلماء ، فقد قالوا أنزل كله ليلتها الى السماء الدنيا فى رمضان من العام الأول للنبوة ، ثم كان ينزل على الرسول منجما ومقسما حسب الوقائع مدة البعثة .

وقال الشعبى : ابتدىء انزاله فى ليلتها ، ولم ينزل كله دفعة واحدة ، وقال عمر: معنى الآية أنزلناه فى شأن ليلة القدر وفضلها ، أى أنزلنا قرآن هذه السورة من القرآن فى شأن ليلة القدر .

موضع ليلة القدر من ليالى رمضان :

أكثر العلماء على أنها فى أوتار العشر الأخير من رمضان ، وأكثر هؤلاء على أنها ليلة السابع والعشرين منه ، ولذلك جرت عادة المسلمين أن يحتفلوا بها فيها وعمادهم فى ذلك ما رواه مسلم عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «من كان متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين » .

ومن طرائف الاستنباط فى تعيين ليلتها أن عدد كلمات السورة ثلاثون كلمة وأن كلمة « هى » الراجعة الى الى ليلة القدر هى الكلمة السابعة والعشرون ، ونحن لانحتاج الى الاستنباط ، ومعنا النص فى حديث مسلم السابق.

والعلماء مختلفون فى تحديد وقتها، وكل يستند الى رواية صحيحة ولعل اختلاف الروايات يرجع الى أنها تتنقل بين الليالى التى وردت فى الروايات المختلفة .

وانما أخفاها الله تعالى ليتعدد طلب العبد لها بألوان العبادة والدعاء ، كما أخفى الاجابة فى الدعاء ليبالغ العبد فيه ، وكما أخفى ساعة الاجابة يوم الجمعـة ليجتهـد النـاس فى الدعاء جميع يومها ، وكما أخفى موعد قيام السـاعة ليديموا الحـذر منهـا ومن مفاجأتها فى أى وقت وقد علمت أن الأكثرين على أنهـا ليـلة السـابع والعشرين من رمضان ٠

وكان النبى صلى الله عليـه وسلم يستعد لهـا فيعتكف فى المسجـد فى العشر الأخير من رمضان قالت عائشة « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الأخير شـد مئزره وأحيى ليله وأيقظ أهـله » والمئزر ما يستر العورة ، وشـده كناية عن تمام استعداده للعمل ٠

هل هى أفضل من ليلة الاسراء :

ظاهر الآية يدل على أنها أفضل من ليلة الاسراء والمعراج فى حق الأمة ، وان كانت ليلة الاسراء فى حقه صلى الله عليه وسلم أفضل منها ، ولم يأت فى ليـلة الاسراء حـديث يدل على فضل العمل فيها ٠

من يحرز فضلها :

يحرز فضل ليلة القدر من قامها ، قال صلى الله عليه وسلم : « من قام ليلة القـدر ايمـانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقـدم من ذنبه » رواه البخارى ومسلم ٠

ولمـا كانت ليلة القدر مختلفا فى وقتها ، وأن أرجى الليالى فيها هى ليالى العشر الأخـير من رمضان على رأى الأكثرين ، فلهذا يحسن قيام ليـالى هذا العشر بل يستحب ، قال المتولى يستحب التعبـد فى كل ليـالى العشر حتى يحرز الفضيلة على اليقين ، أقول ولعل النبى صلى الله عليه وسلم كان يعتكف فى العشر الأخير لذلك كما قدمنا ٠

واحياؤها يكون بقيام لياليها صلاة ودعاء وقرآنا وذكرنا ، وقيامها يحصل بشغل طائفة من وقتها بذلك فلا ينام الليل كله ٠

ويرى بعض العلماء أن من صلى العشاء الأخيرة فى جماعة ، وعزم على صلاة الفجر كذلك فقد أدرك قيام ليلة القـدر ويرى بعض آخر أن صـلاة التراويح تكفى فى قيام ليلة القدر للمقل ولذلك تنوى بقيام رمضان كما تنوى

بالتراويح ، فاذاضم اليها صلاة العشاء فى جماعة مع العزم على صلاة الفجر كذلك كان ذلك قياما لليلة القدر لا بأس به .

وأصحاب الحظ السعيد ذوو النفوس الصافية والأعمال الطاهرة ينكشف لهم فى هذه اليلة مالايراه غيرهم ، فيرون الملائكة على صورهم مجتهدين فى عبادة الله تعالى ، ويرون منازل الأولياء والأنبياء والصديقين والشهداء ، ويطلعون على بعض مظاهر الملك والملكوت ، فيتجلى لهم كبرياء الحى الذى لا يموت وعظمته التى لاحد لها .

ومنهم من يرى الناس فى هذه الليلة على الحقيقة التى هم عليها ، وينكشف المستور من حالهم فيعلم المقيم على الطاعة بصدق واخلاص ، والمقيم على المعصية باطنا المرائى بالطاعة ظاهرا .

روى أن بعض الأولياء رأى فيها بعض من كان يعتقد فيه الصلاح على خلاف ظنه فيه ، فنعوذ بالله من الرياء .

ويرى الامام النووى أنه لايحرز فضلها الا من أطلعه الله عليها ، فمن قامها ولم يشعر بها لم ينل فضلها ، ذكر ذلك النووى فى شرحه لمسلم وخالفه الأوزاعى والمتولى حيث قالا ان فضلها يناله من قامها باخلاص لله تعالى ، وهذا هو الصحيح بدليل الحديث الصحيح الذى ذكرناه فى هذا الفصل .

« تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر » .

هذا كلام مستأنف دال على فضلها ، والملائكة أجسام نورانية قادرة على التشكل لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، والروح هو جبريل رئيس الملائكة والسفير بين رب العزة وبين الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ينقل وحيه وكتبه اليهم وهو الذى كان ينزل بالقرآن على النبى صلى الله عليه وسلم آنا فآنا ، قال تعالى: « نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين » .

والتعبير بتنزل للاشعار بأن الملائكة والروح ينزلون فى تلك الليلة على دفعات ، ولا يزالون يتنزلون الى الفجر .

وقيل ان الروح أعلى من الملائكة ، وهم حفظة عليهم ، كما أن الملائكة حفظة علينا ، واذن الله أمره ، (من كل أمر) معناه من أجل كل أمر قضاه الله عز وجل لتلك السنة كقوله تعالى : «فيها يفرق كل أمر حكيم » .

« سلام هى حتى مطلع الفجر » .

أى يسلم فيها الملائكة على مؤمنى أهل الأرض تحية لهم ، وقيل يسلم الله عليهم ، والسلام من الله الرحمة ، ومن الملائكة استغفار .

وأرى أن المعنى أن هذه الليلة ليلة سلام من الله وأمان ومسالمة منه تعالى لعباده ، يقبل فيها من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم اذا اقبلوا على عبادته تائبين من ذنوبهم ، وكما أن تنزل الملائكة يبقى حتى مطلع الفجر ، فكذلك يبقى السلام حتى مطلع الفجر

بقاء ليلة القدر :

يرى بعض العلماء أن ليلة القدر لاتتكرر سنويا ، وأنها كانت لليلة واحدة وأنقطعت ويرى آخرون أنها تكررت فى عهد النبى صلى عليه وسلم ورفعت بعده ، والصبح أنها باقية الى يوم القيامة .

واستدل من قال برفعها بقوله صلى اللهعليهوسلم :«انى خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت ، وعسى أن يكون خيرا لكم » ولكن هؤلاء غفلو عما جاء فى آخر الحديث « فالتمسوها فى التاسعة السابعة الخامسة » وعلى هذا يؤول رفعها فى صدر الحديث برفع العلم بها ، أى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلم بها ، وقد خرج ليعلم الناس بوقتها ، فلما تلاحى الرجلان أنساه الله اياها لحكمة يعلمها الله ، ولهذا طلب من الناس أن يلتمسوها فى تلك الليالى فانها مظانها عنده صلى الله عليه وسلم .

زكاة الفطر وصلتها برمضان :

سميت زكاة الفطر لوجوبها بالفطر من رمضان عند استهلال شهر شوال ، ويقال لها زكاة الفطرة ، أى الخلقة ، لأنها وجبت تزكية للنفس وتنمية لعملها ، وهى تجبر النقص الذى حدث فى الصيام كما تجبر سجدة السهو ما حدث فى الصلاة روى عن بن عباس قال : «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين » .

والأصل فيها مارواه البخارى عن ابن عمررضى اللهعنهما قال : «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير على العبد والحر والذكر والأنثى ، والصغير والكبير من المسلمين ، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس للصلاة » .

وما رواه البخارى أن عبد الله بن عمر قال : «أمر النبى صلى الله عليه عليه وسلم بزكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير » قال عبد الله « فجعل الناس عدله مدين من حنطة »

وقد جاءت أصناف أخرى غير ماذكر كالزبيب والأقط (١) فى أحاديث أخرى .

وقد وجبت فى السنة الثانية من الهجرة مع صوم رمضان فقد فرض فى السنة الثانية من الهجرة أيضا .

وتجب عند (الشافعية) بأول ليلة العيد عن كل من أدرك جزءا من رمضان وجزءا من شوال ،فمن ولد بعد الغروب آخر يوم فى رمضان فلا زكاة عنده وكذا من تزوجها بعد غروب شمس اليوم المذكور ، ومن مات قبل غروبه فلا زكاة عنه أيضا ، وتكون أداء اذا أخرجت قبل غروب الشمس من يوم العيد ، ويحرم تأخيرها عنه ، وتعتبر حينئذ قضاء ، كمن يؤدى الصلاة بعد خروج وقتها.

ويصح تعجيلها من أول رمضان (٢) ، وتلزم زكاة الفطر من فضلت عن قوته وقوت عياله يوم العيد وليلته ، وعن مسكن وخادم وكتب علم وثياب الأسرة ، وما اعتيد عمله فى العيد من نحو كعك ونقل ولحم أو سمك ، ولا يشترط أن تفضل عن دينه على المعتمد عند الشافعية ، خلافا لمن اشترط ذلك .

ويخرج الشخص عن نفسه وعمن تلزمه نفقته منزوجته وولد صغيرأو كبير لايقدر على الكسب لمرض أو اشتغال بطلب العلم أو نحو ذلك ،وعن أبوين فقيرين وان قدرا على الكسب ، ولايلزمه زكاة زوجة أبيه .

---

(١) الأقط : لبن يابس نزع زبده .

(٢) وعند الحقيقة يصح أداءها مقدما ومؤخرا ، لأن وقت أدائها العمر كله ، كما فى سائر الواجبات الموسعة ، وسيأتى فى بيان مذهبهم ومذهب المالكية .

ولو أيسر ببعض العصيان قدم نفسه فزوجتـه فولده الصغير فالأب فالأم فالولد الكبير والواجب عن كل نفس صـاع ، وهو خمسـة أرطـال وثلث بغدادية، والرطل البغدادى مائة وثمانية وعشرون درهما وأربعة أسباع الدرهم، وهوقريب من أربع حفنات بكفى رجل معتدل الكفين ، وهو بالكيـل المصرى قدحـان تقريبـا من الحب الخـالص ويخرج القدر المـذكور من غالب قوت البلد(١) ، ويجوز اخراج قيمة ذلك نقدا تيسيرا على الناس وبخاصة أهل المدن الذين يقتاتون بالخبز (الجاهز) وما تقدم هو مذهب الشـافعية كما قلنا من قبل والحنفية لا يوجبونها الا على من ملك نصابا فاضلا عن حاجته الأصلية، وتجب فى مـال الصـبى والمجنـون يخرجها عنهما وليهما ، ووقت وجوبها عندهم من طلوع فجر يوم عيد الفطر ويصح أداؤها عندهم مقدما ومؤخرا لأن وقت أدائها عندهم العمر ، الا أنها تسـتحب قبل الخروج الى المصـلى ، لقوله صلى الله عليه وسلم : « أغنوهم السؤال فى هذا اليوم »

ويجب أن يخرجها عن نفسه وولده الصغير الفقير وخادمه وولده الكبير اذا كان مجنونا ، فان كان عاقلا فلا يجب على أبية وان كان فقيرا ، وله أن يتبرع عنه ، ولايجب على المزكى أن يخرج زكاة زوجته ، فان تبرع بها أجزأت ولو بغير اذنها .

وتخرج عنـدهم من أربعة أشـياء الحنطة والشـعير والتـمر والزيت ، والواجب عندهم من الحنطة وهى القمح نصف صـاع عن الفرد الواحـد ، والصاع أربعة أمداد ، والمد رطلان عندهم، والرطل عندهم أيضا ١٣٠ مائة وثلاثون درهما، ويقدر الصاع بالكيل المصرى بقدحين وثلث ، فالواجب منه قـدح وسدس (٢) ويجب من التمر والشعير والزبيب صاع كامل ، فالكيلة منها تكفى عن ثلاثة ويبقى منها قدح ، ويجوز اخراج القيمة نقودا بل هذا أفضـل عنـدهم لأنهـا أنفع للفقير ويجوز دفع الزكاة عن جماعة الى مسكين واحد كما يجوز دفع زكاة الفرد الى عدد من المساكين .

---

(١) ويجب أن يعطى عندهم لثلاثة من المستحقين على الأقل ، والكيلة عندهم تكفى عن أربعة تقريبا ولا يلزمه الاقتراض .

(٢) فالكيلة من القمح عندهم تكفى سبعة أفراد اذا زيد عليها سـدس قدح بشرط نظافة القمح .

والمالكية توجبها على كل مسلم حر قادر عليها فى وقت وجوبها ولو بالافتراض اذا كان يرجو الوفاء ، ويشترط أن تكون زائدة عن قوته وقوت من تلزمه نفقته فى يوم العيد ، فاذا احتاج اليها فى النفقة فلا تجب عليه ،ويخرجهاعمن تلزمه نفقتهوهم الأولاد الذكور الذين لا مال لهم ، الى أن يبلغوا قادرين على الكسب ، والاناث الفقراء الى أن يدخل الزوج بهن أو يدعى للدخول والزوجة أو الزوجات ، والوالدان الفقيران .

وقدرها عندهم صاع عن كل فرد ، وهو قدح وثلث بالكيل المصرى ، فتجزىء الكيلة عن ستة أشخاص ، وتخرج عندهم من غالب قوت البلد من هذه الأصناف . القمح والشعير والسلت والذرة والدخن والأرز والتمر والزبيب والأقط (وهو لبن يابس نزع زبده) كما مر ، ولا تصرف عندهم الا للفقير أو المسكين من غير بنى هاشم وبنى المطلب ، أما باقى الأصناف الثمانية فانها لاتصرف لهم ، وخالفهم فى ذلك الشافعية والحنفية فقد أوجبوا اخراجها لهم ، وهم مجموعون فى قوله تعالى : « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم » الآية ويجوز عند المالكية اعطاء كل فقر أو مسكين صاعا أو أقل أو أكثر .

ويندب عندهم اخراجها بعد فجر يوم العيد وقبل الذهاب لصلاته ، ويجوز اخراجها قبل يوم العيد بيوم او بومين ولا يجوز بأكثر من يومين على المعتمد ويحرم تأخيرهاعن يوم العيد ولاتسقط بمضيه ، بلتبقى فى ذمته حتى يخرجها .

ويجوز عندهم اخراجها من الدقيق أو السويق بالكيل وهو قدح وثلث كما تقدم فى الحب فان أخرجت من الخبز فالوزن ، وقدر برطلين بالرطل المصرى،كذا قالوا ولكننى أراهما أقل من وزن قدح وثلث ، فالأولى الاعتماد على وزن القدح والثلث الواجبين عندهم فى الحب .

تنبيه هام :

لا أرى داعيا لاختلاف المذاهب فى مقدار ما يخرج عن الفرد الواحد ، ويعتبر مذهب المالكية وسطا بين مذهبى الشافعية والحنفية ، وبما أن الواجب عندهم قدحوثلث وأن الكيلة المصرية تكفى عن ستة ، فلتجعل الزكاة موحدة بين المسلمين على هذا الأساس فى جميع المذاهب ولتخرج القيمة فانها أنفع للفقير ، لافرق بين

مذهب ومذهب تمشيا مع واقع الحياة، ولأن الفقراء يحتاجون فى العيد الى غير الخبز ، من كساء وغيره ، وتقدر فى مصر قيمة سدس الكيلة فى وقتنا هذا ينمو خمسة عشر قرشا بالعملة المصرية يخرجها المزكى عن كل فرد ممن تجب عليه الزكاة عنه ويلاحظ أن الفقير تجب عليه الزكاة اذا فضلت عن قوت يومه وليلته يخرجها لمثله ، روى أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صاع من بر ـ أى قمح ـ على كل اثنين صغير أو كبير حر أو عبد ، ذكر أو أنثى غنى أو فقير ، أما غنيكم فيزكيه الله ، وأما فقيركم فيرد الله عليه أكثر مما أعطاه » أى أكثر مما أخرجه فى الزكاة لمثله ، لأنه سيأخذ من الزكاة بوصف كونه فقيرا من الغنى أو الفقير ما يعوضه •

ولا شك أن اشتراك الجميع فى مواساة بعضهم بعضا مظهر تعاونى عام يحبه الاسلام ويحض عليه فى هذه المناسبة الكريمة •

العيد وما ينبغى فيه :

سمى العيد عيدا العودة وتكرره كل عام ،أو لأن المسلمين عادوا فيه من طاعة الله بالصيام والقيام الى طاعته بالمواساة والتراحم •

ويسن أن يأكل المسلم قبل توجهه الى المسجد أو المصلى لصلاة عيد الفطر ، أما فى عيد النحر فبعد الصلاة اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم •

وليس العيد لمن أكل اللذيذ ، ولبس الجديد ، ولكنه لمن أطاع ربه ، وواسى أهله وزار جيرانه ، واخوانه •

دخل رجل على على بن أبى طالب كرم الله وجهه يوم العيد فوجده يأكل خبزا خشنا ، فقال يا أمير المؤمنين ، أفى يوم العيد تأكل خبزا خشنا ؟ فقال : اليوم عيد من قبل صومه وشكر سعيه وغفر ذنبه ، ثم قال • اليوم لنا عيد ، وكل يوم لا نعصى الله فيه فهو لنا عيد •

ورأى عمر بن عبد العزيز ولدا له يوم العيد وعليه قميص خلق (قديم بال) فبكى عمر ، فقال الولد لأبيه ما يبكيك ؟ فقال يا بنى أخشى

أن ينكسر قلبك فى يوم العيـد اذا رآك الصبيان بهذا القميص الخلق ، فقـال يا أمير المؤمنين : انمـا ينكسر قلب من أعدمه الله رضاه ، أو عق أمه وأباه ، فضمه اليه وقلبه بـين عينيه ودعا له ، فكـان أزهـد أولاده بعده

وختاما أسأل الله تعالى أن يوفقنا واياكم فى هذا الشهر المبارك لعبادته، وأن يعيننا جميعـا على قراءة كتابه ومواساة الفقراء والمعـوزين ، وأن يكف ألسنتنا وجوارحنا عن المعاصى انه نم المولى ونعم المجيب .

مصطفى محمد الطير

الفهـــرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٦/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٩٧٦س٧٣١٤-١٣٠٠٢

ENGLISH SECTION

Verse 46 : (And obey God and His Apostle and do not quarrel, lest you should lose heart, and your power depart and be patient and persevering : for God is with those who patiently persevere).

11. If the enemy is ready to cease war and inclined to reconile, you should be ready for peace.

There is not merit merely in a fight for itself. It should be a pleasant duty to establish the reign of peace and righteousness.

Allah says in verse 8 : 61 what means :

(And if they incline to peace, then incline to it and trust in Allah; surely He is the Hearing the Knowing).

12. When the religion of Islam was in its infancy and the Muslims were weak, the unbelieving prisoners were killed, because severity ought to be used where circumstances require it, though clemency be more preferable where it may be exercised with safety.

Allah's pleasure was that the opposers of Islam should be cut off, as is particularly directed in this verse. But when the Muslims will strengthen and their number multiply, and the religion of Islam spreads everywhere, ransom can be taken in return of releasing the captives of war.

Allah says in verse 8:67 what means :

(It is not fitting for an Appstle that he should have prisoners of war until he has thoroughly subdued the land, you look for the temporal goods of this world, but God looks to, the Hereafter; And God is Almighty, Wise).

Verse 70 : (0 prophet (Mohammad): "Say to those captives of war in your hands : If Allah knows anything good of Faith and repentance in your hearts, He will give you better than that which has been taken away of ransom from you, and will forgive you.

And Allah is Forgiving, Merciful).

That is if you repent and believe, Allah will bestow on you abundant sustenance for the ransom you have now paid.

This is a consolation to the captives if war. In spite of their previous hostility, Allah will forgive them out of His mercy if there was any good in their hearts, and confer upon them a far higher gift than anything they have ever lost. This gift in its highest sence would be the blessing of Islam.

13. The true believers are sure to win because they are promised with divine assistance. Morever, Allah suffices them and supports them with invisible warriors (angels).

Mecca : the Ka'bah and that the unbelievers shall no more have any access to it.

Allah says in verses 8: 34, 35 what means :

Verse 34 : (And what excuse have they that Allah should not punish them while they hinder men from the sacred Mosque and they are not fit to be guardians of it ; its guardian are only those who guard against evil, but most of them do not know).

Verse 35 : (And their prayer at the House of God is nothing but whistling and clapping of hands; taste then the chastisement, for you disbelieved).

7—This Surah refers to the great value of the success in the battle of Badr as a sign of the prophet's truth ; for, although the Muslims were only a third of the number of their opponents, they actually marched forth to victory).

Allah says what means in verse 8: 26 :

(And remember when you were few, deemed week in the land, and afraid that men might despoil and kidnap you ; but He provided a safe asylum for you, strengthened you with His aid, and gave you good things for sustenance that you might be grateful).

8—It states that success does not only depend on numbers and weapons but also it relies on faith.

Allah says in verse 8 : 29 what means :

(O you believe ! if you fear God. He will grant you a Criterion (to judge between right and wrong), and do away with your evils and forgive you ; and Allah is the Cherisher of Mighty Grace).

9—This Chapter directs the Muslims to be ready to deal a blow and to be well equipped, because they could only hope to secure peace by strength and readiness.

Allah says in verse 8: 60 what means :

"Against them make ready your strength to the utmost of your power, including steels of war, to strike terror into the hearts of the enemies, of God and your enemies, and others besides, whom you may not know, but Allah knows them; and whatever things you will spend in God's cause, it will be paid back to you fully and you shall not be dealt with unjustly).

10. This Surah informs that the battle of Badr was a testing time, and shows how Faith, steadfastness and valour can conquer against odds.

Allah says in verse 8: 45-46 what means :

(6 you who believe ! when you meet a party, then be firm, and remember Allah much that you may prosper).

Verse 12 : (Remember when your Lord inspired the angels (with the message) : "I am with you give firmness to the believers : I will cast terror into the hearts of those who disbelieve. Therefore strike off their heads and smite all their fingertips off them).

Verse 13 : This is because they contended against God and His Apostle ; If any acts adversely to God and His Apostle, then surely God is severe in requiting (evil).

Verse 14 : (Thus : "Taste it and know that for the unbelievers is the chastisement of fire).

Verse 15 : (O you who believe ! When you meet those who disbelieve marching for war, then turn not your backs to them).

Verse 16 : (And whoever shall turn his back to them on that day-unless it be in a stratagem of war, or to retreat to a troop (of his own)-He draws on himself the wrath of God, and his abode is hell ; and an evil destination shall it be).

Verse E7 : (So you did not slay them, but it was God who slew them, and you did not smite when you smote (the enemy) but it was God who smote, and that He might test the believers by a gracious trial from Himself : for God is He Who hears and knows (all things).

Verse 18 : (That, and also because God is He Who makes feeble the plans and plots of the unbelievers).

Verse 19 : (If you demanded victory and judgement, now the judgement has indeed come to you. And if you desist, it will be better for you, and if you turn back (to fight), We (too) shall turn back, and your forces shall avail you nothing, even if they were multipilied : for verily God is with those who believe).

—Obedience, intelligent discipline, zeal, faith and gratitude to God are the true passports to succes and protection from the assaults of evil.

Allah says in verses 8: 2, 3, 4; and 20 what means :

Verse 2 : (Those only are believers whose hearts become full of fear when God is mentioned, and when His signs are recited to them they increase them in faith, and their Lord do they trust).

Verse 3 : (Those who keep up prayer and spend benevolently out of what We have given them for sustenance).

Verse 4 : (These are the believers in truth : They shall have from their Cherisher exalted grades and forgiveness and an honourable sustenance).

Verse 20 : (O you who believe ! obey God and His apostle and do not turn back from him while you hear (him speak).

6—This Surah states that the Muslims shall be made the guardians of the Sacred Mosque at

and any accessions resulting from it belong to Allah or the community. Thirdly, certain equitable principles of division should be laid down to check human greed and selfishness. A fifth share goes to the Commander, and he can use it at his discretion, for his own expenses, and for the relief of the poor and suffering and the orphans and widows.

The remainder was divided according to the prophet's practise, not only among those who were actually in the fight physically, but all who were in the enterprise, young and old, provided they loyally did some duty assigned to them.

Allah says in verse 41 what means :

(And know that whatever thing you acquire in war, a fifth of it is for Allah and for the Apostle and for the near of kin and the orphans and the needy and the wayfarer, if you believe in Allah and in that which We revealed to Our servant, on the day of distinction, the day on which the two parties met, and God has power over all things).

Men of Faith should obey Allah's directions. Victory and the prize of victory come from Allah, as was proved at the battle of Badr.

Allah says in verses 8 : 5 to 19 :

Verse 5 : (Even as your Lord caused you to go forth from your house with the truth, though a party of the believers were surely averse).

Verse 6 : (Disputing with you concerning the truth after it was made manifest, as if they were being driven to death while they saw it).

Verse 7 : (And when Allah promised you one of the two parties that it shall be yours and you loved that the one unarmed should be yours, but God willed to justify the truth according to His words and to cut off the roots of the unbelievers).

Verse 8 : (That He may manifest the truth of what was true and show the falsehood of what wa false, though the guilty disliked).

Verse 9 : (Remember when you implored the assistance of your Lord, and He answered you : I will assist you with a thousand of the angels following one another).

Verse 10 : (And God only gave it as a good news and that your hearts might be at ease thereby; and victory is only from Allah ; surely Allah is Mighty, Wise).

Verse 11 : (Remember when He covered you with a sort of drowsiness, to give you security from Him, and sent down upon you water from the cloud that He might thereby purify you, and take away from you the stain of the devil, and that He might fortify your hearts and plant your feet firmly thereby).

insisted so obstinately on pursuing the first design of falling on the caravan, that the holy Prophet grew angry, but by the interposition of Abu Bacr, Omar, Saad Ibn Obaidah, and Mokdad Ibn Amr, they at length acquiesced in his opinion.

Mokdad in particular assured him they were all ready to obey his orders, and would not say to him, as the Children of Israel did to Moses, "Go thou and thy Cherisher to fight, for we will sit here ;" but, "Go thou and thy Cherisher to fight, and we will fight with you." At this Apostle Mohammad smiled, and again sat down to consult with them, applying himself chiefly to the Ansars or Helpers, because they were the greater part of his forces and he had some apprehension lest they should thing themselves obliged by the oath they had taken to him at al—'Akaba to assist him against any oher than such as should atack him in Medina. But Sa'ad Ibn Moa'dh, in the name of the rest, told him that had received him as the Apostle of Allah and had promised him obedience, and were therefore ready to follow him where he pleased, though it were inti the sea.

Upon which the holy Prophet ordered them in Allah's Name to attack the succours assuring them of the victory.

Allah says in verses 8 : 42 to 44 what means :

(Remember when you were on the nearer side of the valley and they were on the farthest side while the caravan was in a lower place than you; and if you had mutually made an appointment, you would certainly have broken away from the appointment, but in order that God might bring about a matter which was to be done, that he who would perish might perish by clear proof, and he would live might live by clear proof. And verily God is He Who hears and knows all things).

Verse 43 Remember when in your dream God showed them to you as few : If He had shown them to you as many, you would surely have been discouraged, and you would surely have disputed in your decision, but God saved you; surely He is the knower of what is in the breasts.

Verse 44 (And remember when He showed them to you, when you met, as few in your eyes and He made you to appear little in their eyes, in order that Allah might bring about a matter which was to be done. And to God are all affairs returned).

4—As regards booty taken in battle, the first point to note is that thah should never be our aim in war. It is only an adventitious circumstance, a sort of winfall. Secondly, no soldier or troop has any inherent right to it. A righteous war is a community affair,

THF SIGNIFICANCE OF THE EXEGESIS OF SURAH AL-ANFAAL : OR THE ACCESSIONS

by

Dr. Mohammad Abdel Monem El Gammal

1—This Surah is of seventy five verses. It is a Medinite chapter except the verses from thirty to thirty six are Meccans. It was revealed after the passage of the Cow (El Bakara).

The name of this chapter is taken from the verse 1 which says what means :

(They ask you about the accessions. Say : The accessions are for God and the apostle. So be careful of your duty to God and set aright matters of your difference, and obey God and His Apostle if you are believers).

2—In this chapter we have the lessons of the battle of Badr enforced in their larger aspects :

a) the question of war booty.

b) the true virtues necessary for fighting the good fight.

c) victory against odds.

d) clemency and consideration for one's own and for others in the hour of victory.

(The Battle of Badr)

3—The Apostle Mohammad having received private information by Jabriel of the approach of a caravan belonging to the Koraish, which was on its return from Seria with a large quantity of valuable merchandise, and was guarded by no more than forty men set out with a party to intercept it. Abu Sufian who commanded the little convoy, having notice of the Apostle Mohammad's motions, sent to Mecca for succours, upon which Abu Jahl, and all the principal men of the city, except only Abu Lahab, marched to his assistance with a body of nine hundred men. The Apostle Mohammad had no sooner received advice of this than Gabriel descended with a promise that he should either take the caravan or beat the succours, whereupon he consulted with his companions which of the two he should attack. Some of them were for setting upon the caravan, saying that they were not prepared to fight such a body of troops as were coming with Abu Jahl : but this proposal the Apostle Mohammad rejected, telling them that the caravan was at a considerable distance by the seaside, whereas Abu Jahl was just upon them. The others, however

knowledge. It shows us that knowledge can do more than what a jinn can do. It also shows that the power of a learned man surpasses that of the most crafty jinn. With knowledge he travels across the globe, removes distances and accomplishes miracles.

The Status Of Knowledge In The Quran.

We may now draw our attention to the view of the Quran pertaining to knowledge in a direct manner. We should discuss the verses that dwell upon knowledge exhorting it and glorifying it. God mentions :—

"Verily only those who possess knowledge among His servants truly fear Allah." (XXXV : 28).

A man's fear of God lies in his deep knowledge gained by sincere pursuance and true zeal. The greater the depth the greater the fear. This is so because he sees the precision in God's creation and in the Laws of the Universe. He observes wisdom in the wonderful plannings of God which forces him to fall in prostration to his Creator and his Maker.

These are the people who by attaining a sound knowledge of anatomy or by specialization in it see the co-ordination and minutest precision in the various organs of the human body and in their minutest parts. This forces them to prostrate to the Creator if such co-ordination order and creation.

Anatomy is not the only science that bewildered the well versed scientist; in fact astronomy dazzles the astronomer and biology the biologist and so forth. It is in this way that the human mind is bewildered in the sciences of every field pertaining to the universe ; its earth, heavens and that which is in between :

"Blessed is He in whose hands is dominion, and He has power over all things. He who created death and life, that He may try which of you is best in deed and He is the Exalted in Might, oft-Forgiving. He who created the seven heavens one above another. No want of proportion will thou see in the Creation of the Most Gracious. So turn thy vision again ; Seest thou any flow ? Again turn thy vision, second time : (thy) vision will come to thee dull and discomfitted in a state worn out.

(to be continued)

7. A person should express his doubts in advance in mutual matters.

8. A person has the right to place conditions upon the person who wishes to follow him or benefit from him.

9. Once a condition is made it is obligatory to fulfil it.

10. Man is not reprimanded for forgetfulness and faults arising from lack of memory.

We may now round up our Quranic stories pertaining to knowledge by making to a third story. Thereafter we may project our attention to the direct inferences made in the Quran regarding knowledge followed by the traditions of the Prophet.

Here is the Prophet Solomon. He sits majestically with his most intimate companions discussing the paganistic tendencies of the Queen of Sheba who worshipped the sun. He discusses the presents he flung back at her which she had sent to pacify him and conciliate him. At this point he said :

"Will you give me abundance in wealth? But that which Allah has given me is better than that which He has given you! Nay it is ye who rejoice in your gift. Go back to them and be sure We shall come to them with such hosts as they will never be able to meet. We shall expel them from there in disgrace and they will feel humbled (indeed). (XXVII : 36-37)

Solomon then addresses the people around him saying:- "Ye chiefs! which of you can bring me her throne before they come to me in submission?" (XXVII : 38)

One of the large, powerful jinn reputed to be wicked and crafty-replied,

"I will bring it to thee before thou rise from thy council, Verily I have full strength for the purpose and am trustworthy."

Another jinn replied : The Quran portrays his answer in the following words :

"One who had knowledge of the Book said, "I will bring it to thee within the twinkling of an eye ! "

The latter who was versed with the knowledge of the Book implemented his word and within split seconds presented the throne to Solomon. When Solomon observed the throne firmly placed before him he said:

"This is by the grace of my Lord : To test me whether I am grateful or ungrateful, and if any is grateful, verily his gratitude for his own soul. But if any is ungrateful, verily his gratitude is for all Needs, Supreme in Honours !"

By illustrating this story, the Quarn emphasizes the wonders of

society. By Virtue of their being God's Messengers their rank and station, knowledge and wisdom are supreme.

Their positions remain the lofties. Despite this we have the illuminating story of the Prophet Moses and his companion, once, were in search of a learned man whom God had informed them. After strenuous efforts and great patience they found the man. God describes this beautifully :— "So they found one of our servants on whom we had bestowed mercy from Ourselves and whom we had taught Knowledge from Our own presence. Moses said to him : "May I follow thee, on the footing that thou teach me something of the (higher) Truth, which thou has been taught. (The other) said, "Verily thou will not be able to have patience with me ! And how canst thou have patience about things about which they understanding is not complete ?" Moses said : "Thou wilt find me, if God I disobey thee in aught. The so will, (Truly) patient : nor shall (man) said, "If then thou wouldst follow me, ask me no questions about anything until I myself speak to thee concerning it." (XVIII: 65—70).

The prophet Moses accompanies this humble man. They continue travelling together and Moses, the Messenger of God acquires knowledge from this ordinary man. He learns of things he had no knowledge of.

Iman el-Baidawie commenting on the significance of this story has the following to say :

1. Man should always pursue knowledge.
2. Man should show humble obedience to those who import knowledge to him.
3. Man should observe courtesy and etiquette when discussing. Imam el-Sayootie makes the following remarks :—

1. Travel in pursuit of knowedge is extremly desirable.
2. A learned man must further his knowledge.
3. A student should make means for his travels which is not contrary to placing trust in the providence of God.
4. Attributing undesirable things and forgetfulness to the devil is metaphoric. Such expressions are adopted as a mark of respect to God.
5. A student must show humbleness to his tutor even if the latter is below him in rank and station in life.
6. The one who offers knowledge has the right to excuse himself in doing so if he feels that his student is unable to absorb and benefit from the knowledge.

3. By the first oath it mentions draws the attention of man directly and by way of revelation to pursue knowledge by all means whether by writing, reading or acquiring knowledge.

Postition Of Knowledge In Islam By Way Of Stories.

The Holy Quran from its inception emerged as an ally to knowledge. It shed its light with the glad tidings of knowledge. Thereafter the Quran encouraged the pursuit of knowledge in various methods. For instance it explains to us that when Allah created Adam He taught him all the names :-

"And He taught Adam the names of all things." (II : 31).

By virtue of this knowledge Adam's rank was elevated. He was much higher in station than the angels :

"Then (He) placed them before the angels and said, tell me the nature of these if ye are right." (II : 31).

The Angels were unaware of these names and in modesty said : "Glory to Thee; of knowledge we have none, save what Thou hast taught us. In truth it is Thou Who art Perfect knowledge and wisdom' (II : 32).

In the following verse God, indirectly portrays the rank and exalted poistion of Adam :

"O Adam, tell them the names of things". (II : 33).

Then Adam rattled out the names of things. The unique result of this is eloquently portrayed in the following words :

"Did I not tell you that I know the secrets of Heaven and Earth.

And I know what ye reveal and what ye conceal." (II : 33).

A very significant aspect of this, which is often not studied seriously lies in the following verse :

"And remeber, We said to the angels; Bow down to Adam; And they bowed down. Not so Iblis. He refused and was haughty. He was of those who reject Faith." (II : 34).

In the above verse God commands the angels to bow down to Adam after making it clear that Adam's knowledge was superior to theirs. The angles responded and prostrated accordingly. The context of the above verse reveals that man by virtue of his knowledge is elevated to such a supreme position that even the angels prostrate to him.

In the Quran, there is another story of invaluable significance. It is charged with wisdom, meaning-fullness and import. The Messengers of God are the most exemplary members of the human

Allah rest his soul in peace, narrates the most widely quoted tradition reported by Aesha, "mother of the believers" and which is found in most authentic books. It is the tradition relating to the "Commencement of Revelation". The tradition is lengthy and it relates the gripping scene that took place in the cave of Mount Hira, while the Prophet was meditating. There according to the tradition, an Angel appeared unto him saying : Read ! (O Muhammad !) The Prophet replied, "I do not know how to read". Then the Prophet described how the angel embraced him and enveloped him tightly. On releasing him the Angel repeated, "Read ! (O Muhammad !) The Prophet said, "I do not know how to read''. The Prophet went on to say, "He held me for the second time with all his might then released me saying, "Read - (O Muhammad !) I said, I do not know how to read." He continued describing, "He then embraced me for the third time. After releasing me he said, Read ! In the name of thy Lord and Cherisher Who created. He created man out of a mere clot of congealed blood. Read ! And thy Lord is most bountiful ; He Who taught (the use of) the Pen, taught man that Which he knew not. (XCVI: 1—5).

Commenting on the above verse, Sheikh Muhammad Abduh makes the following remark ;

"There isn't a more eloquent statement nor a more decisive evidence of the superiority of reading, writing and Knowledge in all its aspects for the introduction of God's Book and the commencement of Revelation.

God commenced the Revelation of the Islamic Religion with these eternal verses which eulogize reading, writing, and knowledge and more than once they touch on the subject of knowledge. After these verses come the following verse :- "Nun. By the Pen and by the (Record) which (men) write," (LXVIII : 1).

This time the Almighty commenced His Revelation with an alphabet and addressed man with an oath of the Pen, and that which it writes. It was the first oath mentioned in the Quran. As for the name of the Book that was revealed, theologians say, "This Book is named the Quran because it has the essence of all the books revealed. In fact it has collected the essence of all the sciences. The Quran points to this fact in the following words; "Fuller explanation of everything" and "Statment on everything". This goes to prove that the Quran

1. By its very name.

2. By the very first verse that was revealed.

ISLAM AND KNOWLEDGE

By

Dr. Abdul Halim Mahmoud

The Grand Sheikh of Al-Azhar

In various verses of the Glorious Quran the object of the Islamic Call is defined and specified. In one of the verses we read : "It is He who has sent amongst the unlettered an Apostle from among themselves, to rehearse to them His signs. To sanctify them and to instruct them in Scripture and wisdom, although they had been, before, in manifest error." (LXII: 2).

The Almighty refers to His bounty upon the believers in that He chose His Messenger from amongst them and specified the wisdom and purpose underlying this choice : "Allah did confer a great bounty upon the believers when He sent among them an Apostle from among themselves, rehearsing unto them the Signs of Allah sanctifying them, and instructing them in Scripture and Wisdom although before this they were in manifest error." (III : 164).

The verses in chapter LXII, mention that whatever is in the heaven and on earth, all sing the praise and glory of the Almighty. They praise the glory of Allah, the Sovereign, the Holy One, the exalted in Might, the Wise.

The above verse and those of their kind do not require great reflection to grasp their import. To understand their meanings there is no need for exertion and hard thinking. They are as clear as crystal. They point out of wisdom in sending the Prophet which are basically :

1. Knowledge and Science.

2. Sanctification and Purification.

According to the above verses, knowldge is the twinhalf of the entire Islamic Message while the other twinhalf which is actually based upon th former is sanctifying and purity. It is not conceivable that purification and sanctification could be fruitful with ignorance.

Islam Emerged As An Ally To Knowledge.

A cursory glance upon the early years of Islam, when it emerged with its glory, will show the great importance Islam has conferred upon knowledge and science. Imam Ismail el-Bukhari, may

Fasting effectively restricts the increase of uric acid. It is also notable that fasting leads to the decrease of the harmful activity of intestinal microbes and restricts their secrection of poisons. Doctors always advise their patients to lessen the amount of food and try to reduce their weight. Fasting, as it causes the reduction of the quantity of water in the body, blood, and skin, may be considered one of the important factors in the cure of skin diseases.

Modern medicine has stated that after the increase that has taken place in the variety of dishes, that a man eats and the diversification of the ways of cookery he should fast completely for a certain period. Some opinion have called for fasting a day in every month, but it has been found that the best of these opinions agreed upon is fasting for a month every year.

With the advent of Ramadan the whole Muslim world is moved by one current from one end to the other. This is the greatest mass movement on the face of the earth. There is no other example of a mass movement like this in the world, and this is due to the significance of this month which witnessed the first ray of the greatest Divine Message, and many important events not only in the history of Islam but in the history of humanity as a whole.

and all people have the advantages and disadvantages equally distributed.

Also, this month brings together the Muslims, rich and poor, big and small, in great numbers in the mosques and other places to perform prayers. When they stand shoulder to shoulder, seeking the pleasure of Almighty God, they realise the terms of a healthy social relations and equality. Another aspect of social development of man by fasting is that he is thus taught to conquer his physical desires; he takes his food at regular intervals and that is no doubt a desirable rule of life, but fasting for one month teaches him the lesson that, instead of being the slave of his desires he should be their master, being able to change the course of his life. The man who is able to rule his desires, to make them work as he likes, in whom willpower is so developed that he can command himself. The exercise of abstaining from everything that is not allowed, strengthens the moral side of his life. Fasting accustoms him to face the hardship of life, and increase powers of resistence.

Fasting is also useful to increase the mental and intellectual activity of man. Modern science has proved that this activity can be increased by hunger and man's production while fasting is better than his production with a full stomach. Because eating leads to the rushing of greater quantities of blood to the stomach and to the other parts of the digestive system to help in digestion. This process lessens the mental and intellectual activities. It also lessens bodily activity, and this is why the doctors advise us to stop work when the stomach is full. So modern science calls for fasting and clarifies the fact that the good of fasting is not limited to the perfection of the moral character of the man, but it is also one of the most important means of perfection of the individual character.

In addition to these values, fasting has many physical values.The rest given to the digestive organs for a whole month only gives them additional strength by rest. All organs of the body are so made that rest only increases their capacity of work. The better the capacity of the digestive organs, the healthier is the physical growth of man.

Some of the world health resorts, in Germany and Switzerland and in other countries have been obliged to prescribe treatment by fasting. In this way science calls for fasting. Medical studies have proved that fasting maybe considered as a protection and a form of treatment. It is a protection against diabetes because it helps to prevent increase in weight.

forms and motives vary. Islam introduced a new meaning to fasting, as it is made a spiritual, moral and physical discipline of the highest order.

It is evident that the Holy Quran enjoins fasting with the object of making man ascent the spiritual and moral heights. In addition to its spiritual and moral values, fasting as prescribed in Islam has also effective social values. The appearance of the moon of Ramadan is a signal for a mass movement towards equality which is not limited to one section or country but effects the Muslims everywhere.

The Quran and the sayings of the Prophet stress that the seeking of Divine Pleasure should be the ultimate object of fast. The Prophet says : "Fasting is a shield, so the faster should not indulge in foul speech ...." He also said : "If it is the fasting day for one of you, he has not to be fussy or excited, and if he were insulted or attacked, by anybody, he would have to say "I am fasting". Not the deepest devotions can develop that sense of the nearness to God and of His presence everywhere, which fasting does. The Divine presence which may be a matter of faith to others, becomes a reality for him, and this made possible by the spiritual discipline underlying fasting.

Fasting is one of the means which creats honesty in man's life. The hungry man who sees food and dares not get near it, he finds himself thirsty and leaves water nearby untouched. It also creates honesty in man, for he fasts with no censorship but his conscience after God. Then fasting is an effective means to cultivate honesty and to check the whims of the soul, and to lessen his agitation. And so the Quran calls for fasting to implant many good manners needed by man in life and called for by all educational means and scientifical ways just as over-looking every unlawful or detestable thing ; abandoning slander and lying and keeping out of hearing every hateful thing. Explaining the very purpose of the fasting the Prophet states : "He who renounces not falsehood in speech and work, God needs not from him to leave his food and drink."

A lunar month has been chosen for fasting because the advantages and disadvantages of the particular season in which it falls are shared by the whole world. A solar month have given the advantages of shorter days and cooler weather to one part of the world, and burdened the other with the diadvantages of longer days and hotter weather. For these evident reasons, the lunar month is more in consonance with the universal nature for the teachings of Islam;

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

RAMADAN 1396	ENGLISH SECTION	SEBTEMBER 1976

THE SIGNIFICANCE OF THE MONTH OF RAMADAN

By

Dr. A M. Mohiaddin Alwaye

It is a well-known fact that the revelation of the Holy Quran first began in the month of Ramadan. As the month which witnessed the beginning of the Great Divine message, Ramadan was considered to be the most suitable month for the spiritual discipline of the Muslim community. On the other hand, it is due to the choice of particular month, with its advent the whole Muslim world is moved by one current from one end to the other. When they witness the tiny crescent of Ramadan they change the course of their daily lives, and there is a great mass movement in the Muslim world. This is due to the specification of a particular month for this institution.

It will be seen from the words of the injunction that was laid down in the Holy Quran relating to fasting in the month of Ramadan, that the choice of this particular month for this institution is for evident reasons. The Holy Quran says :

« شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه . »(البقرة ١٨٥)

It means : "The month of Ramadan is that in which the Quran was revealed, a Guidance to the people and clear proofs of Guidance and the Distinction; therefore whoever of you witness this month, he shall fast therein." (2 : 185).

The institution of fasting in Islam came after the institution of prayer. It was made obligatory and the month of Ramadan was chosen for this purpose. The practice of fasting has been recognised in all religions, though the

المشرف على التحرير :
الدكتور عبد الودود شلبى
بدل الاشتراك
فى
١٠٠ فى جمهورية مصر العربية
١٢٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤ ، ٩٠٥٥٠٦

الجزء الثامن — السنة الثامنة والأربعون — شوال سنة ١٣٩٦ هـ - أكتوبر سنة ١٩٧٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم



المستقبل للإسلام

مدير التحرير

ان آفة الاسلام الأولى هى المسلمون أنفسهم . فالتناقض الواضح بينهم وبين الاسلام يقف حائلا كبيرا فى الطريق الى فهمه ، وفى الاقبال عليه واعتناقه وفى الدعوة اليه وتقبله .

فى كل بقعة من العالم نجد صورة هذا التناقض واضحة صارخة ، وهى فى العالم العربى (مهد الدعوة) أكثر وضوحا وتناقضا ..

هنا فى هذا العالم تموت كلمة الحق قبل أن تنطق وتمتد الى فم صاحبها ألف يد قبل أن تسمع ! ويهون فيها الانسان حتى لا يعرف مكانه ان كان حيا يرزق .

غير أن الاسلام يزحف فى كل اتجاه من الأرض ، وترتفع أعلامه فى الشرق والغرب ، ويدخل فيه الناس أفواجا من بعد فوج .

وفى هذا المقال الذى كتبه المرحوم محمد فريد وجدى منذ حوالى نصف قرن تتضح حقائق هذه النبوءة التى بشر بها علماء وفلاسفة ، ونادى بها مفكرون عرفوا بالانصاف وسعة الأفق والمعرفة وكان الحديث الذى أدلى به المفكر البريطانى (برنارد شو) حول الاسلام هو المدخل الحقيقى الى هذه الكلمة •

يقول المرحوم محمد فريد وجدى :

لقد وقفنا على حديث له فى رسالة انجليزية تحت عنوان (نداء للعمل) كشف فيها القناع عن عقيدته فى صلاحية الاسلام لجميع الأمم ، وفى كل الأطوار التى تدخل فيها فى أى مكان وزمان •

فقال فى ذلك الحديث أثناء سياحته فى بمباى : Bambay

« لقد وضعت دائما دين محمد موضع الاعتبار السامى بسبب حيويته المدهشة ، فهو الدين الوحيد الذى يلوح لى أنه حائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة ، بحيث يستطيع أن يكون جذابا لكل جيل من الناس •

« لا مشاحة فى أن العالم يعلق قيمة كبيرة على نبوءات كبار الرجال ولقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا لدى أوربا غدا ، وقد بدأ يكون مقبولا لديها اليوم • وقد صور أكليروس القرون الوسطى الاسلام بأحلك الألوان ، اما بسبب الجهل ، أو بسبب التعصب الذميم •

« ولقد كانوا فى الواقع يمرنون على كراهية محمد وكراهية دينه ، وكانوا يعتبرونه خصما للمسيح • ولقد درسته باعتباره رجلا مدهشا فرأيته بعيدا عن مخاصمة المسيح ، بل يجب أن يدعى منقذ الانسانية • وانى لأعتقد بأنه لو تولى رجلا مثله دكتاتورية العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب الى العالم السلام والسعادة اللذين هو فى أشد الحاجة اليهما • ولقد أدرك فى القرن التاسع عشر مفكرون مخلصون أمثال : كارلايل ، وجوت ، وجيبون القيمة الذاتية لدين محمد ، وهكذا وجد تحول حسن فى موقف

أوربا من الاسلام . ولكن أوروبا فى القرن الراهن تقدمت فى هذا السبيل كثيرا ، فبدأت تعشق عقيدة محمد . وفى القرن التالى ربما ذهبت الى أبعد من ذلك فتعترف بفائدة هذه العقيدة فى حل مشاكلها . فبهذه الروح يجب أن تفهموا نبوءتى . وفى الوقت الحاضر كثيرون من أبناء قومى ومن أهل أوروبا قد دخلوا فى دين محمد ، حتى ليمكن أن يقال أن تحول أوروبا الى الاسلام قد بدأ » .

يرى القارىء مما مر أن الفيلسوف الانجليزى برناردشو يعتقد عقيدة راسخة فى أن أوروبا قد بدأت تتعشق الاسلام ، وأن القرن الحادى والعشرين لن يمضى حتى تكون أوروبا قد اتخذته دينا لها ، وعهدت اليه فى حل مشاكلها .

وأحسن ما قاله فى حديثه هذا أن الاسلام هو الدين الوحيد الذى يعترف بالتطورات المختلفة للحياة البشرية ، ويستطيع أن يكون جذابا لجميع أجيالها .

فهذه الأقوال لا تصدر الا من رجل يكون قد عرف حقيقة الاسلام ، وشعر كيف يؤثر بجماله على القلب ، ويتسلط بجلاله على النفس . وليس برناردشو أول من شعر بهذا ، فقد سبقه كثيرون وعلى رأسهم جوت الفيلسوف الألمانى المشهور المتوفى سنة (١٨٣٢ م) وهو يعتبر من أكثر رجالات الألمان علما وعقلا وبعد نظر . يؤثر عنه أنه نظر فى الاسلام فأعجبه فقال : « اذا كان هذا هو الاسلام فنحن اذا فيه » . وليس يخفى أن الألمانيين فى ذلك العهد كانوا مظهر الثقافة العلمية بكل ما فيها من مفيد وطريف .

ومما يلفت نظر الباحث الاجتماعى فى حديث الفيلسوف الانجليزى قوله : ان أوروبا ربما اعترفت بالعقيدة الاسلامية طلبا لحل مشاكلها ، وقوله قبل ذلك : انه لو تولى رجل على مثل صفات محمد صلى الله عليه وسلم دكتاتورية العالم الحديث لنجح فى حل مشكلاته بطريقة تجلب اليه السلام والسعادة اللذين هو فى أشد الحاجة اليهما ،

فهذه الأقوال ليست ملقاة على عواهنها ، ولكنها ثمرات بحث وتحليل وتفكير ، فان القرآن الكريم أرصد لكل مسألة من مسائل الاجتماع حلا معقولا لايدع للافراط والتفريط سبيلا الى العبث بالمجتمع ، وقد قام النبى صلى الله عليه وسلم بتطبيق ذلك النظام الالهى على الآحاد الذين اتبعوه ، فألف منهم أمة مافتئت تنمو وتشتد وترقى الدرجات العلى فى كل مجال من مجالات النشاط العقلى والمادى ، حتى انتهت اليها زعامة العالم قرونا متوالية ، فكيف لا ينجح فى معالجة أدواء العالم الحديث رجل يقوم على قدم محمد ، فيطبق عليها ما أرصد ، القرآن الكريم لكل منها من علاج حاسم ؟

فاذا صح هذا على الأمة الاسلامية الأولى ، وصح على الأمم الأوربية الحديثة ، أفلا يكون أصح على الشعوب الاسلامية الراهنة •

ان أكبر المسائل الاجتماعية التى تهدد مدنية أوروبا فى العصر الراهن هى المسألة الاقتصادية ، فان النظام الرأسمالى المتطرف الذى يقوم عليه الغرب قد استدعى فى الأزمنة الأخيرة أن يتولد فى السواد الأعظم من شعوبه ميول ثورية لا تقف مطالبها عند حد ، وما نجمت المذاهب الاشتراكية التى تبنى نظرياتها على الأصول الاقتصادية الا لتترجم عن هذه الميول الثورية ، وقد نجحت هذه المذاهب فى جمع كلمة العمال والفقراء وتعبئتهم تعبئة صالحة للنضال والثبات مما كان أثره تحسين حالة المحرومين من المال بعض التحسين ، ولكن هؤلاء لا يزالون يرون أن لهم حقوقا على المجتمع أكبر مما رضخت لهم به تلك الحكومات • ولما كان من شأن الأمراض الاجتماعية أن تستشرى وتعضل اذا لم تستأصل جراثيمها ، فان هذه المذاهب الاشتراكية بما تطرفت فى مزاعمها ، وتبسطت فى مدعياتها ، قد استحالت الى برامج انقلابات خطيرة تهدد وطائد المجتمعات بالدك عند سنوح أقرب الفرص ، وقد أفضى التناهى ببعضها الى الشيوعية البحتة •

هذه حالة تعتبر على أقصى حد من الخطورة ، وتؤدى الى تداعى بناء المدنية الغربية وسقوطها عند أول صدمة ، فاذا لم تسعف بالعلاج الفعال السريع التأثير فقد لا تبقى ولا تذر . وهل لهذه الحالة من علاج معقول غير النظام الذى أرصده الاسلام لمثلها منذ نحو أربعة عشر قرنا قبل أن توجد المجتمعات الأوربية الحالية ، وقبل أن تستحيل المسألة الاقتصادية فيها الى هذه النتيجة المزعجة ؟

نعم : لقد شرع الاسلام للعالم نظاما تعاونيا حكيما فيه كل ما فى المبدأ الرأسمالى من حسن ونافع ، وكل ما فى المذاهب الاشتراكية من حق وواجب ، فجاء نظاما حاصلا على جميع مزايا المذهبين دون أن يلتاث بشىء من مساوئهما .

فاذا كان النظام الرأسمالى يغمط حق العمل فى الانتاج ، ويتجاهل حق الفقراء من المال الاجتماعى العام ، واذا كان المذهب الاشتراكى يتغابى عن مكان رؤوس الأموال الفردية من بناء الصرح الاقتصادى للأمم ، ويرى أن من الواجب هدمه وبناء غيره على أساس رأس المال الاجتماعى العام ، مغضبا كلاهما عما يبتنى على تطرفهما من النتائج الخطيرة ، فان الاسلام لم يغفل ذلك أصلا ، فأتى بنظام حكيم يقر رؤوس الأموال الفردية من ناحية ، ولا يغضى عن المحرومين منها ، فيفرض لهم حصة سنوية منها من ناحية أخرى . فكان هذا الحل كما ترى وسطا جامعا لمزايا كلا النظامين الاقتصاديين وخالصا من عيوبهما ، تنحسم به مادة المتنازعين على الحياة ، ويبطل تناحرهما عليها ، ويحل محله تكافل ينتظم عليه أمر الجماعة ، ويسود بين فريقيها التحاب والتعاون فى الحياة الاجتماعية ذلك النظام هو الزكاة التى جعلها الاسلام ركنا من أركانه .

فماذا يريد المحروم أكثر من أن يكون له حق مفروض فى مجموع مال الأمة الموزع على أفراد منها ؟ وماذا يبغى صاحب رأس المال أكثر من أن يأمن على ماله فى مقابل حصة

من ربحه يؤديها للحكومة تضعها مواضعها ، مما نص عليه الكتاب فى آية الزكاة المعروفة انما الصدقات (أى الزكاة المفروضة) للفقراء والمساكين والعاملين عليها — الخ الآية الكريمة ؟

هذا النظام لا يدع لأحد الفريقين المتنابذين سلاحا يشهره فى وجه مناظره ، ولا يترك له طريقا الى ملاحاته .

فهذه علة من العلل التى يعنيها الفيلسوف (برناردشو) ويقول انها تشفيها متى أخذت أوروبا بالاسلام وعملت به . وفيها علل أخرى لكل منها دواء خاص فى الاسلام لا يتسع المقام للكلام عنها فى عجالة واحدة .— فندخرها لفرص أخرى ان شاء الله .

وبعد: أولا يعتبر هذا كله مصداقا لقوله تعالى : (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد) .

ترى هل صدقت هذه النبوءة ..؟

نعم ... ولا .. !

نعم .. لأن الاسلام كدين صار معترفا به فى قوانين أوربا ودساتيرها ومنارات المساجد ترتفع الآن فى كثير من عواصمها ومدنها . ولا يكاد يمر يوم لا يعتنق فيه الكثير من الأوربيين هذا الدين كطريق للسعادة فى الآخرة والدنيا ...

ولا ... لأن واقع المسلمين يقف . حائلا بين تغلغل هذه الظاهرة فى ضمير أوربا وشعوبها ولن أنسى ذلك الحوار الذى دار بين انجليزى ، ومسلم ، وبين أسرته حين ضيق عليه الخناق بسبب ايمانه ، وكانت الحجة الظاهرة فى اقناعه للعدول عن عقيدته بسبب ما يرى فى عالم المسلمين من تناقض وفى دنيا العرب من شتات وتمزق وبسبب ما يراه هؤلاء الأوربيون من مباذل ومفاسد يرتكبها اناس يدعون الغيرة على الاسلام ،وهى مفاسد ومباذل يندى لها جبين الانسانية كرابطة . فكيف بالاسلام كدين وعقيدة . ؟

فلسفة هيجل وماركس للتاريخ

للأستاذ أبو الأعلى المودودي

ان الضلالات الكبيرة التى تدفقت مع الحضارة الغربية على الانسانية نبعت من منابع ، أهمها تلك الفلسفة للتاريخ التى وضعها هيجل ، وأسس على مقدماتها كارل ماركس بناء على تفسيره المادى للتاريخ فيما بعد .

ان فلسفة هيجل للتاريخ خلاصتها : ان ما يحصل فى الحضارة الانسانية من تطور وارتقاء انما يحصل بظهور الاضداد وتناطحها وتمازجها فيما بينها وان كل دور من أدوار التاريخ فى حد ذاته وحدة أو كائن جسدى حى ، وان مختلف نظريات الانسان من سياسية واقتصادية ومدنية وخلقية وعلميةوعقلية ودينية تكون على مستوى معين فى ذلك الدور ويكون بينهما التناسب والتلاؤم والوحدة المتماسكة ، كأنها جوانب مختلفة لهذا الكائن الحى . أو الوحدة الزمنية تسرى فيها روح هذا الدور بكامله .

وان المبادىء والنظريات والأفكار الانسانية التى تقوم بالتوجيه فى هذا الدور عندما تصل بالحضارة الانسانية ومدنيتها الى قمة الطاقة والصلاحية ، ينبثق من حضن هذا الدور نفسه عدوه الذى يترعرع فيه ويبلغ أشده أى أن طائفية أخرى من الأفكار الحديثة ، والميول الحديثة، والنظريات الحديثة،والمبادىءالحديثة لا تتولد الا من المقتضى الطبيعى لهذا الدور الآخذ فى الزوال بنفسه ثم تشرع فى محاربة الأفكار البالية القديمة .

يستمر الصراع على قدم وساق بين القديم والجديد الى مدة من الزمان وفى النهاية يحصل التمازج بينهما بعد الأخذ والرد ، وتخرج الى حيز الوجود حضارة عصرية جديدة خليطة من عناصر قديمة

وأخرى جديدة .. وهكذا يفاتح الدنيا دور جديد من أدوار التاريخ.

ثم عندما ترتقى روح هذا الدور الجديد الى أعلى مدارجها ، على غرار الدور الذى سبق ، يظهر من حضنها أيضا عدوها ، وينشب الصراع العقائدى الذى يتمخض عنه أيضا خليط جديد مكون من عناصر من هذا وعناصر من ذاك ، وبعد الأخذ والرد يصير روحا لدور جديد للحضارة والمدنية .

وهذه العملية للارتقاء هى التى يعبر عنها هيجل حسب اصطلاحه بالعملية الجدلية (Dialectic proces) فكأن مجال التاريخ أو حلبة الدهر تجرى فيها — فى نظره — مجادلة منطقية متسلسلة ، وبموجبها تقوم أولا الدعوى (Thesis) ثم يبرز ضدها جوابها (Antithesis) ، وبعد أن يطول بينهما الصراع فان العقل الكلى أو الروح العالمية تعقد بينهما الصلح ، أى تقبل شيئا من هذا وجانبا من ذلك وتجعل منهما مزيجا (Sythesis) وهذ المزيج الحضارى عندما يتقدم قليلا يتحول الى دعوى ثم يواجه هذه الدعوى جوابها ، ثم ينعقد بينهما الصلح بعد نشوب النزاع بينهما مدة ويأتى الى حيز الوجود مزيج جديد ، وهلم جرا .

فالعملية الجدلية بموجب نظرية هيجل عملية اجتماعية كلية ، وبعبارة أخرى : ان الحضارة الانسانية بكل شعبها وفروعها فى كل عصر من عصور التاريخ بمثابة جسد حى .. أو كائن واحد وأن الأفراد أو الطوائف ليسوا الا بمثابة أعضاء أو أجزاء لهذا الجسد ، فعلى هذا لا يمكن لفرد من الأفراد ولا لطائفة من الطوائف أن تتحرر من طبيعة عصرها الجماعية أو من الروح العامة لمدنية عصرها وحضارته . فكل انسان مهما كان كبيرا ، ومن ألمع الشخصيات التاريخية وأبرزها ، ليس فى هذه اللعبة الجدلية أو الصراع الكلى الداخلى الا بمثابة قطعة من قطع البيدق فى لعبة الشطرنج ، ففى خلال الفيضان الجارف المتفجر من نهر التاريخ الانسانى تعلو « الفكرة المجردة » وتسير على شارع

الحياة البشرية فى أبهة كأبهة الملوك دون منـازع أو مصـادم ، تعرض الدعوى أولا ثم تعرض جوانبها ثم تعقد بينهما الصلح بالمزج بينهمـا • ومن أعاجيب العقل الكلى أو الروح العالمية أنه يعترف بالأفراد ويوهمهم بأنهم فى هذه المسرحية يلعبون دورا هاما ، دور الأبطـال البارزين دور الرواد والموجهين •• مع أن العقـل العالمى هو الذى يستعملهم لاكمـال ذاته فى حقيقة الأمر (١) •

أما كارل ماركس فقد استمد من نظرية هيجل الفلسفة فكرة العمليـة الجدلية وفضل عنها تصور الروح أو الفكرة ، الأمر الذى كان جـوهرا لفلسـفة هيجل • وجعل الأسـباب المـادية أو الدواعى الاقتصـادية وحدها هى الأساس لتطور التاريخ فقال : ان الأمر الذى له الأهمية الحقيقية فى حياة الانسان انما هو الاقتصاد ، وأن النظام الاقتصادى فى كل عهـد من عهود التاريخ هو الذى يرسم الصورة الكاملة للمدنية الانسانية فى ذلك العهـد فالقانون والأخلاق والدين والفلسفة والعلوم والفنون وبالجملة سـائر الأفكار والتصورات الانسانية (ideaiagies) لا تتشكل الا بتأثير هـذا النظام الاقتصادى • أما الوجه الذى تقوم عليه العملية الجدلية أثنـاء التاريخ عند ماركس ، فهو أن أية طبقة من الناس عنـدما تحتكر انتاج أسباب الحياة وتوفـيرها وتوزيعها وتجعل سـائر الطبقات الأخـرى مفتقرة متسـولة أمامها تحت نظـام خاص للاقتصاد ، يبدأ القلق والاضطراب

---

(١) ان ذات الله هى التى يعبر عنهـا هيجل بالعقل الكلى (World Relasan) أو الروح العالمية (worldspirit) او الروح المطلقة (Absalute Spirit) أو الفكرة المطلقة (Absalute Ides) وما اليهـا من الكلمات الأخـرى فى حقيقة الأمر فعنده أن الروح العالمية أى الذات الالهية هى التى ترتقى بصورة ارتقاء المدنية أو الحضارة الانسانية وأن الله هو الذى يظهر نفسه بنفسه وراء هذا الحجاب ويكدح ويكد لتنمية ذاته ، ويقوم بالمناورة على شارع التاريخ . وأما الانسان فالمسكين انما يستخدم كمظهر خارجى أو أداة للتنفيذ .

يرفع رأسه بين الطبقات المستضعفة ويجعلها أخيرا تطالب بنظام جديد للانتاج الاقتصادى (Production) ويكون ذلك ــ بكلمات أخرى ــ جوابا لدعوى النظام القديم أو عدوه الذى ينشأ وينمو فى حضنه ، فهنا يبدأ الصراع بينهما والمجموعة الكاملة من قوانين النظام الحاضر ودينه وأخلاقه ونظرياته لا تؤيد فى هذا الصراع والصدام الا النظام القائم فى هذا العهد من ذى قبل ، بينما القوى الجديدة الناشئة ضده ، التى لا تقوم الا لأجل المطالبة بتغيير النظام الاقتصادى وأسسه تجد نفسها مضطرة الى أن تضرب بهذه المجموعة القديمة للتصورات القانونية والدينية والاجتماعية عرض الحائط وتضع بدلا منها مجموعة أخرى تنسجم مع نظامها الاقتصادى المنشود فهذا الصراع الطبقى (Class Struggle) يبقى قائما على قدم وساق مدة من الزمان الى أن يزول النظام الاقتصادى نتيجة له آخر الأمر ، وبزواله تغادر التصورات القانونية والدينية والاخلاقية والفلسفية القديمة مكانها لتحل محلها التصورات الجديدة شاءت أم لم تشأ .

هذا هو تفسير ماركس المادى للتاريخ ، وهو يعرف بالمادية التاريخية : (Histerical materialism) أو المادية الجدلية (Dialectic materialism) فمسألة تهيئة وسائل المعيشة وتوزيعها هى المحور لارتقاء الحضارة الانسانية وجميع ما يطرأ على التاريخ الانسانى من تغييرات وتقلبات ، وفى نظر ماركس أن هذا المحور هو الذى تدور حوله رحى الحياة الانسانية ، وما القوة المحركة لهذا المحور الا قوة الصراع الطبقى ، وليست هناك ــ عنده ــ من مبادىء خالدة للدين والأخلاق والحضارة الانسانية تطلق عليها صفة الدوام وتكون خالدة للدين حقا وصدقا فى حد ذاتها ، وعلى العكس من هذا يعتقد ماركس أن الانسان يتبع أولا فريقا تقتضيه مصالحه الذاتية وتدعو اليه مطامعه الاقتصادية ، ثم يختلق دينا وفلسفة للأخلاق ونظاما للأفكار والنظريات ليعمق بها هذا الطريق

ويجعله ويحكمه ويسيره بنجاح ويثبت للناس صحته ، ومما يطابق الفطرة والعقل معا — فى نظر ماركس — ان طبقة من الناس اذا وجدت طريقا آخر يحقق مصلحتها الاقتصادية فلها أن ترفض نظامها الاقتصادى السابق وترفض معه جميع ما يقوم عليه هذا النظام من التصورات الدينية والأخلاقية والقانونية والمدنية ، وتخترع بدلا منها عقائد ومبادىء جديدة أخرى تلتئم مع مصلحتها الاقتصادية ، وفوق هذا يقول ماركس بأن الصراع للأغراض الذاتية المادية هو من عين ما تنشده الفطرة . وأن الطريق الوحيد لارتقاء التاريخ الانسانى أن تتنازع وتتصادم وتتكالب مختلف طبقات الناس فى ما بينها لتحقيق أغراضها ومصالحها الذاتية المادية لأن الانسان ما قطع حتى الآن مرحلة من مراحل التاريخ الا متخاصما متقاتلا بعضهمع بعض وأن ليس عليه الآن الا أن يواصل قطع مراحل التاريخ بنفس المقاتلة والمصارعة ، وأنه ان كان هناك أساس للتوفيق بين مختلف أفراده فانما هو تكتلهم لأجل الأغراض الاقتصادية البحتة ، فكل من كانوا متكتلين على هذا الأساس لابد لهم من أن يتحولوا الى طبقة خاصة تشن الحرب على جميع ما يخالفها من الطبقات .

اننا لا نريد أن نتناول نظريات هيجل، وماركس بالنقد التفصيلى ، انما الذى نريد بيانه هنا ، هو أن هذه النظريات قد جعلت وجهات نظر أهل العلم فى العصر الحاضر عن الدين والأخلاق والحضارة والاجتماع خاطئة من حيث الأساس والمبدأ ، فان الذين قد افتتنوا بفلسفة هيجل قد أشرب فى قلوبهم أمران اثنان وهما :

١ — ان الحضارة بجملتها فى كل عصر من عصور التاريخ وحدة ، وأن كل ما يوجد فى عصر من العصور من الأخلاق والقوانين والدين والعلم والفلسفة والفن والعلاقات الدولية انما هو فى حقيقة الأمر مظاهر متنوعة للطبيعة

الاجتماعية أو الروح العالمية لذلك الزمان .

٢ ــ ان أى مدنية من مدنيات الانسان عندما تنضج وتتبلور وتبلغ ذروة كمالها ، فان طائفة جديدة من الميول والأفكار والنظريات والتصورات تبرز الى الوجود من بطن تلك المدنية نفسها وتشرع فى محاربة الأفكار والنظريات القديمة الى أن تخرج الى المسرح مدنية جديدة يبقى فيها كل ما فى المدنية القديمة من العناصر الصالحة ، وتحل محل العناصر غير الصالحة عناصر أخرى من الأفكار والميول والنظريات الجديدة .

يتضح من ذلك أن أحدا اذا رسخت فى ذهنه هاتان الفكرتان ، من المحال أن يكون أو يبقى مقتنعا بتعليم قد مضى عليه عدد من القرون أى التعليم الذى يرجع أصله الى عصر من العصور الفائتة حسب عقيدته . انك كلما ذكرت له ابراهيم، وموسى، وعيسى ، ومحمدا صلوات الله وسلامه عليهم . قال : « انما كان كل واحد من هؤلاء وليد زمانه ، ليقدم جوابا لدعوى المدنية الرائجة فى ذلك الزمان الذى تحول الى جزء من أجزاء المزيج الحضارى (Synthesis) بعد أن جاوز ما جاوز من فترة الصراع والأخذ والرد وكم من جواب بعده تعاقب وفرض نفسه ثم تحول الى مزيج حضارى كما أسلفنا . وأن المدنية الانسانية مازالت تجتاز بعده مراحل التقدم والرقى حتى بلغت الزمان الذى نعيش فيه ولا تشك أننا نجل هؤلاء الأفراد ونعترف لهم بما يستحقون من الفضل والتقدير من حيث عملوا لتطوير المدنية الانسانية وتنميتها فى عهودهم ، ولكن لا يصح البتة أن نرجع القهقرى ونجابه دعوى المدنية الحاضرة بجواب قديم قد أكل عليه الدهر وشرب .

ان اتباع ماركس يشاركون اتباع هيجل فى هاتين الفكرتين ومع هذا فقد استولت على أذهانهم فكرة ثالثة هى : أنهم لا يرون كل مايوجد فى عصر خاص من عصور التاريخ من الأفكار والتصورات الدينية والخلقية والقانونية الا متولدا من

النظام الاقتصادى الرائج فى ذلك العصر. ويقولون ان هذه التصورات والمبادىء والقوانين ما وضعت الا لحماية وحفظ النظام الاقتصادى الرائج فى ذلك الزمان. فالنتيجة المنطقية اللازمة لعقيدتهم هذه أنه كلما تغير أسلوب انتاج وتوزيع أسباب المعيشة للانسان، فلابد أن يصاحبه التغير الشامل فى كل شىء من الدين والأخلاق والقانون، لأنها ما كانت تساير الا النظام الاقتصادى القديم ولا تصلح للانسجام مع روح النظام الجديد. فهل لأحد أن يدعى أن من كان يعتقد بنظرية ماركس، يستطيع أن يكون ــ فى الوقت ذاته ــ مؤمنا بتعليم دينى أو شريعة أو نظام خلقى يرجع الى ما قبل القرون. وقد نشر أحد الشيوعيين مقالا عنوانه : « أى شىء لا نجده فى الشيوعية » ؟ وحاول أن يثبت فيه أن لا تناقض هناك بين الشيوعية والاسلام ولربما يكون هناك رجال آخرون من طرازه يقولون بصحة الفكرة، فانى أطلب منهم أن يدرسوا أولا تعبير ماركس المادى للتاريخ وتنائجه المنطقية ثم يتفكروا : أى مجال يبقى لمن اعترف بصحة هذه الفكرة لأن يقول بأنه مسلم ؟ لاريب أنه من حق كل شخص أن يختار ما يشاء من عقيدة، فهم ان كانوا يعتقدون بصحة نظرية ماركس، فلهم أن يختاروها، ولكن الواجب عليهم مع ذلك أن يكونوا على بينة من الأمر وألا يساور أذهانهم أى نوع من التعقيد والارتباك أما كونهم يزعمون عقيدة ثم يعتقدون فى عقيدة تضادها فى الوقت ذاته فهذا يدل على ارتباك فى أذهانهم وهو أمر يدعو الى الأسف ويبعث على الأسى.

لقد حاول كل من هيجل وماركس أن يبلغ الحقيقة ويكاشفها، ولكنهما فشلا فى بلوغها فشلا ذريعا. ان كل واحد منهما لم يجد الا جزءا يسيرا من الحقيقة فحاول أن يثبته كالحقيقة الكاملة فانتهى به المطاف الى أن وقع هو نفسه فى هوة سحيقة من الخطأ ونسج لغيره من الناس شبكة من الأخطاء. والأغاليط يقعون فيها ويذهبون ضحيتها.

واذا كان هناك جانب من جوانب فلسفة هيجل للتاريخ على شىء من الصحة فليس الا القول بأن كل

ما حصل من ارتقاء فى المدنية الانسانية عبر التاريخ ، حصل بسبب الحرب بين الأضداد ، أولا ثم التصالح بينها ثانيا . الا أن هيجل جاء يمزج هذه الفكرة الصحيحة بأفكار خاطئة كثيرة ويبنى نظرية لا تقوم معظم أعمدتها الا فى الفضاء ان قول هيجل بأن الله هو روح العالم ، وقوله ان الله يتخذ الانسان أداة لاستكمال ذاته وأن تاريخ ارتقاء المدنية الانسانية انما هو تاريخ السفر الذى يقوم به الله الى منتهى كماله ، فما كل هذا الا آراء سخيفة واهية ليس فى السماء ولا فى الأرض ما يثبت صحتها ثبوتا بحق فيرتاح اليه القلب وتطمئن اليه النفس .

ثم ان قوله بأن الانسان فى مسرح التاريخ ليس الا ممثلا لا شعور له ولا اختيار ولا ارادة ، وأن الله هو الذى يطرح الأفكار المتعارضة على بساط المسرح بوساطة الناس ويجعلهم يقتتلون أولا ثم يعقد بينهم الصلح ويحدث فيهم صورا جديدة للفكر والخيال فهذا أيضا قياس فاسد لا أساس له من الصحة ولا تؤيده حقيقة علمية .

فهذه هى أخطاء هيجل الأساسية قد جعلت فلسفته للتاريخ لغزا من الألغاز ثم اننا اذا تأملنا فى نظريته للجدال التاريخى ، وان كنا نلمح فيها بعض جوانب الصحة والصدق ، الا أن عنصر القياس والتخمين فيها يغلب على عنصر الاستشهاد بأحداث التاريخ . ولم يحد هيجل عن جادة الصواب فى قوله : ما زالت الحرب قائمة بين الأفكار المتضادة على مر التاريخ ، وما زال الصلح يحصل بينها بعد الحرب فيحولها الى جزء من أجزاء المزيج الحضارى ، الا أنه ما كرس نفسه كى يتعرف على حقيقة المسألة ويعرف نوعية الأضداد التى تحصل بينها الحرب فى الحقيقة ، ودواعى انعقاد الصلح بينها آخر الأمر والسبب فى أن المزيج الذى يأتى الى الوجود نتيجة هذا الصلح يولد فى حضنه عدوا لنفسه بعد ذلك فبدلا من أن يدرس هيجل هذه العملية الجدلية دراسة وافية تحليلية ، ألقى عليها نظرة عابرة كما يلقى الطائر نظرة على المدينة فى أثناء التحليق فى جوها .

أما ماركس فلم يكتب له الحظ اليسير من عمق النظر وسعة الأفق

الذى كتب لهيجل . انه لا يحاول أصلا أن يعرف ويفهم فطرة الانسان وصنعه وتركيبه فهو لذلك انما ينظر منه الى الحيوان الخارجى الذى يبحث عن الطعام والشراب ولا ينظر أبدا الى الانسان الداخلى الذى يعيش داخل (كبسول) هذا الحيوان الخارجى ، والذى ليس الحيوان الخارجى الا أداة من أدواته ، والذى تختلف مقتضيات طبيعته عن مقتضيات طبيعة الحيوان الخارجى ، ان قصور نظر ماركس وضآلة فهمه جعلت كل نظرياته الاجتماعية باطلة كل البطلان ، وأصبح يظن أن الانسان الداخلى انما هو تابع أو مستخدم بل عبد مذلل للحيوان الخارجى ، وأن كل ما أوتيه من قوى العقل والاستدلال والتفكير والبحث والمشاهدة والاستنباط والتحقيق والاختراع انما هو مقصور على خدمة الحيوان الخارجى وتحقيق شهواته ومطالبه وأغراضه ، ولهذا فان أقصى ما قام به الانسان الداخلى حتى الآن أو يستطيع أن يقوم به فى المستقبل ، لا يعدو — على حسب قول ماركس — أن يكون وضعا لمبادىء الأخلاق والقانون ، واختراع تصورات للدين ، وتقرير طريق للحياة وفقا لأهواء الحيوان الخارجى ، ما أضأل هذه الفكرة لحقيقة الانسان .. وما أبلد الأذهان التى ترتاح اليه وتقبله .

اننا لا نشك فى أن أحاسيس الحيوان الخارجى ومطالبه كثيرا ما تؤثر فى عزيمة الانسان الداخلى وأن هناك كثيرا من الناس تغلب عليهم حيوانيتهم . ولكن ما أخطأ فكرة ماركس القائلة بأن الانسان الداخلى لا يملك أى نفوذ يقهر به الحيوان الخارجى ، وما أخطأ دراسته لتاريخ الحضارة الانسانية التى جعلته لا يرى الحضارة الانسانية الا عمل أولئك الذين كانت انسانيتهم تتبع حيوانيتهم ، مع أنه لو تأمل فى صفحات التاريخ بعين متفتحة ، لوجد أن كل ما هو ثمين وصالح وجدير بالتقدير والاحترام من عناصر المدنية الانسانية انما هو منحة من أولئك الذين جعلوا حيوانيتهم تتبع انسانيتهم ، وأثروا بشخصيتهم القاهرة أغلبية ساحقة من أفراد البشر ضحايا الحيوانية ، فأفرغوا حياتهم فى قوالب ، مبادىء دائمة للحضارة والتهذيب والشرف والأخلاق والعدل والانصاف .

ولو أن هيجل وماركس درسا القرآن ، لما لقيا فى فهم حقيقة الانسان وادراك القانون الأساسى لارتقاء المدنية الانسانية من العثرات ما قد لقيا باللجوء الى الظن والتمسك بأذيال التخمين ، لأن ما قد يتقدم به القرآن من علم الانسان وفلسفة التاريخ يحل بصورة صحيحة وبأسلوب مقنع جميع تلك المسائل التى قد ارتبك فيها هيجل وماركس وارتبك فيها أمثالهما من مفكرى الغرب وفلاسفته •

وبموجب بيان القرآن ليس الانسان عبارة عن مجرد الوجود الحيوانى (Biological) الذى هو محل الجوع والشهوة والطمع والخوف والغضب وما اليها من الغرائز ، وانما (الانسان) عبارة عن ذلك الوجود المعنوى الذى يعيش فى داخل الغلاف الحيوانى وهو محل الأحكام الخلقية ولم يجعل — كالحيوانات الأخرى — مجرد عبد للغريزة (Instinct) وانما أوتى مواهب مختلفة من العقل والوعى وقوة اكتساب العلم والرأى والفكر ، كما أوتى نوعا من الاستقلال الذاتى (Autonomy) ان الطبيعة لا توجهه كالحيوانات الأخرى عن طريق معين تقليدى ولا تكفل له جميع حاجاته بنفسها ، وانما قد أعطاه الله قوة الكد والجهد وتركه فى الدنيا لينال كل ما ينال بسعيه ويختار ما يختار من الاتجاه والطريق فى حياته بسعيه واجتهاده ويكون فى مقدوره أن يتابع سيره فيه الى ما يشاء ، فالروح الحائزة لهذا النوع من الاستقلال ، المالكة لهذا الطراز من السعى ، المنتخبة وجهة سعيها وخط سيرها ، هى الانسان فى نظر القرآن •

أما الحيوان الخارجى ، فقد منح للانسان الداخلى ليستخدمه ويتخذه أداة له وهذا الخادم انما هو جاهل لا يعرف الا الأهواء وشهوات النفس ومطالب الجسد ، ولا يستهدف الا الحصول على رغائبه وتحقيق حاجاته ، فهو بدلا من أن يخدم الانسان الداخلى ، يريد أن يطغى عليه ويستخدمه ويكرهه على أن يصير مجرد آلة بيده لتحقيق

مطالبه ، ورغباته الحيوانية بكل ما عنده من المواهب العقلية والقوى العلمية ، ويجعل فكره فى الحضيض بدلا من أن يعلو الى السماء ، ويجعل صدره ضيقا ويستنفد جهده ليجعله يعبد المحسوسات ويثير فى نفســه العصبيات الجاهلية .

وعلى العكس من هــذا فــان الانسان الداخلى تقتضى فطرته أن يسخر لنفسه الحيوان الخــارجى ، وقد ألهمه الله علم الفجور والتقوى ، وأعطــاه الكفاءة للتمييز بين طرق الخير والشر (وهديناه النجدين) وجعل فيه حســا خلقيا يقتضيه من الداخل أن يحقق حاجاته الحيوانية بطريق يناسب انسانيته لاكما تحققها العجم . ولذا فانه بنفسه يستحى أن يميل الى الطرق البهيميــة ، ويترفع بنفسه عن المقاصد الحيوانية ويحرص دائمــا على أن يتحــول كائنا أعلى درجة وأفضل مكانة ، ويوجد فيه — بحكم شعوره الفطرى — الطلب لأن تقضى حياته لأسمى غايه وأنبل مقصــد .

وعلى هذا ليست الحياة الانسانية من أولهــا الى آخرها الا ســاحة للحروب القائمة بين الانسان الداخلى والحيــوان الخارجى ، فالحيــوان الخارجى يدفع الانسان الداخلى الى الأسفل ، وبعد أن يجعله تابعا لنفسه يشق بواسطته طرقا معوجة مشحونة بالظلم والعدوان والفحشاء والمنكر والاثم والبغى محفوفة بعبادة شهوات النفس ولذائذهــا والالتــواء فى العلاقات الانسانية . أما الانســان الداخلى فلا يرضى لنفسه بهذا اللون من الذل فيثــور على الحيــوان الخارجى ، الا أنه أثنــاء محاولتــه لتسخير الحيوان الخارجى واستذلاله واستعباده يميــل الى طرق معوجة أخرى فيها الرهبانية والرغبــة عن الدنيا واضطهاد النفس والعدول عن الحاجات الفطرية والفرار عن تبعات الحياة الاجتماعية ، فهناك يتمرد عليه الحيوان الخارجى مرة أخرى ويجره الى طرقه المعوجة .

فهاتان القوتان للافراط والتفريط تثور كل واحدة منهما على الأخرى من حين لآخر . وبتأثير كل واحدة

منهما فى الأخرى ينشأ فى الدنيا من النظريات والمبادىء والمناهج العملية ما يشتمل على عناصر للحق وعناصر للباطل ، والانسان يجرب هذه المبادىء والنظريات والمناهج العملية حينا من الدهر ، وأخيرا فان فطرته الحقيقية التى تحن دائما الى الصراط المستقيم ، تنبذ كل مايكون فيها من العناصر الباطلة نبذ النواة حتى لا يبقى منها فى الحياة الانسانية الا الحق والصدق ... : (كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض) . ولكن ما أن تفشل المجموعة الداعية الى الافراط أو التفريط حتى تأتى الى الحلبة مجموعة أخرى داعية الى الافراط والتفريط الى مدة من الزمان ، ثم ترفض الفطرة الانسانية هذه المجموعة أيضا لنفس الأسباب التى كانت قد رفضت بموجبها المجموعات السابقة المختلطة عن عناصر الحق والباطل .

فهكذا نجد أن ارتقاء الحضارة الانسانية على مر التاريخ انما يتمثل فى صورة خط متعرج يتقاطع مع خط مستقيم مرة بعد مرة كما هو ظاهر فى الرسم الآتى :

ففى هذا الرسم ، الخط (ا = ب) هو الطريق الفطرى للحياة الانسانية الذى يعبر عنه القرآن بكلمات الصراط المستقيم والرشد والهدى وسواء السبيل وسبيل الرب وما اليها . لقد كانت الانسانية على فطرتها فى بدء الأمر : (كان الناس أمة واحدة) ثم ظهرت فى الناس ميول الى تعدى حدودهم المشروعة (وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم) فهذه الميول ما زالت تحيد بالانسان بعيدا عن الصراط المستقيم الفطرى مرة بعد أخرى .. ولكن فى كل مرة نجد أن مرارة التجارب وقلق الفطرة الانسانية يجبرانه على الرجوع الى طريق الفطرة ، ولكن الانسان ما كان يرجع الى طريق الفطرة الا ليبتعد عنه مرة أخرى الى الجهة المعاكسة ثم يجد نفسه مرة أخرى مضطرا الى الرجوع الى طريق الفطرة .

فالذى يعبر عنه هيجل بالدعوى وجوابها ، انما هو الميول المتطرفة التى تجر الانسان الى هذا الجانب من الخط المستقيم مرة والى الجانب المعاكس له مرة أخرى ، وان الذى يعبر عنه بالتركيب والمزج ، انما هو النقط التى يلتقى عليها الخط المتعرج مع الخط المستقيم ويقاطعه .

ان هيجل وماركس وجدا فى التاريخ هذا الخط المستقيم ، ولكنهما ما استطاعا أن ينظرا ذلك الخط المستقيم الذى هو مرسوم من الأزل الى الأبد، والذى يقتضيه فطرة الانسان من داخله ، والذى بوجوده خلال هذه الطرق المعوجة يشكل حقيقة يشهد بها كل قلب واع متأمل ، والذى فطر كل انسان على البحث عنه وبلوغه .

ان الأنبياء عليهم السلام هم الذين يعرفون هذا الصراط المستقيم، فقد دعوا الناس ـ كل فى حينه ـ الى هذا الصراط الوسط ، وأنشأوا عليه المدنية الانسانية فعلا : (لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط) .

ابو الأعلى المودودى

رجال الدعوة

« اننا فى حاجة الى رجال ينقطعون الى هذه الدعوة ، ويكرسون عليها علمهم ومواهبهم وكفايتهم ، ولا يطمعون فى مصب أو جاه أو وظيفة أو حكومة، ولا يحملون لأحد حقدا ، ينفعون ولا ينتفعون ، ويعطون ولا يأخذون ، ولا يزاحمون طبقة فى شىء تحرص عليه تتهالك حتى لا تكون لها حجة عليهم ولا للشيطان سبيل اليهم ، شعارهم الاخلاص والتجرد عن الشهوات والانانيات والعصبيات ».

دعاء النبى

صلى الله عليه وسلم

للأستاذ السيد أبى الحسن على الحسنى الندوى

— ٢ —

تعالوا نلق نظرة على الأدعية التى أثرت عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى دواوين الأحاديث وكتب التاريخ والسير ، ولننظر : هل يستطيع أحدنا — مهما بلغ من تضلعه من الأدب ، وبراعته فى الفنون الأدبية والأساليب البيانية — أن يأتى — وهو يريد أن يبدى عجزه وضعفه ، ويصور فقره واحتياجه ، ويستجلب رحمة ربه ويستمطر سحابة كرمه — بكلمات أشد منها تأثيرا ، وأدق منها دلالة على المعانى وأكثر منها قلة فى المبانى، وأحسن منها وقعا فى النفوس وجذبا للقلوب وسحرا للأذهان والعقول .

تصور سفره — صلى الله عليه وسلم — الى الطائف ، وما يحف به، وأرسل النظر الى قلب المسافر المنكسر ، وقدميه المتضرجتين بالدم، واقرأ فى هذه البيئة الظالمة الخانقة :

« اللهم اليك أشكو ضعف قوتى، وقلة حيلتى ، وهوانى على الناس رب المستضعفين الى من تكلنى ؟ الى بعيد يتجهمنى ، أو الى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ، غير أن عاقبتك هى أوسع لى ، أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ، من أن يحل بى غضبك أو ينزل على سخطك ، لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك (١) » .

---

(١) جاء هذا الدعاء فى تاريخ الطبرى بهذه الألفاظ . وقد أخرجه صاحب كنز العمال بتغيير يسير .

أفهل تستطيع أن تأتى — وقد تكيفت نفسك بهذه الكيفيةالعجيبة بكلمات أحسن منها وأوقع ؟ أو هل تقدر مكتبات العالم الأدبية الغنية على أن تساعدك بألفاظ أكثر منها رشاقة ، وأحسن منها صياغة ؟

وتصور كذلك ميدان « عرفات » وهو يدوى بأصداء « اللهم لبيك ، اللهم لبيك ، ويتجاوب مع أدعيته الحجاج الكرام وقد تجلت فيه صمدية الأحد الصمد ، وعظمته وجبروته ، ترى فى هذا الحشد العظيم الكريم « رجلا » حاسرا عن رأسه ، لابسا احرامه — فداه أبى وأمى — يحمل على عاتقه مسئولية البشرية جمعاء ، ويشاهد عظمة الاله وكبرياءه أكثر من كل من يستطيع هذه المشاهدة ويطلع على عجز الانسان ، وضعفه ،ووعيه أكثر من كل من يقدر على هذا الاطلاع ، فى هذا الجو المهيب ، يدوى بصوته الأرجاء ، فيسمعه السامعون :

« اللهم انك تسمع كلامى ، وترى مكانى ، وتعلم سرى وعلانيتى ، لا يخفى عليك شىء من أمرى ، وأنا البائس الفقير ، المستغيث المستجير، الوجل المشفق ، المقر المعترف بذنبى أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، فاضت لك عبرته ، وذل لك جسمه ، ورغم لك أنفه ، اللهم لا تجعلنى بدعائك شقيا ، وكن رؤوفا رحيما ، يا خير المسئولين ، ويا خير المعطين (١) » .

أفهل يستطيع الانسان أن يجد — لكى يعبر عن كبرياء الله وعظمته ويعترف بعجزه وضعفه ، وفقره واحتياجه ، وقلة حيلته وهوانه ، ويثير رحمة ربه ، ويستجلب كرمه — كلمات أكثر منها وقعا ، وأغنى منها اخلاصا ، وأشد منها جذبا للنفوس ونفوذا فى القلوب ؟ أو هل يستطيع أحدنا أن يصور كيفية قلبه ، وعجزه ومسكنه بأحسن من ذلك وأدق منه ،

(١) كنز العمال مرويا عن ابن عباس رضى الله عنهما .

وأيم الله ان هذه الكلمات لكفيلة باثارة سحابة كرم الكريم الحقيقى وكلما تكررها الأذهان ويجرى بها اللسان تفيض العيون دموعا ، وتتراءى الرحمة الالهية مقبلة . فألف ألف صلاة وسلام على رحمة العالمين ، اذ أنه علم أمته هذه الأدعية الرائعة ذات الأثر البالغ والصياغة الدقيقة وعرفنا كيف تقرع « باب الرحمة » اللهم صل وسلم عليه وعلى عترته بعدد كل معلوم لك .

ولكى يستميل الانسان ، الملك المقتدر ، القوى الغنى ، القادر المطلق ، السلطان العادل ، ويستجلب رحمته وعطفه وحنانه ، لا شيء يفى له بذلك مثل الاعتراف بعجزه وضعفه ، وعبوديته ونقصه ، بأحسن ما يكون الاعتراف بأنه عبد الملك كابرا عن كابر ... وأسرة بعد أسرة ، فهو مملوك ابن مملوك ... الخ . وهو مدين العتبة السلطانية القديم ربيب هذا النعيم العميم ، والسلطان يملك نفسه وماله ، وكل شيء بيده ، اذا فمن يرحم على عبده ويواسيه من بعده ، فلننظر : هل يمكن أحدا أن يأتى بهذه المقدمة «اللازمة» بأحسن مما أتى به محمد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — يدعو ربه فيفيض .

« اللهم انى عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتى بيدك ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هولك ، سميت به نفسك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور بصرى ، وجلاء حزنى وذهاب همى (١) » .

ان حاجات الانسان لا يأتى عليها الحصر ، واختيارها صعب ، واستقصاؤها أشق ، اذا فأى حاجة يسألها ، وأى حاجة يتركها ؟ شيء فى منتهى الصعوبة وغاية الحرج .

ولننظر فى حاجاتنا ، لو أتيح لنا فرصة سؤالها واستشباعها ، لتواجهنا الصعوبة ويعقبها التلف ، والأسف . فانظر كيف عبر النبى — عليه

(١) رواه الترمذى وابن ماجه عن ابن أبى أوفى .

الصلاة والسلام — عن حاجيات الانسان أرق تعبير ، وكيف مثل الانسانية كلها تمثيلا صادقا جامعا شاملا — اذا كانت هذه الانسانية سليمة الطبع صحيحة الادراك .

« لا اله الا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب العرش العظيم .. والحمد لله رب العالمين ، أسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والغنيمة من كل بر ، والسلامة من كل اثم ، لا تدع لى ذنبا الا غفرته ، ولا هما الا فرجته ولا حاجة هى لك رضى الا قضيتها يا أرحم الراحمين (١) » .

ويقول فى دعاء آخر :

« اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر (٢) » .

ما أحرص الانسان على الراحة واللذة ، غير أنه قصير النظر ، فهو يطلب اللذة الفانية ويسعى للمسرة الزائلة ، والنبى — صلى الله عليه وسلم — يدرج ذلك فيعلم أمته من خلال أدعيته أن ما ينبغى أن يطلبه الانسان هو اللذة الباقية ، والراحة الدائمة ، والمسرة فى الحياة الآخرة ، ولذة النظر الى وجه الله الكريم ، والشوق الى لقائه ، فيقول :

« اللهم انى أسألك نعيما لاينفد ، وقرة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بالقضاء وبرد العيش بعد الموت ، ولذة النظر الى وجهك ، والشوق الى لقائك (٣) » .

ان الخلق الحسن أغلى نعمة بعد الايمان ، والذى أخبر عن نفسه : « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » ما كان ليتغافل عن أهمية الأخلاق الكريمة والصفات النبيلة ويتغاضى عن خطورتها ودقتها ، ولذلك فنرى

---

(١) رواه الترمذى وابن ماجه عن ابن أبى أوفى .
(٢) رواه الامام مسلم رحمه الله عن أبى هريرة رضى الله عنهما .
(٣) المستدرك عن عمار بن ياسر — رضى الله عنهما .

أن مكارم الأخلاق والترغيب فيها والتشجيع عليها ، تشغل جزءا كبيرا من الأدعية المأثورة ، ويشتمل هذا الجزء على حقائق خلقيـة وخلجات نفسية دقيقة ، تناولها علماء الأخلاق والنفس — فعلا — دراسة وتحليلا .

فاقرأ أولا دعاء له — صلى الله عليه وسلم — جامعا ، ثم اقرأ الأدعية المأثورة الأخرى التى تتناول الجوانب المتنوعة للخلق البشرى ، فيقول — صلى الله عليه وسلم — فى دعاء له وقت تهجده :

« اللهم اهدنى لأحسن الأعمال وأحسن الأخلاق ، لايهدى لأحسنها الا أنت . وقنى سيىء الأعمال وسيىء الأخلاق ، لا يقى سيئها الا أنت (١) » .

حينما يشاهد الانسان صورته فى المرآة،يدرك اعتدال أعضائه ، واتزان جسمه ، وصدق قوله تعالى : « لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم » فلم يفت النبى — صلى الله وسلم — ان يشعر أمته بهذه المناسبة كذلك بأهمية الخلق الحسن ، فعلمها أن تدعو الله لتحسين الباطن بجانب تحسين الظاهر ، فباجتماعها يستحق البشر ان يكون خليفة الله فى الأرض فيقول —صلى الله عليه وسلم —وهو يرى صورته فى المرآة : «الحمد لله ، اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى (٢) » .

ان الحياة الطيبة « تحتاج فى تكاملها الى ايمان ، وصحة ، وخلق حسن فيقول — صلى الله عليه وسلم — فى دعاء له :

« اللهم انى أسألك صحة فى ايمان ، وايمان فى حسن خلق »(٣).

---

(١) رواه النسائى عن جابر عن عبد الله رضى الله عنهما .

(٢) رواه الامام أحمد فى مسنده عن أم سلمة رضى الله عنهما .

(٣) رواه الحاكم فى مستدركه عن أبى هريرة .

وفى دعاء آخر :

« وأسألك لسانا صادقا ، وقلبا سليما ، وخلقا مستقيما » (١) •

وقد دعا النبى — صلى الله عليه وسلم — بجانب هذه الأدعية العامة المجملة التى تتصل بمكارم الأخلاق ومحاسن الأوصاف ، لبعض المحاسن الكبرى — وقد لفت بذلك انتباه الأمة للاهتمام بهذا الجانب العظيم — التى هى فى غاية الدقة والخطورة ، وهى بمنزلة المقياس لتكامل الأخلاق ، فما يدل على كمال الأخلاق الانسانية ، والشرف والكرامة ، والورع والتقوى ، أن يرزق الانسان حب الفقراء والمساكين ، فقد كثر من يجلون الثروة وذويها ويكرمون الدنانير والدراهم وأهلها ، أما الذين يحبون الفقراء والمساكين ويعطفون على ذوى الحاجة فهم فى قلة وندرة ، الا من وفقه الله وهداه الى مسالك الخير • يقول — صلى الله عليه وسلم — فى دعائه :

« اللهم انى أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين» (٢)

قد اعتاد الانسان على أن يستكبر نفسه ، ويستصغر غيره ، ولم يسلم من هذا الداء الا أولئك الأفذاذ المخلصون الذين عصمهم ربك ، فتزكت نفوسهم وتنزهت قلوبهم والتأمل فى ذلك يؤدى الى أنه قد شذ من يسلمون من داء الاستكبار والاعجاب، فان ذلك يتمكن من النفس حيث لا يشعر بنو آدم ، وبألوان وأشكال لا يدركها البشر ، ولكى يسلم نفسه منه الانسان يحتاج الى العناية البالغة والاهتمام المتواصل بالدعاء ، فان ادراك هذا الداء وتشخيصه صعب ، والشفاء منه شىء غير يسير ، ولذلك فسيد

(١) رواه الامام الترمذى عن شداد بن أوس •

(٢) رواه الحاكم فى مستدركه عن ثوبان •

المخلصين يدعو لنفسه ــ ويعلم أمته أن تدعوا لنفسها :

« اللهم اجعلنى صبورا ، واجعلنى شكورا ، واجعلنى فى عينى صغيرا وفى أعين الناس كبيرا (١) .

ان اتحاد الظاهر والباطن، وصلاحهما من نعم الله العظمى ومن فضل الله الكبير ، الذى يحتاج الحصول عليه الى العناية الزائدة بالدعاء المخلص يقول معلم الأخلاق ــ صلى الله عليه وسلم : ــ :

« اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى ، واجعل علانيتى صالحة » (٢)

ويفصل ــ صلى الله عليه وسلم ــ ذلك فى هذا الدعاء :

« اللهم طهر قلبى من النفاق ، وعماى من الرياء ، ولسانى من الكذب ، وعينى من الخيانة ، فانك تعلم خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور » (٣) .

ابوالحسن الندوى

دين يخاطب العقل ويكره الثرثرة

عن عائشة رضى الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث كسردكم (رواه الشيخان والترمذى) وزاد : ولكنه كان يتكلم بكلام بينه فصل يحفظه من جلس اليه .

وعنها قالت كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاما فصلا يفهمه كل من سمعه .

وعن أنس رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيد الكلمة ثلاثا لتعقل عنه . (رواه الترمذى والبخارى وأحمد) ..

---

(١) جاء فى كنز العمال عن بريدة (رضى الله عنهما) .

(٢) رواه الترمذى عن سيدنا عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) .

(٣) كنز العمال عن أم سعيد (رضى الله عنها) .

دراسات قرآنية :

كرامة المرأة فى عفتها وحشمتها

للأستاذ مصطفى الطير

قال الله تعالى :
« قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ماظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن » .
الآية ٣١ من سورة النور
وقال : « ولاتبرجن تبرج الجاهلية الأولى » .
الآية ٣٣ من سورة الأحزاب

البيان

حلية المرأة عفتها ، وزينتها كرامتها وتصونها ، فمن أرادت أن تكون فواحة العبير بين الناس ، طيبة القالة بين أهلها وذويها ومجتمعها ، فعليها أن تبتعد عما يشينها ويثير الضباب من حولها ، وتتقى الله فى سرها وجهرها ، ولا تبدى زينتها للغرباء عنها ، فانهم لا شأن لهم بزينتها ، كما أنها لا مصلحة لها فى الازديان بينهم ، فان ذلك يغريهم بها ، ويحرضهم عليها ، ويثير قالة السوء حولها ، فالاحتشام والتصون أساس كرامتها ، ومبعث الهيبة منها ، ومناط احترامها وحسن القالة فيها ، وعليه تقوم الأسرة الكريمة ، ذات الأخلاق الفاضلة المجيدة ، ومن أجل ذلك يعتبر مطلبا هاما للأزواج الفضلاء .

فينبغى للمرأة أن تحكم العقل فى تصرفها ، حتى لا تطلق الألسنة من عقالها عليها ، ولست أدرى لماذا تحرص المرأة فى هذا الزمان العاثر ، على ارتداء الأزياء التى تكشف مساحة كبيرة من جسدها ، أو تبرز أماكن الفتنة فيها وان سترت ظاهر

بشرتها ، أفليس الاحتشام والتصون أجدر بها ، فانهـا ان كانت عذراء فهو عنوان تصونها ، وبشير الخير لمستقبلها ، اذ يراها الشاب الأصيل، فيرضيه مظهرها ، ويطمئن على طهرها ، فيرتضيها لنفسه زوجا ، ولأولاده أما ، ويعيشان سعداء بلا شكوك وأوهام .

أما هذه التى تبرز محاسنها الجسدية بمختلف الوسائل ، فانها فتاة عابثة غافلة عن مصلحتها ، فانها تبعد الشباب الصالح عنها ، وتقرب أصحاب اللبانات العاجلة منها ، وتغريهم بها ، وهؤلاء اما زوج محترف ، أو عاشق عابث ، وقل أن يدنو منها رجل فاضل كريم ! وان كانت عانسا فالاحتشام لها أوجب ، والستر لها ألزم ، حتى لا تحوم الريبة حولها ، وتنطلق ألسنة الناس بسوء القالة عنها والنقد لتصرفها ، اذ يقولون :لمن تتزيين هذه العانس ولا زوج لها ؟ ثم يعقبون على ذلك بما يشتهون مما لا ترتضيه فضليات النساء

وان كانت زوجة وأما فالحشمة لها ألزم ، والستر لها أوجب من العذراء والعانس ، فان الناس لا يجدون لها أى عذر فى ابداء جسدها للغرباء ، فهى زوجة وهى أم ، فحاجتها من دنياها موفورة ، وزينتها حق لزوجها دون كافة الناس ، فما لم تحتشم فليس لها أن تلوم الناس فيما يقولون أو يتقولون ، فهى التى دفعتهم الى سوء القالة فى شأنها .

حجة المرأة فى أزيائها الفاتنة

ان حجة المرأة فيما ترتديه من ثياب (تجريدية) أن الثياب المحتشمة تشدها الى الريف ، وتجعل منها امرأة (فلاحة) وتلك الحجة فيها تجن على أخواتها الريفيات ، وترفع عليهن ، وتنكر للريف الجميل الذى هو أساس سكان المدن ، ولا حياة لأهل المدينة من غير أهل الريف ، وان زى الفلاحة المصرية ، تتهافت عليه الأمريكيات اليوم ، بعد أن غزتهن به امرأة مصرية مهاجرة ، كما أن أزياءنا البلدية ، بدأت تغزو أرقى المستويات ، فقد نشرت جريدة الأخبار فى عددها الصادر يوم الثلاثاء ١٩٧٢/١/٤ فى صحيفة أخبار الناس ، أن أسواق باريس

تبيــع الآن (الجلاليب) البلدية ، بدلا من البيجـامات ،، من تصميم (بيرجاردان) .

فأى مانــع من أن تلبسى أيتهـا الأخت المســلمة ، ملابس أختــك الريفية ، وأن تهذبيها حتى تضم الى (حشمتها) رفعة المستوى .

النساء العاملات والحشمة

ان الضرورة أصبحت توجب على المرأة أن تتجمل بالملابس التى تستر جسدها عن الفضوليين ، وتوفر لها الكرامة بين الناس ، فانها تعمل فى مصـــالح الحـكومة والمصـارف والشركات والمصـانع ،، وتشـارك الرجال فى العمل والمكاتب ، وتركب المواصلات العامة المزدحمة براكبيها، وتنزل الى السوق لشراء حاجتها ، ولا يصح لها ــ والحال ما ذكرنا ــ أن ترتدى هذه الثياب المبدية لمـا يجب ستره من عورتها ومحاسنها ، ولا أن ترتدى الثيـاب اللاصــقة بجسدها ،، الحاكية لتفاصيل مفاتنها، سواء أكان ذلك فى مكتبها أو مسيرها أو ركوبها ، فان ذلك يعرضها لأنظار الفضوليين، وغزل المفتونين الفاتنين، ويجعلهـا فتنة للناظرين ، ومتحملة لأوزار من بها يفتنون ، ولمـا يترتب على ذلك من الآثار التى تدمى لهـا قلوب المصلحين وأصحاب الضمائر الحية ، وتلوث سمعة الأخت المسلمة، وسمعة الدولة التى تنتسب اليها ، ولا تليق بخير أمة أخرجت للناس .

النساء المسلمات فى اليونان

ان فى اليونان من اخواننا وأخواتنا المسلمات مائة وعشرين ألفا ، ومع أن النســاء هناك يعشــن فى بيئة أوروبيــة ، فانهن يلبســن الملابس المرسلة الساترة ، اذا خرجن لسماع المحاضرات فى المســاجد ، أو شراء ضروراتهن ، ولايقلدن غير المسلمات اللائى يلبسن أحدث الأزياء ، لأنهن يعشن بأرواحهن وقلوبهن مـع دين الله .

أفليست نساؤنا بمصر وغيرها من بلاد الاســلام أولى بالستر ،، فانهن فى بيئــة اســلامية ، ويستمعن الى القــرآن والــدروس الدينيــة من التليفزيون والراديو ، وقــد تلقين المبــادىء الدينيــة فى مدارسهن ، وعرفن أن الله تعالى قال فى سورة

النور :«ولايبدين زينتهن الا ماظهر منهاوليضربن بخمرهن على جيوبهن» أى ولا يبدين الا ما لابد من ظهوره من أجزاء الجسد — كما قال بعض الفقهاء—وهو الوجه (بدون أصباغ) والكفان ، فأصحاب هذا الرأى اعتبروا أعضاء الجسد زينة للجسد ، وحددوا ما ظهر منها بالوجه والكفين كما تقدم ، لما روى أن أسماء رضى الله عنها قدمت وعليها أثواب رقاق ، فحول النبى صلى الله عليه وسلم وجهه عنهاوقال:« يا أسماء : انالمرأة اذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها الا هذا — وأشار الى وجهه وكفيه — » أخرجه أبو داود عن عائشة ، والى هذا الرأى ذهب الجمهور وعلى رأسهم ابن عباس رضى الله عنهما •

وفسر آخرون (ما ظهر منها) بما لابد من ظهوره منالثياب المرسلة المحتشمة ، وعلى رءوسهن المقانع •

وكما نهى الله النساء عنأن يظهرن من زينتهن الا ما ذكر ، أمرهن أن يضربن بخمرهن على جيوبهن ، وذلك بأن يسترن أعناقهن وفتحات صدورهن بثيابهن •

ومما عرفته من آداب الاسلام قوله تعالى: « يأيها النبىقل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » أى قل أيها النبى لزوجاتك وبناتك ونساء المؤمنين ، يرسلن عليهن من ثيابهن ، ذلك أقرب أن يميزن عن الفواجر غير المحتشمات ، فلا يتعرضن لهن أحد بسوء من قول أو فعل •

ويجمع أدب الحشمة قوله تعالى فى سورة الأحزاب : « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » •

ويفسر مجاهد هذا التبرج الذى كان فى الجاهلية بمشيتها بين أيدى الرجال وأعينهم ، ويفسره قتادة ، بخروجها من بيتها ومشيتها فى تدلل وتكسر ، ويفسره مقاتل بعدم سترها لقلائدها وقرطها وعنقها •

ويشيرهؤلاء التابعون فىتفسيراتهم هذا النص الى معنى جامع ، وهو أن المرأة فى عصر الاسلام ، لا يحل لها أن ترجع فى أخلاقها ومظهرها بين

الناس الى عصر الجاهلية الأولى الذى جعل المرأة سلعة رخيصة ينالها كل حيوان من البشر ، لأنها كانت تتبرج وتتعرض له غير محتشمة وترى الاسلام لم يمنع المرأة من الصلاة بالمساجد ، ولكنه ألزمها بالاحتشام ، قال صلى الله عليه وسلم « لا تمنعوا اماء الله مساجد الله ، وليخرجن وهن تفلات » أخرجه أبو داود فى سننه وأحمد فى مسنده ، ومعنى كون المرأة تفلة أنها غير متزينة .

هذه سبيل الكرامة

هذه أيتها الأخت المسلمة هى سبيل الكرامة والتصون والعفة ، يدعو اليها الاسلام ، حتى لا تتفرق بكن السبل المختلفة ، وتقذف بكن فى صحراء الضياع ، ولا يمكن لامرأة فاضلة ، أن تجعل المال والمتعة الشائنة ، ترجح على العفة والكرامة ، ولا الأيام العاجلة الزائلة فى الدنيا ، ترجح على الخلود والنعيم فى الآخرة «وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور» .

سماسرة الشيطان

كثر المال فى أيدى من لا خلاق لهم ولا دين يعصمهم ، فلهذا يبعثرونه فى نزواتهم وشهواتهم ، فتراهم يرحلون حيث يجدون المتعة الحرام ، وهؤلاء فى كل بلد سماسرة يعملون لحساب الشيطان ، ويغرون الفتيات بالمال الذى لا تصل اليه أحلامهن ، فيقعن فى شباكهن ويؤثرن المال على الشرف والكرامة ، الا من عصم الله ، فابتعدى أيتها الأخت المسلمة عن سوق العاثرات وسماسرة الشيطان ، فالعرض لا يقوم بمال ، والشرف لا تعدله الدنيا كلها ، ورضا الرحمن أولى عند العقلاء من رضا الشيطان ، فالأول غايته النعيم المقيم ، والثانى عاقبته العذاب الأليم ، ورحم الله المرأة العربية ، فقد كانت تقول حتى فى جاهليتها : تجوع المرأة ولا تأكل بثدييها .

هذه دعوة الحق والشرف أدعو بها نساءنا وبناتنا فى بلادنا العزيزة ، لعلى أجد منهن أذانا مصغية ، وقلوبا واعية ، ونوازع خيرة ، تعود بهن الى السنن الراشد فى أزيائهن وأخلاقهن ، ليكن أسوة لغيرهن من أخواتنا وبناتنا فى العالم الاسلامى ، بعد أن اندفعت الى

تقليد الغربيات فى أزيائهن ، غير متحرجات ولا متلومات .

الى فتياتنا الجامعيات

ولست أدرى ما الذى جعل فتياتنا الجامعيات يتبارين فى الزينة وأرتداء الملابس الفاتنة ، كأنهن عارضات فى معرض أزياء عالمى ، ما هذه الألوان الزاهية ، والأصباغ الصارخة ، والثياب اللاصقات ، والحرص الشديد على ابراز المفاتن بين الشباب ، هل الجامعات معارض أزياء ، أو أسواق فتنة ، أم مسارح اغراء ، انها فى ضمير الأمة دور علم ، وينابيع ثقافية ، ومنارات أخلاق ، فلا تقلبن الآيات ، ولا تحطمن الغايات .

أنتن بنات اليوم أمهات الغد ، والبنت الفاضلة تكون أما فاضلة ، وتنجب أسرة فاضلة ، وأمة فاضلة .

والأم مدرسة اذا أعددتها
أعددت شعبا طيب الأعراق

فنرجو أن ترتدين زيا موحدا ساترا يجمع بين الحشمة والمستوى الرفيع ، وأن تتكون منكن قيادات خلقية واعية ، تتجه بأزياء النساء نحو المظهر الأفضل ، ولا نرتاب فى أن قيامكن بهذه الحملة الأدبية الواعية ، كفيل بالقضاء على الأزياء الفاتنة ، بما لكن من المظهر الجماعى والثقافة العالية ، والدعاية الدائبة .

والى أولياء الأمور

واننى أهيب بالآباء والأزواج والأخوة ، أن يقوموا بواجبهم فى هذا الغرض السامى ، ازاء بناتهم وزوجاتهم وأخواتهم ، فلا يسمحوا لهن بالخروج الا فى ثياب ساترة محتشمة غير فاتنة ، مع ستر ما عدا الوجه والكفين ، فلقد بلغ السيل الزبى ، واستشرت حوادث المعاكسات ، وكثر خطف النساء والاعتداء عليهن ، بسبب خروجهن فى ثياب غير محتشمة ، وزينة زوجها أولى بها فى بيتها .

ونرجو أن تتناول التشريعات الاسلامية المقترحة ، عقوبات رادعة من شأنها القضاء على الانحرافات الخلقية وأسبابها : والله تعالى ولى التوفيق ؟

مصطفى محمد الحديدى الطير

التوازن بين الفردية والجماعية في نظام الإسلام

للدكتور يوسف القرضاوي

— ٢ —

التوازن بين الروحية والمادية

ومن مظاهر التوازن فى الشريعة الاسلامية : موقفهـا من الروحيـة والمادية أو ــ بعبارة أخرى ــ بين الدين والدنيا .

(أ) لقـد وجدت فى التـاريخ جماعات وأفراد ، كل همهم اشباع الجـانب المـادى فى الانسـان . وعمارة الجانب المـادى فى الحياة ، دون التفات الى الجوانب الأخـرى « وقالوا : ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين » (١) .

وهذه النزعة المغالية فى المـادية وفى قيمة الدنيا ، جديرة بأن تولد الترف والطغيـان ، والتكالب على متاع الحياة ، والغرور والاستكبار عند النعمة ، واليأس والقنوط عند الشدة .

نرى ذلك واضحا فيما قصه الله علينا من مصارع الأفراد والأقـوام الذين عاشوا للدنيا وحدها ، ولـم يلقوا للدين بالا ، ولا للآخرة حسابا ، ولا للروح مكانا .

فهذا صاحب الجنتين يفخر على صاحبه ، منتفخا بثروته ، مختالا بجنته قائلا : « أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا . ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ، قال : ما أظن أن تبيد هذه أبدا ، وما أظن الساعة قائمة »(٢).

فأرسـل الله على جنتـه حسبانا من السماء فأصبحت صعيدا زلقا ، وأصبح ماؤها غورا .

(١) الأنعام : ٢٩

(٢) الكهف : ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦

وهذا قارون ، الذى آتاه الله من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولى القوة ، بغى على قومه ، واغتر بماله ، وعزا الفضل فيه الى نفسه : «قال انما أوتيته على علم عندى(١)» فخسف الله به وبداره الأرض .

وهـذا فرعـون الذى قـال : « أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى، أفلا تبصرون؟(٢)»

وغير هؤلاء من الأمم التى أترفت فى الحياة الدنيا فقتلها الترف،ودمرها التحلل ، وحقت عليها كلمة العذاب ، وحرمت نصر الله وعونه « حتى اذا أخذنا مترفيهم بالعـذاب ، اذا هم يجأرون . لا تجـأروا اليوم انكم منا لا تنصرون.قد كانت آياتى تتلى عليـكم فكنتم عـلى أعقـابكم تنكصـون » (٣) « وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين . فلما أحسوا بأسنا اذاهم منها يركضون . لاتركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون » (٤) .

(ب) وفى الطرف المقـابل لهـذه النزعة وأصحابها ، وجد آخرون من الأفراد والجماعات ، نظروا الى الدنيا نظرة احتقار وعداوة ، فحرموا على أنفسـهم طيبات الحيـاة وزينتها ، وعطلوا قواهم من عمارتها ، والاسهام فى تنميتهـا وترقيتها ، واكتشـاف ما أودع الله فيها .

عرف ذلك فى برهمية الهنـد ، ومانوية فارس ، وبدا ذلك بوضوح وجلاء فى نظام الرهبانية الذى ابتدعه النصارى ، فعزلوا جماهير غفيرة عن الحياة ، والتمتع بها ، والانتاج فيها.

وأصبح الشائع فى مفهوم الناس عن الدين والتـدين الحـق ، هـو الانقطـاع عن العـالم ، والتفـرغ للعبادة ، وان المتدين الحق هو الذى

---

(١) القصص : ٧٨
(٢) الزخرف : ٥١
(٣) المؤمنون : ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦
(٤) الأنبياء : ١١ ، ١٢ ، ١٣

يتبطل فلايعمل ، ويتقشف فلايتمتع، ويتبتل فلا يتزوج ، ويتعبد فلا يفتر ، ليله قائم ، ونهاره صـــائم ، يده من الدنيا صفر ، وحظه من الحياة خبز الشـعير ، ولبس المرقـع ، واتخاذ الفلوات دارا !

(جـ) وبين هاتين النــزعتين قـام الاســلام ، يدعــو الى التــوازن والاعتدال ، فصحح مفهــوم الناس عن حقيقة الانســان ، وعن حقيقـــة الحياة •

فالانسان مخلوق مزدوج الطبيعة، يقوم كيانه على قبضة من طين الأرض ونفخة من روح الله ، ففيــه عنصر أرضى ، يتمثل فى جسمه الذى يطلب حظه مما خرج من الأرض من متاع وزينة ، وفيه عنصر سماوى يتمثل فى روحه التى تتطلع الى هداها مما نزل من السماء •

وقد أشار القرآن الى هذه الطبيعة المزدوجة فى خلق الانسان الأول : آدم أبى البشر ، فقال تعالى : «اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين • فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين(١) »

وأشار الى هذه الطبيعة نفســها فى خلق ذرية آدم حيث قال : «وبدأ خلق الانسان من طين • ثم جعـل نسله من ســلالة من ماء مهين • ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصـار والأفئدة ، قليلا ما تشكرون » (٢) •

وكان من حكمة الله سبحانه أن خلق الانسان على هــذه الطبيعة ، لأنها تتفق مع الرســالة التى كلف القيام بها ، وهى الخلافة فى الأرض•

فهو ــ بعنصره الطينى المــادى قــادر على أن يســعى فى الأرض ويعمرها ، ويحسنها ، ويكتشف ما أودع الله فيهــا من كنوز ونعم ، ويسخر قواها المتنوعة ــ باذن الله لمنفعته والنهوض بمهمته • فالجسم المــادى فى الانسان ليس اذن شرا ولا لعنة • ولو كان الانسان روحا

---

(١) سورة « ص » : ٧١ ، ٧٢

(٢) سورة السجدة : ٧ ــ ٩

خالصا كالملائكة ما وجدت لديه الدوافع التى تحفزه على استخدام المادة والمشى فى مناكب الأرض والكشف عن مكنونها ، والعمل على تعميرها •

وهو ـ بعنصره الروحى السماوى مهيأ للتحليق فى أفق أعلى ، والتطلع الى عالم أرقى ، والى حياة هى خير وأبقى • وبهذا يسخر المادة ولا تسخره ، ويستخدم ما على الأرض من ثروات وخيرات دون أن تستخدمه هى وتستعبده •

ان الأرض وما عليها خلقت له ، أما هو فقد خلق لله : لعبادته ومعرفته واحسان الصلة به •

والحياة ليست سجنا عوقب الانسان به ، ولا عبئا فرض عليه حمله ، انما هى نعمة يجب أن تشكر ، ورسالة يجب أن تؤدى ، ومزرعة لحياة أخرى هى خير وأبقى ، يجب ألا تشغل عنها ، ولا تحيف عليها •

والقرآن الكريم يدعو الى العمل للحياة ، والضرب فى الأرض ، والمشى فى مناكبها ، والاستمتاع بطيباتها ، بجوار الحث على الاستعداد للآخرة والتزود ليوم الحساب ، وذلك بالايمان والعبادة وحسن الصلة بالله ، ودوام ذكره الذى تطمئن به القلوب •

يقول سبحانه: «ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ، ان الله لا يحب المعتدين • وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » (١) •

ويقول تعالى : « هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا ، فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه ، واليه النشور (٢) » • ويقول : « فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون (٣) » • ويقول: وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن

---

(١) سورة المائدة ٨٧ ، ٨٨
(٢) سورة الملك : ١٥
(٣) سورة الجمعة : ١٠

كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين (١) » .

والرسول صلى الله وسلم ، كان يأكل من طيبات هذه الحياة ولا يحرمها على نفسه ، ولكنه لم يجعلها شغل نفسه ، ولا محور تفكيره ، وكان من دعائه : « اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا(٢)» .

وانما كان يعطيها حقها ، وللآخرة حقها ، بالقسطاس المستقيم . وكان من دعائه : « اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى ، وأصلح لى دنياى التى فيها معاشى ، وأصلح لى آخرتى التى اليها معادى ، واجعل الحياة زيادة لى فى كل خير ، واجعل الموت راحة لى من كل شر (٣) » .

فهذا الدعاء النبوى المأثور ، يبين موقف المسلم من الدين والدنيا والآخرة ، انه يطلبها جميعا ، ويسأل الله أن يصلحها له جميعا : الدين والدنيا والآخرة ، اذ لا غنى له عن واحد منها ، فالدين عصمة أمره ، وملاك حياته ، والدنيا فيها معاشه ، ومتاعه الى حين ، والآخرة اليها معاده ومصيره .

وهو مثل الدعاء القرآنى الموجز الذى كان (صلى الله عليه وسلم) كثيرا ما يدعو به : « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (٤) » .

وكان (صلى الله عليه وسلم) حريصا على توجيه أصحابه الى التوازن المقسط بين دينهم ، ودنياهم بين حظ أنفسهم ، وحق ربهم . بين متعة البدن ، ونعيم الروح . فاذا رأى فى بعضهم غلوا فى جانب ، قومه بالحكمة ، ورده الى سواء الصراط .

لما رأى فى بعض أصحابه افراطا فى التعبد والصيام والقيام ، على حساب جسمه وأهله ، قال له : «ان لبدنك عليك حقا ، وان لزوجك عليك حقا ، وان لزورك — يعنى

---

(١) سورة القصص : ٧٧

(٢) رواه الترمذى عن ابن عمر ، وحسنه واقره النووى ، ورواه النسائى أيضا ،والحاكم وصححه على شرط البخارى .

(٣) رواه مسلم .

(٤) سورة البقرة : ٢٠١

زوارك وضيوفك — عليك حقا ، فأعط كل ذى حق حقه (١) » .

وقال للجماعة الذين التزم أحدهم أن يصوم فلا يفطر ، والتزم ثانيهم أن يقوم فلا ينام ، والتزم الثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج أبدا — قال لهم : « أما انى أعلمكم بالله وأخشاكم له ، ولكنى أصوم وأفطر وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى(٢)»

وحين أقبل أبو عبيدة بمال من البحرين ، وأحس بعض الصحابة بقدومه فهرولوا مسرعين ، ينتظرون أن ينالهم شىء منه ، وبدا منهم الحرص على هذا المتاع الأدنى ، انتهزها النبى — صلى الله عليه وسلم — فرصة ، ليحذرهم من فتنة الدنيا وغرورها ، والحرص على زخارفها ، فخطب فيهم قائلا : « أبشروا وأملوا ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا ، كما بسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها ، كما تنافسوها ، فتهلككم ، كما أهلكتهم » .

وهكذا تعلم الصحابة أن يوازنوا بين مطالب دنياهم وآخرتهم ، وأن يعملوا للدنيا كأحسن ما يعمل أهل الدنيا ، ويعملوا للآخرة كأحسن ما يعمل أهل الآخرة ، يقول القائد الفاتح عمرو بن العاص رضى الله عنه : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا » .

ولم يشعروا بتعارض قط بين عملهم لدينهم ، وعملهم لدنياهم ، بل شعورا بالوحدة والانسجام والامتزاج ، كانت شعائرهم وواجباتهم الدينية تعطيهم زادا وشخصية قوية ، يواصلون بها الكفاح لدنياهم ، وكانت أعمالهم الدنيوية ، عونا لهم على أداء فرائضهم الدينية ، كانوا يعتقدون انهم — فى عبادتهم ومساجدهم — ليسوا مقطوعين عن الدنيا ، كما أنهم — فى مزارعهم ومتاجرهم وحرفهم — غير بعيدين عن الدين ! فأعمالهم هذه عبادة اذا صحت فيها النية ، والتزمت حدود الله .

د : يوسف القرضاوى

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه البخارى .

الإسلام فى مرآة الغرب :

منافذ الفكر الإسلامى إلى الغرب

للدكتور عبد الجليل شلبى

— ٣ —

هناك نافذتان أخريان غير نافذة الأندلس ، وان كانت هى أهم كل هذه النوافذ وأوسعها ، هاتان النافذتان هما جزيرة صقلية ثم الحروب الصليبية .

أما صقلية فقد مثلت دورا قريب الشبه من الدور الذى مثلته جزيرة كريت فى التاريخ القديم ، فكما كانت تلك معبرا للفكر المصرى القديم الى بلاد اليونان ، كانت هذة أيضا معبرا للفكر الاسلامى العربى الى ايطاليا ثم الى أوروبا بوجه عام ، واذن فقد تمت دورة الفكر التى بدأت من مصر وتمت فى اليونان ثم انتقلت الى الشرق وأخيرا ردها الشرق الى الغرب ، ولكن الدور الذى قامت به صقلية الآن لم يأت بالثمرة التى كانت من قبل ، وفى الواقع كان خليقا أن يأتى بما هو أثمن وأكثر ، ولكن الحالة النفسية والعقلية لم تكن سواء فى الحالتين ، واليها يرجع الفارق البعيد بين النتيجتين ، فاليونان القدامى أكبروا المصريين وراعتهم حضارتهم فاقبلوا عليها ينهلون منها ويقدرون أصحابها أما الايطاليون . وكان شأنهم شأن الرومان فى كل مكان ، فقد كرهوا المسلمين ورأوا فيهم عدوا لايحتمل، عدوا محاربا أذاقهم هزائم متكررة لم يكن من السهل عليهم نسيانها ، ثم أنه اقتنص امبراطوريتهم الكبيرة من أطرافها حتى قضى عليها فى الشرق ، وهو بعد ذلك يصمى قلبها ويهجم عليها فى بلادها ، وهو أيضا عدو فى الدين والعقيدة حارب

فكرة تأليه المسيح ، وأزرى بفكرة الصلب والفداء ، ثم أحل الاسلام محل المسيحية فى الشرق والغرب جميعا ، وأخيرا يظهر هذا العدو تفوقه العلمى وسمو معارفه وتفكيره هذه الحالة ليس من السهل أن تعقد معها صداقة أو تقوم بها حالة تعاون فكرى .

أضف الى ذلك أن العقلية الأوروبية لم تكن ذات نضج ولا لديها قابلية للتطور الفكرى والاستفادة مما هو جديد عليها ، لهذا أنكرت الكنيسة ما نقل عن علماء الاسلام من نظريات فى الفلك والرياضة والعلوم حتى عاقبت معتنقيها بالقتل .

هذه الحالة حدت من حركة الاقبال على علم العرب والاستفادة منه، وانما استفادت منها قلة مستنيرة جريئة ، كما كان هناك أيضا حكام ذوو نزعة علمية وفكر متحرر مستنير .

فتح العرب صقلية سنة ٢١٢هـ (٨٢٧) م أى بعد فتح الأندلس بما يزيد على قرنين أو ما يقرب من ثلاثة قرون ، ولم يكن فتحها عن طريق الأندلسيين ، وانما كان عن طريق افريقة ، عبر العرب اليها من تونس فاحتلوها واحتلوا بعض الجزر الصغيرة حولها ، ثم انتقلوا الى جنوب ايطاليا ، وفى هذا الوقت كان العرب فى أسبانيا قد مدوا حدود حكمهم الى أقصى حدود أسبانيا فى الشمال ، كان الفتح العربى فى موجة مده ، وكان أثره على الأوربيين غير هين . ولكن لم يكن هناك صلة بين صقلية وبين الأندلس الا ما كان من صلات فردية . فلم تعتمد حركة العلم فى الجزيرة الصغيرة على الحركة الواسعة فى شبه الجزيرة الأسبانية ، وانما اعتمدت على افريقية .

كان شمال افريقية مزدهرا بالعلم لدرجة لا يجعل الفرق شديد البعد بينه وبين الحركة العلمية فى بغداد ، وكانت الصلة بينهما قوية ، ونور العلم غير منقطع ، ولم تقم فى صقلية جامعات كبيرة كالتى قامت بالأندلس ولكن قامت بها وفى شمال افريقية حركة ترجمة نشيطة عادت على النهضة الاوربية بأقوم المؤثرات ، اتجه المترجمون بادىء ذى بدء الى ترجمة التراث اليونانى الى اللغة اللاتينية

، وكان ذلك تقليدا لما فعل المسلمون من قبل فى الشرق ، لكن هذه الحركة لم تنجح ولم تأت بثمار ذات قيمة ، فلم يكن لدى هؤلاء المترجمين ماكان لدى مترجمى العباسيين من مقدرة عقلية وعلمية ، ولم يكن لديهم مكتبات كبيرة كالتى كانت لدى العباسيين ، وكان هضم الفكر الأغريقى وتمثيله أمرا هينا أوميسورا لهم ، وذلك لفقرهم الثقافى وضعفهم الفكرى ، فالفرق كان واسعا جدا بين البيئة العربية فى الشرق ، والبيئة الأوروبية فى الغرب ، لهذا قامت حركة أخرى فى افريقية كانت أكثر فائدة للأوروبيين ، قام بها عدد من اليهود الذين كانوا يقيمون هناك ، وكانوا كثرة ،، فقد عمل هؤلاء على نقل العلوم العربية الى اللغة العبرية ثم نقلت من العبرية الى اللاتينية، أثمرت هذه الحركة وسهلت على الغربيين فهم ما لم يفهموه عن العربية ، ولكنها أيضا جعلت ثقافة صقلية ذات لون ومنهج يختلف عما كانت الحال عليه فى أسبانيا .

تلاقت فى صقلية عدة لغات ، الاغريقية ، واللاتينية ، والعربية والعبرانية ولكن اللغة العربية كانت ذات الأهمية،وكان القوم يبذلون جهدا لتعلمها ، فهى لغة الفاتحين الحكام وهى اللغة الأساسية للعلم والفكر ، واللغات الأخرى توابع لها ، ولهذا اضطر النورمانديون الذين قاموا بحركة المقاومة الى تعلمها واشتهر من بينهم الامبراطور فريدريك الثانى فقد أجاد العربية وآثرها فى تخاطبه، وقد حرص على أن يصبغ بلاطه صبغة علمية ، وكان هو نفسه من العلماء ، وعمل على أن تستفيد بلاده من الثقافة الاسلامية . غير أن المدة الوجيزة التى أقامها العرب لم تكن كافية لاشاعة اللغة العربية وجعلها لغة شعبية ، على أننا لانزال الى الآن نجد فى لغة أبناء صقلية ومالطة وبالرمو وبعض الجزر الأخرى بقايا من اللغة العربية .

ولم يقطع العداء الناشب بين اللاتينيين والعرب صلتهم الثقافية ولم يقض على حركة الترجمة ونقل العلوم حتى بعد طرد العرب من الجزيرة ، فقد انقطعت صلة الحكم وبقيت صلة الفكر والمعرفة خصوصا فى الجوانب العملية .

ويبدو أن شعور اللاتينيين الملح بالحاجة الى علوم العرب هو الذى هيأ لهذه الحركة أن تستمر بعد خروج العرب ، وقد كانت هناك مقاومة من الكنيسة لأنها لم ترض عن كل ما جاء به الشرقيون ففضلا عن الثقافة الدينية كانت الكشوف الفلكية أيضا مما لا تقره الكنيسة ، وعلى أى حال كان من فضل النورمانديين أنهم أقبلوا على هذه الثقافة •

ومهما يكن من أمر فهذه صورة من النشاط العلمى الذى تمثل فى صقلية •

وأما عن الحروب الصليبية فقد نشبت قبيل نهاية القرن الخامس الهجرى ، واستمرت نحو قرنين ، ولم تكن هذه الفترة كلها حربا مستمرة بل تخللتها فترات سلم هيأت للصليبيين أن ينشئوا ممالك ودويلات صغيرة فى الشرق ، ولكن مع هذا الهدوء وانقطاع الحرب لم يستفد الأوروبيون كثيرا من علوم الشرقيين ، ولم يعملوا كما عمل الأندلسيون والنورمانديون فى صقلية على انشاء مدارس أو القيام بحركة ترجمة ، يرجع ذلك الى أنهم قدموا محاربين لا دارسين ، والى أنهم كانوا ذوى غرور وتبجح فهم يتعالون على العرب ولا يظنون أن لديهم شيئا يفيد الأوربيين • ثم ان المحاربين ليست لهم صفات الطلاب الراغبين فى العلم ، وليس من شك أن الفرصة كانت سانحة لديهم بأوفر مما كانت لدى الآخرين ، فقد كانت العلوم فى الشرق قد نضجت أو على الأصح بلغت غاية نضجها ، وكانت الجامعات الاسلامية التى تتمثل فى المساجد قد تعددت وأصبحت كل عاصمة تنمى عددا من العلماء ، وكانت المدارس التى بدأها الوزير السلجوقى نظام الملك قد تعددت أيضا ودرست فيها علوم كثيرة ، وكانت المؤلفات الاسلامية قد راجت وكثرت ومع كل ذلك لم يحاول الصليبيون طوال فترات الهدوء التى عاشوها أن يستفيدوا من علوم الشرق أو ينقلوا شيئا منها الى بلادهم •

وأهم ما أفاده الصليبيون هو استيقاظهم لحقيقة الشرق وحقيقة أنفسهم ، وادراكهم أن غرورهم وتعاليهم ليس له ما يبرره ونتيجة لهذا الادراك قامت وحدة بين الدول

الأوربية ، ثم ضعف سلطان الكنيسة ولم يعد لها ما كان من قبل من سيطرة على عقول الناس وقلوبهم ، وقد كان لحملة بيتر الناسك أثر أعمق وأوسع ، لأنها أصابت كثرة من الناس وحرمت الشعوب من جيل جديد ، ولايزال الأوربيون الى الآن يرددون القصيدة الرمزية التى انشأها الشاعر الانجليزى « يابب » وجعل الأطفال المفقودين فيها على يد موسيقى ساحر لا على يد راهب من رجال الدين . واستفاد الأوربيون أيضا من الأعمال العسكرية التى شاهدوها فى الشرق ونقلوها الى بلادهم ، ثم عملوا على تصفية نظام الاقطاع أو بعبارة أخرى بدأت النهضة الأوربية .

هناك منفذ رابع للاتصال بين الشرق والغرب ، وهو الغزو التركى العثمانى ، حقا ان هذا الغزو أزعج شمال أوروبا ، وذعرت انجلترا لحملات الملك بايزيد الثانى ، ولكن هذه الحركة لم تفد أوروبا ثقافيا ، فقد كانت أوروبا عبرت عصر النهضة ، ثم ان الأتراك لم يكونوا ذوى ميزات ثقافية وانما كان تفوقهم فى الجانب الحربى ونحن نعلم أنهم فى الشرق لم يفيدوا البلاد التى فتحوها شيئا بل كان عهدهم عهد ظلام وتأخر .

د : عبد الجليل شلبى

الغرور بالعقل البشرى

لقد أدركنا الغرور ، ونحن نرى العقل البشرى يبدع فى عالم المادة ، ويأتى بما يشبه الخوارق فوهمنا أن العقل الذى يبدع الطائرة والصاروخ ويحطم الذرة وينشىء القنبلة الايدروجينية ويعرف القوانين الطبيعية ويستخدمها فى هذا الابداع ... وهمنا أن هذا العقل جدير بأن نكل اليه كذلك وضع « الحياة البشرية ... وقواعد القصور والاعتقاد وأسس الاخلاق والسلوك ...ناسين أنه حين يعمل فى « عالم المادة » فانه يعمل فى عالم يمكن أن يعرفه ، لأنه مجهز بادراك قوانينه .. أما حين يعمل فى « عالم الانسان » فهو يعمل فى متاهة واسعة بالقياس اليه . هو غير مجهز ابتداء بادراك حقيقتها الهائلة الغامضة ..

البخارى المفترى عليه

للأستاذ محمد نجيب المطيعى

« ان الله لا ينزع العلم انتزاعا ينتزعه من صدور العلماء ولكن ينزعه بقبض أهله ، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رءوسا جهالا ، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » . متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا

— ١٨ —

وتمضى مسيرة هذا الموكب المتساوك هزالا يتعالى صخبه بكل لحن نشاز يغمز ويلمز ، حتى يصل بغامه الى ساحة المشهود لهم بالايمان والخير من صحابة النبى صلى الله وسلم ، وكأن طاعون الجرأة على الصحابة العدول قد فشا وعدى حتى بعض أولئك الذين نشهد لهم بالعارضة وحسن الأدب فيتناثر من عناقيدهم الحصرم ، وينثال من عراجينهم الشيص ، فلا دراسة مستأنية ، ولا حكم ينبنى على أصالة فى البحث ، وانما هو كلام يلقى على عواهنه هكذا كيفما اتفق لا يربطه بحقائق العلم رباط ، ولم يكن من لوازم المقال الذى نشر فى عدد رجب من مجلة الأزهر تحت عنوان فى الأصول ــ خبر الواحد والقياس ــ أن يقحم الكاتب من الصحابة أسماء من رضى الله عنهم ورضوا عنه . ممن هاجروا وجاهدوا وقادوا الجيوش الاسلامية وكانوا عمالا للنبى صلى الله عليه وسلم وناهيك بمن يقلده النبى صلى الله عليه وسلم شرف العمل له يطبق شريعة الله وأحكامه فى شعب بأسره . فيسىء بنيله منهم الى دينه والى تاريخه وتاريخ أمته حين ينهنه من مكانتهم ويحط من أقدارهم

اذ يقول : (فرجل كانت نفسه على موعد من لقاء نفس النبى صلى الله عليه وسلم كسلمان الفارسى يتم له معنى الصحبة فى زمن يسير ، ورجل آخر ساقته المصادفات أو بواعث المصلحة الى لقاء الرسول صلى الله عليه وسلم كالمغيرة بن شعبة أو عمرو ابن العاص أو غيرهما وليس فى نفسه سابق طلب الى هذا اللقاء لا يتم فيه معنى الصحبة الا بعد زمن أطول).

ثم يمضى الكاتب قائلا :

(ولو قلت ان زمن الصحبة المعتد به هو ما يتسع لادراك الصاحب منهج الرسول وغايته مع انفعال شخصه بشخصيته ، وتحقق هذا المعنى يختلف باختلاف الأصحاب).

بهذا المعيار الهلامى الذى لا ضابط له ولا رابط يمضى الكاتب فى تقويم الزمن وربطه بالذكاء والاستعداد وكلام يشبه الشعر الحديث أو أشد فوضى.وقد انحلت عرى القواعد المصاغة ، وحلت محلها ما ترى .

ولقد أنزل الله فى كتابه معايير التقويم وموازين الفضل والشرف بالهجرة والسبق والبلاء والنصرة والايمان والدعاء لأنفسهم ولمن سبقوهم بالايمان وألا يجعل فى قلوبهم غلا للذين آمنوا .

ولكى نعمل هذا المعيار الالهى فى تقويم الأصحاب نخرج بنتيجة تزرى بهذا الشعر الحديث فى هجو الصحابة باسم أصول الفقه وما هو من الفقه فى قبيل ولا دبير .

ان عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة كلاهما من المهاجرين الى الله ورسوله فأولهما هاجر بعد حرب مريرة للاسلام شأن كثير من الصحابة الذين اختارهم لصحبة نبيه فخالطت بشاشة الايمان قلوبهم باذنه كعمر ابن الخطاب وخالد بن الوليد فكان أولهما وهو عمرو بن العاص قد قدم المدينة مهاجرا هو وخالد بن الوليد وعثمان بن طلحة العبدرى فاستقبلهم النبى صلى الله عليه وسلم فرحا بهم قائلا (لقد رمتكم مكة بأفلاذ أكبادها) وتقدموا يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم عمرو يسأل أن يغفر الله له ما كان منه قبل اسلامه

فيقول صلى الله عليه وسلم (ان الاسلام يجب ما قبله ، وان الهجرة تجب ما قبلها) .

ولقد رويت فى مناقب عمرو أحاديث يشد بعضها بعضا ويشهد بعضها لبعض أخرج ابن عبد البر وغيره عن أبى هريرة وعمارة بن حزم جميعا عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام) وحديث طلحة بن عبيد الله وهو أحد المبشرين بالجنة قال : (سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول ان عمرو بن العاص من صالحى قريش) وحديث (أسلم الناس وآمن عمرو) .

ومن مناقبه رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم اختاره قائدا فى غزوة ذات السلاسل ، وكانوا أخواله فحاربهم وكانوا ممتنعين بقوتهم وكثرتهم فاستمد المدد من النبى صلى الله عليه فأيده حتى انتصر عليهم ثم أسلموا على يديه ، وكان يصلى بالناس وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة ، فما خطر ببال أحد أن به شميمة نفاق ، ومن مناقبه رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم اختاره عاملا له على عمان وظل فى منصبه حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن مناقبه أنه أحد القواد فى حروب الردة ومانعى الزكاة .

ومن مناقبه أنه أحد قواد اليرموك والشام .

ومن مناقبه أنه فاتح مصر وتحت امرته من السابقين الأولين من الأنصار كعبادة بن الصامت ومحمد ابن مسلمة .

ومن مناقبه أن كل مصرى مدين باسلامه واسلام آبائه وسلفنا الصالح لهذا البطل المؤمن الذى حرر مصر من طغيان الرومان ومن طاغوت الشيطان وعبادة الانسان للانسان .

ويروى يزيد بن حبيب أن عبد الرحمن بن شماسة حدثه قال :

لما حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى فقال ابنه عبد الله : لم تبكى ؟ أجزعا من الموت ؟ قال : لا ، ولكن لما بعد الموت فقال له : كنت

على خير وجعل يذكر صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفتوحه مصر والشام فقال عمرو : تركت أفضل من ذلك شهادة أن لا اله الا الله ، انى كنت على أطباق ثلاث ، كنت أول شيء كافر فكنت أشد الناس حياء منه ، فلو مت لقال الناس : هنيئا لعمرو أسلم وكان على خير فترجى له الجنة ، ثم تلبست بالسلطان وأشياء فلا أدرى أعلى أم لى • فاذا مت فلا تبكين باكية ولا تتبعنى نائحة ولا نار ، وشدوا على ازارى فانى مخاصم ، وسنوا على التراب فان جنبى الأيمن ليس بأحق بالتراب من جنبى الأيسر ، ولا تجعلن فى قبرى خشبة ولا حجرا ، واذا واريتمونى فاقعدوا عندى قدر نحر جزور وتقطيعه أستأنس بكم وأنظر ماذا أوامر رسل ربى) وكأنه ينصح خصومه بقوله رضى الله عنه من شعره :

اذا لم يترك طعاما يحبه
ولم ينه قلبا غاويا حيث يمما

قضى وطرا منه وغادر سبة
اذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

* * *

أما هذا الصحابى المغيرة بن شعبة فانه أسبق هجرة من عمرو اذ هاجر عام الخندق وعمرو هاجر بعده بثلاث سنين أو أربع وشهد المغيرة مع النبى صلى الله عليه وسلم المشاهد بعد ذلك كخيبر والحديبية وفتح مكة وما تلا ذلك ومات وهو أمير على الكوفة ، فليست المصادفة ولا دواعى المصلحة ، ولا شيء من هذه التهم التى تلتاث بالتشيع والرفض هى التى جعلته من أعيان الصحابة وأهل الحل والعقد فيهم وأحد القواد والأمراء المشهود لهم بالفقاهة والوجاهة فى الاسلام •

أما هذا التصنيف الطبقى للفقهاء والمفتين من الصحابة والحكم على هذا بالفقه ، وعلى ذلك بقلة الفقه فهذا ما يقلا الحق على ألسنة أئمة هذا الشأن ممن قولهم الذى ينأى عن الهزل •

فحين يقول كاتبنا المفضال (ثم ان الرواة المعروفين بالرواية عنه طائفتان طائفة معروفة الى جانب الرواية بالفقه والفتيا والتقدم فى الاجتهاد ، وذلك كالخلفاء الراشدين

وعبد الله بن مسعود وابن عباس وأبى موسى الأشعرى وعائشة وغيرهم ، وطائفة أخرى عرفت بكثرة الرواية لكنها لم تعرف بالفقاهة والتقدم فى الاجتهاد ، وذلك كأبى هريرة وأنس بن مالك) .

ولا نجد أرشد ولا أبلغ ولا أسد فى ايضاح مجانبة هذا التعبير للصواب من قول ابن القيم فى اعلام الموقعين لا سيما وهو من مراجع صاحب المقال قال رحمه الله : « والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة ونيف وثلاثون نفسا ما بين رجل وامرأة : وكان المكثرون منهم سبعة : عمر بن الخطاب وعلى ابن أبى طالب وعبد الله بن مسعود وعائشة أم المؤمنين وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس وعبد الله ابن عمر .

قال أبو محمد بن حزم : ويمكن أن يجمع من فتوى كل واحد منهم سفر ضخم قال : وقد جمع أبو بكر محمد بن موسى بن يعقوب ابن أمير المؤمنين المأمون فتيا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى عشرين كتابا .

المتوسطون فى الفتيا

قال أبو محمد : والمتوسطون منهم فيما روى عنهم من الفتيا أبو بكر وأم سلمة وأنس ابن مالك وأبو سعيد الخدرى وأبو هريرة وعثمان بن عفان وعبد الله بن عمرو بن العاص وعبدالله ابن الزبير وأبو موسى الأشعرى وسعد بن أبى وقاص وسلمان الفارسى وجابر بن عبد الله ومعاذ بن جبل .

فهؤلاء ثلاثة عشر يمكن أن يجمع من فتيا كل منهم جزء صغير جدا ، ويضاف اليهم طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وعمر بن حصين وأبو بكرة وعبادة بن الصامت ومعاوية بن أبى سفيان اهـ .

* * *

على أن ما ورد من الخلاف بين أبى هريرة وغيره من الصحابة فى الوضوء مما مسته النار والاغتسال

من غسل الميت والوضوء من حمله ، وهى أمور لا تعد على أكثر من أصابع اليد الواحدة ، فاذا قورن بما وافقه فيه الصحابة بل واتبعوه فيه لوجدنا أنه لا يسوغ الحكم عليه بعدم الفقاهة ، وهؤلاء أئمة فحول قد ساووا بين أبى هريرة ، وأبى بكر فى قدر الفتيا .

* * *

ونرجع الى ما نحن بسبيله من الذود عن السنة ودحض المفتريات الشرسة التى يصوبها أعداؤها الى السنة متمثلة فى الامام البخارى أحفظ من أقلته الأرض وأظلته السماء للحديث النبوى الشريف بشميمة من الالحاد ولوثة من الجهل جعلت هذا المنشور الخبيث فى ص ٢١٣ فيما أسماه الجزء الثانى ينقض حديثا أجمعت الكتب الستة على اخراجه عن عبدالله ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعا باسناده هكذا : حدثنا آدم بن ايار حدثنا شعبة بن الحجاج حدثنا الأعمش سمعت زيد بن وهب سمعت عبد الله بن مسعود رضى الله عنه حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق : « ان خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوما ، وأربعين ليلة ، ثم يكون علقة مثله ثم يكون مضغة مثله ثم يبعث اليه الملك فيؤذن بأربع كلمات فيكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد ثم ينفخ فيه الروح فان أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينها وبينه الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار ، وان أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينها وبينه الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل عمل أهل الجنة فيدخلها » .

فهذه الرواية هى رواية البخارى للحديث فى كتاب التوحيد ، وقد أخرجه فى القدر من طريق شيخه أبى الوليد وفى بدء الخلق من طريق شيخه الحسن بن الربيع وفى خلق آدم من طريق شيخه عمر بن حفص ابن غياث . وأخرجه مسلم من طريق

شيخه أبى بكر بن أبى شيبة فى القدر وأخرجه أبو داود فى السنة عن شيخه حفص بن عمر وعن محمد ابن كثير وأخرجه الترمذى فى القدر من طريق شيخه هناد وأخرجه ابن ماجة فى السنة من طريق شيخه على ابن محمد •

ومناط الحملة على هذا الحديث الشريف هو كونه – فى وهم أصحاب هذا المنشور المشبوه – مستندا للمجرمين يقولون ما فعلناه من شر انما هو قدر مكتوب علينا (أو كما قال) :

وهؤلاء الذين يدعون السلفية لم يقرأوا لأئمتهم قليلا ولا كثيرا ، فهذا شيخ الاسلام ابن تيمية يقول : ان من ينظر الى القضاء الشرعى دون النظر الى القضاء الكونى انما هو أعور ينظر بعين واحدة ، وكذلك من ينظر الى القضاء الكونى دون النظر الى القضاء الشرعى هو كذلك أعور مثله •

ولتلميذه ابن القيم كتاب اسمه شفاء العليل فى القضاء والقدر والحكمة والتعليل وعمدتهم جميعا – أعنى أهل السنة من العلماء السلفيين – هو هذا الحديث العظيم •

ويقول الأستاذ أبو اسحاق الاسفراييني فى كتابه أصول الفقه :

« الأخبار التى فى الصحيحين مقطوع بصحة أصولها ومتونها ولا يحصل الخلاف فيها بحال ، وان حصل فذلك اختلاف فى طرقها ورواتها فمن خالف حكمه خبرا منها وليس له تأويل سائغ للخبر نقضنا حكمه ، لأن هذه الأخبار تلقتها الأمة بالقبول » •

وكما عرفت ليس لهؤلاء على اختلاف ألوانهم ومشاربهم تأويل سائغ ، وللأستاذ أبى اسحاق مناظرة بينه وبين القاضى عبدالجبار صاحب كتاب المغنى فى علم الكلام عند المعتزلة وصاحب متشابه القرآن وتنزيه القرآن عن المطاعن الى غير ذلكم من كتب تدافع عن قضايا المعتزلة

وعقائدهم ويروى ابن السبكى فى طبقات الشافعية هذه المناظرة فيقول:

قال عبد الجبار فى ابتداء جلوسه للمناظرة : سبحان من تنزه عن الفحشاء .

فقال الأستاذ مجيبا : سبحان من لا يقع فى ملكه الا ما يشاء .

فقال عبد الجبار : أفيشاء ربنا أن يعصى.

فقال الأستاذ : أيعصى ربنا قهرا .

فقال عبد الجبار : أفرأيت ان منعنى الهدى وقضى على بالردى أحسن الى أم أسا ؟

فقال الأستاذ : ان كان منعك ما هو لك فقد أسا ، وان كان منعك ما هو له فيختص برحمته من يشا .

فانقطع عبد الجبار .

ويسمى المعتزلة مذهبهم مذهب أهل العدل ويسمى الأشاعرة مذهبهم مذهب أهل السنة ، ولم يجرؤ أهل العدل أن ينالوا من السنة ولا من هذا الحديث ويحومون حوله بشتى التأويلات حاشا أن ينالوا من الحديث أو يطعنوا فى صحته ، فضلا عن اتهام الأحاديث الصحيحة بالزيف والاسرائيليات أو ما هو قريب من هذا التهريج الرخيص الذى تقوم عليه حملة أعداء السنة فى هذه الأيام من أصحاب مذهب (القرآن وكفى)

ان مثل الانسان الذى ينظر الى تصريف أحوال الخلق تبارك وتعالى كمثل النملة التى تقف على ما يخطه مثل هذا القلم فلا ترى أكثر من النقطة التى تسير عليها فضلا عن الأنامل التى تقبض على القلم فضلا عن اليد فضلا عن الجسم كله والحديث متواتر تواترا معنويا فان عدم التصديق به يجر صاحبه الى التوقح على حديث عمر بن الخطاب.

(يتبع) محمد نجيب المطيعى

مساجد ومعاهد

التحرير

كان المسجد هو النواة الأولى للمدرسة فى حضارتنا ، فلم يكن مكان عبادة فحسب بل كان مدرسة يتعلم فيها المسلمون القراءة والكتابة والقرآن وعلوم الشريعة واللغة وفروع العلوم المختلفة ، ثم أقيم بجانب المسجد الكتاب ، وخصص لتعليم القراءة والكتابة والقرآن وشيىء من علوم العربية والرياضة ، وكان الكتاب يشبه المدرسة الابتدائية فى عصرنا الحاضر ، وكان من الكثرة بحيث عد ابن حوقل ثلاثمائة كتاب فى مدينة واحدة من مدن صقلية ٠

وكان من الاتساع أحيانا بحيث يضم الكتاب الواحد مئات وآلافا من الطلاب ٠ ومما يذكر فى تاريخ ابى القاسم البلخى أنه كان له كتاب يتعلم به ثلاثة آلاف تلميذ ، وكان كتابه فسيحا جدا بحيث يحتاج الى ان يركب حمارا ليتردد بين طلابه وليشرف على شئوونهم ٠٠

ثم قامت المدرسة بجانب الكتاب والمسجد ، وكانت الدراسة فيها تشبه الدراسة الثانوية والعالية فى عصرنا الحاضر ٠ كان التعليم فيها مجانيا ولمختلف الطبقات ، فلم يكن يدفع الطلاب فى دراستهم الثانوية والعالية رسما ما من رسوم الدراسة التى يدفعها طلابنا اليوم ، ولم يكن التعليم فيها محصورا بفئة من أبناء الشعب دون فئة ، بل كانت فرصة التعليم متوفرة لجميع أبناء الشعب ، كان يجلس فيها ابن الفقير بجانب ابن الغنى ، وابن التاجر بجانب ابن الصانع والمزارع ٠ وكانت الدراسة فيها قسمين : قسما داخليا للغرباء والذين لا تساعدهم أحوالهم المادية على أن يعيشوا على نفقات آبائهم ، وقسما خارجيا لمن يريد أن يرجع فى المساء الى بيت أهله وذويه ٠ أما القسم الداخلى فكان بالمجان أيضا ، يهيأ للطالب فيه الطعام والنوم والمطالعة والعبادة ٠٠ وبذلك كانت كل مدرسة تحتوى على مسجد ، وقاعات للدراسة ، وغرف لنوم

الطلاب ، ومكتبة ومطبخ وحمام. وكانت بعض المدارس تحتوى فوق ذلك على ملاعب للرياضة البدنية فى الهواء الطلق . ولا تزال لدينا حتى الآن نماذج من هذه المدارس التى غمرت العالم الاسلامى كله ، ففى دمشق لاتزال المدرسة النورية التى انشأها البطل العظيم نور الدين الشهيد ، وهى الواقعة الآن فى سوق الخياطين ، لاتزال قائمة تعطينا نموذجا حيا لهندسة المدارس فى عصور الحضارة الاسلامية لقد زارها الرحالة ابن جبير فى أوائل القرن السابع الهجرى ، فأعجب بها وكتب عنها : (من أحسن مدارس الدنيا مظهرا مدرسة نور الدين رحمه الله ، وهى قصر من القصور الأنيقة ينصب فيه الماء فى شاذروان وسط نهر عظيم ثم يمتد الماء فى ساقية مستطيلة الى أن يقع فى صهريج كبير وسط الدار فتحار الأبصار فى حسن ذلك المنظر) ومع ان عوادى الزمن قد عدت على هذه المدرسة وانتزع منها بعض مساحتها وأجزائها،فقد بقى فيها حتى الآن الأيوان ،وهى قاعة المحاضرات، والمسجد وغرفة للمدرسين واستراحتهم وهى تقوم مقام غرفة الأساتذة فى كليات الجامعة ، وبيت خاص يسكنه رئيس المدرسين مع عائلته ، ومساكن للطلاب ولخدم المدرسة .

وقد اغتصب منها جيرانها قاعة الطعام والمطبخ ومخزن البقول والمواد المختلفة . هذا نموذج حى للمدرسة فى العصر القديم ، ونجد مثله فى حلب فى مدارس الشعبانية والعثمانية والخسروية ، حيث لا يزال فيها للطلاب غرف يسكنونها وقاعات للدراسة وقد كانوا من قبل يأكلون فيها ثم عدل عن ذلك الى راتب معلوم فى آخر كل شهر يعطى للطلاب المنتسبين اليها .

وأظهر مثال حى لهذه المدارس الجامع الأزهر ، فهو مسجد تقام فى أبهائه حلقات للدراسة ، تحيط به من جهاته المتعددة غرف لسكن الطلاب تسمى بالأروقة ، يسكنها طلاب كل بلد بجانب واحد ، فرواق للشاميين ، ورواق للمغاربة ، ورواق للأتراك ، ورواق للسودانيين وهكذا .. ولا يزال طلاب الأزهر حتى اليوم يأخذون راتبا شهريا مع دراستهم المجانية من ريع الأوقاف التى أوقفت على طلاب العلم بالأزهر .

الجبرتى الجديد

المقتبس من أنباء أهل الأندلس

لأبى مروان بن حيان القرطبى المتوفى عام ٤٦٩ هـ

حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمود على مكى

للأستاذ عبد العزيز عبد الحق

هذا كتاب من القطع الكبير صدر فى عام ١٣٩٠ هـ وهو من مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية يبدأ بتصدير بقلم الأستاذ محمد أبى الفضل ابراهيم رئيس لجنة احياء التراث الاسلامى ، ثم مقدمة المحقق فى مائة وست وعشرين صفحة تليها سبع صور لصفحات من المخطوطة ثم النص فى تسعين صحيفة تليها تعليقات اضافية من المحقق مطبوعة بحجم أصغر من الحروف وتقع فى مائة وثمانى عشرة صفحة ويختم الكتاب بفهرست فى صفحتين •

* * *

هذه القطعة من مخطوطة المقتبس تنتظم أحداث السنوات الأخيرة من امارة عبد الرحمن الأوسط ابن الحكم ومعظم امارة محمد بن عبد الرحمن • وهى ثالثة القطع التى تنشر من كتاب المقتبس بعد مخطوطة اكسفورد ومخطوطة المعهد التاريخى الملكى بمدريد باسبانيا • وكانت تؤلف مع تلك التى كانت فى حوزة المستشرق ليفى بروفنسال سفرا واحدا محفوظا فى خزانة جامع القرويين فى فاس • والقطعة التى نشرها الدكتور مكى لا تبلغ الا نحو ثلث هذا السفر اذ تبدأ من الورقة ١٨٩ وتنتهى فى الورقة ٢٨٤•

وقد بذل الدكتور مكى جهودا مضنية فى تحقيق هذه القطعة من المقتبس ذلك لأن الرطوبة والأرضة اتيا على الجزء الأسفل من كثير من الأوراق واقتضى ذلك من المحقق الاستعانة بكل المصادر الممكنة واعتصار السطور المشوهة واستخلاص ما يمكن أن تدل عليه بقايا الكلمات • وسوف يستغرق نشر هذه القطعة ثلاثة أجزاء أخرج

منهـا الدكتور مـكى الجزء الأول يتلوه ان شـاء الله الجزءان الثانى والثالث .

ويمكن القول ان مقـدمة المحقق وتعليقاته تعتبر وحدها كتابا قائمـا بذاته . فالمقدمة تعرض لنا لأول مرة ترجمة تحليلية مفصلة لابن حيـان شيخ مؤرخى الأندلس جمعها المحقق مما تناثر منها فى مختلف المصـادر العربية الخاصـة بالأندلس . كمـا حلل المحقق تاريخ أسرته ونشـأته والشيوخ الذين أخـذ عنهم العلوم العربية والاسـلامية ، مثل الفقيـه المحدث عمر بن حسين بن محمد بن نابل الأموى القرطبى ، ثم اللغوى النحوى ابن أبى الحباب القرطبى وكان من أخص أصحاب أبى على القالى صاحب الأمالى وأكثرهم أخذا عنه ، واللغوى الشاعر صاعد بن الحسن الربعى البغدادى . وقد استفاد ابن حيان من هؤلاء فوائد جمة ، فقد أعانه هذا على امتلاك ناصية اللغـة على نحو لا يعـرف أنه أتيح لمؤرخ عربى ، فصـارت كتابات ابن حيان الى جانب قيمتها التاريخية من أرقى نماذج النثر الفنى فى الأدب العربى ، حرص الأدباء على ايراد نماذج منها فى المختارات الأدبية كما صنع ابن بسام فى كتابه « الذخيرة فى محاسن الجزيرة » .

ويقـول المستشرق الهولنـدى العلامة دوزى فى هـذا الصدد وفى منهج ابن حيان : « ان كتاب العرب يتمدحون فى كتب ابن حيان صـدق الرواية بقدر ما يعجبون بجزالة لفظه ورنين عباراته . وأنا أؤيدهم فى ذلك كل التأييد ولا أتردد فى القول بأن كتبـه لو بقيت لألقت على تاريـخ الأندلس الغـامض ضـياء باهـرا ولصورته لنا أحسن تصوير ، ولوجدنا أنها تبلغ فى الامتياز مبلغـا يجعلنـا نستغنى عن غـيرها من الكتب التى تتناول تاريخ هذه العصور .

ان ابن حيـان سيال الأسـلوب ولكنه مع ذلك لا يتغير فى الاطناب والقعقعة اللفظية كما فعل غيره من أصـحاب الروايات المسـهبة . انه ليسوق التاريخ مساق من يبدى رأيه وحكمه فيمـا يعرض من القضـايا ويبحث عن أسباب الأشياء ويناقشها عن علم وفهم وذكاء . ويمتـاز ابن حيان بأسلوب صاف ناصع لا يهبط

الى الركاكة ولا يقــع كذلك فى التفصح والاسراف ... ونخــرج من هــذا كله بأننــا لا نجد من بين مــؤرخى العــرب الا القليلين ممن نستطيع أن نقارنهم به ولن تجــد من بينهم من نقدمه عليه » .

كمــا أثنى عليه ابن خلدون فى مقدمته . ونقل ابن خلكان عن أبى على الغسانى أنه قال فى ابن حيان: كان عالى السن قوى المعرفة متبحرا فى الآداب بارعا فيها صاحب لواء التــاريخ بالأندلس أفصــح الناس وأحســنهم نظما له : وزاد المحقق منهج ابن حيان فى كتاباته التاريخية ايضاحا فقال : انه لم يكتب فى ظل رغبة أو رهبة وانه حرر قلمه من ربقة الخوف والطمع . وأضاف بأن صراحة ابن حيان ألحقت به تهمــة الثلب والاغتياب حتى ان ابن بسام حينما نقل فصولا عن ابن حيان فى الحديث عن بعض معاصريه رأى من التعفف أن يحذف أسماء الأشخاص المعنيين رغبة بكتــابه الذخيرة عن الشين .

وأوضح المحقق فى مقدمته منهج ابن حيان فى كتابه التاريخ اذ جمع بين طريقة الحوليات والطريقة التى تتناول موضوعا معينا مثل تاريــخ دولة بعينهــا أو التاريخ الاجتماعى والثقافى ممثــلا فى كتب الطبقــات وتراجم الأعلام . وفى القطعة التى نشرها الدكتور مكى نجد أنها تبدأ بعرض الأحداث ثم يعقبهــا أحكام عامة مع ملاحظات دقيقة تكشف عن قدرة عجيبة على التحليل النفسى ، تليها فصول طويلة يترجم فيها ابن حيان لرجال الدولة من حجاب ووزراء ثم يورد أخبــارا طريفة تلطف من جفاف السرد التاريجى فضــلا عما تتضمنه من أخبار بالغة القيمة حول الأوضــاع الاجتماعية والاقتصادية والعمــرانية ويترجم للأعلام ويورد طائفة كبيرة من الرسائل والأشــعار كما يعنى بالطرز المعمارية والفنية ثم يفرد فصولا لأخبار العلم والعلمــاء ويورد الدقائق فى حيــاة النــاس اليومية.

ومن الطريف أن ما يمتاز به ابن حيان من الدقة والضبط يشمل أيضا ما أورده من التفاصيل الدقيقة عن أخبار اسبانيا المسيحية وتاريخ فرنسا القديم ، وهى تفاصــيل صــححت كثيرا من الأخطاء الشائعة المتناقلــة

فى التواريخ القديمة مما يعد كشفا جديدا عظيم القيمة • وقد حمل هذا بعض الباحثين المحدثين على القول ان ابن حيان كان ملما باللغة اللاتينية الدارجة فى العصر الوسيط وانه ربما اطلع على مدونات مسيحية قديمة فقدت اليوم •

أما التعليقات التى ذيل بها الدكتور مكى هذا الجزء الأول من المقتبس فقد صحح فيها أسماء الأعلام الجغرافية التى كثيرا ماشوهها النساخ وأضاف اليها بيانات أخرى كثيرة من أعلام الأشخاص ، وهى تكشف عن علم المحقق الواسع بالأبحاث الأندلسية والمامه باللغات الأوروبية• وقد يسر له ذلك عمله بمعهد الدراسات الاسلامية بمدريد واطلاعه على مخطوطات الاسكوريال ورحلاته الواسعة فى اسبانيا والبلاد المغربية• ولا غرو فتاريخه العلمى حافل بما حققه من المخطوطات ونشره من الأبحاث • ونرجو أن يوفق فى نشر الأجزاء التالية من المقتبس بل نطمع فى أن يعاد ما نشره المستشرقون من هذا الكتاب الفذ زيادة فى تيسيره للقراء فى العالم العربى •

عبد العزيز عبد الحق حلمى

العلم والعلماء

قال ابن عباس : ذللت طالبا فعززت مطلوبا .

وكان يقال : أول العلم الصمت ، والثانى الاستماع ، والثالث الحفظ والرابع العقل والخامس نشره .

ويقال : اذا جالست العلماء فكن على أن تسمع احرص منك على أن تقول .

وقال على رضى الله عنه : لا يرجون عبد الا ربه ، ولا يخافن الا ذنبه ولا يستحى من لا يعلم أن يتعلم ولا يستحى اذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم .

التبشير والاستعمار

للدكتور حسن عيسى عبد الظاهر

١ ـ جرت سنة الله فى دعوات الرسل جميعا أن تنهج فى تبليغ الناس منهج التبشير والانذار بالترغيب والترهيب .

والمتابع للقرآن الكريم كتاب الرسالة الخاتمة والمصدق لما بين يديه من الكتب والمهيمن عليها يجده فى عرض دعوات الرسل والرسالة الخاتمة يبرز كلا الجانبين التبشير والانذار على لسان كل رسول صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فكان كل رسول بشيرا ونذيرا وكانت رسالته تعتمد على التبشير والانذار :

« أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم » ، « انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » الآية .

* * *

٢ ـ وأقرب الرسالات زمنا الى الاسلام هى رسالة عيسى ابن مريم عليه السلام .

ويسوق القرآن لنا نموذجين من دعاتها :

(أ) نموذج يحكى قصته فى سورة يس : « واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون » ويلخص منهجهم فى الدعوة فى الآتى :

(١) أنهم مرسلون .

(٢) وأنهم قائمون بالدعوة باسم الله وحده وأنه هو سبحانه المرسل

لهم « اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث » .

(٣) وأن مهمتهم البلاغ فقط « وما علينا الا البلاغ المبين » .

(٤) وأنهم متجردون للدعوة لا يبغون من ورائها غرضا دنيويا « اتبعوا من لا يسألكم أجرا » .

(٥) وأنهم نموذج لدعوتهم فى قولهم وسلوكهم « وهم مهتدون » .

(ب) نموذج يحكى قصته فى سورة (البروج) وهم الذين حملوا الدعوة الى بلاد اليمن التى كانت اليهودية تسيطر عليها فأحاطت هؤلاء الدعاة ومن تبعهم وأبادتهم « قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود » الآيات . ويلخص قصتهم فى الآتى :

أنهم تحملوا فى سبيل الدعوة أشق أنواع العذاب حتى الحرق وأنهم مؤمنون وما لاقوا من العذاب الا بسبب ايمانهم : « وما نقموا منهم ... » الآية .

وأن الله سبحانه انتقم لهم من أعدائهم «ان الذين فتنوا ...» الآية

وأن سبحانه وتعالى جازاهم الجنة بايمانهم « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... » الآية

٣ — فدعوى (التبشير) فقط وحدها لا تعطى تصورا صحيحا عن أية رسالة سماوية ولا تمثلها فضلا عما تحمله من معانى الخداع للجماهير بجذبهم من جانب الأمانى فقط وتملق عواطفهم وتضليلهم عن معنى الدين بحق .

ومن هذا فان دعوى التبشير لا تنتسب الى الرسالات السماوية بقدر ما تنتسب الى أغراض بشرية .

فما هى هذه الأغراض ؟

٤ — وقبل الاجابة على هذا السؤال نلفت النظر الى أنه من الحقائق المقررة أنه لا يجب أن تختلف أغراض البشر عن أغراض الرسالات بل يجب أن تدور فى فلكها ؛ لأن الرسالات السماوية هى أساس لهداية البشرية وتوجيه أغراضها الى الأهداف السامية لاقامة حياة كريمة على الأرض ترتبط

بالسماء وبالكون كله ويعرف فيها الخلق خالقهم ويحيون على الأرض معمرين فيها باسم الله لا باسم الطواغيت :

« هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » .

أنشأنا من الأرض لنعمرها متعارفين ، لا متناكرين ، واخوة لا سادة وعبيدا « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

٥ ــ لكن النظرة الى الواقع الانسانى تجد البون شاسعا بين ما هو واجب أن يقع أن الواقع هو ما يعبر عنه بهذا المنطق (١) «اذا طلب منى أن أدافع عن حقنا المكتسب لاتخاذ الزنوج عبيدا فاننى أقول ان شعوب أوربا بعد أن أفنت سكان أمريكا الأصليين لم تر بدا من أن تستعبد شعوب افريقية لكى تستخدمها فى استغلال كل هذه الأقطار الفسيحة ، والشعوب المذكورة ما هى الا جماعات سوداء البشرة من أخمص القدم الى قمة الرأس ، وأنفها افططس فطسا شنيعا بحيث يكاد أن يكون من المستحيل أن ترثى لها ولا يمكن للمرء أن يتصور أن الله سبحانه وتعالى ــ وهو ذو الحكمة السامية ــ قد وضع روحا ــ وعلى الأخص روحا طيبة ــ فى داخل جسم حالك السواد » .

٦ ــ ومن هذا المنطق وبهذه الروح بدأ يتحرك المستعمرون لاستغلال من يكاد أن يكون من المستحيل أن ترثى لهم ــ حق الرثاء ! .. .. أو تتصور أن الله سبحانه وهو ذو الحكمة السامية قد وضع روحا ــ وعلى الأخص روحا طيبة فى داخل هؤلاء الاناس ان كانوا أناسيا ! .

فاذا تقدم هؤلاء المستعمرون لهؤلاء الأناسى تحت شعار التبشير وباسمه لتحقيق هذه الأهداف فأى

---

(١) من كتاب منتسكيو « روح القوانين » نقلا عن محمد عوض محمد «الاستعمار ص ٣٧ » .

خدعة هذه تكون ؟ وأى تضليل باسم الدين يكون ؟

ومن هنا تتضح الصلة بين الاستعمار والتبشير صلة بعيدة كل البعد عن رسالة السماء .

٧ ـ واليك هذه الحقائق والصور دليلا على الصلة الوثيقة بين الاستعمار والتبشير :

(١) كان أول هدف للاستعمار فى افريقية هو الحصول على الرقيق ولجأوا الى كل الوسائل لتحقيق هذا الهدف فما هو الثمن الذى كانوا يدفعونه ؟

(ا) لقد نشر « الاب جادان » أنه فى سنة ١٨٠٤ م ذهب ابن ملك الكونغو « جارسيا الخامس » وابن أخيه « الأميران : بيد رودى سان سلفادور ، والفونسو » الى معهد فى « لواندا » ليؤهلهما لدخول سلك « القساوسة » وكان هذان الأميران التلميذان الشابان يتلقيان من الملك فى كل عام « ثلاثة من العبيد » ليدفعاهم أجرا لتعليمهما وتأهيلهما لدخول سلك القساوسة ثم يقول : وانه لأمر مفزع أن يدفع للكنيسة ثلاثة من العبيد سنويا أجرا لتعليم هذين الافريقيين كيفية نشر المسيحية وقارن بين هذا وبين ما كان يفعله الاسلام من فداء الأسرى نظير التعليم

(ب) (٢) كتب الأب « تاكر » يسجل : « على الرصيف البحرى فى « لواندا » كانت العين لا تزال حتى سنة ١٨٧٠ م تقع على مقعد رخامى كان « الأسقف » يقعد عليه ويمضى فى عملية « تعميد » جماعات من هؤلاء البائسين المساكين وهم يمرون به فى زوارقهم وكانت الحكومة تجمع ضرائبها و « رجل الله » يقبض أجره ويلج العبيد لأول مرة باب « ديانة » الرجل الأبيض .. وكانت الكنيسة على وجه العموم راضية بنصيبها فى الأسلاب وقد أثبتت الأبحاث الجديدة التى قام بها

---

(١) أنظر « صحوة افريقية »ص ٦٨ من مجموعة الألف كتاب .

(٢) المصدر السابق ص ٦١ ، ٦٢

الأب « جادان » أخيرا فى سجلات « الكنيسة » فى « لواندا » صحة الرأى بأن الكنيسة « كانت قانعة بأن تطالب بتعميد العبيد المرسلين الى أمريكا أولا حتى تيسر انقاذ أرواحهم على الأقل ، وفيما عدا هذا لم تكن الكنيسة ترى فى المسألة أية مخالفة « صحيح ان الأساقفة كانوا يصرون على أن تحمل كل سفينة ناقلة للعبيد « قسا » يصحبها فى رحلتها بين القارتين وهى الرحلة البحرية القاتلة بين رحلتين على الأقدام :

الرحلة الأولى : من الغابة الى ساحل المحيط الأطلنطى .

الرحلة الثانية : من السفينة الى المزارع والى المناجم الأمريكية .

ولكن من سوء الحظ أن الرحلة لم تكن لتجذب سوى عدد قليل جدا من « القساوسة » وكان لا بد من الالتجاء الى كهنة فقراء وغيرهم ممن لم يكونوا من النوع المطلوب ، وهكذا فشلت الكنيسة فى معونتها على ضآلتها .

ولم تشعر الكنيسة بأنها قادرة على القيام بأكثر من هذا ، وانما راح الأسقف يجلس على مقعده الرخامى فيعمد العبيد ويقبض نصيبه من رسوم التصدير ...

وقد وجد الأب « جادان » أن ضريبة « التعميد » فى القرن السابع عشر « كانت تبلغ ثلاثمائة ريس » يدفعها تجار الرقيق عن كل رأس وكانت تذهب بأكملها الى « قس » أبرشية « ريمديوس » وأبرشية « بنجيلا » ، ولكن بعد انتهاء القرن السابع عشر حين صار تصدير العبيد تجارة معترفا بها صار « الأسقف » يحجز من هذه الضريبة «١٥٠»ريسا لصندوقه هو ...

ان الذين لا يميلون الى الاقتناع بأن الرق كان هو العامل الرئيسى فى الذل الذى جلبه اتصال أوربا بالبلاد المستعمرة هؤلاء يجب أن يعملوا الفكر فى ضخامة الأعداد التى لفها الرق فى أغلاله فقد صدر لأوربا وأمريكا من العبيد الملايين ، ولن يصل أحد مطلقا الى الرقم الصحيح، وهو ما لا يلقى اهتماما فان العدد

كان كبيرا والعملية متواصلة وقد تقدر بمعدل تسعة آلاف من العبيد فى كل سنة خلال القرنين « من منتصف القرن الخامس عشر الى منتصف القرن السابع عشر » من « الكونغو » فقط .

٨ ــ هكذا استنزف الاستعمار الثروة البشرية فى ظل تعميد المبشرين لها ولم تعترض عليه لا الكنيسة الكاثوليكية ولا الكنيسة الانجليكانية لدرجة أن تجارة الرقيق بررت بوساطة نصوص من العهد القديم (١) وبضرورة تنصير الوثنيين .

أما عن استنزاف الثروة الطبيعية فلم يكن للمستعمرين من هدف سوى جمع المال وتصدير المنتجات وخيرات البلاد المستعمرة . ونجحوا فى ايجاد طبقة من الشعب تشبه الأوربيين فى المظهر الخارجى فى حين بقى معظم الشعب على حالة من الجهل والبدائية والوثنية .

٩ ــ فى الأيام الأولى للاستعمار البرتغالى كانت الارساليات (٢) تقوم على آلام المواطنين وكانت حكومة البرتغال تتخذ كل الاحتياطات الكفيلة بمنع البابا أن يبعث بارساليات من طرفه ما لم تكن تلك الارساليات تحت سيطرتها .

وهكذا دار التبشير والمبشرون فى فلك الاستعمار وتحت سيطرته بدءا من « البابا » الى أصغرمعمد يتناول رسوم التعميد للعبيد . فضلا عن انغماسهم فى تلك الجريمة الانسانية البشعة جريمة استرقاق الانسان واستعباده من غير وجه حق الا العلو فى الأرض فسادا .

١٠ ــ ويمكن القول بأن رغبة أوربا فى اكتشاف أفريقية لم تظهر الا بعد أن ذللت المشكلات الجغرافية فيها بواسطة الرواد المبشرين المكتشفين وكان الانجليز من أوائل البادئين فى هذا الميدان وعلى الرغم من قيام الحدود بين المستعمرات

---

(١) أنظر تاريخ افريقية ص ٩٩ من مجموعة الألف كتاب .

(٢) أنظر تاريخ افريقية ليفيج ص ٥٩

فان الارساليات كانت تجوب شمالا وجنوبا ومن ذلك بعثة « دافيد لينفجستون » وقد نشر اكتشافاته تحت عنوان « رحلات تبشيرية وأبحاث (١) » وأثار هذا المؤلف حماس الانجليز لفتح تلك البقاع « جنوبى أفريقية وشرقيها » للتبشير والتجارة واهتمت الجمعية الجغرافية الملكية بمعاونة الحكومة فأرسلت « برتون وسبيك » الى بحيرة «تنجانيقا» فى عام ١٨٥٨ م «وسبيك وجرانت» الى فيكتوريا نيانزا ثم الى « منابع النيل » ... الخ .

وأصبحت أفريقية ميدانا لابراز البطولة من الرواد المبشرين سواء فى أوربا أو أمريكا بطولة ظلت تخبو فيها أنفاس حب البشرية تحت ستار التبشير والبحث العلمى وكشف المجهول ولم تفكر الحكومات من وراء ذلك بعقلية ولا بمنطق هذه الارساليات بل ولا بعقلية التجار والمكتشفين بل كانت نظرتها أوسع فالحكومات تعلم مثلا أن الحصول على زيت النخيل من أفريقية لايستمر بحماية المبشر المكتشف وحده بل بحماية الأسطول .

وصار جهد الاثنين «المبشر والاسطول» معا فكان جناحى الحركة الاستعمارية .

١١ — وقد أدرك المستعمر أن مصلحته المادية تعتمد كل الاعتماد على القوى البشرية فى المستعمرات فى المقام الأول لتوجيهها لصالحه وأدرك كذلك أن عملية الكشف الجغرافى عن المجهول من أرض المستعمرات لا يكفى وحده بل لابد أن يواكبه جهد أكبر لكشف المجهول من عادات الناس وعقائدهم هناك ، فاستنهض لذلك همم رجال العلم بجانب همم المبشرين فى الاستقصاء والبحث ، وأدرك أن «الدين» هو العنصر الفعال والقوة المحركة فى حياة هذه المجتمعات فاتخذه نقطة ارتكاز فى سائر أبحاثه . وأفادت الهيئات التبشيرية من هذه الحقائق فوضعت منهجها على هذا الأساس وكان من نتائج ذلك الكثير .. مثل ترجمة الانجيل الى كثير من لغات المستعمرات وتدعيم الارساليات

---

(١) أنظر تاريخ افريقية ليفيج ص ٦٤

واحتواءحركة التعليم والاتجاربالقيم الانسانية كالمستشفيات وغيرها .

١٢ — ثم كان الصراع الراهن بين الصليبية والشيوعية فى المستعمرات وكان لا بد أن يكون «الدين» عنصرا فعالا فى هذا الصراع .

ومن الظواهر التى تلفت النظر فى اتجاهات كثير من الكتاب فى أوربا انها بقدر ما تحرص على تجاهل دور «الدين» فى المشاكل الحية للشعوب أصبحت تفسح له من صدرها فيما يتصل بحاضر «أفريقية» ، ومستقبلها وذلك يرجع الى أن خطر الشيوعية النشطة فى أفريقية واضطرار الدول الغربية الى التسليم بأن الشعوب الأفريقية لا يمكن أن يحميها من هذا الخطر الا حصانة سريعة لا يقدر على تحقيقها الا الدين وأن هذه الشعوب وهى لا تزال قريبة من الفطرة لن تستحوذ عليها فكرة القومية كراية للتجمع كما حدث فى أوربا وهذا يجعل الحاجة ماسة الى مؤثر سريع — وهو الدين — يحميها من أساليب الشيوعية فى التضليل وليس أسرع ولا أبسط من تحديد المعركة مع الشيوعية بأنها معركة بين الايمان والكفر .

١٣ — لكنهم من وجه آخر وبدل أن يركزوا معركتهم مع الالحاد والوثنية يديرون وجوههم وجهادهم ضد الاسلام ويجعلون من زحفه هناك بما له من قوة وتأثير فى تحرير الشعوب وتبصيرها بخطر كل من الصليبية والشيوعية معا . ولذلك وبدل أن يركزوا نشاطهم ضد الشيوعية وضد الوثنية فانهم وجهوه ضد الاسلام من ذلك ما يقوله (١) : « مستر أكيلا تودى » الرئيس الافريقى الأول لكنيسة المسيح اللوثرية بالسودان : « لقد اشتركنا مع الكنائس الأخرى فى مشروع يهدف الى تبصير أعضاء الكنيسة بالموقف الذى يجب اتخاذه ازاء المسلمين والمبادىء الاسلامية .. واننا بهذا نأمل أن تصبح وسائلنا فى تبشير المسلمين بالانجيل أكثر فعالية ولماذا التركيزعلى المسلمين والاسلام؟

(١) نشرة الاتحاد اللوثرى العالمى رقم ٧/٦١/٧ تصدر فى لندن .

لأن «الاسلام .. أكبر تهديد للمسيحية فى أفريقية» .

وقد أعلن الأسقف «ستيفن باين» الموظف المنفذ للقربان المقدس الانجيليكانى بأن «الاسلام أعظم تهديد للمسيحية فى القارة» ثم قال : ان المبشرين المسلمين ليبرهنون أنهم أقدر من المبشرين المسيحيين كما انهم يبشرون بمذهب التوحيد الحازم الذى يلاقى قبولا كبيرا» ثم يتناقضون يائسين بمثل ما يزعم مبشر أوربى (١) «من أن الاسلام اليوم قد عقم حضاريا وأن انتشاره فى أفريقيا يهدد بأن يؤدى بها الى زقاق مغلق وطريق مسدود» وأبسط رد على هذا ان أكثر أجزاء افريقية تقدما واشراقا بالحضارة هى بالذات أكثرها اسلاما كما وكيفا» .

ولكن أكل هذا التحامل على الاسلام لأن خطره على الصليبية والتبشير بها فى المستعمرات فى أفريقية فقط ؟ ويجيبنا أحد حكام هذه المستعمرات بقوله (٢) «انه من صالح فرنسا استغلال زعماء القبائل الوثنية فى تلك الأرجاء ، لأن الاعتماد على الجماعات الاسلامية ينطوى على خطر أكيد على المستعمر» .

هكذا كلاهما مقرونان فى صف واحد «التبشير والاستعمار» وهكذا احساسهما يزيفهما فى المستعمرات وخطر الاسلام عليهما بكشفهما ودحضهما (٣) «وكل شىء باجماع وقلق كل الكتاب والمبشرين الغربيين قبل سواهم يشير الى أن دين المستقبل فى قارة المستقبل انما هو دين الاسلام» .

وصدق الله العظيم : «هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون» «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس فيمكث فى الارض»

والله ولى التوفيق ؟

د: حسن عيسى عبد الظاهر

---

(١) افريقية الجديدة ص ٢٨٥

(٢) هو «بريقيه» فى كتابة «الاسلام ضد الوثنية فى السودان الفرنسى» سنة ١٩٢٣ م نقلا عن هوبير ديشان فى «الديانات فى افريقية السوداء» ص ١٣١ من مجموعة الألف كتاب .

(٣) العالم الاسلامى المعاصر ص ١٦ ، ١٨

ثقافة المفتى ...

للدكتور : ى.وه

ان المفتى أو الفقية الذى يقوم مقام النبى صلى الله عليه وسلم . بل يوقع عن الله جل شأنه . جدير بأن يكون على قدر كبير من العلم بالاسلام ، والاحاطة بأدلة الأحكام. والدراية بعلوم العربية ، مع البصيرة والمعرفة بالحياة وبالناس أيضا بالاضافة الى ملكة الفقه والاستنباط.

لا يجوز أن يفتى الناس فى دينهم من ليس له صلة وثيقة وخبرة عميقة بمصدريه الأساسيين : الكتاب والسنة .

ولا يجوز أن يفتى الناس من لم تكن له ملكة فى فهم لغة العرب وتذوقها حتى يقدر على فهم القرآن والحديث .

ولا يجوز أن يفتى الناس من لم يتمرس بأقوال الفقهاء ، ليعرف منها مدارك الأحكام وطرائق الاستنباط ، ويعرف منها كذلك مواضع الاجماع ومواقع الخلاف .

ولايجوز أن يفتى الناس من يعيش فى صومعة حسية أو معنوية ، لايعى واقع الناس ولا يحس بمشكلاتهم .

يروى الحافظ الخطيب البغدادى فى كتابه « الفقيه والمتفقه » (١) عن الامام الشافعى قوله :

« لا يحل لأحد أن يفتى فى دين الله ، الا رجلا عارفا بكتاب الله ، بناسخه ومنسوخه وبمحكمه ومتشابهه ، وتأويله وتنزيله ، ومكيه ومدنيه ، وما أريد به ، وفيم أنزل ، ثم يكون

---

(١) المجلد الثانى ص ١٥٧ ــ مطابع القصيم بالرياض .

بعد ذلك بصيرا بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : بالناسخ والمنسوخ ويعرف من الحديث ماعرف من القرآن ، ويكون بصيرا باللغة بصيرا بالشعر ، وبما يحتاج اليه العلم والقرآن ويستعمل — مع هذا — الانصات وقلة الكلام .. ويكون بعد هذا مشرفا على اختلاف أهل الأفكار وتكون له قريحة (أى ملكة وموهبة) بعد هذا فاذا كان هكذا فله أن يتكلم ويفتى فى الحلال والحرام، واذا لم يكن هكذا فله أن يتكلم فى العلم ولا يفتى » .

وسئل الامام أحمد : ما تقول فى الرجل يسأل عن الشىء فيجيب بما فى الحديث وليس بعالم بالفتيا؟ قال : ينبغى للرجل اذا حمل نفسه على الفتيا أن يكون عارفا بالسنن ، عالما بوجوه الكتاب ، عالما بالأسانيد الصحيحة، وانما جاء خلاف من خالف لقلة معرفتهم بما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وقلة معرفتهم بصحيحها من سقيمها (١) .

ولم يكتف الامام أحمد بمعرفة المفتى للسنن ، فاشترط له المعرفة بأقوال الفقهاء والمجتهدين ، قال ينبغى لمن أفتى أن يكون عالما بقول من تقدم ، والا فلا يفتى . وقال أيضا : أحب أن يتعلم الرجل كل ما تكلم فيه الناس .

وسأله بعضهم : اذا حفظ الرجل مائة ألف حديث يكون فقيها ؟ قال : لا . قال : فمأئتى ألف ؟ قال : لا . قال : فثلاثمائة ألف ؟ قال : لا. قال : فأربعمائة ألف ؟ قال بيده هكذا وحركها (٢) .

وقد خفف علماء الأصول بعد ذلك نزولا على الأمر الواقع فى أزمانهم وقالوا : المهم أن يعرف من الأحاديث ما يتعلق بالأحكام ، ولا يلزم حفظها عن ظهر قلبه ، ويكفى أن يكون ممارسا لها ، عارفا بمظانها متونا وشروحا ، خبيرا بنقدها تعديلا وتجريحا قادرا على مراجعتها عند

---

(١) الفقيه والمتفقه ، للحافظ الخطيب البغدادى .
(٢) أعلام الموقعين ج ٤ ص ٢٠٥

الحاجة الى الفتوى ، ومهما قدر على الحفظ فهو أحسن وأكمل .

على أن الحفظ وحده لا يجعل الحافظ فقيها ، مالم تكن لديه المقدرة على التمييز بين المقبول والمردود ، والصحيح والمعلول ، وكذلك على الاستنباط والترجيح أو التوفيق بين النصوص بعضها وبعض وبينها وبين المقاصد الشرعية والقواعد الكلية .

وقيل للامام عبد الله بن المبارك : متى يفتى الرجل ؟ قال : اذا كان عالما بالأثر بصيرا بالرأى .

وبهذا لا يكفى الأثر دون الرأى ، ولا الرأى دون الأثر .

ولابد للمفتى من ثقافة عامة ، تصله بالحياة والكون ، وتطلعه على سير التاريخ وسنن الله فى الاجتماع الانسانى حتى لا يعيش فى الحياة وهو بعيد عنها جاهل بأوضاعها .

تقول الخطيب البغدادى فى « الفقيه والمتفقة » اعلم أن العلوم كلها أبازير للفقه وليس دون الفقه علم الا وصاحبه يحتاج الى مايحتاج اليه الفقيه ، لأن الفقيه يحتاج أن يتعلق بطرف من معرفة كل شىء من أمور الدنيا والآخرة ، والى معرفة الجد والهزل ، والخلاف والضد ، والنفع والضر ، وأمور الناس الجارية بينهم ، والعادات المعروفة منهم ، فمن شرط المفتى النظر فى جميع ما ذكرناه ، ولن يدرك ذلك الا بملاقاة الرجال . والاجتماع مع أهل النحل والمقالات المختلفة ، ومساءلتهم وكثرة المذاكرة لهم وجمع الكتب ومدارستها ، ودوام مطالعتها .

ولا يريد الخطيب من المفتى أو الفقيه أن يجمع الكتب فى خزائنه من هنا وهناك دون أن يعيها ، وتفهم ما فيها ، فهذا كمثل الحمار يحمل أسفارا .

ونقل عن بعض الحكماء أنه قيل له : ان فلانا جمع كتبا كثيرة . فقال : هل فهمه على قدر كتبه ؟ قيل : لا . قال : فما صنع شيئا . ما تصنع البهيمة بالعلم ؟

وقال رجل لرجل كتب ، ولا يعلم مما كتب شيئا : مالك من كتبك

الا فضل تعبك وطول أرقك ، وتسويد ورقك (١) .

ان من أسوأ الأشياء خطرا على المفتى أن يعيش فى الكتب ، وينفصل عن الواقع .. ولهذا أحسن الخطيب رضى الله عنه حين طلب الى المفتى أن يعرف الجد والهزل ، والنفع والضر فى أمور الحياة .

ومما قاله الامام أحمد :

لا ينبغى للرجل أن ينصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمس خصال: أولها : أن تكون له نية ، فان لم تكن له نية ، لم يكن عليه نور ، ولا على كلامه نور .

والثانية : أن يكون له حلم ووقار وسكينة .

والثالثة : أن يكون قويا على ما هو فيه وعلى معرفته .

والرابعة : الكفاية (أى من العيش) والا مضغه الناس .

والخامسة : معرفة الناس (٢) .

وبدون معرفة الناس ومعايشتهم فى واقع حياتهم ومشكلات عيشهم، يقع المفتى فى متاهات ، أو يهوم فى خيالات ، ويظل فى واد والناس فى واد ، فهو لا يعرف الا ما يجب أن يكون ، دون ما هو كائن ، مع أن الواجب شىء والواقع شىء آخر .

يقول ابن القيم : الفقيه من يطبق بين الواجب والواقع ، فلكل زمان حكم والناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم .

ذكر هذا فى معرض جواز استفتاء مستور الحال . بل الفاسق اذا لم يكن معلنا بفسقه ، داعيا الى بدعته . قال : واذا عم الفسوق وغلب على أهل الأرض فلو منعت أمامه الفساق وشهاداتهم وأحكامهم وفتاويهم وولاياتهم لعطلت الأحكام وفسد نظام الخلق وبطلت أكثر الحقوق ومع هذا فالواجب اعتبار الأصلح فالأصلح (٣) .

---

(١) الفقيه والمتفقه : ١٥٨ ، ١٥٩

(٢) ذكره ابن بطه فى كتابه فى الخلع . ونقله ابن القيم فى الاعلام ج ٤ ص ١٩٩

(٣) المصدر نفسه ص ٢٢٠

الجانب الأخلاقى فى المفتى :

والعلم مع فرضيته والثقافة مع حتميتها للمفتى ، ليسا كل شىء ، فلابد مع العلم من عمل ، ولابد مع العمل من خشية ، والعلم الذى لا يثمر خشية الله وتقواه لا قيمة له فى ميزان الحق . يقول الله تعالى : (انما يخشى الله من عباده العلماء) .

ان آفة الحياة ليست من فساد العقول بقدر ما هى من فساد الضمائر وان أزمة الناس ليست أزمة معرفة بقدر ما هى أزمة أخلاق .

ولم تفسد الأديان السابقة على الاسلام بسبب الجهال بحقائقها ، بقدر ما فسدت من علماء السوء المتاجرين بها ، المحرفين لها .

ولا عجب أن حمل القرآن بقوة على الذين يخونون علمهم يشترون به متاعا زائلا ويلبسون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون .

نقرأ قوله تعالى : (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ، فنبذوه وراء ظهورهم ، واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) .

ونقرأ كذلك قوله سبحانه : (ان الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا ، أولئك ما يأكلون فى بطونهم الا النار ، ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار) .

ونقرأ أسوأ مثلين ذكرهما القرآن لمن علم ولم يعمل بمقتضى ما علم : كالذى أتاه الله آياته فانسلخ منها ، وأخلد الى الأرض واتبع هواه ، وجعل الله مثله . مثل الكلب ان تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث وكذلك بنو اسرائيل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها أى لم يقوموا بحقها ، ولم يعملوا بهديها جعل القرآن مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفارا .

من هنا أكد علماء الاسلام على الجانب الأخلاقى للمفتى ، ولم

يكتفوا منه بسعة العلم والتبحر فيه ، حتى يزين علمه بالتقوى ومكارم الأخلاق .

يقول على بن أبى طالب رضى الله عنه :

« ألا أخبركم بالفقيه كل الفقيه ؟ ومن لم يوئس الناس من رحمة الله ولم يرخص لهم فى معاصى الله ، ألا لا خير فى علم لا فقه فيه ، ولا خير فى فقه لا ورع فيه ، ولا قراءة لا تدبر فيها .

ويقول الحسن البصرى : هل ترى ما الفقيه ؟ الفقيه الورع الزاهد، الذى لا يسخر ممن أسفل منه ، ولا يهمز من فوقه ، ولا يأخذ على علم علمه الله حطاما .

ويقول الامام مالك : لا يكون العالم عالما ، حتى يعمل فى خاصة نفسه بما لا يلزمه الناس ولا يفتيهم به ، مما لو تركه لم يكن عليه فيه اثم (١) .

فأين هذا ممن يفتى الناس بمنع شىء وهو يمارسه ويعمله أو يفتيهم بوجوب فعل شىء ، وهو تاركه ومضيعه ؟ والله تعالى خاطب بنى اسرائيل فقال : (أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ، أفلا تعقلون ؟) .

ومن أمانة المفتى وتقواه : أن يحيل سائله الى من هو أعلم منه بموضوع الفتوى ولا يجد فى ذلك حرجا فى صدره .

سئلت عائشة أم المؤمنين عن المسح على الخفين . فقالت للسائل: سل عليا فانه أعلم منى بهذا . وقد كان يسافر مع النبى صلى الله عليه وسلم .

ومن ذلك أن يسأل هو اخوانه من أهل العلم ويشاورهم ليزداد استيثاقا واطمئنانا الى الأمر . كما كان يفعل عمر حيث يجمع علماء الصحابة ويشاورهم بل كان يطلب رأى صغار السن فيهم مثل عبد الله ابن عباس ، الذى قال له مرة : تكلم ولا يمنعك حداثة سنك .

---

(١) الفقيه والمتفقه .

ومن هذا الجانب الأخلاقى : أن يرجع عن الخطأ اذا تبين له ، فالرجوع الى الحق خير له من التمادى فى الباطل . ولا اثم عليه فى خطئه ، لأنه مأجور عليه ، وانما يأثم اذا عرفه ثم أصر عليه عنادا وكبرا ، أو خجلا من الناس والله لا يستحى من الحق .

وقد كان بعض السلف يفتى سائله ، فاذا تبين له خطؤه بأمر ينادى فى الناس بأن فلانا الفقيه أفتى اليوم خطأ . ولا يبالى بما يقول الناس .

ومن أخلاقيات المفتى : أن يفتى بما يعلم أنه الحق ، ويصر عليه ، ولو أغضب من أهل الدنيا ، وأصحاب السلطان ، وحسبه أن يرضى الله تبارك وتعالى وكل الذى فوق التراب تراب .

وقد أفتى الأئمة المتبوعون بأحكام رأوها حقا ، ورآها أصحاب السلطان ضد السلطان فأصروا عليها مجاهدين ، وعرضوا أنفسهم لسخط المتسلطين ، فضربوا وأوذوا ، ولكنهم صبروا على ما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا .

ولقد امتحن شيخ الاسلام ابن تيمية من أجل فتاويه التى خالف بها المألوف لدى المقلدين الجامدين . فكادوا له لدى أولى السلطة حتى دخل السجن أكثر من مرة وظل فى محنته الأخيرة الى أن وافاه الأجل ـ رضى الله عنه ـ

ومع هذا لم يتزحزح عن موقفه ولم يتراجع عما رأى أنه الحق . ولم يبال بسجن ولا نفى ولا تهديد بقتل . ومن كلامه فى ذلك : سجنى خلوة ، ونفى سياحة (هجرة) وقتلى شهادة .

وقبل ذلك كله يجدر بمن عرض نفسه للفتوى أن يشعر بالافتقار الى الله تعالى .. وصدق التوجه اليه . وأن يقف على بابه متضرعا داعيا ، أن يوفقه للصواب ويجنبه زلل الفكر واللسان والقلم ، ويحفظه من اتباع الهوى ، وخليق به أن يقول ما كان يقوله ابن تيمية : اللهم

يا معلم ابراهيم علمنى ، وما كان بقوله بعض السلف ، سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم •

أو يدعو بدعاء موسى عليه السلام: « رب اشرح لى صدرى ، ويسر لى أمرى ، واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى » •

وبما جاء فى الصحيح من دعاء النبى صلى الله عليه وسلم : « اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ، اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى من تشاء الى صراط مستقيم (١) » •

وقد وضع علماء المسلمين جملة من الكتب فصلوا فيها الشروط والواجبات والآداب التى ينبغى أن تتوافر فيمن يقوم بالافتاء •

منها : « صفة الفتوى والمفتى والمستفتى » للعلامة ابن جمدان الحنبلى •

ومنها : « الأحكام فى تمييز الفتاوى والاحكام » للامام القرافى المالكى •

ومنها : « الفقيه والمتفقة » للامام الحافظ أبى بكر الخطيب البغدادى •

ومنها : الكتاب الذى طبقت شهرته الآفاق « أعلام الموقعين عن رب العالمين » للامام ابن عبد الله شمس الدين ابن القيم •

وينبغى لمن وضع نفسه — أو وضعته الأقدار — موضع الفتيا ، أن يراجع هذه الكتب — وبخاصة: آخرها ، فهو أجمعها — ليمضى فى طريقه على نور من ربه وبصيرة من أمره •

الدكتور ى • ق

---

(١) اعلام الموقعين : ج ٤ ص ٢٥٤

جذور مأساة المسلمين فى الفليبين

للتحرير

كان « البوكرك » قائد الأسطول البرتغالى – الذى تحرك فى مطلع القرن السادس عشر – يحلم بتنفيذ هذا المخطط .. ليحقق ما عجزت الحروب الصليبية عن تحقيقه ..

قال « البوكرك » فى خطابه .. قبل الهجوم الثانى على « مالاكا » سنه ١٥١١ :

« .. الخدمة الكبرى التى سنقدمها للرب هى طرد المسلمين من هذه البلاد حتى نخمد نار هذه الطائفة المحمدية فلا تعود للظهور بعد ذلك أبدا .. ! وأنا شديد الحماس لهذه النتيجة فاذا استطعنا الوصول اليها فسيترك المسلمون الهند كلها لنا ، ان غالبية المسلمين وربما كلهم يعيشون على تجارة هذه البلاد ولقد اغتنوا وأصبحوا أصحاب ثروات ضخمة ، «ومالاكا» هى مركزهم الرئيسى .. فاذا تمكنا من حرمانهم من هذه السوق القديمة لا يبقى لهم ميناء واحد .. ليستمروا فى تجارتهم ، وأؤكد لكم أنه اذا استطعنا تخليص « مالاكا » من أيديهم فستنهار القاهرة . وبعدها تنهار مكة تلقائيا .. !

سقطت مالاكا .. فأقيم قداس الشكر ! وعندما انهارت مقاومة « مالاكا » سنة ١٥١٥ ، أقيم « قداس شكر » فى روما وجاء فى الخطبة التى ألقاها بهذه المناسبة «كامبلوتورنيوق» امام «ليو العاشر»

«ان سقوط مالاكا ستسهل استعادة القدس ! وفسر كيف أن « الصليب وصل الى أماكن بعيدة ، واتهم سلطان مالاكا بأنه مسلم ! متعصب

ويكـره المسيحيين ونـادى بحرب صليبية جديدة لاحتلال القدس ..!) ولو ربطنا بين الحوادث نجـد ان سقوط مالاكا جاء بعد قرابة عشرين عاما من خراب مملكة غرناطة المسلمة فى الأندلس .. !

وكتب « تومى بيرس » أحـد المفكـرين البرتغاليين .. الى ملك البرتغال «اما نويل» : (أن البوكرك يقاتل ضد «محمد» ومن الواضح أن قوة الرب «تساعده لان الرب» يرغب فى ترسيخ جذور المسيحية فى سائر أنحاء مملكتك ! ثم يذكر بيرس مالاكا فيقول : (وبقدر ما لملاكا من فائدة دنيوية فان لها نفس الفائدة الدينية ، فان (محمدا) محاصرا ولا يستطيع ان يتوسع بعد الآن .. بل سيهرب بأسرع ما يمكن . !)

«باب الله» يواجه التبشير البرتغالى:

لم يهـدأ المسلمون بعد سقوط مالاكا ، فأعلنوا الجهاد أمام التبشير البرتغـالى ، وكان المسلمون أحسن وضعا من البرتغاليين فى هذا المجال، فلهم رصيد سابق ولقد دعم سقوط مالاكا مركز « آنشيه » وأبرزها على بقية الامارات الاسلامية .

ومن « برونى » أطلقت صـيحة الدعوة للاسـلام فى عام ١٥٢١ وفى عام ١٥٣٩ خاض السلطان علاء الدين رباث شـاه (سلطان آنشيه) حربا على وثنى « باتاك » ، وفى عام ١٥٧٥ دمر « باب الله » سلطان « ترنيت » كل ما أنجزه المبشرون البرتغاليون وتابع ما بدأه أبوه وعبـاس هـو « أباسـو » وجعفـر « كازالو » ولا زالت هـذه الأسماء الجـديدة منتشرة بين المسلمين الى الآن ... !

... الى الجبال والغابات !

انحسر الاسلام عن القسم الشمالى من أرخبيل الفليبين، وتركز المسلمون فى جزر الجنوب حيث دافعت سلطنة « سـولو » وسلطنة « مانـدانا » عن عقيدتها أمام الغـزو الأسبانى . ولم يستطع الأسبان اقتحامها بسبب تطرفهما والأحراش الكثيفة والجبال العالية ، وقد استفاد المسلمون من

هذه الموانع الطبيعية فى صد محاولات الغزو ونجحوا فى الاحتفاظ بكيانهم فى تلك الجزر النائية !

وفى أوائل القرن العشرين أصبحت الفيلبين تحت الاحتلال الأمريكى ، الذى نجح فى السيطرة على المناطق الجنوبية المسلمة ، ثم منحت الفيلبين استقلالها عام ١٩٤٦

الغزو الكاثوليكى .. !

بدأت عملية تهجير سافرة ومنظمة من شمال الفليبين الى جنوبه فى عام ١٩٤٨ وكان هدف هذه العملية هو النفاذ الى ذلك المجتمع الذى ظل قرونا عديدة مغلقا على المسلمين وحدهم . وبالفعل أقيمت معسكرات عمل تستقبل العائلات الكاثوليكية المهجرة من الشمال . ولم تجد هذه العائلات صعوبة فى الاستقرار وسط جموع المسلمين فالأرض شاسعة وغنية والمسلمون فقراء وحسنوا النية وجهلاء لا يعرفون أساليب التحايل فضلا عن نصوص القانون وأحكامه .

وبسبب هذا الجهل فقد المسلمون أرضهم فقد كان القادمون من الشمال يسجلون الأرض بأسمائهم ، بينما لم يكن بين المسلمين من يهتم بسند ثابت يثبت ملكيته لأرضه .. وضاعت الأرض ! وفقد المسلمون آلاف الهكتارات من الأراضى الزراعية ، بل طردوا منها وظلت جموعهم تنقهر حتى سكن بعضها فى أكواخ على شاطىء المحيط !

ويقدر عدد الأسر المهجرة من الشمال سنويا بـ ٥٠٠ أسرة ،، ومع عمليات التهجير ظهر التبشير فى مجتمع الجنوب مستخدما أسلوب الترغيب والترهيب !

أين اتجهت .. التصفية الدينية ؟

ان نمو العناصر الاسلامية فى أرض « سولو » بدأ منذ أواخر القرن الثالث عشر ، أمام وصول الاسلام الى « ميناداناو » وبخاصة الى ما يسمى الآن بمقاطعة (كوتاباتو) ومقاطعتى « لاناو » فينسب الى « الشريف محمد كابونك سوان »

ويقال أنه أحد أبناء عربى حضرموت اسمه الشريف زين العابدين ، عاش فى « جوهرر » وتزوج ابنة السلطان هناك .

كان كل سكان جزيرة «ميندناو» من المسلمين ، فأصبحت نسبتهم الآن لا تتعدى ٥٠٪ من السكان ! وفى مدينة زامبوانجا كانت نسبة المسلمين ١٠٠٪ وأخـذت تهبط حتى وصلت الى ٣٠٪ .

ان منحة الفليبين .. ليست نهاية المطاف فى مسلسل التصفية الدينية .. ولا هى وقفا على الفليبين وحـدها ولكنه مخطط للقضاء على الأقليات الاسلامية .. ! فى بلاد تنتسب زورا الى المسيح عيسى ابن مريم الذى كانت رسالته رحمة ، وكان من أظهر ملامح دعوته الاخاء والمحبة .

شعر :

ياراقـد الليـل مسرورا بأوله
ان الحوادث قد يطرقن أسحارا

افنى القــرون التى كانت منعمـة
كـر الجـديدين اقبـالا وادبـارا

كم قد ابادت صروف الدهر من ملك
قـد كان فى الدهـر نفـاعا وضرارا

يا من يعانق دنيـا **لابقـاء لها**
يمسى ويصبح فى دنياه سفارا

هلا تركت من الدنيا معانقـة
حتى تعانق فى الفردوس أبكارا

ان كنت تبغى جنان الخلد تسـكنها
فينبغى لـك أن لا تأمــن النــارا

بحث فى حد القذف

للسيد المستشار جميل بسيونى

القذف الموجب للحد شرعا هو الرمى بصريح الزنا أو نفى النسب أوالولد ودليله من الكتاب : قوله تعالى :

أولا : « ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم » (سورة النور آية٢٣) .

ثانيا : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون » .

(سورة النور آية ٤) .

ثالثا : « والذين يرمون أزواجهم ولم يكن شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربعة شهادات » .

ومن السنة :

١ – عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اجتنبوا السبع الموبقات قيل وما هى يا رسول الله ... ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله الا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات العاملات المؤمنات .

٢ – عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى اللهعليه وسلم لأصحابه أى الربا أربى عند الله .. ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : أربى الربى عند الله استحلال عرض امرىء مسلم ثم قرأ « والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا » .

٣ – وقال النبى صلى الله عليه

وسلم : « أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ولن يدخلها الله جنته وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين : رواه أبو داود — وورد بالمغنى لابن قدامه : (قوله : وهو ينظر اليه يعنى يراه منه فكما حرم الله على المرأة أن تدخل على قوم من ليس منهم حرم على الرجل جحد ولده — ولا يجوز قذفها بخبر من لا يوثق بخبره — لأنه غير مأمون على الكذب عليها ولا برؤيته رجلا خارجا من عندها من غير أن يستفيض زناها — (ص ٤٧ طبعة الرياض) — والمحصن هو العفيف عن الزنا ويشمل الذكر والأنثى — مثله مثل البكر والثيب فهو يشمل الذكر والأنثى .

وثم خلاف بين الفقهاء حول الرمى باللواطة — وهل يعتبر ذلك قذفا يستوجب الحد على فاعله — ومناط الخلف فى اعتباره أو عدم اعتباره زنا ونوع حده ونورد لذلك تفصيلا : الأصل ان من تلوط قتل ، بكرا كان أو ثيبا فى احدى الروايتين والأخرى ان حكمه حكم الزانى — واجماع أهل العلم على تحريم اللواط :

• قال تعالى : « ولوطا اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون .. أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون (النمل) .

وقال تعالى : « أتأتون الذكران من العالمين ... » .

وقال صلى الله عليه وسلم « لعن الله من عمل عمل قوم لوط — لعن الله من عمل قوم لوط — لعن الله من عمل عمل قوم لوط » .

وقال صلى الله عليه وسلم «اذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان» .

وقال صلى الله عليه وسلم « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به — وفى رواية « فارجموا الأعلى والأسفل » .

وثم خلاف أيضا فى حد اللواط : فروى عن أحمد أن حده الرجم بكرا كان أو ثيبا محتجا بقول على عليه السلام اذ كان يرى الرجم ولأن الله عذب قوم لوط بالرجم فينبغى أن يعاقب من فعل فعلهم بمثل عقوبتهم .

وهذا قول ابن عباس وجابر بن زيد وربيعه ، وقول مالك واسحق وقتادة والأوزاعى ، ومحمد وأبو يوسف ، وهو المشهور من قول الشافعى ؛ ولأنه ايلاج فرج آدمى لا ملك له فيه ولا شبهة ملك فكان زنا كالايلاج فى فرج المرأة — واذا ثبت كونه زنا دخل فى عموم الآية — ولأنه فاحشة فكان زنا كالفاحشة بين الرجل والمرأة ويروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه أمر بتحريق اللوطى وهو قول ابن الزبير لما روى صفوان بن سليم عن خالد بن الوليد أنه وجد فى بعض ضواحى العرب رجلا ينكح كما تنكح المرأة فكتب الى أبى بكر فاستشار أبوبكر رضىاللهعنهالصحابة فيه فكان على أشدهم قولا فيه فقال ما فعل هذا الا أمة من الأمم واحدة وقد علمتم ما فعل الله بها — أرى أن يحرق بالنار فكتب أبو بكر الى خالد بذلك فحرقه .

ويرى أبو حنيفة — ويظاهره — آخرون منهم أهل الظاهر — أن اللواط ليس زنا — وأن اطلاق الزنا عليه من باب المجاز لا من باب الحقيقة — اذ ليس يعتبر بأحدهما عن الآخر — ولا حد عليه لأنه ليس بمحل الوطء أشبه غير الفرج ويحتجون أيضا بأنالصحابة رضوان الله عليهم اختلفوا فى عقوبة هذه الجريمة على مذاهب شتى — على ما سلف — ولو كانت من الزنا لما وقع اختلاف .

ونحن نرىالأخذ بمذهبالجمهور والصاحبين وهو المروى عن مالك ومذهب الحنابلة والمشهور منمذهب الشافعى — فى أن القذف باللواطة يستوجب اقامة حد القذف بالزنا والقول بغيره مخالف النص والاجماع — وقياس الفرج على غيره لا محل له لأن القبل والدبر كل منهما فرج — والزنا ايلاج فرج فى فرج على وجه محظور لا شبهة فيه وهو موجود فى اللواطة — وان كان الذكر ليسبمحل لوطء الذكر — (المغنى لابن قدامة المقدسى — المرجع السابق جـ ٧ ص ١٨٧وما بعدها) .

وقد استبعد القانون الليبى—هذا الرأي — عند تعيين حد القذف — اذ لم يأخذ باعتبار اللواطة زنا .

وسائل القذف :

قد يقع القـذف بالقول الصريح وكذلك بالكتابة والاشارة واضحة الدلالة ظاهرة المعنى ـ وكذلك بالصورة أو الرسم عموما ولا يشترط حضور المقذوف وقت وقوع القذف ولا المجاهرة به أى العلانية .

ويحرج بذلك القـذف بالتعريض أو الكتابة لأنه بهما محتمل والاحتمال يورث شبهة والحدود تدرأ بالشبهات

وهـذا مذهب الحنفية والظاهرية واحدى روايتى مذهب أحمد وفى الرواية الأخرى يسوى بين القذف بالكتابة والتعريض وبين القـذف بالصريح لعموم النص فى قوله تعالى « والذين يرمون المحصنات .. » .

ويرى مالك هـذا الرأى ـ قال مالك فى موطئه : لا حد عندنا الا فى نفى أو قذف أو تعريض ، يرى أن قائلة : انما أراد بذلك نفيا أو قذفا فعلى من قال ذلك الحدث ما ، قال مالك : الامر عندنا انه اذا نفى رجل رجلا من أبيه فان عليه الحـد وان كانت أم الذى نفى مملوكه فان عليه الحد (كتاب الحدود ـ الموطأ صفحة ٥١٨ طبعة دار الشعب) ويرى الشافعى ـ وهو الراجح عندنا ـ ان القاذف بالكتابة ـ يحد مع النية ـ لأن ما لا تعتبر فيه الشهادة كانت الكفاية فيه مع النية بمنزلة الصريح كالطلاق والعتاق ، وعبر الماوردى عن ذلك بقوله : ان الحد لا يجب فى القذف بالتعريض الا اذا أقر الجانى أنه أراد بما قال القذف :

شرائط المقذوف :

يشترط فى المقذوف أن يكون :

١ ـ محصنا : بعموم لفظ الآية ـ والذين يرمون المحصنات « أى عفيفا عن الزنا ـ ومعنى العفة عن الزنا عند الحنفية ألا يكون المقذوف وطىء وطئا حراما فى عمره ـ فى غير نكاح أصلا ولا فى نكاح فاسد بالاجماع والا سقطت عفته واحصانه ـ وهو ما يعبر عنه بالعفة المطلقة ـ والرأى عند مالك : أن العفة هى سلامة المقذوف من فعل الزنا قبل قـذفه وبعده ـ ومن ثبوت حده عليه ؛ لأن ثبوت الحد يستلزم فعل الزنا وهو يقول بحد قاذف من وطأ وطئا حراما

لا حد فيه (كمن وطىء امرأة ظنها زوجته) ومذهب الشافعى أن قاذف الزانى لا يحد ــ أخذا بظاهر الآية ــ ويعبر مذهب مالك والشافعى عن « العفة الفعلية » أما أحمد ــ فيرى كفاية العفة الظاهرة عن الزنا خلاف العفة المطلقة (الحنفية) والعفة الفعلية (مالك والشافعى) فمن لم يثبت عليه الزنا ببينة أو اقرار ومن لم يحد لزنا يعتبر عفيفا وان كان تائبا عن زنا أو ملاعنة ونرى الأخذ برأى الحنابلة .

٢ ــ ويشترطان يتأتى من المقذوف ما يقذف به اى ان يكون قادرا على الوطء ــ والرأى عند أبى حنيفة ومالك والشافعى أنه لا حد على قاذف المجبوب بالزنا أو الخصى للعجز عن الوطء وذلك للعلم بكذبه ــ ولأن العار منتف عن المقذوف بدون حد ــ

والرأى عند أحمد وجوب الحد لعموم نص القذف وامكان الوطء أمر خفى لا يعلمه كثير من الناس فلا ينتفى العار عند من لم يعلم بدون الحد ويضاف الى ما تقدم العقل والبلوغ والاسلام ــ ابو حنيفه والشافعى وأحمد فى أحد قوليه ــ وفى قول آخر يرى أن البلوغ ليس بشرط لأن المقذوف العاقل العفيف عن الزنا يتغير بمثل هذا القول الذى يمكن تصديقه نأشبه الكبير ــ ولكن بشرط أن يكون ممن يتأتى منه ما قدف به (ومن هذا الرأى مالك واسحق)

شرائط القاذف :

يشترط فى القاذف الشروط العامة التى تسرى فى كل الحدود ومن وجوبه أن يكون عاقلا بالغا مختارا عالما بأن ما يفعله يستوجب حدا لأن المسئولية تنتفى عن المجنون والمعتوه وذى العاهة العقلية والمكره .

والبلوغ الأصل فى معرفته هو ظهور العلامات الطبيعية الدالة عليه الا أنه بحسب وصف هذا يختلف من شخص الى آخر ولا مناص من اعتبار ضابط السن يلتزمه قاضى الحد ــ ونرى الأخذ بمذهب الامام مالك فى تحديد سن يقوم بالتقويم الهجرى ــ بحيث يعذر من لم يبلغه ــ هذا وينبغى التنويه الى أن البلوغ ــ كشرط ــ موضع اتفاق بين الفقهاء سواء كان القاذف ذكرا أم أنثى مسلما أم غير مسلم ــ حرا أم عبدا .

اثبات جريمة القذف :

١ ـ تثبت جريمة القذف الموجبة للحد بالاقرار الصادر عن البالغ العاقل طواعية بوقوع القذف بالزنا أو يفى الولد أو اللواطة بأى وسيلة تدل عليه دلالة ظاهرة ـ ويكفى الاقرار الموصوف كما تقدم ولو لمرة واحدة أمام السلطة المختصة ـ وقد انعقد اجماع الفقهاء على ذلك(مالك وأبو حنيفةوالشافعى وأهل الظاهر)٠

٢ ـ كما تثبت بشهادة رجلين عدلين ـ والشاهد العدل هو من يتجنب الكبائر ويتقى الصغائر فى الغالب أو شهادة رجل وامرأتين عند الضرورة وهو مذهب الظاهرية والأباضية « أبو اسحق الخضرى »٠

٣ ـ وينهض دليل امتناع الزوج عن اللعان ويحد حد القذف ويرى البعض أنه اقرار ـ واذا كذب الرجل نفسه بعد اللعان أيضا يحد حد القذف ٠

مسقطات الحد :

يسقط الحد باثبات القاذف صحة ما قذف به :

وهذا الاثبات بالبينة ـ ونصاب البينة هنا أربعة شهداء : قال تعالى «والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء ٠٠) وقال تعالى : «وقالو هذا افك مبين ـ لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فأذلم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون » ٠

واذا ما ثبت القذف انتقل الأمر الى المقذوف واندرج شأنه بحد الزنا ـ واجماع الفقهاء على ذلك لدلالة النص ٠

٢ ـ كما يثبت بتصديق المقذوف للقاذف لانه اقرار بمارمى به ٠

٣ ـ عدول القاذف عن اقراره الى ما قبل اعتبار الحكم نهائيا ـ وعلى هذا الرأى الجمهور عدا أبى حنيفة فانه يرى بقاء الاقرار حتى التنفيذ بوصف كونه شرط استيفاء ٠

٤ ـ العفو عند من يرى أن القذف حق للآدمى وهو مشهور مذهب أحمد والشافعى ـ ومشهور مذهب مالك أيضا اذا لم يبلغ الأمر الى الامام وأن بلغ لم يجز الا أن يريد المقذوف ستر نفسه ٠

ويرتبط بذلك التنازل عن الشكوى ـ ويغلب ابوحنيفه حق

الله على حق الفرد فى جريمة القذف ولا يجوز العفو •

٥ ــ الملاعنــة : قال تعــالى : « والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله انه لم الصادقين • والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين • ويدرأ عنهــا العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله أنه لمن الكاذبين • والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصادقين » •

فالشارع الحكيم حصن الزوج بأن أقام لعانه مقام الشهادة فى نفى الحد والفسق ورد الشهــادة عنه وقــال صلى الله عليه وسلم : « البينة والا حد فى ظهرك » فاذا تم اللعان لم يقم الحد ، وان نكل وجب عليه الحد واللعان عنــد جمهور الفقهاء ايمان مؤكدة بالشهادة وردت بهذه الصيغة للتغليظ وليس شهادات لان أحــدا لا يشهد لنفسه لما ورد فى حديث ابن عباس عن هلال بن أمية « وسبب نزول الآية » لولا الايمان لكان لى ولها شأن « وفى رواية أخرى لولا ما معى من كتاب الله لكان لى ولها شأن «ومن آثار اللعان اسقاط العقوبة الدنيــوية عن الزوجــين ــ فالزوج يسقط عنه حد القذف بلعانه والزوجة يدفع عنها العقاب بلعانها •

توبة القاذف :

قال تعالى : (الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم) ويرى مالك والشافعى وأحمد قبول توبة القاذف المحدود بالنسبة لعقوبة رد الشهادة ــ احتجاجا بالنص ــ وهو أرفق بالقــاذف ويرى أبو حنيفــة تأبيد رد الشهادة ولا أثر فى ذلــك للتوبه وأن الاستثناء الوارد بالآية لا ينسحب الى عدم قبول الشهادة وهو أنكى وأشد فى الزجو والردع

خاتمة البحث :

(١) هل الخصومة شرط لقيام دعوى القذف ؟

الأصل فى الحدود أن الخصومة ليست بشرط لأن العقوبة فيها حق الله تعالى الا أن جمهور الفقهاء على أن القذف يغلب فيه حق الآدمى اذ يمس عرضه وسمعته وهو أن شاء خاصم به وتنازل عن الخصومة وعفا ومن ذلك أحمد والشافعى ومالك ــ

ويحتجون بأن المقذوف قد يختــار الستر على نفسه كما أنه قد يملك اثبات صحة ما قذف به حتى لا يحد للقذف وقد يرى أنه لا يملك ذلك وأن فى القذف تعريض للحــد ـ وبذلك تنهض مصلحة فى دفع الضرر عنه .

وقد ورد فى المغنى لابن قدامة :

(لا يتعرض له باقامة الحد عليه ولا طلب اللعان منه حتى تطالبه زوجته بذلك فان ذلك حق لها فلا يقام من غير طلبها كسائر حقوقها ـ وليس لوليها المطالبة عنها ان كانت مجنونة أو محجورا عليها ولا لولى الصغيرة لأن هذا حق ثبت للتشفى فلا يقوم الغير فيه مقام المستحق كالقصاص).

ويرى أبو حنيفه تغليب حق الله على حق الفرد .

ونرى أنه من السياســة الشرعية فى العقاب أعمال رأى الجمهور .

(ب) حد القذف :

الجلد ثمانين جلــدة ... قــال تعالى : « فاجلدوهم ثمانين جلدة » « ورد الشهادة ... قال تعالى : «ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا» وروى الامام أحمد فى مسنده بسنده عن عائشة ـ والترمذى وأبو داود ـ والنسائى وابن ماجة ـ قالت « لمـا نزل عذرى قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن ولمـا نزل أمر برجلين وامرأة فضربوا حدهم » .

والله تعالى أعلم ...

جميل بسيونى

دين شرع للدبلوماسية اخلاقها

عن نعيم بن مسعود الأشجعى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لرسولى مسيلمة حين قرأ كتابه ما تقولان أنتما ، قال نقول كما قال ، قال أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما .. رواه أبو داود والامام أحمد رضى الله عنهما .

١٢١١

فيم يفكر الشباب

اعداد وتقديم الدكتور عبد الودود شلبى

- يسألونك عن الروح

لفضيلة الشيخ خلف السيد

- تفكير ماركسى منحرف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

- مفاهيم خاطئة عن التشريع الجنائى الاسلامى

للأستاذ المستشار على منصور

- هل فى الزواج اكراه ؟

للدكتور عبد الودود شلبى

ويسألونك عن الروح ...

تسأل الآنسة فاطمة الزهراء الطالبة بكلية التجارة ـ جامعة القاهرة ، عن حقيقة الروح ، وموقف الاسلام من ظاهرة تحضير الأرواح.

وقد أحلنا سؤالها الى فضيلة الشيخ خلف السيد الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف للاجابة عنه ، فقال فضيلته:

ان آية الاسراء : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم الا قليلا » ، تشير الى أن البعض قد سأل رسول الله ، والمشهور أن هذا البعض من أهل الكتاب ، وكانت الاجابة الحاسمة من الله عز وجل : قل الروح من أمر ربى ؛ لأن الروح من الأسرار الالهية التى اختص الله بها، ولا يطيق البشر ادراك كنهها ، وهذا من قبيل رحمة الله بعباده ، حتى لا يكلفهم فوق ما تطيقه عقولهم من البحث ، ومهما أوتوا من العلم فهو دائما قليل بالنسبة الى علم الله عز وجل ، وليس فى هذا ـ كما يقول صاحب الظلال : حجر على العقل البشرى أن يعمل ، ولكن فيه توجيها لهذا العقل أن يعمل فى حدوده وفى مجاله الذى يدركه .. والروح غيب من غيب الله ، لا يدركه سواه ، وسر من أسراره القدسية أودعه هذا المخلوق البشرى ، وعلم الانسان محدود بالقياس الى علم الله المطلق».

وهناك رأى لبعض العلماء المفسرين مؤداه أن المقصود بالروح ، هو الوحى ، وليس الشىء اللطيف الشفاف ، وعلى هذا التفسير ، نكون مطالبين بالايمان بوجود الوحى ونزوله على الأنبياء والمرسلين ولسنا مطالبين بالبحث عن حقيقة الملك ، تماما كايماننا بوجود الروح لكن لسنا مطالبين بالبحث عن مكان الروح من الجسد ، ولا عن نهج مسارها ، لأن هذا وذاك من الأسرار التى استأثر الله بها ..

أما ظاهرة تحضير الأرواح التى راجت فى أوربا وأمريكا ، وتسللت الى ديار الشرق ومنها مصر ، فما يقال بالنسبة لهذه الظاهرة : ان الانسان لا يمكنه السيطرة على الروح لتسخيرها ، لأنها من أمر الله وحده ، لكن اذا وقفت المسألة عند حد الاستكشاف بها ، فهذا يخضع للتجربة ، فمن صدقت التجربة لديه فله أن يصدق ، وليس لنا أن ننكر عليه ، كما ليس له أن يفرض ايمانه على من يشهد التجربة ، وعندما يكون الهدف من الاستكشاف عن طريق الروح ، الوصول الى الايمان بالله ، ومقاومة المادية الملحدة ، فان كل مسلم بل كل مؤمن بالله يسعده ذلك ..

خلف السيد

من ملامح هذا الدين :

دين نصب موازين الكرامة

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال خطب النبى صلى الله عليه وسلم الناس يوم فتح مكة فقال يا أيها الناس ان الله قد أذهب عنكم حمية الجاهلية وتعاظمها بآبائها . فالناس رجلان بر تقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله . والناس بنو آدم وخلق الله آدم من تراب قال الله تعالى : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى) الآية .

عن سمرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الحسب المال والكرم التقوى » . رواهما الترمذى .

تفكير ماركسى منحرف

رسالة من الأخت ألفت محمود جعفر الطالبة بكلية الاعلام ، تقول فيها :

« لقد وقع فى يدى بحث مطبوع كان مقررا من قبل على طلبة أحد المعاهد ، جاء فيه على لسان الكاتب : ان اشتراكيتنا ترفض أن يكون التكافل الاجتماعى قائما على أساس من الصدقات ، لأن فى الصدقات اذلالا لنفسية الانسان » .

وقد تولى الرد على رسالة الأخت المسلمة ، السيد الأستاذ محمد عبد الله السمان :

تدهش الطالبة المسلمة متسائلة : كيف تقرر مثل هذه الآراء المنحرفة التى تغمر الاسلام على طلبة أحد المعاهد لا سيما والكاتب يعلن انتماءه إلى الماركسية ؟ والحق أن هذا قد حدث بعدعام ١٩٦٠ حيث كانت مصر مرتعا خصبا للماركسية ، وكان للكاتب نفوذه ، وهو يومئذ أحد الوزراء ، أما هراء هذا الكاتب فهو لا ينم — فحسب — عن جهل مطبق بل عن غباء مطلق لا حدود له .

فمن البدهيات التى يجهلها الكاتب أن الاسلام لا يعتمد على الصدقات وحدها فى مسألة التكافل الاجتماعى بل جعل التكافل الركن الثالث من أركانه الخمسة . واذا كانت هذه الأركان التى يقوم عليها بناء الاسلام لها ارتباط بضمير المسلم ، ومعنى هذا الاكتفاء بظواهر الأعمال فيها ، الا أن ركن الزكاة قد انفرد دون بقية الأركان الأربعة بخاصية هيمنة الدولة عليه ، وذلك لأن الأركان الأربعة تعمل أساسا فى اطار الصلة بين العبد وربه ، أما الزكاة ، وان كانت لها هذه السمة الا أنها أيضا وثيقة الصلة بالمجتمع الذى يعيش فيه المسلم .

لذلك اعتبر الاسلام الزكاة حق المال يجبر على دفعها كل مالك للنصاب المقرر ، وتعتبر الدولة المسلمة مقصرة اذا هى فرطت فى تحصيل هذا الحق ، وكان أبو بكر رضى الله عنه على حق وبصيرة من الرأى حين سير جيشا مسلما لمحاربة المرتدين الذين أعلنوا رفضهم لدفع الزكاة ، وقالوا :

« انها أخت الجزية » .

ويجب أن نذكر أن بيت المال بشتى موارده ، يعتبر حجر الزاوية فى ضمان التكافل الاجتماعى ، بل ان الاسلام — كما يقول السيد رشيد رضا فى تفسير المنار — يجعل حال كل فرد من أفراد المتبعين له مالا لأمته كلها ، مع احترام الحيازة والملكية وحفظ حقوقها ، فهو يوجب على كل ذى مال كثير حقوقا معينة للصالح العام ، ويحث فوق ذلك على البر والاحسان ، والصدقة الدائمة ، والصدقة المؤقتة ، فالبلاد التى يعمل فيها بالاسلام ، لا يوجد فيها مضطر الى القوت والستر فقط ، سواء أكان مسلما أم غير مسلم ، لأن الاسلام يفرض على المسلمين فرضا قطعيا أن يزيلوا ضرورة كل مضطر ، كما يفرض فى أموالهم حقا آخر للفقراء والمساكين ومساعدة الغارمين ، ويرى الاسلام كل من يتيم فى تلك البلاد أن مال الأمة هو ماله ، اذا اضطر اليه يجده مذخورا له » .

هذا هو نظام الاسلام فى قضية التكافل الاجتماعى ويتقرر فيه مسئولية الدولة مسئولية كاملة عن كل فرد يعيش فى كنفها ، وهذا حق مقرر له فى عنق الدولة المسلمة ، وليس من قبيل المن أو التفضل عليه .

وهذه هى الشيوعية التى تتغنى بالاشتراكية ، فالشعوب التى تعيش فى كنفها ، أو بمعنى أدق — تعيش تحت رحمتها — هى كالأدوات المسخرة تبذل من جهدها وعرقها دون أن تنال الا الكفاف من لقمة

العيش ورقعة الثوب ، أما الأموال كلها فتساق الى خزائن الدولة ليستمتع بها قادة الحزب ومن والاهم فالطبقية قائمة على قدم وساق فى شراهة لا مثيل لها ..

وقد يقال : ان الطبقية الشرهة أيضا قائمة على قدم وساق فى بعض الدول المسلمة ، لكن يجب أن لا ننسى أن مصدر هذه الطبقية ليس الا الانحراف عن مبادىء الاسلام ، اذ ليس فى هذه المبادىء أية امتيازات لطبقة على طبقة ، فالاسلام — كما يقول المرحوم الشيخ محمد عرفه فى كتابه : الاسلام أم الشيوعية .. يبغض نظام الطبقات المتفاوتة الشديدة التفاوت ، ويرفض أن تنقسم الأمة الى قسمين : الثراء والجاه والقوة والترف فى جانب ، والفقر والضعف والحرمان فى جانب آخر .

محمد عبد الله السمان

دين المجتمع المتكافل

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (تكون ابل للشياطين وبيوت للشياطين فأما ابل الشياطين فقد رأيتها يخرج أحدكم بنجيبات معه قد أسمنها فلا يعلو بعيرا منها ويمر بأخيه قد انقطع به فلا يحمله ، وأما بيوت الشياطين فلم أرها — كان سعيد يقول لا أراها — الا هذه الأقفاص التى تستر بالديباج . رواهما أبو داود ..

دين القيادة المتجردة

عن عمرو بن الحارث رضى الله عنهما قال ما ترك النبى صلى الله عليه وسلم الا سلاحه وبغلة بيضاء وأرضا بخيبر جعلها صدقة . رواه الثلاثة والنسائى .

مفاهيم خاطئة

من مبدأ التشريع الجنائي الاسلامي

كثر الكلام فى هذه الأيام ، حول تطبيق أحكام الشريعة الغراء • وفى هذه المناسبة ورد الى المجلة رسالة من الأخ صابر البطاوى الطالب بحقوق عين شمس يسأل :

« اذا كان للنظام الجنائى الاسلامى ما يميزه على التشريعات الجنائية الوضعية ، فلماذا يبدى البعض تحفظه على أحكام التشريع الجنائى الاسلامى ؟

وقد أحالت المجلة سؤال الأخ الى السيد المستشار على على منصور ليتولى الرد عليه ، فأجاب مشكورا :

انه لمما يؤسف له ، أنه سرت الى بعض الأذهان مفاهيم خاطئة عن هذا التنظيم بسبب تأثر التشريعات الجنائية الغربية ومفاهيمهما ، وبسبب عدم الاحاطة الشاملة البصيرة بالنظام الجنائى الاسلامى لاستجلاء الدور المهم الذى تؤديه عقوبات الحدود والقصاص ••

وقد كان يكفى فى الرد على هذه المفاهيم الخاطئة ، القول بأن هذه العقوبات هى من تشريع الخالق الحكيم • والله أدرى بخلقه بما يضرهم وما ينفعهم ، الا أن لهذه العقوبات مزاياها الكبرى التى يتعين تجليتها للأذهان ، حتى تتبدد الشكوك وتنهار الأوهام ، وتتجلى حكمة الله البالغة من سن هذه العقوبات ، ولذلك كان حريا بنا أن نوضح بعض الحقائق عن هذه العقوبات :

ان جرائم الحدود والقصاص هى أخطر الجرائم ولا تشكل الا نسبة ضئيلة جدا من مختلف أنواع الجرائم ، وهى لندرتها

وخطورتها تبرر قسوة العقوبة على مرتكبيها والشارع الاسلامى لم يشرع هذه العقوبات الا لمواجهة جرائم اتسمت بالخطورة البالغة على الدولة والمجتمع والأسرة والأفراد والأموال ، ولذلك كان من الضرورى مواجهة الجرائم الخطيرة بعقوبات شديدة فعالة ، والتجربة أثبتت فاعلية عقوبات الحدود فى مواجهة الجرائم الخطيرة ، ومن الضرورة أيضا النظر الى أهوال جرائم الحدود ومضاعفاتها الخطيرة قبل النظر الى شدة العقوبة ، ثم ان عقوبات القصاص والحدود تتفادى العيوب الجسيمة التى كشفت عنها العقوبات السالبة للحرية ، وهى التى تواجه بها أكثر التنظيمات الجنائية الوضعية ، الجرائم التى واجهها الاسلام بعقوبات الحدود والقصاص . وبيان ذلك أن العقوبات البدنية تتسم فى الأغلب بأنها فورية التنفيذ ، لأنها توقع فى وقت قصير ولا تمتد مع الزمن ، وانها — وان ألحقت بالجانى ألما وقتيا شديدا — الا أنها تظل عالقة بذهنه وبذاكرته، وبنفسه بما يردعه فى الغالب الأعم عن العودة الى الاجرام أو التفكير فيه . وذلك على خلاف السجن الذى كثيرا مايعتاده المجرمون بحكم طول البقاء فيه ، فيفقد أثره الرادع ويقتل فيهم الشعور بالمسئولية ، ثم ان فورية العقوبات البدنية تتيح للمذنب أن يواصل بعد تنفيذ العقوبة عمله ، فلا تصادر عليه رزقه ورزق أولاده ، على عكس العقوبات السالبة للحرية ، فانها تعطل الجانى فترة سجنه ، وتصادر عليه رزقه ورزق أسرته ..

ومن الجدير بالاشارة اليه فى هذا المجال ، أن شريعة القصاص فى جرائم الاعتداء على النفس — شأنها فى ذلك شأن بعض أحكام الشرع الاسلامى ، قد تعرضت للتهجم من جانب البعض ، ممن درجوا على منطق القانون الوضعى — وهؤلاء منهم من لا يؤمن بدين فلا ينصرف اليه القول ، ومنهم من توهم أن

القصاص هو الانتقام من الجانى ، وهم يقولون : ان عهد الانتقام من الجانى قد ولى منذ زمن بعيد ، وأن العقوبة يجب ألا تستهدف الانتقام وانما منع المجرم من العودة الى الاجرام فتحل نظرية النفعية الاجتماعية محل الانتقام من المجرم أو يمتزج النفع الاجتماعى وارضاء العدالة فى العقوبة ، كما رأى بعض علماء القانون الجنائى الوضعى ..

وشتان ما بين شريعة القصاص وبين الانتقام ــ فالانتقام يدفع اليه الحقد ، والقصاص يدفع اليه طلب العدل ــ والانتقام يتولاه بيده المعتدى عليه أو أقرب الناس الى القتيل ، أما القصاص فيتولى أمره الحاكم ، ولايكون الا باذنه ، وأهم من ذلك أن الانتقام هو فى كثير من الأحيان أخذ بالشبهة وقضاء بالظن وتنفيذ باسراف ، أما القصاص فهو أخذ بالدليل ، وقضاء باليقين ، وتنفيذ بالعدل ، وذلك من المسلمات فى الفقه الاسلامى ، لا يحتاج الى بيان .

على منصور

دين يسلح التشريع بالعقيدة

عن انس رضى الله عنه قال كنت اسقى أبا عبيدة وابا طلحة وأبى بن كعب من فضيخ زهو وتمر فجاءهم آت فقال ان الخمر قد حرمت فقال أبو طلحة قم يا أنس فأهرقها فأهرقها . (رواه الثلاثة) .

دين ينفر من الاستبداد

عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى بيتى هذا : (اللهم من ولى من أمر أمتى شيئا فشق عليهم فاشقق عليه ومن ولى من أمر أمتى شيئا فرفق بهم فارفق به) ..

هل فى الزواج اكراه ؟

السؤال :

هل يجوز لوالد الفتاة ارغامها على الزواج من رجل لا ترغب فيه ؟

ع. م. حسن (موظفة)

الجواب :

أولا : ان الغاية من الزواج هى السكن والمودة والرحمة ، يقول الله سبحانه :

(وهو الذى خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) .

ولا يكون السكن والمودة والرحمة الا بعد ميل ورغبة ، واختيار وحرية ، وكل شىء يجوز فيه الاكراه والقسر ، ما عدا الأمور القلبية والنفسية التى لا تخضع أبدا لأية قوى خارجية .

ثانيا : ان حق الخاطب فى رؤية الفتاة التى تقدم لخطبتها جاءت به الأحاديث النبوية الصحيحة الصريحة بحيث لا تترك مجالا لمتعسف فى الرأى ، أو متزمت فى الفهم ، قطعا للاجتهادات الخاطئة ، ومنعا للتصرفات الظالمة ، وهدما للتقاليد البالية العتيقة .

روى مسلم عن أبى هريرة قال :

كنت عند النبى صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل .. فأخبرة أنه تزوج امرأة من الأنصار (أى رغب فى الزواج منها) فقال الرسول صلى الله عليه وسلم : آنظرت اليها .. ؟

قال : لا .

قال النبى : فاذهب فانظر اليها ...

وروى المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : انظر اليها فانه أحرى أن يؤدم بينكما (أى تحصل الموافقة والمحبة) ..

فأتى أبويهـا .. فأخبرهمـا بقول الرسول (ص) فكأنهما كرها ذلك ـ كما يحـدث ذلك من بعض الناس ـ فسمعت بذلك المرأة وهى فى خدرها فقالت : ان كان رسول الله أمرك ان تنظر فانظر قال المغيرة : فنظرت اليها فتزوجتها ...

وقد فصل الفقهاء هذه الاحاديث ، واختـلفوا فى بيـان الأجزاء التى يجوز للخاطب أن يراها من خطيبتـه وأعدل الآراء فى نظرنا : ان للخاطب ان يرى خطيبته فى الملابس التى تظهر بها لأخيها وأبيها ومحارمهـا . وقال بعضـهم : ان للخاطب ان يصـحب خطيبته الى بعض الامـاكن المباحـة بشرط أن يكون ذلك مع أبيها أو أحد محارمها ـ ليتعرف على عقلها وذوقها وملامح شخصيتها ، فان ذلك داخل فى مفهـوم الحـديث النبوى الذى يقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:(اذا خطب أحدكم المرأة فقدر ان ينظر منهـا بعض ما يدعـوه الى زواجها فليفعل ..)

ومن هـذه الأحاديث تعلم أنه لا يجوز للأب المسلم ان يمنع ابنته ان يراها من يريد خطبتها ـ صادقـا ـ باسم التقاليد فان الواجب ان تخضع التقاليد للشريعةلاأن تخضع الشريعة الاسلامية للتقاليد .كما لا يحل للأب ولا للخـاطب ولا للمخطـوبـة ان يتوسـعوا فى هذه الرخصـة فيلقوا الحبلعلى الغارب للفتى والفتاة باسم الخطبـة . يذهبـان الـى الملاهى والأسواق بغير حضـور أحـد من المحارم .

ان التطرف يمينا أو يسارا تأباه شريعة الاسلام والفطرة .

(من كتاب « الحلال والحرام » المرأة بين البيت والمجتمع) .

ثالثا : واذا كان الاسلام يعطى الرجل هذا الحق فى رؤية المرأة التى يريد أن يتزوجها فقد أعطى الاسلام المرأة مثل هذا الحق أيضا .. لا بد من أخذ رأيها . ولا بد من استئذانها ولا بد من موافقتها قبل الاقدام على

تجربة فاشلة تدمر نفسيتها وأسرتها ومجتمعها. فالنساء (شقائق الرجال) كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم. يقول عليه الصلاة والسلام :

(الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن واذنها صماتها ..)

وجاءت فتاة الى النبى (ص) فاخبرته أن أباها زوجها من ابن أخيه وهى له كارهة فجعل النبى صلى الله عليه وسلم الأمر اليها .. (أى الحرية فى القبول أو الرفض) فقالت : قد أجزت ما صنع أبى ولكن أردت أن أعلم النساء ان ليس للآباء من الأمر شىء ...

وكانت بريرة جارية لعتبة بن أبى لهب فزوجها رجلا ما كانت لترضاه لو كان الأمر اليها . وشكت أمرها الى عائشة رضى الله عنها .. فاشترتها عائشة وأعتقتها .

فقال لها النبى : ملكت نفسك فاختارى . . .

فتركت زوجها وكان يحبها حبا جما حتى كان يمشى خلفها ويبكى وهى تأباه . . .

فقال النبى : ألا تعجبون من شدة حبه لها وبغضها له .... ؟

ثم قال لها : انه زوجك وأبو ولدك .

فقالت : أتأمرنى ؟

فقال النبى : لا انما أنا شافع .

فقالت : لا حاجة لى اليه .. وبعد :

فالدين ليس هوى يميل به الناس حيث يريدون .. انه وحى الله الحق .. وكلمته التى لا كلمة لأحد بعدها أبدا ... ولن يشاد الدين أحد الا غلبه . فأوغلوا فيه برفق فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى ...

د. عبد الودود شلبى

● لا تحسب المجد تمرا أنت اكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

صفحات من تاريخ القاهرة

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

جزيرة الروضة

— ١٥ —

— ٣ —

المقياس ــ وفاء النيل ــ جبر الخليج:

عندما جدد عمرو بن العاصى حفر الخليج المصرى سنة ٢٣ هـ (٦٤٣ م) فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب • كان النيل يجرى غربى موقع ميدان السيدة زينب بحوالى ٣٠٠ متر تقريبا • وكان فم الخليج هناك • والآن يبعد غربا عن مجراه السابق بحوالى ١٠٠٠ متر •

والخليج المصرى من أعمال الفراعنة • فقد حفره سنوسرت الثالث من فراعنة الأسرة الثانية عشر فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد • ليصل النيل بالبحر الأحمر • وتجدد حفره عدة مرات فى عهد الفراعنة والفرس والبطالسة والرومان • ولما دخل العرب مصر جددوا حفره لتسهيل وصول المؤن من خيرات مصر الى الحجاز • ونشأت قطائع ابن طولون والقاهرة الفاطمية على جانبه الشرقى • ثم اتسعت المدينة على جانبيه • وظل داخل المدينة من معالمها الرئيسية • حتى ردمته شركة الترام فى داخل المدينة سنة ١٨٩٧ ليصير شارعا يسير فيه أحد خطوط الترام • فكأن عمر هذا الخليج ٣٨ قرنا من الزمان • ثم توسع شارع الخليج وأصبح معروفا لنا الآن باسم شارع بورسعيد •

وأنشأ عبد العزيز بن مروان أثناء ولايته على مصر (٦٥ ــ ٨٥ هـ) من قبل أخيه عبد الملك بن مروان قنطرة على الخليج عند مبدئه من

النيل عرفت باسمه . وجهل الآن موقعها على التحديد .

وكان عند هذه القنطرة منظرة السكرة من أشهر مناظر الفاطميين . وكان الخليفة الفاطمى يقصدها عند الاحتفال بجبر الخليج ووفاء النيل كما سنذكر فيما بعد باذن الله .

وجهل أيضا موضع منظرة السكرة على التحديد . ولكننا نرجح أنها كانت محل المدرسة السنية للمعلمات بجهة السيدة زينب . أو دار الهلال بشارع المبتديان (محمد عز العرب حاليا) . أو قربا منهما .

ثم تحول النيل غربا على دفعات حتى القرن السادس الهجرى (١٢م) فبعد مجراه عن فم الخليج السابق . فمد الصالح نجم الدين أيوب الخليج الى المجرى الجديد للنيل حوالى سنة ٦٤٠ هـ . والميدان هناك معروف الآن بميدان فم الخليج .

وكان اذا قرب النيل من الوفاء يوضع سد من التراب فى مجرى الخليج بالقرب من فمه — سواء الأول أو الأخير — فاذا تم الوفاء وارتفعت المياه فى النيل . أزيل هذا السد الترابى . فينساب الماء فى الخليج . وهو ما عرف بكسر السد أو جبر الخليج .

والجبر ضد الكسر . وهو تعبير الرقيق من رقة الأدب العربى . فبدلا من أن يقال كسرت ذراع يقال جبرت للتيمن والتفاؤل . أو هو من جبره أى أحسن اليه وأغناه بعد فقر . فيكون المقصود أن السد يكسر فيجبر الخليج بالنماء وجريان الماء فيه .

وكان الفاطميون يحتفلون بوفاء النيل وكسر السد احتفالا فخما يليق بهذه المناسبة الدورية الهامة فى اقتصاديات ورفاهية الدولة .

والاحتفال بوفاء النيل من أقدم الأعياد المصرية . وكان المصريون القدماء يقدسون النيل ويرفعونه الى مقام المعبودات . مثل رع وآمون وأوزوريس . ومن أوصافه عندهم: رب الرزق الوفير . واله الأرباب خالق الكائنات . المحيى . وكان اسمه حعبى أى الفيض (على هامش التاريخ المصرى القديم للمرحوم عبد القادر باشا حمزة) .

وقيل فى تفسير الآية الكريمة (موعدكم يوم الزينة) فى المباراة بين موسى عليه السلام بالمعجزات النبوية وبين سحرة فرعون أنه يوم الاحتفال بوفاء النل .

فاذا فاض النيل وعمت مياهه الأراضى تفرغ الجميع — بما فيهم فرعون والأمراء — للاحتفال . وكان على شاطئ النيل من منف الى أسوان قصور للأمراء وأعيان الدولة ينتقلون اليها فى هذه المناسبة . ويبالغون فى تهيئتها بفاخر الأثاث وتزويدها بأشهى الأطعمة لاحتمال أن يشرفهم فرعون بالنزول فيها .

وكان فرعون والأمراء يستقلون البواخر الكبيرة لرحلة طويلة فى النيل على سبيل النزهة وفرصة لتفقد أحوال الأقاليم (١) وكانت سفنهم على درجات .

فسفينة فرعون من أربع طبقات كل طبقة ارتفاعها عشرة أقدام . وكانت مذهبة من الداخل والخارج ومزينة بصور المعبودات .

وكانت سفن الأمراء وحكام المديريات ورؤساء الجيش من ثلاث طبقات كل طبقة تسعة أقدام . ولم تكن كاملة التذهيب لتختلف فى اللون والارتفاع عن سفينة فرعون .

وكانت سفن الكهنة والضباط والأعيان من طبقتين كل طبقة ثمانية أقدام ومزينة بعديد الألوان .

أما سفن الباقين فمن طبقة واحدة مدهونة بلون واحد بسيط (الخطط التوفيقية لعلى مبارك ج ١٨ ص ٣٠)

وكانت أصوات الموسيقى تتجاوب من السفن وأمواج من أفراح الناس تسير فوق أمواج مياه النيل . وكانوا يترقبون وفاء النيل فى شوق وتلهف . فوفاؤه بشير باليسر والرخاء . وتخلف الوفاء نذير بالفقر والحرمان لمدة عام كامل .

---

(١) قيل ان من أسباب بناء الهرم الأكبر امتصاص تعطل الأيدى العاملة أثناء الفيضان بايجاد عمل لهم . ويستدلون على هذا ان مدة الثلاثين عاما التى قيل ان الهرم بنى فيها تدل على ان العمل لم يكن متصلا بل كان لعدة شهور كل عام .

عروس النيل :

ولا سند تاريخى لأسطورة عروس النيل التى تحكى أن المصريين القدماء كانوا يلقون فى النيل كل عام بنتا بكرا ليتحقق الوفاء • فمن الرقى الروحى للمصريين القدماء أنهم آمنوا بخلود الروح • وأنهم لم يكونوا يعرفون القربان البشرى فى طقوسهم الدينية كباقى الديانات القديمة — ولو كانت الأسطورة صحيحة لظهرت فى أوراق البردى أو فى النقوش التى حفلت بها جدران المعابد وسجلوا فيها شتى صور الحياة الاجتماعية والتاريخية • وقد أنكر أغلب المؤرخين هذه الأسطورة •

وقد قرأت رأيا أن مصر كلها هى عروس النيل يحتضنها بين أمواجه وفيضانه مرة كل عام •

ومن أخبار المؤرخين العرب عن هذه الأسطورة أن أقباط مصر طلبوا من عمرو بن العاص القاء بنت بكر فى النيل ليتحقق الوفاء فرفض • وأرسل الى أمير المؤمنين عمر يقص عليه الخبر فأرسل اليه رقعة وأمره بالقائها أى الرقعة فى النيل • والرقعة مكتوب فيها : (من عبد الله أمير المؤمنين الى نيل مصر • أما بعد • فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر • وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك) فألقاها عمرو فى النيل • وما أصبح الصباح حتى كان النيل قد أوفى الستة عشر ذراعا • وهى علامة الوفاء • وانقطعت الأراجيف •

والمؤرخون العرب نقلوا عن بعضهم • وظاهر أنها أسطورة • أو مصادفة • فماء الفيضان لا ينبع من مجرى النيل فى يوم وليلة • بل من مياه الأمطار فوق جبال الحبشة ويستغرق وصول هذه المياه الى مصر أياما عديدة •

ولكن كان للأقباط عادة أن يلقوا فى النيل فى عيد الشهيد (٨ بشنس

= ٣ مايو) (١) تابوتا من خشب به أصبع من أصابع الموتى القدماء . ويجتمع الناس من كل الجهات فى هذا اليوم على شاطىء النيل بجهة منية السيرج (الجزء الشمالى من شبرا) . وينصبون الخيام ويسرفون فى شرب الخمر وأسباب اللهو والخلاعة .

ويرى صاحب الخطط التوفيقية أن ما ألقاه عمرو بن العاص . هو القاء أصبع الشهيد هذا وليس القاء بنت بكر فى النيل .

ونلاحظ على رأى المرحوم على باشا مبارك أن رواية المقريزى (الخطط جـ ١ ص ٥٨) وابن اياس (بدائع الزهور ص ١٣) نقلا عن ابن عبد الحكم أن الأقباط ذكروا لعمرو بن العاص أن من عادتهم القاء بنت بكر فى النيل فى ١٢ بؤونة (٦ يونية) (٢) كل عام ... الخ . وهو تاريخ آخر .

واستمر الأقباط فى الاحتفال بهذا العيد . وشاركهم المسلمون للهو والمتعة . حتى ألغاه المظفر بيبرس الجاشناكير عندما كان استادارا (٣) للناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٢هـ لما كان يجرى فيه من الهتك والعربدة ، ثم أعاده الناصر سنة ٧٣٨ هـ . ثم أبطل فى عهد الصالح صالح بن الناصر سنة ٧٥٥هـ

---

(١) الآن ٨ بشنس يوافق ١٦ مايو ، ١٢ بؤونة يوافق ١٩ يونية بفرق ١٣ يوما عن التاريخين السابقين نظرا للتعديل الجريجورى .

(٢) بيبرس الجاشناكير تولى السلطنة من ٧٠٨ — ٧٠٩ باسم المظفر ركن الدين بيبرس . والجاشناكير احدى الوظائف الهامة مركبة من كلمتين : جاشنا بمعنى الذوق وكير : بمعنى المتعاطى . وهو الذى يتصدى لتذوق الطعام أو الشراب قبل السلطان خوفا من أن يكون مسموما .

(٣) قال القلقشندى فى صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٤٧ أنها مركبة من كلمتين (استد بمعنى الأخذ ودار بمعنى ممسك) وهو الذى يتولى شؤون مال السلطان . وقالت دائرة المعارف الاسلامية أنها من أستاذ فارسية معناها الرئيس والمعلم ورب الصنعة وأن استادار لقب لعامل من أكبر عمال السلاطين المماليك . وأن العامة اختصرت لفظ أستاذ الى أستى أو أسطى بمعنى حوذى . ونقول أنه لو صح هذا فالعامة لا تقصد الحوذى فقط بل تقصد رئيس أى حرفة كالنجار وغيره .

وهدمت الكنيسة بشبرا التى كان بها أصبع الشهيد ، وأحرق الأصبع والصندوق ، وذرى رمادهما ، وبطل هذا العيد نهائيا .

واهتم المصريون القدماء بضبط مياه النيل منذ أربعين قرنا قبل الميلاد ، أى ستين قرنا من الآن (الموسوعة العربية الميسرة) ، كما اهتموا بتسجيل حركات الفيضان بانشاء مقياس نقالى يقيسون به عمق مياه النيل ، وقد وصلتنا أشكال كثيرة من هذه المقاييس ، بعضها على شكل حرف T الافرنجية ، وبعضها على شكل زهرة اللوتس بداخلها قائم من الخشب تقطعه خشبات عرضية ، وبعضها على شكل قائم فى نهايته حلقة ، ويعرف بمفتاح النيل ، وغير ذلك من الأشكال أثبت الكثير منها صاحب الخطط التوفيقية (جـ ١٨ ص ٢٠) ، وكان المقياس النقالى يحفظ فى مدينة منف .

وكان عندهم بخلاف المقاييس النقالى مقاييس ثابتة من البناء ، اما على شكل عامود قائم من البناء مقسم بعلامات عليه ، أو على شكل درجات سلم بارتفاع معين .

وقيل ان اختيار جزيرة الروضة من ضمن مواقع المقاييس الثابتة يرجع الى عهد الفراعنة .

وفى عهد البطالسة كان هناك مقياس بأرمنت ، وآخر بأسوان ، وفى عهد الرومان كان هناك مقياس بمنف وآخر بقفط ، ولما اعتنق قسطنطين الأكبر الديانة المسيحية نقل المقياس النقالى من منف الى كنيسة الاسكندرية ، وكان للرومان أيضا مقياس بقصر الشمع (حصن بابليون) وقد ذكرنا أنه كان على النيل مباشرة عند الفتح الاسلامى .

وبعد الفتح أمر عمرو بن العاص بانشاء مقياسين : أحدهما بأسوان والآخر بأرمنت .

وروى المقريزى عن القضاعى أن عمرو بن العاص كتب الى عمر ابن الخطاب يقول : (ان الاستشعار يدعو الى الاحتكار ، والاحتكار

يدعو الى غلاء الأسعار .. وأن النيل يروى أرض مصر ريا مريحا كاملا على الستة عشر ذراعا . وأن النهايتين المخوفتين للظمأ أو الاستبحار هما اثنا عشر ذراعا وثمانية عشر ذراعا (١) .

فأمره عمر بن الخطاب . بناء على مشورة على بن أبى طالب أن ينشىء مقياسا بحلوان . وأن ينقص اصبعين من الاثنى عشر ذراعا الأولى . وأن يقرها على ما بعدها على الأصل . وأن ينقص أصبعين من كل ذراع بعد الثمانية عشر . وقال القضاعى : وفى هذا الباب نظر .

والذراع ٢٤ أصبعا . فلعله يقصد أن يزيد أربع أصابع فى كل من الاثنى عشر ذراعا الأولى ليستقيم المعنى ويمنع الاستشعار . بدليل ما قاله المقريزى بعد ذلك أنه جعل الاثنى عشر ذراعا الأولى أربعة عشر ذراعا (٢) .

ونرى مع القضاعى أن فى هذا الباب نظرا فمن المستبعد أن يلجأ الصحابة الى مغالطة الرأى العام بهذه الطريقة .

وفى سنة ٨٠ هـ أنشأ عبد العزيز ابن مروان مقياسا صغيرا على النيل فى حلوان .

ثم فى سنة ٩٧ هـ بنى مقياس فى جزيرة الروضة فى خلافة سليمان بن عبد الملك الأموى وولاية عبد الملك بن رفاعة . وأصلح فى سنة ٢٣٣ فى خلافة المتوكل على الله العباسى .

---

(١) خطط المقريزى جـ ١ ص ٥٨ . وانظر كيف توصل العرب بذكائهم الفطرى الى قاعدة هامة من قواعد علم الاقتصاد وعبروا عنها بأدق العبارات واكثرها اختصارا .

والقضاعى هو القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة توفى سنة ٤٥٤ هـ وهو من أقدم من كتبوا فى خطط مصر والقاهرة . وكتابه (المختار فى الخطط والآثار) مفقود عرف بالاشارة اليه فى المقريزى وغيره من كتب التراث .

(٢) ١٢ ذراعا × ٢٨ اصبعا = ٣٣٦ اصبعا ، ١٤ ذراعا × ٢٤ اصبعا = ٣٣٦ اصبعا .

ثم حصل له تجديد شامل سنة ٢٤٧ هـ فى خلافة المتوكل المذكور • وأصبح يعرف بالمقياس الجديد• وبالمقياس الكبير • ونسب للمتوكل المذكور (١) • وصار هذا المقياس هو المعول عليه فى مقياس النيل • حتى انشاء السد العالى جنوب أسوان •

وأمر المتوكل بعزل النصارى عن المقياس • فجعل الوالى يزيد بن عبد الله التركى (٢٤٢ ــ ٢٥٣ هـ) عبد الله بن عبد السلام بن الرداد على المقياس • وظل هو ومن بعده من ذريته وآله على المقياس حتى العصر الحديث • ويعرف بيتهم ببيت المقياس •

واعتنى حكام مصر بعد هذا على ممر العصور بأمر هذا المقياس • فأصلح عدة مرات : فى دولة أحمد ابن طولون سنة ٢٥٦ هـ • وفى عهد المستنصر بالله الفاطمى سنة ٤٨٥ هـ وفى دولتى السلاطين المماليك ، وفى عهد على بك الكبير سنة ١١٨٣ هـ ثم أصلح اصلاحا كاملا فى زمن الفرنسيين • كما اعتنى به فى عهد أسرة محمد على •

والمقياس فى الطرف الجنوبى لجزيرة الروضة • وقد وضعه على باشا مبارك وضعا كاملا كما كتب عنه المرحوم يوسف أحمد مفتش الآثار بوزارة الأوقاف (الخطط التوفيقية جـ ١٨ ص ٢٠) محاضرات أثرية ليوسف أحمد •

وبانشاء السد العالى عند أسوان انتهت أهمية المقياس وأصبح لا قيمة له الا من الناحية الأثرية التاريخية •

الاحتفال بوفاء النيل فى عهد الفاطميين :

كان ابن الرداد قاضى المقياس عند بدء موعد الفيضان يسجل علامات المقياس يوميا • ويطلع عليها الخليفة سرا أولا بأول • وعندما يقارب النيل الوفاء • أى قبل الذراع

(١) يوجد بالروضة شارع ضيق لا يزيد عرضه عن ثلاثة أمتار يصل بين شارعى المماليك البحرية والمختار اسمه شارع الخليفة المتوكل على الله. والاسم التاريخى جدير بمكان أكثر رحابة وأهمية .

السادس عشر بأصابع . يأمر الخليفة بالمبيت فى المقياس ــ أى مقياس الروضة . وترسل فى القصر الأطعمة الوفيرة الى هناك . فيذهب قراء الحضرة ــ أى الخاصون بقصور الخليفة . وشيوخ الجوامع الكبرى وغيرهم . ويوقدون الشموع الكثيرة فى المقياس والجامع بجواره . طول الليل . ويتلون القرآن برفق . ويطربون مكان التطريب . ويختمون الختمة الشريفة .

فاذا أصبح الصباح . وحضرت البشرى بالوفاء . يخرج الخليفة من القصر الشرقى الكبير من القاهرة الفاطمية فى موكب فاخر الى باب زويلة بالشارع الأعظم (المعز لدين الله) حتى الصليبية فينحرف بالجسر الأعظم الفاصل بين بركتى الفيل وقارون (موقعه الآن شارع عبد المجيد حاليا أو مراسينا سابقا عند ميدان السيدة زينب) متجها الى منازل العز بالفسطاط . فيركب فى سفينة خاصة . يوضع له فيها بيت خاص مثمن الجوانب من عاج وأبنوس . عرض كل جانب ثلاثة أذرع . وعندما تضم الجوانب الثمانية يصير مكانا دوره أربعة وعشرون ذراعا . وعليه قبة من خشب دقيق الصنعة ملبسة بصفائح الذهب والفضة . ويجلس الخليفة فى هذا البيت وحده .

وينتقل الخليفة وحاشيته الى المقياس بجزيرة الروضة . فيصلى هو والوزير ركعات ثم يحضر اليه اناء فيه المسك والزعفران . فيديفهما (بالفاء) بماء الورد بآلة فى الاناء . ثم يتناوله ابن الرداد . فينزل حوض المقياس متعلقا بالعمود محتضنا له برجليه ويده اليسرى . ويخلق العمود بيده الأخرى بعجين المسك والزعفران .

وبعد هذا اما أن يعود الخليفة بالطريق الذى حضر منه . أو يركب العشارى (نوع من البواخر) الى القس ومنها الى القاهرة من باب القنطرة (كان بالقرب من مسجد

الشعرانى بباب الشعرية فى السور الغربى للقاهرة الفاطمية) .

وفى اليوم التالى يتوجه ابن الرداد الى القصر مبشرا بوفاء النيل . فيجد فى انتظاره خلعة مذهبة يأمر بلبسها . وتصرف له البشارة من نقود وخلع له ولأهله . حمولة عدة بغال . ويعود الى المقياس مخترقا القاهرة الفاطمية ومارا بالفسطاط . تتقدمه البغال محملة بخلع الخليفة وهداياه . والطبول تدق أمامه لاعلان الوفاء .

وفى هذه المناسبة كانت تصرف أيضا الخلع والهدايا لجميع رؤساء الدولة . كل على قدر منزلته .

ويبدأ الاستعداد لفتح الخليج أو كما كان يقال جبر الخليج .

جبر الخليج ومنظرة السكرة :

فتنصب الخيام على الشاطىء الغربى للخليج وأمام قنطرة السكرة بالقرب من قنطرة عبد العزيز بن مروان السابق ذكرها . وكان السد عندها أيام الفاطميين . وقد ذكرنا أننا نرجح أن موقع القنطرة والسكرة كان قريبا من الموقع الحالى لدار الهلال بشارع المبتديان .

ومنظرة السكرة أنشأها العزيز بالله بن المعز لدين الله . وقال عنها المقريزى (الخطط جـ ١ ص ٤٧٠) أنها من جنان الدنيا المزخرفة . ووصفها ووصف تهيئة المقصورة الخاصة بالخليفة برسم راحته وتغيير ثيابه فقال : (وقد وقعت المبالغة فى تعليقها وفرشها وتعبئتها . وقدم بين يديه صوانى الذهب التى وقع التناهى فيها من همم الجهات من أشكال الصور الآدمية والوحشية . من الفيلة والزرافات ونحوها . المعمولة من الذهب والفضة والعنبر والمرسين (؟) المشدود والمظفور عليها المكلل باللؤلؤ والياقوت والزبرجد من الصور الوحشية ما يشبه الفيلة جميعها عنبر معجون كخلقة الفيل . ونابان فضة . وعيناه جوهرتان كبيرتان . فى كل منهما مسمار ذهب مجرى سواده . وعليه (أى الفيل) سرير منجور من عود بمتكآت فضة وذهب وعليه عدة من الرجال ركبان عليهم اللبوس

تشبه الزرديات . وعلى رؤوسهم الخوذ وبأيديهم السيوف المجردة والدرق . وجميع ذلك فضة . ثم صور السباع منجورة من عود . وعيناه ياقوتتان حمراوان . وهو على فريسته . وبقية الوحوش . وأصناف تشد من المرسين المكلل باللؤلؤ تشبه الفاكهة .. الخ) .

ومن الخيام كانت خيمة كبيرة للخليفة تسمى القاتول مساحتها فدانان وارتفاع عمودها سبعون ذراعا . وكانت لا تنصب الا بمعرفة المهندسين . وسميت القاتول لأنه عند ما نصبت أول مرة قتل بسبب ارتفاعها عاملان .

وينتقل الخليفة وحاشيته فى موكب حافل . وقد هيئت للخليفة من دار الطراز بدلتان من ذهب وحرير . احداهما لموكب الذهاب والأخرى لموكب العودة . كما تهيأ الخلع الخاصة برؤساء الدولة . ويتقدم موكب الخليفة أربعون نافخا للأبواق على الخيول . والأبواق من ذهب وفضة . ويتبعهم راجلون بأبواق من نحاس . ويشق الموكب القاهرة الفاطمية ثم يسير حتى يصل الى قنطرة ابن مروان . فيعبرها الى الخيام غربى الخليج وأمام منظرة السكرة .

فيجلس الخليفة فى المكان المخصص له بالقاتول . ويلزم كل فرد مكانه اما جالسا أو واقفا حسب منزلته . ويقرأ القرآن . ثم يؤذن بالكلام للخطباء والشعراء . ويكافأ من يحسن منهم . ثم تمد الأسمطة . وتكون الأطعمة العديدة الأصناف الشهية الأوصاف . قد حملت من القصر . وتقدم الموائد للجميع . يأكلون . ويحملون ما تيسر لهم من أصناف الأطعمة على سبيل الشرف والبركة .

وبعد ذلك يدخل الخليفة للراحة فى منظرة السكرة . وتكون قد هيئت له كما ذكرنا . ثم يطل الخليفة منها . ويشير بفتح الخليج . فيكسر السد وينساب الماء فى الخليج .

ويعـود الخليفة بموكبه وسـط المـزارع والبسـاتين بالبر الغربى للخليج • وكان ما بين الخليج والنيل فى ذاك الوقت قليل عرض • حتى يصل الموكب الى بستان الدكة (١) بجوار بسـتان المقس • وكانـت هنـاك الميناء النهرية للقاهرة كمـا ذكرنا • وكانت للخليفة فى بسـتان الدكة منظرة أيضـا • مثل منظـرة بستان المقس•فيدخل الخليفة بستان الدكة وقد أغلقت أبوابه ودهاليزه • ويدخل الخليفة بمفـرده • ويسقى فرسه فى البستان • وقال المقريزى ولم يعلم سبب هذا التصرف •

وأقـول : لا غموض ولا ألغاز • فلعله لاحتمال حاجـة طبيعية من حاجات البشر بعد ساعات طويلة فى الاحتفال •

ويخرج الخليفة من البستان ويعود بموكبه الى القاهرة من باب القنطرة•

وقد أسهب المقريزى فى وصـف الاحتفال بوفاء النيل وفتح الخليج • فذكر تفصيلا ما يلبسـه الخليفة • وما يخلعه على الأمراء وأعيان الدولة وقـاضى المقياس • وما يقـدم من الأطعمة • كذلك تشكيل المـوكب وخط سيره • والتحركات المرسومة بكل دقة لكل فرد • مما نعبر عنـه الآن بقواعد البروتوكـول • حتى يخيل للمرء أنه فى عرض سـينمائى فخم • ورائع بالألوان • لا أمـام حقائق مدعمة بالتواريخ والأرقام(٢)

وكان عمال الجهات يبلغون بوفاء النيل • بخطابات بليغة حافلة بحمد الله على ما أنعم على أمته من خـير ورخاء •

---

(١) بستان الدكة كان بين شارعى الجمهورية وعماد الدين . واسـم قنطرة الدكة باق للآن . وكانت القنطرة على خليج الذكر الذى كان يصب فى بركة المقسى أو بركة بطن البقرة التى أصبح جزء منها بركة الأزبكيـة . والذكر كان أحد أمراء الظاهر بيبرس كان له نصيب فى تجديد حفره . وسميت القنطرة بهـذا الاسم لأنه كان هناك دكة يجلس عليها المتنزهون .

(٢) الفقرة السابقة عن جبر الخليج ومنظرة السكرة سبق نشر بعضها فى مجلة الأزهر (ربيع الآخر سنة ١٣٩٥ هـ) عند الكلام على حى المنيرة ورأيت اعادتها هنا لاستكمال الصورة ولعدم اضطرار القـارىء للبحث عما سـبق نشره .

وذكرنا أن النيل عند ماتحول غربا مد الصالح نجم الدين أيوب الخليج الى المجرى الجديد للنيل وأنشأ حوالى سنة ٦٤٠ هـ بالقرب من نهاية الامتداد الجديد قنطرة كان يعمل عندها الاحتفال بوفاء النيل وجبر الخليج .

بعد الفاطميين :

وأهملت قنطرة عبد العزيز بن مروان ومنظرة السكرة حتى اندثرتا وعرفت قنطرة الصالح أيوب باسم قنطرة السد . وظلت بهذا الاسم حتى زالت مع الخليج سنة ١٣١٦ هـ (١٨٩٨ م) .

واستمر الاحتفال بوفاء النيل وفتح الخليج بعد الفاطميين . ولكن لم يصل فى رونقه وبهائه الى ما كان يعمل أيام الفاطميين .

وكان الاحتفال يختلف عظمة وأبهة باختلاف السلاطين واستقرار الحالة السياسية . ومجمل ما كان يعمل فى زمن الأيوبيين والسلاطين المماليك أن يخرج السلطان بموكبه من القلعة الى ساحل الفسطاط فيركب الباخرة الخاصة المسماة بالعقبة الى المقياس بالروضة . ويكون النهر مليئا ببواخر الامراء والكبراء والأعيان وعامة الناس . فيخلق المقياس فى حضرته بالمسك والعنبر المعجونين فى ماء الورد ثم يعود بالباخرة حتى فم الخليج . فيأمر بفتحه فيزال السد فى أقرب وقت . ويعود بموكبه على الخيول حتى قناطر السباع (ميدان السيدة زينب) ثم يتجه بموكبه الى الصليبة ثم الى القلعة . وقد ازدحمت الطرقات بالجماهير . فينثر عليهم نقود الذهب والفضة يمينا وشمالا .

وفى زمن العثمانيين كان الوالى والصناجق (أمراء المماليك وكان عددهم ٢٤ فى أغلب الأحيان) وقاضى العسكر وكبراء الدولة . يذهبون الى المقياس . عندما يقارب النيل الوفاء . ويمكثون هناك قبل الوفاء أياما فى لهو ومتعة . من مأكل ومشرب وطرب . حتى يتم الوفاء . ثم يعود الوالى ومن معه الى الخليج فيأمر بفتحه ويعود الى القلعة .

وكان الشعب يشارك فى هذه الاحتفالات بالتجمع والتبهرج واظهار الفرح والزينة .

واحتفل الفرنسيـون بوفاء النيل وفتح الخليج فى الثلاث سنوات مدة اقامتهم بمصر • وقـد ذكرنا أنهـم قاموا بعمارة المقياس • ولم يشارك الشعب الفرنسيين فى هذه الاحتفالات فلم يشترك فيها غير الموظفين الرسميين وقـلة من الأقبـاط الـذين لاذوا بالفرنسيين •

وفى عهد أسرة محمد على أخـذ الاحتفال فضلا عن الطابع الرسمى شكلا شعبيا • فكانت محافظة القاهرة تعلن عن الوفاء بتكليف شيخ المنادين بأن يجمع الأولاد يدورون فى الحارات والأزقـة وبأيديهى الرايات الملونـة بعديد الألوان • ويردد بعضهم: البحر زاد • وغرق البلاد • ويجيبهم الآخرون أوفى الله • وتتوجه السفينة الرسمية العقبة وسفن أخرى • عامة وخاصة • الى فم الخليج • ويكون قد هيـأه العمال من الليلة السابقة برفع أغلب تراب السد • فيفتح الخليج • ويقام سرادق بالقرب من فم الخليج تعمل بـه حفلة ساهرة بالغناء والطـرب على حساب الدولة • وتوزع بطاقات الـدعوة على الكبراء والأعيان •

وقد ذكرت جريدة الأهرام • فى ١٧ سبتمبر سنة ١٨٩٢ مايأتى : كان مهرجان جبر الخليج مساء أمس قرة لعيون المصريين • ومسرة لخواطرهم التى ألفت عادة هذه الحفلة • وتتوسم فيها الخير للعام كله • فلم تكن الساعة الثامنة حتى أخذ المدعوون يتوافدون على السرادقات البديعة التى أعدت كالمـألوف على دكة فم الخليج من الحرير الملون المعلقة فيها المصـابيح والثريات البـاهرة وكانت المراكب فى البحر غاصـة بالجماهير •

ولمـا ردم الخليج سنة ١٨٩٨ لم لم يبق الا الاحتفال بوفاء النيل فى النصـف الثانى من أغسـطس كل عـام •

وفى أثناء الـحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ــ ١٩١٨) ألغيت الحفـلة الساهرة • ثم أعيدت سنة ١٩١٨ • ثم ألغيت لانـدلاع الثورة المصرية سنة ١٩١٩ •

واستمر الاحتفال بوفاء الفيل مع التهوين من شأنه تدريجيا • واكتفى بالمهرجان النيلى •

وكان هذا طبيعيا نتيجة لزيادة التحكم فى مياه النيل بانشاء خزان أسوان ثم السد العالى أخيرا .

واقتصر الأمر على عطلة رسمية يوم الوفاء لمصالح الحكومة بالقاهرة فقط مع مهرجان نيلى تمر فيه الباخرة العقبة مزينة . واثبات الحجة الشرعية بوفاء النيل بمحافظة القاهرة

وقد ذكرت الأهرام فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٦٦ : تمت أمس كتابة الحجة الشرعية لوفاء النيل بديوان محافظة القاهرة . وقد أقيم حفل بهذه المناسبة . حضره الشيخ احمد حسن هريدى مفتى الديار المصرية . ومندوب بطريركية الأقباط الأورثوذكس والدكتور فؤاد الخورى مندوبا عن وزارة الرى . كما حضره وكلاء الوزارة ومديرو العموم ورؤساء الأحياء بالمحافظة . اهـ .

وفى سنة ١٩٦٧ ألغيت العطلة الرسمية والمهرجان النيلى بسبب اعتداء اسرائيل فى ٥ يونية سنة ١٩٦٧ على الأراضى العربية باحتلال سيناء من أرض مصر وغربى الأردن وغزة من فلسطين ومرتفعات الجولان من سوريا . واكتفى بكتابة الحجة الشرعية بوفاء النيل فى ٢٦/٨/١٩٦٧

وفى ٣١/٨/١٩٧١ ذكرت الأهرام (احتفل أمس فى القاهرة بوفاء النيل وصدق الشيخ محمد خاطر مفتى الجمهورية على الحجة الشرعية . التى أثبتت وفاء النيل . وقد سجلت الحجة قيام دولة اتحاد الجمهوريات العربية (مصر وسوريا وليبيا) للعمل على عزة الأمة العربية وسيادتها) .

وفى ٢١/٨/١٩٧٢ أخذ الاحتفال بوفاء النيل مظهرا آخر . ففضلا عن اثبات الحجة الشرعية فقد أقامت محافظة القاهرة . مهرجانا بدأ من أمام فندق هيلتون . من شعبتين : الأولى برية من الخيالة والموسيقى و ١٠٠ فرد من المشتركين فى أوبريت (موال من مصر) بزيهم الفرعونى بجانب موكب الزهور . والشعبة الثانية نيلية من اللنشات والمراكب الشراعية .

وقال السيد / ابراهيم بغدادى محافظ القاهرة وقتذاك بضرورة المحافظة على هذا الاحتفال فهو جزء من تاريخ مصر . احتفل به آلاف السنين . وهو من مظاهر الشكر لله على نعمة وجود النيل واهب مصر الحياة . كما أنه جزء من خطة استغلال النهر كمصدر من مصادر السياحة . فالقاهرة تزخر الآن بأعداد كبيرة من السياح العرب والأجانب الذين أتيحت لهم فرصة الاستمتاع بمشاهدة هذا المهرجان والمشاركة فى طقوسه على صفحات النيل .

واذا كانت مظاهر الاحتفال بوفاء النيل قد ضعفت . فلا يزال النيل على عهده حافظا لوفائه . يغدق على مصر خيره وفيضانه كل عام . ولكن بدلا من تدفق مياه الفيضان الى البحر . فانها تحتجز الآن أمام السد العالى جنوبى أسوان رصيدا ضخما لتنظيم الرى والتوسع الزراعى برى الوادى الجديد وغربى البحر اليوسفى بمصر الوسطى ومديرية التحرير ومحافظة سيناء وغيرها من أراضى الصحراء فتحيلها جنة خضراء .

محمد كمال السيد محمد

وصية اعرابى لاخيه :

اثر بعملك معادك ، ولا تدع لشهوتك رشادك ، وليكن عقلك وزيرك الذى يدعوك الى الهدى ، ويعصمك من الردى ، والجم هواك عن الفواحش ، وأطلقه فى المكارم فانك تبر بذلك سلفك وتشيد شرفك ، وابذل الصداقة تستفد أخوانا ، وتتخذ أعوانا فان العداوة موجودة عقيدة ، والصداقة متعذرة بعيدة ، وجنب كرامتك اللئام ، فانك أن احسنت اليهم لم يشكروا ، وان نزلت شديدة لم يصبروا .

الشريعة الإسلامية والقانون الإنجليزى

للأستاذ حسن حسب الله

— ١٠ —

تكلمنا فى العدد السابق عن نظام الملكية فى الشريعة الاسلامية وتتكلم فى هذا العدد عن نظام الملكية فى القانون الانجليزى .

نشأ النظام الاقطاعى فى انجلترا على نمط يخالف تمام الاختلاف النظام الاقطاعى فى باقى دول أوروبا وكان لذلك أثره الكبير على نظام الملكية وتطويره فى القانون الانجليزى فبينما كان أمراء الاقطاع فى باقى دول أوروبا يعتبرون فى درجة تقارب الملوك من ناحية استقلالهم باقطاعياتهم وتكوينهم جيوشا خاصة بهم ومحاكم يحاكمون فيها كل من يعيش فى اقطاعياتهم وتحكمهم فى الفلاحين تحكما كاملا حتى كان يطلق عليهم « رقيق الأرض » .

نجد أن نظام الاقطاع الذى نشأ فى انجلترا عقب الغزو النورماندى لانجلترا سنة ١٠٦٦ يختلف تمام الاختلاف عن ذلك النظام فقد اعتبرت جميع العقارات ملكا للملك وأمراء الاقطاع مجرد حائزين لاقطاعياتهم ، لهم الانتفاع بها مقابل الخدمات التى يفرضها عليهم الملك وهم بدورهم يصرحون لغيرهم بحيازة أجزاء من هذه الاقطاعيات نظير فرض خدمات معينة على المنتفعين بها ولذلك نشأ نظام يشبه التأجير الى حد ما أما ملكية الأرض فقد ظلت دائما للملك وكل حق على الأرض مصدره الارادة الملكية كما قام النورمانديون سنة ١٠٨٦ بحصر الأراضى الزراعية والمبانى بعد توزيعها الجديد وقيدها فى سجل خاص Domesday Book

يحتوى على جميع البيانات المتعلقة بخمس عشرة ألف اقطاعية ومائتى ألف منزل فى ذلك التاريخ .

ومنذ الغزو النورماندى حتى سنة ١٥٨٣ لم يكن هناك ملاك لأراضى انجلترا وانما مجرد حائزين يستمدون حقهم فى الحيازة من الملك ومن أمراء الاقطاع نظير ما يفرض عليهم من خدمات .

وبعد أن أصبحت الأرض فى ملكية أمراء الاقطاع ظلت الأرض المصدر الأساسى للثروة والقوة ولذلك حرصت الأسر الانجليزية على ابقاء أراضيها بقدر الامكان فى حوزة أفرادها فوضعت قيودا صارمة واجراءات معقدة سواء بالنسبة لنقل الملكية أو الانتفاع بالأرض المملوكة فكان نقل ملكية الأرض عملية صعبة جدا وشاع استعمال الوصايا للاحتفاظ بالأرض داخل الأسرة وذلك بعد أن قضى على نظام الاقطاع تماما فى العصور الوسطى ومع بدء القرن الخامس عشر بدأت تنهر أهمية التجارة فى حياة الانجليز وتأخذ اهتماما موازيا للاهتمام بالأرض كمصدر للثروة حيث بدأ كبار ملاك الأراضى فى امتلاك آلاف من قطعان الماشية والانتفاع بأصوافها ببيعها لدول أوربا بعد غزلها وبذلك بدأت أهمية التجارة الدولية فى انجلترا كذلك بدأ اكتشاف الفحم والحديد بالأرض وكان نظام ملكية الأرض من أكبر معوقات استغلال هذه المناجم لذلك اضطر البرلمان لاصدار عدة قوانين تنظم الملكية سواء بالنسبة للعقارات أو المنقولات والبضائع وقد أدخلت عدة تعديلات على هذه القوانين والذى يهمنا هو التعديلات الأخيرة المعمول بها حاليا وهذه القوانين هى :

١ ـ قانون بيع البضائع والمنقولات المحلية الصادر سنة ١٨٩٣
The sale of Goods Act, 1893

٢ ـ قانون الملكية سنة ١٩٢٥
Law of Property Act, 1925

٣ ـ قانون تسجيل الأعباء المفروضة على الأراضى سنة ١٩٢٥
Land charges Act, 1925

٤ ـ قانون تسجيل الأراضى سنة ١٩٢٥
Land Registration Act, 1925

٥ ــ قانون التأجير بقصد الشراء سنة ١٩٦٥

Nire purchase Act, 1965

٦ ــ قانون البيوع الدولية سنة ١٩٦٧ Uniform Laws on International

وطبقا للقوانين المذكورة فان نظام الملكية فى القانون الانجليزى يتميز بالخصائص التالية :

أولا : لا تقتصر الأشياء القابلة للتمليك فى القانون الانجليزى على الأشياء الحسية فقط physical, corporeal وانما تشمل أيضا الأشياء المعنوية ــ non - physical, incorporeal كحقوق الاختراع والديون وغيرها

ثانيا ــ لا يأخذ القانون الانجليزى بالتقسيم السائد فى القوانين الوضعية الى عقارات ومنقولات وانما يأخذ بالتقسيم التالى :

١ ــ ملكية الأرض (وتشمل ما عليها من مبان) Real Property

٢ ــ ملكية كل ما عدا الأرض ويطلق عليها Personal Property

وهذا القسم الثانى ينقسم الى فرعين :

(ا) جميع الحقوق المقررة على العقارات (فيما عدا حق الملكية التامة) كحق الايجار مثلا ويطلق عليها Real chattles

(ب) كل ما عدا الأرض والحقوق المقررة على العقارات وذلك كالأشياء والأمتعة وغيرها مما يعتبر منقولا فى سائر القوانين الوضعية ويطلق عليها Personal Chattles

وهذا الفرع الأخير ينقسم بدوره الى قسمين :

القسم الأول : ويشمل الأشياء المعنوية أى غير الحسية مثل الديون والحقوق المتنازع عليها والحق فى التعويض والشيكات وحقوق الاختراع وغيرها من الأموال التى لا يمكن لمسها كمادة وانما يمكن

رفع دعوى action بشأنها ولذلك يطلق على هذا القسم •

Choses in action

والقسم الثانى : يشمل الأشياء المادية أو الحسية مثل الأمتعة الشخصية والنقود وسائر الأموال المنقولة متى تمت حيازتها فعليا ويطلق على هذا القسم

Choses in possession

ويأخذ القانون الانجليزى بالتقسيم المعروف للملكية سواء فى الشريعة الاسلامية أو القوانين الوضعية الى ملكية تامة وملكية ناقصة •

ففى حالة الملكية التامة (ملكية ذات الشىء ومنفعته) فان المالك يكون له حق استعمال الشىء والتمتع به واتلافه والتصرف فيه للآخرين سواء بالبيع أو الهبة أو الوصية أو غير ذلك من التصرفات مع ملاحظة أنه بالنسبة لاستغلال ما فى باطن الأرض من فحم وحديد وبترول وسائر المعادن فان هذا الحق يحرم منه مالك الأرض فى انجلترا وينقل الحق فى هذا الاستغلال الى الدولة بحكم القانون ولا يمكن لمالك الأرض الاحتفاظ بها أو استغلال ما فى باطنها بنفسه وتعوضه الدولة عن ذلك تعويضا عادلا وهذا المبدأ يتفق تماما مع آراء بعض الفقهاء المسلمين من اعتبار ما فى باطن الأرض من معادن وخلافه ملكا خالصا للدولة لأن الأرض لا تطلب لهذا الغرض على أساس أن الأرض تطلب اما لزراعتها أو للبناء عليها فقط •

أما بالنسبة للملكية المنفعة فان نطاقها يتحدد حسب ما هو مشروط فى الاتفاق أو المصدر الذى آلت بموجبه المنفعة لصاحب الحق فيها •

ثالثا ـ ان وسائل نقل الملكية هى : البيع والهبة والوصية والميراث والاستيلاء على الأموال المباحة ونتاج الأموال الأصلية (مثل تكاثر الحيوانات) accession

ونزع الملكية للمنفعة العامة فتصبح الدولة مالكة بحكم القانون ونزع الملكية وارسائها على الغير بحكم قضائى وصنع شىء من أول الأمر كالرسام الذى يقوم برسم لوحة معينة فمصدر ملكيته لها هو صنعه

اياها وتختلف أحكام بيع الأرض عن غيرها من الأموال أو المنقولات .

فعقد بيع الأرض عقد شكلى a formal contract فيشترط القانون صياغته بشكل محدد والا كان باطلا وعديم الأثر وطبقا لأحكام المادة ٤٠ من قانون الملكية الصادر سنة ١٩٢٥ يشترط فى عقود بيع الأراضى أن تكون مكتوبة وأن تتضمن اتفاق الطرفين على البيع ووصف لأطراف العقد ووصف للعقار المبيع وقيمة الثمن المتفق عليه وتوقيع طرفى العقد أو من يمثلهما قانونا . ويجب أن يثبت البائع صحة ملكيته عن فترة الخمسة عشر عاما السابقة على البيع وأن يستخرج على نفقته الأوراق والمستندات اللازمة لذلك . ولتوفير الضمانات للمشترين أنشأت الحكومة سجلين عقاريين الأول سجل الأراضى Land Registry وهو يضم عددا من رجال القانون ووظيفتهم التحقق من صحة التصرفات المتعلقة بالأرض وبعد ذلك اجراء قيد المالك الجديد بالسجل المذكور ومتى تم هذا القيد أصبح هذا القيد نهائيا ومضمونا من الدولة فلا يستطيع أحد الاحتجاج بخطأ هذا القيد أو مغايرته للحقيقة لمنازعة المشترى من صاحب هذا القيد ولا يقتصر القيد فى هذا السجل على البيع فقط وانما يمتد أيضا الى الايجار متى كانت مدته أربعين عاما والقيد بهذا السجل اجبارى وفى حالة ما اذا كان هناك شك فى صحة الملكية يقيد المالك على أنه مجرد حائز للأرض فقط الى أن يزول كل شك فى ملكيته a possessary title only

ويمنح هذا السجل شهادة بالملكية a land certificate تحل محل جميع عقود ومستندات الملكية .

أما السجل الثانى فهو سجل خاص باثبات جميع الأعباء المحملة بها الأرض كحقوق الارتفاق والرهون والديون والحجوز والطلبات المقدمة من مشترين سابقين وغيرها ويمكن لأى مشترى الرجوع الى هذا السجل للتعرف على حقيقة الوضع بالنسبة للأرض التى يرغب فى شرائها .

ويعتبر القيد فى هــذا الســجل بمثابة اعلام أو اخطار من البـائع الى المشترى بكل هذه الأعباء سواء علمها المشترى حقيقة أم لم يعلمهـا فاذا كان على الأرض المبيعة عبء من الأعباء ولكنه غير مسجل ويعـلم به المشترى فان البـائع لا يمكنـه الاحتجاج على المشترى بهذا العلم ويظل البـائع مسـئولا عنه أمام المشترى لأنه لم يسجله ، ومسئولية البحث فى هذا السـجل تقـع على المشترى لأنه صاحب المصلحة فى ذلك كما يعتبر القيد فى هذا السجل ضمانا لأصحاب الحقوق المقيدة به فان لم يقيد أصحاب هذه الحقوق حقوقهم بهذا السجل وتم البيـع فلا يعتبر المشترى مسئولا أمامهم عنها حتى ولو كانت ديونا حـكومية فمثـلا يتحمل أصحاب العقارات فى انجلترا بتكاليف المشروعات الجديـدة التى تستفيد منها عقاراتهم كتوسيع الطرق مثلا فاذا لم تقيد السلطات الحكومية قيمة حصة العقار فى مقابل التحسين بالسجل المذكـور وتم البيـع فان المـالك الجديد لا يكون مسئولا عن سـداده للسلطات الحـكومية ولا تملك مطالبته به وانما ترجع على البائع وحده .

أما بالنسبة للمنقولات والبضائع فان القاعدة الأساسية أنه لا يمكن نقل ملكيتها الا بواسـطة المـالك الحقيقى لها أو ممثله القانونى وهذا الحكم ينفرد به كـلا من القـانون الانجليزى والشريعة الاسلامية عن جميع الشرائع والقوانين الوضعية .

فالقوانين الوضعية لا تجيـز استرداد المسروقات من مشتريهـا حسن النية وتسليمها لمالكها الأصلى الا اذا تم ذلك فى خلال مدة معينة من تاريخ السرقة (أغلب التشريعات تحدد هذه المدة بثلاث سنوات فقط) وبشرط أن يدفع المـالك للمشترى حسن النية قيمـة ما دفعـه الأخير للسـارق أو غيره . أما القـانون الانجليزى فلا يأخذ بمثـل هـذا الوضع اطلاقا فلو أن سيارة مثـلا سرقت وتم تداولها بالبيع بين عشرات المشترين حسنى النية لعشرات السنين ثم ظهر بعد ذلك مالكها الأصلى الذى سرقت منه فانه يستطيع استردادها من حائزها الأخير دون أن يدفع له أى مبلغ .

ويرد على قاعدة عدم امكان نقل الملكية الا عن طريق المالك أو ممثله القانونى استثناء هام اقتضته ظروف التجارة بانجلترا وتشجيعها عمليات التصـديرِ بكل الطرق ، فالأصل فى القانون الانجليزى أن الملكية تنتقل من البائع الى المشترى بمجرد عقـد البيع ، ويترتب على ذلك أن تصبح البضـائع المبيعـة ملكا للمشترى ويكون هلاكها تحت يد البائع على المشترى (ما لم يتفق على غير ذلك) وتدخل فى تفليسة المشترى وفى تركته حتى ولو لم يدفع ثمنهـا ولا يملك البائع حق حبسها عن المشترى لحين استيفائه الثمن ، واذا أفلس المشترى ولم يكن البائع قد تقاضى الثمن فانه يدخـل ضـمن باقى الدائنـين فى التفليسة دون أى امتياز له عليهم .

ورغم كل هذه النتائج التى تترتب على انتقال الملكية للمشترى بمجرد اتمـام عقـد البيع فان القـانون الانجليزى قد خرج على هذا الأصل بأن أباح للبـائع اعادة بيع هـذه البضائع اذا تركها المشترى فى حيازة البائع وتعويض المشترى عنها فمثلا اذا كان لدى بائع الأقمشة مائة ثوب من نوع معين باع منها عشرين ثوبا ولكنها ظلت فى حيازته ولم يتسلمها المشترى ثم جاءه شخص آخر يطلب شراء المـائة ثوب بأكملها والا فانه لن يشترى الثمانين ثوبا الباقية ، فان القانون الانجليزى يسمح للبائع بأن يبيع للمشترى الجديد المـائة ثوب بأكملها رغم أن منها ٢٠ ثوبا لم تعد مملوكة له لسبق بيعه لها ، وينحصر حـق المشترى الأول فى التعويض النقدى ولا يملك الزام البائع بتسليم الأثواب المبيعة له .

ويشترط القـانون الانجليزى فى البيع أن يدفع الثمن بالنقود .

وبالنسبة للوصية فان القـانون الانجليزى يجيز الوصية بكل الملك ولأى فرد ، وقد كانت المرأة المتزوجة ممنوعة من أن توصى لأى فرد حتى سنة ١٨٨٢ حيث سمح لها بالوصية بعد صدور قانون بذلك Married women's property Act, 1882.

ويشترط لصـحة الوصية أن تكون مكتوبة وصـادرة من شخص بالغ

وعاقل ويستثنى من شرط بلوغ سن الرشد العسكريين من جنود وبحارة وطيارين فى الميدان فتعتبر وصاياهم صحيحة متى كان سن الواحد منهم لا يقل عن أربعة عشر عاما كما تصح وصيتهم الشفهية ، وفى سنة ١٩٣٨ رأى المشرع الانجليزى أن ترك الحرية فى الوصية بكل الثروة وحرمان الورثة فيه أجحاف كبير فى بعض الحالات ؛ ولذلك عالج هذا الوضع فى قانون المواريث الصادر فى سنة ١٩٣٨

Inheritence Act, 1938.

فأعطى هذا القانون للمحكمة حق تعديل الوصية بناء على طلب الزوج أو الزوجة أو الابنة التى لم تتزوج أو الأولاد الذين لا يستطيعون كسب عيشهم فهؤلاء جميعا لهم الحق فى التقدم للمحكمة لاعادة توزيع الأموال الموصى بها بينهم وبين الموصى له ، وللمحكمة سلطة واسعة فى هذا الخصوص بل لها حق حرمان الموصى له من أى قدر من الأموال الموصى بها متى كانت هذه الأموال لا تتجاوز قيمتها خمسة آلاف جنيه

وبذلك يقترب القانون الانجليزى من المبدأ المأخوذ به فى الشريعة الاسلامية من حماية الورثة وضرورة أن يؤول اليهم جزء من أموال مورثهم .

وبالنسبة للميراث فان الورثة ينقسمون فى القانون الانجليزى الى خمس طبقات : الطبقة الأولى الزوج والزوجة ، والثانية الأولاد ، والثالثة الوالدين ، والرابعة الأخوة والأخوات والخامسة باقى الأقارب وهناك جداول لتوزيع الميراث وتقسيمه بين كل من هذه الطبقات التى يرث بعضها فى المنقولات ولا يرث فى العقارات والذى يتحدد نصيب بعضها بمبلغ نقدى وليس بحصة معينة فى التركة والمبدأ السائد فى القانون الانجليزى أن حصة كل طبقة فى الميراث توزع بين أفرادها بالتساوى بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة .

وبالنسبة للهبة : Gifts فان الملكية لا تنتقل الا اذا انتقلت حيازة الشىء الموهوب الى الموهوب له بواسطة الواهب Donor Deed فعلا وحقيقة، ويستثنى من شرط انتقال

الحيـازة الفعلية الهبـات التى تتم بمحـرر رسـمى Deed فانه لا يشترط فيها انتقال الحيازة الفعلية من الواهب الى الموهوب له •

ولا يجيز القـانون الانجليزى الرجـوع فى الهبة بعد تمامها قانونا (بالحيازة الفعلية أو المحرر الرسمى) لأى سبب من الأسباب ، وذلك على عكس معظم الشرائع الوضعية التى تجيز الرجوع فى الهبة،وعودة المـال الموهوب للواهب فى حالات معينة •

ويأخذ القانون الانجليزى بالهبة المشروطة،ويجيز للواهب استرداد ما قدمه على سبيل الهبة اذا لم يتحقق الشرط وذلك مثل خاتم الخطوبة فانه يجوز للخاطب استرداده من مخطوبته اذا لم توافـق على اتمـام الزواج، وكذلك الهبة المشروطة بتحقق الوفاة فلو شارف أحد على الهلاك فانه قد يهب أحد الذين بجانبه بعض مايحمله من نقود أو غيرها فهذه الهبة لا تنتج أثرها فى نقل الملكية للموهب له الا بعـد وفاة الواهب فاذا قدر له أن يعيش فان له أن يسترد ما سـلمه للموهوب له وأن يمتنع عن تسليمه ما وهبه اياه ان لم يكن قد سلمه له لأنها هبة مشروطة بوفاة الواهب •

رابعا ــ بالرغم من أن القـاعدة الأساسية فى القانون الانجليزى هى عدم سقوط أى حق وعدم اكتساب أى حق بمضى المدة الا أن المشرع الانجليزى قد أورد استثناء محدودا على هذه القاعدة فى سـنة ١٩٣٩ Limitation Act, 1939 فاعتبر أن الحيازة قرينة على الملكية فاذا استمرت الحيازة مـدة طويلة دون أية معارضة مدة اثنى عشر عاما فى العقـار وستة أعـوام فى المنقول دون انقطاع وبنية التملك ولم يكن هنالك أى سبيل لمعرفة المالك الحقيقى أو الوصول اليه فهذا الحائز يعتبر مالكا فى مواجهة الجميع فيما عـدا المـالك الحقيقى اذا ظهر •

خامسا ــ يأخذ القانون الانجليزى بنظام فى الملكية يكاد يماثل نظـام الوقف فى الشريعة الاسـلامية تماما وهذا النظام يسمى ملكية الترست Treus Property وفى هذا

النظـام يعهـد أحـد الأشـخاص The Settlor الى فرد أو أفراد أو هيئة معينه Trustees بادارة الممتلكات أو الأموال التى يحددها وتسليم ريعها الى فرد أو أفراد أو هيئات معينة Beneficiaries طبقا لمـا هـو محدد بوثيقة الترست . وسمى هـذا النظام بالترست لأن أساسه الثقة التى تتوافر لدى منشىء الترسـت فى هـؤلاء الأشـخاص المختارين بمعرفتـه لادارة هـذه الأموال .

وملكيـة أمـوال الترست تعتبر ملكيـة مزدوجـة لكل من مديرى الترست والمنتفعين به فمدير الترست يعتبر المـالك القـانونى وصـاحب الحق فى الادارة والتصرف فى أموال الترست بكافة أنواع التصرفات ومن ناحية أخرى فان هذه الادارة وهذه التصرفات انمـا تتم لصالح المنتفعين وحدهم دون مدير الترست .

ويستطيع منشىء الترست أن يكون هو مدير الترست والمنتفع به تماما كما يوقف أحد الأشخاص على نفسه ثم على ذريته من بعـده يتولى هـو النظارة على الوقف .

ولمدير الترست رفض تعيينه مديرا للترست فتعين المحكمة مديرا آخر غيره وان كان القانون يجيز أن يدخل فى ملكيـة الترست كل الأمـوال العقارية والمنقولة مهما كان نوعهـا الا أنه من الناحيـة العملية تقتصر ملكيـة الترسـت على العقـارات والأوراق المالية من أسهم وسندات فقط .

وينقسـم الترست الى قسـمين ترست خـاص Private Trust وترست خيرى Charitable Trust وهو فى هذا يماثل تقسيم الوقف الى وقف أهلى ، ووقف خيرى فالترست الخيرى هو : ما كان المقصود منـه مساعدة الفقـراء أو تحقيق أغراض ثقافية أو دينية أو اجتماعية بصـفة شاملة وتعم فائدته الجماهير كمجموع public benefit وليس أفرادا معينين بذواتهم specified individuals

وقد حكم ببطلان الترست المنشأ لتعليم أحد الأطفال،وبصحة الترست المنشـأ لصـالح الفقراء من أقارب ومستخدمى منشىء الترست •

والغرض من نظام الترست الخاص فى القانون الانجليزى هو حماية ناقصى الأهلية وغيرهم من ذوى العـاهات غير القـادرين على اعالة أنفسهم أو رعاية مصـالحهم من أقارب منشىء الترست،وهو نفس الهدف فى نظام الوقف الاسلامى فى بعض الأحيان •

أما نظام الترست الخيرى فالغرض منه دعم الروابط والقيم الاجتماعية والدينية •

ويتم تسجيل الترست الخـيرى لـدى مـكتب حـكومى خـاص The Charity Commissioners وهذا المكتب يقوم بالرقابة والتفتيش على مديرى الترست الخيرى وله حق اتخاذ الاجراءات القانونية اللازمة فى جميع الأحوال ، وتعفى الحـكومة البريطانيـة كل أمـوال وايرادات الترست الخيرى من جميـع أنواع الضرائب •

وتتداخل المحكمة فى تعيين وعزل مديرى الترست الخاص ، والترست الخيرى ، ويلتزم هؤلاء المديرون فى ادارتهم لأموال الترست ببذل العناية والحـرص اللازمين ويحظـر عليهم تحقيق أى فائدة شخصية عن طريق الترست والا التزموا بردها لأموال الترست ويسألون مسئولية مدنيـة وجنائية عن كل خطأ وعن كل خسائر تحدث نتيجة هذا الخطـأ ويحـدد القـانون الانجليـزى أنـواع الاستثمارات التى يجوز لمديرى الترست اسـتثمار أمـوال الترست فيها •

ويلتزم مدير الترست بمسك حسابات خاصة بالترست والاجـابة على كل سـؤال للمنتفعين وعـرض هـذه الحسابات عليهم للمراجعـة ويخضـع فى جميع الأعمال المتعلقـة بالترست لرقابة المحكمة •

ونظرا لأن نظام الترست الخاص فى القـانون الانجليزى يبيح لمدير الترست اجراء أى تصرف قانونى فى أمـوال الترست ولو بالبيـع على

خلاف نظام الوقف الاسلامى وتحقيقا للحماية الكافية للنتفعين بأموال الترست أعطى القانونى الانجليزى للمنتفعين حق التتبع لأموال الترست فى أى صورة يتم تحويلها اليها وتحت أية يد كانت ، وذلك فضلا عن المسئولية المدنية والمسئولية الجنائية لمدير الترست ومن تصرف لصالحه ان كان الأخير متواطئا معه الاضرار بالمنتفعين الى جانب ابطال التصرف فى الحالة الأخيرة •

ونظرا لأن تعيين أشخاص بذواتهم كمديرين للترست يعرض ادارة الترست لبعض الخلل نتيجة مرضهم، أو وفاتهم ، أو استقالتهم من ادارة الترست والوقت الضائع فى تعيين بديل عنهم لذلك سمح القانون الانجليزى بتكوين هيئات خاصة لادارة الترست Trust Corporations حتى يكون هناك ضمان كاف للمنتفعين •

ومن هذه الهيئات البنوك البريطانية، وشركات التأمين ، كذلك أنشأت الحكومة البريطانية هيئة حكومية لهذا الغرض أيضا ، وهى تعادل وزارة الأوقاف عندنا The Public Trustee قد أنشأتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٠٦

بهذا نكون قد انتهينا من الكلام عن نظام الملكية فى كل من الشريعة الاسلامية ، والقانون الانجليزى وتتكلم فى العدد القادم انشاء الله عن القانون الجنائى فى كل من الشريعتين •

حسن حسب الله

شذرات متفرقة

● يقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: « لو أن لى قلاع الأرض لافتديت بها من هول ما أمامى قبل أن أعلم ما الخبر •

● قال يحيى بن معاذ: بئس الأخ أخ تحتاج أن تقول له أذكرنى فى وعائك

حوار ذوى البصائر

للأستاذ السيد حسن قرون

فى تاريخ الأمة الاسلامية مواقف لعلمائها مع خلفائها وقادتها تعطينا المثل الأعلى للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : وتقدم لنا صورة قريبة للعظة والاعتبار ، وترسم للمسلم فى كل عصر وعهد واجبه نحو ربه ومجتمعه ، وستجد الحوار الذى يدور ويعتمد دائما على الكتاب والسنة ، وفى ضوئهما يتبين وجه الحقيقة باهرا ، فيخضع له الراعى والرعية ، ولا يجد الرئيس غضاضة فى الاعتراف بالحق ، واتباع سبيله .

من هذا القبيل ما جرى بين الخليفة (سليمان بن عبد الملك) والعالم (أبى حازم) وقبل أن نورد لك الحوار نحدثك حديثا موجزا عن كلا الرجلين حتى تجىء الصورة واضحة ناصعة ، فالخليفة سليمان (٩٦ هـ - ٩٩ هـ) ولى الخلافة بعد أخيه (الوليد) وفقا لنظام ولاية العهد فى ذلك الحين ، وكان سليمان له سجايا طيبة تؤهله لمنصبه الخطير ، فهو شاب جميل المنظر ، فصيح اللسان ، تربى فى البادية عند أخواله (بنى عبس) فنشأ قوى الجسم ، بعيدا عن أمراض الحضر ، وأوضار الترف ، وكان أبوه يفخر بفصاحته ؛ قال لخالد بن يزيد بن معاوية فى مراء جرى بينهما « ان كان الوليد يلحن فان أخاه سليمان » وكان غيورا الى درجة أنه خصى فتى كان فى عسكره سمعه يغنى بأبيات غناء مطربا . وصفها لجلسائه قائلا : « والله لكأنها جرجرة الفحل فى الشول (١) ، وما

---

(١) النوق .

أحسب أنثى تسمع هذا الا صبت » وكان يكره الظلم ومقترفه ،، وما عداوته للحجاج الثقفى الا أنه كان يسرف فى ارتكاب المظالم والدماء • قال الرواة : كانت ولاية سليمان يمنا وبركة ، افتتحها بخير ، وختمها بخير افتتحها برد المظالم واخراج المساجين، وختمها بخير ، باستخلافه (عمربن عبدالعزيز)قالوا: فعل سليمان فى يوم واحد ما لم يفعله عمر بن عبد العزيز طوال عمره ، أعتق سبعين ألفا من مملوك ومملوكة وكساهم ،، ويذكرون فى ذلك أن مفاخرة جرت بين ولد لعمر بن عبد العزيز ، وولد لسليمان ،، فذكر ولد عمر فضل أبيه وحاله ، فقال له ولد سليمان : ان شئت أقل ، وان شئت أكثر ، فما كان أبوك الا حسنة من حسنات أبى يشير الى توفيق سليمان فى اختيار عمر خليفة بعده • ويصفه المؤرخون بأنه كان أكولا ،، ويقصون فى ذلك القصص ، كما يصفونه بالزهو بنفسه ، من ذلك أنه لبس يوما واعتم بعمامة ، وكانت عنده جارية حجازية، فقال لها : كيف ترين الهيئة ؟ قالت : أنت أجمل العرب لولا ••• قال : على ذلك لتقولن • قالت :

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى
غير أن لا بقاء للانسان

أنت خلو من العيوب ومما
يكره الناس غير أنك فان

فتنغص عليه ما كان فيه ، فما لبث بعدها الا أياما حتى توفى وسنه ثلاث وأربعون سنة • وفى عهده كانت الدولة الاسلامية امبراطورية مترامية الأطراف من (فرغانة) شرقا الى (غانة) غربا ، هذا هو الخليفة فمن أبو حازم ؟

أبو حازم (سلمة بن دينار) مولى (ليث بن بكر) وقد يقال له أبوحازم المدنى ، وكان أعرج يتولى قص القصص بمسجد المدينة المنورة • توفى سنة ١٤٢ هـ وله أقوال مشهورة فى الزهد والقناعة ، يروى سعيد بن جبير عن أبيه أن عبد الملك بن مروان قال حين ثقل ورأى غسالا يلوى ثوبا

بين يديه ، وددت أنى كنت غسالا لا أعيش الا بما أكتسبه يوما فيوما، فذكر ذلك لأبى حازم فقال : الحمد لله الذى جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه ، ولا تتمنى عند الموت ما هم فيه . فماذا جرى بينه وبين الخليفة سليمان ؟

أزمع سليمان أن يؤدى فريضة الحج فخرج من دمشق فى موكب فخم ، فحط رحاله فى المدينة ، فاستقبله أهلها استقبالا كريما ، اشترك فيه وجوه القوم ، فقضى أياما حافلة بالذكريات المجيدة طاف بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والأماكن التى شرفت باشراقات سيد الخلق عليها ، وكان فى مقدمة من استقبله وسايره وجالسه (محمد بن شهاب الزهرى) وهو رجل له مكانته العلمية والدينية ، وحسبك أنه حظى برؤية عشرة من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم . وذات يوم سأل سليمان من حضره ، هل بالمدينة أحد أدرك أحدا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا له : أبو حازم ، فأرسل اليه ، فلما دخل عليه واطمأن به المجلس . قال سليمان : يا أبا حازم ، ما هذا الجفاء ؟ وهذا خطاب لطيف من الخليفة . قال أبو حازم : يا أمير المؤمنين ، أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن ، ما عرفتنى قبل هذا اليوم ولا أنا رأيتك ، فالتفت الخليفة الى ابن شهاب الزهرى وقال : أصاب الشيخ وأخطأت .

وهذه الكلمة من الخليفة تفيد أن ابن شهاب نال من أبى حازم ، وآفة العلماء الحسد ، وأنا أعتذر لابن شهاب من قولى هذا فهو من (زهرة) أخوال الرسول ، ومن زهرة الصحابيان الجليلان : عبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، ولكن هكذا فهمت . ولنتابع الحوار ، وهو بيت القصيد فى المقال . قال الخليفة : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم أخربتم الآخرة ، وأعمرتم الدنيا ، فكرهتم أن تنتقلوا من العمران الى الخراب ، قال : أصبت يا أبا حازم. قال سليمان : فكيف القدوم غدا

على الله تعالى ؟ قال : أما المحسن فكالغائب عن أهـله ، وأما المسىء فكالآبق يقـدم على مولاه • فبكى سليمان ، وقال : ليت شعرى ما لنا عند الله ؟! قال : اعرض عملك على كتاب الله • قال : وأى مكان أجده؟ قال : « ان الأبرار لفى نعيم • وان الفجار لفى جحيم » قال سـليمان: فأين رحمة اللـه يا أبا حازم ؟ قال أبو حازم : رحمة اللـه قريب من المحسنين • قال له سليمان : يا أبا حازم ، فأى عباد الله أكرم ؟ قال : أولو المروءة والنهى ، وهذا الجواب اشارة ذكية الى قوله تعالى : « انما يتذكر أولو الألباب » وكان المتبادر الى الذهن أن يقول : ان أكرمكم عند الله أتقاكم ــ قال سـليمان : فأى الأعمال أفضل ؟ قال أبو حازم: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم • قال سليمان : فأى الدعاء أسمع ؟ قال : دعاء المحسن اليه للمحسن • فقال : أى الصدقة أفضل ؟ قال : للسائل البائس وجهد المقل ليس فيها من ولا أذى • قال : فأى القـول أعدل ؟ قال : قول الحق عنـد من تخافه وترجوه • قال : فأى المؤمن أكيس ؟ قال : رجل عمل بطاعة الله، ودل الناس عليها • قال : فأى المؤمن أحمق ؟ قال : رجل انحط فى هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيـا غيره • قال له سليمان : أصبت، فما تقول فيما نحن فيه ؟ ــ لقد بلغنـا محنة الامتحان ، ومحك الايمان ، ومجال قـوله الحق ــ ولذلك قال أبو حازم ، أو تعفينى ؟ قال سليمان: لا ، ولكن نصـيحة تلقيها على ــ وهنا بدا ذكاء الخليفة فهو فى جمع من الناس ويريد أن يكون الجواب نصيحة تؤدى فى المستقبل ــ فبماذا أجاب أبو حازم ؟ قال : يا أمـير المؤمنين ، ان آباءك قهروا النـاس بالسيف ، وأخذوا هذا الملك عنوة على غـير مشـورة من المسـلمين ولا رضا لهم حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة ، فقد ارتحلوا عنها فهـل شعرت ما قالوه وقيل لهم ؟ وهـذه العبـارة تلخص حـكم بنى أمية ، والصراع الذى دار بينهم وبين بنى عمـومتهم من هاشـم والزبيريين ، والدماء التى سالت ، والألوف التى قتلت ، والمبـادىء التى انتهكت ،

فقد أصبحت الشورى فى خبر كان ، وصارت الخلافة ملكا عضوضا ، ولم يعد هناك رأى للشعب فى اختيار خلفائه — كما جرى فى عهد الخلفاء الراشدين •

ولما كان أبو حازم قد مس السلطان بكلامه قال أحد الحاضرين : بئس ما قلت يا أبا حازم • قال أبو حازم: كذبت ، ان الله أخذ ميثاق العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه • لم يغضب سليمان ولم يقطب جبينه بل قال : فكيف لنا أن نصلح ؟ قال : تدعون الصلف ، وتمسكون بالمروءة ، وتقسمون بالسوية • قال سليمان : فكيف لنا بالمأخذ منه ؟ قال : تأخذه من حله ، وتضعه فى أهله •

أعجب الخليفة بقاص المدينة وود أن يصحبه ويكون فى بطانته ، وينقله الى حاضرة الخلافة دمشق • فقال : هل لك يا أبا حازم أن تصحبنا ، فتصيب منا ونصيب منك ؟ قال : أعوذ بالله • قال سليمان : ولم ذاك؟ قال : أخشى أن أركن اليكم شيئا قليلا ، فيذيقنى الله ضعف الحياة وضعف الممات • قال سليمان : ارفع الينا حوائجك • قال : تنجينى من النار وتدخلنى الجنة • قال سليمان: ليس ذاك الى • قال أبو حازم : فمالى اليك حاجة غيرها • قال : فادع لى • قال أبو حازم : اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والآخرة ، وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى • قال له سليمان : « قط » يعنى هكذا دون زيادة • قال أبو حازم : قد أوجزت وأكثرت ان كنت من أهله ، وان لم تكن من أهله فما ينبغى أن أرمى عن قوس ليس لها وتر • قال سليمان : أوصنى • قال : سأوصيك وأوجز ، عظم ربك ونزهه أن يراك حيث نهاك ، أو يفقدك حيث أمرك •

وهذه الوصية الوجيزة هى خلاصة التقوى ، فهى تنهى الخليفة أن يأتى أمرا يغضب الله والنواهى معروفة موصوفة ، وتأمره أن يفعل ما أمره الله ، والأوامر معلومة للمسلم تجمع أركان الاسلام الخمسة والجهاد والصدقة ، وخدمة المجتمع

الى كثير مما يحتاج الى بسط واطناب ، ومرجعه الى قوله تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا » .

انتهى أبو حازم من نصحه ووصاياه ، وألقى السلام على الخليفة وجلسائه ، وانصرف الى داره ، فبعث اليه سليمان بمائة دينار ، وكتب اليه أن أنفقها ولك عندى مثلها كثير . فهل قبلها أبو حازم ؟ تقول الرواية : ان أبا حازم ردها عليه ، وكتب اليه : يا أمير المؤمنين، أعيذك بالله أن يكون سؤالك اياى هزلا ، أو ردى عليك بدلا (١) ، وما أرضاها لك ، فكيف أرضاها لنفسى ؟ فان كانت هذه المائة دينار عوضا عما حدثت فالميتة والدم ولحم الخنزير فى حال الاضطرار أحل من هذه ، وان كان لحق فى بيت المال فلى فيها نظراء ، فان ساويت بيننا والا فليس لى فيها حاجة .

وقد تعرض لهذه القصة (القرطبى) فى تفسيره قول الله عز وجل : « ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا » قائلا : هكذا يكون الاقتداء بالكتاب والأنبياء ، انظروا الى هذا الامام الفاضل ، والحبر العالم كيف لم يأخذ على عمله عوضا ، ولا على وصيته بدلا ، ولا على نصيحته صفدا ، بل بين الحق وصدع ، ولم يلحقه فى ذلك خوف ولا فزع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يمنعن أحدكم هيبة أحد أن يقول أو يقوم بالحق حيث كان » وفى التنزيل : « يجاهدون فى سبيل الله ولا يخافون لومة لائم » والقرطبى هنا عنى بأمرين : عفة أبى حازم وشجاعته ، ولكن الحوار يعطى مدلولات واسعة أبرزها ما يتصل بالرجلين وموقفهما من الشريعة والمجتمع ، فسليمان الخليفة لا شك فى أنه فى أسئلته كان ينزع عن ايمان ورغبة وثيقة فى معرفة الطريق الموصلة الى رضا الله والناس ، ولذلك كان واسع الصدر ، يتقبل النصح وان جاء فى بعض الأحيان جافيا عنيفا ،

---

(١) راجيا عطاءك .

وانظر اليه يسمع هجو آبائه ونعتهم بالاغتصاب ، وأخذهم الملك بالقوة ، وتركهم الشورى التى دعا اليها القرآن وسار عليها المسلمون على عهد الخلفاء الراشدين ، والواقع أن وجدان الأمة الاسلامية لم يفارقه النزوع الى مبدأ الشورى على توالى العصور وفى أنفس الخلفاء الغالبين ، والوارثين أثر منها ، ومعايشة لها ، ترعاها الضمائر ، وتدور حولها الخواطر ، وكثيرا ما رأينا منهم من يثور على ابن عمه أو أخيه اذا رأى منه حيدة عن الحق وتنكرا لتعاليم الاسلام ، ولكن المصلحة الشخصية كانت تصور لهم أنهم ان دعوا الى الشورى والانتخاب انقسمت الأمة، وضاعت وحدتها كما أشار الى ذلك معاوية رحمه الله حين دعا الى بيعه يزيد من بعده وقد استقر الأمر لبنى عبد مناف من أمية أو هاشم فرضوا أن تكون الخلافة وراثة ، وفى سبيلها كان الصراع .

لذلك كان أبو حازم حازما فى تذكير سليمان بأمر الشورى ، وأن ملكه قائم على القهر والغلبة دون أخذ رأى الرعية ، وقد تحدث أبو حازم عن سياسة المال فى رده على سليمان ورفض أخذ المال ، بين له أنه فرد من أفراد الأمة لايجوز له أن يأخذ من أموالها الا اذا تمت المساواة ، ونال كل فرد نصيبه ، فليس رفضه لمائة الدينار زهدا كما يتبادر للذهن لأول وهلة وانما رفضه من جهة المبدأ ، وهذا المبدأ كان نافذا على عهد رسول الله وخليفته أبى بكر ، ونظمه عمر حين دون الدواوين ففرض لكل مسلم من بيت المال نصيبا ، لكن هذا المبدأ لم يلتزمه بنو أمية ، بل جعلوه لصنائعهم وأنصارهم وللشعراء ليذيعوا فضلهم وينشروا حقهم فى الخلافة مما دعا الخوارج الى الحملة عليهم ، والنكير على بذل الأموال للشعراء ، وبجانبهم كثير ممن أنكروا سياسة المال فى عهدهم ، فأبو حازم أحد الثائرين على تلك السياسة ، وشىء آخر ألمع اليه وهو قوله لسليمان : « تدعوا الصلف » يشير

بذلك الى تعالى بنى أمية على الموالى والأعاجم ، « الناس سواسية كأسنان المشط ، وكلهم لآدم ، وآدم من تراب ، ولا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى هكذا يقول صاحب الرسالة صلوات الله عليه ، ولكن بنى أمية لا يولون واليا ولا قائدا ولا جابيا ولا يؤم الناس فى الصلاة الا عربى ، هذا دينهم ومسلكهم وما حدث بين زيد بن على زين العابدين وهشام بن عبد الملك يصور ذلك المسلك » استدعى زيد لمقابلة الخليفة هشام فلما دخل عليه قال له هشام : بلغنى أنك تحدث نفسك بالخلافة ، ولا تصلح لها لأنك ابن أمة . قال زيد : أما قولك انى أحدث نفسى بالخلافة فلا يعلم الغيب الا الله ، وأما قولك انى ابن أمة فهذا اسماعيل صلى الله عليه وسلم ابن أمة ، أخرج الله من صلبه خير البشر محمدا صلى الله عليه وسلم ، واسحق ابن حرة أخرج الله من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت ألا ترى نظرة هشام المتعالية حتى على العلوى الذى ينحدر من سلالة فاطمة بنت محمد، لما كانت أمه غير عربية رآه غير أهل للخلافة وهو من نسل هاشم سيد البطحاء فما بالك بغيره من الموالى لذلك كان الموالى يتربصون الدوائر ببنى أمية فكانوا شيعة العلويين والعباسيين ، حتى قوضوا ملكهم بزعامة أبى مسلم الخرسانى . وأبو حازم يقول لسليمان « تدعون الصلف » يريد المساواة بين العرب وغيرهم ، وأن يكون التفاضل بالتقوى لا بالحسب والنسب ، والخلاصة أن ذلك الحوار كشف عن رأى الشعب فى الحكم وسياسة المال ، والدعوة الى المساواة وارساء قواعد العدل فى ذلك الحين ، ولنا من ذلك كله اهتداء واقتداء .

السيد حسن قرون

قصة من التراث

التحرير

لما رجع المعتصم من الثغر وصار بناحية الرقة ، قال لعمرو بن مسعدة: ما زلت تسألنى فى عمر بن فرج حتى وليته الأهواز ، فقعد فى سرة الدنيا يأكلها خضما وقضما ، ولم يوجه الينا بدرهم واحد . أخرج اليه من ساعتك !

فقلت فى نفسى : أبعد الوزارة أصير مستحثا على عامل خراج ؟

ولكنى لم أجد بدا من طاعة الأمير ، فقلت أخرج اليه يا أمير المؤمنين ...

فقال : احلف لى أنك لا تقيم ببغداد الا يوما واحدا ...

فحلفت له ثم انحدرت الى بغداد فأمرت ففرش لى زورق ثم خرجت ، فلما صرت بين دير هرقل اذا رجل يصيح : يا ملاح . رجل منقطع !

فقلت للملاح : قرب الى الشط فقال يا سيدى هذا شحاذ فان قعد معك اذاك ، فلم ألتفت الى قوله ، وأمرت الغلمان فأدخلوه فقعد فى مؤخرة الزورق فلما حضر وقت الغذاء عزمت أن أدعوه الى طعامى فدعوته ، فجعل يأكل ، أكل جائع بنهامة الا انه نظيف الأكل فلما رفع الطعام أخذت أحادثه ، فقلت :

يا هذا ما صناعتك ؟ .. قال حائك .. ثم قال لى : جعلت فداك قد سألتنى عن صناعتى فأخبرتك ، فما صناعتك أنت ؟ .

فكرهت أن أذكر له الوزارة ، وقلت اقتصر له على الكتابة ، فقلت : كاتب ... قال : جعلت فداك ، الكتاب على خمسة أصناف : فكاتب رسائل يحتاج الى أن يعرف الفصل من الوصل والصدور ، والتهانى ،

والتعــازى ، والترغيب ، والترهيب والمقصور ، والممدود . وجملا من العربية ... وكاتب خــراج يحتاج الى أن يعرف الزرع ، والمساحة ، والتقسيط ، والحســاب .. وكاتب جند يحتاج الى أن يعرف مع الحساب الرواتب وشــيات الدواب وصفات الناس ... وكاتب قاض يحتاج الى أن يكون عالمــا بالشروط والأحكام، والفروع ، والناســخ ، والحلال ، والحرام ، والمواريث ... وكاتب شرطة يحتــاج الى أن يكون عالمــا بالجروح ، والقصصان ، والديات .

ــ فأيهم أنت أعزك الله ؟

فقلت : كاتب رسائل ...

فقال : أخبرنى اذا كان لك صديق تكتب اليــه فى المحبوب والمكروه وجميع الأسباب فتزوجت أمه فكيف تكتب اليه ؟ .. أتهنيه ، أم تعزيه ؟

فقلت : والله أقف على ما تقول .

قال فلست بكاتب رســائل ... فأيهم أنت ؟ ...

فقلت : كاتب خراج .. فقال :فما تقول وقد أصلحك الله وقد ولاك السلطــان عملا فبثثت عمــالك فيه فجــاءك قوم يتظلمــون من بعض عمالك ، فأردت أن تنظر فى أمورهم وتنصفهم اذ كنت تحب العدل والبر، وكان لأحــدهم مزرعة ليس عليهــا بناء ولا حولها شجر ــ كيف كنت تمسحه قال : كنت أضرب العطوف فى العمود وانظر كم مقدار ذلك ؟ ! قال : اذن تظلم الرجــل ... قلت فأمسح العمود على حده ... قال : اذن تظلم السلطان ! .. فقلت والله لا أدرى ! قال : فلست بكاتب خراج، فأيهم أنت ؟..قلت : كاتب جند !.. قال : فما تقول فى رجلين اسم كل واحد منهما أحمد ، أحدهما مقطوع الشفة العليا ، والآخر مقطوع الشفة السفلى ، كيف تكتب صفتيهما ؟ .. قلت : كنت أكتب أحمد الأعلم وأحمد الأعلم .قال : كيف يكون هذا ورزق هذا ألف درهم فيقبض هذا على دعوة هذا فتظلم صاحب الألف ... فأيهم أنت ؟ .

فقلت : كاتب قاض ! .. فقال : فما تقول أصلحك الله فى رجل توفى وخلف زوجة وسرية ــ مملوكة ــ وكان للزوجة بنت وللسرية ابن ..

فلما كان فى تلك الليلة أخذت الحرة ابن السرية فادعته وجعلت ابنتهامكانه فتنازعتا فيه فقالت هذه هذا ابنى ، وقالت هذه : هـذا ابنى ... كيف تحكم بينهما وانت خليفة القاضى ؟

قلت : والله لست أدرى ! ...

قال : فلست بكاتب قـاض . فأيهم أنت ؟ ! قلت كاتب شرطة : قال فما تقول أصلحك الله فى رجل وثب على رجل فشجه شجة موضـحة بلغت العظم ، فوثب عليه المشجوج فشجه شجة مأمومة ـ بلغت أم الرأس ؟..

فقلت : ما أعلم ! ..

ثم قلت : أصلحك الله ، قد سألت، ففسر لى ما ذكرت ! ...

قال : أما الذى تزوجت أمه فتكتب اليه : أما بعد : فان أحكام الله تجرى بغير تحـاب المخلوقين والله يختار للعباد ، فخار الله لك فى قبضها اليه. فان القبر أكرم لها والسلام ...

وأما القـداح فتضرب واحدا فى مساحة العطوف فثم بابه ...

وأما أحمد وأحمـد فتكتب صفة المقطوع الشـفة العليا أحمد الأعلم والمقطوع الشفة السفلى أحمد الأشرم.

وأما المرأتان فيوزن لبن هذه وتلك فأيهما كان أخف فهى صاحبة البنت!.

وأما الشـجة فان فى الموضـحة خمسا من الابل وفى المـأمومة ثلاثة وثلاثين ..

قال عمرو بن مسـعده : ولقـد كلمت المعتصم فى شأن هذا الرجل ، فولاه المعتصم الكتابة ...

ارأيت ما كان يشترط لتلك الوظيفة من علم مختلف مع حـذق وفطنـة وعمل ؟!

ابن عبد ربه
فى « العقد » الفريد

دين القيـادة المكافحة

عن سهل رضى الله عنه قال جرح وجه النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على راسه . رواه البخارى ..

التنشئة الاجتماعية الإسلامية

للدكتور زيدان عبد الباقى

تبدأ تلك العملية لحظة ولادة الطفل ، بل وقبل ولادته ، بتربية أمه ، وتستمر معه الى مرحلة النضج الاجتماعى ، ذلك أن الأسرة تتلقى الطفل وتتعهده بالرعاية والعناية والحنان الى أن يتعلم الكلام فتبدأ فى تلقينه كل مايفيده فى الحياة ، وتنهاه عن كل ما قد يسبب له الضرر لكى يكون كائنا اجتماعيا سويا ومواطنا فاضلا •

والتنشئة الاجتماعية بهذه الصورة تعتبر من أهم العمليات الاجتماعية فى حياة الانسان ، ومن ثم فان حياة الانسان وسلوكياته وشبكة علاقاته الاجتماعية تتأثر فيما بعد بوقائع تلك الفترة ، بمعنى أنه اذا كانت تلك الوقائع تحبب الطفل فى الخير وتبعده عن الشر ، فان هذا الطفل ينشأ اجتماعيا ايجابيا سويا ••• واذا كانت وقائع نفس الفترة تحبب الشر اليه وتزهده فى الخير ، فان الطفل ينشأ « غير اجتماعى » • Anti-Social أو اجتماعى سلبى غير سوى • ومن هنا فان « التنشئة الاجتماعية غير السوية تعتبر عملية اجتماعية سلبية والعكس صحيح » •

وقد ضرب الرسول الكريم أروع الأمثلة فى مجال التنشئة الاجتماعية ، كما بذل من صفاته الرائعة الكثير حتى يقف الناس على كل زوايا معانى الرسالة التى جاء بها صلى الله عليه وسلم ، فقد كان خلقه القرآن ، كما كانت سجاياه الرحمة • وكيف لا تكون سجاياه الرحمة وهو الرحمة المهداة الى العالمين ، وصدق الله العظيم اذ يقول : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ولفظ العالمين يشمل الانس والجن والحيوانات وجميع المخلوقات • كما أن رحمته لم تكن

نابعة من عقد يعانيها أو رد فعل ليتمه .. لا ، بل هي رحمة الأقوياء البازلين ،، وكانت هذه الرحمة نبعا فياضا يستقي منه الرائح والغادي حتى أنها شملت الوليد في مهده ، كما أصابته وهو فطيم يلعب على ردفيه وهو في صلاته ، فلم يزجره ولم ينهه ، وانما كان به شفوقا عطوفا ... فقد سمع ذات مرة بكاء طفل فأمر أمه بأن تهدهده وتمسح عنه بكاءه بيدها الحانية بقوله: «ألا تعلمين أن بكاءه يؤذيني » .

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى أطفالا يلعبون ويمرحون ،ورأى طفلا منزويا باكيا ، فذهب اليه الرسول الكريم وقال : مايبكيك أيها الغلام ؟ فقال الطفل : دعني يارجل فقد مات أبي في الغزو مع الرسول الكريم ... فقال صلى الله عليه وسلم : أترضى أن أكون أبا وفاطمة لك أختا وعائشة لك أما . فقال الطفل : عفوا يارسول الله، ثم أخذه الرسول الى منزله وأطعمه وكساه وأعطاه نقودا ثم قال له الرسول الكريم : العب مع اخوانك .. فلما رآه الأطفال مزهوا فخورا ، قالوا : مالك أيها الطفل ؟ كنت منذ لحظات باكيا والآن نراك فرحا مسرورا ؟ فقال الطفل مجيبا : لقد رأيت أبا خيرا من أبي وأما أكرم من أمي .

ومن أقواله صلى الله عليه وسلم: « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » وقوله أيضا : «سبعة يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل الا ظله .. امام عادل ،، وشاب نشأ في عبادة الله » . ولقد كان صلى الله عليه وسلم يعرف للعلاقة الأبوية مكانتها التربوية وأثرها في تنشئة الأطفال ، فقد أبصره الأقرع ابن حابس يقبل الحسن ، فقال : ان لي عشرة من الأبناء ما قبلت واحدا منهم ،، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لا يرحم لا يرحم» ويزيد هذا المعنى تأكيدا ما اشتهر عنه من حدب وعطف على الأطفال حيث روى أنه صلوات الله وسلامه عليه مر ببيت فاطمة فسمع حسينا يبكي فقال لفاطمة : ألا تعلمي أن بكاءه يؤذيني؟

ومما يروى أن أحد أبناء فاطمة قد علا منكبيه وهو ساجد في صلاته

فأطال سجوده حتى لا يشق على الطفل من طول اعتلائه المنكبين. ولقد امتدت رحمته من محيط أسرته الى الصبيان من غير أسرته ، من أتباعه وأحبابه ، فقد لاحظ ذات يوم فى مجلس عائشة رضى الله عنها امرأة رثة الثياب ، وتعلو قسمات وجهها الجميل كآبة ، كما كانت كسيرة الرنوات ، زرية الهيئة ... فيسأل صلى الله عليه وسلم عن أمرها ، ولعله كان يعلم عنها أنها ينبغى أن تكون فى بحبوحة من العيش ورغادته ، فيخبر أن زوجها عبد الله بن عمرو بن العاص يصوم دائما ويقوم الليل كله ، صارفا وقته كله للعبادة ولا شىء غيرها ... ومن هنا فان الرسول صلى الله عليه وسلم تعهد عبد الله بالنصح والارشاد قائلا له : بلغنى أنك تصوم النهار وتقوم الليل ، فلا تفعل فان لجسدك عليك حقا ولعينيك عليك حقا ، ولزوجك عليك حقا ... صم وأفطر ... الخ » وانصرف عبد الله ، وبعد حين عادت زوجته لزيارة عائشة وهى طليقة المحيا متعطرة ، ترفل فى الجديد والنظيف من الثياب ، مزدانة بالدين السمح ، مزدادة به تمسكا وكذلك كان « عطفه » على الكبير والصغير ، يعم كل ضعيف حتى الحيوان فهو القائل : «ومن لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا » .

وكان صلى الله عليه وسلم يربى الناس على الرحمة بالحيوانات ، لكى تكون مدخلهم الى الرحمة بالانسان فعن عبد الله بن جعفر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دخل بستانا لرجل من الأنصار ، فاذا فيه جمل ، فما أن رأى الجمل النبى ، حتى زرفت عيناه وجن ... فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح عنه فسكت . وقال الرسول الكريم من رب هذا الجمل ؟ » فقال فتى من الأنصار : هو لى يا رسول الله فقال عليه الصلاة والسلام ألا تتقى الله فى هذه البهيمة التى ملكك الله اياها ، فانه شكى لى أنك تجيعه وتدئبه ... » . ومن الدروس التربوية المشابهة أيضا قوله صلى الله عليه وسلم : « عذبت امرأة فى هرة حبستها حتى ماتت ، لا هى سقتها وأطعمتها ولا هى تركتها حتى تأكل من خشاش الأرض » .. وتلك أمثلة لتوجيهاته التربوية حول الحيوانات

... فما بالك بتوجيهاته التربوية حول الانسان ؟!

ولقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا على تربية الناس على احترام مشاعر الآخرين والأمثلة على ذلك كثيرة . فقد كان حريصا — على سبيل المثال — على شعور وكرامة السيدة صفية بنت حيى به أخطب زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتى كانت من يهود بنى النضير . فقد حدث خلاف بينها وبين السيدتين عائشة وحفصة زوجتا رسول الله فقالا لها: نحن أكرم على رسول الله منك ، فشكت ذلك للحبيب المصطفى فقال لها : ألا قلت لهما وكيف تكونان خيرا منى وزوجى محمد وأبى هارون وعمى موسى . وكذلك ما روى من السيدة عائشة أم المؤمنين لقبتها مرة باليهودية ، فهجرها رسول الله شهرين كاملين عقوبة لها وتأديبا .

وقد عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنشئة الاجتماعية السوية للشباب حيث كان يتعهده بالموعظة والتوجيه ، ويلقنه المبادىء الصحيحة والأخلاق الكريمة، تقديرا منه لرسالة الشباب ، وأنه عماد الأمة وقوتها . فقد قال عليه الصلاة والسلام « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فانه له وجاء » .

وقال مرة لابن عباس وكان راكبا خلفه : أيا غلام ، ألا أعلمك كلمات يحفظك الله بهن ؟ » فقال : بلى يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام: احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، اذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعت على أن يضروك ، لم يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

ولم ينس صلى الله عليه وسلم آداب المعاملة ، فقد طلب أعرابى يوما من النبى صلى الله عليه وسلم شيئا فأعطاه اياه، ثم قال له : أأحسنت اليك ؟ فقال الأعرابى : لا ، ولا

أجملت ، فغضب المسلمون ممن كانوا حاضرين ذلك الحوار وقاموا اليه ... فأشار النبى اليهم بأن كفوا ؟ : ثم دخل منزله وأرسل الى الأعرابى وزاده شيئا ، ثم قال : أأحسنت اليك ؟ فقال نعم ، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا . فقال له النبى : انك قلت ما قلت وفى نفس أصحابى شىء من ذلك ، فاذا أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى تذهب من صدورهم ما فيها عليك . قال نعم : فلما كان الغداة جاء فقال النبى : ان الأعرابى قال ما قال فزدناه ، فزعم أنه رضى ، أكذلك يا أعرابى ! ؟ فقال الأعرابى : نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا ، فقال النبى لأصحابه : ان مثلى ومثل هذا الأعرابى كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه فتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا ، فناداهم صاحب الناقة : خلوا بينى وبين ناقتى ، فانى أرفق بها وأعلم . فتوجه صاحب الناقة بين يديها ، وأخذ لها من قمام الأرض فردها هونا حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها ... وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل ودخلتم النار » .

وفى واقعة أخرى مشابهة ، وفيها يروى أن يهوديا كان له دين ، فأراد أن يطلب دينه قبل حلول أجله ، فاعترض رسول الله — فى طريق المدينة — فقال اليهودى : انكم بنى عبد المطلب قوم مطل « مماطلون » ورأى عمر ذلك فاشتد غضبه وقال: ليأذن لى رسول الله فأقطع عنقه ، فقال النبى عليه الصلاة والسلام : أنا وصاحبى أحوج الى غير هذا يا عمر ، مره بحسن التقاضى ومرنى بحسن الأداء . ثم التفت الى اليهودى وقال : يا يهودى ، انما يحل دينك غدا» وهكذا كانت التربية الاسلامية التى تقوم على الحلم وما أعظمه من حلم ، حبذا لو اقتدينا به فى كل علاقاتنا ومعاملاتنا .

ومن التوجيهات التربوية للرسول الكريم التى أكدتها النظريات البيولوجية ، ما يتصل بالوعاء الذى يتكون فيه الجنين ، وضرورة أن يكون وعاءا طاهرا بعيدا عن الدنس ولما كانت التنشئة الاجتماعية

للطفل تبدأ قبل ولادته ، فقد كان صلى الله عليه وسلم حريصا على سلامة تلك التنشئة عن طريق الاهتمام بالأسرة الاسلامية ، التى يعرف فيها كل فرد حقوقه وواجباته بحيث تستقيم أمورها على دعائم الدين الحنيف ، لكى تكون أسرة مثالية . فالدين يمهد لها الطريق القويم ويجعل سبيلها الايمان وقبلتها رضوان الله ، ونبضات فؤادها : لا اله الا الله وأنفاسها محمد رسول الله . والزواج الذى تقوم عليه الاسرة الاسلامية شركة بين رجل وامرأة يسعيان الى معيشة صالحة وتقديم مواطنين صالحين للمجتمع بما تقوم عليه من حسن اختيار طرفى الزواج لبعضهما البعض طبقا لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » وعلى التكافؤ بين الزوجين من حيث المستوى الثقافى والاجتماعى والاقتصادى حتى يتيسر لها الاستقرار الاجتماعى الضرورى للتنشئة الاجتماعية السليمة .

فالوعاء الطيب لا يخرج منه الا طيبا ، فكثيرا ما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يؤكد ذلك بالحديث عن عراقة أصله ، وطهارة نسبه ، وأن سلسلة بيته لم تتلوث بسفاح الجاهلين . فقد روى الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح ، من لدن آدم الى أن ولدنى أبى وأمى ولم يصبنى من سفاح الجاهلية شىء » .

وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى اللهعليه وسلم « لم يلتق أبواى قط على سفاح ، لم يزل ينقلنى من الأصلاب الطيبة الى الأرحام الطاهرة مصفا مهذبا لا تنشعب شعبتان الا كنت فى خيرهما » .

ونبينا الكريم بصفاته هذه جاء استجابة لدعوة جده ابراهيم الخليل بأن يكون من نسل ولده اسماعيل نبى مرسل بهذه السمات ، كما جاء فى الآية الكريمة : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا

مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » ... صلوات الله وسلامه عليك ، فقد اختارك ربك من سلالة كريمة المحتد، طيبة المنبت ، أصيلة الجد ، عريقة النسب ، شريفة الحسب .. وها أنت تتمدح بذلك فتقول : « ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بنى هاشم ، واصطفانى من بنى هاشم ، فأنا خيار من خيار » .

وفى الواقع ، ونتيجة لطهارة وعائه، فقد كان الرسول الكريم من عشاق الفضائل منذ نعومة أظافره ، عف عن الدنايا منذ طفولته ، وفى مقتبل عمره ، فكانت حياته كلها حافلة بعظائم الأمور ... كان غلاما يترفع عن مألوف الغلمان ، وكان فتى له تفكير الساسة المحنكين ، وكان شابا فيه خلال الكبراء وهيبة الشيوخ رغم أن طور الطفولة وطور الشباب عاملان يدعوان الى النزق والطيش ويحملان على الاسفاف والضعة ... ولكن الرسول فى كل هذه الأطوار كان مثالا للاباء والشرف .

هذا وقد أوتى الرسول الكريم جوامع الكلم فى دروسه التربوية فى مجال التنشئة الاجتماعية وفى غيرها من العمليات الاجتماعية ، فقد روى الامام أحمد عن وابصة بن معبد رضى الله عنه ، قال : أتيت النبى صلى الله عليه وسلم وأنا أريد ألا أدع شيئا من البر و الاثم الا وسألته عنه فقال لى : أدن ياوابصة فدنوت منه حتى مست ركبتى ركبتاه ، فقال ياوابصة « جئت تسألنى عن البر والاثم ؟ قلت نعم : فجمع أصابعه الثلاث فجعل ينكث فى صدرى وقال : ياوابصة استفت نفسك ، البر ما اطمأنت اليه النفس واطمأن اليه القلب والاثم ما حاك فى القلب وتردد فى الصدر وان أفتاك الناس وأفتوك » .

وهكذا كان اسلوب معلم الانسانية الأول فى التنشئة الاجتماعية لأفراد المجتمع ، ولاغرو فى ذلك والقرآن الكريم يقول عنه : « وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى »

الأيات ٣ ، ٤ من سورة النجم • وكذلك قوله تعالى : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم» الآية ١٢٨ من سورة التوبة •

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطى القدوة الحسنة لمن سيجىء بعده من خلفائه ، حيث كان يزور ضعفاء المسلمين ويلاطفهم ويواسيهم ويؤانسهم ، ويجلس معهم، ويعود مرضاهم ، ويحضر جنائزهم• وكان يدعو ربه اذا توجه الى المسجد، كما جاء فى صحيح مسلم • ومن دعائه صلى الله عليه وسلم : « اللهم اجعل فى قلبى نورا ، وفى بصرى نورا ، وفى لحمى نورا ، وفى دمى نورا ، وفى شعرى نورا ، وفى بشرى نورا » رواه الشيخان •

ولقد سارت التربية فى المجتمع الاسلامى على أساس أن يعمل المؤمن المسلم أو المؤمن غير المسلم «النصرانى أو اليهودى » على تربية نفسه على مكارم الأخلاق فمن أراد أن يتحلى بالحلم ويجعله خلقا من أخلاقه ، فعليه أن يتعود ضبط النفس وكظم الغيظ ــ وذلك حتى تستقر لديه خاصة الحلم ، بل والكرم اذا أراد أن يكون الكرم سمة من سماته ، فعليه ــ كذلك ــ أن يؤمن بقيمة الخير ويعمل دائما على ترويض نفسه على السماحة والبذل ، حتى تستقر لديه صفة الكرم ، فالحلم والكرم هما جناحا الأخلاق ، تلك التى قيل فيها :

أقبل على النفس واستكمل فضائلها
فأنت بالنفس ، لا بالجسم انسان

ولا ريب أن هذا المنهاج التربوى كان استجابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى : « قد أفلح من تزكى » وقوله تعالى : « قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » والفلاح هنا شرط لقدرة الانسان على تربية نفسه على الفضائل وتنمية نوازع الخير فيها ، وتنحية دوافع الشر عنها •

والتزكية الواردة فى الآية الكريمة السالفة الذكر ، تشتمل أيضا على التطهر من الرذائل والتربية على

الفضائل . فقد جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلس بين يديه وقال يارسول الله : ماالدين؟ قال : حسن الخلق ، ثم أتى اليه من قبل شماله ، قال يا رسول الله ، ما الدين ؟ قال « حسن الخلق » ثم أتى اليه من ورائه وقال : يا رسول الله : ما الدين ؟ قال « حسن الخلق » وهنا أضاف الرجل : أما تفقه !؟ أى ألا تغضب !؟ هذا ويرجع عدم غضب الرسول عليه الصلاة والسلام الى كبحه لجماح نفسه وتمرينها على الانضباط والتحلى بمكارم الأخلاق فالحليم هو الذى يضبط نفسه عند الغضب . وحلمه هذا وكرمه الأخلاقى ورقة قلبه ، كانت السبيل الأساسى الى جمع الناس حوله واستمساكهم به،وحبهم له،وحرصهم على رضاه . وكل ذلك كان منه رحمة من الله به وبالناس .

ولا غرو فى ذلك فهو القائل:«انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » فطوبى لمن اتبع سبيل خاتم النبيين وسلك الصراط المستقيم والمنهاج القويم فى تنشئة أبنائه باتباع توجيهات الرسول الكريم : « الذين يتبعون النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل،يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر » وهل يترك الله حبيبه محمدا حامل لواء الحق والعدل لعدوان عبدة الأصنام والأوثان ؟ كلا فهو الذى وجده يتيما فآواه ، ووجده ضالا فهداه ، ووجده عائلا فأغناه ، وهو الذى قرن اسمه باسمه وأمرنا بالصلاة والسلام عليه فقال:«ان الله وملائكته يصلون على النبى ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » .

وفى كل نظريات التربية التى تدرس فى كل كليات التربية فى العهد الحاضر ، تنصح كل ذى أبناء أن يسترشد بأسلوب رسولنا الكريم فى التنشئة الاجتماعية لأبنائه من البنين والبنات ، حتى تمتد اليه يد الرحمة بالهداية والارشاد ، تصديقا لقوله تعالى : « قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ، حتى اذا رأوا

ما يوعدون،اما العذاب واما الساعة، فسيعلمون من هو شر مكانا وأضعف جندا » الآية ٧٥ من سورة مريم .

ولا ريب أن الصيغة المثلى لصنع المجتمع الاسلامى على نفس المنوال الذى يحدده القرآن الكريم،مجتمع رائد ، متماسك ، ناهض ، دينامى ، كمجتمعك الذى ساد بالفكر المتطور والوحدة النقية الوثقى ، والقوة الواعية ... فليس كالاسلام دينا ينشد السلام ويعمل جاهدا على تحقيقه وتدعيمه،معتمدا على المنطق والحجة فى اطار الحرية الكاملة لعقل وفكر الانسان .. الانسان الذى كرمه الله جلت قدرته ، وفضله على سائر المخلوقات .

تلك هى التنشئة الاجتماعية بالمعنى الاسلامى ، والتى وضع أسسها من كانت تنشئته الاجتماعية على يدى الله ، حيث كانت عناية الله ترعاه فى كل طور وفى كل مرحلة ، عاله وهو يتيم فقير ، وكفله وهو راع صغير ، ووفقه وهو تاجر أجير ، ثم شاء — ولأمر يريده — أن يصنعه على عينه، فأدبه بأدبه ، وعلمه من علمه،وعصمه من أرجاس الوثنية وأوزار الجاهلية، حتى صار اليتيم العديم سيدا للجزيرة العربية ، والراعى الصغير راعيا للعالم كله ، والتاجر المتجول فاتحا للأرض ومؤسسا لنظام اقتصادى يقوم على العدالة . ولما كان الله قد زوده قبل كل ذلك بسمات الصبر والصدق والايمان والثبات وحب الجهاد والخلق والرجولة ... فقد أثمر الغرس وتم النور واتحدت الكلمة واتسعت الرقعة ، فصارت المدينة دنيا ، والقلة ملة ، والقرى الثلاث مكة والطائف ويثرب أشبه بنيويورك ولندن وباريس .. وبالتالى فان علينا أن نتخذ من أسلوبه فى التربية نبراسا لنا اذا شئنا التحضر بحضارة الاسلام الحقيقية وليس بحضارة الغرب الزائفة .

د : زيدان عبد الباقى

بين الكتب والصحف

للأستاذ محمد عبد الله السمان

● الحديث الشريف رواية ودراية
تأليف : الدكتور النعمان القاضى

بالرغم من أن هذا الكتاب صغير الحجم اذ لا تبلغ صفحاته الا زهاء مائة وثلاثين صفحة من القطع المتوسط ، الا أنه دراسة جيدة جديرة بالاهتمام ، والواقع أننا لا نزال فى حاجة أكثر الى علوم الحديث النبوى الشريف بأسلوب العصر ولغته . لأن الحديث كمصدر ثان من مصادر التشريع بعد كتاب الله عز وجل ، قد تعرض لاثارة الشبهات — لا من ناحية المستشرقين والمبشرين فحسب — بل أيضا بأقلام بعض المنتمين الى الاسلام .. وأجدر الناس بالعناية باستيعاب علوم الحديث ، الشباب الجامعى المسلم ، الذى يتعرض لكثير من الاهتزازات التى يثيرها حول الحديث النبوى الشباب الماركسى الأحمر ، وقد أحسست بهذا بنفسى من خلال الأسئلة التى كنت أتلقاها فى المحاضرات الاسلامية للجماعات الدينية بالجامعات .

رتب المؤلف هذه الدراسة القيمة فى فصلين ، جعل أحدهما فى رواية الحديث ، ووزعه على عشرة مطالب هى على الترتيب : تعريف الحديث الشريف وبيان منزلته — مظاهر العناية بالسنة الشريفة — متابعة الرواية والتدوين فى عهد النبى وفى عهد صحابته — فى عصر التابعين — حركة التدوين الشامل والنهوض بها — صور التدوين المختلفة حسب ترتيبها الزمنى — تجريد الكتب للحديث — طريقة التصنيف على المسانيد — كتب الصحاح الست ، ثم كتب الحديث الأخرى وبخاصة المتأخرة منها — وأهم كتب الشيعة المعتمدة فى الحديث ..

أما الفصل الثانى فقد جعله المؤلف لعلم الحديث • ووزعه على عشرة مطالب أيضا ، هى على الترتيب : الحديث عن الوضع وأسبابه ، حيث كان أهم الدوافع التى دفعت علماء الحديث الى أحكام ضوابطه ومعاييره ـ الفرق بين الحديث والسنة ـ المقصود بعلوم الحديث ومباحثه المختلفة ـ أهم خواص ركن الحديث متنه وسنده ـ الجرح والتعديل ومقوماتهما ـ طرق التحمل والضبط والأداء ـ شروط الرواية التصنيف الوصفى ـ التصنيف من حيث الصحة والضعف والقبول والرد ـ ثم ما يعتور الحديث من علل وشذوذ تحول دون صحته وقبوله ••

الحق أن المؤلف الأستاذ الدكتور النعمان القاضى كتب هذه الدراسة كتابة العالم المحقق المدقق ، وقد قام بتدريسها لطلبته فى كلية آداب القاهرة • قسم اللغة العربية ، وربما كان الدافع الى الايجاز الذى توخاه هو أن يفيد الطلبة منها ويستعينوا بها ، ويتمكنوا من استيعابها ، ومع تسليمنا بأن بعض صفحات الدراسة قد تضمن الرد غير المباشر على ما أثير من شبهات حول الحديث الا أننا كنا نطمع فى اضافة فصل مستقل للرد على هذه الشبهات ولا جدال فى أن الطلبة ـ فضلا عن غيرهم ـ فى حاجة الى هذا الفصل ، ويبدو أن المؤلف قد عرض سريعا لكتب الحديث عند الشيعة ، وموقف الشيعة من كتب السنة المعتمدة •مع أن هذه المسألة من الدقة بمكان •

هذا وقد أشار المؤلف الى كتابى الامام السيوطى : جمع الجوامع والجامع الصغير ـ فذكر أن جمع الجوامع مخطوط ، بينما فى الواقع لم يعد مخطوطا ، اذ بدأ مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر الشريف طبعه منذ سنوات ، وقد ظهر منه عدة أجزاء ••

● الضياء من أقوال سيد الأنبياء
تأليف: الأستاذ عطية عبدالرحيم عطية

المؤلف كاتب اسلامى دءوب ـ يهتم فى المقام الأول بالتراجم عن الرعيل الأول من أصحاب رسول الله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ،وقد نشر له المجلس الأعلى للشئون

الاسلامية كتبا ثمانية فى التراجم ، أما كتابه الذى بين أيدينا ، فهو مجموعة من أقوال الرسول ، أحسن المؤلف اختيارها ، لأن كلا منها يرتبط بموضوع من الموضوعات التى تمس حياة المجتمع الاسلامى ، ومن هذه الموضوعات : أداء الحقوق فى الاسلام ـ الاحتكار خطيئة ـ صيانة الأعراض ـ حرمة النفس ـ أشرف الكسب ...

ومنهج المؤلف : هو أن يجعل من الحديث النبوى الشريف رأسا للموضوع المتصل به ، ثم يأخذ فى شرح الحديث شرحا يستوعب الموضوع ، مستعينا بكتاب الله ، وأقوال الصحابة والسلف والعارفين، محاولا أن يتوافر فى كل موضوع الوحدة العضوية له .. جهد استطاعته .. ويبدو أن اهتمام المؤلف بالمعنى جعله لا يعنى كثيرا بشرح بعض ألفاظ الحديث ، والتنقيب عن الأسرار البلاغية فيه . كذلك يبدو أن اعتماد المؤلف على شهرة الأحاديث التى عرضها ، جعله لا يعنى كثيرا بتخريجها وابراز درجتها ..

ومع ذلك فقد قدم لنا المؤلف دروسا فى السلوك والأخلاق والمعاملات ، لها أهميتها الكبرى فى حياتنا المعاصرة ، ولها تأثيرها فى تربية جيل من الشباب المسلم ..

● قطوف من السنة :
للشيخ عز الدين فريد

المؤلف امام وخطيب وواعظ من أنشط العاملين فى الحقل الاسلامى ، وهذه القطوف من السنة التى نشرتها **دار الاعتصام بالقاهرة** ، هى مختارات من الكلم الجوامع ، والحكم الدوافع جمعها المؤلف وقدم لها ، بدأها بفضل الصلاة والسلام على الرسول ، وضمن هذه القطوف ألوانا شتى من العبادات والمعاملات والأخلاقيات والأوامر والنواهى ، والرسالة موجزة تبلغ صفحاتها أكثر من سبعين صفحة ، وهى رسالة خفيفة الظل ينجذب القارىء اليها ، ولقد حرص الشيخ عز الدين فريد امام وخطيب مسجد كلية طب جامعة عين شمس ، على تخريج الأحاديث النبوية التى ضمنها رسالته .

● **حول ضمائر صحف موسكو..**

ذكرت الأنباء أن صحف روسيا شنت حملة دعائية على الأحداث الدامية فى جنوبى أفريقيا التى تقوم بها حكومة جنوبى أفريقيا العنصرية ، وصحف موسكو تتظاهر بالدفاع عن الافريقيين الذين يتعرضون للارهاب الدموى • ويبدو أن شهامتها تصاب بالعجز والقصور اذا كانت الدماء البشرية دماء اسلامية •• والا فلماذا لم تتحرك هذه الشهامة المصطنعة تجاه حرب الابادة التى تشنها الطغمة العسكرية فى الحبشة على شعب أريتريا المسلم، والتى تشنها الطغمة العسكرية فى الفلبين على خمسة ملايين مسلم فى جنوبى الفلبين ، والتى تشنها الطغمة العسكرية البوذية عى أربعة ملايين مسلم فى اقليم فطامى فى تايلاند ؟

واذا علمنا أن ماركوس رئيس دولة الفلبين قد قام فى الأسابيع الماضية بزيارة ودية للاتحاد السوفييتى ، بهدف اقامة علاقة صداقة بين البلدين • حيث صرح ماركوس فى البيان الذى أدلى به اثر عودته الى العاصمة بأن الفلبين وجدت صديقا مخلصا فى الاتحاد السوفييتى ، أدركنا السبب فى أن ضمائر الصحافة فى موسكو ضمائر انحيازية لا يحركها الا الهوى •

× × ×

● **قراءات :**

« الدنيا دار أولها عناء وآخرها فناء••فى حلالها حساب وفى حرامها عقاب •• من صح فيها أمن »، ومن مرض فيها ندم•• ومن استغنى فيها فتن •• ومن افتقر فيها حزن » •

من كلمات الامام على

محمد عبد الله السمان

● قال بعض السلف كنا نمزح ونضحك اذ أصرنا يقتدى بنا فما أراه يسعنا ذلك

باب الفتوى

للشيخ الأستاذ محمود محمد رسلان

شبهة ملحد

السؤال بتصرف :

طلب أحد الملحدين من أحد خطباء المساجد وهو فى درسه الدينى تفسير قول الله تعالى : « ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى » من الآية ٢٧ من سورة يونس .. فقال الخطيب : يخرج الحى وهو الانسان ، من الميت وهى النطفة ، فقال الملحد : أربك يكذب ؟ فقال الخطيب : حاشا لله ، فقال : وما تعمل اذا ظهر كذب تفسير هذه الآية وأن هذا الكلام ليس من كلام الله ، وانما هو من افتراء نبيكم محمدا فاقشعرت قلوب الحاضرين مما قال وهموا أن يضربوه ويخرجوه من المسجد ، ولكن الماكر كان معه رجل آخر يعاونه فقال لنا : انتظروا وسيفسر لكم أخى محمد تلك الآية تفسيرا متقنا ، وقال :

يا محمد قم وبين هذه الآية ، فقال : اخوانى : من منكم يخدم الانسانية ، ويتبرع باحضار نطفته ويأخذ مبلغ خمسين قرشا ، فقام رجل بهذه المهمة ، ووضع محمد النطفة فى كأس نظيفة غسلها القوم بأيديهم وطهرها الرجل بالكحول ، وأخرج من بين ملابسه منظارا معظما ، ونظر الى النطفة فى الكأس ، ثم أخذنا المنظار ونظرنا فيه فوجدنا فى الكأس دودا يسبح فى النطفة ، فدهشنا أى دهش عند سماعنا من هذا الملحد عبارات التكذيب لقانوننا السماوى ونحن بدورنا نحيل عليكم هذا السؤال للاجابة عليه اجابة شافية حتى نسكته ونسكت أمثاله ؟ والله يهدينا واياكم سواء السبيل .

السيد محمد متولى حمادة

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فان أمثال هذا كثيرون يخرجون فى كل زمان لتشكيك المسلمين وصرفهم عن دينهم وعقيدتهم ، ومن العجيب أن أغلبهم ممن ينتسبون الى الاسلام ، والأسلام منهم براء ، ومن ثم وجب على كل مسلم وخاصة من يتصدون للدعوة الى الله أن يكونوا على درجة كبيرة من العلم والمعرفة حتى يبصروا الناس أمور دينهم ، ويحذرونهم من المارقين عنه ، واذا كان هذا الملحد تجرأ على الله ورسوله فانا نسوق له الأدلة الرادعة له ولأمثاله .

ففى سورة آل عمران عند قوله تعالى : « وتخرج الحى من الميت » من الآية ٢٧ كالعالم من الجاهل والصالح من الطالح ، والمؤمن من الكافر « وتخرج الميت من الحى » . كالكافر من المؤمن ، والجاهل من العالم ، والشرير من الخير ، وقد مثل المفسرون للحياة الحسية بخروج النخلة من النواة والعكس ، وخروج الانسان من النطفة ، والطائر ونحوه فى البيضة والنواة ، لأن هذه الحياة اصطلاحية لأهل الفن فى عرفهم دون العرف العام الذى جاءالتنزيل به ، ومن الأمثلةالصحيحة فى العرفين خروج النبات من التراب ، وقد جاء القرآن بتسمية ما يقابل الحى ميتا سواء كانت الحياة حسية أو معنوية ، وسواء كان ما أطلق عليه لفظ الميت مما يعيش ويحيا مثله أم لا وهو استعمال عربى صحيح فصيح . والآية تدل على قدرة الله وعظمته فعنده سبحانه كل شىء بمقدار . ا . هـ انظر تفسير المنار حـ ٣ ص ٢٢٦ بتصرف .

وتأتى مجلة نور الاسلام على هذه الشبهة فتفندها وتعريها فقد قال المرحوم الشيخ يوسف الدجوى من هيئة كبار العلماء فى الأزهر ما يلى :

يحزننا كثيرا انتشار أولئك الملحدين الذين تزيوا بزى الاسلام

وما هم منه فى قليل ولا كثير ، وأكبر ظنى أن هـذا الغمز الوقح من المبشرين الذين افتنوا فى وسـائل التبشير وان لم يكن منهم فهـو صنيعتهم . يحزننـا أن يعيشـوا فى الأرض فسادا بلا زاجر من حيـاء ولا احترام للأمة التى يعيشون بين أظهرها ، ولا خـوف من الحكومة التى دينها الاسلام .

وانى أعتب كل العتب على أولئك المسلمين الذين كانوا مجتمعين عندما قال كلمته الشنعاء أمامهم ، محتقرا اياهم ، هازئا بدينهم ، مكذبا لنبيهم ، ولو كان للدين فى تلك النفـوس الضعيفة الخـوارة ، ما للوطنية أو الحزبية ، لكان منهم ما يقمع أمثال أولئك المـارقين الذين أصبحوا يهاجمونهم فى مساجدهم طمعا فيهم واستهانة بهم ، مع أن القانون يحظر ذلك ويعاقب عليـه لو أبلغوا ذلك لأولى الأمر : ، ولـكن ما تفعـل القوانين اذا فسـدت النفـوس ، وضـعفت القـلوب ، وقصـرت العقول ، وتفككت عـرا الوحـدة الاسلامية ! ولعمر الله لقـد ذهب أولئك الذين يحبهم الله ويحبـونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وخلف من بعدهم خلف كغثاء السيل أعزة على المؤمنين أذلة على الكافرين؟ ولندع هذا كله آسفين باكين :

وليـل طـال بالأنكاد حتى
ظننت الليـل ليس له نهـار
لمـا لا والتقى حلت عراه
وبـات على بنيـه الانكسار
ليبك معى على الدين البواكى
فقد أضحى مواطنه قفـار

ولنشرع فى الجـواب مستعينين بالله فنقول : ان هذا الملحد من أجهل الجاهلين فان الحى لا بد أن يخرج من الميت بالبرهان العقلى ، لأن أول حى قد خرج من الميت لا محـالة ، والا لم يكن أول حى ، وقد فرضناه أول حى (هذا خلف) . أو نقول : لو كان كل حى خارجا من حى للزم الدور أو التسلسل ، وهما محالان كما هو معروف وقد كان ذلك العالم الطبيعى الذى يقول : « ان الحيـاة فلتة من فلتات الطبيعة ، ولا بـد أن يرد الحى الى أصله الميت » أعقل من هذا الأحمق ، فانه لم يسهل عليه

أن يقول بالتسلسل الى غير النهاية ، بل جعل لها أولا هو ذلك الأصل الميت،فلم يقل بالتسلسل غير المعقول، وان كان ما قاله أيضا فلتة من فلتات العلم .

ثم نقول : ان صح ما زعمه هذا الملحد فى الانسان (مع أنه غير صحيح فى الانسان الأول كما عرفت،ولا فى الانسان المتولد من النطفة كما ستعرف) فماذا يصنع فى حبة القمح أو نواة النخلة ، والنخل أقرب أنواع النبات الى الحيوان ، بل كاد يصل الى أفقه ؟ فهل يقول : ان فيها شيئا حيا يرى بالمكرسكوب فيه خصائص الحيوان ومميزاتها ؟ وانى أخشى أن يقول كما قال بعضهم : ان الحبة والنواة حية بالقوة فليعلم هو وأمثاله أن معنى الحياة بالقوة هو الاستعداد للحياة ، وأن الحى بالقوة ميت بالفعل كما قرره العلماء ، وأن الاستعداد للشىء والاعداد له ينتهيان بوجود ذلك الشىء ، فهذا طور وذاك طور آخر ، ومن الذى تشتبه عليه الوسيلة بالغاية والمقدمة بالنتيجة ؟ فهذا ما يقرره العلم ويقتضيه العقل ، فلا بقاء للوسيلة مع الغاية ، ولا وجود للغاية مع الوسيلة فان قال : ان النواة مستعدة للحياة التى ستحلها وتخرج منها شجرة حية وثمرة شهية ، كان ذلك صحيحا ، وليست تحل الحياة الا فيما هو مهيأ لها ومستعد لظهور آثارها ، وان قال : ان النواة حبة أو فيها شىء حى بالفعل ، كان ذلك جهلا وكذبا .

ثم نقول بعد ذلك : ان ما زعمه من أن الانسان هو من الحيوان المنوى الحى الذى يرى فى منى الرجل — باطل من وجوه عديدة :

أولا : أن ذلك الحيوان الذى اغتر به لا بد أن يرجع الى أصل ميت ، والا لزم الدور أو التسلسل كما قلنا .

ثانيا : أن هذا الحيوان لا بد أن يموت قبل خلق الانسان ، فالانسان اذا ما خرج الا من ميت ، وذلك أنهم صرحوا بأن التلقيح انما يكون برأس الحيوان فقط ، وهو لا يبقى حيا عند انفصال رأسه ، فسنة الحيوان جارية فيه ، فمتى انفصل رأسه مات، وقد حصل المقصود من حياته

وحركته وهو الوصول الى البييضة التى يلقحها ذلك الرأس عند وصوله اليها .

ثالثا : أنه يمتزج بهذه البييضة امتزاجا يجعلهما شيئا واحدا ، فلا معنى لبقائه حيا تلك الحياة الحيوانية مع هذا الامتزاج والاتحاد .

رابعا : أن هذه البيضة قد يتولد منها جنينان أو أكثر ، والمرأة لا تفرز الا بيضة واحدة فى كل شهر ، والمعروف أن التلقيح انما يكون بحيوان واحد ، وقد صرح بذلك بعض الاختصاصيين ، فكيف يكون الحيوان حيا باقيا على حالته المرئية التى يشبه بها الملق على الناس ، ثم يتولد فيه جنينان أو أكثر ؟! وكأن ذلك الجاهل يظن أن هذا الحيوان المنوى قد كبر ونما حتى صار انسانا ، وما أجهل من يظن ذلك وما أغباه !

خامسا : على أن الانسان لم يخلق من هذا الحيوان فقط ، بل خلق من أشياء كثيرة ، وتغذى بأشياء كثيرة يعسر تبينها على الحقيقة ، وقد قال بعضهم : ان علم الأجنة لا يزال جنينا حتى الآن ، ولا يزال سبب انقطاع الحيض زمن الحمل مجهولا ، وان كانوا يتكلمون فى غايته لا فى سببه ، ولذلك ترى كثيرا منهم يعدون الثديين من أعضاء التناسل ، ويقولون : اذا قطع ثديا المرة لم تلد ، ولا يستطيعون تعليل ذلك تعليلا شافيا الى غير ذلك مما لا يمكننا شرحه ولا الافاضة فيه ، فليرجع الى الاختصاصيين المبرزين فى هذا .

فان اعتبر الاستعداد للحياة والتهيؤ لها حياة ، كان الخلاف بيننا وبينه لفظيا ، وكذلك النمو والانقسام ، فاننا لا نعتبر الحياة الا بالحس والحركة ، ولا فرق عندنا بين كلمة حى وكلمة حيوان ، والحيوان هو الجسم النامى الحساس المتحرك بالارادة ، فان اعتبر الحياة أوسع من ذلك اصطلاحا ، ولا مشاحة فى الاصطلاح ، فيكون الخلف بيننا وبينه فى العبارة لا غير .

وان شئت قلت : انها حياة تشبه حياة النبات ، ونحن نريد الحياة الحيوانية لا النباتية ، ولو أخرج الله من الشجرة انسانا لقلنا : انه أخرج الحى من الميت ، وليس يقل

ما بين الانسان والشجر من الفــرق عما بين الشجر والحجر من الفرق ، وقد رأينا المعــادن تتربى وتنمو فى بطن الأرض ولهــا مــدد مختلفــة فى نمــوها وتربيتهــا ، فالملـــح والشــب والكبــريت لا تحتــاج الا لمــدة سنة أو أقل ، والحــديد والرصاص والفضة تحتاج الى مدة طويلة ، والعقيق والياقوت يحتاجان الى مدة أطول من ذلك كله ، مع أنها لا تعتبر أحياء بذلك النمــو ، فان قالوا : ان هذه حياة ، كانت تسمية اصطلاحية ، وكلامنا معهم فى معان لا فى ألفاظ .

وبعد فالأمر واضح لا مرية فيه ، ولكنهم يلبسون الحــق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون اللهم فانصر دينك ، وقو حزبك ، واكبت أعداءك الضالين المضلين ، فانك على ذلك قديرا اللهم انا نعــلم أن ذلك لا يضرك شيئا ، ولكن نسألك أن تخذلهم بقــوتك القاهرة رحمة بنــا يا أرحم الراحمين !

الخلاصة :

١ ــ والخلاصة أن لك أن تقول: ان المــراد الحى الأول ، والحــى الأول خارج من الميت لا محــالة ، ولا بد أن تنتهى سلسلة الأحياء ، والا لزم الدور أو التسلسل .

٢ ــ ولك أن تقول : اذا شاهدنا الحيوان المنوى فى المنى فاننــا لم نشاهد شيئا حيا فى النــواة مع خروج النخلة منها ، وهم يعترفون بحياتها لا محالة ، فقد خرج الحى من الميت لا محالة .

٣ ــ ولك أن تقوله : ان المــراد فى الآية الانسان المتولد من النطفة، وما تخلق الانسان من ذلك الحيوان المنوى الا بعد انفصال رأسه وامتزاجه بالبييضة ، فهو اذ ذاك ليس حيا ، فما خرج الانسان الا من شىء ميت .

٤ ــ ولك أن تقول : ان الانسان قد تخلق من أشــياء كثيرة من الأب والأم بل غالب تغذيته وتكونه من الأم بواسطة أشياء عديدة ، ومنها دم الحيض ، وهذه الأشــياء التى تكون منها ليست حيوانات بالضرورة، فاذا يكون قد خرج الحى من الميت، فان هذه أشياء ميتة لا محالة .

٥ ــ لو تنزلنا غاية التنزل وقلنا : انه خلق من ذلك الحيــوان ، وان

الحيوان لم يمت وانه ليس هناك أشياء ميتة أخرى يخلق منها الانسان، لو قلنا ذلك كله وافترضنا صحته مع أنه غير صحيح ، لكان ذلك الحيوان نفسه خارجا من الميت لا محالة ، فانه متخلق من الأغذية الميتة لا محالة ، أو راجع الى أصل ميت لا محالة .

ولنقتصر على هذا وقد فرغنا من الايمان بصدق الرسول وعصمته التى قامت عليها الآيات البينات الواضحات « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » . والله أعلم .

المجلد الثالث من مجلة نور الاسلام لسنة ١٣٥١ ص ٤٨١ وما بعدها .

محمود محمد رسلان

وحدك على الحق جماعة

قال عمر بن ميمون الاودى : صحبت معاذا باليمن فما فارقته حتى واريته فى التراب بالشام ، ثم صحبت بعده أفقه الناس عبد الله بن مسعود رضى الله عنه ، فسمعته يقول : عليكم بالجماعة فان يد الله على الجماعة ثم سمعته يوما من الأيام وهو يقول : سيلى عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها ، فصلوا الصلاة لميقاتها ، فهى الفريضة وصلوا معهم فانها لكم نافلة ، قال قلت : ياأصحاب محمد ما أدرى ما تحدثونا قال : وما ذاك ؟ قلت : تأمرنى بالجماعة وتحضنى عليها ثم تقول : صل الصلاة وحدك وهى الفريضة وصل مع الجماعة وهى نافلة قال : يا عمر بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية . تدرى ما الجماعة : قال : لا قال ان جمهور الجماعة الذين فارقوا الجماعة . الجماعة ما وافق الحق وان كنت وحدك . وفى طريق أخرى (فضرب على فخذى وقال : ويحك ان جمهور الناس فارقوا الجماعة وأن الجماعة ما وافق طاعة الله عز وجل ، قال نعيم بن حماد يعنى اذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل ان تفسد وان كنت وحدك فانك أنت الجماعة حينئذ .

اغاثة اللهفان ـ ابن القيم

أخبار العالم الإسلامى

للأستاذ ابراهيم حامد النويرى

مصر

* أرسى فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ــ فى الفترة الأخيرة ــ حجر الأساس لعدد من المعاهد الأزهرية ، الاعدادية والثانوية ، فى عدد من محافظات جمهورية مصر العربية .

وتوجه مشيخة الأزهر عنايتها الآن الى العمل على انشاء مزيد من المعاهد الأزهرية ، فى مختلف المحافظات ، وذلك بهدف التوسع فى التعليم الدينى وتيسيره للراغبين فيه من أبناء المسلمين فى مختلف مراحل التعليم .

* تتجه النية فى الأزهر الى استيعاب أكبر عدد من المتقدمين لدخول مسابقة الالتحاق بالمرحلتين الاعدادية والثانوية ، بالمعاهد الأزهرية وذلك بناء على توجيهات فضيلة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر .

تحية لفضيلته على جهاده ، وعنايته بالأزهر والمسلمين ، ودعاء له بالصحة والقوة ، حتى يصل بالأزهر الى مكانته ، فى ظل دولة العلم والايمان التى أرسى قواعدها الرئيس المؤمن محمد أنور السادات .

* أصدر السيد/ممدوح سالم رئيس الوزراء قرارا بتعيين الدكتور عبد الجليل عبده شلبى أمينا عاما مساعدا لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر .

تهنئة لفضيلة الدكتور عبد الجليل ودعاء له بالتوفيق فى أعماله .

* قررت وزارة التربية والتعليم أن تطبع آيات القرآن الكريم فى الكتب الدراسية المقررة على المدارس عن طريق التصوير من المصحف ، وذلك تجنبا لأى خطأ مطبعى أو تحريف فى آيات ورسم المصحف .

وهذا القرار يعد عظيما وحكيما ، فبجانب هدفه السابق فان له هدفا آخر ، وهو تعويد النشء على قراءة آيات القرآن وحفظها حسب الرسم العثمانى ، ليظل المصحف ورسمه محفوظا فى الصحف وفى الصدور ، مصداقا لقول الحق تبارك وتعالى : (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

اننا نحيى وزارة التربية والتعليم على قرارها وعلى عنايتها بكتاب الله ، وندعو لها بالتوفيق فى تربية نشء المسلمين .

السعودية

* تقيم جامعة الامام محمد بن سعود معرضا للكتاب الاسلامى بالرياض ، وذلك فى الفترة من غرة ذى القعدة الى الثامن منه ١٣٩٦ هـ الموافق ٢٤ الى ٣١ أكتوبر ١٩٧٦م ، وهى الفترة التى سيعقد فيها مؤتمر الفقه الاسلامى الذى تنظمه الجامعة .

وستشترك دور النشر من مختلف الدول فى هذا المعرض .

وقد وجهت الجامعة الدعوة الى فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر للمشاركة فى المعرض ، وذلك لعرض ما لدى المجمع من أمهات الكتب والمراجع الاسلامية وأحدثها عامة ، وما يتعلق منها بالفقه الاسلامى .

* سيتم انشاء ثلاث كليات جديدة فى الطائف بالمملكة العربية السعودية وذلك فى العام الدراسى الجديد ١٣٩٦ هـ / ١٣٩٧ هـ ، وستكون تابعة لجامعة الملك عبد العزيز .

والكليات الثلاث هى : الطب ، والزراعة والتربية ..

ابو ظبى

* أشهر بريطانى وفرنسى يعملان فى دولة الامارات العربية اسلامهما أمام فضيلة الشيخ أحمد عبد العزيز رئيس القضاء الشرعى بدولة الامارات العربية .

السنغال

* تقيم جمعية الهدى الخيرية بداكار عاصمة السنغال مشروعا خيريا ضخما ، عبارة عن مؤسسة تضم فروعا للعبادة والتعليم والصحة

وتحفيظ القرآن الكريم والتربية الدينية والرياضية ، وستقام على ثلاث مراحل هى :

١ ــ المرحلة الأولى من البناء وقد تم حتى الآن بناء الهيكل ، كما جهز بأدوات الكهرباء ، والمبنى مؤلف من خمسة طوابق ، يضم ناديا للاجتماعات العامة واحياء المواسم الدينية والثقافية ، ومسجدا ومعهدا لتعليم اللغة العربية ، ومكتبة عامة وعيادة طبية مجانية ، تبرع للمساهمة فيها حوالى ١٥ طبيبا ، من أبناء المسلمين هناك ، وتبلغ تكاليف هذه المرحلة ١٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك .

٢ ــ المرحلة الثانية ، وقد تم شراء الأرض اللازمة لها ، وهى عبارة عن مدرسة يتعلم فيها الطلاب جميع المناهج الحكومية فى السنغال ، مضافا اليها التعليم العربى والتربية الدينية ، وتبلغ تكاليف هذه المرحلة ــ حسب التقديرات الموضوعة لها ــ حوالى ٢٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك .

٣ ــ المرحلة الثالثة ، وهى عبارة عن اقامة مسجد كبير مع ناد مستقل ، ومستوصف فيه كل مايلزم من التجهيزات الحديثة ، وتقدر تكاليف هذه المرحلة بأكثر من مليون دولار .

وهدف المشروع المساهمة الفعالة فى توثيق الروابط الأخوية والتعاون الثقافى بين البلاد العربية والبلاد الافريقية ، ونشر الثقافة واللغة العربية والتربية الدينية بين أبناء العرب فى هذه البلاد باعتبار السنغال نقطة الانطلاق فى غرب أفريقيا .

وقد وجهت الجمعية نداءها الى جميع الهيئات والمؤسسات الاسلامية فى العالم لمد يد المساعدة المالية لها لانجاز هذا المشروع الخير الكبير .

ايطاليا

* دعا المركز الاسلامى الثقافى بايطاليا جميع المسلمين هناك الى الوقوف بصلابة وشدة لمنع عرض فيلم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اذ أن هذا العمل الخطير لا يقصد منه الا الدس المسيىء والنيل من المسلمين ودينهم الحنيف .

الدانمارك

* اعتنقت سيدتان دانماركيتان الاسلام بعد دراسة عميقة وواعية للاسلام وأصوله وأحكامه وأهدافه .

ومن الجدير بالذكر أن السيدتين تخرجتا فى جامعة كوبنهاجن وعملتا فى حقل التدريس وقد اختارت الأولى لنفسها اسم (هدى سيد) واختارت الثانية اسم (جنة سالم) .

تقول السيدة (هدى سيد) عن القرآن والاسلام : (ان القرآن دستور كبير للحياة الانسانية وأن الدين الاسلامى هو التشريع الشامل لكل وجوه الحياة فى الماضى والحاضر والمستقبل ، وأنه المرشد الوحيد للفرد والجماعة على هذه الأرض ، وأنه دين صريح وواضح لا غموض فيه ، ويصلح لكل الأزمان والعصور) .

وتقول السيدة (جنة سالم) عن الاسلام : (ان الاسلام دستور يزخر بمبادىء العدل والمساواة والاخاء بين جميع الناس ، وان القرآن كتاب حق ،وأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين .. اننى أشعر أننى ولدت من جديد بين الهدى والنور بشهادة الحق : أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله) .

سويسرا

* وافق فضيلة الشيخ خلف السيد على الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية بالأزهر على المساهمة فى انشاء المركز الاسلامى بسويسرا ، وذلك على أثر الرسالة التى تلقاها فضيلته من الدكتور اسماعيل محمد رئيس الجمعية الاسلامية بسويسرا والذى طلب فيها معاونة الأزهر فى ذلك .

النمسا

* أعلن فى النمسا الاعتراف بالدين الاسلامى وأصبح للمسلمين هناك الحق فى التظاهر به ، وانشاء المؤسسات الضرورية لمعتنقيه ، من مساجد ومعاهد للتعليم ... الخ .

ابراهيم حامد النويهى

كتاب الشهر:

رجال الدين[1] ..!

للواء الركن محمود شيت خطاب

---

(١) لقد ناقشنا الكاتب الكبير فى هذا العنوان . ذلك لأنه ليس فى الأسلام « رجال دين » بل علماء دين .

رجال الدين

– ١ –

كنت أعرفه متدينا يرتاد المساجد ولكنه كان يجهل أبسط تعاليم الدين الحنيف . وكنت أسمعه يردد : « أبو حنيفة رجل ، وأنا رجل ، وقد اجتهد فى الدين ــ ومن حقه أن يفعل وأنا أجتهد فى الدين ، ومن حقى أن أفعل » .

وكان يردد دائما بحسن نية : « ليس فى الاسلام رجال دين كما فى المسيحية واليهودية والبوذية ، فكل مسلم هو رجل دين » .

وكان هذا الرجل يردد آراء كأنها قضايا بديهية لا تحتاج الى برهان ، وعبثا حاول المقربون اليه ، أن يعيدوه الى رشده ، ولكنه كان يزداد غيا على غيه ، بل أخذ ينتقد الأئمة المجتهدين فى الدين وفقهاء السلف الصالح والزهاد والصالحين نقدا فيه قسوة وشدة ، وفيه ظلم واجحاف .

قلت له يوما : « من أين لك هذه الآراء ؟! » ، فعلمت أن وراءه زمرة من أنصاف المتعلمين ، يقرأون فى كتاب معين ، أراد مؤلفه شيئا ، فيفهمون غيرما أراده المؤلف وسطره فى كتابه ، فاذا حدثوا أصحابهم الجهلاء حدثوهم بما فهموه من قراءتهم محرفا ، ثم يزداد التحريف حين يسمعه أصحابهم الذين لا يقرأون ويحدثون الناس عما سمعوه !

لقد كان صاحبنا متدينا بغير فقه ، ولكنه كان يحب الدين ، وقد كان الامام الشعبى يقول عن أمثاله من المتدينين بغير فقه : « هذا من بقر الجنة » ، ولم يكن صاحبنا من بقر الجنة ، بل كان من حميرها أيضا .

سأله مرة صديق له ، وهو فى خضم ادعائه بأنه مجتهد : « هل قرأت القرآن الكريم ؟ » ، فقال صاحبنا : « قرأته مرات ومرات ، وأنا أقرؤه فى كل رمضان من كل عام » ، فقال له الصديق : « وهل تستطيع تفسير آياته ؟ » ، فقال : « القرآن عربى ،

وأنا عربى ، فكيف لا أستطيع تفسير آياتـه ، وقـد أنزل بلسـان عربى مبين ؟ ! » .

وكان فى ذلك الصديق دعـابة ، فقال لصاحبه المجتهد الجاهل : « فى أى سورة هذه الآية : (ان الذين يغسلون ثيابهم بالليـل ويلبسونهـا بالنهار ، أولئك هم المفلسون) ؟ » . فقال صاحبه المجتهد : « لقد قرأت هذه الآية كثيرا ، ولكننى لا أتذكر الآن فى أى سورة » .

وضج المجلس الحافل بالضحك ، فخجل المجتهد من جهله ، وعاد الى رشده بعد ذلك ، واستغفر الله كثيرا على ما فرط منه فى جنب الله .

وما يقال عن هذا الرجل ، يقـال عن كثيرين غيره : منهم يصـدر عن جهل مطبق ،ومنهم يصدر عن ثقافة مستوردةعائمة أو عميقة،وهؤلاء هم موطن خطر لا ينبغى السكوت عنهم أبدا .

أذكر أن أحدهم كان يحمل شهادة الدكتوراه ويتولى منصبا رفيعـا ، أنابه رئيس جمهورية عربية فى مناسبة دينيـة ، ليقـرأ عنه كلمته فى تلك المناسبة ، فقرأ الآية الكريمة : (ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم) بهـذا اللفظ : (ويوم حنين اذا أعجبتكم كثرتكم) وكانت الاذاعة المسموعة والاذاعة المرئيـة تنقلان على الأثير مباشرة ما يقرأ ، ففضحه اللهوكشفه، ولا يزال الناس يطلقون عليـه حتى اليوم : « أبو حنين » .

فماذا يمكن أن نطلق على هـذا الدكتور ؟ انه من بقر النـار ، لأنه وهو العربى المسلم ، يفخـر بأنـه لم يقرأ القرآن فى حياته ، ولم يتوجه الى القبلـة للصـلاة أبـدا ، وهو لا يؤمن بالغيبيات ولا يعترف بالطقوس ، وهو علمى من قمة رأسه الى اخمص قدمه ، ولكنه مجتهـد كالأئمة المجهتدين فى الدين !

وقد قرأت كما قرأ الناس ، فى مجلة تهتم بالقضايا النسائية ، فتاوى خطيرة فى مجال الأحوال الشخصية بعـامة والأمور المتعلقة بالمرأة بخاصة ، أفتت بها سيدة لا تنفك تردد : انها

تفتى فى الدين لأنه لا رجال دين فى الاسلام ، وأن كل مسلم هو رجل دين ، وأن الشيوخ الأزهريين ليسوا أحق منها بالافتاء ، وانها أحق بالافتاء فى المعضلات النسائية من المفتى الرسمى ولجنة الافتاء فى الأزهر وشيخ الجامع الأزهر ومجمع البحوث الاسلامية ، لأنهم رجال وهى امرأة أعرف بمشاكل جنسها منهم وأحرص على مصالحهم!

وقرأت كما قرأ الناس ، فتاوى خطيرة أفتى بها كتاب منحرفون ، يقفون من الدين علنا موقف الحاقد المناهض ، ويصرحون بأنهم علمانيون لا يلتزمون بالدين الحنيف ، ولكنهم — كما يدعون — قادرون على الافتاء فى الدين على قدم المساواة مع علماء الدين الأعلام !

فهل من حق كل مسلم جغرافى أو حقيقى أن يفتى فى الدين ؟

وهل ليس فى الاسلام رجال دين؟

وهل من حق المسلم أن ينتقد أعلام المسلمين ظلما وبغير حق ؟

— ٢ —

يقتصر الاجتهاد على كل حكم شرعى ليس فيه دليل قطعى،فيخرج من ذلك ما لا مجال للاجتهاد فيه مما اتفقت عليه الأمة من جليات الشرع ، كوجوب الصلوات الخمس والزكوات وما ماثل ذلك .

ومادام الاسلام آخر الأديان ، والنبى صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء ، فلا بد من الاجتهاد فيما لم يرد فيه نص ثابت صريح فى القرآن الكريم وسنة النبى صلى الله عليه وسلم ، ليكون الاسلام صالحا لكل زمان ومكان ، لأن عجلة الزمان تدور ، والناس يتعرضون لأمور تستجد ، فلابد من الاجتهاد لوضع الأمور فى نصابها السليم .

فهل من حق كل مسلم أن يجتهد فى الدين ؟

من الواضح جدا أن المسلم الذى لا يعرف النصوص الدينية الواردة، لا يستطيع أن يجتهد ولا ينبغى له أن يجتهد ، لأن اجتهاده سيكون فيما لا يعرف وفى مجال غير مجاله .

ان الذى لا يعلم ، عليه أن يستفتى الذى يعلم ، والدليل على ذلك قوله

تعالى : (فاسألوا أهل الذكر انكنتم لا تعلمون) (١) ، وكان الصحابة رضى الله عنهم يفتون العوام ولا يأمرونهم برتبة الاجتهاد ، كما أن العامى مكلف بالأحكام ، وتكليفه رتبة الاجتهاد محال ، لأنه يؤدى الى أن ينقطع الحرث والنسل ، وتتعطل الحرف والصنائع ، ويؤدى الى خراب الدنيا لو اشتغل الناس بجملتهم فى طلب العلم الدينى ، فاذا استحال هذا لم يبق الا سؤال العلماء .

ولكن العامى لا يستفتى الا من عرفه بالعلم والعدالة ، فاذا علم انتفاء أحد الوصفين فيه امتنع تقليده اتفاقا .

ان الاجتهاد قوة لا تكون الا لخاصة العلماء ، الذين توفرت لهم أسبابها وكملت لهم أدواتها ، وقد نصت مصادر أصول الفقه على شروط الاجتهاد ، ولعل من المفيد أن نذكر بايجاز شديد تلك الشروط .

يشترط فى المجتهد شرطان :

الأول : أن يكون عدلا ، وهذا شرط لجواز الاعتماد على فتواه ، أما أخذه لنفسه باجتهاد ، فلا يشترط ذلك له .

والثانى : أن يكون محيطا بمدارك الشرع ، متمكنا كل التمكن من النظر فيها ، وتقديم ما يجب تقديمه وتأخير ما يجب تأخيره .

ومدارك الأحكام هى : الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، والقياس .

أما الكتاب فهو الأصل ، فلابد من معرفته . ولا يلزم لصحة الاجتهاد معرفته كله ، بل ما يتعلق بأحكام الأفعال منه ، ولا يشترط حفظ ذلك عن ظهر قلب ، بل أن يكون عالما لمواضعها ، بحيث يطلب الآية المحتاج اليها عند الحاجة .

وأما السنة ، فلابد من معرفة أحاديث الأحكام . ولا يلزم أن يكون حافظا لها عن ظهر قلب ، بل أن يكون عنده أصل مصحح لجميع أحاديث الأحكام ، ويكفيه أن يعرف مواقع كل باب ، فيراجعه عند الحاجة الى الفتوى .

---

(١) الآية الكريمة فى سورة النحل (٤٣) .

وأما الاجماع ، فينبغى أن تتميز عنده مواقع الاجماع حتى لا يفتى بخلافه ، وليس من اللازم أن يحفظ جميع مواقع الاجماع والخلاف ، بل فى كل مسألة يفتى فيها ينبغى أن يعلم أن فتواه ليست مخالفة للاجماع .

وأما القياس ، فينبغى أن يكون قادرا على استنباط الأحكام من النصوص الخاصة والعامة ، فلا بد أن يعرف النصوص الكلية التى بنى عليها الشرع الاسلامى ، لتكون له بمثابة شهود عدل على ما يستنبطه من العلل فى المواقع الجزئية .

ويقتضى أن يكون ماهرا فى علوم أربعة :

الأول : معرفة نصب الأدلة وشروطها التى بها تصير الأدلة والبراهين منتجة ، بأن يعلم أقسام الأدلة ، فيعلم أن الأدلة ثلاثة ، عقلية تدل لذاتها ، وشرعية صارت أدلة بوضع الشرع ، ووضعية وهى العبارات اللغوية .

والثانى : معرفة اللغة والنحو على وجه يتيسر به فهم خطاب العرب وأساليبهم ، الى حد يميز بين صريح الكلام وظاهره ومجمله ، وحقيقته ومجازه ، وعامه وخاصه ، ومحكمه و متشابهه ، ومطلقه ومقيده ، ونصه وفحواه ، ولحنه ومفهومه . ولا يلزم أن يبلغ فى ذلك مبلغ الخليل والمبرد وابن جنى ، بل فهم ما يتعلق بالكتاب والسنة ، وادراك حقائق المقاصد فى تعابيرهما .

والثالث: معرفة الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة ، وذلك فى آيات وأحاديث مخصوصة ، ويكفيه أن يكون اذا أراد أن يفتى فى واقعة بآية أو حديث أن يعلم أن ذلك الحديث وتلك الآية محكمان .

والرابع : معرفة الرواية وتمييز صحيح السنة عن فاسدها ، ومقبولها عن مردودها ، فان ما لا ينقله العدل عن العدل لا حجة فيه ، ويكفيه فى ذلك الاعتماد على ما قرره أئمة الشأن ورجال الحديث الذين صبروا غوره واعترفت لهم الأمة بما بذلوه من الجهد فى تلك السبيل ، كأن

يعتمد على الامام البخارى والامام مسلم رضى الله عنهما (١) .

يجب أن يكون المجتهد مكينا باللغة العربية ، متينا بعلوم القرآن ، عالما بالأحاديث النبوية ، متقنا للسيرة النبوية ، عارفا بالتاريخ الاسلامى ، فقيها فى الدين ، وفوق ذلك وقبل ذلك يكون عدلا ورعا تقيا نقيا صالحا مستقيما ، ليمكن أن يصبح قدوة صالحة وأسوة حسنة .

- ٣ -

ان باب الاجتهاد مفتوح على مصراعيه ، ولكن ليس لكل من هب ودب .

والصحابة رضى الله عنهم فى أيام الرسول عليه الصلاة والسلام ، لم يكونوا كلهم مجتهدين ، والمجتهدون منهم فى تلك الأيام المباركة معروفون وقد ألف الامام ابن حزم الأندلسى كتابا هو : أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم فى كثرة الفتيا (٢) » ، ولم يقل أحد أن الصحابة كلهم مجتهدون .

ولم يكن التابعون كلهم مجتهدين ، ولم يكن المسلمون فى الصدر الأول للاسلام عبر القرون حتى اليوم كلهم مجتهدين ، فليس من المعقول أن يدعى (دعى) أو (دعية) الاجتهاد فى الدين مستغلا الصحف والمجلات التى يشرف عليها ذلك الدعى وتلك الدعية .

ان باب الاجتهاد مفتوح الى يوم القيامة ، لمن تتوفر فيه شروط الاجتهاد فقط ، فهذه الشريعة شريعة الخلود ، باقية حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، لأن النصوص محدودة ، والنوازل متجددة غير متعددة ، كما أنه لابد مع وجود النصوص من الاجتهاد فيها ، بمقابلة عامها بخاصها ، ومطلقها بمقيدها ، ومجملها بمبينها ، وناسخها بمنسوخها ، فلا مناص اذا من الاجتهاد حتى فى عصر الرسالة الخالدة .

(١) محمد الخضرى (الشيخ) - أصول الفقه - (٣٦٨ - ٣٦٩) - القاهرة ١٣٠٩ هـ .

(٢) ابن حزم - أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم من كثرة الفتيا - ملحق بجوامع السيرة لابن حزم - القاهرة .

والناس بعد ذلك أحوج اليه ، لتجدد الحضارات ، وتغير الأعراف والعادات ، وتبدل المصالح بتبدل الأزمنة والأمكنة . فما يكون صالحا فى زمان قد لا يكون صالحا فى غيره . وما يكون محققا لحكم الشريعة وأغراضها فى مكان قد لا يكون محققا لغاياتها فى مكان آخر . ومن لوازم ذلك حتما اختلاف الآراء والاجتهاد (١) .

لقد بدأ الاجتهاد فى عصر التنزيل، واتسع نطاقه وزاد نشاطه فى العصور التالية حسبما اقتضته الحاجة وتطلبته مصلحة الأمة الاسلامية .

وقد اجتهد النبى صلى الله عليه وسلم ، ومن وقائع اجتهاده التى يشهد بها القرآن الكريم ، أنه استشار أصحابه فيما يصنع بأسرى غزوة (بدر) الكبرى ، ثم أخذ برأى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ورجح قبول الفداء على ما رآه الفاروق عمر رضى الله عنه من قتلهم ، وفى ذلك يقول الله تعالى : (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض (٢) . ويقول النبى صلى الله عليه وسلم : « لو نزل بنا عذاب ما نجا منه الا عمر » .

وكذلك اجتهد فى الاذن للمعتذرين أن يتخلفوا عن غزوة (تبوك) ، وفى ذلك نزل قوله تعالى: عفا الله عنك ، لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) (٣) .

وقد اجتهد قسم من الصحابة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، فأقر اجتهادهم وشجعهم عليه .

روى أنه صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذبن جبل الى اليمن يعلمهم ويقوم ببعض الأمر فيهم ، قال له : « كيف تصنع ان عرض لك قضاء ؟ » ، قال : « أقضى بما فى كتاب الله » ، قال : « فان لم يكن فى كتاب الله ؟ » ، قال : « فبسنة

(١) محمد علي السايس (الشيخ) ـ نشأة الفقه الاجتهادى واطواره ـ (٦ ـ ٧) القاهرة ـ ١٣٨٩ هـ .

(٢) الأنفال (٦٧) .

(٣) التوبة (٤٣) .

رسول الله » ، قال : « فان لم يكن فى سنة رسول الله ؟ » ، قال : « أجتهد برأيى لا آلو » ، قال معاذ : « فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على صدرى وقال : الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله » .

فهذا ارتياح منه صلى الله عليه وسلم ، لما رآه من أخذ معاذ بالقياس والاعتماد على الاجتهاد

وقد تعددت وقائع الاجتهاد من الصحابة فى حضرته وغيبته ، فكان صلى الله عليه وسلم يقرهم على ما أصابوا ، وينكر عليهم ما أخطأوا (١) .

ومع هذا فالمعتبر أن الاجتهاد فى عصر الرسالة ليس مصدرا مستقلا من مصادر التشريع ، اذ أن اجتهاد النبى صلى الله عليه وسلم يرجع فى نهايته الى الوحى ، فان كان صوابا أقر عليه ، وان كان غير ذلك نبه الى وجه الخطأ فيه .

وأما اجتهادات الصحابة ، فما كانت تحصل منهم غالبا الا فى الحالات التى يعسر فيها رجوعهم الى النبى صلى الله عليه وسلم ، لاستفتائه فى الأمر ، بسبب بعد الشقة بينهم وبينه ، أو خوف فوات الفرصة ، وكان لابد لهم أن يرجعوا بعد ذلك الاجتهاد اليه ، فيقف بهم على حقيقة الأمر ، فيصوبهم أو يخطئهم ، ويكون مرجعهم بمقتضى ذلك الى السنة .

والحكمة فى اجتهاده صلى الله عليه وسلم واذنه للصحابه فى الاجتهاد ، أن هذه التشريعات لما كانت خاتمة الشرائع ، وأنها عامة للناس جميعا مهما اختلفت أجناسهم وطبائعهم ، وتنوعت عادتهم وأعرافهم ، وأنها خالدة باقية ما بقيت الدنيا وعمرت بأهلها ، وأن قواعد الدين ونصوصه جاءت كلية لم تعرض للتفاصيل ، وما كان لها أن تفعل ، فالحوادث متجددة ومتكاثرة لا تقف عند حد ، فكل زمن يحدث لأهله من الوقاع ما لم يكن يعرفه أهل

---

(١) أنظر أمثلة من اجتهاد قسم من الصحابة فى : نشأة الفقه الاسلامى وأطواره (٢٠ ـ ٢٣) .

الزمان السابق . ولما كان الأمر كذلك ، أراد صلى الله عليه وسلم أن يعلمهم طريقة الاستنباط ، ويعرفهم على كيفية أخذ الأحكام من أدلتها الكلية ، ليستطيع أهل الفقه والمعرفة من بعده بقوة مداركهم أن ينزلوا ما يجد من الحوادث على عمومات الكتاب والسنة ، وذلك مصداق قوله تعالى : (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء) (١) .

فليس معنى أن القرآن تبيان لكل شىء ، أنه أحاط بجزئيات الوقائع والحوادث ونص على تفاصيل أحكامها ، فان الواقع يشهد بأنه فى الأعم الأغلب لم يعرض لهذه التفاصيل ، ولم يعن بالجزئيات ، وانما أتت الأحكام فى صورة قوانين عامة ومبادىء كلية يمكن تحكيمها فى كل ما يعرض للناس فى حياتهم اليومية ، فهى قوانين محكمة ، ثابتة لا تختلف ولا يسوغ الاخلال بشىء منها ، وعامة كلية يمكن أن تتمشى مع اختلاف الظروف والأحوال .

فالقرآن الذى هو المصدر الأول للتشريع بتبيان كل شىء ، من حيث أنه أحاط بجميع الأصول والقواعد التى لابد منها فى كل قانون وأى نظام ، وذلك كوجوب العدل والمساواة والشورى ، ورفع الحرج ودفع الضرر ، ورعاية الحقوق لأصحابها ، وأداء الأمانات الى أهلها ، والرجوع بمهام الأمور الى أهل الذكر والاختصاص ، وما الى ذلك من المبادىء العامة التى يجب أن يتناولها كل قانون يراد به صلاح الأمم واسعادها .

وبذلك يكون النبى صلى الله عليه وسلم باجتهاده واذنه للصحابة بالاجتهاد قد ضرب لأمته من بعده المثل ، ورسم لهم الطريق ليأخذوا أخذه من بعده ، حتى يكون الفقه الاسلامى بتفاصيله قويا على مسايرة الزمن ومتابعة نهوض الأمم (٢) .

— ٤ —

علمنا مما تقدم أن مصدر التشريع فى عصر النبوة كتاب الله وسنة

---

(١) النحل (٨٩) .

(٢) نشأة الفقه الاجتهادى وتطوره (٢٤ — ٢٥) .

رسوله عليه أفضل الصلاة والسلام، وأن النبى صلى الله عليه وسلم كان المرجع الأعلى للافتاء والقضاء، فلما التحق بالرفيق الأعلى وانقطع الوحى،انتقلت قيادة الأمة الاسلامية فى أمور الدين والدنيا الى خلفائه الراشدين وكبار الصحابة عليهم رضوان الله، فاضطلعوا بهذا العبء، ونهضوا بهذا الواجب .

وقد واجهتهم مهمة شاقة ، لأن الفتوحات الاسلامية اتسعت وامتد نفوذ المسلمين الى ما وراء شبه الجزيرة العربية ، وبسطوا سلطانهم على مصر وليبيا وتونس وأرض الشام وبلاد فارس والعراق،ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، وانضوت أمم وشعوب مختلفة تحت راية الاسلام ، فوجد المسلمون أنفسهم أمام حوادث ووقائع لا عهد لهم بها من قبل،فلكل بلد أخلاقه وعاداته ونظمه التى يسير عليها فى معاملاته ومبادلاته وسائر مرافق حياته ، فدعاهم ذلك الى البحث عن أحكام تلك المسائل الطارئة فى كتاب الله وسنة رسوله. ومن الواضح أنهما لم ينصا على كل ما نزل وينزل بالمسلمين من حوادث ووقائع ، فكان لزاما على أولئك الأئمة أن يجتهدوا فى تطبيق القواعد الكلية المقررة فى الكتاب والسنة على هذه النوازل الجزئية ، وقد مهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيل الاجتهاد ، ودربهم عليه ، ورضيه لهم ، وأثابهم عليه ، أخطأوا أم أصابوا ، فبذلوا قصارى جهدهم وأوقفوا نشاطهم على استنباط أحكام ماجد من المسائل . وكان اجتهاد الصحابة رضوان الله عليهم بمعناه الواسع ، فقد نظروا فى دلالة النصوص ، وقاسوا ، واستحسنوا الى غير ذلك ، الا أنهم كانوا يطلقون كلمة الرأى على ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجه الصواب مما تتعارض فيه الأمارات ، فلم يكن الرأى مقصورا على القياس ، بل كان يشمل القياس ، والاستحسان ، والاستصحاب ، وسد الذرائع ، والمصالح المرسلة ، مع ملاحظة أنهم لم يهملوا العرف . وقد كان الاستنباط فى هذا العصر مقصورا على ما ينزل بهم من الحوادث ، فلم يكونوا يتخيلون مسائل لم تقع ويقدرون وقوعها ويبحثون عن أحكامها ، كما كان ذلك فيما بعد ، بل اقتصروا على

الافتاء فيما يقع لهم ، وكانوا يتورعون عن الفتوى ، ويحيل بعضهم على بعض خشية الزلل والخطأ، ومن كان هذا شأنه ، فهو أبعد عن التوسع بالفتوى فيما لم يكن .

روى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه ، أنه كان اذا استفتى فى مسألة سأل عنها ، فان قيل له : وقعت ، أفتى بها ، وان قيل له : لم تقع ، قال : دعوها حتى تكون .

ومع استعمالهم للرأى ، فلم يجرؤ أى منهم أن يجزم بأن ما وصل اليه هو حكم الله ، وأنه الحق والصواب وما عداه خطأ ، بل كانوا يجهرون بقولهم : ان كان صوابا فمن الله ، وان كان خطأ فمن أنفسهم ومن الشيطان .

فهذا أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول : « هذا رأى ، فان يكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطأ فمنى وأستغفر الله » .

ولما سئل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن المرأة التى تزوجت ولم يفرض لها زوجها صداقا ومات قبل أن يدخل بها قال : « أقول فيها برأيى ، لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط ، فان يكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطأ فمنى ومن الشيطان ، والله ورسوله منه بريئان » .

ولقد كتب كاتب لعمر بن الخطاب رضى لله عنه فى فتيا : « هذا ما رأى الله ورأى عمر» ، فقال له : «بئسما قلت ، هذا ما رأى عمر ، فان يكن صوابا فمن الله ، وان يكن خطأ فمن عمر » ، ثم قال : « السنة ما سنه الله ورسوله ، لا تجعلوا خطأ الرأى سنة للأمة » . وفى رواية أخرى : « يا أيها الناس ان الرأى كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مصيبا ،لأن الله كان يريه ، وانما هو منا الظن والتكلف ، السنة ما سنه الله ورسوله ، لا تجعلوا خطأ الرأى سنة للأمة » .

وكان الصحابة يحترمون آراء غيرهم ، فما كان الواحد منهم يتعصب لرأيه بمحاولة حمله مذهبا يرد الناس اليه عند الاختلاف فى الاجتهاد ولو كان صاحب سلطان !

روى الطبرى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ وهو أمير المؤمنين ـ لقى رجلا له قضية فسأله : « ماذا صنعت ؟ » ، فقال : « قضى على بكذا » ، فقال عمر : « لو كنت أنا لقضيت بكذا » ، فقال الرجل : « فما يمنعك والأمر اليك ؟ » ، فأجابه عمر : « لو كنت أردك الى كتاب الله أو سنة رسوله لفعلت ، ولكنى أردك الى رأى ، والرأى مشترك ، ولست أدرى أى الرأيين أحق عند الله » (١) •

ولكن الصحابة لم يكونوا فى استعمال الرأى سواء ، فقد كان منهم من يتخرج منه ويخشاه خيفة الخطأ والزلل فى دين الله ، وعلى رأس هذه الطائفة عبد الله بن عمر وزيد ابن ثابت رضى الله عنهما ، ومنهم من برع فيه وتوسع فى الأخذ به ، وعلى رأس هذه الطائفة عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وعبد الله ابن مسعود رضى الله عنهم وأرضاهم •

ولكنهم كانوا يستعملون الرأى اذا لم يجدوا نصا فى الكتاب والسنة (٢) •

المهم هو الورع وعدم التسرع فى الافتاء ، وهذه هى سمة الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين فى الدين والعلماء الصالحين •

يقول ابن القيم : « وكان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع فى الفتوى ويود كل واحد منهم أن يكفيه اياها غيره ، فاذا رأى أنها قد تعينت عليه ، بذل اجتهاده فى معرفة حكمها من الكتاب والسنة أوقول الخلفاء الراشدين ثم أفتى» •

ويروى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى أنه قال : «أدركت عشرين مائة ومائة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما كان منهم محدث الا ود أن أخاه كفاه الحديث ، ولا مفت الا ود أن أخاه كفاه الفتيا » •

---

(١) انظر أمثلة من اجتهاد الصحابة فى : نشأة الفقه الاجتهادى وأطواره (٤١ ـ ٧٠) •

(٢) انظر التفاصيل فى : نشأة الفقه الاجتهادى وأطواره (٣٦ـ٧٧) •

— ٥ —

(أ) وسار الاجتهاد فى عهد بنى أمية على نحو ما سبق فى عصر الراشدين من حيث اعتماده على الكتاب ، ثم السنة ، ثم الاجماع ، ثم الرأى ؛ الا أنه جدت فى هذه المرحلة أحداث سياسية وأخرى غير سياسية ، كان لها أثر ظاهر فى الحركة الاجتهادية •

فقد تفرق المسلمون وتنازعوا حول الخلافة ومن الأحق بها ، فظهر الخوارج والشيعة خالفوا الجمهور ، وتعصبت كل فرقة بما عندها من علم وما اتخذته من أصول وقواعد وما جنحت اليه من آراء ، والتفت حول من تثق به من ذوى المكانة فيها فاتخذته اماما لها ، وحصرت الثقة العلمية فيمن ينتهى الى جانبها من الفقهاء ، وأساءت الظن بمن عداهم ، فلم يعد الاجماع ميسورا ، ولم يعد لمبدأ الشورى من المنزلة ما كان له فيما سلف ، وهذا الاضطراب السياسى هو أول الأسباب التى أدت الى الاضطراب الفكرى ، وكان له أكبر الأثر فى تشعب الخلافات الفكرية •

وكان لتفرق الصحابة فى الأمصار: ولاة وعمالا ومعلمين ومجاهدين ومرابطين ، أثر فعال فى تشعب الخلاف وعدم تيسر الشورى والاجماع ، فقد كان الصحابة فى أيام الخلفاء هم عماد الشورى والاجماع وروحه •

كما كان لشيوع رواية الحديث وظهور الوضاعين آثر فعال فى نشوب هذا الخلاف ، فقد استتبع شيوع الرواية مع عدم تدوين الحديث واكتفاء الصحابة بالاعتماد على الذاكرة وصعوبة حصر ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم وفعله فى ثلاثة وعشرين عاما من بدء الوحى الى أن لحق بالرفيق الأعلى — ان وجد أعداء الاسلام من يهود وفرس وروم منفذا يدسون منه على المسلمين ما يفسد دينهم ، ليتسنى لهم قلب الدولة الاسلامية واسترجاع ما فقدوا من عز وسلطان •

ولم يجدوا وقد سدت فى وجوههم أبواب الكتاب العزيز الذى تولى الله حفظه بنفسه : (انا نحن نزلنا الذكر

وانا له لحافظون) (١) ، الا أن يلجأوا الى السنة ، فألفوا الجمعيات السرية لوضع الأحاديث فى التشبيه والتعطيل وتحريم الحلال وتحليل الحرام •

ولكن الوضاعين — وان لم يبلغوا مأربهم من الدين — لمناهضة العلماء لهم ومقاومتهم اياهم ، الا أنهم وضعوا الشكوك فى طريق الفقهاء المستنبطين وعرقلوا سيرهم وجعلوه شاقا عسيرا ، فبعد أن كان الفقيه لا يشغله شاغل بعد سماع الحديث عن النظر فيه والاستنتاج منه وهو واثق مطمئن ، أصبح واجبا عليه أن يعنى قبل كل شيء ببحث الحديث متنا واسنادا ، والتثبت من صحتهما ، حتى اذا تبددت غياهب الشك حل له أن ينظر ويستنبط ، فلا يبلغ مايروم الا بعد جهد ومشقة وطول عناء •

وقد كان ورع العلماء العاملين عميقا ، وكان اخلاصهم للدين وللسنة عظيما ، وكان دفاعهم عن السنة المطهرة مجيدا • لذلك استطاعوا تطويق محاولات الوضاعين ، فسارت قافلة الاجتهاد قدما كما أراد لها الله •

وقد انقسم جمهور الأمة الى : أهل حديث وأهل رأى •

أما أهل الحديث ، فيرون الوقوف عند النصوص والتمسك بالآثار ، وكان مركزهم الحجاز ، وكان على رأسهم الامام سعيد بن المسيب رضى الله عنه •

وأما أهل الرأى ، فيرون التوسع فى استعمال الرأى ، وكان مركزهم العراق ، وكان على رأسهم الامام ابراهيم النخعى رضى الله عنه •

ولقد كان الفقه فى مدرسة الحديث واقعيا ، فلم يفرضوا المسائل ويقدروا لها أحكامها • أما فى مدرسة الرأى ، فقد كان الفقه واقعيا أول الأمر ، ثم اتجه الى الفرض والتقدير لما وضعوا الضوابط والقواعد

---

(١) الحجر (٩) •

ليفرعوا عليها ، فما وقع من الحوادث أعطوه حكمه ، وما لم يقع فرضوه وأعطوه من الأحكام ما يتفق مع هذه الضوابط وتلك القواعد .

وقد انقضت هذه المرحلة ولم يدون فيها شيء من السنة أو الفقه ، ولم يتكون فيها مذاهب معينة ، فهى تشبه المرحلة السابقة ــ الاجتهاد فى عصر الخلفاء الراشدين ــ وتخالفها من قبل كثرة الاختلاف وتشعب الآراء (١) .

(ب) ومضى الاجتهاد فى عهد العباسيين نشيطا أعظم النشاط واتسعت دائرته اتساعا شاسعا ، واتجه الفقهاء الى ما لم يتسع له فى زمن أسلافهم ولم تتهيأ لهم أسبابه ، فأفرغوا كثيرا من جهودهم فى ترتيب أشتاته ، وتنافسوا فى ابراز مكنوناته ، وتضافرت الجهود على ضبطه وتدعيم قواعده واستيعابه ، فأصبح الفقه الاسلامى ثروة طائلة خلفها ذلك العصر للأجيال المتعاقبة ، ولم يعد المسلمون بعده بحاجة الى كبير عناء فى الالمام بجزئياته أو ضبط كلماته .

وقد أصبح هذا العهد الاجتهادى جديرا بحق أن يسمى : دور النشاط والقوة والنضوج الفكرى ، والحياة العلمية الواسعة والبحث الجدى العميق المنتج ، والمنافسة الفقهية الحادة البريئة ، والاجتهاد المطلق والحرية الجريئة فى النظر والاستنباط فيه دونت علوم القرآن والسنة ، والكلام واللغة والفقه ، وظهر نوابغ القراء وأهل اللغة والتأويل والمحدثين والمتكلمين والفقهاء .

وحسبك أنه أنجب ثلاثة عشر مجتهدا ، دونت مذاهبهم وقلدت آراؤهم ، واعترف لهم الجمهور الاسلامى بالامامة والزعامة الفقهية ، وأصبحوا هم القدوة والقادة : سفيان بن عيينه بمكة ، ومالك بن أنس بالمدينة ، والحسن البصرى بالبصرة ، وأبو حنيفة وسفيان

---

(١) أنظر التفاصيل فى : نشأة الفقه الاجتهادى وأطواره (٧٨ ــ ٨٨) .

الثورى بالكوفة ، والأوزاعى بالشام ، والشافعى والليث بن سعد بمصر واسحق بن راهويه بنيسابور وأبو ثور وأحمد بن حنبل وداود الظاهرى وابن جرير ببغداد .... والى جنب هؤلاء كثير ممن لم يسعدهم الحظ بانتشار مذاهبهم .

وبالجملة فقد كانت حركة علمية واسعة النطاق فى سائر الأقطار الاسلامية ، ونهضة مباركة نفذت بجدها ونشاطها فى كل فن .

وكان لتدوين العلوم الذى ذاع وانتشر فى العهد العباسى أثر فى ازدهار الفقه ، والعمل على نشره وذيوعه . وقد استفاد الفقه كثيرا من تدوين العلوم الأخرى ، والعلوم جميعها شبكة متصلة الأجزاء يخدم بعضها بعضا ويشدالواحد منها أزر الآخر ، ولا سيما الفقه الذى هو أكثر تصالا بالعلوم الأخرى من سواه ، كما أن التدوين يسهل طريق البحث ويساعد الى الرجوع الى العلوم مهما كثرت ويهيىء للانسان أن يلم بالكثير من أشتات المسائل فى وقت قصير .

لقد كان للتدوين فى هذا العهد شأن كبير ، فقد دونت السنة وهى المصدر الثانى للفقه بعد القرآن الكريم ، كما وضع علم أصول الفقه . وهو عبارة عن قواعد الاستنباط التى يسير عليها المجتهدون كما دون الفقه نفسه : دون قسم من الأئمة مذاهبهم بأنفسهم قبل وفاتهم ، ومن مات ولم يترك وراءه مذهبا مدونا دونه تلاميذه من بعده ، كما فعل تلاميذ الامام أبى حنيفة رضى الله عنه .

— ٦ —

وكان الأئمة الأربعة المجتهدون فى الدين هم أبرز من عرف اجتهادهم ودون وأصبح لهم أتباع ومقلدون فى نطاق العالم الاسلامى من المحيط الى المحيط ، وهم : أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل رضى الله عنهم .

ولبقاء فقه هؤلاء الأئمة أسباب كثيرة ، لعل من أبرزها تدوين فقههم بأقلامهم أو بأقلام تلاميذهم النجباء ، وانصافا لتاريخ الفقه نذكر أن كثيرا من الأئمة سبقوهم أو عاشوا فى أيامهم أو جاءوا من بعدهم عفا

الزمن على تراثهم الفقهى لسبب أو لآخر ، فقد ذكر مؤرخو الامام الشعبى مثلا أنه كان اماما عظيما ولكن لم ينهض به طلابه .

كما أن فقه الامام سعيد بن المسيب جمع فى ثلاثة أجزاء ضخمة وطبعتها رئاسة ديوان الأوقاف فى العراق ، ودراسة ما أمكن جمعه من فقهه — وما لم يجمع منه كثير — يدل على رسوخ قدم هذا الامام العظيم فى الفقه الاجتهادى .

وبامكان المشرفين على الدراسات العليا فى الأزهر الشريف وفى الكليات الاسلامية الأخرى فى أرجاء الوطن الاسلامى ، أن يوجهوا طلابهم الى مجال خصب فسيح ، هو : جمع فقه أعلام المسلمين من بين طيات التراث الاسلامى المطبوع والمخطوط ، وحينذاك سيبهرنا ويبهر العلماء المسلمين وغير المسلمين أصالة الفقه ومبلغ ما بذله العلماء من جهد فى الاجتهاد .

وما دامت المذاهب الأربعة هى الشائعة ، فمن الخير أن نسوق بايجاز شديد أصول هذه المذاهب التى بنوا عليها مذاهبهم والتى بسببها كان اختلافهم فيما لم يرد فيه نص ثابت معروف .

فمن الواضح أن طرائق استنباط أبى حنيفة رضى الله عنه للأحكام لا تختلف مطلقا عن سائر الأئمة المجتهدين فى الدين ، فقد روى عنه أنه قال : « انى آخذ بكتاب الله اذا وجدته ، فما لم أجد فيه أخذت بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والآثار الصحاح عنه التى فشت فى أيدى الثقات ، فاذا لم أجد فيها أخذت بأقوال أصحابه من شئت وأدع قول من شئت ، ثم لا أخرج من قولهم الى قول غيرهم » .

غير أن هناك أشياء اختلفت فيها وجهة النظر بين أبى حنيفة وغيره من المجتهدين ، ترجع الى الاحتياط والتثبت فيما يروى من الأحاديث والآثار .

وسار الامام مالك رضى الله عنه فى اجتهاده على طريقة سلفه الراشدين ونهج نهجهم فى اعتماده على الكتاب أولا ، ثم السنة ثم الاجماع ثم القياس ، فهو ينزع

بوجه عام الى طريقة الحجازيين فى الوقوف عند الآثار ما أمكن ،ويكره التوسع بتقدير المسائل وفرضها قبل وقوعها .

وقال الامام الشافعى رضى الله عنه : « الأصل قرآن وسنة ، فان لم يكن فقياس عليهما ، واذا اتصل الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصح الاسناد به فهو المنتهى ، والاجماع أكبر من الحديث المفرد ، والحديث على ظاهره ، وما احتمل المعانى فما أشبه منها ظاهرها أولاها به ، فاذا تكافأت الأحاديث فأصحها اسنادا أولاها ، وليس المنقطع بشىء ما عدا منقطع ابن المسيب ، ولا يقاس أصل على أصل ، ولا يقال للأصل لم وكيف ؟ وانما يقال للفرع لم ، فاذا صح قياسه على الأصل صح وقامت الحجة » .

فهو ينظر الى السنة الصحيحة نظره الى القرآن ، يرى كلا منهما واجب الاتباع ، ولا يشترط ما شرطه أبو حنيفة من الشهرة والا يكون فيما تعم به البلوى ، ولاعدم مخالفة الراوى لمرويه ، ولا ما اشترط مالك من عدم مخالفته لعمل أهل المدينة ، وانما شرط الصحة والاتصال .

أما الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، فمسلكه فى الاجتهاد مسلك الامام الشافعى رضى الله عنه ، لأنه تفقه عليه وعنه أخذ .

قال ابن القيم فى كتابه : أعلام الموقعين : « فتاوى أحمد بن حنبل مبنية على أصول : أولها النصوص : القرآن والحديث المرفوع ، فاذا وجده أفتى بموجبه ولم يلتفت الى ما خالفه ولا من خالفه كائنا من كان .... ولم يكن يقدم على الحديث الصحيح عملا ولا رأيا ولا قياسا ولا قول صحابى ولا عدم العلم بالمخالف الذى يسميه كثير من الناس اجماعا ، ويقدمونه على الحديث الصحيح ، وقد كذب أحمد من ادعى الاجماع ، ولم يسغ تقديمه على الحديث الصحيح .

« وثانيهما ، فتاوى الصحابة : فاذا وجد لأحدهم فتوى لا يعرف منهم مخالفا فيها لم يعد لها الى غيرها ، ولم يقل : ان ذلك اجماع ،

ولا يقدم على هذا عملا ولا رأيا ولا قياسا .

« وثالثها ، اذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم أقربها الى الكتاب والسنة ، ولم يخرج عن أقوالهم ، فان لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف ولم يجزم بقول .

« ورابعها ، الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف اذا لم يكن فى الباب شىء يدفعه . وليس المراد عنده بالضعيف الباطل ولا المنكر ولا ما فى روايته متهم بحيث لايسوغ الذهاب اليه ، بل هو عنده قسيم الصحيح وقسم من أقسام الحسن ، ولم يكن يقسم الحديث الى صحيح وحسن وضعيف ، بل الى صحيح وضعيف ، والضعيف عنده مراتب ، فاذا لم يجد فى الباب أثرا يدفعه ، ولا قول صحابى ، ولا اجماعا على خلافه ـ كان العمل به أولى من القياس .

« وخامسها ، القياس : وهو عنده مستعمل للضرورة ، بحيث اذا لم يجد حديثا ولا قول صحابى ولا مرسلا ولا ضعيفا قال به ، ويتوقف اذا تعارضت الأدلة . وكان شديد الكره والمنع للفتوى فى مسألة ليس فيها أثر عن السلف . ويسوغ افتاء فقهاء الحديث وأصحاب مالك ويدل عليهم ، ويمتنع من افتاء من يعترض على الحديث » .

ان مصادر الفقه الاسلامى فى مختلف العهود التى تطرقنا اليها هى : نصوص من الكتاب والسنة واجبة الاتباع ، وقواعد عامة كلية صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان ، واجتهاد بطريق القياس والالحاق ، أو بطريق الاستحسان ، أو الاستصلاح ، أو الاستصحاب ، أو بمراعاة العرف القائم فى المسألة .

واختلاف المجتهدين فى الفروع الفقهية ، بعد اتفاقهم فى طريقة الاجتهاد ومصادره الأصلية : الكتاب والسنة ، كان نتيجة حتمية لفتح باب الاجتهاد واباحته لهم واثابتهم عليه سواء أصابوا أم أخطأوا . وقد اختلف الصحابة رضوان الله عليهم فى اجتهاداتهم مع قربهم من عصر النبوة وتلقيهم الهدى عن صاحب الرسالة ، وان كان خلافهم لم تبعد شقته ، ولاتثريب عليهم فى هذا الاختلاف ؛ لأنه يرجع

الى أسباب لا يدلهم فيها ولا قدرة لهم على تفاديها ، من أهمها : اختلافهم فى فهم معانى الألفاظ من الكتاب والسنة لترددها بين الحقيقة والمجاز والاشتراك وغير ذلك ، والسنة ، فقد يصل الى أحدهم الحديث ولا يعلم به الآخر ، أو يصل اليه من طريق غير صحيح فيتركه ، وقد يصل اليهما من طريق واحد ، ولكن أحدهما يشترط فى قبول الحديث شروطا لم يشترطها الآخر ، فيعمل به أحدهما ويتركه الآخر ، وكذلك اختلاف مسالكهم فى الجمع والترجيح بين النصوص المتعارضة ظواهرها ، والاختلاف بطرائقهم فى الأخذ بالقياس ، والاختلاف فى فهم الأدلة والاعتماد عليها كالاستحسان والاستصلاح والاستصحاب وقول الصحابى وغير ذلك ، والاختلاف فى بعض القواعد التى يتوقف عليها استنباط الأحكام .

ان الاجتهاد قوة لا تكون الا لخاصة العلماء الذين توفرت لديهم أسبابها وكملت لهم أدواتها ، فالله الرحيم بعباده لا يتعبد جميع الناس بالاجتهاد ولا يكلفهم تحصيل أدواته ، اذ أن ذلك من أعظم الموانع عن القيام بضروريات الحياة ، وفيه تعطيل للمصالح والصناعات التى يدور عليها النظام ويبنى العمران ، واذن فليس التقليد بالنسبة لغير المؤهلين للاجتهاد عيبا ، كما أن اختلاف المجتهدين فيما يصلون اليه من الأحكام لا شية فيه ، بل هو من محاسن هذه الشريعة ، فان الله أراد الرحمة لعباده والتوسعة عليهم ، فيكون من لم يتأهل للاجتهاد فى حل من أن يأخذ برأى من يشاء منهم على ما يشير اليه قوله عليه الصلاة والسلام : « أصحابى كالنجوم ، بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

وقد قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه : « ما أحب أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يختلفون ، لأنه لو كان قولا واحدا لكان الناس فى ضيق ، وانهم أئمة يقتدى بهم ، فلو أخذ رجل بأحدهم لكان سندا » .

وقد روى أن المنصور العباسى لما حج قال لمالك رضى الله عنه: « قد عزمت أن آمر بكتبك هذه التى صنفتها فتنسخ ، ثم أبعث فى كل مصر

من أمصار المسلمين منهـا نسـخة وآمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه الى غيره » ، فقـال : « يـا أمير المؤمنين ! لا تفعل هذا ، فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل ، وسـمعوا الحديث ، ورووا روايات، فأخذ كل قوم بما سبق اليهـم من اختـلاف الناس ، فدع الناس وما اختار كل بلد منهم لأنفسهم (١) » .

ولا نعلم اماما من الأئمة المجتهدين فى الدين ، جامل السلطان لحمـل الناس على الأخذ بمذهبه ، ولا طالب أحدا من الناس أن يقلده، ولا ادعى أن اجتهاده أفضل من اجتهاد غيره ، ولا مذهبه أفضل المذاهب ، ولا رأيه نهائى لا رأى بعده ، ولم يقل أحدهم أن رأيه لا يحتمل الخطأ والصواب، وكانوا جميعا يقولون : « اذا صح الحديث فهو مذهبى »، وكانوا جميعا يقولون : « اذا ناقض رأيي الحديث فاضربوا برأيى عرض الحـائط » ، وقد قال مالك رضى الله عنه بلسانهم: « كل أحـد يؤخذ منه ويرد عليه الا صاحب هذا القبر » ، وأشـار الى قبر النبى صلى الله عليه وسلم .

ان الكتاب العزيز وحده : (لا يأتيه البـاطل من بين يديـه ولا من خلفه) (٢) ، والرسول صلى اللـه عليـه وسلم وحـده (لا ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى) ، أما البشر فغير معصومين ، والعصمة لله وحده .

― ٧ ―

رحم الله الشيخ أمجد الزهاوى شيخ علماء العراق الذى كان تيقن فقه الامام أبى حنيفة رضى الله عنه اتقانا لا حدود له ويحفظ عن ظهر قلب معظم أمهات كتب هـذا الفقه ويحفـظ أرقام الصـفحات وأرقام الأسطر فى الصفحات ، فقد رأيتـه يدخـل مسـجد (المرادية) ببغداد لصـلاة العصر ، فسأله سـائل عن مسألة فقهية على مذهب الحنفية ، وكانت تلك المسـألة بسيطة جـدا

(١) أنظـر التفاصيل فى : نشـأة الفقـه الاجتهـادى وأطـواره (٨٩ ـ ١٠٦) .

(٢) فصلت (٤٢) .

يستطيع الاجابة عليها أقل الفقهاء علما ، ولكن الشيخ فكر فى المسألة مليا ثم قال للسائل : « اسمح لى بأن أراجع كتبى ، لأجيب على مسألتك بعد يومين ، وأرجو أن ألقاك بعد يوم غد عصرا فى هذا الجامع ، لعل الله يوفقنى لتحقيق رغبتك » .

وسألت الشيخ بعد أن قضيت الصلاة : « السؤال بسيط ، فهلا أجبت السائل لتريح وتستريح ؟! » .

وقال الشيخ : « ليس فى الدين بسيط ، والتساهل فى القضايا البسيطة يحمل على التساهل فى القضايا الكبرى ، حيث يتسع الخرق على الراقع » .

وكنت متيقنا أن الشيخ يحفظ الجواب عن ظهر قلب ، ولكنه كان ورعا لا يفتى الا بعد دراسة مستفيضة وتدقيق شامل ، ليكون فى جوابه أمينا مع نفسه وأمينا مع الناس .

لذلك كان الناس يتهافتون على استفتائه ، ويعتبرون فتواه غاية اليقين .

انه كان يعتبر العلم أمانة فى عنقه ، ولا بد أن يؤدى الأمانة الى أهلها ، وكان يعتبر العلم (عبادة) من أجل العبادات .

وعشنا لنرى من يفتى ويجتهد فى أصعب المسائل ، وهو لا يعرف شيئا من الفقه أو يعرف منه شيئا قليلا لا يمكن أن يؤهله للافتاء .

ان الذين يفتون بالدين بغير علم يكذبون على الله ورسوله ، عن المغيرة بن شعبة قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان كذبا على ليس ككذب على أحد ، فمن كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار » ، رواه مسلم .

وعن سمرة بن جندب وعن المغيرة بن شعبة رضى الله عنهما قالا : «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين » ، رواه مسلم .

وخرج على بن أبى طالب رضى الله عنه الى أصحابه وهو يمسح بطنه ويقول : « يا بردها على الكبد سئلت عما لا أعلم ، فقلت : لا أعلم ، والله أعلم » .

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنه : « أيها الناس ! من علم منكم علما فليقل به ، ومن لم يعلم فيقول : لا أعلم ، والله أعلم ، فان من علم المرء أن يقول لما لايعلم : الله أعلم » .

وسئل الامام مالك عن أربعين مسألة ، فأجاب عن ست وثلاثين مسألة لا أدرى ! أى ان جوابه عن عشرة بالمئة مما عرض عليه .

وما يقال عن الامام مالك رضى‌الله عنه ، يقال عن الأئمة الأربعة المجتهدين فى الدين ، وعن جميع المجتهدين حقا .

وقال أبو بكر الصديق ثانى اثنين اذ هما فى الغار : « أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، اذا قلت فى كتاب الله برأيى » .

هؤلاءالمجتهدون (حقا) يتورعون أعظم الورع حين يفتون وحين يتكلمون فى الدين وحين يجتهدون.

أما المجتهدون المزيفون ،فجرأتهم على الله وعلى دينه وعلى رسوله صلوات الله وتسليمه عليه بغير حدود .

انهم يفتون بما لا يعرفون ويجتهدون بما لا يفقهون ، ورحم‌الله من عرف قدر نفسه ، وهم بحق لايعرفون قدر أنفسهم ، فيحملونها ما لا تطيق !

– ٨ –

ان الدين نزل لهداية العقل فى مجال الماديات والمعنويات على حد سواء . فالدين أطلق للعقل الحرية الكاملة فيما يتعلق بالبحث والكشف فى مجال الماديات فى السماء والأرض وفيما بين‌السماء والأرض، وقيده بشرط واحد هو : أن يكون ذلك فى خير البشرية . وهذا القيد هو الذى ميز الاسلام عن الأديان والمبادىء والمذاهب الأخرى . فقد فجر العلماء الذرة ، واستعملوا هذه الطاقة الرهيبة لتدمير مدن كاملة كمدينتى هورشيما وناكازاكى‌وتدمير ما يقرب من ألف ألف انسان من سكانهما فى أواخر الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ – ١٩٤٥) ، أما الاسلام فلا يمنع المسلم من تفجير الطاقة الذرية ، ولكن للأغراض السلمية كتحلية مياه البحر للشرب لارواء الصحارى ولانتاج الكهرباء

ولتسيير البواخر والقطارات والطائرات ووسائل النقل الأخرى من أجل خير الانسان ورفاهيته،فاذا هوجم المسلمون بالسلاح الذرى ، فلا بأس من استعمال نفس السلاح لأغراض دفاعية (١) . وقد كان أسلافنا يسمون العلوم المادية : الطبيعة ، والكيمياء ، والفيزياء ، والفلك ، وعلوم الأحياء ، علوم الكشف عن السنن الكونية ، فهى كشف عن بعض صفات الله سبحانه وتعالى ، ومادام الأمر كذلك ، فهى عبادة .

أما فى مجال المعنويات وهى أمور المجتمع ومجالاته : العقيدة ،الأخلاق، نظام المجتمع ، التشريع ، فقد نزل الدين هاديا للعقل فيها .

وحينما نقول : ان الدين نزل هاديا للعقل ، انما نعنى أن العقل لا يتحكم بالدين وانما يهتدى به ، وأن العقل يفهم الدين ويتقبله ولا يتعارض معه ولا يتناقض،وأن هذه الهداية معصومة لأنها من قبل الله سبحانه وتعالى . فلابد من اتباعها ، قال تعالى : (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) (٢)، (ومن لم يحكم بما أنزل الله،فأولئك هم الفاسقون (٣) ، (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (٤) ، (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما) (٥).

وسبب هذا التحديد وهذه الدقة فيما يتعلق بضرورة اتباع هذه المبادىء الالهية هو تناقض الفكر البشرى فى المجالات النظرية بالذات: التشريع ، الأخلاق ، العقيدة ، نظام

---

(١) واذا علم المسلمون أن أعداءهم يبيتون لهم الاعتداء بالسلاح الذرى ، فعليهم أن يأخذوا المبادرة من أعدائهم ، ويهاجموا أعداءهم بهذا السلاح ، فالهجوم أفضل وسائل الدفاع .

(٢) المائدة (٤٥) .

(٣) المائدة (٤٧) .

(٤) المائدة (٤٤) .

(٥) النساء (٦٥) .

المجتمع (١) ، فما كان صالحا منها في مدة زمنية أصبح غير صالح في مدة أخرى .

كل هذه النظريات متناقضة بين الشرق والغرب ، بل متناقضة في المعسكر الشرقي ، ومتناقضة في المعسكر الغربي ، بل هي متناقضة بين كل دولة من دول المعسكرين ، متناقضة بين جماعات تلك الدول وأفراده ، وما يكون مرغوبا فيه اليوم قد يكون غير مرغوب فيه غدا ، ولو عاد (لينين) مثلا الى الحياة لأنكر كثيرا مما يؤمن به الاتحاد السوفياتي اليوم !

لقد نزل الدين هداية للعقل ، وهذه الهداية للعقل ليست قاصرة على زمن دون زمن ، ولا على مكان دون مكان ، فالشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، لأن الاسلام آخر الأديان : (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام دينا (٢) ، فأورثتنا الأجيال المتعاقبة بفضل المجتهدين مجموعات هائلة من الاجتهادات الفقهية في جميع النواحي العملية ، تفي بحاجات الناس في كل زمان ومكان .

فالشريعة والفقه منظمان لجميع العلاقات ، محددان لكل الحقوق والواجبات ، مبينان لحكم ما يصدر من تصرفات فردية أو جماعية أو دولية .

ان الاسلام نظم الصلة بين العبد وربه في أبواب العبادات ، والصلة بين الانسان وأخيه الانسان في أبواب المعاملات والعقوبات والأحوال الشخصية والسياسات الشرعية ، مالية ، وادارية ، وقضائية .

ان الوحي الالهي وضع قواعد الاسلام العامة ومبادئه الكلية في أيام الرسالة ، ثم أخذ ينمو على مر الزمان بالاجتهاد المثمر ، حتى وصل في مدة وجيزة من الزمن الى غاية

---

(١) عبد الحليم محمود (الشيخ) ـ الاجتهاد والثبات في الشريعة الاسلامية ـ (٤ ـ ٨) ـ القاهرة ـ ١٣٩٦ هـ .

(٢) المائدة (٣) .

لم يصل اليها غيره فى قرون عديدة (١) .

وقد زعم قسم من المنحرفين ، أن الاسلام صالح لكل زمان ومكان ، لأن بالامكان تكييفه بحسب الزمان والمكان .

حاول أحدهم فرض الافطار فى رمضان ، فأخفق حتى بعد استعماله القوة لفرض عدم الصيام .

ومنع تعدد الزوجات ، وأباح العشيقات وحرم الزوجات ، فكثرت العوانس ، وكثر اللقطاء ، وكثرت الأمراض السرية .

ومنع الطلاق ، فشاع الزنا ، وتفككت الأسرة ، وتضاعفت الخيانة الزوجية ، وضاعت الثقة بين الزوجين .

والطلاق فى الاسلام مقيد بشروط معروفة حتى النصارى فى بعض الدول الأوروبية أقروه بشروط دون شروط الاسلام ، لأنه دواء لعلل اجتماعية يستحيل التغلب عليها .

ومع اباحة التعدد فى الزوجات فى معظم الدول الاسلامية ، فان نسبة المتزوجين بأكثر من واحدة هو : واحد فى كل خمسة آلاف !!

واستهان قسم من رجال التعليم بالتعليم الدينى ، فخربت الضمائر ، وفشى الكذب ، وانهارت الفضيلة .

كان الفلاح يصلى الصبح فى مزرعته ، ويخاف الله ، فكانت غزارة الانتاج ، ورخص الأسعار ، وعمارة الحقول ، وزيادة الربح من المحصول .

وكان العامل يشتغل وهو يذكر الله ، فيبنى قويا ، ويشيد رصينا ، ويحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الآخرون .

وكان التلميذ يحضر دروسه بانتظام ، ويقدر أساتذته ، فأصبح يزيغ من مدرسته أو كليته ، واستهان بأساتذته ومعلميه .

وكان الأستاذ يعتبر العلم (عبادة) فأصبح يعتبره (تجارة) ...... ولا أزيد !

---

(١) نشأة الفقه الاجتهادى وأطواره (١٠٩ — ١١٠) .

وكانت الحدود تطبق ، فاستقر الأمن واطمأن الناس ، وقلت السرقات ، وحفظت الكرامات .

وكان ... وكان ...

أصبح الفلاح لا يتقن عمله ، ويسرق مزرعته ، فأصاب المزارع الخراب والدمار ، وأصبح الغلاء هو القاعدة والرخص هو الاستثناء .

أذكر أن فقيرا طرق باب دارنا وأنا لا أزال طفلا صغيرا ، فأعطته جدتى سمنا خالصا لا يقل وزنه عن كيلوين ، فرفض السائل أخذه ، وطالب عوضا عنه بالنقود .

وأصبح العامل فى معمله متفرجا ، كل همه أن ينقضى وقت العمل لينصرف الى ترفيه نفسه بما حرم الله ، مضيعا وقته ، مدمرا صحته ، غارقا بالفسق والفجور .

بنى جدى دارا قبل سبعين عاما ، وبنى والدى دارا قبل ثلاثين عاما ، فتهدم دار والدى ، ولا يزال دار جدى قائما ، لاينفذ فى جداره مسمار .

وسألت والدى : لماذا ؟ فقال : كان العامل فى أيام جدك يبنى وهو يذكر الله ، فأصبح اليوم يبنى وهو ينصت الى المذياع .

وأصبح التلميذ لا يقرأ ، كل همه أن ينال الشهادة ، لينصرف الى لهوه ، ويوظف شهادته فى عمل يعيش به .

وقد أصغيت الى دكتور من خريجى الأزهر الشريف يقرأ فى كتاب ، فصعقت لأنه ينصب الفاعل ويرفع المفعول ، ويخطىء فى النحو والصرف أخطاء لا يقع فيها التلميذ الصغير .

وأصبح الأستاذ موظفا يعدد أياما ويقبض راتبا ، وكان من قبل أبا ورائدا ومرشدا ، يقدس العلم من أجل العلم ، ويحرص على كرامة العلماء .

ولقد رأيت بأم عينى أستاذا يشرف على طالب فى الدراسات العليا ، يكتب رسالة هذا الطالب

لنيل شهادة الدكتوراه فى دار ذلك الطالب ، ويأكل ويشرب فى أكثر الأيام فى تلك الدار : وحده تارة ومع أهله تارات ، ويقبل الهدايا الثمينة من طالبه قماشا وأجهزة وذهبا .

كل ذلك لأننا تركنا ديننا ، الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويحث على العمل الصالح واتقانه ، وتمسكنا بمبادىء مستوردة وشعارات هوائية ، وتخلينا عن مثلنا العليا .

ان الله سبحانه وتعالى ضمن لمن يتبع دينه السعادة فى الدنيا والآخرة ، وضمن له الفوز والنصر ، وضمن له سعة الرزق ، وضمن له كفالته ورعايته ، ووعد الله سبحانه وتعالى لا يخلف أبدا .

ودراسة تاريخ المسلمين منذ كانوا حتى اليوم ، هو الدليل على صدق وعد الله ، ان كان صدق وعد الله يحتاج الى دليل .

لقد كان المسلمون عربا وعجما بالاسلام كل شىء ، فأصبح المسلمون عربا وعجما بدون اسلام لا شىء .

وحاضرهم المرير خير دليل على ما أقول .

— ٩ —

مما تقدم يتضح أنه ليس بامكان كل مسلم أن يكون رجل دين ، وليس كل رجل دين يمكن أن يكون مجتهدا ، وليس كل مجتهد يمكن أن يكون اماما ، وليس كل امام يمكن أن يبقى علمه على الدهر كما بقى علم الأئمة الأربعة المجتهدين فى الدين .

صحيح أن كل مسلم يستطيع أن يصبح رجل دين ، اذا تعلم على شيخ فأجازه ذلك الشيخ بحق ، أو اذا تخرج فى كلية دينية واستمر على التعلم والتعليم بغير انقطاع ، وخاف الله كثيرا .

وهذه هى مزية من مزايا الاسلام فى هذه الناحية ، اذ يمكن أن يتولى

المسلم أعظم المناصب الدينية كأسد ابن الفرات قاضى القضاة وفاتح صقلية ، فقد كان ابن سبيل فقيرا معدما ، ولكنه تلقى العلم على الامام مالك ومحمد بن الحسن الشيبانى رضى الله عنهما .

كل مسلم يستطيع أن يصبح رجل دين ، اذا تعلم العلوم الدينية ، ولا يشترط فيه أن يكون من عائلة معينة ، ولا من طبقة معينة ، ولا من لون معين ، ولا من جنس معين ، كما تنص على ذلك تعاليم بعض الأديان الأخرى ليمكن أن يصبح فيها رجل دين !!

أما الذى لا يتقن العلوم الدينية، فادعاؤه بأنه : لا رجال دين فى الاسلام ، وأن كل مسلم رجل دين، محض سخف وهراء .

هل يستطيع كل انسان أن يكون نجارا ؟ هل يستطيع كل أحد أن يصبح طبيبا ؟ هل بمقدور كل فرد أن يصير مهندسا ؟ ... الخ ..

فكيف اذا يستطيع أن يكون كل مسلم رجل دين ؟

ان هذا العصر بخاصته ـ عصر التخصص ، بل الامعان فى التخصص، ورجل الدين الاسلامى يجب أن يكون متخصصا فى العلوم الدينية، ليمكن أن نطلق عليه اسم : رجل دين .

بل يجب أن يتحلى رجل الدين بصفات : أولها : الورع والتقوى ، وثانيهما : العلم المتين، وثالثها : العمل بهذا العلم ، ورابعها : الاخلاص لعقيدته ، وخامسها : المحافظة على كرامة العلم والعلماء ، وسادسها : الالتزام بالخلق الكريم .

تلك هى مزايا رجل الدين ، فأين هم رجال الدين حتى بين رجال الدين ؟

بقى على أن أقول كلمة فى الذين ينهشون الأئمة المجتهدين فى الدين وفقهاء السلف الصالح والزهاد والصالحين ويسلقونهم بألسنة حداد ظلما وعقوقا .

ان الذين يفعلون ذلك لابد أن يكونوا جهلاء كل الجهل ، أو منحرفين كل الانحراف ، أو عملاء

كل العمــالة ، أو مغرر بهــم كل التغرير .

ان هؤلاء يكشفون أنفسهم أو على الأصح يكشفونها ، ونقـدهم الجاهل أو المتحيز عقوق أى عقوق.

هؤلاء لا يضرون أولئك العلماء الأعلام ، ولا ينتقصون من مكانتهم، بل يضرون أنفسهم ، وينتقصون من قيمتها . ويضـعونها فى صـفوف الجهلاء أو المنحرفين أو العملاء أو المغرر بهم .

ولهؤلاء أقول : ان الذى ينطح الصخرة الصماء برأسه ، لا يفعـل شيئا أكثر من تحطيم رأسه ، ثـم يرتد الى مستقره خاسئا حسيرا .

ان علمـاءنا الأعـلام هم ورثة الأنبيـاء ، والذين ينتقدونهم ورثة الشيطان .

ولكن هذا القول لا يغنى عن كل قــول ، فلنا عـود الى مزايا رجال الدين أولا ونهى السلف الصـالح من العلماء ان شاء الله .

والحمد لله الذى هـدانا لهذا ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وصلى الله على سيد القادات وقائد السادات أشرف المرسلين ، ورضى الله عن قادة الفتح الاسلامى وقادة الفكـر الاسـلامى ، وأثابهم عن المسلمين أعظم الثواب .

والله تعالى ولى التوفيق ، وهو الهادى الى أقوم طريق ، وحسبى الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولاقوة الا بالله العلى العظيم ، والله أعلم.

اللواء الركن محمود شيت خطاب

اسـتدراك

وقع فى عدد شهر رمضان١٣٩٦هـ فى ص ٩١٧ فى السطر الثـامن « وكان الخلفـاء الراشدون » ، وصحتها : « وكان الرسـول عليه » وفى السطر الرابع عشر (المصريون) وصحتها (المهديون) .

الفهـــرس

هـ

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٧ / ١٩٧٦

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٠٠٠٢-١٩٧٦س٨٣٦٨

The intercalary years, of which the twelfth month, Dhul-Hijja, had 30 days are 2nd, 5th, 7th, 10th, 13th, 15th, or 16th; 18th; 21st, 24th, 26th and 29th year of the cycle of 30 years (vide Zeech Ulugh Beg, chapter 1 Dar Marafati Tarikh, p. 6.). Some observe 15th year and some observe 16th year of the cycle as intercalary year. The scholar Gravius in his table observes the 15th year but another scholar, Wustenfeld-Mahler'Sche Vergleichungs, observes the 16th year of the cycle as intercalary year. The Indian Ephemeris and Noutical Almanac published by the Government of India follows the latter. This Fixed calendar is called SAL-e Istilahi (vide Isid) or Taqwim-Istillahi and is useful in every walk of life except religion.

(Islamic Culture. July, 1976.)

ENGLISH SECTION

Why Has Islam Adopted the Lunar Calender ?

Among the world religions only Islam observes a pure lunar calendar. Its year consists of 12 months without intercalation. The months actually begin from sunset when moon becomes first visible. The months of this calendar from visibility to visibility are not more than 30 days and less than 29 days. For the religious festivals and observances, such as the first of Ramadan, Idul Fitr and Haj, etc., which have been solemnly enjoined on Muslims, the beginning of each month strictly depends on the visibility of the lunar crescent. Had Islam adopted Solar or Luni-solar calendar, fasting, one of its principal observances, would have been a perennial burden on the Muslims of one hemisphere while it would have been a permanent blessing for the Muslims of the other hemisphere. Realising the reason the Muslim world must, the-refore be grateful to Islam that by adopting the lunar calendar all the religious festivals and observances, specially Ramadan, the month of fasting, are constantly shifting from one season to another and thus each month completes the round of the seoson in 33 years.

The way of combining astronomical periods such as weeks, months, and years is called Calendar. The period of light recivel from the Sun an the moon is called by astronomers the solar day and the synodic Month. From the very beginning the two periods are adopted and efforts have been made from time to time to reconcile them with one another.

Most religions observe Lunisolar Calendar.

Sometimes different beginnings of the same month have been used by different people living in the same city. It is therefore impossible to fix an exact date for an event in the calendar unless the day of the week is given with the day of the month.

Hence the calendar based on the lunar visibilility does not serve the purpose in civil and public affairs.

For civil and astronmical purposes a more exact rule is given by Ulugh Beg, the illustrious astronomer, in his zeech. The mosths of the year have 30 days and 29 days alternately, except the twelfth minth which has 29 days 19 times and 30 days 11 times in a cycle of 30 Islamic years called Daur-Saghir. Such 7 cycles make one period or Daur-Kabir; after that the days of the week return in the same order.

so turn they vision again seest thou any Fllw ;" "Again turn they vision a second time : (thy) vision will come back to thee dull and discomfitted in a state worn out."

LXVII : 1-4

By the oaths and adjurations of the stars and planets God hls declared that He has made them Subserbient to man. In deing so God has bestowed great bounty upon us. The following verses illstrate this fact :

"And He hath made subject to you the sun and the moon, Both diligently pursuing their courses ; and the night and the day hath He (also) made subject to you."

XIV : 33

"He has made subject to you the night and Day the sun and the moon and the stars are in subjection by His command : Verily in this are signs for men who are wise."

XVI : 12

"Seest thou not that Allah merges Night into Day and He merges Night into Day and He has subjected the sun and the moon (to His Law) each running its Course for a term appointed and that Allah is well acquinted with all that ye do ?''. XXXI : 29

The significance that is concealed in these statements which Allah wants to bring forth and which man should be grateful of, lies in the following : Man study the laws operating in the universe and the Kingdom of Nature. This done, man should make them subservient to him and consequently have control over them. Eventually man should own them.

When dicussing space exploration and travels to the moon, it is sheer ignorance to say that Islam opposes such a propostion. It is nonsensicll to utter such a fallacy. The Quranic view pertaing to the planets and heavenly bodies is one of reality and factuality. It reduced them to their proper status while others had sanctified them and even worshipped them. Regard'ng those who prostrated to them and worshipped them the Quran has the following to say :—

"Do not prostrate to the sun and the moon but fall in prostration to Allah who created them."

LXI : 37

The sun and the moon and all the planets are mere creation of God He is their Creator and Lord. He is the Lord of the mighty planet Sirius and is also the Lord of all the planets plnd all stars. He created the moon and the sun and the entire heavens which He beautified with the stars.

(to be continued)

did originate creation; so will Allah produce a later creation for Allah has power over all things."

"Say : Travel through the earth and see what was the end of those before (you) most of them worshipped other besides Alloh."

"Do not they trovel through earth, and see what was the end of those before them? They were superior to them in strength : They tilled the soil and populated it in greatee mumbers than these have done : There cane to them their Apistles wiht clear (signs) (which they reje-cted, to their on desturtion) : it was not Allah who wronged them, but they wronged their own sauls''. xxx : 9

"See they not how many of those before them we did destroy? Generations we had established on the earth, in strength such as we have not given to you, for whom we poured out rain form the skies in abundance and gave (fertile) streams flowing beneath their (feet) yet for their sins we destro-yed them, and raised in their wake fresh generltions (to succed them.) VI : 6

The Quran also exhorted the Muslims to study atronomy when it adjured them by taking oaths of ceratain stars : By way of oaths and adjuration the position and rank of the stars are brought to light. This calls for great resarch, reflet-tion and thinking. God uses the following oaths :

"By the star when it goes down." LIII : 1

"Furthermore I call to witness the setting of the stars and that is indeed a mighty adjuration if ye odt knew."

LVI : 75-76.

God says that He is the Lord of the Mighty Star.

"That He is the Lord of Sirits (The Mighty Star)".

God discusses the great preci-sional wonders in the system of the planets and heavenly bodies and their movements :

"It is not permitted to the sun to catch up the moon, nor can the night outstrip the day each (just) swings along in (its own orbit swings (accordini to Law)."

XXXXVI : 40

Describing His Creation, God goes on tosay :

"Blessed is He in whose hands is Dominion and He hath power over all things."

"And He who created Death and Life, that He May try which of you is best in deed. And he is the Exallted in might. Oft-Forgiving".

"He Who created the seven hea-vens one above another no want of proportion wilt thou see in the creation of God Most Gracious

of the prophet (Peace Be Upon Him).

Some people, basing their ideas on suppositions, feel that the knowlede towards which the Quran appelrs so desirous in nothing but ledge about God, His Angels. His Books His Messeengers, the Hireaftar and knowledge about religious oblegations such as paryers, fasting, poor tax, Haj and knavleege about Islamic legislation and Islamit divinity.

It is a fact that Religious knowimplies faith, morais and legislatlegislations encouraged by Islam. In fact they rank in the first division. Flit is the most essential fundamental of any religion. Man's knowledge aboct God and relations with Him through His prophets is the nobiest knowledge for the security of the society and the safety of its honour, life and blood.

However, despite the fact that knowledge of Allah through His Messengers rann the highest in Islam and in the domain of religion the Quran itself tells us that the whole universe is a Book of knowledge regarding God. The universe is a vast complex of natural phenomena with their complexities, precision and natural laws. The adavancement of knowledge in thse fields lead to greater comprehension about God which in turn leads one to fear God all the more.

Let's ponder together on the following verse :

"Seest thou not that Allah sends down rain from the sky ? with it we then bring out produce of various colours. And in the mountains are tracts of parions shades of colour and black intense in hue. And so amongst man and crawing crea tures and cattle, are they of various colours those truly fear Allah among his servants who have knowledge for Allah is exalted in might oft. Forgiving"

This leads us to the fact which we discussed earlier regarding the cordination, order and creation found in this world of matter, we were forced to admit,

"Verily only those who possess knowledge among His servants turuly fear Allah."

The Quran has exhorted the Muslims to pursue knowledge in various fields regarding the universe. I· exhorted them to learn about the historicity of the world which it calls "Ayyam - Allah" (The passage of time). How those who followed the teaching of God and were steadfast in their faith prospered and how those who continued in evil and sins pershde. The passage of time portrays the successive lives of God's friends and the absolute dejection of those who remained the enemies of the Almighty. "Say : Travell through the earth and see how Allah

Abdullah bin Masood asid, "There are two gluttonous people who can never quench their gluttony ; One the learned man and two can never be equal. As for the Other, the wordly man. These as the learned man is concerned he increases the pleasure of God while the wordly man continues in his transgression. Abdullah then read the following verse of the Quran : "Nay, but man doth transgress all bounds, in that he looketh upon himself self-sufficient."

(XCVI 5-6

And then he read,

"Verily only those who possess knoweldge among His servants truely fear Allah."

Abu Hurairah reported :

"After a man dies his relations are severed from everything save three : charity that continues in his name, knowledge with which people benifit and His progeny that pray for him".

"After the death of a believer the rewards of the following deeds are bestowed upon him :

(1) Knowledge he learnt and imparted to others.

(2) Noble progeny he leaves behind.

(3) A Quran he leaves in his legacy.

(4) A mosque he built for the public.

(5) A way-house he built for the way farer.

(6) A river or a canal he introduced for general welfare.

(7 Wealth he offered in charity while alive and sound in health.

Safwan bin Ussal al-Muradie reports : -

"I appoached the messenger of Allah while he was sitting and resting on a red sheet. I told him, 'I have come in search of knowedge. 'He said, welcome to a seeker of knowledge. He is welcomed by the angels who spread their wings for him in groups soar up is heaven conveying this news in great delight.

Abu Hurairah reports that the Prophet (Peace Be Upon Him) said, "The finest charity for a Muslim is to study knowledge and the impart it to his Muslim brother."

Abu Hurairah reports that the Prophet (Peace Be Upon Him) said,

"Knowledge that benefits none is like treasure not spent in the way of Allah."

The Type Of Knowledge Advocated by the Quran and the Hadith

The learned on the earth are like the stars in the sky. Guidance is available by them during dark nights on land and sea. Once the stars disappear the guides are on the verge of failing astray. Kusair bin Qabas narrates the following : He said,

"I was sitting with Abu Darda in *a mosque in Damscus. A man came* forward and said, O Abu Darda ! I have come from the city of the Prophet (Peace Be upon Him). I have not come for anything except that I heard the Prophet (Peacce Be Upon Him) say : "Any person who travells for the acquisition of knowledge Allah puts him on one of the paths to Heaven.

"The angels stretch their wings welcoming a student in search of knowledge. All the things that exist between the heavens and the earth including the fish in the sea ask Allmighty to accept the repentance of 'the learned.

A learned man, in comparison to an isolated worshipper is superior. He is like the full moon in comparison to the stars. The learned are the heirs of the Prophets. The Prophets of Allah have not bequested money or wealth. The inheritance left by them is knowled-simethng considerably great."

Abu Omama el-Bahily reports : "Two persons were discussed by the Prophet (Peace Be Upon Him) one a worshipper and another a learned man. The Prophet said,

"The status of a learned man compared to a worshipper, is like my status, conpared to the most .nferior ones amongst you. The prophet then added, "Verily Allah His Angels and all His creation in the heavens and the earth, includnig ihe ants in their moles and the fish, pray for the learned who mports the good things to people".

Aisha reports the following :

"I heard the Prophet saying. "Allah has revealled it to me that He paves the way to Heaven for those who travel in search of knowledge. He confirms Heaven for those who have lost their two daughters. The bounty of knowledge is superior to the merits of worship and the most noble aspect of religion is God consciousness".

Anas reports :

The Messenger of Allah, slid whoever travels in search of knowleldge is in the path of Allah until he returns."

Abdullah bin Masood reports :

The Messenger 'of 'Allah, soid "Only two people may be envied : One who is endowed with abundant wealth and is engaged in spending it in the way of truth and another whom God has given wisdom and he imparts it to the others and judges with it."

Since the learned people bear witness to the concept of monotheism together with God and the angels, their positions became very noble and their ranks too,are noble.

"Allah will raise (suitble ranks) those who believe and who have been granted knowledge. And Allah is well-acquainted with what you do". (LVIII : 11).

Because of the extremely elevated position of knowledge and the learned people, the Lord, especialy asked His messenger who is an ideal example for the Muslims, to say the following :

"O my Lord ! Advance me in knowledge". (XX : 114

O Lord ! advance me in knowledge every day ; in fact every second. This should be the motto of the believing Muslim. Obviously if a Muslim's knowledge in creases, his fear for the Lord. too, will increase. With that Islam would be established in full and will be absolutey perfect.

A point that should never be forgotten, in fact alays remembered is the first word that was revealed to the Prophet (Peace Be Upon Him : the first word that gave the glad-tidings of a new era full of new light. It was the word "Read".

The Status of Knowledge in the "Sunnah" of the Prophet.

We may allude to the teachings of the Prophet (Peace Be Upon Him) from where we can take a beautiful pattern of conduct in matters pertaining to life in general and knowledge in particular : "There is indeed in the Apostle of Allah a beautiful pattern of conduct for you ; for anyone whose hope is in Allah and the Final Day and who engages much in the praise of Allah." (XXXIII : 21)

Abu Hurairah reports the following :

Whosoever relieves a believer from an afliction on the Day of Judgement, and whosoever conceals a beiever's shortcoming Allah protects him both in this world and the Hereafter. Allah assists every person who is preoccupied in helping his bdother.

"Whosoever travels in search of knowledge Allah makes his way easy to heaven. Indeed, wherever people gather in the house of Allah reciting and studying the Book of Allah, the angels welcome them, peace is showed upon them and Allah's mercy envelops them. Allah mentions them among those who are close to Him.

"A person whose noble deeds and actions are nil can never be responsible by his noble geneology. "(In Islam deeds and not lineage counts for eternal bliss).

Anas bin Malik reports the following :

is better ? Allah or the false gods they associate (With Him) ? Or, Who has created the heavens and the earth and who sends you down rain from the sky ? Yea, with it we cause to grow well plan-ted orchards full of beauty and delight : it is not in your power to cause the growth of the trees in them. (Can there be another) god besides Allah, Nay they are a peo-ple who swerve from justice. "Or who has made the earth firm to live in ; made rivers in its midst ; set thereon mountains immovable; and a separating bar between the two bodies of flowing water ? (Can there be another) god besides Al-lah ? Nay, most of them know not. Or, who listens to the (soul) distressed when it calls on Him. ond who relieves its suffering, and makes you inheritors of the earth ? (Can there be another) god besides Allah ? Little it is that ye heed or, who guides you through the depths of darkness on land and sea, who sends the winds as heralds of gladtidings, going before His Mercy ? (Can there be another) god besides Allah ? High is Allah above what thou associate with Him. Or who originates Creation then repeats it, and who gives sustenance from heaven and earth ? (Can there be another) god besides Allah ? Say, "Bring forth your argument if ye are tell-ing the truth. (XXVI : 59-64).

Following the above verses, God makes a further remark. Accord-ing to the Lord, no man's knowle-dge, however encyclopeadic, can ever comprehend the unknown. The unknown is far greater and none save Allah comprehends everything. This apparently means that know-ledge has no ens and as long as the earth and heavens exist know-ing the unknown will never come to finality :

"Say, None in the heavens or on the earth, except Allah knows what is hidden : Nor can they perceive when they shall be raised up (for judgement) XXVLL 65).

Islam has laid great stress on knowledge. It has encouraged mankind to acquire it and made it one of the basis of religion. This it has done for man to reach the stage of monotheism in faith and to reach the highest point where mankind can reach. In stressing on knowledge Islam has reached In unchallengable point; point where none can compete with.

For the purpose of monotheism in faith or for the specific purpose for man to reach the highest point possible, Islam has encouraged the pursuit of knowledge. In fact Islam has made knowledge an in-tegral part of its system. The Quranic verses and traditions of the Prophet pertaining to know-ledge are plenty and most beneficial.

ISLAM AND KNOWLEDGE—II

By
Dr. Abdul Halim Mahmoud
The Grand Sheikh of Al-Azhar

The Almighty Lord is True in His Proclamation :

"Verily, only those who possess knowledge among His servants truly fear Allah."

The fear of the Lord which is the fruit of knowledge is one of the most important basics of Islam. It is from here that Islam sees knowledge as a necessity and not as a luxury. This in itself is an in an Islamic personality. A Muslim personality must be versed with personality must be versed with knowledge ; hnowledge of the universe, of man and of the mind. In fact in every field that this word may entail.

Where does the fear of the Lord lead ? Where do the sincere believing scholars end up ? What is the import of the following verse :

"There is no god but He : That is the Witness if Allah His Angels and those endued with knowledge. standing firm on justice. There is no god but He, the Exalted in power, the Wise." III : 18.

By the way of knowledge which produces fear of God, man reaches the realms of monotheism. According to el-Bayruni, monotheism is the hallmark of Islam and it is also the characteristic of true religion. The concept of monotheism is witnessed by God and His pure angles. In co-relating and corresponding the Ulemas with the Angels the Almighty has elevated the position of knowledge to the noblest rank.

The tenet of monotheism is the fundamental principle in Islam. It is :

"I bear witness that there is no god but Allah and Muhammad is His Messenger."

This is witnessed in full by the learned only. In the same way monotheism whch is the height of spiritualism is also witnessed by the learned in faith. God Has presented monotheism to mankind in various ways. The presentation is unique, precise and often very deep. It is only comprehended by the learned and those who are versed with knowledge :

"Say ; Praise be to Allah and peace on His servants Whom He has chosen (For His Message) (Who)

write in over 70 different styles of scripts.

Among the calligraphic exhibits at the London Festival some of the finest examples were those from Egypt, Turkey - especially those of the Ottomans - and Persia. Calligraphy thus has the most honoured place among the arts of Islam. To study Arabic calligraphy and the rich variety of its various styles, it is said, is to feel the heort-beat of the Muslim art.

The Festival of Islam was the most spectacular and comprehensive fair ever organised. Except for transporting buildings to depict the splendid architectural heritage of Islam, nothing has been left undons. Over 2,000 invaluable art treasures, spanning over 1,400 years, have been brought together from countries stretching from Spain to Indonesia. The indemnity given for these exhibits by the British Government was between £ 30—50 - million. The cost of the Festival has been estimated by the organisers to be around $ 2 billion. The funds have been entirely contributed by Islamic countries, espcially Saudi Arabia, Kuwait, the United Arab Emirates, and Iran.

The art that holds the key position among all artistic activities of the Mulims is architecture. In fact most other arts were encouraged only to serve architecture and hence are of secondary importance. Some beautifully made audiovisual shows and films based on the architecture achievements of Muslims were being shown in the Festival.

Islamic architecture revolves round three stuctures- the mosque, the palace and the tomb. A mosque or masjid a place where one prostrates oneself is any public place of worship. The mosque was never meant to be only a place of worship. It was used for many other purposes such as a court, a public meeting hall and most commonly as madrassa or place of learning. Some of these mosques grew into famous universities, e.g. Al-Azhar in Cairo which has been flourishing as a centre of learning for over a thousond years.

The rest of the arts of the Muslims is represented with innumerable selections of the finest carpest as well as art objects made of glaass, cermics, wood, ivory and marbleof these ceramic and glass products of Persia, Syira and Egypt are indeed exquisite.

In the 'Quranic exhibition being held at the British Museum there were manuscripts from every part of the world. There were early Qurans of the 8th and the 9th centuries written on vellum, a parchment made of lambskin. The oldest Arabic manuscript written in the ancient Mail script was also no display. So are many precious Qurans of the Salijuk, Mamluk, Mongol and Timurid periods : the exquiste calligraphy and illuminations (decorations of Qurans) of the Ottomans and the Safavids were also represented. Indian exhibits formed an important section, with manuscripts showing Indian calligraphic styles and illuminations of Qurans from the 13th to the 19th century which have been brought from various personal collections and important museums.

The copying of the Quran is considrered of great spiritual benefit to both the calligrapher and his patron. Thus many Muslims spent alot of their time making copies of the sacred book.

The earliest version of calligraphy was in the script that is called Kufic after the city kufa in Iraq-which was one of the main centres of Islamic culture. There were a number of forms and variations of the Kufic script; some elaborate and intricate examples at the Islamic Arts Exhibition looked lovely but were not easy to read. There were numerous other styles of writing. A Persian calligrapher was said to be able to

rical and also places the Nile correctly. In the West, cartography is claimed as a 19th century European science.

Medicine was undoubtedly one of the world Islam's major fields of accomplishement. The Science Exhibition is flooded with pictures and copies of the thesis of the Muslim physicians al-Razi and Ibn-Sina (known in Europe as Avicenna) and other important works on anatomy and surgery.

Ibn-Sina in the 10tb century wrote 43 books on medicine. He emphasised the importance of diet and climate on health and wrote about the dangerous effects of emotional strain and of contaminated water being a carrier of diseases.

Al-Razi's medical encyclopaedia was used in Venice until the 16th century. He wrote the first clinial account of smallpox to distinguish from measles. There is some very interesting information in it : for instance, al-Razi chose a site for a new hospital in Baghdad by hanging up lumps of raw meat in various parts of the city to see where it rotted most slowly.

Although Muslim doctors performed surgery only as a least resort, many surgical operations were well developed. For example caesarean operations were done and written in the 11th century by the geatest Muslim surgeon of medieval times-al-Zahrawi. His major work became a standard text in Europe and remained so until the 16th century.

Also on display were pictures showing anatomical details of the human and animal bodies. The father of the micoroscope, telescope and even the camera was a Muslim Ali Haythum who in his Book of Optics had laid the foundations of outical knowledge. Muslim physicians also exclled in treating diseases of the eye.

In the technological field also, Islam's contribution is noteworthy. There are drawings by engineers showing how water can be impounded, conducted through canals, focred up into fountain jets and used to run water-wheels. By bulding massive cistrns and by distributing the stored water through complex irrigation systems, they were able to create entire cities in the desert.

A few days later the venue shifted from Albert Hall *to* the Haywa from Albert Hall to the Hayward Gallery. A dstiguishing gathering of British Cabinet Ministers, Members of Parliament, Ambassadors, Government officials, leaders of various delegations from Islamic countries and eminent Muslim and Western scholars sat together as Queen Elizabeth inaugurated the World of Islam Festival' by opening the exhibition, "The Arts of Islam''.

these sciences were systematised and enriched and from them new forms and branches came into being.

Th transmission of the sciences from languages such as Greek, Syriac, Sanskrit and Phalvi into Arabic was in itself a stupendous task. It was accomplished within a period of 200 years from the 8th to the 10th century. With translators such as Hunayn ibn Ishaq and the efforts of many Caliphs, princes and veziers, the works of Ptolemy, Aristotle, Euclied and Gallen were translated into Arabic. And thus for the first time in history, science became international and Arabic, as its vehicle, the most important language of science in the world.

The tools, instruments, maps, manuscripts and drawings that the Festival has borrowed from various museums bear testimony to what the Muslims - in particular what the Arabs and the Persians - had achieved in the realm of sciences from astronomy to minerology. They invented or perfected many scientific instruments. Istitutions like the teaching hospital and the observatory are the gifts of Islam to the world. Sundials are an Islamic invention. The earliest known portable sundial was on display at the exhibition. The sandglass clock and the astrollbe were perfected by Muslim scientists both as instruments and as works of art.

Most of the renowned Muslim astronomers and mathematicians also worked on astrolongical studies. Although Isam forbids fortune - telling, royal patronage gave it an important place in Muslim life. . Its practice led to significant adventures in the study of astronomy and mathematics. One of the exhibits that was an ancient manusiript of al-Biruni's book on astrology.

It was from the greatest Muslim astrologer, Abu Mashar, that the West first learned of the connection between the moon and the tides. In the field of geography, the Arabs were the first to make maps and chart sea routes as early as in the 13th century. Copernicus's discovery that the earth rotates on its axis and the planets revolve in orbits round the sun was based on earlier discoveries by Muslim astronomers.

Yaqut, a former Greek slave, also known as al-Rumi, compiled a massive six-volume geographical dictionary, Mujam al Buldam, in 1228 which contained a great deal of information about the physical features, climate, plant and animal life of various parts of the world. The most remarkable map of the world was drawn by a Morrocan, al-Idrisi, in the 12th centory; it recognises the earth's being sphe-

the West maligned Islam and its Prophet and belittle the achievemeits of Muslims. The record has been put straight with the world's first exhibition of the contributions made by Muslim scholars, scientists, poets, architects, artists and craftsman in different countries through the ages.

It is not surprising that after many generations had been fed on this kind of falsehood Europeans could not believe that Muslims had made any contribution to learning or that they had produced great works of architecture, written exquisite poetry or that the sovereign creed of Islam was what the word means-Peace. It was, therefore, gratifying to see a citadel of Christianity glorifying Islam and paying it a long-overdue tribute.

The Exhibition of Science and Technology became the focal point of interest in the Festival. For it is in this field that the contribution of the Muslim world is outstanding but least known. Apart from highlighting the achievements of the Muslims, the Exhibition helped to clear the erroneous view that had persisted in Europe that Islamic science acted merely as a bridge between the Greek and other ancient civilisations on the one hand and Medieval Europe on the other.

Before the Greeks, ancient Egyptians and Mesopotamians had produced important works on medicine and mathematics. The Greeks developed these further and gave to the worad philosophers such as Aristotle, Plato, Pythogoras, Thales and many others. There centuries later, the centre of activity shifted to Alexandria where a synthesis of Greek, Egyptian and Oriental learning was evolved. It produced men like Galen, Ptotemy and Euclid. And thus from Alexandria the Graeco-Hellenic heritage came to Islam.

Persian contributions to Islamic sciences are both indigenous as well as of Greek or Indian origin.

Among those that came from India were mathematics, mediciein, astronomy and natural history. The main source of Muslim Natural History which became one of the masterpieces of Arabic literature was first translated from Sanskrit into Pahlvi and then into Arabic.

However it would be incorrect to consider Islam merely a carrier of ideas of older civilisations to the West. The material, it got from the Greeks, the Indians and the Persians provided the Muslim scholars bases in which to work. They developed them further, remoulded them and gave them a Muslim orientation. Consequently

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER: Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

SHAWWAL 1395	ENGLISH SECTION	SEPTEMBER 1976

A GLANCE AT 'THE WORLD OF ISLAM FESITVAL' IN LONDON

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

The five-month long International Festival of The World of Islam held in Britain, in the first half of t his year (1976), was a unique occasion to highlight the debt that the world owes to Islam. It was the most spectacular and comprehensive Festival ever organised. Beside a series of seminars on different Islamic themes; several exhibitions were held, and valuable books on Islamic Contributions have been published.

The most outstanding of the exhibitions were those of "Science and Technology in Islam", "The Arts of Islam" and "the Quranic Exhibition". According to the organisers, the Festival is a cultural and intellectual exercise with the specific purpose of putting Islam in its proper perspective and highlighting it from the Islamic viewpoint. In a way it is perhaps the clearing of its conscience by the West for all the misrepresentations and distortions to which it had subjected Islam ever since the Middle ages.

The mistrust of Islam began with the conquest of Muslim armies which planted the banner of the crescent over large parts of Asia, North Africa and into the heart of Christendom. Then came the direct confrontation with Christianity when Muslims drove the Christian crusaders out of Western Asia. With the political decline of the Ottoman Empire in the 17th century, Islamic power was eclipsed and the resentment against Islam turned to disdin, its intellectual achievements were treated with contempt and its artistic content ignored. For many centuries,

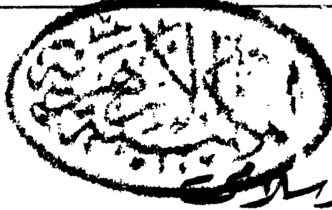
مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

مدير التحرير
الدكتور عبد الودود شلبى
بدل الاشتراك
١٠٠ فى جمهورية مصر العربية
١٢٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء التاسع — السنة الثامنة والأربعون — ذو القعدة سنة ١٣٩٦هـ — نوفمبر سنة ١٩٧٦ م



بسم الله الرحمن الرحيم

الفقه الإسلامى

طريقته ومكانته فى أعراف المستبصرين

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

ان الفقه الاسلامى : هو مواد السلوك للمسلم : انه يتناول حياته فى الصغير منها والكبير ، وينظم سلوكه الأخلاقى بأوسع ما تتضمنه كلمة أخلاق ، منذ أن يصبح الى أن يمسى ، ومنذ ميلاده الى أن تنتهى به الحياة ثم ينظم شئون ميراثه — ان كان له ميراث — بعد حياته .

انه ينظم سلوكه مع نفسه ، ويشرح من ذلك ما خفى وما ظهر وينظم سلوكه مع الله فيبين له ما ينبغى أن يتحلى به حتى يصير ربانيا وينظم سلوكه مع اخوانه فى المجتمع ، سلبا وايجابا ، قولا وفعلا .

انه قانون الحياة بالنسبة للمسلم .

انه : القانون الذى يبين أنواع السلوك ، من حيث كونه جائزا ، أو واجبا ، أو مستحبا ، ومن حيث كونه حراما ، أو مكروها وذلك فى ميادين الحياة .

لقد تتبع آيات القرآن الكريم ، وتتبع الأحاديث النبوية تتبعا دقيقا ونسقها ، فأصبح بذلك صورة واضحة لحياة المسلم ، وتغلغل بذلك فى جميع الميادين ، حتى تلك التى ما كان الانسان يظن أنه ينتبه اليها أو يتجه نحوها .

خذ مثلا مسألة الروائح الزكية ، أو العطرية تجده يذكر : عن أبى هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : «من عرض عليه طيب فلا يرده ، فانه خفيف المحمل طيب الرائحة » .

وعن أبى سعيد : أن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال فى المسك هو. «أطيب طيبكم » ويذكر الفرق بين التزين والكبر :

عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر » .

فقال رجل : ان الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ، ونعله حسنا ، قال : ان الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس» ومن هذا الوادى ــ وادى التزين والروائح الطيبة ــ عن جابر ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من أكل الثوم والبصل والكراث : فلا يقربن مسجدنا ، فان الملائكة تتأذى منه » (١) .

ويتحدث الفقه عن : الذهب ، والحرير ، والأقمشة المحلاة بالتصاليب ، فيذكر : عن أبى موسى ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أحل الذهب والحرير للاناث من أمتى ، وحرم على ذكورها » (٢)

وعن حذيفة قال : « نهانا النبى صلى الله عليه وسلم ، أن نشرب فى آنية الذهب والفضة ، وأن نأكل فيها وعن لبس الحرير والديباج ، وأن نجلس عليه » (٣) .

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه أحمد والترمذى وصححه .
(٣) رواه البخارى .

وعن أنس : «أن النبى صلى الله عليه وسلم ، رخص لعبد الرحمن بن عوف ، والزبير ، فى لبس الحرير لحكة كانت بهما » .

وعن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم « لم يكن يترك شيئافيه تصاليب الا نقضه » رواه البخارى وأبو داود وأحمد ، ولفظه «لم يكن يدع فى بيته ثوبا فيه تصليب الا نقضه » .

ويتحدث الفقه عن نواح من التحفظ الصحى فيذكر : عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم « أنه نهى أن يبال فى الماء الراكد(١) » .

وعن جابر بن عبد الله ، فى حديث له ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « أوك سقاءك ، واذكر اسم الله، وخمر اناءك واذكر اسم الله ، ولو أن تفرض عليه عودا » متفق عليه .

ولمسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : غطوا الاناء وأوكوا السقاء فان فى السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر باناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء ، الا نزل فيه من ذلك الوباء » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : اتقوا اللاعنين قالوا : وما اللاعنين يارسول الله ؟

قال : الذى يتخلى فى طريق الناس أو فى ظلهم ، أى الذى يقضى حاجته فى الطريق الذى يسير فيه الناس ، أو تحت الأشجار التى يستظلون بها (٢) » . أما عن التبرج والتخنث فانه يشرح .

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، على رءوسهم أمثال أسنمة البخت المائلة ، لايرين الجنة ولايجدن ريحها ورجال معهم سياط كأذناب البقر ، يضربون بها الناس » (٣) .

---

(١) رواه أحمد ومسلم والنسائى وابن ماجه .

(٢) رواه أحمد ومسلم وأبو داود.

(٣) رواه أحمد ومسلم .

وعن أبى هريرة : أن النبى صلى الله عليه وسلم ، « لعن الرجل يلبس لبس المــرأة والمــرأة تلبس لبس الرجل (١) » .

والحديث عن التبرج والتخنث ، يجر الى الحــديث عن ســفر المرأة وحدها : فعن أبى هريرة فيما رواه الشيخان : أن رسول الله صــلى الله عليه وسلم : « لايحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة الا مع ذى محرم عليها » .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما ــ فيما رواه الشيخان أيضا ــ أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول « لا يخلون رجل بامرأة الا ومعهــا ذو محرم ، ولا تسافر المرأة الا مع ذى محرم ، فقال رجل يا رسول الله ان امرأتى خرجت حاجة ، وانى كتبت فى غزوة كذا وكذا ، قال : انطلق فحج مع امرأتك » .

والحديث عن التبرج أيضا يجــر الى الحديث عن كشف العورة : عن بهز بن حكيم ، عن أبيه ، عن جده قال : قلت : يارســول الله عوراتنا ما نأتى منها وما نذر ؟ قال « احفظ عورتك الا من زوجتك ، أو ماملكت يمينك » .

قلت : فاذا كان القوم بعضهم فى بعض قال : ان استطعت ألا يراها أحد فلا يرينها ، قلت : فاذا كان أحــدنا خاليا ، قال : فالله تبارك وتعالى أحق أن يستحيا منه » .

وعن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تبرز فخذك ولا تنظر الى فخذ حى ولا ميت (٢) » .

وعن محمــد بن جحش قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على معمر ، وفخذاه مكشوفتان ، فقال : « يا معمر : غط فخذيك ، فان الفخذين عورة » (٣) .

وعن ابن عباس ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الفخذ عورة » رواه الترمذى وأحمد ولفظه : « مر

---

(١) رواه أحمد وأبو داود .

(٢) رواه أبو داود وابن ماجه .

(٣) رواه أحمد والبخــارى فى تاريخه .

رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل وفخذه خارجة ، فقال : غط فخذيك فان فخذ الرجل من عورته» .

وعن يعلى بن أمية : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رأى رجلا يغتسل فى فضاء مكشوف ، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال: ان الله عز وجل حيى ستير يحب الحياء والستر ، فاذا اغتسل أحدكم فليستتر (١) » .

ويأخذ الجانب الأخلاقى شأنا كبيرا فى الفقه نذكر منه على سبيل المثال : عن ابن عباس ، رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم: « مر بقبرين فقال : انهما يعذبان وما يعذبان فى كبير : أما أحدهما ، فكان لا يستتر من بوله وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة» رواه أصحاب الصحاح وفى رواية البخارى والنسائى : « وما يعذبان فى كبير ثم قال « بلى كان أحدهما ...» وذكر الحديث ويروى الفقه فى هذا الجانب قوله صلى الله عليه وسلم :

« بعثت لأتمم حسن الأخلاق »

ويصل الأمر بسعيد بن المسيب أن يقول : ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى ، قال : اصلاح ذات البين ، واياكم والبغضة فانها الحالقة .

ويروى الفقه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكل دين خلق ، وخلق الاسلام الحياء وتقول السيدة عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ماخير فى أمرين قط الا أخذ أيسرهما ما لم يكن اثما ، فان كان اثما كان أبعد الناس عنه ، وما انتقم رسول الله لنفسه الا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها (٢) » .

ويصل الأمر فى الفقه الى تنظيم كيفية الأكل والشرب وما يقوله الانسان عند خروجه من البيت وعند دخوله وعند ركوبه وعند نزوله وفى الملابس مثلا عن أبى هريرة قال : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لبس قميصا بدأ بميامنه » .

---

(١) رواه أبو داود والنسائى .
(٢) الأحاديث من المصدر السابق .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا لبس ثوبا : عمامة أو قميصا أو رداء ، يقول : اللهم لك الحمد ، أنت كسوتنيه ، أسألك خيره وخيرما صنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له (١) » •

وما كان الفقه فى يوم من الأيام خاصا بجانب من الحياة الاجتماعية دون جانب •

لقد كان يتضمن الأخلاق، ويتضمن التشريع ، كان يشتمل على العبادات والمعاملات : بيعا وشراء ــ وجهادا وقتالا ، وسلاما ، نكاحا وميراثا ، لقد كان الفقه يشرع للانسان فى جميع أقطاره وزواياه •

وكانت الطريقة المثلى للتأليف فى الفقه : هى الطريقة التى اتبعها السلف الصالح رضى الله عنهم : لقد اعتقدوا اعتقادا موفقا ، هو أن مهمتهم انما هى جمع الأحاديث فى كل مجال ، وتنسيقها ، وتبويبها ، وتقسيمها الى فصول ، والى فقرات تنتظم جميعها تحت وحدة متحدة هى الحياة الاسلامية •

والحياة الاسلامية : لا تنقسم الى ميادين تنفصل وتتعدد ، انما هى وحدة متماسكة ومن هنا كانت هذه ــ الكتب الأولى فى «الحياة الاسلامية» تبدأ بالحديث عن الوحى ، وعن الايمان ، وعن العلم •

واذا تصفحت كتابا مثل الموطأ للامام مالك رضى الله عنه ــ وهو كتاب فقه رغم كل ما يمكن أن يقال، بل هو فى نظرنا كتاب الفقه المثالى : فانك تجد فيه فصلا عن حسن الخلق، وفصلا يطول عن صفة الرسول صلى الله عليه وسلم للتأسى به ، ومتابعته فى أخلاقه وسلوكه ، وفصلا عن الرؤيا وتجد فصلا عن العلم ، وفصلا عن أسمائه صلى الله عليه وسلم •

كان الفقه الاسلامى صورة كاملة لحياة المسلم على صورتها الصحيحة وفى ترابطها الذى لا انفصام له ولا انفكاك •

لقد كان شرحا للاسلام، وتفصيلا للايمان ، والاسلام هو تصوير للحياة التى أحبها الله لمن كانوا خير

---

(١) رواه الترمذى •

أمة أخرجت للنـاس ، والايمـان الاسلامى: تعبير عن الحياة الاسلامية الخالصة المخلصة والايمان فى وحدته التامة شعب كثيرة :

عن أبى هريرة رضى الله عنه ،قال: يقول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « الايمان بضع وسبعون شعبة والحياء شعبة من الايمان » .

وحينمـا بين سـادتنا العلمـاء المحققـون ، الـذين أخلصـوا لله ورسوله ، تلك الشعب ، عن طريق الأحـاديث الشريفة التى وضـحت الايمان ، وعن طريق الآيات القرآنية الكريمة التى تحدثت عن الايمان : قسموا تلك الشعب الى ما يختص منها بالقلب ، وما يختص باللسان ، وما يختص بالبدن ، أى أن الايمان يغمر الكيان الانسانى كله : اعتقادا وقولا وفعلا .

ومن الأحاديث الشريفـة : تتبين أن الحب فى الله والبغض فى الله من الايمان،وأنه : لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيـه ما يحب لنفسه ، وأن الذى يؤذى جاره ليس بمؤمن .

وليس بمؤمن : من شبع وجاره جائع .

وأن الجهاد من الايمان : يقول صلوات الله عليه وسلامه : « انتدب الله لمن خرج فى سبيله ، ولا يخرجه الا ايمان بى ، وتصديق برسـلى أن أرجعه بما نال من أجـر أو غنيمة ، أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتى ما قعدت خلف سرية ، ولوددت أن أقتل فى سبيل الله ، ثم أحيـا ، ثم أقتل ، ثم أحيا ، ثم أقتل » .

ومنها تتبين أيضا أن :

قيام ليلة القدر : من الايمان .

والانصـاف من النفس : من الايمان .

وبذل السلام للعالم : من الايمان.

والانفاق من الاقتار من الايمان.

وتطوع قيام رمضان : من الايمان.

وصوم رمضان ايمانا واحتسـابا: من الايمان .

والصلاة : من الايمان : بل لقـد عبر الله تعالى عنها بالايمان فى قوله

تعالى : « وما كان اللـه ليضـيع ايمانكم » .

ويتغلغل الايمـان فى الحيـاة الاجتماعية حتى يصل الى السـهل من أمرها والميسور فتكون اماطـة الأذى عن الطريق : من الايمـان ، ويكون افشاء السـلام ـ تعـارفا وتوددا من الايمان .

واذا ما تغلغل الايمان فى النفس : وجد المؤمن حلاوة الايمان ، وهـو لا ينعم بحلاوة الايمان الا أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه الا لله .

وأن يكره المرء أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار (١) .

لقد كان الفقه : بيانا للحيـاة الاسلامية حسبما رسمها الرسـول صلى الله عليه وسلم ، وكان يلبى حاجات المجتمعـات فيما يتعلـق بالأحكام الاسـلامية كلمـا أحدثت المجتمعات جديدا من الأمر أو ابتدعت شأنا من الشئون .

لقد كان الصـحابة يلجئون الى الآيات القرآنية يستلهمونها الصواب ، والى الأحاديث النبوية يستمدون منها الرشد .

وما كان الفقه فى يوم من الأيام ، وما كانت هذه المواد التى تنظم الحياة آراء بشرية ، انها ليست نتيجة منطق بشرى أو تفكير انسانى يصدر عن الذات الانسانية : فيختلف فيه الناس من فرد الى فرد ، ومن بيئة الى بيئة ومن زمن الى آخر ، كما يختلفون بحسب ذلك ، فى كل ما هو نتـاج بشرى .

كلا ، ان الفقه الاسـلامى ، انما هو ميراث النبوة ، انه شرح للوحى أو بتعبير أدق : انه ترجمة للوحى ، واستنتاج من قواعده العامة ، واتباع لسلوك الرسول صلى الله عليه وسلم ، باعتباره المسلم الأول : « وأنا أول المسلمين » .

أو باعتباره المطبـق الدقيق لمـا أوحاه الله تعالى على قلبه ، رسالة

(١) هـذه كلهـا درر منثورة اقتبسناها من احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شـعب الايمـان .

الى الانسانية لهدايتها الى الصراط المستقيم .

ان الفقه الاسلامى : اتباع،وليس ابتداعا ، وانه محاولة جاهدة لكشف الآثار النبوية والتزامها ، وليس اختراعا يؤلفه البشر .

ولقد كان أئمتنا ، رضى اللهعنهم، ينبهون بأقوالهم ونزعاتهم وسلوكهم الى هذا الأمر البدهى عند ذوى الشعور الدينى .

لقد كان شعار أئمتنا جميعا ، رضى الله عنهم .

اذا صح الحديث فهو مذهبى .

انما أنا متبع لا مبتدع .

كل انسان يؤخذ منه ويرد عليه الا صاحب هذه الروضة الشريفة وصاحب هذه الروضة الشريفه : هو وحده الامام ، وكان الامام لأنه الكائن الوحيد الذى اجتباه الله رسولا خاتما للرسل ، ونبيا خاتما للأنبياء ، وكل ما أتى به قرآنا كان ، أو حديثا قدسيا ، أو حديثا نبويا شريفا انما هو مقدس، لأنه : ماينطق عن الهوى ، ولأنه يدعو الى الله على بصيرة ، ولأن من أطاعه فقد أطاع الله ، ومن اتبعه فقد أحبه الله .

« وما ينطق عن الهوى ، ان هو الا وحى يوحى » (١)

« قل هذه سبيلى أدعو الى الله على بصيرة » (٢)

« قل : ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله » (٣)

كان سلفنا الصالح ينزعون هذه النزعة : نزعة الخضوع المطلق لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ، لقد كانوا يسجدون للنص، يسجدون له بجوارحهم وقلوبهم ، وأرواحهم ، وعقولهم ، لقد كانوا يخضعون عقولهم للنص ويجعلون القائد الحكم المهيمن .

وكانوا يعرفون أن ادخال شخصيتهم فى النص ، انما هوانحراف

(١) سورة النجم آية ٣ ، ٤

(٢) سورة يوسف آية ١٠٨

(٣) سورة آل عمران آية ٣١

يعظم أو يقل بحسب مدى التدخل البشرى فى النص ، وكانوا يعرفون أن الوحى جاء هاديا للعقل ، قائدا له فى الأمور التى لا يتأتى للعقل أن يلج ميادينها أو يقتحم حماها ، أو يدلى فيها برأى يتفق عليه الناس .

وهذه الميادين هى الدين ، ومادام الدين ليس رأيا بشريا لأنه تنزيل من حكيم حميد :

فان كل موقف من الشخصية البشرية ، تجاه النص الالهى — سوى موقف السجود له — انما هو موقف لتبديل الدين من أن يكون الهيا الى أن يكون بشريا .

ولو كان يستقيم الأمر على ذلك — أى على التبديل — لما كان هناك من حاجة الى الدين .

يروى أبو داود والدار قطنى عن سيدنا على رضى الله عنه قال : « لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه ، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خفيه » .

ان الدين ليس رأيا ، وليس بالرأى ، وانظر الى الحديث التالى :

انه معبر أقوى ما يكون التعبير ، ودقيق فى مغزاه دقة بالغة : عن البراء ابن عازب ، رضى الله عنه ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : اذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ثم قل : اللهم انى أسلمت نفسى اليك ، ووجهت وجهى اليك ، وفوضت أمرى اليك ، وألجأت ظهرى اليك ، رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ منك الا اليك آمنت بكتابك الذى أنزلت ونبيك الذى أرسلت فان مت فى ليلتك : فأنت على الفطرة واجعلهن آخر ما تتكلم به .

يقول البراء بن عازب : فرددتها على النبى صلى الله عليه وسلم ، (أى أخذت فى اعادتها عليه صلى الله عليه وسلم) فلما بلغت : آمنت بكتابك الذى أنزلت ، قلت ورسولك ، قال : لا ونبيك الذى أرسلت رواه الستة .

وزاد البخارى والترمذى : « فانك ان مت من ليلتك مت على الفطرة ، وان أصبحت خيرا » .

ان الصـحابى الجليل البراء ابن عازب ، رضى الله عنـه ، أبدل كلمة بكلمة نسيانا منه ، لقد قـال « رسولك » بدل أن يقول «نبيك» .

وكلمة « رسول » تتضمن معنى النبوة فهى اذن فيها المعنى وزيادة ، وبحسب منطقنا وبحسب عقلنا تكون صالحة ... ولكنها فى منطق الحق لم تكن صالحة .

وبعـد .. فاننا لا نرى بعقلنـا ومنطقنا ، الا الشكل والظاهر ، أما بواطن الأمور اما أسرار الكلمات ، اما حكمة الأوضاع المحـددة ، اما اكتناه خفايا التقديرات الالهية.

ان كل ذلك اذا لم يكشف اللـه عنه ، أو عن بعضه فاننا لا نصـل اليه بمنطق البشر .

« انا كل شىء خلقنـاه بقـدر » بمقدار محدد وتقدير معين .

واكتناه سر هذا القدر أو هـذا التقدير ، اكتناها تاما لا يصل اليه الانسان بل لا تصل اليه الملائكة :

« وعلم آدم الأسـماء كلها ، ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئونى بأسماء هـؤلاء ان كنتم صادقين ، قالوا : سـبحانك لا علم لنـا الا ما علمتنا ، انك أنت العليم الحكيم» .

ان العلم الصحيح الصادق فى عالم الهداية الالهية ، والتربية الربانية ، انما هو من الله سبحانه ، وكل ابتعاد عنه ، أو خروج عليه ، أو تغيير فيه، انما هو ضلال .

دكتور عبد الحليم محمود

دعاء النبى صلى الله عليه وسلم

للأستاذ أبو الحسن الندوى

— ٣ —

التعبير عن القلب :

وقد ناب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى دعائه كل انسان عن كل ما يحتاج اليـه ، بأكمل ما يكون النيابة ، فسيجد كل انسان فى كل زمان ومكان الى يوم يرث الله فيه الأرض ومن عليها ، تعبيرا عن قلبه ، وتمثيلا لعواطفه ومشاعره ، وأسبابه وارتياحا لقلبه ، وطلبا لحاجات قلما تخطر ببال عامة البشر ، اقرأ هـذا الدعاء على سبيل المثال :

« اللهم انى أعوذ بك من منكرات الأخـلاق والأعمال ، والأهـواء ، والأدواء ، نعوذ بك من شر ما استعاذ منه نبيك محمد ـ صلى الله عليـه وسلم ـ (١) ومن جار السوء فى دار المقامة ، فان جار البادية يتحـول وغلبة العدو ، وشماتة الأعداء ، ومن الجوع ، فانه بئس الضـجيع ، ومن الخيانة ، فانها بئست البطانة ، وان نرجع على أعقـابنا ، أو نفتن عن ديننا ، ومن الفتـن ، ما ظهر منهـا وما بطن ، ومن يوم السوء ومن ليلة السوء ، ومن صاحب السوء »(٢).

ان كل واحد منا يحتاج الى الرزق ، غير أنه كم منا من يدرك أن السعة فى الرزق والرغادة فى العيش ، يحتاج اليهما الانسـان ـ بأشد ما يكون الاحتياج ـ حينما يجتاز آخر مرحلة من مراحل حياته ، فلا يقـدر على تحمل المشاق ومعالجة العسر ، ويفقد القدرة على كسب المعاش ، وتعجز

(١) جاءت هذه الفقرة نيابة عمن يـدعون من الأمـة المحمدية ـ على صاحبها الصلاة والسلام .

(٢) الترمذى عن أبى أمامة (رضى الله عنهما) .

قواه عن الكد والاجتهاد ، فيروح حريصا على الراحة وسعادة العيش وسعة الرزق ، فانظر كيف يدعو لذلك معلم الحكمة – صلى الله عليه وسلم .

« اللهم اجعل أوسع رزقك على عند كبر سنى وانقطاع عمرى »(١).

ولم يكتف – صلى الله عليه وسلم – بطلب السعة فى الرزق فى آخر العمر ، بل دعا أن يسود هذه المرحلة الباقية من العمر ، خير من كل جانب ، وان تكون آخر المراحل أسعدها ، وأفلحها ، وأصلحها ، فيقول :

« واجعل خير عمرى آخره ، وخير عملى خواتيمه ، وخير أيامى يوم ألقاك فيه » (٢) .

وما من شك فى أن الخير والنعمة من ملاك السرور والراحة ، الا أن الخير الذى يصيب الانسان فجأة ، ويساق اليه بغتة ، يجلب سرورا يفوق الوصف ، فاذا كانت الشرور والفتن مما تجب فيه الاستعاذة والاستخلاص مرة ، فالشر الذى يفاجىء الانسان وينوبه مصادفة ، تجب الاستعاذة منه مائة مرة .

والذين جابهوا ذلك وجربوه يعرفونه جيدا ، فكم منا من يتذكر خطورة هذا الأمر وهوله فيستعيذ منه ، ولم يفت النبى – صلى الله عليه وسلم – أن يذكر ذلك فى دعائه :

« اللهم انى أسألك من فجأة الخير وأعوذ بك من فجأة الشر » (٣).

وكذلك الفقر والاحتياج بعد العيش السعيد والرزق الرغيد ، والعسر بعد اليسر ، مما تجب الاستعاذة منه ، فان ذلك ابتلاء شديد ومحنة خطيرة وقد دعا له – صلى الله عليه وسلم – بكل عناية :

« اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك ، وتحول عافيتك ، وفجأة نقمتك » (٤) .

---

(١) رواه الحاكم فى المستدرك عن عائشة (رضى الله عنها) .

(٢) رواه الطبرانى عن أنس (رضى الله عنه)

(٣) أخرجه النووى فى « كتاب الأذكار » عن أنس (رضى الله عنه).

(٤) رواه مسلم وأبو داود عن عمرو بن العاص (رضى الله عنهما).

وأن طول العمر مما طلبه الانسان دوما منذ اليوم الأول ، وقد جرت العادة على أن يدعو البعض للبعض لطـول العمر والبركة فى الحياة ، لكن طول العمر الذى يفقد القوى ، ويجعـل الانسان عاجزا عاطلا كلا على غيره شىء تجب الاستعاذة منه فيدعو النبى ربه :

« اللهم انى أعوذ بك من العجز ، والكسل ، والجبن ، والهرم ، ومن أن أرد الى أرذل العمر » (١) .

الاستعاذة من نفس حريصة لا تشبع ومن علم عقيم لا ينفع :

الأموال ، يراها الانسان كغاية ، وأكبر شىء فى الحياة ، ولا يذكر أن الكثرة الكاثرة ، والكميـة الكبرى من الثروة لا تكفى لنفس حريصة ؛ والنفس التى لا تشبع ، انها لمصيبة للانسان نفسـه ، وللعـالم كله ، استعاذ منها الحكيم الربانى ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأوصانا بالاستعاذة ، كذلك العلم الذى لم يكسب صاحبه الخشية والتقى ، ولم ينفع الناس .

والقلب الجرىء الذى حرم خشية الله وتجرد من خوف خالقـه ، كل ذلك تجب الاستعاذة منه والتحصن منـه ، فقـد جنى على الانسـانية ما لم يجن عليها الأعداء ، وقد حوى النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كل ذلك فى دعاء واحد :

« اللهم انى أعـوذ بك من قلب لا يخشـع ، ودعاء لا يسمع ، ومن نفس لا تشبع ومن علم لا ينفـع ، أعوذ بك من هؤلاء الأربع » (٢) .

ان من الحوائج الجذرية الواقعية التى لا معدى للبشر عنها ــ لكى يحيى حيـاة سعيدة ــ هى الدار الواسعة مع الرزق الواسع ، انهـا حاجة لا تقل أهمية فى أى فترة من الزمان ، أما فى الحياة المعاصرة فقد أصبحت تشـكل مشكلة كبيرة .. وأصبحت من أهم متطلبات الحياة ، غير أنه يجب أن لا يفوتنا أن تتذكر

---

(١) رواه الشيخان فى صحيحهما.

(٢) رواه الترمذى والنسائى عن عبد الله عمرو بن العاص (رضى الله عنهما) .

أن سعة الدار ليست كل العلاج ، وانما هو كفايتها لأهلها ، وشعورهم بسعتها ، فلو عدم الشعور بسعتها ، لما تكفى أوسع دار لطبع طموح ونفس طماعة ، وعدم هذا الشعور والطمأنينة والرضى ، هو السر وراء مشكلات الحضارة الحاضرة ، ونظم الاقتصاد المعاصرة التى تستعصى على المعالجة ، ولذلك فالنبى الحكيم — صلى الله عليه وسلم — يسأل ربه « السعة فى الرزق » و « والسعة فى الدار » ، والفرق بينهما واضح لكل خبير :

« اللهم اغفر لى ذنبى ، ووسع لى فى دارى ، وبارك لى فى رزقى ».

والسفر من الحوائج التى لابد منها للانسان ، والمسلم — بحكم المركز الذى يحتله فى الكون — يجب أن لا تخلو أى خطوة منه بل وأى تحرك منه من الدعاء والاستخارة ، وطلب البر والنجاح ، فالسفر الذى هو من أهم الخطوات ، يجب أن يكون مشفوعا بكمية كبرى من الدعاء وطلب الخير ، وسؤال الصلاح والفلاح ، فالمسافر يترك داره وأهله ، ويصادف سفرا طويلا ، وأمكنة جديدة ، وأناسا لا يألفهم ، ويقضى مدة فى هجرة من أهله ، وبعد عن وطنه ، ويموج قلبه بخليط من الآلام والآمال ويساوره الحزن على ما تركه من ورائه من الوطن والأهل والمال ، وتخالطه الأمانى فيما يستقبله ، ثم العناية بالسفر ، والتأهب له ، ومتاعبه ومشاقه ، وبعد المنزل ، والاهتمام بالأهداف ، والحنين الى الغايات ، والتطلع الى الأغراض ، كل ذلك يقلق قلبه ويشوش ذهنه ، وهو — لكى يفوز بالنجاح — يحتاج فى كل مرحلة من هذه المراحل الى نصر الله ونجدته ، وعونه ، وعصمته.

فانظر كيف جاء التعبير جامعا شاملا عن كل هذه الحوائج والأحاسيس فى هذا الدعاء الموجز ، الذى لا يمكن لأحد من البشر — مهما تمتع بذكاء وافر ، وأعمل فكره العميق — أن يأتى بدعاء أشمل منه وأكمل ، وأجمل ، وأدل :

« اللهم انا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى. اللهم هون علينا سفرنا هذا ، وأطوعنا بعده الأرض ، اللهم أنت الصاحب فى السفر ، والخليفة فى الأهل ، اللهم انى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنظر وسوء المنقلب فى الأهل والمال » (١) .

غير أنه ليس السفر هو الذى يستحق العناية بالدعاء ، بل ينبغى للمسافر أن يطلب الخير والبركة كلما أتى مكانا جديدا ، ودخل معمورة جديدة ، فقد جاء فى الحديث الشريف أن النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ كان يكرر ثلاث مرات ، كلما دخل قرية : « اللهم بارك لنا فيها » ثم يقول : « اللهم ارزقنا ، جناها » وكل مسافر بصورة عامة، والمسافر الذى يحمل دعوة ورسالة بصورة أخص ، يحتاج الى أن يحرز حب أهل القرية التى نزل بها ، لكى يرتاح ضميره ، ويطمئن قلبه ثم لكى تتمكن رسالته من القلوب ، الا أن المسلم تحتم عليه عقيدته ودينه أن لا يقصد الا حب أهل الصلاح والفلاح والدين والتقى ، ولذلك يقول ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى دعائه :

« وحببنا الى أهلها ، وحبب صالحى أهلها الينا » (٢) .

الدعاء عند اقبال الليل والنهار :

ليس السفر أو المنزل هما اللذان يستحقان من المؤمن العناية بالدعاء والاستخارة لا ، بل يجب أن يطلب المؤمن ربه لدى اقبال كل ليل وادبار كل نهار وبالعكس لما فيهما من الخير والنفع ، ويستعيذ به مما فيهما من الشر والفتنة ، ويشهد بأنه هو المالك الحقيقى المطلق ، سائلا أن يجعل له الحظ الأوفر ، والنصيب اللائق مما فيهما من الصلاح والبركة والنجاح ، وينبغى أن يستحضر لدى كل تطور وتغير يمر به ، هذه الحقيقة الكبرى ،فقد جاء فى الحديث الشريف أن النبى

(١) رواه مسلم والترمذى وأبو داود عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضى الله عنهم) .

(٢) رواه الطبرانى عن ابن عمر (رضى الله عنهما) .

ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان يدعو كلما كان يمسى :

« أمسينا وأمسى الملك لله ، والحمد لله ، لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير ، رب أسألك خير ما فى هذه الليلة ، وخير ما بعدها ، وأعوذ بك من شر ما فى هذه الليلة وما بعدها رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر ، رب أعوذ بك من عذاب النار وعذاب القبر » (١) .

ويدعو حينما يصبح ، فيضع كلمة « أصبحنا وأصبح الملك لله» مكان ... « أمسينا وأمسى الملك لله » وجاء فى حديث آخر دعاء بهذه الكلمات : « أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين ، اللهم انى أسألك خير هذا اليوم : فتحه ونصره ونوره وبركته ، وهداه ، أعوذ بك من شر ما فيه ومن شر بعده » (٢) .

الاستعاذة من شر النفس :

لا شك فى أن الخوف ما يجب أن يخافه الانسان ، وأجدر ما يجب أن يستعيذ منه البشر ، هو شر نفسه ، فكل ما شهده العالم من فظائع الدمار والهلاك ، ومظاهر الوحشية والاستبداد ، ومن خسارة الدنيا والآخرة ، كل ذلك يرجع الى « شر النفس » ولذلك أكثر الرسول صلى الله عليه وسلم ـ من الاستعاذة من هذا العدو الألد فقد جاء فى دعائه عند الصباح :

« اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت رب كل شىء ، والملائكة يشهدون أنك لا اله الا أنت ، فانا نعوذ بك من شر أنفسنا ومن شر الشيطان الرجيم وشركه وأن نقترف سوءا أو نجره الى مسلم » (٣) .

وجاء فى دعاء آخر :

« اللهم قنى شر نفسى ، واعزم لى على رشد أمرى » (٤) .

(١) أخرجه صاحب جمع الفوائد عن أبى مالك (رضى الله عنه) .
(٢) رواه مسلم والترمذى وأبو داود عن ابن مسعود .
(٣) جمع الفوائد عن أبى مالك (رضى الله عنه) .
(٤) رواه أبو داود وابن عمر (رضى الله عنهما) .

وجاء فى دعاء آخر :

« يا حى يا قيوم برحمتك أستغيث ، أصلح لى شأنى كله ولا تكلنى الى نفسى طرفةعين»(١).

ان ما يقف سدا منيعا ، وسياجا حديديا ، بين العبد وشر النفس والمعاصى هو خشية الله ، والذى يهون على العبد ضرية البلايا والرزايا ويخفف له أثر المآسى والمصائب ، هو اليقين فيقول — صلى الله عليه وسلم — :

« اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ،ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا » (٢) .

وان منطلق هذه الشروروالمعاصى وأنشط وأقوى عامل من عواملها، هو حب الدنيا ، انه منبع الخطيئات كلها ، فقد جاء فى الحديث الشريف: « حب الدنيا رأس كل خطيئة » .

أما طبيعة النبوة فهى : « اللهم لا عيش الا عيش الآخرة » . و«ان الدار الآخرة لهى الحيوان » وقد جاء فى دعائه — صلى الله عليه وسلم — :

« ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا غاية رغبتنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا»(٣).

حب الله هو الدواء الوحيد لكل داء :

« الا ان القلب الذى تمكن من هذا الحب ، وتغلب على هذا العشق لم يهب — ولن يهاب — أى جلال ، ولم يأخذه — ولن يأخذه — أى جمال ، وقد تغنى بذلك شاعر الاسلام الدكتور محمد اقبال فى شعره الأردى ، .. فقال :

« حب الله عجب فى عجب ، فانه يجعل القلب يستغنى عن العالمين بما فيهما » .

ان العلاقة التى تقوم على أساس من الحدود والقيود ، والطاعة التى

(١) رواه الترمذى عن أنس (رضى الله عنهما) .
(٢) رواه الترمذى عن ابن عمر (رضى الله عنهما) .
(٣) رواه الترمذى والنسائى عن عبد الله بن عمر (رضى الله عنهم) .

تفرصها الأوامر والنواهى ، لن تقوما مقام هذا الحب ولن تقوما بالدور الذى تقوم به هذه العلاقة ، فان القوانين ربما تؤدى الى اتخاذ « الباب السرى » و « المدخل الخلفى » ثم ان القوانين تأتى بالتأويلات ، وتأخذ الكلمات فتحملها ما لا تحتمل ، ثم انها تمل، فتضع السلاح ، أما الحب فلم يعرف التأويل والمال ، وبعد عن الكل ، وتعال عن الاستكانة والاسترخاء ، فهو داء ودواء ، وان هؤلاء العشاق – كما قال الشاعر الفارسى – لا يبالون بوعارةالطريق، بما أن العشق هو طريق ومنزلة معاً، ولذلك فالنبى – صلى الله عليه وسلم – عنى بالدعاء لهذا الحب أبلغ عناية وأكملها :

« اللهم اجعل حبك أحب الأشياء الى من نفسى وأهلى ومن الماء البارد » (١) .

وجاء فى دعاء آخر :

« اللهم اجعل حبك أحب الأشياء الى ، واجعل خشيتك أخوف الأشياء عندى واقطع عنى حاجات الدنيا بشوق الى لقائك ، واذا أقررت عين أهل الدنيا من دنياهم فاقرر عينى من عبادتك » (٢) .

وجاء فى دعاء آخر :

« اللهم ارزقنى حبك وحب من ينفعنى حبه عندك ، اللهم فكما رزقتنىمما أحب فاجعله قوة لى فيما تحب ، اللهم وما زويت عنى مما أحب فاجعله فراغا لى فيما تحب » (٣) .

طلب نصر الله وعونه وكرمه :

بيد أن هذا الحب ، وهذهالطاعة، والتوفيق للعبادة ، والذكر والشكر، كل ذلك منوط بعطف الله وكرمه ، ويتوقف على اعانته ونصرته ، ولذلك فأوصى – حبيب رب العالمين – محمد : صلى الله عليه وسلم – أحد أصحابه بهذهالكلمات التى تتدفق بالحب ، وتفيض بالحنان:

« يا معاذ ، والله انى لأحبك ، أوصيك يا معاذ : لا تدعن فى دبر

---

(١) الترمذى عن أبى الدرداء عن معاذ (رضى الله عنهم)

(٢) جاء فى « كنز العمال » عن أبى مالك (رضى الله عنه)

(٣) رواه الترمذى عن عبد الله بن يزيد الأنصارى(رضى الله عنهما)

كل صلاة أن تقول : اللهم اعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»(١) .

شهادة القلب السليم :

هذه هى الأدعية المأثورة — التى ألقينا على نذر منها نظرة عابرة — يتجلى فيها — كل التجلى — نور النبوة ويقينها ، وحكمة الأنبياء وعلمهم ، وحبهم ، وعرفانهم وهى مزية الأنبياء — صلى الله عليه وسلم سيد الأنبياء — صلى الله عليه وسلم — خاصة ، وان القلب — اذا كان على فطرته الصحيحة التى فطره الله عليها — سيشهد كلما يمر بهذه الأدعية ، بأنها من كلام النبى المعصوم المصون — صلى الله عليه وسلم — الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى ، كلما شهد القلب السليم فى صدر عبد الله بن سلام — رضى الله عنه حينما وقع نظره على وجه النبى — صلى الله عليه وسلم — . «والله ليس هذا بوجه كذاب » .

وقد شهد بالأمرين كليهما العارف الرومى — مولانا جلال الدين الرومى — فى شعره الفارسى : —

فلئن كانت أبواب السير، والأعمال والأخلاق ، والعبادات ، قد دلت على كمال النبوة وفضلها ، وعلومها وحكمتها ، فان هذه الأدعية المأثورة دليل من دلائل النبوة ومعجزة من معجزاتها .

فما أسعد الأمة التى ورثت من نبيها — محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم — مفتاح الدين والدنيا ، ونعم الغيب وثروته ! وبالعكس ، ما أشقى تلك الأمة التى لم تتمتع بهذا المفتاح ، ولم تستخدم هذا السلاح !

وأخيرا .. لا بد من اثبات حقيقة كبرى : أن من شقاء المنكرين للسنة — بالاضافة الى خسائرهم الأخرى الكثيرة الكبيرة — انهم حرموا تلك الأدعية المأثورة ، الكلمات النبوية التى هى جزء من الأحاديث، فالشبهات التى تمكنت من قلوبهم فى صحة الأحاديث وثبوتها ، وحالت — طبعا ومنطقيا — بينهم وبين التمتع بهذه الثروة الغيبية الفنية ، واتخاذها وسيلة الى التضرع والتعبير عما فى القلب .. وكفى به عقابا .

أبو الحسن الندوى

---

(١) رواه أبو داود والنسائى عن معاذ بن جبل (رضى الله عنهم) .

نظرية داروين للنشوء والارتقاء

للعلامة : أبو الأعلى المودودى

كتب الى أحد قراء « ترجمان القرآن » بما يلى :

● « ان نظرية داروين للنشوء والارتقاء من الأمور المسلم بها اليوم فى الأوساط العلمية ولكننا اذا قرأنا القرآن ، وجدنا فى غير موضع واحد منه ، تصادما وتناقضا بين تعاليمه وبين تلك النظرية ، فالانسان ـ على حسب بيان القرآن ـ كان انسانا منذ أول يومه ، خلق بعملية الخلق فى يوم معلوم . ثم انتشرت منه السلالة البشرية على وجه الأرض ولكن الذى تشهد به العلوم الطبيعية التى ندرسها فى كلياتنا ، أن الانسان انما جاء متطورا من مرحلة الحيوانية شيئا فشيئا ، ومن المحال أن يحدد فى هذا التسلسل الارتقائى نقطة انتهت عليها مرحلة الحيوانية وابتدأت مرحلة الانسانية .. نقطة أشار اليها القرآن الحكيم فقال : (فاذا نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين) .

● وهذا انما هو مثال واحد على ما يوجد من التناقض بين بيان القرآن ونظرية داروين للارتقاء ، والا فهناك فى مسألة خلق الانسان تفاصيل كثيرة يتصادم فيها بيان القرآن مع نظرية داروين ، ونظرا لهذه الأمور فان طالبا من طلبة العلوم الطبيعية لا يستطيع أن يحتفظ بايمانه . فهل لكم أن تحلوا لنا هذه المشكلة الشائكة ؟

● ان هذا السؤال الذى تقدم به القارىء الكريم وأجاد فى وضعه وعرضه ، لا نحتاج للجواب عليه الى استعراض دلائل نظرية داروين وشواهدها ، وانما الذى يجب التحقيق فيه هو : هل تصور النشوء والارتقاء الذى تقدم به داروين حقيقة ثابتة

أو هو مجرد نظرية من النظريات ؟ وانه ان كان نظرية لا سير ، فهل هى من الأهمية بمكان حتى اذا واجهها المسلم يندفع الى التفكير : أيؤمن بها أم يبقى مؤمنا بالقرآن الحكيم ؟

● ولكن الدارس على علم بأن نظرية دروين لا تزال فى الستينات من القرن العشرين نظرية بحتة كما كانت نظرية صرفة فى أواسط القرن التاسع عشر ، ولم تتحقق بعد كحقيقة واقعة (Fact) ولا يخفى على أحد الفرق بين النظـرية والواقع ، وأن الانسان لايحتاج الى اعادة النظر فى ايمانه الا حينما يتصادم ايمـانه مع شىء هو حقيقة وأمر واقع لا مجال للريب فيه ، والا فان الايمان الذى لا يصـمد أمام الأمور القياسـية والنظريات المجردة ، فما هو بايمان وانما هو (حسـن الظن) يمكن أن يتبدل (بسوء الظن) على أساس مجرد الأوهام والخرافات والاشاعات .

● هذا ، وتعال نسـتعرض الآن مسألة علم الحياة (Biology) قد استبهمت على علمـاء الطبيعة ، ألا وهى : ما هو مبدأ الحياة ؟ أما القرآن فيقول مجيبا عن هذا السؤال : ان مبدأ الحياة هو أمر الرب سـبحانه وتعالى وأن الرب هو الذى ينشىء آثار الحياة فى مادة ميتة ، وأما الذين ظلت العلوم التجريبية الحاضرة تنمو وتتقدم على أيديهم فى الغرب منـذ عهد البحث ، فما زالوا يحـاولون التملص من اقرار واحساس بوجود ما فوق الفطرة (Super natural) وسلطانه وتصرفاته ، وظلوا يتمنون منذ بدء أسرهم لو عثروا فى داخـل معمل الفطرة أى الكون نفسه على قوة توجهه . فهذا الخطأ الأساسى قد خلق لهم مسائل صعبة متعددة ما وجدوا لأنفسهم مناصا لحلها الا .. باللجؤ الى القياس والخرص والرجم بالغيب . فبالقيـاس والرجم بالغيب أرادوا أن يحلوا عقدة بدء الحياة ، وبالقياس والرجم بالغيب أرادوا أن يجدوا اجابة للتساؤل عن سبب التنوع فى الحياة ، وسبب التفاضل بين مختلف الأنواع ؟ فدروين من أولئك الذين حاولوا بحث هذه المسـائل بهـذا

الأسلوب ، ولكنــه ما قال أبدا انه قد أدرك الحقيقة،كما أن علماء العلوم الطبيعية القائلين بنظـريته هم أيضا لا يعتبرون قياسهم حقيقة وفكرتهم دافعا ، غير أن الذين ما مستهم الا نفحة يسيرة من نظرية دروين سمعوا بها من مكان بعيد . تراهم يلهجون بذكرها كأن الحقيقة تكشــفت لهم جلية .. وتماثلت بين أيديهم لامعة .

● ولو أن دروين انطلق فى بحثه من تلك النقطة التى فصلها القرآن للبحث فى هذه المسألة لما انتهى الا الى هذا التنوع والتفاضل فى مختلف أنواع الحياة وأجناسها وصورها الذى يلمح فى كل شيء فى هذا الكون من الجزئية وحيدة الخلية Pantelleria الى الانســان المتــكامل بترتيب لا نظير له ، انما هو نتيجــة لتخطيط حكيم مــدبر ، وأن تخطيط هــذا الحكيم المدبر هو الذى — بعد أن هيأ لمختلف أنواع الحياة بيئة تناسبها وظروفا توافقها — مازال يخرجها الى حيز الموجود بمزاياها المخصــوصة المتنوعة بالتدرج ، كما أنه بجانب ذلك يمحــو الأنواع التى ما بقيت اليها حاجة فى مخططه . الا أن هؤلاء — كما قلنا آنفا — يريدون أن يتملصوا بأى وجه ممكن من الاعتراف بوجود واضع هذا التخطيط ... ولا يحبون أن يروا فى معمله آثار عمله ، فنجد أنهم يفسرون ما يشاهدونه بطـريق يثبت لهم أن هذا المعمل يسير بنفسه ويتطور بنفسه ، وهكذا فسر دروين التنوع والتفاضل فى أنواع الحيــاة بتلك النظرية للتطور والارتقاء التى تعرف اليوم باسمه ، ولأجل هذا فان أوروبا التى كانت الى ذلك الحين انما تسير الحادها بدون أرجل ، هرولت الى تلقى هذه الأرجل الخشبية بكل قبول ، ووضعتها تحت كل شعبة من علومها الطبيعية ، بل وفى فلســفتها وأخلاقها وعلومها للعمران ، مع أنه كان ولا يزال فى هذا التفســير من الوجهة العلمية والعقلية اضطرابات كثيرة لا يمكن لعاقل أن يقول معهــا ان هذا التفسير تفسير وجيه أو هو من التفاسير الجديرة بالاعتبار .

● وها نذا أحاول الآن أن أبين لكم الضــعف الأســاسى الحقيقى

الكامن فى نظرية دروين بمثل أضربه لكم متجنبا فيه ما استطعت أسلوب النقد الفنى المعقد والبحث العلمى الدقيق .

● هب أن أستاذا للعلوم التجريبية يأتى من المريخ الى الأرض بموافقة جماعة من تلاميذه ، وهدفه أن يقوم فى هذه الأرض بتحقيقات علمية ، وهب كذلك أن فى بصر هذا الأستاذ ومن معه من التلاميذ غشاوة بينهم وبين أن ينظروا الى الانسان على وجه هذه الأرض فلا يشاهدون الا مصنوعاته وأدوات حضارته ومقوماتها دون أن يشعروا بوجوده ، فالمصنوعات الانسانية التى يشاهدها هذا المحقق على وجه الأرض يجد فيها فروقا واضحة من ناحية الأشكال والأنواع كما يحس أن بعض هذه المصنوعات أفضل من بعضها ، كما ينتهى به العلم أثناء التحقيق الى أن هناك أشياء لم تكن رائجة من قبل وانما لاقت الرواج فيما بعد ، وأن هناك أشياء كانت رائجة فى غابر الأزمان ولكن ما بقى لها رواج فى الوقت الحاضر ، فيمكث هذا المحقق حينا من الدهر يرتب فى ذهنه ما فى هذا المنظر المبعثر من أشياء وأدوات الى أن يقسم هذه الأشياء المنوعة ويضع لها الدرجات باعتبار أنواعها وأصنافها ثم يخطو خطوة أخرى فى ميدان التحقيق ويحاول أن يعرف كيف جاءت الى الوجود هذه الأشياء المتنوعة المتفاضلة ، وما الأسباب والقوانين التى لها ضلع فى جعل هذه الأشياء متنوعة متفاضلة فى ابقاء بعضها وافناء بعضها الآخر .

لقد كان من الممكن أن يجيب هذا المحقق على هذه الأسئلة والخواطر بأن الأغلب أن هناك ذاتا تصنع هذه الأشياء حسب مختلف مصالحها ، فالأشياء التى لا تزال هناك حاجة اليها ، لا تزال تصنعها ، وأما الأشياء التى ما بقيت حاجة اليها اليوم ، فقد أمسكت عن صنعها — لقد كان من الممكن أن يجيب المحقق المريخى بهذا الوجه على الأسئلة الا أنه يريد — لسبب من الأسباب — أن يجانب افتراض وجود ذات كهذه ويدير وجهة قياسه الى جانب آخر ، ثم يفسر المنظر الذى وجده

على وجه الأرض على الوجه الآتى: انّ الأشياء الموجودة هنا لعلها كلها ابتدأت من بذرة بدائية واحـــدة ثم أخذت هذه البذرة تتطـور الى أن أخرجت الى حيز الوجـود مختلف أنواع الأشياء لسبب كذا وكذا من أسباب البيئة ثم بدأت هذه الأنواع تتصارع بينها ، حيث حاول كل واحد منها أن يسابق غيره لجعـل نفســه ملائما لبيئته وللاستفادة من القوى المنتشرة حـوله ، فكل نوع لاقى الفشل فى حلبة هذا الصراع هـو الذى تمخض عن الارتقاء والتطور فى أشـكال هـذه المصنوعات وخصائصها وفى غضون هذا التنازع للبقـاء أصبحت الأشـياء من نوع خاص تترقى الى أن تحولت رويدا رويدا الى نوع آخر •

وعلى سبيل المثال يقـول هـذا المحقق معتمدا على قياسه : ان نوع العجلة التى كانت يجـرها الثور ، استنفذ جهده خلال مدة من الزمان، ثم بدأت تظهر تغيرات فى هيئة بعض عناصره الصـالحة القـوية الى أن تحولت هذه العناصر الى العـربات التى يجرها الحصان،ثم بدأ نوع العربة — كذلك — يستنزف قواه حتى بدأ يحدث التغيير فى نظام بعض عناصره النشيطة الى أن تطورت أخيرا الى السيارات • ثم ان السـيارات لمـا رأت أشجارا عالية وبيوتا شاهقـة وجبالا تناطح السـماء ، رغبت فى التحليق فوقها فبدأت تتوثب فى سبيل هذه المحاولة وانتهى بها المطاف الى بروز الأجنحة فيها فاذا بها تحولت الى الطائرات •

* ويقول من يرافق هذا المحقق الجليل من طلبة كلية العلوم فى المريخ: يا فضـيلة الأستاذ ، ان التطـور والارتقاء ان كان قـد حدث هكذا بالتدريج من العجلة الى العربة ومن العـربة الى السيارة ، ومن السيارة الى الطائرة ، فلابد أن يوجد هناك بين العجلة والعـربة وبين العـربة والسـيارة وبين السيارة والطيـارة مراكب عديدة تملأ المسافة الواقعـة بين كل نوعين من هذه الأنواع فمثلا يجب أن توجد فى المسافة الواقعـة بين العـربة والسـيارة أنواع من المراكب لا تكون عربات كامـلة ولا سيارات كامـلة فيكون بعضها لم يدخل بعـد مرحلة السيارة ، بينما

يكون بعضها الآخر قد خرج من مرحلة العربة ، وهكذا يجب أن توجد هناك مراكب عديدة بين مرحلتى السيارة والطيارة لم يتم بروز أجنحتها كاملة •

* والأستاذ المحقق عندما يسمع من تلاميذه هذا السؤال يتفكر مليا ثم يقول : « نعم يا أبنائى ، ان هذه المراكب الوسيطة أو الحلقات المفقودة التى تسألون عنها بين كل نوعين من هذه الأنواع ، لعلها تكون قد وجدت ، انظروا الى هذه العربة التى أمامكم أظن أنها تحولت أولا الى « العربة السيارة » ثم الى السيارة العربة ، حتى اكتملت سيارة آخر الأمر كما تشاهدونها الآن ، فهذه الحلقات المتخللة التى قد سميتها لكم لعلها توجد فى بقعة من بقاع الأرض حتى اليوم ، فاذهبوا باحثين عنها تحت أكوام التراب •

* يقول الأستاذ هذا ويسكت ، أما التلاميذ الذين جاءوا معه الى الأرض ونفوسهم تضمر نوعا من العصبية على الانسان من قبل ، آمنوا باكتشاف أستاذهم الفذ ايمانا راسخا جعلهم (يشطبون) من كلامه كلمات : « لعل » و « أظن » وبدءوا يشرحونه للناس فى خطبهم وكتاباتهم « لعل » و « أظن » وها نحن أولا بكلمات اليقين الجزم يدل كلمات نرى دروسهم العلمية تتخللهما كلمات « السيارة الطيارة » و « الطيارة السيارة» بكثرة كاثرة كأنهذهأشياء موجودة محفوظة فى متحفهم بدون ما ريب ،» مع أنه ان كان هناك شىء له وجود فى حقيقة الأمر فانما هو العجلة والعربة والسيارة والطيارة •

* وان هذا المثل لينطبق تماما على نظرية دروين والقائلين بها انك اذا درست ما دون فى هذه النظرية من الكتب الأساسية علمت أن هذه النظرية لا يقوم كل بنائها الا على أساس « لعل « و » أظن » مع أن الأمر الجدير بالاعتبار فى العلوم هو اليقين والوقع لا القياس والتخمين والرجم بالغيب ، وأقول : انه اذا كان هناك نوع من الاعتبار للقياس والتخمين فى العلوم ، فكيف ولماذا يمكن التفريق بين قياس وقياس ولا سيما اذا كان أحد القياسينأقوى

وأقرب الى التعقــل من الآخر انكم اذا كنتم مستعدين لأن تقبلوا حتى القياس والتخمين فى تفسير المشهودات، فكيف لكم أن تردوا قيــاسى اذا قلت لــكم على أساســه بأن بــدء الحيــاة والتنــوع والتفاضــل بين الموجــودات انما يكون قد حصــل بأمر حكيم عليم ، وتخطيطه . وهو أقرب الى التعقل وأسهل على الفهم وأحظى للقبول من قياس دروين... لأن قياسى هذا يفسر المشهودات كلها على طريق أحسن من طريق دروين ، ولا يترك سؤالا دون أن يرد عليــه بجواب مقنع ، وأن ما يقويه ويزيده وزنا أيضا ، أنه ليس هناك من جانب دروين من أحد يستطيع الجزم بشىء فى صــدق وأمانة وكل ما يستطيعه هو أن يقول : عسى أن يكون كذلك أو لعل أن يكون كذلك ، وأمــا فى جانبى انا ، فهناك عدد لا يحصى من أصلح الناس خلقا وأطهرهم سـيرة وأصــدقهم قولا يقولون بكل جزم وتأكيد أن الأمر الفلانى حقيقته كذا وكذا ، واننا لا نقول بشىء الا بعد أن رأيناه بأعيننا فما لطلاب العلوم التجريبية ينحازون اليوم الى جانب دروين دون جانب هؤلاء ؟ وهــل لذلك ســبب غير ذلك المقت للدين والتدين (theophobia) الذى قد ورثه طلاب العلوم التجريبية من القرون الوسطى ؟ وان الأمــر اذا كان كذلك فمــا لهم يســمون النزوات والعواطف علما ومعرفة ؟

* واننا حتى اذا أغمضنا النظر عمــا فى هــذه النظرية من مكامن الضعف ومواطن النقص من الوجهة العلمية والعقلية ، ونظرنا الى الفتن التى قد أثارها هــذا التخيل الباطل لاهلاك الانسان والفتك به بعد أن دخلت فى الفلسفة والأخلاق العلوم العمرانية والاجتماعية ، فلعل أحدا اذا كان عنده بقية من الفهم الصحيح والعقل السديد لا يتلكأ فى القــول معنا بأن نظرية دروين هذه فى قمة رأس النظريات الباطلة التى ناصبت الانسان العداء فى هذا الزمان وعملت للقضاء على انسانيته فقد حاولت أن تجعل الانسان يعتقد بأنه ليس الا

حيوانا كسائر الحيوانات ومن نتائجها أن بنى آدم لا يتعاملون فيما بينهم فى أى شعبة من شعب الحياة الا كما تتعامل الوحوش فى الغابة ، ومن تأثيرها أن الانسان بدل أن يستمد القوانين والمبادىء والمناهج لحياته من مصدر من المصادر السامية ، انما يبحث عنها فى حياة البهائم والوحوش وهى التى قد عرضت على الانسان نظام الحياة الطبيعية الحقيقية بحيث أن كل من يبدى قوته وجدارته فى هذا الصراع والقتال هو الذى يستحق الحياة ويحرز النجاح وهو الصالح الباقى وهو على الحق وان كل ما هو ضعيف هو غير الصالح ويكون فناؤه وانقراضه من نتائج قوانين الفطرة الصحيحة ومن بركات هذه النظرية الغاشمة أن جميع الناس أفرادا وطوائف وأمما وشعوبا ودولا جعلوا الدنيا ميدانا للتنازع والصراع والقتال . وليس مقتضى الفطرة — حسب زعمهم — الا أن القوى من حقه أن يبيد الضعيف ولا يرى له على نفسه الا ... ولا ذمة .

ترجمه عن الأوردية
خليل الحامدى

ابو الأعلى المودودى

شذرات متفرقة

اذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفى عليه يغيب
ولا أن ما تخفى عليه يغيب .

● قال يساره بن الحكم : الدنيا والآخرة يجتمعان فى القلب فأيهما غلب كان الآخر تبعا له .

● قال يحيى بن معاذ : حقيقة الحب فى الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء .

إعداد علماء الدين

اللواء الركن : محمود شيت خطاب

— ١ —

يحاصر العرب والمسلمون حصارا لا هوادة فيه ولا رحمة ، من عدوين لدودين وخصمين عنيدين : عدو فكرى ، وعدو استعمارى .

العدو الفكرى سلاحه الحرب النفسية ، والحرب العقائدية ، ووسائل أجهزة الاعلام فى كلمات مقروءة ، ومسموعة ، ومرئية ، واشاعات .

وكان تأثير أجهزة الاعلام مقتصرا على الذين يحسنون القراءة ، من كتب وصحف ومجلات ونشرات . فأصبح اليوم يشمل الذين يحسنون القراءة والآميين ، بعد ظهور أجهزة الاذاعة المرئية والمسموعة ، وبروز دور (الاشاعة) التى تخترق الحدود والسدود .

الفلاح الأمى فى مزرعته ، والعامل الأمى فى مصنعه ، والكاسب الأمى فى عمله ، يستطيعون سماع محطات الاذاعة العالمية بسهولة ويسر ، وينصتون الى (الاشاعة) عمدا أو بالصدفة ، ويتأثرون حتما بما يسمعون .

وقد أصبح فى تنظيم كل حزب أو أو نحلة أو طائفة أو عنصر ، قسم مهم جدا ، يديره علماء (الاشاعة) للترويج للأحزاب والفئات والنحل والطوائف والمبادىء والمذاهب ، بأسلوب علمى أخاذ ، يستهوى النفوس ، ويلعب بالعقول ، ويستميل الأهواء والنزوات .

وبالاضافة الى ذلك ، يعمل هذا القسم على تشويه سمعة أعدائهم

أفرادا وجماعات وشعوبا ، فى نفس الوقت الذى يعمل على الاشادة بأصدقائهم أفرادا وجماعات وشعوبا أيضاً .

وقسم الاشاعة يستغل أجهزة الاعلام فى ترويج مبادئه وعقائده ومذاهبه وأفكاره ، بالاضافة الى وسيلة الهمس والدس والتشويش .

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، فانهم يشوهون سمعة المناهض لهم ، الثابت أمام تياراتهم ، المنتقد لادعاءاتهم ، فاذا كان متدينا طعنوه فى دينه ، وشنعوا عليه ، فينسبون له فتاوى لا علم له بها ، وأقوالا لم يقلها ، وتصرفات لا يرتضيها .

وقد يعرفه حق المعرفة القريب منه ، المتصل به ، العارف بفضله ، الواثق به ، ولكن البعيد عنه قد لا يعرف حقيقته حق المعرفة ، فينجرف بتيار الاشاعات ، ويصدق ادعاءاتهم الباطلة ، وهو منها برىء !

وقد كنت فى الديار المقدسة قبل شهور معتمرا ، فسمعت اشاعات عن شيخ جليل ، هو شيخ العلماء وعالم الشيوخ ، يرددها مسلمون متدينون ملتزمون ، بسذاجة وغفلة تمزقان نياط القلب ، بمكة المكرمة فى البيت الحرام ، وبالمدينة المنورة فى المسجد النبوى الشريف ، وكان كل ذنب ذلك الشيخ الجليل ، هو مقاومة حزب من الأحزاب الهدامة ، دفاعا عن الاسلام وفى سبيله ومن أجله اعلاء لكلمة الله !

فاذا كان هناك ما يسوغ ترديد تلك الاشاعات ، عن ذلك الشيخ الجليل ، من معتنقى هذا الحزب الهدام أو من المنحرفين والمخربين ، فما هو المسوغ لترديدها من المسلمين المتدينين الملتزمين .

والحق أن المتدينين بصورة عامة، يتميزون بالسذاجة والبساطة والغفلة وطيبة النفس والقلب ، فيصدقون ما لا يصدق ، ويتبعون كل ناعق .

وقد كشفت للذين سمعت منهم حقيقة الشيخ ، فاستغفروا الله كثيرا وتابوا ، وقلت كلمة الحق وهو واجب كل مسلم ، وأطلعت أولئك

على الدوافع والأهـداف ، فغيروا أفكارهم وكذبوا ما صدقوه ، ولكن الذين سمعت منهم قليل ، ومن لم أسمع منهم كثير ، ومن واجب كل مسلم حقا أن يحق الحـق ويبطـل الباطل ، وصدق الله العظيم : (ياأيها الذين آمنوا ، ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قـوما بجهـالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (١) .

هذا هو المبدأ القويم الذى يجب أن يلتزم به كل مسلم حق ، فلا يحيد عنه أبدا : ألا يصـدق الاشاعات ، وأن يكذبها فـورا بقوة وصراحة ، ولا يرتضى لنفسه أبدا أن يرددها ، ولا يسكت عمن يرددها ، ويخـرس بحزم صلابة كل انسان يبثها ، ويضع حـدا حاسما لها ، بحيث تموت فى مهدها ، قبل أن تنتشر من نطاق ضيق الى نطاق واسع ، فتقوى وتشتد ، فيصعب مقاومتها وقبرها .

والسـاكت عن الحـق شيطـان أخرس ، والمسلم صريح قوى أمين ، لا يخاف فى الله لومة لائم .

— ٢ —

أما العدو الاستعمارى ، فيتمثل بدول الاستعمار القـديم ، ودول الاستعمار الجـديد ، والعـدو الصهيونى ، والصهيونية العالمية .

وهذا العدو سلاحه القوة والبطش من جهة ، والاستغلال والاستعباد من جهة أخرى ؛ ووسائله الحديد والنار والقمع من جهة ، والعملاء والخونة والمغفلين من جهة أخرى .

والبلاد الاسلامية كلها تقريبا ، لها تجربة طويلة مع الاستعمار القـديم والاستعمار الجديد ، فقد عانت منه كثيرا منذ أواخر القرن التاسع عشر الى أوائل القرن العشرين ، ولا تزال تعانى منه الأمرين بشـكل أو بآخر حتى هذا اليوم .

العدو الاستعمارى ، يقضى عليه ويتخلص منـه ، بالقـوة تدريبـا وتسليحا وتجهيزا وتنظيما وقيادة ، اذ لا يفل الحـديد الا الحـديد ، والقوة لا تقام الا بالقوة ، وصدق

(١) الآية الكريمة فى سورة الحجرات (٦) .

الله العظيم : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم ، وما تنفقوا من شيء فى سبيل الله يوف اليكم وأنتم لا تظلمون) (١) .

والقيادة العسكرية هى التى تضع الخطط للاعداد الحربى وتنفذ تلك الخطط فى السلم اعدادا وفى الحرب قتالا .

فاذا كانت القيادة العسكرية ذات كفايات عالية ، استطاعت أن تعد للحرب اعدادا متكاملا فى أيام السلام ، واستطاعت احراز النصر على الأعداء فى أيام الحرب .

والقيادة العسكرية القادرة ، لا بد من أن تتميز بثلاث مزايا : الطبع الموهوب ، والعلم المكتسب ، والتجربة العملية .

ان العرب والمسلمين اليوم ، بحاجة ماسة الى قيادة عسكرية قادرة ، كقيادة خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة وموسى بن نصير وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبى ومحمد الفاتح عليهم رضوان الله .

ولست أشك أبدا ، أن الأمة الاسلامية التى أنجبت هؤلاء القادة وأنجبت الآلاف من أمثالهم ، منذ ظهر الاسلام حتى اليوم ، قادرة على انجاب أندادهم اليوم وغدا ، فهى لم تصب بالعقم ولن تصاب به أبدا ، ولكن المشكلة هى فى عدم وضع القائد المناسب فى القيادة المناسبة ، فطغت العملة الرديئة على العملة الجيدة ، واختلط الحابل بالنابل والحق بالباطل ، وضاع الحق فى خضم النزعات الشخصية والأهواء .

وما هكذا تورد يا سعد الابل ، كما يقول المثل العربى القديم .

أما العدو الفكرى ، المتمثل بالحرب النفسية ، والحرب العقائدية ، وحرب الاشاعات ، فلا يمكن مصاولتها ووضع حد جذرى لتأثيرها فى القلوب والنفوس معا ، الا بالعقيدة الراسخة ، والايمان العميق ، والأخلاق القويمة ، والتشريع المحكم ، والمجتمع الرصين .

وقد جاء الاسلام هاديا للعقل فى أمور المجتمع والعقيدة والأخلاق والتشريع بما لا مزيد عليه ولا مثيل له فى الأديان الأخرى

---

(١) الآية الكريمة فى سورة الأنفال (٦٠) .

وباب الاجتهاد مفتوح فى الاسلام لما يستجد من قضـايا وأمور الى يوم القيامة : « اجتهـد فان أصبت فلك حسـنتان ، وان أخطـأت فلك حسنة واحدة » ، ولكن الاجتهـاد مفتوح للقادرين عليه من علماء الدين ، وقاصر على ما لم ير فيه نص قاطع : « لا اجتهاد فى مجال النص » ودون مخالفة للكتاب والسنة والاجماع .

بذلك كان الاسـلام وسيبقى صالحا لكل زمان ومكان .

ان غرس تعاليم الاسلام ونشرها فى الداخل والخارج ، وتكوين جيل اسلامى يفهم الاسلام ويلتزم بتعاليمه ، ويضحى من أجله بالأموال والأنفس ، وتشييد مجتمع اسلامى مصون من المبادىء الوافدة والأخلاق المستوردة وبناء الرجال عقليا ونفسيا وروحيا وماديا ومعنويا ، كل ذلك بحاجـة ماسة الى علماء عاملين مخلصين .

وجيل النبى صلى الله عليه وسلم خير الأجيال ثم الذى يليه ، ثم الذى يليه لأن جيل النبى صلى الله عليـه وسلم تأثر به ، وهم أثروا فى التابعين ، والتابعون أثروا فى تابعى التـابعين عليهم رضوان الله . فجيل النبى صلى الله عليه وسلم ، هم طلابه وتلاميذه وخريجو مدرسته ، وجيل التابعين هم طلاب وتلاميـذ وخريجـو مدرسة الصحابة رضى الله عنهم ، وجيـل تابعى التابعين هم طلاب وتلاميـذ وخريجو مدرسة التـابعين رضى الله عنهم ... وهكذا .

والنبى صلى الله عليه وسلم هو الأسوة الحسنة للمسلمين ، والعلماء ورثة الأنبياء ، وهو القدوة والرائد والقائد ، فكل عـالم يقتبس منـه ما يستطيع ، فيؤثر فى جيـله حسب ايمانه وعلمه وعمله واخلاصه .

وقد كان تأثير النبى صلى الله عليه وسـلم عظيمـا ، فكان جيله خـير الأجيـال ، وكان تأثير أصـحابه فى التابعين أقل من تأثير الداعية الأول البشير النذير عليه الصلاة والسلام ، فكان جيلهم بعد جيل الصـحابة فى الفضل والتقوى ، وكان تأثير التابعين فيمن حولهم أقل من تأثير أساتذتهم الصحابة ، فكان جيلهم أقل فضلا من جيل التابعين .

ان تأثير رجل الدين يتناسب تناسبا طرديا فى أصحابه وطلابه وتلاميذه

مع علمه وعمله واخلاصه ، فلينظر العالم الدينى أين يضع نفسه فى سجل الدعاة العاملين المخلصين .

وكما يكون تأثير القائد العسكرى القادر فى اعداد الجيش وقيادته فى ميادين القتال لاحراز النصر هائلا حاسما ، فان تأثير العالم العامل المخلص فى أبناء بلده وطلابه وتلاميذه هائلا حاسما .

بل قد يكون تأثير القائد العسكرى القادر فى الجيش والأمة محدودا بزمان معين وبلد معين ، ينتهى بعد تقاعده أو وفاته .

أما تأثير العالم العامل المخلص ، فيتعدى بلده الى بلاد أخرى ، ولا يقتصر على زمان معين ، بل يمتد الى ما بعده من أزمنة ، ثم يبقى علمه ينتفع به حتى يرث الله الأرض ومن عليها ولا نزال ننتفع بعلم الأئمة المجتهدين فى الدين حتى اليوم ، وسيبقى تراثهم يقود المسلمين الى الهدى والنور .

ان المسلمين اليوم بحاجة ملحة الى القادة القادرين ، كحاجتهم الى العلماء العاملين المخلصين ، لكسر طوق الحصار الذى لا هوادة فيه ولا رحمة ، والذى فرضه عليهم عدوان لدودان وخصمان عنيدان : العدو الاستعمارى ، والعدو الفكرى .

انهم بحاجة الى قادة عسكريين أمثال خالد بن الوليد والمثنى بن حارثة الشيبانى وموسى بن نصير وطارق بن زياد وصلاح الدين الأيوبى ومحمد الفاتح عليهم رضوان الله كحاجتهم الى علماء عاملين مخلصين من أمثال سعيد بن المسيب والامام أبى حنيفه والشافعى ومالك وابن حنبل وابن تيمية .

ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ، ويفرحون بالعودة الى التمسك بتعليم الدين الحنيف .

— ٣ —

ولكن ، كيف نعد العلماء العاملين المخلصين ، ليعيدوا المسلمين ثانية الى الاسلام من جديد ؟

لقد شهدت مؤتمرات اسلامية كثيرة فى مختلف البلاد الاسلامية ، فعالج قسم من لجان تلك المؤتمرات مشكلة اعداد العلماء الصالحين ،

وأصدروا مقررات طنانة رنانة، بقيت حبرا على ورق ، مطمورة فى الأدراج والملفات ، دون أن ترى النور أو يراها النور .

وعدت الى بعض تلك المقررات المتيسرة لدى فى القاهرة ، محاولا اقتباس ما يمكن اقتباسه منها ، لتطعيم هذا البحث بما يفيد .

وقلبت الصفحات اثر الصفحات ، وقرأت ما ورد فيها بامعان ، ولكننى مللت القراءة لأن أسلوب كتابتها ترقيما وفقرات لا يشجع على التتبع بقدر ما يبعث على الملل ، فقررت أن أتبع أسلوبا جديدا يعيننى على شرح رأيى فى طريقة اعداد رجال الدين ، ويعين القارىء على دراسة هذا الرأى بعيدا عن التكلف والملل .

واخترت قصة الامام أسد بن الفرات مؤلف (الأسدية) وفاتح (صقلية) فى طلب العلم ، ولست أكتم حرصى الشديد على تفهم ما أراه فى اعداد رجال الدين ، بطريقة جديدة وأسلوب جديد ، لأننى أطمح أن يتدارس هذا البحث أكبر عدد من الشيوخ والأساتذة والطلاب والتلاميذ ، عسى الله أن يفيد به من يقرأه فكرا وتنفيذا .

ولد الامام أسد بن الفرات رضى الله عنه فى (حران) احدى مدن جزيرة ابن عمر المشهورة سنة اثنتين وأربعين ومئة الهجرية (٧٥٩م) ، فحمله أبوه الذى كان جنديا فى جيش محمد بن الأشعث الخزاعى الى (القيروان) ، وهو يومئذ ابن سنتين .

وقد أتقن حفظ القرآن فى قرية صغيرة تقع على وادى (بجردة) وهو نهر معروف بتونس ، وكان عمره يومئذ ثمانى عشرة سنة ، فارتحل من تلك القرية الى مدينة (تونس) ، وسمع من على بن زياد (الموطأ) وتعلم منه العلم .

وارتحل أسد الى المشرق سنة اثنتين وسبعين ومئة الهجرية (٧٨٨م) بعد أن بلغ الثلاثين من عمره ، فقصد مالك بن أنس رضى الله عنه بالمدينة المنورة ، وواظب عليه وطلب عليه العلم وسمع منه (الموطأ) .

وكان تلاميذ مالك رضى الله عنه يهابونه ، فلا يسألونه الا بمقدار ،

وكان أسد جريئا فى الأسئلة والمناقشة، فألح أسد مرة بالسؤال ، وكان مالك رضى الله عنه يكره السؤال عن أحكام الحوادث قبل وقوعها ، فقال مالك لأسد : « ان أردت هذا فعليك بالعراق » .

وقبل أن يغادر أسد المدينة المنورة، ودع هو وأصحابه الامام مالكا ، فقال له مالك : « أوصيك بتقوى الله والقرآن والمناصحة لهذه الأمة» .

وقصد أسد العراق ، فلقى فى (بغداد) أصحاب الامام أبى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى رضى الله عنه : أبا يوسف يعقوب بن ابراهيم، ومحمد بن الحسن الشيبانى وغيرهما، فكتب الحديث فى العراق ، وتفقه به .

وحضر أسد مجالس محمد بن الحسن الشيبانى العامة ، فلم يكتف بتلك المجالس ، بل طلب اليه أن يسمح له بوقت يخصه فيه بالدراسة، فقال أسد لمحمد : « انى غريب وقليل النفقة ، والسماع عندك نزر، والطلب عندك كثير ، فما حيلتى ؟ » .

ورحب محمد بن الحسن باستزادة تلميذه من العلم ، وقال له : « اسمع مع العراقيين بالنهار ، وقد جعلت لك الليل وحدك ، فتأتى فتبيت عندى، فأسمعك » .

قال أسد : « فكنت أبيت فى سقيفة بيت يسكن محمد بن الحسن فى علوه، فكان ينزل الى ، ويضع بين يديه قدحا فيه ماء ؛ ثم يأخذ بالقراءة ، فاذا طال الليل ورآنى نعست ، ملأ يده ماء ، ونضح به على وجهى ، فأنتبه ، فكان ذلك دأبى ودأبه ، حتى أتيت على ما أريد من السماع عليه » .

وقد أسبغ محمد بن الحسن الشيبانى رضى الله عنه ، رعايته المادية والمعنوية على تلميذه أسد ، كما كان يفعل السلف الصالح من الأساتذة بطلابهم وتلاميذهم .

قال أسد : « كنت جالسا يوما فى حلقة محمد بن الحسن ، فصاح صائح : الماء للسبيل ... فقمت مبادرا ، فشربت من الماء ، ثم رجعت الى الحلقة ، فقال محمد بن الحسن: يا مغربى ! ... أشربت ماء السبيل ؟ ! ... فقلت : أصلحك الله،وأنا ابن سبيل!... ثم انصرفت.

« فلما كان الليل اذا بانسان يدق الباب ، فخرجت اليه ، فاذا خادم محمد بن الحسن ، فقال : مولاى يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : ما علمت أنك ابن سبيل الا فى يومى ، فخذ هذه النفقة ، فاستعن بها على حاجتك ... ثم دفع لى صرة ثقيلة ، فقلت فى نفسى: هذه كلها دراهم ... ففرحت بها ، فلما دخلت منزلى فتحتها ، فاذا فيها ثمانون دينارا » .

وكانت الشاة حينذاك تباع بدرهم ، وكان المبلغ الذى أهداه محمد بن الحسن لتلميذه ضخما جدا فى حساب ذلك الزمن .

وأراد أسد المزيد من العلم ، فانتقل الى مصر ، وذلك بعد وفاة مالك بن أنس رضى الله عنه ، وهناك حضر مجالس عبد الرحمن بن القاسم وأشهب بن عبد العزيز وغيرهما من أصحاب الامام مالك ، ولكنه لزم ابن القاسم ، فأخذ عنه كتاب : (الأسدية) ، التى جمع فيها أجوبة عبد الرحمن بن القاسم عما سأله فيه من فصول الفقه المالكى ، ثم رتبها وبوبها بعد ذلك ، وأتى بها المغرب ، فسميت : (المدونة الأسدية) أو (الأسدية) فحسب [1] .

وحين ودع أسد أستاذه عبد الرحمن بن القاسم ، قبل مغادرته مصر الى المغرب ، قال له ابن القاسم : « أوصيك بتقوى الله ، والقرآن ، ونشر هذا العلم » .

وقدم أسد (القيروان) عائدا من مصر سنة احدى وثمانين ومئة الهجرية بكتابه : (الأسدية) ، فسمعها منه خلق كثير مع (الموطأ) وغير ذلك من العلوم ، وانتشرت امامته ، فولاه زيادة الله بن ابراهيم ابن الأغلب قضاء (افريقية) وهى تونس الحالية مع الأجزاء الغربية لولاية (طرابلس) ومنها المدينة ، والتخوم الشرقية لبلاد الجزائر الى (بجاية) فى ولاية (قسنطينة) سنة ثلاث ومئتين الهجرية (٨١٨ م) ،

---

(١) فى رياض النفوس (١٧٨/١ - ١٧٩) تفصيل حسن عن : الأسدية ، فليرجع الى هذا المصدر من أراد التوسع فى تفاصيل مدونة أسد بن الفرات هذه .

فأقام فى (القيروان) يقضى بين أهلها بالكتاب والسنة ، حتى خرج لغزو جزيرة (صقلية) .

— ٤ —

جمع زيادة الله بن ابراهيم ابن الأغلب مجلسه الحربى المؤلف من وجوه أهل (القيروان) وفقهائها ، منهم أسد بن الفرات وأبو محرز القاضيان ، وسحنون بن سعيد الفقيه ، واستشارهم فى أمر فتح (صقلية) .

وانقسم أهل الشورى فريقين : أقلية لا ترى الغزو ولا تشير به منهم سحنون ، وأغلبية ترى الاقدام على غزوها وتشير به .

وبعد مناقشات مفصلة ، قرر زيادة الله غزو (صقلية) وأمر بالاستعداد لهذا الغزو .

وسارع أسد الى الخروج ، فكان زيادة الله يتغافل عنه ، فقال أسد : وجدونى رخيصا ، فلم يقبلونى ! وقد أصابوا من يجرى لهم مراكبهم من النواتية » ، والنواتى جمع نوتى ، وهو الملاح فى البحر ، وأردف أسد قائلا : « فما أحوجهم الى من يجريها لهم بالكتاب والسنة » .

لقد كان أسد يريد أن يكون جنديا مجاهدا من عامة الجنود المجاهدين ، فكان يريد أن يؤدى واجبه فى الجهاد الأصغر محاربا ، بعد أن أدى واجبه فى الجهاد الأكبر متعلما وعالما ، ودارسا وأستاذا ، وقاضيا ومفتيا .

وحين رأى زيادة الله اصرار أسد على الخروج مجاهدا فى سبيل الله ، أمره على تلك الغزوة ، وعزم عليه فى ذلك ، فقال أسد : « أصلح الله الأمير ! من بعد القضاء والنظر فى حلال الله تعالى وحرامه ، تعزلنى وتولينى الامارة ؟ ! » ، فقال زيادة الله : « انى لم أعزلك عن القضاء ، بل وليتك الامارة ، فأنت قاض أمير » .

وخرج أسد على ذلك ، ولم تجتمع الامارة والقضاء ببلد فى (افريقية) الا لأسد وحده .

وغادر أسد الى (صقلية) من (سوسة) يوم السبت النصف من شهر ربيع الأول سنة اثنتى عشرة

ومئتين الهجـرية (١٤ حزيران ــ يونيو ــ سنة ٨٢٧ م) ، وكان معه فى جيشه عشرة آلاف رجل ــ منهم ألف فارس ، حملتهم مئة سفينة .

وخرج لتوديع أسد وجيشه وجوه أهل العلم وجماعة الناس ، فقد أمر زيادة الله ألا يبقى أحد من رجـاله الا شيعه ، وقد صهلت الخيـل ، وضربت الطبول ، وخفقت البنود ، فقال أسد : « لا اله الا الله وحده لا شريك له ... يا معشر الناس ! ما بلغت ما ترون الا بالأقــلام ، فأجهدوا أنفسكم فيها ، وثابروا على تدوين العلم ، تنـالوا به الدنيـا والآخرة » .

وتحرك جيش أسد الى (صقلية)، ففتح أسد جزيرة (قوصرة) فى طريقه الى (صقلية) .

ووصل أسد الى (صقلية) يوم الثلاثاء الثامن عشر من ربيع الأول سـنة اثنتى عشرة ومئتين الهجـرية (١٧ حـزيران ــ يونيو ــ سـنة ٨٢٧ م) أى بعد أربعة أيام من اقلاعه من ميناء (سوسة) ، فرست سفنه فى ميناء (مازر Mazara) على ساحل (صقلية) الغربى ، وهو أقرب ثغور الجزيرة الى (افريقية) ، وهناك جرى انزال قوات المسلمين وفتحوا المدينة .

ونفــذ أسد الى شرق الجـزيرة لمقاتلة الروم الذين اجتمعوا حـول صاحب (صقلية) بلاطة (بلاتة) .

ودار القتال فى ميدان بين (بلرم= بالرمو Palermo) و (مازر) ، وكان جيش الروم يتفــوق على جيش المسلمين عددا وعددا ، فقـد كان تعداد جيش الصقليين مئة ألف وخمسين ألفا .

وكان أسد فى هذه المعركة ، يحمل اللواء بيده ، والسيف بيده الأخرى ، وهو يدعو الله ، فحمل على الروم ، وحمل الناس معه ، فهزم (بلاطة) ، وجرح أســد ، واستولى المسلمون على عدة مدن وحصون من الجزيرة .

وانسـحب جيش الـروم الـى (سرقوسة) ، فســار أسد بجيشه يقتفى أثر المنهزمين .

ووقف أسد تحت أسوار (سرقوسة) قاطعا اليها من (مازر) مسافة مئتى كيلو متر ، فحاصرها برا وحاصرتها البحرية الاسلامية بحرا •

وفى ذلك الحين وصل الى مياه (سرقوسة) أسطول بيزنطى بعثه الامبراطور من (القسطنطينية) لانقاذ الجزيرة ، فاشتدت مقاومة الروم للمسلمين ، وتشبت بين الطرفين معارك طاحنة فى البر والبحر •

وتحرج موقف المسلمين ، لتكاثر الروم عليهم من جهة ، وانتشار الوباء فى معسكرهم من جهة أخرى ، وذلك سنة ثلاث عشرة ومئتين الهجرية (٨٢٨ م) ، فهلك منهم خلق كثير •

ولكن أسدا دأب على القتال ، فاستشهد وهو يحاصر (سرقوسة) متأثرا بجراحات أصابته أو بالوباء ، وكانت وفاته فى ربيع الآخر سنة ثلاث عشرة ومئتين الهجرية (٨٢٨م) ودفن بذلك الموضع عليه رضوان الله •

وهكذا سقط شهيدا فى ميدان الجهاد ، دون أن يسقط السيف والقلم من يديه •

ومضى المسلمون بعد أسد فى استكمال فتح (صقلية) ، فسقطت (سرقوسة) آخر معاقل الجزيرة بأيديهم سنة أربع وستين ومئتين الهجرية (٨٧٨ م) ، فتم للمسلمين فتح هذه الجزيرة وأسسوا فيها امارة اسلامية كانت تابعة فى البداية لدولة الأغالبة ، ثم استقلت بعد سقوط دولة الأغالبة • وبقيت (صقلية) قرنين تحت لواء المسلمين ، حتى استعادها منهم الدوق وجاء (روجيرو Ruggero) سنة أربع وستين وأربع مئة الهجرية (١٠٧٢م) ، فانتهت بذلك دولة الاسلام فى (صقلية) كما ينتهى الحلم السعيد •

لقد كان أسد أول من فتح (صقلية) ، وترك الدنيا بعد أن خدم العلم والدين خمسا وستين سنة قمرية أو ثلاثا وستين سنة شمسية دون أن يخلف دارا أو دينارا !

تولى القضاء فى أيام ابراهيم بن الأغلب مؤسس أسرة الأغالبة ، وفى عهد زيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب

عين أسد فوق منصبه شيخا للفتيا وقاضيا للقضاة .

رضى الله عن العالم العامل ، المخلص المجتهد ، القاضى العادل ، شيخ الافتاء ، قاضى القضاة ، القائد الفاتح المجاهد الشهيد ، أسد ابن الفرات (١) .

— ٥ —

أتوقع أن يكون الذين قرأوا بامعان ما سجلته من سيرة الامام أسد بن الفرات العلمية ولمحات من سيرته القيادية ، قد وضح فى أذهانهم الأسلوب الأمثل لاعداد علماء الدين العاملين المخلصين والمجاهدين أيضا ، ولا بأس من ايجاد هذا الأسلوب ليكون (دليلا) للمعنيين باعداد علماء الدين .

وسأحاول تطبيق دراسة أسد بن الفرات (القديمة) ، على ما يطبق فى دراسة التلاميذ والطلاب فى المدارس والمعاهد والكليات الدينية (الحديثة) ، تقريبا لأسلوب اعداد العلماء الدينيين المقترح للأذهان .

(أ) أتقن أسد حفظ القرآن الكريم وشيئا من علومه ، ودرس علوم اللغة والحديث فى مدرسة (القرية) ، فتخرج فى مدرسة القرية على شيخها أو شيوخها .

وقد أكمل كل ذلك وعمره ثمانى عشرة سنة ، فاذا بدأ دراسته فى السادسة من عمره ، فقد قضى فى مرحلته الدراسية هذه اثنتى عشرة سنة ، وهى ما يعادل الدراسة الابتدائية والاعدادية والثانوية العامة .

لقد كان الأزهر الشريف والكليات الاسلامية فى الوطن الاسلامى تتغذى من معين الدارسين فى المدارس والمعاهد الدينية قبل تطوير الأزهر وتطوير تلك الكليات ، لذلك كان الذين يتخرجون فى الكليات الاسلامية على جانب كبير من (العلم) و (الورع) و (التقوى) .

---

(١) انظر التفاصيل فى كتابنا : بين العقيدة والقيادة — (٢٤٩ — ٢٧٧) — بيروت — ١٣٩٢ هـ .

فلما اضطر الأزهر والكليات الاسلامية على قبول خريجى الثانويات العامة ، أصبح أكثر خريجيها على جانب كبير من (الجهل) و (الانحلال) و (التسيب) •

فلا بد من توسيع المدارس الابتدائية والاعدادية والمعاهد الدينية ، لسد احتياجات الأزهر الشريف والكليات الدينية الأخرى من التلاميذ •

ومن الانصاف أن نثنى على جهود شيخ الأزهر الحالى ، لسعيه الحثيث الدائب من أجل تأسيس المعاهد الأزهرية الجديدة ، حتى تكون قادرة على سد احتياج كليات الأزهر فى جامعة الأزهر للخريجين •

ومن حقه على كل مسلم ومسلمة ، وكل دولة وحكومة اسلامية ، معاونته على تحقيق أهدافه فى انشاء معاهد أزهرية جديدة •

(ب) قصد أسد مدينة (تونس) وسمع (الموطأ) وتعلم على شيخها العلم ، وقضى فى سماعه وتعلمه أربع عشرة سنة •

وهذه المرحلة تعادل مرحلة التخصص فى الكليات الدينية ومرحلة الدراسات العليا ، والفرق بين ما تعلمه أسد وما يتعلمه طلاب الجامعات الاسلامية ، هو تركيز أسد على الدراسات الدينية كهدف رئيسى ، بينما تبدد طاقات طلاب الكليات الاسلامية اليوم فى مرحلة التخصص ومرحلة الدراسات العليا لعلوم ثانوية لا علاقة لها بالعلوم الدينية •

لقد صعقت حقا حين سمعت (دكتورا) من خريجى الأزهر يخطىء أخطاء نحوية فاحشة ، وحزنت حقا حين سمعت شيخا أزهريا يتولى منصب الأستاذية فى كلية أزهرية ، يبدى آراء دينية مبترة ساذجة ، فى منهج : نور على نور ، الذى يذاع أسبوعيا من الاذاعة المرئية فى القاهرة •

وهذا ان دل على شيء ، فانما يدل على عدم كفاية المناهج الدينية واللغوية فى الجامعة الأزهرية ، فلابد من اعادة النظر فى تلك المناهج لتؤتى أكلها مرتين •

(جـ) لقد رأينا أسد بن الفرات يحفظ القرآن فى مدرسة القرية التى تعادل مرحلة الدراسة الابتدائية والاعدادية والمعاهد الأزهرية •

فلابد من تحفيظ القرآن للتلاميذ فى هذه المرحلة ، كشرط لقبولهم فى فى كليات الأزهر والكليات الاسلامية الأخرى •

ان اهمال تحفيظ القرآن فى هذه المرحلة ، كان له نتائج وخيمة على التلاميذ من الناحيتين الدينية واللغوية كما هو معروف •

فمن الضرورى اصلاح هذا الخطأ فورا ومن دون تسويف •

(د) قصد أسد المشرق : المدينة المنورة ، بغداد ، القاهرة ، وهى من أهم مراكز العلم فى الوطن الاسلامى حينذاك ، وتلقى العلم على أئمة هذه الأمصار ، وأمضى تسع سنوات ، متنقلا بين عواصم العلم الثلاث ، دارسا على قمم أئمتها المجتهدين فى الدين ، متخرجا فى مدارسهم مؤجزا منهم بأرفع الأجازات ، فعاد الى المغرب بمؤلفه : (الأسدية) من أمهات المصادر للفقه المالكى مع علم غزير •

وفى هذه المرحلة تخطى أسد رتبة الأستاذية الى رتبة الامامة ، فأصبح اماما يقصده التلاميذ والطلاب من كل مكان ، وأصبح بعلمه واخلاصه أرفع مكانا وأعز مكانة وأعظم قدرا وأكبر منزلة من الملوك والأمراء •

وتولى القضاء وعمره أربعون سنة ، ثم سما الى مرتبة قاضى القضاة وشيخ الفتيا والقائد العام لجيش الأغالبة الزاحف لفتح (صقلية) •

وقد جاءته المراتب تجرر أذيالها ، فهى لا تصلح الا له ، وهو لا يصلح الا لها •

وختم حياته بالشهادة ، بعد أن عاش احدى وسبعين سنة قمرية أو تسعا وستين سنة شمسية ، مكللا حياته بالفتح المبين •

والدرس الذى يتعلمه الشيوخ حاملى شهادة (الدكتوراه) من

الامام أسد ، هو أن يدأبوا على الدرس والتتبع والتأليف ، ويعتبروا شهاداتهم بداية الطريق للتعلم والتعليم لا نهايته .

ان الشهادة العالية (توجه) ولا (تعلم) ، وطريق العلم طويل طويل، وما أوتينا من علم الله الا قليلا .

والذى نلاحظه أن الشهادة العالية (تجمد) أكثر حامليها و (تخدرهم) ، والمفروض أن(تطلقهم) و (تحفزهم).

ان الجامعات الاسلامية غزيرة الانتاج فى الشهادات العالية ، ولكن كم عدد الذين يحملون تلك الشهادات بلغوا درجة أسد بن الفرات فى العلم والعمل والاخلاص ؟

وأخشى ما أخشاه أن تنتج تلك الجامعات (موظفين) يهتمون بالمناصب والدرجات ، ولا يهتمون بالدعوة والدعاة .

ان الجامعات العلمية تهتم بالقضايا المادية فحسب ، أما الجامعات الاسلامية فينبغى أن تهتم بالقضايا المادية والروحية على حد سواء .

واذا اقتصر اهتمام الجامعات الاسلامية على القضايا المادية فقط ، أسوة بالجامعات العلمية ، فقد بطل مسوغ وجودها وبقائها ، وبذلك تحكم على نفسها بنفسها بالاعدام شنقا حتى الموت .

والجامعات الاسلامية حين تهتم بالقضايا الروحية بقدر اهتمامها بالقضايا المادية تدعم مركزها ، وتسوغ حقها بالوجود والبقاء ، وبذلك تصبح ضرورية للشعب والأمة والمجتمع ، كما تتفوق على الجامعات الأخرى لتميزها بالاهتمام بالقضايا الروحية ، وبهذا تتفوق على غيرها فواقا بعيدا ، فتصبح (رأسا) ولا تبقى (ذنبا) ، اذ لا تستطيع الجامعات العلمية منافستها فى هذا الميدان .

ان على المدارس والمعاهد والكليات الدينية أن تعيد النظر فى مناهج تعليمها ، فاذا كانت تلك المناهج نسخة طبق الأصل من مناهج المدارس والمعاهد الأخرى ، مع اضافات تافهة لا تفيد صديقا ولا تضر عدوا ، فان فضل السبق والريادة لا تكون

للدينية بل تكون لغيرها ، وبذلك تصبح (ذنبا) ولا تبقى (رأسا) •

وقد كان الأزهر الشريف ، بمناهجه الدينية واللغوية المركزة ، فريدا فى الجامعات ومتميزا عليها ، له اختصاصاته واهتماماته المتميزة التى لا يمكن غمطها ولا الحط من أهميتها وقيمتها فى التوجيه الفريد المفيد دينيا ولغويا •

أما اليوم ••• ؟ !

— ٦ —

درس أسد على شيوخ يرعون التلميذ ويحرصون عليه ويربونه تربية الأب لولده ، وأهم من كل ذلك أنهم كانوا يشعرون شعورا عميقا بمسئوليتهم العلمية ، ويؤمنون بأن العلم (عبادة) من أجل العبادات ، لا (تجارة) من أربح التجارات •

وكان الشيوخ يعطون الطلاب مالا ، ويأخذون منهم المال والهدايا!

لذلك أدوا واجبهم نحو أسد وأمثاله بقوة وأمانة واخلاص ، فخلفهم أسد وأضرابه حملوا من بعدهم الأمانة العلمية وأدوها ، وتحملوا الرسالة الدينية ورعوها •

لم يمت أولئك الأساتذة الشيوخ ، لأنهم بنوا العلماء العاملين المخلصين للحاضر والمستقبل ، وألفوا الكتب علما ينتفع به ما بقيت الأرض والسموات •

ينبغى اختيار الأساتذة الشيوخ من العلماء حقا لا من مرتزقة العلم ، فهم الضمان الوحيد لبناء جيل جديد من العلماء الأعلام •

ان أثر الأساتذة الشيوخ فى تلاميذهم وطلابهم أثر ملموس محسوس فوراء كل تلميذ نابه متفوق أستاذ متميز أمين •

وليس هناك أى متعلم أثبت وجوده بعلمه وكفايته محليا أوقطريا أو قوميا أو على نطاق الأمة الاسلامية أو عالميا ، الا ويرجع الفضل فى تفوقه الى أستاذ من أساتذته الذين تلقى عليهم العلم فى أيام الطلب والتعلم • فلا بد من اهتمام المدارس والمعاهد والكليات الاسلامية بهذه الناحية الحيوية •

واذا كان اختيار الأساتذة الشيوخ بالغ الأهمية الى أقصى الحدود ، فان اختيار التلاميذ والطلاب لا يقل أهمية عن اختيار الأساتذة الشيوخ •

لقد كان أسد تلميذا نجيبا وطالبا مجدا ، فبلغ ما بلغ من العلم والعمل والاخلاص ، لأنه كان يتحلى بسجايا تؤهله للوصول الى ما وصل اليه •

أما أن ترضى بقبول المتخلفين فى النتائج الدراسية ، الذين سدت أمامهم أبواب الجامعات غير الاسلامية التى تقبل الحائزين على المعدلات العالية فقط وترفض أصحاب المعدلات الواطئة ، فأمر لا يرتضيه الاسلام ولا يتفق مع (كرامة) الجامعات الاسلامية •

ان (المتخلفين) لا يمكن أن يصبحوا (متفوقين) بالتمنى ، اذ من المستحيل أن تثمر شجرة الشوك غير الشوك •

ولكن المطالبة باختيار التلاميذ المتفوقين بمعدلاتهم لا يكفى ، بل لا بد من تمتعهم بالاضافة الى ذلك بالدين والتقوى والورع والصلاح والخلق القويم •

ولكى نطالب المسئولين عن الجامعات الاسلامية باختيار التلاميذ والطلاب المتفوقين فى المعدلات والاستقامة أيضا ، فلابد من وضع حوافز مادية لهم ، تميزهم على غيرهم من طلاب الجامعات ، وتجعلهم يقبلون على الجامعات الدينية ، وأول تلك الحوافز هى : أن يكون مرتبهم مساويا لمرتب خريجى الجامعات الأخرى ، مع تخصيص شقة أو منزل لسكنى خريج الجامعة الاسلامية بجوار مكان عمله ، كما فعلت بعض الدول العربية والاسلامية •

ان المرتبات والمناصب لا تبقى ، والعلم والدين يبقيان ، وقد نسى الناس والتاريخ ما لا يعد ولا يحصى من أصحاب الثروة والسلطان ، ومات أكثرهم وهم أحياء ، ولم يبق أى أثر وتأثير لأكثرهم فى العقول والقلوب والنفوس • بينما لا يزال للعلماء الأعلام ذكر فى الناس والتاريخ ، وبقى أثرهم شامخا فى العلم والمتعلمين ، وفى الطلاب والأساتذة ، وفى الاسلام والمسلمين •

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لئن يهدى الله على يديك أحدا ، خير لك من حمر النعم » ، أو كما قال •

ولا نزال نذكر أسد بن الفرات ، فقد ملأ الأعين قدرا وجلالا فى حياته ، وملأ العقول علما والقلوب دينا والنفوس هدى فى حياته وبعد موته ، ولا نزال نتعلم من سيرته العبر والدروس .

فمن يذكر من الناس اليوم وغدا محمد بن الأشعث الذى كان قائد والد أسد ، ومن يذكر ابراهيم بن الأغلب وزيادة الله بن ابراهيم بن الأغلب اللذين كانا من أمراء أسامة ، ومن يكون هؤلاء جميعا بالنسبة لأسد بن الفرات ؟ ؟

فما أحرانا اليوم أن نعرف قدر العلم والعلماء ، وما أحراهم اليوم أن يعرفوا قدر أنفسهم .

أدعو الله العلى القدير ، أن يوفقنا بعون من عنده ، لاعداد علماء الدين اعدادا سليما ، فهم وحدهم القادرون بتوفيق الله أن يبدلوا حالنا الى أحسن حال .

والله أسأل أن يفيد بهذا البحث ، ويجعله خالصا لوجهه الكريم .

محمود شيت خطاب

((حكم))

- **قال زياد : ايها الناس لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا ان تنتفعوا بأحسن ما تسمعون منا .**
- **ثلاثة من لم تكن فيه واحدة منهن كان الحيوان خير منه : خلق يعيش به فى الناس وحكم يرد به جهل الجاهل** وورع يحجزه عن محارم الله .
- ينبغى للعاقل أن يمنع معروفه عن الجاهل واللئيم والسفينة . اما الجاهل فلأنه لا يعرف المعروف ولا الشكر عليه وأما اللئيم فأرض سبخة لا تنبت ولا تصلح للغرس . وأما السفيه فيقول أعطانى خوفا من لسانى .
- **كتمان السر كرم فى النفس ، وسمو فى الهمة ، ودليل على المروءة وسبب للمحبة ، وطريق لبلوغ الرتبة** وكاتم السر هو بحق من عظماء الرجال .

دراسات قرآنية :

فساد نظرية داروين

في النشوء والارتقاء

للأستاذ مصطفى محمد الحديدى الطير

قال تعالى فى سورة (المؤمنون) :
((ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين .. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين .. ثم خلقنا النطفة علقة ..))
(الآيات ١٢ – ١٤)

البيـــان

آدم ومذهب النشوء والارتقاء

يطول الحديث فى مذهب النشوء والارتقاء ، من الخلية الى آدم عليه السلام ، فلهذا نجمله فيما يلى :

يقول أصحاب هذا المذهب : ان الخلية (أو الأميبيا) هى أصل الحيوانات ومنشؤها حتى الانسان ، وذلك أن الأميبيا تطورت الى الاسفنج ، ثم نشأت الحيوانات الرخوة من الاسفنج بطريق الارتقاء ، ثم الحيوانات القشرية ، ثم الفقريات ، ثم الأسماك ثم الزواحف ، ثم الطيور ، ثم الثدييات ، ثم الانسان .

ويعرف هذا التطور عندهم بالتطور العضوى ، وتنسب هذه الفكرة الى فلاسفة الاغريق ، القدماء أرسطو وغيره — ثم تبناها فى العصر الحديث جماعة من الباحثين — منهم داروين وأتباعه — وقد وصلوا فى مزاعمهم الى أن أصل البشر (آدم) منبثق عن القردة السيمانية ، وقد انقسم أصحاب هذه النظرية الى قسمين (أحدهما) يقول ان التطور والانقسام الى فروع وفصائل حدث بسبب تباين البيئات والظروف والانتخاب الطبيعى ، وهو ذاتى بحت ، ويقول : ان هذا التطور عملية بطيئة جدا ، تحدث على مدى الألوف أو الملايين من السنين ، ويقول

شرحا لذلك :

ان الزرافة ذات العنق الطويل نشأ طول عنقها عن ظروف البيئة وتأثيرها المستمر عليها حتى استطال عنقها ذاتيا ، فلقد شاهدت الحيوانات العالية الطويلة الأعناق ، تجد فرصة فى تناول أوراق الشجر المرتفع ، فأثر ذلك عليها حتى طال عنقها أكثر من الحيوانات التى تريد اللحاق بها ، وأثر ذلك فى نسلها ، ويزعم هؤلاء أن هذا التطور حدث بعد آلاف بل ملايين السنين ، ويتزعم داروين هذا القسم من الباحثين ، وتراه يقول : ان شرحه لهذه النظرية ليس نهائيا ، وقد يثبت أن ما قاله غير صحيح ، ولكنه يرجو أن يظل الهيكل ثابتا — ومعلوم أن داروين لا يؤمن بالله ، بل بالطبيعة ، وسيأتى بيان فساد نظريته من أساسها .

(والقسم الثانى) يرى هذا الرأى بعينه ، ولكنه لا يرى أن التطور العضوى ذاتى ، بل بفعل الله وخلقه ، ويقول أصحاب هذا الرأى: ان يد الله الهادية ، هى التى فعلت هذا التطور ، وممن قال بذلك (جورج) كوفيه ، وبعض المفكرين المصريين المعاصرين ، حتى قال بعضهم : ان آدم نشأ فى الأرض خلية ، وقد تدرج منها عبر خمسة آلاف مليون سنة ، حتى وصل الى أحسن تقويم بهداية الله وتطويره اياه .

ويقول أصحاب هذا الرأى : ان التطور بالحوافز الذاتية تبعا للبيئة ، وبدون يد هادية لا سبيل الى الاقتناع به ، وانما تم بقدرة الله وهدايته .

وهناك قسم ثالث من المفكرين العقلاء ، لا يؤمنون بمذهب الترقى والتطور ، بل يقولون : ان كل حيوان خلقه الله خلقا خاصا قائما بذاته ، غير منبثق عن حيوان أدنى منه ، وان الانسان خلقه الله كذلك ، دون أن يكون متطورا عن القردة السيمانية — كما يقول داروين — وهذا هو الحق الذى يقره الاسلام وجميع الأديان السماوية ، أما الرأيان الأولان فانا نقول فى أصحابهما ما قال الله تعالى « أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون » .

الآراء المعارضة لمذهب الترقى وأدلتها

كثير من الفلاسفة لا يقرون داروين على نظريته فى النشوء

والترقى الذاتى دون تأثير للخالق الفعال ، وحسبه فى ضعفها أنه ليس واثقا منها ، بل يتوقع من يثبت أنها هراء ، وفيما يلى آراء من يعارضه .

١ — يقول الدكتور (جوستاف جولبر) : يكفى لابطال نظرية داروين أن يتأمل الانسان الحشرة ، فانها ظهرت فى أقدم العصور فى الحياة الأرضية ، فانها تنقلب من حال الدودة الى حشرة طائرة ، ولا تأثير لشىء عليها من الخارج ، كما أن الهوة عميقة بين الحالة الأولى — وهى كونها دودة — وبين الحالة الثانية — وهى كونها طائرة — وهى هوة تضيع فيها جميع النظريات الداروينية الماركسية ، فالحشرة أدت شهادة حسية ضد مذهب داروين ، كما أثبتت عجزه عن تفسير غرائزها الأولية .

٢ — ويقول (فون باير) مؤسس علم الأجنة : ان الرأى القائل ان النوع الانسانى متولد من القردة السيمانية ، هو بلا شك أدخل رأى فى الجنون ، قاله رجل على تاريخ الانسانية .

٣ — ويقول (دوفرى) ان التحولات الفجائية هى القاعدة فى عالم الحيوان والنبات ، وقد أظهر هذه الحقيقة (جوفر : وسان هيلى : وكوب) وثبت أن الظهور الفجائى للأنواع الكبيرة الرئيسية ، كالزواحف والطيور وذوات الثدى كان فى الأرض الجيولوجية ، ومتى ظهرت حصلت على صفاتها الكاملة .

٤ — ويقول البروفوسور (جوهانز) ان الصلة بين القرد والانسان مفقودة ، ولولا ضيق المقام لذكرت آراء سواهم .

أقول : ومما يقلب هذه النظرية رأسا على عقب ، أن اثنين من عمال المناجم فى روما بايطاليا ، عثر على هيكل عظمى بدون رأس ، لانسان يجلس القرفصاء ، بداخل كتلة فحمية على عمق ٦٩٠ قدما من سطح الأرض ، وقدر عمر هذا الهيكل بأحد عشر مليونا من السنين ، وقد ذكر هذا الخبر جريدة (الشعب) المصرية القديمة ، فى عددها الصادر بتاريخ ١٩٥٨/٨/٥ ، فكيف ساغ لداروين وأشياعه ، أن يهرفوا بما قالوه واهمين .

كيف خلق آدم

يقول الله تعالى فى صدر هـذه الآيات الى نشرحها اليوم « ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين » أى من خلاصة سلت وأخذت من طين ، وفى آيات أخرى أنه خلق من تراب ومن حمأ مسنون ومن صلصال ، ولا تعارض بين هذه النصوص ، فالمادة الأولى لخلق آدم عليه السلام هى التراب ، فلما عجن بالماء صار طينا ، وبمضى فترة على الطين ، اسود وصار حمأ مسنونا أى طينا أسود متغير الرائحة ، قال ، ابن عباس فى شرحه: هو التراب المبتل المنتن : ولما جف هـذا الحمأ المسنون صار صلصالا كالفخار •

واذا كان هذا هو الأصل فى خلق آدم عليه السلام ، فاننا ندرك الفرق الشاسع بينه وبين ما انتهى اليه خلقه ، من هـذا الانسان الصبوح الحسن التكوين والتصوير ، الذى يفيض حيوية وحسنا ونضارة ، ويتحرك بالارادة ، ويفكر ويدبر ، ويحسن ادارة ما حوله من مملكته التى مكنه الله تعالى من السيطرة عليها وتسخيرها لمنفعته ، ويفكر بعقله فى آيات خالقه فيؤمن به ويشكره على خلقه فى أحسن تقويم ، ويطيعه فيما كلفه به على ألسنة رسله ، ويحثه على الثناء عليه بمثل قوله « فتبارك الله أحسن الخالقين » فانه هو «الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين »

ثم يبين الله تعالى النظام الذى أجرى عليه تكاثر النوع الانسانى وانتشاره وبقاء نوعه الى أن يرث الله الأرض ومن عليها فقال •

« ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين » أى أنه تعالى خلق الانسان باعتبار أصله « من سلالة من طين » وباعتبار فرعه من نطفة أودعها فى قرار مكين هو الرحم فانظر الى حكمة الله وتدبيره جل وعلا •

لقد أهبط الله آدم وحواء الى الأرض ، ليجعل منهما وذرياتهما خلفاء فى الأرض ، وأودع فيهما الرغبة فى اللقاء الجنسى، وقادهما بالألفة والمحبة والشهوة الى هذا اللقاء ، فاذا تم خرج من كليهما سائل شهوانى لزج، ويشتمل ماء الرجل على حيوانات

منويةلاحصر لها ، فالسنتيمتر المكعب منـه يحتوى على عدة ملايين من الحيوانات المنوية ، وطول الحيوان المنوى $\frac{1}{1000}$ واحـد على ألف من المليمتر ، كما يشمل ماء المرأة على بويضة (١) تخرج منها فى كل دورة شهرية مرة واحدة ، فاذا أراد الله أن يخلق من هـذا اللقاء جنينا ، التقى المـاءان فى قناة تصـل بين مبيضى المرأة ورحمهـا ، أطلق عليهـا اسم مكتشفها (فالوب) ففى هذه القناة الفالوبية يلقح البويضة أقوى هذه الحيوانات المنوية ، وتتكون من هذا التلقيح الخليـة الأولى ، وتنقسـم بسرعة الى خليتين ، ثم الى أربع ثم الى ثمان — وهكذا — وفى اليـوم الرابع للتلقيح ، تكون الخلية قـد وصلت فى انقسامهـا الى مجمـوعة كبيرة من الخلايا متماسكة ، فتنزلق يومئذ من القناة الفالوبية الى الرحم ، ثم تلتصق بجـداره وحولها أغشية لوقايتها وتمكينها من جدار الرحم ، وغير ذلك من الفـوائد التى خلقت لأجله ، والجنين فى هذه الحالة طائفة من الخلايا دائمة التكاثر ولا تمييز بينها .

وفى خلال الأسبوع الثالث يبدأ التمييز بين خـلايا الجنين ، فيظهـر الجـزء الذى سـيكون الرأس ، والجـزء الذى سيكون العظـام ، وباستمرار النمو يستمر التمييز بين الأعضاء ، ففى خـلال الأسـبوع الرابع يمكن تمييز بعض الأعضـاء تمييزا أوليا ، كالعين ، كما يبدأ ظهور الأذنين وبراعم اليـدين والرجلين ، وفى الأسـبوع الخامس يمكن تمييز الوجه ، وتطول الأطراف ، ويبـدأ ظهـور المفاصـل ، وفى الأسـبوع السـابع يتضـح شـكل الرقبـة والوجه والأذنين والأنف ، ويمكن تمييز الأصـابع ، كمـا تظهـر الأعضاء التناسلية بحيث يمكن تمييز الجنين ، وفى نهاية هـذا الأسبوع يكون طول الجنين (٣٠ ملليمترا — أى ٣ ثلاث سنتيمترات) ولكنـه لا تكون أعضاؤه مستكملة نوعيتها ، ويظل يستكمل أجزاءه بقـدرة الله الى الشهر الخامس وفى خلال الشهر

---

(١) حجم البويضة ضعف حجم الحيوان المنوى تقريبا ، وسنوضح ذلك فى كتاب لنا نرجو أن يوفقنا الله لاخراجه قريبا .

الخامس تبدأ حركته فى بطن أمه حيث تم خلقه ، وهو ما عناه الله بقوله سبحانه بقوله « ثم أنشأناه خلقا آخر » وعنته السنة بقوله صلى الله عليه وسلم بعد دور المضغة « ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح » والمقصود بنفخ الروح فيه حينئذ اعطاؤه دفعة قوية من الحياة تمكنه من الحركة بعد أن تم خلقه ، فان الحياة موجودة فيه منذ اتحاد الحيوان المنوى بالبويضة ، ولا يمكن تكوين الجنين الا اذا كان حيا منذ تلقيح البويضة حتى يولد ، كما أن الحيوان المنوى فيه حياة والبويضة كذلك ، ومن كانت حيواناته المنوية ميتة أو مفقودة فلا تحمل منه امرأته ولا غيرها ، ومن كانت بويضاتها ميتة فلا تحمل من زوجها ولا من غيره ، والأمر كذلك فى الحيوان والنبات ، فلابد أن تكون أعضاء التلقيح والبذور فيها حياة ، والا فلا ذرية ولا نبات « سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا » •

وفى الشهر الخامس المذكور يظهر شعر الرأس ، ويكون طول الجنين (٣٠ ثلاثين سنتيمترا) ووزنه كيلو ونصف ويستمر الجنين فى النمو وهو محاط بثلاثة أغشية ، وحوله (السائل الأمنيوتى) ليكون محفوظا من الصدمات الخارجية حتى يولد باذن الله تعالى ، فى نهاية الشهر التاسع من حمله غالبا ، وطوله حينذاك خمسون سنتيمترا ، ووزنه من ٣ الى ٣ ١/٢ كيلوجرام ، وترى المرأة أثناء مدة الحمل تباشر عملها المعتاد ، وحملها محفوظ فى رحمها بعناية الله تعالى ولذا سمى الله هذه الرحم بالقرار المكين •

وقد شرحنا لك أدوار تكوين الجنين وأطواله وأوزانه باختصار حسبما عرفه الأطباء والممارسون بالتجربة والمناظير وصور الأشعة ، فلا يغرب عن بالك أن عمليات الاجهاض التى تتم فى المستشفيات فى أدوار الحمل المختلفة ، لا تمر دون اجراء الفحص للأجنة وأحوالها المختلفة ، كما أنهم يستعملون المناظير والأجهزة العلمية والأشعة لفحص الأحوال التى لا تتبينها العين المجردة ، وغير ذلك من الوسائل التى أوصلتهم الى تلك المعلومات وأعمق منها وأدق وأكثر تفصيلا •

التوفيق بين النصوص القرآنية والكشوف العلمية

الاسلام دين الله الحق ، ولا يمكن

أن يتجافى مع الواقع بحال من الأحوال ، وقد جاء فى هذه الآيات الكريمة أن النطفة بعد استقرارها فى قرار مكين تتحول الى علقة ، وقد فسرها الفقهاء وعلماء التفسير بالدم الغليظ الذى يعلق بالأصبع ، وهذا التفسير حسب اجتهادهم اللغوى ، ولم يكن لهم المام بعلم الأجنة وقتئذ ، حتى يستطيعوا تفسيرها حسب الواقع من أمر الأجنة ، وأقرب تفسير لها حسب المنهجين اللغوى والعلمى ، أنها هى الخلايا العلقة اللاصقة بالقرار المكين من الرحم ، والعلماء السابقون معذورون فى تسميتهم تلك الخلايا العالقة دما غليظا يعلق بالأصبع ، لأنهم لم يكن لديهم مناظير معظمة (تلسكوبات) تبين لهم ما بداخل هذا الدم من أعضاء الجنين الدقيقة ، وكثير من النساء فى هذا العصر ، اذا نزل منهن سقط فى فترة العلقة ، فانهم يضعون عليه (الكحول) حتى يتحلل الدم ، فيظهر لهم الجنين فى بداية تخليقه مغلفا بهذا الدم الذى يسميه المفسرون علقة ، وبهذا يعلم أن العلقة هى مجموعة خلايا وأعضاء الجنين داخل هذا الغشاء الدموى ، عالقة بجدار الرحم ، تشبه فى مظهرها الداخلى الدودة العالقة ، ويلاحظ أن من معانى العلقة لغة (الدودة) وجاء فى هذا النص الكريم ، أن الله تعالى يخلق من هذه العلقة مضغة ، وفسرها علماء التفسير بقطعة لحم صغيرة قدر ما يمضغ ، وهذا فى الواقع اجمال لصورة الجنين العامة عقب فترة العلقة ، فانه انتقل من خلايا طرية رخوة متلاصقة الى أنسجة لحمية أقوى من حالة العلقة ، وكان حجمه فى أولها غير كبير ، فكان أقرب اسم له هو المضغة ، وذلك كما قلت هو تعبير عن الشكل العام للجنين ، دون تعرض للتفاصيل الدقيقة لما هو عليه من التخليق المبدئى له ، فان العرب وقت نزول القرآن لم يكن لهم علم بتفصيل خلق الأجنة ، ولا دراية لهم بالتشريح ، فكان من الحكمة أن لا يفاجئهم القرآن منها بما يجهلون وهم قريبو عهد بالاسلام ، حتى لا يشغلوا أنفسهم بها ، أو يتشككوا فى أمرها ، وقد علمنا القرآن هذه الحكمة ، فى قوله تعالى « يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » وذلك فى

اجابته على سؤالهم : يا رسول الله . ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ، ثم يزيد حتى يعظم ويستوى ويستدير ، ثم لا يزال ينقص ويدق حتى يعود كما بدا ، لا يكون على حالة واحدة ،فنزلت الآية » لصرفهم عن سؤالهم عما لا يستطيعون فهم الجواب عنه ، أو يكون فيه فتنتهم الى ما يفيدهم وما هو جدير بالسؤال عنه .

وجاء فى النص الكريم بعد خلق المضغة قوله تعالى « فخلقنا المضغة عظاما » والمراد منه أنه تعالى صير بعض المضغة عظاما لا كلها ، اذ العظام تتكون على شكل خيوط طرية داخل المضغة ، ثم تيبس شيئا فشيئا ، ولحم المضغة يلتف حول العظام فى تطورات هذه العظام ، وهذا هو المقصود بقوله تعالى « فكسونا العظام لحما » فاذا تم كل ذلك ، انتقل الجنين من حال البناء والتكوين ، الى حال التمام والكمال ، التى ترى كأنها شىء آخر بالنسبة لعملية البناء والخلق المتطور ، فما أبعد الفرق بين التراب والنطفة والعلقة والمضغة ، وما انتهى اليه خلق الانسان من هذه الصورة الجميلة الكاملة المعبر عنها بقوله تعالى « ثم أنشأناه خلقا آخر » ولذا قال الله تعالى عقبها « فتبارك الله أحسن الخالقين » .

التوفيق بين السنة وتكوين الجنين

أخرج البخارى عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا ويؤمر بأربع كلمات » الخ من كتاب بدء الخلق .

وفى بعض روايات هذا الحديث زيادة « ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح » بعد قوله صلى الله عليه ثم يكون مضغة مثل ذلك » .

ومعنى جمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما ، هو ما ذكرناه سابقا من تطوير خلقه حيث حولت النطفة الى خلايا جمعها الله وألصقها بجدار الرحم ، ورتب لها أسباب غذائها ونموها فى هذا القرار المكين ، وهذا الدور يسمى دور النطفة باعتبار مبدأ خلقه ، ومعنى كونه علقة مثل ذلك ، أنه يمكث أربعين يوما

كالدودة العالقة اللاصقة بالرحم حيث يمتص غذاءه منه ، ولو رأيت صورته فى تلك الفترة لرأيته يشبه الدودة تماما فى مظهره العام ، ولعلك تعلم أن الجنين فى هذه الفترة يكون مقوس الشكل كالهلال ، وأن له ذيلا ، وأن رأسه يكاد يلمس ذيله . ثم يتلاشى هذا الذيل ويختفى فى نهاية الأسبوع السابع ، ولعل هذا الذيل كان فى مبدأ تكوين الجنين ، لأن الحيوان المنوى كما يرى بالميكروسكوب له رأس وجذع وذيل ، فحينما يلقح بويضة المرأة يعطيها خصائصه ، ولكن الله تعالى ، يقضى على هذا الذيل فى نهاية الأسبوع السابع كما بيناه سابقا ، فسبحان القادر الذى خلق الانسان فى أحسن تقويم .

وأما كونه مضغة مثل ذلك ، فالمراد منه أنه يكون فى مثل تلك المدة كقطعة من اللحم بلا حركة ، فيشبه الجنين فى تلك الحالة جنس اللحم الذى يمضغه الناس فى مظهره العام وفى عدم تحركه ، وان كان يشتمل على التخليق المتطور الذى شرحناه .

وأما نفخ الروح فيه بعد طور المضغة ، فالمقصود منه اعطاؤه دفعة قوية من الحياة تمكنه من الحركة فى بطن الأم ، لتطمئن على حياة جنينها ، ولأن حركته من لوازم تكوينه ، ولكى تستريح أمه بانتقاله من حال الى حال ، وقد بينا لك أن الحياة تلازم الجنين منذ بدء التلقيح فى القناة الفالوبية الى أن يخرج من ظلمات البطن ، ويستقبل أنوار الحياة الأرضية ، ويحيا فيها الحياة اللائقة بها ، ولولا هذه الحياة التى لازمته منذ تلقيح البويضة ، لما تكون فى بطن أمه ، كالبذرة الفاسدة ، تضعها فى التربة ، وترويها بانتظام فلا تنبت .

وانما لم تتعرض الآية الكريمة والحديث الشريف الى التفاصيل التى ذكرناها ، مخاطبة للناس فى ذلك الزمان بما تطيقه عقولهم ، أخرج البخارى عن على رضى الله عنه (حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله) وأخرج مسلم عن ابن مسعود قال « ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم ، الا كان لبعضهم فتنة » .

والله تعالى أعلم ،

مصطفى محمد الحديدى الطير

الإسلام والنظم الاقتصادية المعاصرة عَرْض ونَقْد

لكتاب : الاسلام والراسمالية Islam et Capitalisme
بقلم مكسيم رودنسون Maxime Rodinson
باريس سنة ١٩٦٦ م

للباحث الإسلامي الأستاذ عبد العزيز عبد الحق

١ ــ مقدمة :

كثر الجدل فى السنوات الأخيرة بعد الحرب العالمية الثانية حول موقف الاسلام من النظم الاقتصادية المعاصرة فى كل من الشرق والغرب. فذهب البعض الى أن الاسلام بتقريره مبدأ التكافل الاجتماعى يقترب نحو نوع من أنواع الاشتراكية • بينما يرى آخرون أنه بتمسكه بحق الملكية انما ينحو نحو النظام الرأسمالى •

وانبرى عدد من علماء المسلمين الى تبيان وجهة النظر الاسلامية استنادا على ما جاء فى الكتاب والسنة فيما يتعلق بالنظم الاقتصادية المعاصرة.واستحدثت احدى الكليات الجامعية فى القاهرة مادة جديدة سميت بالاقتصاد الاسلامى •

واشترك فى هذا النقاش بعض المستشرقين نذكر منهم الأستاذ الفرنسى مكسيم رودنسون اذ أصدر فى باريس فى سنة ١٩٦٦ م كتابا أسماه : الاسلام والرأسمالية •

وقد شاقنى الى الاطلاع على هذا الكتاب أن مؤلفه كان قد نشر مقالا أسماه : حياة محمد عليه السلام والمشكلة الاجتماعية لنشأة الاسلام :
La Vie de Mohamed et le Problème Sociologique des Origines de l'Islam.

نشره فى العدد العشرين من مجلة ديوجين Diogéne الربع سنوية (أكتوبر سنة ١٩٥٧ م ص ٣٧ الى ص ٦٤) • وهى مجلة يصدرها المجلس الدولى للفلسفة والعلوم

الانسانية بمساعدة المنظمة الدولية للتربية والعلوم والثقافة المعروفة باسم اليونسكو .

تناول رودنسون فى مقاله هذا ظاهرة انتشار الاسلام فى العالم فى فترة وجيزة نسبيا وعللها تعليلا هو أقرب الى الحقيقة والواقع . فقد فند فيه ما ساقه المستشرقون من نظريات فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحالى لبيان العوامل التى أدت الى هذه الظاهرة ومنها حب الفاتحين العرب للغنائم والأسلاب أو دورات الجفاف التى كانت تصيب الجزيرة العربية والتى كانت تدفع بسكانها الى الهجرة الى العراق والشام ومنها هجرات البابليين والأشوريين والفينيقيين وغيرهم وآخرها الهجرات العربية فى القرن السابع الميلادى التى أعقبت ظهور الاسلام .

والنظرية الأخيرة هى تلك التى ذهب اليها المستشرق الايطالى الأمير ليونى كايتانى Leone Coetani فى موسوعته الضخمة حوليات الاسلام Annoll dell Islam (ميلان من سنة ١٩٠٥ الى سنة ١٩٢٦م فى اثنى عشر مجلدا من القطع الكبير) . تناول فيها السيرة وتاريخ الخلفاء الراشدين حتى سنة ٤٠ من الهجرة . وتوج كايتانى صفحة الغلاف ببيت من الشعر بالخط الكوفى الجميل جاء فيه :

كفاف عيش كفانى ذل مسألة
وخدمة العلم حتى ينقضى عمرى

وقد انتقد المستشرقون دعوى دورات الجفاف التى أوردها كايتانى وعلى الأخص فيما يتعلق بظاهرة انتشار الاسلام . واذا نفينا فكرة الغنائم والأسلاب ونظريات دورات الجفاف انتفت بالتالى دعوى العوامل الاقتصادية فى تعليل ظاهرة انتشار الاسلام وسقطت دعوى كارل ماركس فى التفسير المادى للتاريخ فانها لا تنطبق على ظاهرة انتشار الاسلام .

وقد ذهب رودنسون فى مقاله الآنف الذكر الى أن الاسلام لابد أنه يتميز بخصائص تفرد بها . وأن هذه الخصائص أشبعت حاجات

الناس النفسية والاجتماعية فأقبلوا على اعتناقه طواعية واختيارا ودخلوا فيه أفواجا وأنه ليس لدينا من سبيل آخر سوى هذا التعليل لادراك العوامل التى أدت الى سعة انتشاره فى فترة وجيزة نسبيا . ومضى رودنسون يقول ان هناك ديانات أخرى ظهرت فى مختلف عصور التاريخ لم تصب مثل هذا الحظ من سعة الانتشار مثلما أصاب الاسلام .

٢ - كتاب رودنسون :

أما كتاب رودنسون الذى نعرض له هنا فيقع فى ٣٠٤ صفحة من القطع الصغيرة ويشتمل على تمهيد ومنهج للبحث شرح فيه المؤلف معنى الرأسمالية ثم أورد تعاليم الاسلام فى القرآن الكريم والسنة النبوية ، والمثل الأعلى للعدالة الاجتماعية . والحياة الاقتصادية العملية للعالم الاسلامى فى العصور الوسطى ويشتمل على القطاع الرأسمالى والاقطاع وطرق الانتاج وعما اذا كان هناك مجتمع عادل . ثم أثر التعاليم الاسلامية عموما فى المجال الاقتصادى كما وصفتها لنا المؤلفات العربية الجغرافية منها والتاريخية . وتوضح أثر القرآن والسنة . ثم الرأسمالية المعاصرة فى بلاد العالم الاسلامى . والفصل الأخير خاتمة ويشتمل على بند موجز عن الاشتراكية والاسلام .

ولقد اعتذر المؤلف فى المقدمة أنه لم يقصد أن يؤلف تاريخا اقتصاديا للاسلام . وانما أراد فحسب أن يحدد العلاقة بين الاسلام والنظام الرأسمالى من وجهة نظر علوم الاجتماع والاقتصاد . ثم حدد مراده من معنى الرأسمالية . وقسّم الرأسمالية الى أنواع : منها الرأسمالية المصرفية والرأسمالية الربوية والرأسمالية التجارية وأخيرا الرأسمالية الانتاجية طبقا للأسلوب الذى ابتدعته أوروبا وعلى الأخص منذ حركة الانقلاب الصناعى التى بدأت فى العقود الأخيرة للقرن الثامن عشر وهى التى ينصرف اليها الذهن عند الحديث عن الرأسمالية وهى عبارة عن وجود أصحاب رءوس أموال يستثمرون أموالهم فى الانتاج الصناعى أو تقديم الخدمات ، ووجود أيد عاملة تعمل عند الرأسمالية لقاء أجر ، مع وجود

علاقات وتنظيم اجتماعى خاص يساعد على قيام هذا النظام الذى لم يسبق ظهوره من قبل حتى أواخر القرن الثامن عشر فى البلاد غير الأوروبية مثل اليابان قبل عصر النهضة التى بدأت فى سنة ١٨٦٨ م والصين حتى اعلان الجمهورية فى سنة ١٩١٢ م بل حتى قيام النظام الشيوعى بها فى سنة ١٩٤٩ والهند حتى استقلالها فى سنة ١٩٤٧ م والعالم الاسلامى حتى بداية القرن التاسع عشر • وهذا التحديد يتفق مع آراء علماء التاريخ الاقتصادى•

٣ ـ العلاقة بين الدين والاقتصاد :

تناول العلماء الغربيون موضوع العلاقة بين الدين والاقتصاد والمقصود بالدين هنا هو الدين المسيحى على اعتبار أن النظام الرأسمالى ظهر فى أوروبا وأمريكا الشمالية وهناك مدرستان فكريتان عن العلاقة بين المسيحية والاقتصاد ونعتقد أن رودنسون لم يحدد موقفه من هاتين المدرستين لأن الاسلام يختلف عن الديانات الأخرى على اعتبار أنه أورد قواعد وأحكاما مفصلة عن التصرف فى المال وأوجه النشاط الاقتصادى•

(ا) والمدرسة الفكرية الأولى يمثلها العالم الاجتماعى الألمانى ماكس فبر Max weber (١٨٦٤ ـ ١٩٢٠ م) وكان قد نشر بحثا فى سنة ١٩٠٤ م عنوانه : الأخلاقيات البروتستنتية والروح الرأسمالى ، ظهرت ترجمة انجليزية بعنوان The Protestant Ellic & the Spirit of Capitolism (لندن سنة ١٩٣٠) •

وقد ذهب فيه الىأن قيام النظام الرأسمالى الانتاجى انما يرجع الى صفات الجد والمثابرة والاقتصاد والزهد مما أشاعته البروتستنتية على مذهب كالفن Kalvin فى نفوس أصحابها • وكانت ترى أن جمع المال نتيجة لهذه الصفات هو واجب دينى بل قربة الى الله • وقد رأى فبر فى نشاط البروتستنت من الهيوجونوت والبرزبتيريين والكالفنيين فى غربى أوروبا وأمريكا الشمالية ونجاحهم فى أعمالهم الاقتصادية والمالية ما يؤيد دعواه • كما ذهب الى أن هذه الفرق البروتستنتية فيما عدا اللوثريين تبيح الفائدة الربوية على عكس الكتلة الكثلكة • ويلاحظ أن فبر ينقض النظرية الماركسية

التى تذهب الى أن الأفكار والمذاهب هى نتيجة لتطور وسائل الانتاج .

هذا وقد عدّل ريتشرد هنرى تونى R. H. Towney فى كتابه : الدين وقيام الرأسمالية (لندن سنة ١٩٢٢ م) نظرية فبر قليلا فقد سلّم بأثر البروتستنتية ولكنه ذكر أيضا أثر الرأسمالية فى البروتستنتية. واشترك فى الموضوع العالم الاقتصادى سومبار Sombart الذى أشار أيضا الى أثر اليهود فى قيام النظام الرأسمالى .

غير أنه ثبت أيضا أن الكثلكة لها من الأثر فى قيام النظام الرأسمالى ما لا يقل عن أثر البروتستنتية فاشتغال اليسوعيين بالأعمال المالية ونجاحهم فيها ينقض نظرية فبر . وهذا هو ما ذهب اليه العالم الاقتصادى الايطالى أمنتورى فانفانى Amintore Fanfanl الذى تولى المناصب الوزارية فى ايطالية أكثر من مرة . وذلك فى كتاب له بعنوان: الكثلكة والبروتستنتية فى النشأة التاريخية للرأسمالية ، ظهرت له ترجمة انجليزية فى لندن سنة ١٩٣٥م.

(ب) والمدرسة الفكرية الثانية يمثلها العالم السويدى كيرت صمويلصن Kurt Somuelson. وذلك فى كتاب له أسماه : الدين والعمل الاقتصادى الذى ظهرت له ترجمة انجليزية نشرت فى لندن سنة ١٩٥٧ م وقد أنكر فيه علاقة المسيحية بقيام الرأسمالية الانتاجية ومما ذكر فى كتابه أن الديانات غير المسيحية مثل الهندوكية والبوزية لم تحل دون قيام الرأسمالية عند أصحابها وأنه تبعا لذلك ليس هناك من وجه لانفراد البروتستنتية الكالفنية بهذه الظاهرة .. ومنذ ظهور كتاب فبر عن الأخلاقيات البروتستنتية والروح الرأسمالى فى سنة ١٩٠٤ لا يزال الجدال محتدما الى اليوم بين علماء الاجتماع والاقتصاد أو الأخصائيين فيما يسمى بعلم الاجتماع الاقتصادى بشأن هذا الموضوع .

هذا ولم يكن رودنسون بحاجة الى تحديد موقفه من هاتين المدرستين الفكريتين لأن الاسلام أورد أحكاما مفصلة عن النشاط الاقتصادى والمعاملات فهو لذلك أوثق اتصالا

بالاقتصاد من المسيحية ومع ذلك فقد ظهرت الرأسمالية الانتاجية عند المسيحيين فى غربى أوروبا وأمريكا الشمالية • وهنا تساءل رودنسون لماذا لم يحدث تطور مماثل فى البلاد الاسلامية وخاصة اذا علمنا أنه كان هناك تشابه فى النشاط الاقتصادى فى أوروبا فى العصر الوسيط ونظيره فى الشرق الاسلامى المعاصر لأوروبا ؟

هذه هى عقدة المسألة التى لم يستطع رودنسون أن يورد اجابات شافية عنها • بيد أنه نفى ما ذهب اليه بعض المستشرقين من أن تحريم الربا فى الاسلام كان من العوامل الفعالة فى اعاقة حدوث هذا التطور فى البلاد الاسلامية لأن العمليات الربوية كانت موجودة فعلا فى العالم الاسلامى فى العصور الوسطى يشتغل بها اليهود والمسيحيون وفئة قليلة من المسلمين • واستعان الأخيرون ببعض الحيل الفقهية للتخلص من تحريم الشرع اياها • وقد وردت اشارات اليها فى عدد من المؤلفات العربية مثل كتاب البخلاء للجاحظ ومؤلفات الجغرافيين والمؤرخين العرب •

وأضاف رودنسون أنه لم يحدث أن قام نظام رأسمالى انتاجى فى الصين على الرغم من أن الكونفوشية التى يدين بها الصينيون ليس بها التحريم الاسلامى للربا • وعلى ذلك فان دعوى المستشرقين الآنفة الذكر منقوضة من أساسها • بيد أن رودنسون علل عدم قيام رأسمالية انتاجية فى بلاد العالم الاسلامى مثلما حدث فى أوربا بالأسباب التالية :

١ — كثرة الأيدى العاملة فى البلاد الاسلامية •

٢ — عدم استخدام المبتكرات الآلية التى تساعد على زيادة الانتاج •

٣ — وأخيرا وقوع البلاد الاسلامية فى العصور الحديثة فى براثن الاستعمار الأوروبى الذى عمل على اعاقة التطور الصناعى بها لجعلها موردا للمواد الغفل (الخام) وسوقا لتصريف منتجاته المصنوعة •

ولم يفت رودنسون أن يرجع الى عدد من الأبحاث والدراسات

التى ذكرها فى الحواشى منها مقالان لمحمد حميـد الله الأول بالانجليزية وعنوانه : حلول الاسلام للمشكلات الاقتصـادية الأساسـية ، والثانى بالفرنسية وعنوانه : العالم الاسلامى حيال الاقتصـاد الحديث . وكذلك أبحاث ماسـينيون التى جمعت فى أعماله الصغرى Opera Minora ومن عبارات ماسينيون التى وردت بها والتى انتقدها رودنسون : أن الاسلام يشـغل مكانا وسـطا بين الرأسمالية البورجوازية وشـيوعية البلاشفة ، وكذلك قوله ان الاسلام لا ينحنى لأى صنم من الأصـنام سـواء أكان قوة الذهب أو قسوة الفطام التقنى Techniaue السياسى .

ومع ذلك فالموضوع الذى يعالجه رودنسون لا يزال بحاجة الى دراسة مفصـلة لأنه لم تـؤلف الى الآن أبحاث تستوعب التاريخ الاقتصادى للبـلاد الاسلامية ابتداء من القرن الأول للهجـرة تشـمل التـاريخ الاقتصادى لعصر الخلفاء الراشدين والدولة الأموية ثم الدولة العباسية والدول لتى انفصلت عنها فى الشرق والغرب . فهذه الناحية من الدراسات الاسـلامية لا تزال بكرا . وهناك أبحاث متناثرة لا يتألف منها مجموع متـكامل عن تاريخ الاسـلام الاقتصادى .

هذه الأبحاث المفردة بدأ بها فيما نعلم المستشرق البلجيكى الأب هنرى لامنس فى كتاب له أسماه : « مكة قبيل الهجـرة » نشر بالفرنسية فى بيروت سنة ١٩٢٤ م شرح فيه الطرق التجـارية التى تمر بمكة ، واشتغال قريش بالتجـارة ، ونظام القوافل ، والمعاملات المالية والتجارية . ويعيب الأب لامنس أنه يؤون ما ينتقيه من المصادر العربية والأجنبية التى يرجع اليها تأويلا يجانب فيه البحث العلمى ليؤيد به تحامله على الاسلام . كما أننـا نعجب كيف أن راهبا يسوعيا يطبق النظريات المـاركسية فى تفسير تاريخ مكة الاقتصادى قبيل الهجرة .

٤ ــ تعاليم الاسلام الاقتصادى :

هذا هو عنوان الفصل الثانى من كتاب رودنسـون (ص ٢٩ : ٤٤) ولعـله أضعف فصول كتابه لأنه لم

يفصل فيه تعاليم الاسلام المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية عن المال وأوجه التصرف فيه . واكتفى بوصفها تعاليم خلقية . ولم يوفق فيما ذهب اليه من آراء خاطئة تقوله عن الزكاة انها لاتؤثر تأثيرا محسوسا فى علاج تفاوت توزيع الثروة وزعمه بأن الأحاديث المتعلقة بالمعاملات لا يمكن الوثوق بها تاريخيا . مع أن المنهج الذى سار عليه المستشرقون ممن هم أعلى كعبا من رودنسون فى دراسة العلوم الاسلامية يتجه نحو توثيق الأحاديث وخاصة تلك التى تتعلق بالأحكام ويسمونها « وثيقة السنة » لأنها المثل الأعلى للمجتمع الاسلامى فى القرون الثلاثة الأولى للهجرة وما بعدها بقليل أى الى نهاية عصر تدوين الحديث .

وأنكر رودنسون ما ذهب اليه المستشرق الألمانى هيوبير جريمة Hub Grimme. فى الجزء الثانى من كتابه عن محمد عليه السلام (الذى نشره فى مينستر Munstes فى جزئين سنة ١٨٩٢ م) من أن الاسلام يتجه اتجاها اشتراكيا .

وذكر رودنسون قصة أبى ذرالغفارى فى عهد الخليفة عثمان وقال انها حادثة عارضة تخالف ماأجمع عليه الصحابة. وأضاف أن انتقال الحكم الى الأمويين فى سنة ٤٠ للهجرة هو انتصار للرأسمالية التجارية .

ونرى أن أى بحث فى التاريخ الاقتصادى للاسلام يجب أن يبدأ بهذه الناحية الفقهية التى توضح أحكام الاسلام فيما يتعلق بالمسائل المالية والاقتصادية . فمن وظائف الدولة فى الاسلام التى تبرر وجودها قيامها بجباية الزكاة لتخفيف أعباء الطبقات الفقيرة ومنها أيضا منع الاحتكار والربا . وقد اعتبر أبوبكر الصديق والصحابة أن الامتناع عن أدائها ردة عن الاسلام . أى أن مهام الدولة الاسلامية تحقيق ما يسمى بالعدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعى واعتبار المال مال الله ، وأنه وديعة عند أصحابه عليهم أن يحسنوا القيام عليه فلا يستخدمونه فيما يلحق الضرر بالمسلمين . وفى

معنى التكافل وتقارض المنفعة قال الشاعر العربى :

الناس للناس من بدو وحاضرة
بعض لبعض وان لم يشعروا خدم

٥ ـ الحياة الاقتصادية العملية فى العالم الاسلامى فى العصور الوسطى:

فى هذا الفصل الثالث من كتاب رودنسون (من ص ٤٥ الى ص ٨٩) عرض للقطاع الرأسمالى التجارى والمصرفى فى البلاد الاسلامية ثم الاقطاع وتساءل عما اذا كانت هناك عدالة اجتماعية • وهذا بحث تاريخى رجع فيه المؤلف الى بعض المصادر العربية مثل الفصل الذى عقده ابن خلدون عن التجارة فى مقدمته • وبعض مؤلفات الجغرافيين العرب • وشكا رودنسون من قلة المصادر وندرة الوثائق التى تساعد على كتابة التاريخ الاقتصادى للبلاد الاسلامية • ولكنه فى بحثه لم يقتصر فى دراسته للمعاملات على العصور الوسطى كما هو عنوان الفصل الذى عقده بل تناول هذه المعاملات فى العصور الحديثة فى مراكش وتونس وفارس وغيرها نقلا عن كتابات الرحالة الفرنجة فى العصور الحديثة•

وفى أغلب الحالات كان المؤلف يرجع الى دراسات المستشرقين دون أن يرجع الى المصادر العربية ذاتها • كما صنع فى دراسته لثروات الوزراء العباسيين • كما أنه لم يشر الى نظام الاستصفاء الذى بدأ به الخليفة عمر ابن الخطاب وأهمله الأمويون وأحياه الخلفاء العباسيون وامتدحه المستشرق الألمانى نولدكه In.Noldeke فى دراسته عن الخليفة أبى جعفر المنصور (انظر الترجمة الانجليزية لكتابه : صور من التاريخ الشرقى ـ لندن سنة ١٨٩٢ م ص ١٠٧:١٤٥) واعتبره محاولة لمنع تركيز الثروة فى أيد قليلة ومعالجة لاستغلال ذوى الجاه والنفوذ لسلطتهم فى جمع المال •

ومن المصادر العربية التى كان يحسن بالمؤلف الرجوع اليها كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف ، ومثله ليحيى بن آدم القرشى ، وكتاب الأموال لأبى عبيد القاسم بن سلام وبعض فصول الأحكام السلطانية

للماوردى ومثله لأبى يعلى الفراء وتراجم بعض الأعلام فى تاريخ بغداد للخطيب وكتاب الوزراء للجهشيارى ومثله لأبى هلال الصابى وتاريخ الطبرى والأجزاء الأخيرة التى تكمل تاريخ الطبرى فى تجارب الأمم لابن مسكويه .

وعندما تناول المؤلف الاقطاع فى البلاد الاسلامية شغل بتفنيد دعوى الماركسيين فى أن الاقطاع مرحلة عامة شملت التطور الاقتصادى للجنس البشرى وأخذ يبين أوجه الخلاف بين الاقطاع الأوروبى فى العصر الوسيط وبين أشباهه فى آسيا والبلاد الاسلامية وتطرق من ذلك الى اقتصاديات الشعوب البدائية واقترح فى زيادة الضبط لأوجه الشبه والخلاف مدلولات اقتصادية جديدة لا يتسع المقام لذكرها ، ثم طبق هذه المدلولات على النظم الاقتصادية فى البلاد الاسلامية فى العصر الوسيط . وقال بتنوعها تبعا لاختلاف البلدان والأزمنة . وأشار الى أن بعض الأراضى الزراعية كان يفلحها الأرقاء كما كان الحال فى جنوبى العراق فى أواسط القرن الثالث للهجرة حيث قامت ثورة الزنج الشهيرة بالبصرة التى كادت تزعزع عرش الخلافة العباسية .

وذكر رودنسون أن الأتقياء ينسبون تشويه الاقتصاد الاسلامى الى نزغات الشر فى الطبيعة البشرية أما أنصار العاطفة القومية من العرب المحدثين فينسبون انحطاط الاقتصاد الاسلامى الى فساد الحكم العثمانى .

ثم تساءل المؤلف بعد ذلك : أولم يتيسر تطبيق المثل الأعلى للاقتصاد الاسلامى تطبيقا عمليا ؟ وأجاب بأن الفترة المثالية هى حكم الخلفاء الراشدين ومدتها ٢٩ عاما وهى الفترة التى يذهب أهل السنة فى تمجيدها كل مذهب . ولكنه ذكر أن الخوارج ينقصون منها خلافة على بن أبى طالب بينما الشيعة لا يعترفون فيها الا بخلافته . كما أن أهل السنة أنفسهم يعترضون أحيانا بالاتهامات التى وجهت الى الخليفة عثمان . وبذلك لا يتبقى من هذا العهد المثالى للخلفاء الراشدين سوى أربعة عشر عاما هى خلافة أبى بكر وعمر .

وأيا كان الأمر فى نظر المؤلف فان مبدأ الملكية الخاصة لم يمس قط وأن تاريخ الدول الاسلامية المتعاقبة يعرض لنا صورة مطردة لترف الطبقات الحاكمة والغنية من جانب وفقر الكافة وشقائها من جانب آخر • ولكن ذكر المؤلف أن تعاليم الكتاب والسنة تحث على البر والتعاطف واصطناع العدل والنصفة وأنها لذلك كانت كافية فى حمل الأغنياء على البذل فى سبيل الفقراء وحبس الأموال عليهم ونوه بأن الاسلام يعنى بالنواحى الاقتصادية وأنه يمتاز على الديانات الأخرى التى أغفلت هذه النواحى واستغرقت فى الحث على الزهد واطراح مباهج الحياة ذلك لأن الاسلام يجمع بين الدين والدنيا فى نسق معتدل • كما أنه يجعل العمل فى سبيل كسب العيش نوعا من العبادة التى يثاب المرء عليها وقد رويت فى هذا الصدد ـ تأكيدا لرأى المؤلف ـ أحاديث كثيرة تحض على العمل وتنهى عن الكسل والاعتماد على كد الغير • ونضيف أن النظم الاسلامية كما شرحها الماوردى وأبو يعلى الفراء وأصحاب كتب الحسبة كالشيزرى وابن الأخوة وابن الرفعة كانت تمنع التواكل والاستجداء بالنسبة للقادرين على العمل فقد كان من سلطة المحتسب تعزير من يجد من الناس على شاكلة هؤلاء •

وهناك صفحة باهرة فى تاريخ الحضارة الاسلامية أشار اليها رودنسون اشارة موجزة وهى عناية الحكام المسلمين والموسرين منهم بحبس الأموال الطائلة على الفقراء والمرضى والطبقات الضعيفة مما يدل على الروح الانسانية العالية فى الحضارة الاسلامية • ونضيف الى ذلك ما ذكره المرحوم الطبيب اللغوى المصرى أحمد عيسى فى كتابه : تاريخ البيمارستانات فى الاسلام (أى المستشفيات ـ دمشق سنة ١٩٣٩ م) أن أصحاب الوقفيات على المستشفيات كانوا يعنون عناية زائدة بالمرضى ومن مظاهر هذه العناية بالنسبة للمصابين بالأرق أنهم كانوا يقدمون صلاة الفجر عن موعدها لتخفيف آلامهم • وكانت هناك أنظمة دقيقة تمنع تلاعب المتعهدين بتقديم الأغذية للمرضى •

وكان مستشفى قلاوون أول ما زاره علماء حملة بونابرت على مصر نظرا لشهرته فى أوروبا . وكانت هناك وقفيات أخرى للمعاونة فى تجهيز العرائس الفقيرات فضلا عن وقفيات أخرى لتعويض الأوانى التى تكسرها خادمات المنازل لانقاذهن من ضرب ساداتهن لهن كما كان يوجد فى بيت القاضى فى القاهرة مكان لايواء القطط التى يملها أصحابها . فلله در أصحاب هذه الوقفيات من ذوى الضمائر المرهفة الذين يتقربون الى الله بأموالهم استجابة لهذه المبادىء الانسانية العالية . ويطول بنا المقام شرح هذه المبادىء الانسانية فى الكتاب والسنة ووقائع التاريخ الاسلامى .

٦ ـ أثر التعاليم الاسلامية عموما فى المجال الاقتصادى :

عاد المؤلف فى هذا الفصل الرابع من كتابه (ص ٩١ : ١٢٩) الى تفصيل أثر التعاليم الاسلامية فى النواحى الاقتصادية . وذكر أن كلا من الكتاب والسنة لم يحولا دون نمو القطاع الرأسمالى وأن هذا القطاع شبيه بنظيره فى أوروبا فى العصر الوسيط وتساءل من جديد لم لم يتطور هذا القطاع فى البلاد الاسلامية الى رأسمالية انتاجية كما حدث فى أوروبا الحديثة ؟ هل يرجع ذلك الى صفات وراثية فى الجنس الأوروبى تدفع الأوروبيين الى الاقدام والمبادأة أو أن ذلك يرجع الى المسيحية ؟ وفيما يتعلق بالترابط بين العرق أو السلالة والحضارة فان هذا مما يقول به أنصار التفرقة العنصرية وينسبون كل تقدم الى الجنس الأوروبى . وهذه مغالطة لأن هناك أجناسا غير أوروبية قطعت شوطا يعتد به فى الحضارة . وفيما يتعلق بالمسيحية فان المسيحية تحض على الزهد واطراح متاع الدنيا وهذا يناقض الرأسمالية .

ثم أشار المؤلف الى أبحاث ماكس فبر التى ذكرناها آنفا ولكنه لم يعقب عليها . بيد أن رودنسون نفى الفكرة الشائعة عن عقيدة المسلمين فى القضاء والقدر باعتبار أثرها فى اضعاف النشاط الاقتصادى عند المسلمين . وقال ان الاسلام لا ينفرد وحده بتوقف تطوره الاقتصادى . ولكن

تشاركه فى هذه الظاهرة بلاد الاغريق والدولة الرومانية القديمة والهند والصين واليابان • ثم ذكر اعتماد الاسلام على العقل وتدبر مظاهر الكون • وأسقط اتهام المجتمع الاسلامى فى العصر الوسيط بقصوره عن التطور وختم بحثه بانكار أى أثر للاسلام فى اعاقة هذا التطور •

ولدينا بدورنا ما نرد به على مزاعم بعض المستشرقين وغيرهم من أن عقيدة القضاء والقدر عند المسلمين كانتا من عوامل التخذيل والتثبيط فى طلب الرزق • وهذا فى نظرنا مخالف لتعاليم الاسلام لأن الايمان بهذه العقيدة لم يحل دون الجد والاجتهاد عند المسلمين • ومن العجيب فى هذا الصدد أن الكتاب الفرنجة يزعمون أن الأخلاق البروتستنتية على مذهب كالفن كان لها أثر فى قيام النظام الرأسمالى واثارة النشاط الاقتصادى العارم فى أوروبا الغربية وأمريكا الشمالية •

وقد نسى هؤلاء أن مذهب كالفن نفسه من خصائصه الايمان بعقيدة القضاء والقدر • فذهب كالفن الى أن الخلاص Saluotion لا يكون بالأعمال الصالحة فحسب ولكن بالايمان وهذا هو مذهب لوثر الذى يسمى ذلك بعقيدة التبرير بالايمان أو ما أسماه justijication of Flilh. ولكن كالفن زاد على لوثر بقوله ان التبرير بالايمان لا يناله الانسان باجتهاده فى الأعمال الصالحة ولكنه هو ما قدره الله له وآثره به منذ الأزل • وعلى ذلك اذا كانت نظرية ماكس فبر صحيحة وهى نسبة قيام النظام الرأسمالى الى البروتستنت الكالفنيين • فلماذا لم تعق هذه العقيدة التى تقيد من حرية المرء وتقطع أمله فى الخلاص من نشاطهم فى المجال الاقتصادى ؟

٧ — الراسمالية المعاصرة فى بلاد العالم الاسلامى :

فى هذا الفصل الخامس من كتاب رودنسون شرح للتطورات الاقتصادية فى بعض البلاد الاسلامية فى العصر الحديث مثل مراكش ومصر وايران • وأشار الى تجربة مصر فى الصناعة الحديثة وقد سماها « رأسمالية الدولة » • وأوضح أثر الاستعمار الأروبى فى اعاقة هذه النهضة المبكرة

فى العالم العربى • وبين أثر المصارف الأجنبية واقامة اقتصاد استعمارى يعتمد على محصول واحد ••• ولكنه لم يوضح أثر قروض اسماعيل التى استدانها من المصارف اليهودية والتى أدت الى التدخل الأجنبى والاحتلال •• ومع أن هذا الفصل استغرق عددا كبيرا من الصفحات (ص ١٣١ : ١٩٣) فان المؤلف لم يستوعب موضوعه فقد ذكر اشارات عارضه عن الاقتصاد التركى فى عهد الكماليين • والموضوع يحتاج بطبيعة الحال الى كتاب مستقل ان لم يكن الى عدة كتب نظرا لاتساع رقعة العالم الاسلامى • ولكن كان بوسع المؤلف أن يورد الحقائق الأساسية لتوضيح الظواهر الاقتصادية المشتركة مع بيان الخصائص المحلية التى ينفرد بها كل قطر •

٨ ـ خاتمة ووجهات نظر :

قسم رودنسون الفصل الأخير من كتابه الى ثلاثة بنود : ١ ـ علاقات وأولويات • ٢ ـ أوهام وأفكار غامضة ٣ ـ الاسلام والاشتراكية • (ص ١٩٥ : ٢٤١) وفى هذا الفصل تلخيص لما سبق مع ابداء ملاحظات جديدة استدركها المؤلف •

ومع أن المؤلف ذكر فى بداية هذا الفصل بأن الاسلام يلفت النظر بأصالته التى لا نظير لها والتى لا ريب فيها فقد تساءل كيف تتصور أن يكون ضعيف الأثر فى الحياة الاقتصادية ؟ ثم أنكر قدرة الاسلام على التوجيه الاقتصادى وقال انه لم يحاول تجنيد طاقة الجماهير نحو الانتاج وزعم أن موقف الدول الاسلامية بعد الاستقلال تجاه التصنيع والتنمية لا يجد عونا من الاسلام • وأن الحالة العقلية السابقة لا تساعد على انتقاء المنهج الاقتصادى المناسب لهذه الدول •

وكنت أنتظر أن يتناول المؤلف مشروعات التأميم والتنظيمات الاقتصادية التى سارت عليها البلاد العربية فى السنوات الأخيرة مثل العراق ومصر • ونذكر فيما يتعلق بمصر : الاصلاح الزراعى وقوانين العمل وتحرير الاقتصاد الوطنى من المؤثرات الأجنبية واشراك العمال فى ادارة العمل والأرباح ومجانية التعليم وافساح المجال للقطاع الخاص مع القطاع العام •

هذا من ناحية التنظيم الاقتصادى • أما من ناحية مساندة المبادىء

الاسلامية لهذا التنظيم فقد جرد أعضاء مجمع البحوث الاسلامية بحوثا قيمةتوضح وجهة نظرالاسلام فىالملكية والمعاملات المصرفيةوأوجه استثمار المال وغيرها • وكلها تؤكد مبادىء الاسلام فى العدالة الاجتماعية والتكافل الاجتماعى •

ونذكر فى هذا الصدد أن الأوروبيين روجوا فى أوائل القرن العشرين للفكرة القائلة بأن الاسلام يتعارض مع المدنية الحديثة مع أن المسيحية فى عصورها الأولى أغلقت معاهد الاغريق ونادت بأن الجنة للجهال • مع أن المسلمين فى العصر الوسيط كانوا أكثر الناس اقبالا على دراسة الثقافات الأجنبية مثل ثقافة الاغريق والفرس والهنود •

وقد ظهر فى العقود الأخيرة أن المدنية الغربية بها من المساوىء ما يهدد بانهيارها ، والدعوى الأخيرة بأن الاسلام لا يتفق مع النظم الاقتصادية المعاصرة يرددها مع رودنسون بعض الكتاب الغربيين كما رددوا بالأمس دعوى معارضة الاسلام للمدنية والتقدم التى خفتت حدتها اليوم • وسيصطنع الاسلام من النظم الاقتصادية ما يتفق مع تعاليمه الى أن تندثر هذه الدعوى الجديدة •

* * *

بقى فى الختام أن نشكر للأستاذ رودنسون جهده فى هذا البحث • ونعتقد أن فى قراءة المشتغلين بالدرسات الاسلامية لكتابه ما يحفزهم على العناية بالتاريخ الاقتصادى للاسلام الذى لم يحظ بعد بدراسات عامة مفصلة • والمعروف أنه يتعذر تكوين صورة شاملة له قبل تجريد الأبحاث المفردة التى تتناول حقبا معينة أو دولة من الدول الاسلامية التى ظهرت فى التاريخ • ثم يلى ذلك ما يسمى بالدراسة التركيبية اعتمادا على هذه الدراسات المفردة ؟

عبد العزيز عبد الحق حلمى

الإسلام : دعوة شاملة كاملة

للدكتور يوسف القرضاوى

« الشمول » من الخصائص التى تميز بها الاسلام عن كل ما عرفه الناس من الأديان والفلسفات والمذاهب ، بكل ما تتضمنه كلمة « الشمول » من معان وأبعاد .

انه شمول يستوعب الزمن كله، ويستوعب الحياة كلها ، ويستوعب كيان الانسان كله .

لقد عبَّر أحد علماء الاسلام عن أبعاد هذا الشمول فى رسالة الاسلام فقال وأجاد :

انها الرسالة التى امتدت طولا حتى شملت آباد الزمن .

وامتدت عرضا حتى انتظمت آفاق الأمم ..

وامتدت عمقا حتى استوعبت شئون الدنيا والآخرة .

رسالة الزمن كله :

انها رسالة لكل الأزمنة والأجيال ، ليست رسالة موقوتة بعصر معين أو زمن مخصوص ينتهى أثرها بانتهائه ، كما كان الشأن فى رسالات الأنبياء السابقين على محمد (صلى الله عليه وسلم) .

فقد كان كل نبى يبعث لمرحلة زمنية محدودة ، حتى اذا ما انقضت بعث الله نبيا آخر .

أما محمد (صلى الله عليه وسلم) فهو خاتم النبيين ، ورسالته هى رسالة الخلود التى قدر الله بقاءها الى أن تقوم الساعة ، ويطوى بساط هذا العالم ، فهى تتضمن هداية الله الأخيرة للبشرية . فليس بعد الاسلام شريعة ، ولا بعد القرآن كتاب ، ولا بعد محمد نبى .

انها رسالة المستقبل المديد ولاشك ، وهى أيضا رسالة الماضى

البعيد . انها ــ فى جوهرها وأصولها الاعتقادية والأخلاقية ــ رسالة كل نبى أرسل ، وكل كتاب أنزل . فالأنبياء جميعا جاءوا بالاسلام ، ونادوا بالتوحيد ، واجتناب الطاغوت :

« وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون » (١) .

« ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٢)

كل الأنبياء أعلنوا أنهم مسلمين ، ودعوا الى الاسلام .

نوح عليه السلام قال : « وأمرت أن أكون من المسلمين » (٣) .

وابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام قالا : « ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك » (٤) .

ووصى ابراهيم بنيه ويعقوب فقالا : « يا بنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون » (٥) .

ويوسف عليه السلام دعا ربه فقال : « توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » (٦) .

وموسى عليه السلام قال : « ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » (٧) .

وسحرة فرعون حين آمنوا بموسى ، قالوا : « ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين » (٨) .

وسليمان عليه السلام بعث لبلقيس وقومها : « ألا تعلوا على وأتونى مسلمين » (٩) .

والحواريون قالوا لعيسى : « آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون » (١٠) .

انها ــ اذن ــ فى جوهرها ــ رسالة كل نبى جاء من عند الله منذ عهد نوح الى محمد عليهم الصلاة والسلام . انها رسالة الزمن كل الزمن .

---

(١) الأنبياء : ٢٥
(٢) النحل : ٢٦
(٣) يونس : ٧٢
(٤) البقرة : ١٢٨
(٥) البقرة : ١٣٢
(٦) يوسف : ١٠١
(٧) يونس : ٨٤
(٨) الاعراف : ١٢٦
(٩) النمل : ٢١
(١٠) آل عمران : ٥٢

رسالة العالم كله :

واذا كانت هذه الرسالة غير محدودة بعصر ولا جيل ــ فهى كذلك غيرمحدودة بمكان ولابأمة، ولا بشعب ولا بطبقة .

انها الرسالة الشاملة ، التى تخاطب كل الأمم ، وكل الأجناس، وكل الشعوب ، وكل الطبقات .

انها ليست رسالة لشعب خاص، يزعم انه وحده شعب الله المختار ! وأن الناس جميعا يجب أن يخضعوا له .

وليست رسالة لاقليم معين ، يجب أن تدين له كل أقاليم الأرض، وتجبى اليه ثمراتها وأرزاقها .

وليست رسالة لطبقة معينة مهمتها أن تسخر الطبقات الأخرى لخدمة مصالحها أو اتباع أهوائها ، أو السير فى ركابها ، سواء أكانت هذه الطبقة المسيطرة من الأقوياء أم الضعفاء من السادة أم من العبيد، من الأغنياء أم من الفقراء والصعاليك

انها رسالتهم جميعا . وليست لمصلحة طائفة منهم دون سواها . وليس فهمها ولا تفسيرها ولا الدعوة اليها حكرا على طبقة خاصة كما قد يتوهم كثير من الناس . انها هداية رب الناس لكل الناس ، ورحمة الله لكل عباد الله . « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين »(١) . « قل يأيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » (٢) . « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » (٣) . « ان هو الا ذكر للعالمين » (٤) .

وقد زعم بعض المستشرقين أن محمدا (صلى الله عليه وسلم) لم يكن يعلن فى أول أمره أنه مبعوث الى الناس كافة ، وانما فعل ذلك بعدما أتيح له الانتصار على قومه من العرب . ولكن الآيات التى ذكرناها ترد عليهم . فكلها ــ لسوء حظهم ــ من سور القرآن المكية . ومثلها مما نزل من أوائل القرآن كثير .

---

(١) الأنبياء : ١٠٧
(٢) الاعراف : ١٥٨
(٣) الفرقان : ١
(٤) الفرقان : ٩

رسالة الانسان كله :

وهى كذلك رسالة الانسان كله من حيث هو انسان متكامل .

انها ليست رسالة لعقل الانسان دون روحه ، ولالروحه دونجسمه، ولا لأفكاره دونعواطفه ، ولاعكس ذلك .

انها رسالة الانسان كله : روحه وعقله ، وجسمه وضميره ، وارادته، ووجدانه . كما أشرنا الى ذلك فى « خصيصة الانسانية » .

ان الاسلام لم يشطر الانسان شطرين ، كما فعلت أديان أخرى : شطرا روحيا يوجهه الدين ، ويتجه به للمعبد ، وهذا الشطر أو النصف مناختصاص رجال الدين(الكهنوت) يتحكم فيه الكاهن أو القسيس ، ويقود الانسان من خلاله . وشطر آخر مادى لاسلطان للدين ولالرجاله عليه ، ولا مكان لله فيه. انه شطر للحياة ، للدنيا، للسياسة ، للمجتمع، للدولة ، وهذا فى الواقع هو الجزء الأكبر من حياة الانسان .

ترى هل يتفق هذا مع فطرة الانسان وطبيعته كما خلقه الله ؟

كلا ، فالانسان — كما خلقه الله — ليس مجزءا ولا مشطورا . انه « كل » متكامل ، و « كيان » واحد ، لا تنفصل فيه روح عنمادة، ولا مادة عن روح ، ولا عقل عن عاطفة ، ولا عاطفة عن عقل ، انه « وحدة » لا تتجزأ ، من الجسم والروح والعقل والضمير .

فلهذا يجب أن تكون غايتهواحدة، ووجهته واحدة ، وطريقه واحدا ، وهذا ما صنعه الاسلام . فقد جعل الغاية الله ، والوجهة الآخرة .

وبهذا لا يتمزق الانسان بين توجيهين مختلفين ، أو سلطتين متناقضتين ، هذه تشرق به وتلك تغرب . كالعبد الذى له أكثر من سيد ، كل واحد يأمره بغير ما يأمره به الآخر ، فهمه شعاع ، وقلبه أوزاع كما ذكر القرآن الكريم فى قوله : « ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل ، هل يستويان مثلا » (١) .

---

(١) الزمر : ٢٩

رسالة الانسان فى أطوار حياته كلها:

ان الاسلام هو رسالة الانسان كله ، وهو رسالته كذلك فى كل مراحل حياته ووجوده ، فهذا مظهر آخر من مظاهر الشمول الاسلامى •

انها هداية الله ، تصحب الانسان أنى اتجه وأنى سار فى أطوار حياته• انها تصحبه طفلا ، ويافعا ، وشابا ، وكهلا ، وشيخا • وترسم له فى كل هذه المراحل المتعاقبة المنهج الأمثل الذى يحبه الله ويرضاه •

فلا عجب أن تجد فى الاسلام أحكاما وتعاليم تتعلق بالمولود منذ ساعة ميلاده مثل اماطة الأذى عنه ، والتأذين فى أذنه ، واختيار اسم حسن له ، وذبح عقيقة عنه شكرا لله • وغير ذلك مما ضمنه امام كابن القيم كتابا مستقلا له سماه « تحفة المولود فى أحكام المولود » •

ونجد أحكاما تتعلق بارضاع الرضيع ومدته وفصاله وفطامه ، ومن يرضعه وعلى من تكون نفقة المرضعة أو أجرتها ، وخصوصا عند الطلاق وانفصال أم الرضيع عن أبيه • فهنا ينزل القرآن الكريم موضحا مفصلا كل ذلك ، فيقول : « والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس الا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ، ولا مولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك ، فان أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ، وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف ، واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير » (١) •

وبعد ذلك نجد أحكاما تتعلق بالانسان صبيا ، وشابا وكهلا وشيخا • فلا توجد مرحلة من حياته الا وللاسلام فيها توجيه وتشريع •

وأكثر من ذلك أنها تعنى بالانسان قبل أن يولد ، وبالانسان بعد أن يموت •

ولا غرو أن وجدنا فى الاسلام أحكاما تتعلق بالجنين ، من حيث

---

(١) البقرة : ٢٣٣

وجوب حمايته ، والحرص على حياته واستمرار غذائه بمقدار كاف • ولهذا حرم الشرع الاجهاض ، وقدر دية محددة تجب على من تسبب فى اسقاط الجنين • وشرع للحامل أن تفطر فى رمضان اذا خافت على جنينها أن يقل غذاؤه ، وتتأثر صحته • الى غير ذلك من الأحكام التى تتعلق بالحمل وميراثه، وبالحامل ونفقتها مدة الحمل وان كانت مطلقة « وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن »(١)

كما وجدنا فى الاسلام أحكاما أخرى تتعلق بالانسان بعد موته من وجوب تغسيله وتكفينه والصلاة عليه ، ودفنه بكيفية خاصة ، ومن شرعية التعزية فيه ، والدعاء له ، وتنفيذ وصاياه ، وقضاء ديونه التى عليه للعباد أو لله تعالى • وغير ذلك مما يشمله كتاب « الجنائز » وغيره فى الفقه الاسلامى •

رسالة الانسان فى كل مجالات حياته:

ومن معانى الشمول فى الاسلام أيضا أنه رسالة للانسان فى كل مجالات الحياة ، وفى كل ميادين النشاط البشرى • فلا يدع جانبا من جوانب الحياة الانسانية الا كان له فيه موقف : قد يتمثل فى الاقرار والتأييد ، أو فى التصحيح والتعديل ، أو فى الاتمام والتكميل ، أو فى التغيير والتبديل ، وقد يتدخل بالارشاد والتوجيه ، أو بالتشريع والتقنين ، قد يسلك سبيل الموعظة الحسنة ، وقد يتخذ أسلوب العقوبة الرادعة ، كل فى موضعه •

المهم هنا أنه لا يدع الانسان وحده ــ بدون هداية الله ــ فى أى طريق يسلكه ، وفى أى نشاط يقوم به : ماديا كان أو روحيا ، فرديا أو اجتماعيا ، فكريا أو عمليا ، دينيا أو سياسيا ، اقتصاديا أو أخلاقيا •

ان الاسلام ــ كما قال المرحوم العقاد ــ هو العقيدة المثلى للانسان منفردا أو مجتمعا ، وعاملا لروحه

---

(١) الطلاق : ٤

أو عاملا لجسده ، وناظرا الى دنياه ، أو ناظـرا الى آخـرته ومسالما أو محاربا ، ومعطيا حق نفسه ، أو معطيا حق حاكمه وحكومته • فلا يكون مسلما وهو يطلب الآخرة دون الدنيا ، ولا يكون مسلما وهو يطلب الدنيا دون الآخرة ولا يكون مسلما لأنه روح تنكر الجسد ، أو لأنه جسد ينكر الروح ، أو لأنه يصحب اسلامه فى حالة ويدعه فى حالة أخرى ••• ولكنما هو المسلم بعقيدته كلها مجتمعة لديه ، فى جميع حالاته ، سواء تفرد وحده أو جمعته بالناس أواصر الاجتماع •

« ان شمول العقيدة فى ظواهرها الفردية ، وظواهرها الاجتماعية ، هو المزية الخاصة فى العقيدة الاسلامية ، وهو المزية التى توحى الى الانسان أنه (كل) شامل ، فيستريح من (فصام) العقائد التى تشطر السريرة شطرين ثم تعيا بالجمع بين الشطرين على وفاق » (١) •

يريد الكاتب الكبير رحمه الله أن بعض الديانات كالمسيحية ، ارتضت أن تقسم الحياة نصفين : نصف للدين تقوده الكنيسة •• ونصف للدنيا تقوده الدولة • كما ذكرنا من قبل •

وسند رجال المسيحية فى ذلك ما حكاه انجيلهم عن المسيح عليه السلام أنه قال لمن سأله عن قيصر قولته المشهورة : اعط ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » ؟

ولكن الاسلام ينكر هذه القسمة للحياة ويرفضها لأمرين :

الأول : أن الاسلام يجعل الكون كله والخلق كلهم ملكا لله ، وليس لقيصر فيه ذرة واحدة • فقيصر اذن وما لقيصر لله الواحد القهار • وفى هذا يقول القرآن : « ألا ان لله من فى السموات ومن فى الأرض » (٢) « له ما فى السموات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى » (٣)

---

(١) الاسلام فى القرن العشرين للاستاذ عباس العقاد : فصل «قوة صامدة»

(٢) يونس : ٦٦

(٣) طه : ٦

« وله أسلم من فى السموات ومن فى الأرض طوعا وكرها » (١) .

فلا يجوز فى عقيدة الاسلام أن يخضع المسلم — مختارا — لأمر قيصر ، وهو قادر على اخضاع قيصر لأمر الله . ولا يجوز أن يعطى ظاهره لقيصر ، وباطنه لله « بل لله الأمر جميعا » (٢) .

والثانى : أن الحياة بكل جوانبها كتلة واحدة ، لا تقبل الانقسام والتفريق ، الا فى الورق أو الرؤوس . أما فى الواقع فالحياة كل لا يتجزأ ، ولا ينفصل فيه دين عن دولة ، ولا اقتصاد عن أخلاق ، ولا فرد عن أسرة ، ولا أسرة عن مجتمع .

ولهذا تحاول كل المذاهب الكبرى السيطرة على كل نواحى الحياة ، وتوجيهها حسب فكرتها وعقيدتها . حتى الكنيسة نفسها فى العصور الوسطى بأوروبا ، لم تطبق عمليا ما جاء فى الانجيل نظريا . وحاولت هى أن تأخذ مكان قيصر أو — على الأقل — تسيطر عليه ، وتدير السياسة من خلاله .

ولهذا لم يقبل الاسلام أن يكون مجرد عقيدة نظرية ، أو عبادة روحية ، أو تهذيب خلقى برغم أهمية هذه الجوانب وضرورتها فى نظر الاسلام . ولكن لا بد لها من سياج يحميها من التشريعات والأنظمة التى هى جزء لا يتجزأ من رسالة الاسلام .

شمول التعاليم الاسلامية :

واذا كان الاسلام هو رسالة الانسان كله فى كل أطواره ، ورسالة الحياة كلها ، بكل جوانبها ومجالاتها ، فلا عجب أن نجد التعاليم الاسلامية كلها تتميز بهذا الشمول والاستيعاب لكل شئون الحياة والانسان .

نجد هذا الشمول يتجلى فى العقيدة والتصور ، ويتجلى فى العبادة والتقرب ، ويتجلى فى الأخلاق والفضائل ، ويتجلى فى التشريع والتنظيم .

---

(١) آل عمران : ٨٣

(٢) الرعد : ٣١

شمول العقيدة الاسلامية :

فالعقيدة الاسلامية عقيدة شاملة من أى جانب نظرت اليها .

(ا) فهى توصف بالشمول باعتبار انها تفسر كل القضايا الكبرى فى هذا الوجود . القضايا التى شغلت الفكر الانسانى ، ولا تزال تشغله وتلح عليه بالسؤال ، وتتطلب الجواب الحاسم الذى يخرج الانسان من الضياع والشك والحيرة ، وينتشله من متاهات الفلسفات والنحل المتضاربة قديما وحديثا : قضية الألوهية .. قضية الكون .. قضية الانسان .. قضية النبوة .. قضية المصير والجزاء .

فاذا كانت بعض العقائد تعنى بقضية الانسان دون قضية الألوهية والتوحيد ، أو بقضية الألوهية دون قضية النبوة والرسالة ، أو بقضية النبوة ، دون قضية الجزاء الأخروى ، فان عقيدة الاسلام قد عنيت بهذه القضايا كلها ، وقالت كلمتها فيها ، بشمول واضح ووضوح شامل .

(ب) وتوصف بالعقيدة الاسلامية بالشمول كذلك ، لأنها لا تجزىء بين الهين اثنين : اله الخير والنور ، واله الشر والظلمة ، كما كان فى المجوسية ، أو بين الله والشيطان الذى سمى فى الأناجيل باسم رئيس هذا العالم ، واسم اله الدهر ، وانقسم العالم بينه وبين الله ، فله مملكة الدنيا ، ولله ملكوت السموات . فيوشك أن يكون عمله فى نظر المسيحية مضارعا لعمل « اهريمان » اله الظلام فى المجوسية ! » (١) .

ان الشيطان فى نظر الاسلام ، يمثل قوة الشر لا مراء ، ولكنها قوة لا سلطان لها على ضمير الانسان ، الا سلطان الوسوسة والاغراء والدعوة الى الشر وتزيينه فى الأنفس ، فهذا مبلغ كيده وجهده ، وهو كيد ضعيف أمام يقين المؤمنين المعتصمين بالله المتوكلين عليه .

يقول الله تعالى ، على لسان الشيطان نفسه فى مخاطبة من أغواهم:

---

(١) أنظر : حقائق الاسلام للعقاد ص ١٠٣ ط . أولى .

« وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى » (١).

ويقول سبحانه فى مخاطبة الشيطان : « ان عبادى ليس لك عليهم سلطان » (٢) ويقول : « انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون » (٣) ويقول : « ان كيد الشيطان كان ضعيفا » (٤)

(ج) وتوصف العقيدة الاسلامية بالشمول من ناحية أخرى ، وهى : انها لا تعتمد فى ثبوتها على الوجدان أو الشعور وحده ، كما هو شأن الفلسفات الاشراقية والمذاهب الصوفية ، وكما هو شأن المسيحية التى ترفض تدخل العقل فى العقيدة رفضا باتا ، بحيث لا تؤخذ الا بالتسليم المطلق ، على حد قولهم: اعتقد وأنت أعمى !

وهى كذلك لا تعتمد على العقل وحده ، كما هو شأن جل الفلسفات البشرية التى تتخذ العقل وسيلتها الفذة فى معرفة الله وحل ألغاز الوجود .

وانما تعتمد على الفكر والشعور معا أو العقل والقلب جميعا ، باعتبارهما أداتين متكاملتين من أدوات المعرفة الانسانية ، والوعى الانسانى .

ان الايمان الاسلامى الصحيح هو الذى ينبعث من ضياء العقل وحرارة القلب ، وبذلك يؤدى دوره ويؤتى أكله فى الحياة .

ويوم أصبح « علم التوحيد » فى الاسلام علما عقليا بحتا ، يقوم على الجدل حتى سمى «علم الكلام» أنكره كثير من أئمة الاسلام . لأن فعل هذا الجدل وحده لا يكون الايمان الاسلامى .

وبانتشار هذا اللون من المعرفة العقلية الجافة وجد فراغ عاطفى وروحى ، هيأ لظهور فئة أخرى تقوم بملئه على طريقتها ،وهى «الصوفية» .

---

(١) ابراهيم : ٢٢
(٢) الاسراء : ٦٥
(٣) النحل : ٩٩ ـ ١٠٠
(٤) النساء : ٧٦

والحق أن « علم الـكلام » انما يجدى فى مجال واحد وهو مجادلة خصوم العقيدة ودفع الشبهات والأباطيل عنها . أما تكوينها واثباتها من الأساس فلا يكفى .

(د) وتوصف العقيدة الاسلامية بالشمول أيضا ، لأنها عقيدة لا تقبل التجـزئة ، لا بد أن تؤخذ بـكل محتوياتها دون انكار ، أو حتى شك فى أى جزء منها . فمن آمن بـ ٩٩٪ من مضمون هذه العقيدة ، وكفـر بـ ١٪ لم يعـد بذلك مسـلما . فالاسلام يقتضى أن يسلم الانســان قياده كله لله ، ويؤمن بكل ما جاء من عنده .

لا يجوز فى نظر العقيدة الاسلامية، أن يقول مسلم : أنا مؤمن بالقرآن الكريم فى شأن الشعائر والعبادات ــ مثلا ــ ولكن لا أومن بمـا جاء به فى شأن الأخلاق والآداب أو يقول: آخذ من القرآن العبادة والأخلاق ، ولكن لا أستمد منـه النظـام والتشريع . أو آخذ منه ذلك كله ، ولكن لا أصدقه فى كل ما يرويـه من أحداث التاريخ . أو أصـدقه وأسـلم له فى كـل ما ذكرنا ولكن لا أعتقد بحقيقة ما جاء فى وصـف الآخرة ، وحقيقة الجنة والنار .

ومن ثم أنكر القرآن أشد الانكار على بنى اسرائيـل ايمانهـم ببعض الرسل دون بعض ، وببعض الكتاب الالهى دون بعض . يقـول تعالى : « ان الذين يكفرون باللـه ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقـولون : نؤمن ببعض ونكفـر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقـا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا » (١)

« للبحث بقية »

د / يوسف القرضاوى

---

(١) النساء : ١٥٠ ــ ١٥١

الإسلام والغرب :

العلاقات الثقافية

للدكتور الشيخ عبد الجليل شلبي

— ٤ —

أشرت من قبل الى أن العلاقات العامة بين الشرق والغرب كانت علاقة عداء ، وكراهية ، ولم يكن جوارهم جوار اخاء ومودة فالحروب المتطاولة والدماء المسفوكة كانت بداية هذا اللقاء كما كانت خاتمته .

وفد العرب على أسبانيا وفرنسا وصقلية وايطاليا غزاة فاتحين ووفد الأوروبيون على الشرق فى حروبهم الصليبية أيضا غزاة فاتحين ، وليس من شأن أى من الحالين أن يكون مودة واخاء ، زد على ذلك اختلاف الدين واليه تعزى كل هذه الحروب، ولكنه على الرغم من هذا العداء المرير والحروب المتعاقبة وجدت علاقات ثقافية واتجه الغرب نحو ينابيع العلم الاسلامية .

يرجع السبب فى هذا الى أن المسلمين بهروا الأوروبيين بماقاموا به من أعمال ، ومساجدهم التى أسسوها واستكثروا منها بسرعة فى الأندلس وصقلية والجزر الأخرى التى فتحوها كانت بحق جامعات تدرس ألوانا عديدة من الفكر والثقافة ، وازاء اكبار الأوروبيين لأعمال العرب الحربية أكبروا عقليتهم واضطروا أن يردوا مناهلهم العلمية ليستفيدوا منها .

ولا نعجب اذا كان تراجع العرب وانكسارهم فى المواقع التى أوقفت تقدمهم لم يحط من شأنهم فى نظر الغرب ، بل جعلهم يبقون على تقديرهم من الوجهة العلمية ، ذلك أن هذه المواقع حالفتها الصدفة من

جهة ومن جهة أخرى أشعرت الغربيين مع انتصارهم أنهم أقل شأنا من العرب . وأقوى هذه المواقع هى موقعة (بواتيه) التى انتصر فيها (شارل مارتل)، ولكن هذه الموقعة هى التى جعلت فرنسا بعدها تهتم بثقافة المسلمين .

وكان الفاطميون بعد أن وضعوا أيديهم على صقلية قد طمعوا فى الاستيلاء على ايطاليا ، أو التوغل فيها توغلا أوسع ، فأعدوا حملة بحرية بثت الرعب فى قلوب اللاتين، ووصل الأسطول ذو القطع العديدة أمام ثغر « أوستيا » ولكن عاصفة هوجاء عارضة هبت عليه فأغرقته ، وكان الهدف من هذه الحملة هو الاستيلاء على روما وكانت جيوش المسلمين قبل ذلك بنحو ثلاثة أعوام قد هددت هذه العاصمة ولكنها لم تستطع اقتحام أسوارها التاريخية، غير أن المسلمين دخلوا الكاتدرائيات الكبيرة ذات الشهرة ، واستولوا على كنوزها الثمينة ، فلما غرق أسطول المعز كانت نجاة العاصمة من الصدف التى لم تحط من شأن العرب ، وظلوا على ما كانوا عليه من القوة فى جنوب ايطاليا ، وتوقع الرومان أن يجدد العرب حملاتهم فصالحهم البابا يوحنا الثامن على أن يدفع لهم الجزية ، فمازالت اذن لهم الغلبة .

وعندما تغلب النورمانديون واستولوا على صقلية كانوا يدركون أنه نصر عسكرى ، لهذا تركوا عددا من الوظائف فى أيدى العرب لعلمهم أنهم أقدر على القيام بها ، ولعل فشل الحملات الصليبية المتتابع فى الشرق كان ذا أثر أيضا فى رفع معنويات العرب ، واشعار الأوروبيين اشعارا مستمرا بضعفهم . وقد دهش ريتشارد قلب الأسد لما رأى من خلق المسلمين وصمم على ألا يعود لحربهم ، كما أن حملة الامبراطور غليوم الثانى البحرية على الاسكندرية لاقت فشلا أشد على يد صلاح الدين، فاضطرت الجرمانيين أن يهادنوا بنى أيوب ، وأن يعقدوا بينهم صلات ود وسلام .

فاذا أردنا بعد هذه اللمحات التاريخية أن نحدد أبرز مواطن الصلات الثقافية بين المسلمين والأوروبيين نجد أمامنا مواضع ثلاثة :

أولها: صلات المودة التى توثقت بين الملك الكامل محمد الأيوبى ، وبين الامبراطور فريدريك الثانى، وترجع هذه الصلات الى شخصية الرجلين ولا ريب ، فقد آثر كل منهما صلة الثقافة والعقل على اللجوء الى الحرب واثارة الدماء وقد وصف بعض الكاتبين هذه العلاقة بأنها كانت نتيجة ضعف الامبراطور وعجزه الظاهر أمام قوة الأيوبيين ، وهو وصف لم يبن على غير أساس ، وأساسه أن الحملة التى قادها الامبراطور كان بها نحو ستمائة محارب ، قابلها من محاربى الشرق المتطوعين من شتى الأنحاء عدد كبير، فانتهت بصلح سمح فيه باسترداد بيت المقدس على أن يسمح للمسيحيين بأداء الحج اليه ، ولم تحدث معارك ولا قتل جند ولا أريقت قطرة واحدة من الدماء . ولكننا نلمح فى هذا التصرف سمات الذكاء وحسن الفهم للأمور كما نلمح سمات التسامح والخلق الانسانى .

ولعل هذا أهم وأوضح ما أفاد الصليبيين . هذا لأنه على الرغم من تطاول هذه الحروب لم يحاول الصليبيون أن يستفيدوا من علوم الشرقيين وكان نقصهم فى العلوم واضحا كل الوضوح ، وكان الأندلسيون وبنو صقلية أهدى منهم اذ ترجموا ونقلوا الكثير عن العرب، أما هؤلاء فكانوا جماعات من الرعاع الذين تغلب عليهم النعرة والعنجهية، ولا قدرة لهم على هضم المعارف والعلوم ، ولكنهم استفادوا من طريق غير مباشر . .

وقد روى أسامة بن منقذ قصة طبيب عربى استدعاه أحد رؤساء الفرنجة ليطب لفارس ، ولامرأة فما كاد يبدأ عمله حتى حضر طبيبهم، فعاب الطبيب العربى واتهمه بالجهل، وكان برجل الفارس دمل فقرر الطبيب بترها ، وأحضر فأسا وقطع ساق الفارس فظلت تنزف حتى مات ، أما المرأة فشق فى جلد رأسها صليبا ظهر منه عظم الجمجمة فلحقت بالفارس ، وعاد الطبيب العربى ، ولم يعمل شيئا ، غير ادراكه جهلهم ، كما أدركوا هم جهل أنفسهم .

أما الاتصال الثانى: فكان فى صقلية، وقام على تصرفات شخصية فذة هى شخصية الامبراطور فريدريك الثانى

(١٢١٥) فهذا رجل ذكى حصيف حرص على الاستفادة من علوم العرب رغم العداء السياسى الذى كان ما يزال مستحكما ورغم الحروب الصليبية التى كانت ما تزال دائرة الرحى فى الشرق ، ورغم الكتابات التى حاول أصحابها أن يشوهوا بها سمعة الاسلام والمسلمين . كان هذا الامبراطور على صلة أيضا بالملك الكامل الأيوبى وبغيره من كبار الشخصيات الاسلامية ، وأعجب بعادات الشرقيين وتقاليدهم واستهوته الفلسفة الاسلامية فاستكثر من درسها ، وقد جمع عددا من الأسئلة والمشاكل الفلسفية وبعث بها الى الشام ومصر والعراق وافريقية والأندلس ، وكانت أسئلته تدور على أسس الميتافيزيقا والمقولات وحقيقة النفس وقدم العالم ، وما اليها من المشاكل الفلسفية التى أثارها فلاسفة الاسلام ، وقد حفظ التاريخ ردود (ابن سبعين) عليه، ومحاورتهما تصور مقدرة هذا الامبراطور العلمية ومدى اهتمامه بالفلسفة .

وكان ملما بعدد من اللغات ، فضلا عن احاطته باللغة الايطالية واللغة اللاتينية يعرف الالمانية والفرنسية والاغريقية والعربية . وواضح أنه لم يجد فى كل هذه اللغات ما يشفى غليله ويروى ظمأه الفلسفى فلجأ الى العربية فهى اذن فى هذا الوقت سيدة اللغات فكرا وثقافة .

ومنذ توليه الحكم فى صقلية أخذ يعمل على انهاضها ورقيها علميا واجتماعيا ، فجمع من الكتب العربية ما لم يتوفر لغيره ، وخصوصا مؤلفات ابن رشد ، ويظهر أنه وقع تحت تأثير التيار اليهودى الذى كان يؤثر الفلسفة الرشدية ويقدمها على فلسفة ابن سيناء .

وأسس (فريدريك) هذا جامعة فى نابولى جعل العلم العربى أساس منهجها ، وجعل مهمتها نقل العلوم العربية الى الشعوب الأوروبية ، مما يدل على رغبته فى نشر العلم بين شعبه وغير شعبه .

وهو الذى بعث بالعالم الكبير ميخائيل سكوت الى طليطلة لنقل فلسفة ابن رشد ، وكان ميخائيل ذا ذكاء واسع ونشاط كبير وخبرة بالترجمة ولم يقنع بجهده بل استعان بعدد من المترجمين كان يوزع عليهم

الكتب ليترجموها الى اللاتينية ثم يراجع هو عملهم ويصحح ما يحتاج منه الى تصحيح ، وهو ومساعدوه غذوا مكتبات صقلية وجنوب ايطاليا بالكتب العربية ولكنهم أيضا جنحوا الى ابن رشد أكثر مما جنحوا الى غيره .

ولكن فريدريك مع حبه للفلسفة الاسلامية لم يكن يحب الاسلام ويوصف بأنه كان علمانيا حر التفكير فلم يهده تفكيره الى الاقتناع بوجود الله ، وينسب اليه زرايات على الديانات ، وعلى كبار الأنبياء ، فيروى أنه كان يقول أنه بحث الديانات فوجدها جميعا سواء فى أنها لا تساوى شيئا ، وان أصل البلاء فى هذا العالم انما هو الدين ، وشر ما منى به الناس كان من الأدعياء السامين الثلاثة — موسى وعيسى ومحمد ، وسخر من البابا أيضا وشبهه بالتنين الذى تحدث عنه القديس يوحنا ، فالتنين يبتلع العالم ، والبابا أخضع الناس لجبروته .

ولعل ما لقيه من محاربة البابا لحركة الترجمة ومحاربته الفكر الشرقى كان مما أضرم خصومته له . وله الفضل على النهضة الأوروبية مما حد من نفوذ البابا ونشر من الترجمات على رغم الكنيسة .

وهو على أى حال يصور ذروة ما وصلت اليه صقلية من النضج العقلى واكتمال المعارف والعلوم .

وبعد هذا — وقبله — تأتى حركة الجامعات الأندلسية ، وقد تحدثنا عن جامع قرطبة . والآن نذكر جامعة طليطلة .

كان المسلمون قد حولوا كنيسة طليطلة الكبرى الى مسجد للصلاة وجامعة للتعليم وظلت نحو أربعة قرون تقوم بتعليم المسلمين وغير المسلمين ، وقبيل نهاية القرن الحادى عشر المسيحى (١٠٨٥) م سقطت المدينة فى أيدى القشتاليين ، فردوا الجامع كنيسة ، وقام الأساقفة على حركة التعليم فيها ، أما المسلمون الذين عاشوا تحت حكم القشتاليين فمنحوا حرية الدين وان لم تخل حياتهم من مضايقات ، وقد كانوا موضع اعجاب المواطنين اخلاقا وحسن سلوك وطيب معاملة ، ولكنهم لم يظفروا بحريتهم زمنا طويلا .

وبين عامى ١١٣٠ و ١١٥٠ م تولى الرياسة الدينية أسقف يدعى (ريموند)

وكان مع مسيحيته شديد الاعجاب بالفلسفة الاسلامية وأراد أن يجعلها فى متناول المسيحيين ، فأسس مدرسة للمترجمين نقلت أهم الكتب العربية خصوصا الشروح والتعليقات التى وضعها الفارابى وابن سينا على فلسفة أرسطو .

وفى هذا الوقت كان المرابطون والموحدون هم الذين يحكمون فى بقية أسبانيا ، وكان حكمهم يتسم بالتزمت وعدم الميل الى الفلسفة ، وسبب ما فى حكمهم من شدة أن يفر كثيرون من غير المسلمين الى قشتاله ، وهؤلاء زادوا حركة الترجمة نشاطا .

والذى يؤخذ على هذه الترجمات بوجه عام أن الذين قاموا بها لم يكونوا متفلسفين ولا يفهمون الأغراض الفلسفية ، فكانوا يضعون كلمات لاتينية فوق الكلمات العربية التى فى النص ، ثم يأتى من له دراية بالفلسفة فيكون من الكلمات اللاتينية جملا تؤدى معنى فلسفيا وكما عانى الكندى مشقة الترجمة الأولى من الاغريقية الى العربية عانى هؤلاء المراجعون مشقة النقل من العربية الى اللاتينية ، وكان المراجعون أنفسهم تنقصهم المقدرة الكافية ، لذلك كانت هذه الترجمة بداية حركة ، وقد أدخلت على اللاتينية كلمات كثيرة عربية ، وفضل مدرسة طليطلة أنها نقلت فكرا جديدا الى الأوروبيين ، وبهذا الفكر الجديد اتجهوا الى الفكر اليونانى فى أصوله الأولى ، لكنهم وجدوا أن العرب قد نموه ولونوه وزادوا فيه .

والعجب للفيلسوف الفرنسى رينان ، انه أولع بابن رشد وألف عن فلسفته تأليفا جيدا ، وأدرك مخالفاته للفلاسفة الاسلاميين وموقفه من آراء الغزالى ، ومع كل هذا كان يعلن أن العرب لم يكونوا الا طريقا لنقل الفكر الاغريقى ولم يبتكروا فكرا فلسفيا .

وتلت هذه الحركة على أى حال حركة تنقيح وتهذيب وشرح اعتمدت على ما زاده العرب على الأصول اليونانية من شرح أو معارضة ، وكانت هذه الحركة بداية تفكير أوروبى جديد يعتمد على منطق وعلم صحيح ، وكانت بداية تصفية العقلية الأوروبية من خرافات العصر الوسيط .

دكتور عبد الجليل شلبى

الإسلام والمسلمون في ألمانيا الاتحادية

للأستاذ محمد رسول

أشار الدستور الألماني الى ضمانات حقوق الانسان ومن بينها حرية العقيدة ومزاولة العبادة، محققا بذلك السبيل لجميع الأديان مباشرة شتى أنواع العبادة تحت ظل القانون وفي حمايته . وربما كان ذلك سببا من ضمن الأسباب للزيادة المضطردة في عدد المسلمين بألمانيا وتفتح وجوه نشاطهم المختلفة من عام الى عام . فطبقا لاحصاء ١٩٦٥ بلغ عدد المسلمين فيها ٢٢٠ ألفا، وفي عام ١٩٧٠ ــ أى بعد خمس سنوات ــ بلغ هذا العدد ٢٦٠ ألفا أى بمعدل ثمانية آلاف مسلم في كل عام .

ولاشك أن هذا العدد قد تضاعف على أقل تقدير بعد أن وصل عدد العمال الضيوف في ألمانيا الى مليونين ونصف مليون شخص . وأكثرهم من القادمين من الدول الاسلامية الأخرى مثل ايران وتركيا وأندونيسيا وباكستان وأفغانستان والملايو والصومال .. الخ .

وبالاضافة الى هذا العدد فهناك عدد كبير من المسلمين الألمان الذين اعتنقوا الدين الاسلامي ومن المسلمين الروس واليوغسلافيين الذين هاجروا الى ألمانيا . ومن الغريب أن عدد المسلمين من الألمان هو في النساء أكثر منه في الرجال دون أن تتوصل الاحصاءات والكتب التى تناولت مثل هذه الموضوعات الى تعليل يذكر لهذه الظاهرة . ولعل ذلك يعود الى زواج الألمانيات بالمسلمين من مختلف مناطق العالم الاسلامى ثم اعتناقهم الاسلام بعد الزواج .

ويعيش هؤلاء المسلمون في بلد لا تكاد تخلو فيه قائمة الطعام من وجبات يدخل فيها لحم الخنزير . كما لا تكاد تخلو فيه مائدة من البيرة . ولكنهم لا يأكلون الخنزير ولا يشربون الخمر . يعيشون في قلب مجتمع مسيحى محض وبين أناس تختلف عاداتهم وتقاليدهم وطريقة حياتهم عنهم تمام الاختلاف .

وبعد فترة من الوقت كانت وجبة الطعام فيها تعتبر مشكلة بالنسبة للمسلم . فان طعام المسلمين الخالى من الخمر ولحم الخنزير متوفر اليوم بصورة واضحة . حتى فى المطاعم الجماعية للشركات . اذ يراعى القائمون عليها أن تتوفر وجبات طعام خاصة بالعمال المسلمين خالية من لحم الخنزير ودهنه . هذا وقد استعانت الحكومة الألمانية ببعض القصابين المسلمين من الأتراك لذبح الأبقار والأغنام حسب الشريعة الاسلامية . وذلك ارضاء لمئات الألوف من المسلمين المقيمين فى ألمانيا والمنتشرين فى كل أطرافها منظمين أنفسهم اما تحت لواء جمعية اسلامية أو هيئة مسجد .

كانت مناطق تجمع الجاليات الاسلامية فى ألمانيا متركزة فى ولاية بادن فورتمبر — فى جنوب ألمانيا وفى منطقة الراين حيث مراكز الصناعة الألمانية . أما اليوم فلا تكاد تخلو مدينة كبيرة من المدن الألمانية من معتنقى الاسلام . سواء من العاملين أو من الدارسين فى المعاهد والجامعات .

ان مركز الثقل فى الاعلام والدعوة الاسلامية والعربية ليقع غالبا على عاتق الطلبة المسلمين وفى حدود طاقاتهم المتواضعة وفى حدود ما تخصصه الجامعات لهم من مساعدات أسوة بالمنظمات الطلابية الأخرى . وبالرغم من قلة المال فقد أتت المجهودات الطلابية بثمرة طيبة . اذ أن نشاط الطلبة على هذا الصعيد يلقى تقبلا فى الأوساط الألمانية وبين المواطنين الذين يقبلون على سماع محاضرات المسلمين بشغف المتطلع الى معرفة الاسلام الحنيف على وجه نقى من الشوائب التى يبثها خصومه والتى لاتتفق مع الروح العلمية الصحيحة .

وانطلاقا من هذا المبدأ نظمت حلقات دراسية ومناظرات بين الطلبة المسيحيين والمسلمين وأسست أخيرا فى بون أول جمعية « للتعاون المسيحى الاسلامى » تلك الجمعية التى أسسها الشيخ عثمان يادجى من سفارة السنغال والتى بدأت نشاطها بمحاضرة للمستشرق الايطالى الدكتور (كيوزى) عضو الجماعة

الاسلامية فى فرانكفورت ، التى تناول فيها أوجه الخلاف والتشابه بين المسيحية والاسلام •

ومن الجدير بالذكر أن الدكتور كيوزى من معتنقى الاسلام وهو أول من ترجم معانى القرآن الكريم الى لغة الاسبرانتو •

وقد وضعت مؤسسة « انترناسيونس » قاعة محاضراتها تحت تصرف بعض الهيئات التى تهتم بالعلاقات المسيحية الاسلامية لالقاء محاضرات عن الاسلام فيها •

وتعتبر ألمانيا الاتحادية مركزا هاما لعقد المؤتمرات الاسلامية لمركزها الجغرافى المتوسط فى أوروبا • فكثيرا ما عقد الاتحاد الاسلامى العالمى للمنظمات الطلابية اجتماعاته الدورية والثانوية فى ألمانيا • تلك الاجتماعات التى يلتقى فيها المسلمون من مختلف أنحاء العالم وتشترك فيها اتحادات الطلاب المسلمين فى الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ودول أوروبا ، كذلك اتحادات الطلبة المسلمين من نيجيريا واندونيسيا والباكستان الخ • وهنا فى ألمانيا تدعو هذه المؤتمرات فى هدوء بعيدا عن المؤتمرات الأخرى التى ربما تعكر صفو حرية العقيدة والتعبير عنها الى تبين هذه الحقيقة والى الاستمساك القوى بالاسلام والعودة الصادقة اليه عقيدة وشريعة ومنهجا كوسيلة فريدة لحل الكثير من مشاكل العالم الاسلامى •

لم ينس المسلمون واجبهم فى التعاطف والتراحم بينهم ومد الأيادى سخية فى نطاق الجمعيات والاتحادات الى شد الأزر والتعاون اجتماعيا والمسارعة بالتبرعات للمحتاجين وتذليل ما يصادفهم من متاعب فنذكر ـ بجانب احياء الشعائر واقامة الحفلات فى مناسبات الأعياد وخصوصا بقصد ادخال البهجة على أطفال المسلمين واعداد افطار جماعى للعمال فى شهر رمضان المبارك ، ان الجمعيات الاسلامية قد أخذت على عاتقها أيضا عيادة المرضى بالمستشفيات وتنظيم لجان لرعاية الأسر عند مرض عائلها أو وفاته ، فأشرفت على دفن موتى المسلمين فى المقابر الألمانية بعد تأدية الطقوس الخاصة بذلك

والحرص على أن تخلو القبور من الصليب التقليدى فى المقابر الألمانية ثم يحدث ذلك كله دون اعتراض من أحد ، أو حتى من السلطات الألمانية المشرفة على الدفن ٠ اذ أن ذلك أيضا يدخل فى أمور العقيدة التى يحميها الدستور الألمانى ٠

ولا يقل واجب الجمعيات الاسلامية فى تعليم لغة القرآن عن واجباتها الأخرى حتى أصبحت تلك الجمعيات مدارس غير مباشرة لتعليم اللغة العربية ، فمثلا تقوم الجماعة الاسلامية ـ شعبة برلين ـ بمحاولة رعاية مائة ألف مسلم ببرلين الغربية وحدها التى بها الآن ثلاثة مدارس لتعليم أطفال الاتراك اللغة العربية والقرآن الكريم بجانب اللغة التركية بطبيعة الحال ٠

لم تعد القباب والمآذن فى ألمانيا، أى فى قلب أوروبا من المناظر غير المألوفة ـ لا يعتبر صوت الآذان اليوم بجانب قرع أجراس الكنائس من الأمور المزعجة للسكان ٠ كذلك لم تعد صلاة المسلمين اليوم أمام المواطنين الألمان من المشاهد الغريبة٠ حتى ولم تعد تأدية شعائر الاسلام فى بعض الكنائس فى بعض الأحيان من الأمور المستحيلة فى ألمانيا الاتحادية٠ فقد فتحت بعض الكنائس أبوابها أحيانا فى احتفالاتها وأعيادها لتستوعب هذا العدد الغفير منهم والذى يصل الى بضعة آلاف فى يوم واحد ٠

فنذكر على سبيل المثال صلوات الأعياد الاسلامية التى أقامها المسلمون يوما ما فى الكاتدرائية التاريخية فى مدينة كولونيا٠ ثم فتحت ساحات المعارض والاستادات الرياضية وقاعات الاحتفالات بعد ذلك أبوابها للمسلمين الذين وجدوا فيها أكبر بقع تسع آلاف المصلين فى يوم العيد٠

واعتادت الصحافة أن تنشر تقارير صحفية عن احتفالات المسلمين فى أعيادهم مصحوبة بصور تمثل هذه الجموع وأحذيتها فى الاستادات الرياضية ٠ وقد لوحظ أن هذه الصور تحتوى على شىء من الطرافة٠ ألا وهى تلك اللافتات التى تحيط بجموع المصلين داخل الاستاد وتعلن عن أنواع مختلفة من الخمر المحرم عند المسلمين ٠ ومع هذه الأوضاع كلها ومع اطراد زيادة عدد المسلمين

كما سبق ذكره فى مدخل هذا المقال. فانه ينتج عن ذلك بطبيعة الحال ازدياد اهتمام المسلمين ببناء المساجد واعداد بيوت للعبادة .

ومنذ فترة قريبة أصبحت مدينة ميـونخ تملك رسميا مسجدا خاصا بها يعتبر تحفة معمارية تجمـع بين الطـرازين الاسـلامى والأوروبى معا . وقد أصبحت ميونيخ بذلك سادس مدينة ألمـانية يوجـد بهـا مسـجد كبير لاقامة شعائر الله عز وجل .

أما المساجد الأخرى فمنها مسجد بلال بمدينة آخن الذى شيد بمجهودات الطلاب المسلمين بكليـة الهندسة هنـاك وقامت بتمـويله حكومات اسلامية كثيرة منها قطـر والبحرين وسوريا والكويت والأردن والسعودية والباكستان . علاوة على معـونة قدمتها بلدية آخـن قدرها عشرة آلاف من المـاركات ، علاوة على التبرع المقـدم من المهنـدس المعمارى شتاينباخ الأستاذ بجامعـة آخن . على صورة وضع التصميمات والنماذج التحضيرية واعداد المقاييس العامة والتكاليف بلا مقابل .

وأول مسجد رفعت قوائمه لذكر الله تعالى هو المسجد الذى بنـاه أمير ألمـانى فى أواخر القرن الثامن عشر بمدينة شفتسنجن (بالقرب من هايدلبرج) وألحقـه بقصره اكراما لزوجته التركية التى اعتنق الاسلام على يديها . وهذا المسجد يستعمل الآن كمتحف ولا تقـام فيـه الا صلوات العيدين .

ويعتبر مسـجد برلين من أقـدم المساجد فى ألمـانيا أيضا ، اذ انشىء عام ١٩٢٨ واكتسب شهرته عنـدما كانت برلين عاصمة لألمـانيا الموحدة ، والتى كان يؤمهـا الكثير من الدبلوماسـيين من مختلف البـلاد الاسـلامية . أما مساجـد مدينـة هامبورج فأولهـا مسـجد بسيط متواضع بلا مئذنة أنشأه أهل السنة وهو يعتبر النـواة الأولى لمشروع مسجد كبير يعد من أكبر المسـاجد فى ألمـانيا جمعت له التبـرعات من الطلبة ومن الشخصيات الاسـلامية التى تتردد على الميناء الألمـانى بين الحين والآخر . هذا بجانب مسجدين آخرين أحدهما يسـتقل بالايرانيين وهو مبنى على الطراز الفارسى المغلف بالهندسة الأوروبية. ويوجد فى مدينة

فرانكفورت على نهر الماين مسجد كبير كان قد افتتحه وزير باكستانى هو نائب رئيس محكمة العدل الدولية بلاهاى . هذا علاوة على الاجراءات اللازمة التى اتخذت بمطار فرانكفورت عند توسيعه لانشاء عدة قاعات به تخصص كل منها لأتباع كل دين من الأديان . وقد خصصت منها فعلا قاعة للمسلمين . كما توجد فى أكثر الجامعات الألمانية غرف خصصتها السلطات الجامعية للطلبة من المسلمين لاستعمالها كمصلى ، ويعتبر هذا التصرف مأثرة مشكورة أشاد بها طه الولى فى كتابه عن الاسلام والمسلمين فى ألمانيا (ص ١٣٠ ، طبعة ١٩٦٦) اذ قال : « ان هذه الظاهرة الودية نحو المسلمين تكاد تكون قاصرة على البلاد الألمانية دون غيرها من البلاد المسيحية فى كافة أنحاء العالم » .

أما أرباب العمل الألمانى فلا يألون وسعا فى ايجاد الحلول المناسبة للعمال المسلمين لاقامة شعائرهم الدينية . ومن أطرف تلك المجهودات ذلك المسجد المتحرك الذى يجرى على عجلات هيئة السكك الحديد الألمانية ، والذى خصصته الهيئة لعمالها من المسلمين ، ذلك المسجد الذى يتكون من بعض عربات الركاب التى تحولت ليصبح جزء منها مكانا للاغتسال وآخر فرش بالسجاد ليكون صالحا لتأدية الصلاة .

ويعتبر المسجد الذى أقامه مصنع الحديد والصلب فى مدينة الندورف بولاية هيسن أول مسجد يقيمه مصنع فى ألمانيا على الاطلاق لعماله من المسلمين والأتراك الذين يبلغ عددهم أكثر من ثلاثة آلاف عامل يشكلون ٤٠ فى المائة من مجموع تعداد عمال المصنع الذى قرر تشغيلهم بعد أن تأكدت ادارة المصنع من أنهم أكثر الناس استعدادا للعمل فى صهر الحديد . ومن الجدير بالذكر أن هذا المسجد قد بنى بتضحيات العمال بجانب المساعدة التى قدمها لهم المصنع .

وتعتبر اقامة صلاة العيدين فى مقر السفارة المصرية تقليدا قديما قدم التمثيل الدبلوماسى بعاصمة ألمانيا الاتحادية . ففى سفارة مصر يلتقى الممثلون الدبلوماسيون من أجناس

مختلفة بألبستهم وأزيائهم الوطنية ومعهم الكثيرون من الطلبة والمواطنين محققين بذلك مظهرا جميلا من مظاهر الوحدة والتآلف بين المسلمين .

وهناك مشروع اسلامى آخر جليل فريد فى نوعه ، ألا وهو « مشروع دار الاسلام » الذى خرجت فكرته من كولونيا والمقصود به هو انشاء بيوت ومراكز اسلامية ثقافية للمغتربين من المسلمين على غرار بيوت الشباب المنتشرة فى أوروبا وأمريكا .

لقد عمل المسلمون هنا على اصدار الصحف والمجلات والمنشورات التعليمية والاخبارية كأنجع وسيلة للترابط بينهم من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، تلك المطبوعات التى تصدر بلغات عديدة فمنها ما هو محرر بالألمانية أو العربية أو اللغات الأخرى مثل التركية والفارسية ، ومنها ما هو صادر بلغتين أو أكثر فى وقت واحد . ونذكر على سبيل المثال مجلة المسلم المغترب التى تصدر فى شتوتجارت ومجلة الرائد التى يصدرها المركز الاسلامى فى آخن ، ثم مجلة صوت الاسلام بالألمانية وهى تتسم بطابع حماسى للاسلام من جانب مصدريها من الألمان ممن اعتنقوا الاسلام ، هذا علاوة على نشرات أخرى تصدرها بعض الأحزاب الاسلامية التى تزاول نشاطها غالبا بين الأوساط الطلابية والعمال .

يعد صوت ألمانيا باذاعة مدينة كولونيا الاذاعة الوحيدة فى العالم كله التى تقدم فى برامجها الثقافية برنامجا أسبوعيا من جزئين للمسلمين بلغات مختلفة ، كما تواظب هذه الاذاعة على اذاعة أخبار العالم الاسلامى ضمن برامجها .

أما اذا تطرق الحديث عن الكتاب العربى فى ألمانيا فان الذهن ينصرف لأول وهلة الى كتاب الله الكريم ، وقد حدث ذلك فعلا ، اذ تكررت محاولات طبع القرآن الكريم فى ألمانيا وترجمته باللغة الألمانية — وان لم تكن تلك المحاولات مرضية فى الاتجاه وكثرة الأخطاء ، الا أنها تدل على مدى اهتمام الألمان بالاسلام . لقد كان لنشاط المستشرقين الألمان سببا فى بحث الشوق والفضول فى نفوس المواطنين الألمان لمعرفة القرآن نفسه ، فكان هذا

أول الدوافع الى ظهور هذه الترجمات العديدة للقرآن الكريم التى لم تصل بعد الى المستوى العلمى والتحقيق التاريخى الصادق . ويذكر فى هذا المجال على سبيل الطرافة فى الحديث أن المستشرق الألمانى (روكيرت) أراد أن يحاكى الأسلوب القرآنى فى الايقاع اللغوى ، فاختار بضعة آيات نظمها شعرا باللغة الألمانية على نحو ما فعل بمقامات الحريرى التى قام بترجمتها كذلك الى الألمانية . أما اذا علمنا أنه ظهرت فى ألمانيا للآن ثنتان وأربعون ترجمة للقرآن الكريم جمعت بين ترجمات كاملة وأخرى جزئية لأمكننا تصور مدى اهتمام الألمان بدراسة القرآن ونقله الى لغتهم التى تعتبر ثانى لغة فى العالم بعد الانجليزية نقلت اليها معانى القرآن الكريم . أما أول طبعة للقرآن الكريم فقد صدرت فى ألمانيا لشفايجر عام ١٦١٦ بمدينة نورنبيرج .

ولا ينبغى عند معالجة مثل هذا الموضوع اهمال ذكر الدور الحضارى للاسلام فى الحياة الثقافية الألمانية ففى شمال ألمانيا تعد مجموعة الآثار والتحف الفنية بالمتحف الاسلامى بمدينة برلين أكبر مجموعة من نوعها فى خارج العالم الاسلامى على الاطلاق . أما فى أقصى الجنوب فان متحف القرآن الكريم بمدينة ميونيخ يعتبر أيضا فريدا فى نوعه فى العالم كله ، جمعت فيه صور لكل الكتب التى لم تطبع للآن وللنسخ المخطوطة باليد وأهم المطبوعات وكل ما يتعلق بالتفسير والاحصاء والبحث . وعلاوة على ذلك فان هناك من الأدباء والعلماء الألمان ممن لعبوا دورا هاما فى تقريب روح الاسلام الى شعبهم نذكر منهم الشاعر الألمانى (جوته) بسبب ولعه بآيات القرآن الكريم وما جاء به من تعاليم سماوية . وخصوصا من سورة البقرة . لقد بلغ اعجاب هذا الشاعر الألمانى العظيم بتعاليم الاسلام حدا جعله يذكر بعض العبارات المستقاة من روح القرآن والعقيدة الاسلامية .

ويأتى بعد روكيرت وجوته من المتحدثين الكثيرون ممن لا يزالون على قيد الحياة ، ومنهم الباحثة

المستشرقة (أنامارىشيمل) التى تحب لغة القرآن حبا كبيرا والتى وصفتها بأنها حقا لغــة للجنة مؤكدة بذلك وصف رسول الله صلى الله عليـه وسلم لها • وغير أنا مارى شيمل من المتحدثين ممن ســاهم بنصيب كبير فى عرض حقائق الاسلام وفضــل الحضارة الاسلامية على أوروبا • نذكر منهم السيدة (زيجريد هونكه) مؤلفــة كتابها المشهور « شمس الله على الغرب » ذلك الكتاب الذى يعد بحق واحــد من أنجــح ما كتب بالألمــانية عن الاســلام والشرق العربى ، اذ أنه يســاعد القــارىء بفضل دقته العلمية وعرضه الجذاب على التعــرف على الدور الرائــع للمسلمين فى تطور حضارة الانسان•

ولهذه الكاتبة يرجع الفضل فى نفس الوقت فى نفى الكثــير من الأفكار الخاطئة عن الاســلام والمسلمين ، اذ انبرت تثبت للرأى العام فى كل مناســبة ان المســلمين على عكس ما شــيع عنهم فى كتب التبشــير والتاريخ المســيحية ، فهم خير من ضرب المثل فى المروءة والتســامح خلال الحروب الصليبية التى اندلعت بين العــالم الاســلامى وأوروبا المسيحية فى بيت المقدس وأسبانيا•

ولا يفوتنــا كذلك ذكر بعض مجهودات الألمــان من المســلمين فى سبيل الدعوة لدين الله عز وجل مثل (أحمدشميد) و (مالكاسمان) ، وهما مؤسسا مجلة « الاســلام » باللغة الألمــانية •

ان المواطن الألمــانى اليوم يعلم أكثر عن حقائق الاسلام • ولم يعد محمد صلى الله عليه وسلم فى نظر الألمــان « مجرد وثن أســطورى يعبده المسلمون الأغبياء • ولا نبيا كاذبا خداعا يضلل الناس عن جادة الحق والصواب » ـ كما كان يصوره أحبار الكنيسة والدائرون فى فلكها ـ بل أصبح فى نظرهم انسانا جديرا بكل احترام وتبجيل لأنه ـ كمــا صوره المستشرق الألمانى (بوستل) « جاء بدين ينطوى على أجود الآراء وأحسنها » •

ان المجتمع الألمــانى قد احتــك أكثر من مرة وفى أكثر من مناســبة بالمجتمع الاســلامى خــلال ظروف

فردية وجماعية . ذلك الاحتكاك الذى تقلب تارة بين سلبية الخصومة وأخرى بين ايجابية الصداقة حتى انتهى أخيرا « الى النطاق العلمى البحت ، بحيث يمكن القول بأن هذه المرحلة الأخيرة سيكون لها ما بعدها فى تطوير العلاقة المباشرة بين الألمان والمسلمين ، وبالتالى بين المسيحية والاسلام الى ما فيه خير الحضارة المشتركة » .

« ان الكثيرين لينظرون الى مستقبل الاسلام فى ألمانيا بتفاؤل وأمل كبيرين لأن الصفات التى يتحلى بها الشعب الألمانى . ومن بينها النظام والنظافة والجد فى العمل والدقة فى المواعيد الخ .. ليست بعيدة عن صفات المسلمين الأوائل وشمائلهم ، مما يؤكد أن مفاهيم المسلمين فى النظرة الى الحق والخير والجمال ليست بعيدة عن روح الشعب الألمانى . ومما يؤكد هذا التفاؤل التصريح الصادر من احدى الشخصيات الألمانية الكبرى :

« ان العنصر الجرمانى ارتكب خطأ فاحشا عندما استجاب لتقاليد الفروسية فى القرون الوسطى وحمل الشعوب الأوروبية عبء الوقوف فى وجه الزحف الاسلامى القادم من أسبانيا .

محمد رسول

كيف ضاعت الأندلس..؟

التحرير

يصف كاتب أوربى الخسارة الفادحة التى حلت بأسبانيا وكان سببها الهوس الدينى فيقول :

« لم يعرف الأسبان عندئذ ماكانوا يفعلون ، اذ أنهم فرحوا أشد الفرح بنفى العرب وذلك لأنهم سئموا الحياة الرتيبة ، « لوب دى فيفا » يغنى أغنيته المثيرة التى مطلعها « الحكم العادل » ولم يدروا أنهم قتلوا أوزتهم الذهبية » .

ترى كيف قتلوا أوزتهم الذهبية ؟

أترك للكاتب الأسبانى المسيو كوندو يصف مقتلها :

فى سنة ١٦١٠ م أنجز فيليب الثالث العمل الذى كان بداية والده وهو نفى زهاء نصف مليون من هؤلاء البائسين الى أفريقية ، فأمر بانزالهم على الساحل . أما سكان الشمال وكان عددهم لا يقل عن مائتى ألف نسمة ، وهم البقية الباقية من ذلك الشعب القوى الباسل ، فقد طردوا من غير شفقة ولا رحمة الى فرنسا حيث اضطر من بقى منهم حيا بعد مذابح الأسبان وأهوال الطريق الى النزوح الى البلاد الاسلامية . وبلغ عدد الذين طردوا من أسبانيا منذ سقوط غرناطة حتى عهد الملك فيليب ثلاثة ملايين نسمة .

وهكذا اختفى من أرض الأندلس شعب ذكى مستنير شجاع بعث بجده واجتهاده الحياة فى أسبانيا التى كانت تئن تحت نير القوطيين فحول بلاد الأندلس جنة فيحاء ، وحل مشعل العلم والعرفان بينما كانت الممالك حولها تتخبط فى دياجير الجهل ، كما نشر الثقافة وبث المدنية ووضع أسس الفروسية ، بل لا نعدو الحق اذا قلنا أن الشعب العربى قد خلق أوربا الحديثة خلقا .

والآن يحق لنا أن نتساءل ما الذى استفادته أسبانيا من طرد العرب ؟

وجواب ذلك ..

ان الأندلس الجميلة ظلت بضعة قرون موطن الثقافة ومركز العلوم والفنون تدهورت ثانية الى حالة العقم وأصبحت علما على تدمير الثقافة والأخلاق فاكتنفتها وحشية أبدية بعد أن كان العرب قدأضاءوها بنورهم ، وفى الواقع لم تتغير الطبيعة انما الذى تغير هو الشعب الأسبانى وديانته. ومع ذلك فلايزال بعض آثار العرب تعلوه الخرائب التى ملأت تلك البلاد المقفرة ، ومن وسط التماثيل والخرائب الصامتة يرتفع صوت الحق ينادى بمجد وحضارة العرب المنهزمين وانحلال وتدهور الأسبان المنتصرين .

بعد هذه المقدمة نريد أن نعرف :

كيف ضاعت الأندلس ؟

ان القائد (براقا) قابل الاذفونش فى روما داخل الفاتيكان ، وجاء معهما دوق فينيسيا (البندقية) .

فقال له ابن اذوفنش : « اعلم أيها البطل أن البابا قد استدعى بارونات أوروبا وشاورهم فى استرجاع مملكة أسبانيا من العرب ، فلتكن مساعدا لنا » .

فقال براق : (ان الأسد لا يصاد الا بالمكر والخديعة ، وقد يستعين الصيادون بالخمر : ولا يفل الحديد الا الحديد) .

فقال دوق فينيسيا : ان جيوش البارونات تسحقهم سحقا فى أقل من لمح البصر .

فقال براق :

١ ــ ان العرب يحافظون على دينهم وعلى حريمهم وقد تفنى القبيلة كلها محافظة على الشرف ، ولكنهم قوم كرام صادقون يأبون الكذب . فهم يخدعون بسهولة بالظواهر المموهة ، فاجعلوا بينكم وبينهم معاهدة على حرية الدين والتعليم والتجارة فهذه تفتح لرهبانكم طريقا بها يبثون التعاليم بين أطفالهم ، فان لم يتبعوا دينكم فهم على الأقل يهملون الحمية الدينية التى تحببهم الى الحرب .

٢ ــ فأما حرية التعليم فانها تولد لهم غلمانا شؤما عليهم لانهم يكونون

مشغوفين بحب معلميهم ، ويبتعدون عن محبة وطنهم .

٣ ــ فأما حرية التجارة فهى التى تضعضع شيئا فشيئا تمسكهم بأزيائهم فضلا عن تجارة الخمر ، فهى الآن محرمة فمتى شاعت بينهم أقدموا على المنكرات بلا مبالاة وفقدوا النخوة والجسوم وفشا بينهم الشر ، وساءت حالهم وارتبكت شؤونهم ، فيساقون كالأغنام .

ولاتنس ياحضرة الدوق ان التأنق فى النعمة والبذخ والاسراف فى الشهوات ، واهمال سير الآباء والجدود من أقوى أسباب انحطاط الممالك القوية .

فلمعت أسرة وجه ابن اذفونش بعد أن كان يلوح عليه اليأس ، وشكر براقا على اخلاصه .

وفى الصباح اجتمع البابا ودوق فنيسيا وبارونات أوربا ببراق وتحدثوا مليا وكتبوا صورة هذه الشروط وأرسلوها معتمدين على أمراء الاسلام فى الأندلس فوصلت شروط طلب الهدنة الى (مالك ابن عباد) بقرطبة وقد فرغ من تحصين مدائنه وقلاعه فدعا قواده وعمال مدائنه وأمراء اشبيلية وطليطلة وبلنسية ومالقة والجزيرة الخضراء وغرناطة ، فحضروا بعد أيام الى قرطبة وهم يختالون على خيولهم ، وكان من بينهم (عدى بن ابى عامر) صاحب بلنسية يتبعه مائتا فارس نعال افراسهم ذهب ابريز ، فنزلوا جميعا برصافة قرطبة ، وكان (مالك ابن عباد) قد بنى بها قصرا فخما تحيط به الحدائق والجنات ، قد جعل فيه تماثيل من فضة بأشكال الطيور والحيوانات تخرج من أفواهها المياه ، وفيها قال ابن زيدون من قصيدة :

قصر يقر العين منه ناظر
بهج الجوانب لو مشى لاختالا

فقبلوا شروط الصلح فعارضهم قيس ابن مصعب وبقى الأمراء فى ضيافة مالك بن عباد شهرا .

ومن رعى غنما فى أرض مسبعة
ونام عنها تولى رعيها الأسد

فلما انقضت أيام الولائم رجع الأمراء الى بلادهم الا عدى بن عامر صاحب

بلنسية فانه بقى مع الأمير يقضى الزمن فى اللهو والصيد والخمر وهكذا بقية الأمراء وشعوبهم يتبعونهم فانحطت الدولة بذلك وزاد فى افسادها تلك المعاهدة فانتشر الرهبان فى أنحاء الأندلس وأخذوا يبثون تعاليمهم ، وكانوا يجتمعون فى أوقات خاصة للتشاور ، وقد شيدوا ضيعة على ضفة نهر قرطبة وسط البساتين ، وكانت منتزها جميلا يؤمه العظماء والأمراء لا سيما أيام الآحاد .

وقال صاحب التاريخ المسمى بالمعجب : لقد جددوا فى عام هذه المعاهدة أربع مدارس كبرى على نفقة (دوق فينيسيا) أحد كبارهم وجعلوا التعليم فيها عاما لمن شاء (بينما كانت مدارس المسلمين بقرطبة وغيرها تكاد تمحى اذ انقضت تعاليمها تماما الا ما يختص بالشريعة) .

فأقبل العرب على تلك المدارس، واختلطوا بالقسيسين والرهبان وتعلموا لغاتهم وجاروهم فى عاداتهم وأخلاقهم وزاد الأمر فى بلنسية فان المبشرين والمعلمين تدخلوا فى كل شىء . لأن نائب عدى عليها المسمى (ابن ذى النون الغافرى) أطلق لهم الحرية التامة حتى اتهمه بعض الوزراء « بأن البابا استماله بالرشوة » .

خيانة جندل بن حمود أمير أشبيلية :

ولقد لعب براق بن عماد دورا مهما هنا ، ذلك أن أمير اشبيلية (جندل بن حمود) لم يمكث فى قرطبة الا ريثما وقع على شروط الهدنة ، وأبى البقاء وعاد الى عاصمته ، وذلك لسر خفى فى نفسه ، ذلك أن أحد معتمدى البابا الذين حضروا الى قرطبة أعطاه خطابا من البابا وعده فيه بأنه يؤمله أن يجعله ملكا مستقلا بولايات الأندلس قاطبة ، وأن البارونات متفقون على نصرته فى أى وقت شاء .

البطريق شيل يصبح قائدا لجيش المسلمين :

ثم ان براقا وفى بعهده لأنه عاهد البابا على أن يدخل بعض البطارقة فى قيادة الجيش ، وقد أخذ البطريق المسمى (شيل) يرافقه فى أيام الصيد وأخذ براق يمدحه عند ابن عباد بالشجاعة ثم أحضره الى الديوان

فقال (مالك بن عباد) وما بلغ من شجاعته يا براق ؟

فقال اختبره ان شئت فقال مالك لتتبارزا فان غلبته فكفاه وان غلبك جعلته من قواد جيشنا ، فتبارزا وتظاهر براق بأنه مغلوب • فتكدر مالك بن عباد لما يعلم من مهارة براق وشجاعته وجعل البطريق قائدا وقربه منه ، فانتخب من أبناء بلاده من أراد لتدريب عسكر المسلمين على استعمال السلاح ، وصارت عواصم الأندلس محط الغرباء ، وراجت التجارة فى البلاد ولا سيما الخمر •

وقد قتل عامله ، وسقطت الحرية، وهذه أول نتيجة للمعاهدة •

ولما رجع دوق فينيسيا الى رومة قص القصص على البابا والبارونات فأيقنوا بتفرق كلمة العرب ، وان الوقت آن لتخريب ممالكهم وتفريق شملهم •

ولقد كان عدد المبشرين بالأندلس ألفا ، وعدد المعلمين بالمدارس التى أنفق عليها البابا ٤٨٥ • وأنفق البابا من خزينته لترويج الخمر خمسمائة ألف (فلورين) •

عن مجلة المجتمع الكويتية

فائدة :

رأيت الاشتغال بالفقه وسماع الحديث لا يكاد يكفى فى صلاح القلب ، الا أن يمزج بالرقائق والنظر فى سير السلف الصالح فأما مجرد العلم بالحلال والحرام فليس له كبير عمل فى رقة القلب ، وانما ترق القلوب بذكر رقائق الأحاديث وأخبار السلف الصالحين . لأنهم تناولوا مقصود النقل وخرجوا عن صور الأفعال المأمور بها الى ذوق معانيها والمراد بها .

ابن الجوزى فى صيد الخاطر

أبطال منسيون

الشيخ أحمد العوام

للدكتور عبد الودود شلبي

كنت فى لندن منذ سنوات ساعيا وراء الحقيقة التى لم يعد لها مكان فى هذه الدنيا .. !

وفى منزل الدكتور عبد الجليل شلبى ـ الملحق بالمركز الاسلامى فى ريجنت بارك Regents, park دخل علينا أخ من السودان يحمل مخطوطة مصورة تحمل اسم هذا الشيخ عثر عليها ذلك الأخ السودانى فى قسم المخطوطات بالمتحف البريطانى وكان اسم هذه المخطوطة « نصيحة العوام » .

وقد حرص هذا الأخ على مراجعتها مع الدكتور عبد الجليل شلبى الذى كان بيته أشبه بالمدرسة ، أو حلقة الدراسة الجامعة لكل فنون الدين والمعرفة .

وفى الحقيقة أننى لم أعر هذه المخطوطة ، ولا اسم الشيخ الذى تحمل اسمه شيئا من المبالاة والاهتمام . كنت مشغولا طوال هذه المرحلة فى البحث عن جامعة أسجل فيها اسمى . وكانت زياراتنا المتكررة لجامعة لندن ، واتصالاتنا الدائبة مع المعنيين بالدراسات الاسلامية فى كمبردج Cambrioge واكسفورد Oxford شغلنا الشاغل ، وكل ما علق بى من أمر هذه المخطوطة أنها ذكرتنى برحلة قمت بها منذ خمسة عشر عاما الى مدينة مرسى مطروح وزيارتى لمسجد هناك اسمه مسجد « العوام » يقع قريبا من ساحل البحر ، ويمتزج سكونه بهدير الأمواج فيحدث فى النفس رهبة آخذة وخشية صادقة .

ومضى أكثر من عامين على هذا اللقاء فى لندن نسيت فيها المخطوطة وصاحبها وناقلها • ثم شاء الله أن أعود اليها باحثا فى كل مكان ، وأن يصبح « الشيخ العوام » جزءا من دراستى العليا فى باكستان •

كنت قد تقدمت ببحث عن «مهدى السودان » الى جامعة Thepunjab للحصول على درجة الدكتوراه وفوجئت أثناء عملى هذا بـ «الشيخ العوام » واقفا الى جوار « المهدى السودانى » مشاركا فى الحركة التى قام بها ضد الغزو البريطانى •

فمن يكون ذلك الشيخ الذى استأثر باهتمامى فجأة وكان مسرح حياته ممتدا على طول الطريق بين الخرطوم والقاهرة ؟

يقول الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف (١) : حاولت بكل جهد أن أقف على شىء من حياة هذا البطل ونشأته • ولكن عبثا حاولت• لقد ظهر أحمد العوام بطلا مكافحا فى صفوف الثورة العرابية بالاسكندرية •• ولكن هل كان أصلا من الاسكندرية ؟ ثم أين تعلم؟ وماذا كان نصيبه من التعليم الذى به تربى وتثقف ؟ انها أسئلة لم نستطع أن نظفر لها بجواب ، ولم أعرف عن « أحمد العوام » الا أنه كان يعمل فى الجمارك أو فى عمل من أعمال البحر • أما ثقافته فتؤخذ من الرسالة التى تركها « نصيحة أحمد العوام » انها كانت ثقافة دينية ترتكز على حفظ القرآن الكريم، ومحصول وافر من الأحاديث النبوية وسيرة النبى والخلفاء الراشدين • ثم الالمام باتجاهات الأمور فى السياسة المصرية ، والسياسة العثمانية ،ومآرب الدول الاستعمارية، على أنه كان يجمع الى ذلك بديهة حاضرة ولباقة بارعة ، وقوة خطابية لها تأثيرها فى اثارة الجماهير •

فهل يعقل بعد ذلك أن يكون مثل هذا الرجل الذى يجمع فى رسالته بين الدين والسياسة ، ويحيط علمه وادراكه بمؤامرات الاستعمار مجهول النشأة والثقافة ؟

---

(١) مجلة الجديد ـ العدد رقم (١١١) ـ أغسطس ١٩٧٦

ان موظف الجمرك أو عامل البحر لا يجد من وقته فراغا لمثل هذه الدراسة ؟

وهل يتصور فى مثل هذا الرجل – بعد نفيه الى الخرطوم – أن يجمع الناس من حوله ، ويؤلف جمعية وطنية من السودانيين الذين تشبعوا بروحه ، ويقول لهم :

« (انها محنة وادى النيل كله ، وأن الانجليز لن يقفوا عند القاهرة ، ولكنهم يريدون أن يتخذوا منها قاعدة للسيطرة على وادى النيل كله ، بل على أفريقيا كلها) » • ثم يصدر بعد ذلك مجلة أو نشرة دورية تندد بهذه المؤامرة ، ويهيب بتركيا أن تبادر الى حشد قواتها فى الخرطوم حتى لا يجرؤ الانجليز على اقتحامها ؟

ان هذه الآراء والأفكار لا يمكن أن تصدر من عامل مكدود مرهق ، أو من موظف يقضى أوقاته بين الميناء والمكتب • لقد كان الشيخ أحمد العوام تلميذا من تلامذة الأفغانى فى مدرسة الثورة ، وكان نوابغ هذه المدرسة من العلماء والازهريين الذين أشربوا روحه وفكره ، وقد أيد ذلك بعض المؤرخين الذين عاصروا هذه الفترة وكانوا على قرب من أحداث الثورتين العرابية والمهدية •

لقد كان العوام عالما أزهريا من أبطال الثورة العرابية الذين نفوا الى السودان عقب اجهاض هذه الثورة •

وقد تصرف هناك بمنطق العالم الذى لا يخاف فى الله لائمة ، ولا تفل عزيمته محنة أو كارثة • وقد قامت الثورة المهدية لنفس الأسباب التى أدت الى قيام الثورة العرابية كانت القضية واحدة ، والمصيبة عامة ، والظلم الذى يقع على أى من الشعبين السودانى والمصرى يتقاسمانه معا بالسوية ، كما كان من أهم أسباب الثورة العرابية التدخل الأجنبى فى شئون الدولة وتحكم المرابين والمستشارين الأجانب فى رقاب الرعية حتى أصبح المصريون فى بلادهم مواطنين من الدرجة الثانية ، وصارت أمورهم فى يد من لا يراعون فيهم ولا فى دينهم الا ولا ذمة •• وانتهى الأمر بالخديوى وحكومته الى

الانحياز الكامل الى القوى الأجنبية والاستعانة بهم فى قمع الحركة الوطنية ، ووقوفهم جميعا فى صف واحد مع القوات البريطانية .

« وفى يوم ٦ رمضان سنة ١٢٩٩هـ انعقد مؤتمر عام فى وزارة الداخلية وبعد تلاوة الأوراق المعروضة للتذاكر فى شأنها صدرت فتوى شرعية من الشيخ العارف بالله شيخ الاسلام والمسلمين السيد محمد عليش ، وشيخ الاسلام الشيخ حسن العدوى ، والشيخ الخلفاوى ، وغيرهم من العلماء بمروق الخديوى توفيق باشا من الدين مروق السهم من الرمية لخيانته لدينه ووطنه وانحيازه لعدو بلاده (١) » .

وكتب المهدى السودانى فى ذلك الى الخديوى توفيق يقول له :

«.. ما كان ينبغى منك أن تتخذ الكافرين أولياء من دون الله وتستعين بهم على سفك دماء أمة محمد — صلى الله عليه وسلم .

فاذا كنت ممن ينظر بعين بصيرته ، ولا يؤثر متاع الدنيا الخسيس على نعيم آخرته فاعتبر بذلك ، وبادر الى النجاة ونزه نفسك من أن تكون فى أسر أعداء الله ، ولا تهلك من كان معك من أمة محمد (٢) » .

كانت المعركة واحدة فى كل من الخرطوم والقاهرة ، ولهذا كان الضباط والجنود المصريون يفرون بأسلحتهم الى معسكر المهدية . وكانت نداءات الأفغانى ومحمد عبده على صفحات العروة الوثقى تهيب بالمصريين ألا يقاتلوا اخوانهم فى العقيدة حتى لا تكون بلادهم وأموالهم غنيمة لصاحب أمرهم من الأجانب وهو (غوردون (٣)) لأن منطق الايمان والعقيدة يرفض رفضا باتا محاربة المسلم لأخيه المسلم ، فاذا كانت هذه الأوامر صادرة من أجنبى

---

(١) مذكرات عرابى صفحة ١٩٦ — ١٩٧ — طبعة دار الهلال .
(٢) منشورات المهدية — جزء ٢ — الانذارات .
(٣) العروة الوثقى — صفحة ٢١٦ — ط سجل العرب — القاهرة .

فى الجنس والعقيدة . فان طاعته فى هــذه الحال تصـبح خيانة للأمة ، وردة بعد ايمان فى العقيدة .

وقد لخص «الصادق المهدى» (١) ما كتبه الشيخ العوام فى رسـالته « نصيحة العـوام للخاص والعام » فيما يأتى :

أولا : أن امامة الخليفة العثمانى سقطت لأنه لم يعـد مطبقا للشريعة الاسلامية ، ولم يعد مستقلا بسيادة دولتــه التى اســتباح حـرماتها الأجانب .

ثانيا : أن ولاية الخديوى توفيق فقــدت شرعيتها لأنهــا تخلت عن الشرع واستغلت شعب مصر ، وظلمت الفلاح المصرى .

لذلك ... وجب على المسـلمين القيام ضد السلطان عبد الحميـد الخليفــة العثمانى ، وضــد توفيق الخديوى المصـرى ، ثم انهما أى السلطان والخديوى ليسـا أهــلا للامامة الاسـلامية بعد أن فقـدا الشروط الواجبـة لاسـتحقاقها ، وتركهما العمل لجمع كلمة المسلمين، وايقاف الحرب الدائرة فى السودان. وهذا دليل على افلاسهما وقد وقع عبد الحميد « السـلطان التركى » وتوفيق (الخـديوى المصرى) فى خطأ فادح لأنهمـا لم يرسـلا الى المهدى العلماء لمناظرته بل أرسـلوا له الجيوش لمحاربته ، وحرضوا عليه موظفيهم من الفقهاء للهجوم عليــه والتشهير به ثم دعا فى نهاية الرسالة جميــع المسلمين لتأييـد المهـدى والوقوف بجانبه . وعندما اطـلع المهدى على رسالة العوام هذه ــ بعد فتح الخرطوم ــ أعجب بها وأمر بطبعها . وهذه الرسالة أى رسالة العوام تشبه فى بعض ما جاء فيهـا ما عبر عنه الامامان الأفغانى ومحمد عبده ــ حيال الدعوة المهـدية ــ فى مجلة العروة الوثقى (٢) » .

بهذا المنطق .. منطق الايمـان والعقيدة . وبهذه الجرأة .. جرأة العالم الذى باع لله نفسه . وقف الشيخ أحمـد العـوام فى وجـه « غوردون » الطاغية . واستعصى

(١) يسألونك عن المهدية . ص ١٥١ ، ١٥٢

(٢) المصدر السابق . ص ١٥٣

بدينه وابائه على كل محاولة ، ودفع ثمن ذلك فى النهاية روحه وحياته .

يقول نعوم شقير (١) :

« وكان فى الخرطوم رجل من خطباء الثورة العرابية يقال له أحمد العوام .. وقد نفى الى الخرطوم بسبب الثورة العرابية . فرأى الثورة المهدية فى وجهه ، فتشيع لها، وقد اطلعت على رسالة له بتاريخ ١٧ رمضان سنة ١٣٠١ هـ سماها « نصيحة العوام » فاذا هى ثورة محضة وقد أعلن فيها تشيعه للثورة المهدية وكرهه للحكومة الخديوية. ومما قاله مشيرا الى موظفى حكومة الخرطوم « وقد طالما جادلتهم بالحق سرا ، ونصحت لهم حتى فى دار الحكومة جهرا . على مرأى ومسمع من وكيلها النصرانى (غوردون) أن يسعوا فى الصلح بين الطائفتين المتحاربتين عملا بأمر الله ، فلم أجد بينهم محقا ، كلا ولا ساعيا بكلمة حق لاخماد هذه الحرب بين المسلمين ، وعباد الله المؤمنين ، ولذلك اعتزلتهم الا من جاءنى يسعى وهو يخشى ، فانى أبذل له محض النصح ، حتى يفتح الله بيننا وهو خير الحاكمين .

وقد أثرت أقواله تأثيرا سيئا فى نفوس أهل الخرطوم فسجنه غوردون وكبله بالحديد .. ثم عفا عنه وجعله معاونا فى الحكمدارية براتب ١٥٠٠ قرش فى الشهر ، ولكن ما لبث أن عاد الى سابق عادته من انتقاد الحكومة ، وتهييج أهل البلاد ضدها . ولما جاء الخبر بزحف المهدى على الخرطوم ، وأعلن غوردون خبر قدوم الجيش الانجليزى جاهر — الشيخ العوام — بتكذيبه وتصديق المهدى ، ولم يقتصر على ذلك . بل أغرى احدى النساء فرمت جمرة من شباك على معمل (الفشكليك) الذخيرة بقصد احراقه ، فسقطت الجمرة على بعض الأوراق فأحرقتها . فشعر بها الحارس فأطفأها ، واعترفت المرأة أن « احمد العوام » هو الذى أمرها بذلك .فأمر غوردون بقتله فقتل فى سراى الشرق .. !

دكتور عبد الودود شلبى

(١) جغرافية وتاريخ السودان الحديث ص٨٢٨ ، ٨٢٩

مع أدب القرآن :

الذين كفروا

للدكتور إبراهيم أبو الخشب

— ٥ —

كانت سورة البقرة وهى تأخذ فى سياقها لبيان المكانة الانسانية لهذا الكتاب الكريم الذى جعلت من شأنه أنه قوة دافقة من الهداية للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم الله ، تتعرض للحديث لما يقابلهم من أصناف الآدميين ممن لم تتفتح قلوبهم للهداية . ولا أفئدتهم للنور ، ولا أبصارهم على الضياء . وهم الكفار الذين أعلنوا التمرد والعصيان والتزموا جانب الباطل ، ولاذوا بكنف الغواية ، وانحازوا الى ناحية غضب الله بما استوجبوه لأنفسهم من اللعنة ، وما انحدروا فيه من سخط رب العالمين ، ثم المنافقون الذين وقفوا فى منتصف الطريق فلم يكونوا فى علانية من أحد الجانبين . ولا على شجاعة كافية لانضمامهم الى معسكر من هذين المعسكرين «واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم» وأصل كلمة الكفر كانت تنصرف عند الاطلاق الى معنى الستر ، ومن ذلك قول القائل الليل ساتر أى يغطى بردائه الأسود الوجوه والمعالم فلا يدرى أحد حال آخر ، وكأنما كان الكافر كافرا أو مستحقا لهذا الوصف لأنه غطى قلبه عن الهداية ، وحجبه عن المعرفة ، وحال بينه وبين الرشد . وعطل الفطرة التى فطره الله عليها . والاستعداد الذى أودعه الله فيه ، وفى الحديث النبوى الشريف ما يفيد أن فى الجسد

مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله ألا وهى القلب ، وكما يكون صلاحه بالعلم والمعرفة ، يكون كذلك تنحيه عن المعوقات المعطلة ، والأمراض الضارة والحواجز المانعة ، ولهذا نرى القرآن يكثر من وصايته للمؤمن صيانة لقلبه من التلف ، وليقينه من الشك ، ولعقيدته من البلبلة ــ ألا يخالط أهل الباطل ، أو يعيش مع أرباب الزيغ ، اذ يقول : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار .. يا أيها آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لايألونكم خبالا .. والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » ونحن نلحظ ــ هنا ــ أن الآية الكريمة تقدم « ان الذين كفروا » بهذا العنوان كما تتقدم الدعوى على دليلها ، أو النتيجة على مقدمتيها . ليكون ذلك أشبه بالمفاجأة المذهلة . أو المباغته الغريبة ، التى لا يكون من ورائها الا الترقب والاستشراف والتطلع والانتظار ، والتلهف الى ما سيجىء بعد هذا كله . وهو أسلوب يدعو الى البحث والنظر وبخاصة اذا أضيف اليه تمام الآية « سواء عليهم » الخ . حتى اذا ما وصل المظاف بصاحبه الى مابعدها من الختم على القلوب والسمع وجعل البصر مغطى عليه بحجاب يحول بينه وبين رؤية الأشياء . آمن أنه لاأمل فى الهداية . ولا رجاء فى الرشد ، ولا ترقب أبدا لأن يستقيم هؤلاء على الجادة . أو يسيروا على السنن أو يرودوا أنفسهم على الحق ، أويحملوها على الصواب ، أويلووا عنانها الى الصراط السوى ، مادامت الوسائل قد تعطلت ، والأسباب قد انعدمت ، والوسائط صارت غير صالحة لأداء مهمتها ، والانصراف الى غايتها ، وهذا الختم الذى كان بمثابة الحاجز الذى جعله الله على القلب فلا يدرك أو يعى ، ولا يشعر أو يحس ، ولايرق أو يهفو ، ولايهتز أو يميل ، ولا ينعطف أو يحن ، ولا يذعن أو يصدق . وعلى السمع ــ كذلك ــ فلا يصل اليه الصوت ، ولا يخترق حجابه النداء ولا يدوى فى داخله لحن ، ثم هذه الغشاوة التى جعلت صاحبها فى ليل سواده من سواد الغراب ، وحيرته توصد فى وجهه الأبواب ، وتملأ طريقه

بالضباب ، وكانت تلك فى اجتماعها أو افتراقها بمثابة الجدار المتماسك القوى الذى لا تستطيع قوة أن تقتحمه أو تنفذ منه ، وعلى هذا كانت سواء عليهم أشبه بالتحدى والاعجاز لأن الايمان لا يستقر فى القلب ، ولا تطمئن له النفس ، ولا ينقاد اليه الفؤاد ، ولا يطيب به الخاطر ، خبط عشواء ، من غير طرق يمر بها ، ومنافذ يسلكها ، وأبواب يلجها ، وتلك هى الحواس الخمس التى جعلها الله سبحانه جنودا للعقل الانسانى الذى جرى القرآن الكريم على تسميته باسم القلب وهو مركز الادراك ، وميزان الصواب والفيصل بين الحق والباطل ، والخير والشر ، والضار والنافع ، وربما كان السمع والبصر من هذه الحواس محل الاهتمام والرعاية دون سواهما من الحواس الأخرى ، واذا كان السمع هو الوسيلة الوحيد الى التلقى من الآخرين ، والأخذ عنهم ، والانتفاع بهم ، والمشاركة لهم فى هواجسهم وأفكارهم ، فان البصر سبيل الى المشاهدة التى هى أقوى سبل الاقناع الذى يصحبه الاطمئنان والتسليم ، والايمان والتصديق ، ولهذا نرى الآيات الكريمة تعول عليه ، وتنادى به ، فى مثل قوله سبحانه : « قل سيروا فى الأرض ثم انظروا ٠٠ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض ٠٠ أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ، والى السماء كيف رفعت ، والى الجبال كيف نصبت ، والى الأرض كيف سطحت » ٠٠ وعلى قدر ما كان الكافر عليه من الاستمرار فى الغواية والاسترسال فى الباطل ، والبقاء فى الجحود ، والاصرار على الطيش ، والتمادى فى الاعراض ، لم تقف الرسالات التى جاءت بها الرسل المتعاقبة منه موقف قلق وخوف ، ومعاناة واهتمام ، لأنه انسان معطل الفكر والرأى ، والعقل والادراك ، والذوق والاحساس ، لكن معاناتها الحقة ، وقلقها الشديد ، وعناءها الدائم ، كان من المنافقين الذين يضمرون غير ما يظهرون ، ويعلنون خلاف الذى كانوا يكتمون ، وانما كانت هذه المعاناة وذلك التعب ، لأنهم لا يعرفون على وجه التحديد

الوضع الذى يضعونهم فيه ، والجماعة التى يلحقونهم بها ، لتكون معاملتهم واياهم على أساس من الحق ، أو أصل من الصدق ، وتلك الأوصاف التى نعتهم القرآن الكريم بها . لم تكن هى كل ما تميزوا به من الشر ، أو اختصوا به من النقص ، أو انفردوا به من العيب ، ولكنهم كالأمراض الخبيثة التى جعل الله فيها ألف جرثومة وجرثومة ، فى الوقت الذى جعلهم يستعصون على الدواء ، ولعل هذا هو السر فى أنهم يوم القيامة يكونون فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا .. والتحليل البشرى لهؤلاء الذين نسميهم فى العرف الأخلاقى بالمنافقين يرى أنهم أحط الطبقات الآدمية طباعا ، وأخسهم نفسا وأقلهم ادراكا ، وأكثرهم جهلا ، وأسفلهم تطلعا وطموحا ، لأنهم فقدوا شجاعة الرأى ، وسلامة الطبع ، وكرم النفس ، وقوة الادراك ، وصحة العقل ، وشرف الذوق ، ومعنى الآدمية وصاروا فى سواد الناس جراثيم سوء . ووباء أمراض ، وعوامل هدم ومن حق الدساتير التى تقطع يد السارق أو رجله أن تقطعهم من جذورهم لأنهم يزيدون على اليد والرجل جوارح أخرى ، خلقها الله للشر ، وجعلها للسوء ، وجندها للفتنة ، ونصبها للايذاء .. والكافر الذى طمس الله على بصيرته ، وختم على قلبه وعلى سمعه ، أذاه يعود على نفسه . وضرره لا ينال غيره . أما أمثال هؤلاء فانهم جراثيم تتمكن فى الأرض ، وتنتشر فى الأنحاء ، وتمتد حبالها بين الناس .

د. ابراهيم على أبو الخشب

دين يلعن الظلم

وللترمذى أن أحب الناس الى الله يوم القيامة وأدناه مجلسا امام عادل . وأبغض الناس الى الله وأبعدهم منه مجلسا امام جائر ..

رأى الصديق فى شرف الامارة

للأستاذ السيد حسن قرون

الامارة ـ كما كانوا يقولون ـ أو الرئاسة ـ كما نقول اليوم ـ أمر طبيعى وضرورى لحياة البشر ، اذ عليها قوام حياتهم ، وتنفيذ شرائعهم ، واشاعة الأمن بينهم حتى ينصرفوا الى أداء الأعمال ، وتوفير مطالب العيش ، وقد عرفها الجاهلى كما عرفها الاسلامى وهى علامة الرقى فى سائر الشعوب والأمم ، ومن ثم دعا اليها الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أثر عنه من أن الثلاثة يجعلون عليهم أميرا منهم لينظم أمرهم ، وتنعقد قلوبهم على المودة والوفاء ، ويقول الشاعر الجاهلى الأفوه الأودى :

لايصلح الناس فوضى لاسراة لهم
ولا سراة اذا جهالهم سادوا

وهو لا يريد الجهل الذى هو ضد العلم ، انما يريد السفه والطيش الذى هو ضد الرزانة والوقار ، ولا جدال فى أن السفهاء اذا تولوا أمر العباد أفسدوا ، وقوضوا البناء ، وشوهوا الجمال ، لذلك كان الرؤساء العقلاء مصدر الراحة ، ومنبع النعيم ، وحبهم لمن يرعونهم يزيدهم اقبالا على صنع الخير ، واسداء البر ، والسهر على رفاهية الرعية يجدون فى ذلك هناءتهم وسعادتهم ، ويتحدث ابن خلدون عن « خلق (١) السياسة » فيقول عمن يخدمون أوطانهم ورعاياهم : « انهم يتنافسون فى الخير وخلاله من الكرم والعفو عن الزلات ، والاحتمال من غير القادر ، والقرى للضيوف ، وحمل الكل وكسب المعدم ، والصبر على المكاره والوفاء بالعهد ، وبذل الأموال فى صون الأعراض ، وتعظيم الشريعة ، واجلال العلماء الحاملين لها

(١) المقدمة ـ علامات الملك التنافس فى الخلال الحميدة .

والوقوف عندما يحددونه لهم من فعل أو ترك وحسن الظن بهم ... والانقياد الى الحق مع الداعى اليه ، وانصاف المستضعفين من أنفسهم والتواضع للمسكين ، واستماع شكوى المستغيثين ، والتدين بالشرائع والعبادات والقيام عليها وعلى أسبابها ، والتجافى عن الغدر والمكر والخديعة ونقض العهد» فاذا كان عكس تلك الخلال ساءت الحال ، « واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » ولأن الرئاسة تتوخى العدل وتتحرى الصدق نرى كثيرا من أسلافنا عزفوا عنها ، وفروا من مغرياتها ، وحذروا من الاقتراب منها ، وفى مقدمة هؤلاء أبوبكر الصديق الذى نصح بترك التطلع اليها والمنافسة فيها لما يترتب على الخطأ فى تطبيقاتها من أوزار يثقل حملها فى الدنيا والآخرة .ورأى الصديق رضى الله عنه جاء عن تجربة ونظر ثاقب،حدث ذلك الرأى فى غزوة « ذات السلاسل » قال الرواة(١) :

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عمرو بن العاصى الى أرض بنى عذرة ، وكانت أم العاصى بن وائل — والد عمرو من قبيلة (بلى) ليستألفهم وليسيروا معه ويكونوا حربا على الروم بالشام .

وكان عمرو حديث العهد بالاسلام، ولم تظهر بطولته بعد ؛ فعلى مدى الحروب التى شنتها قريش وأحلافها على نبى الاسلام لم يكن عمرو من فرسانها أو المشاركين فيها ؛ لأنه كان رسول قريش الى النجاشى ملك الحبشة ليرجع بمهاجرى المسلمين الى مكة ، وقد أخفق وعاد بخفى حنين ، ثم أسلم وحسن اسلامه ، فاختياره لتلك الغزوة كان لتلك القرابة التى أشرنا اليها سابقا ،فلما بلغ ماء بأرض جذام يقال له (السلسل) وبه سميت غزوة « ذات السلاسل » خاف ، فبعث الى رسول الله يستمعه ، فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح فى المهاجرين الأولين ، فيهم أبوبكر وعمر وقال لأبى عبيدة حين وجهه : لا تختلفا .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام والطبقات للواقدى ، وتاريخ الطبرى .

تحرك أبوعبيدة بجيشه من المدينة وسار حتى التقى بعمرو ،وهنا حدث الأمر الذى توقعه الرسول : قال عمرو بن العاصى لأبى عبيدة : انما جئت مددا لى . قال أبو عبيدة : لا ، ولكننى على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه ، وأصر عمرو على رأيه قائلا له : بل أنت مدد لى . قال الرواة : وكان أبو عبيدة رجلا لينا سهلا هينا عليه أمر الدنيا فقال لعمرو: ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى : لا تختلفا، وانك ان عصيتنى أطعتك. قال عمرو: فانى الأمير عليك وأنت مدد لى . فدونك ، فصلى عمرو بالناس .

ومن الطبيعى أن ما جرى بين القائدين ترك أثره فى الأجناد ، وجعل بعضهم يتطلع الى الامارة ، ويراها شرفا لمن يحصل عليها ،من هؤلاء: (رافع بن أبى رافع الطائى) الذى اتخذ فى هذه الغزوة أبا بكر صاحبا ، ليأخذ عنه ، ويتعلم منه ، ويقص رافع قصته فيقول : كنت امرأ نصرانيا وسميت (سرجس) فكنت أدل الناس وأهداهم بهذا الرمل ــ يعنى الصحراء ــ كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية ، ثم أغير على ابل الناس ، فاذا أدخلنا الرمل غلبت عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه ، حتى أمر بذلك الماء الذى خبأته فى بيض النعام ، فاستخرجه فأشرب منه . فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص الى ذات السلاسل ، فقلت : والله لأختارن لنفسى صاحبا ، فصحبت أبا بكر ، فكنت معه فى رحلة ، وكانت عليه عباءة فدكية ، فكان اذا نزلنا بسطها ، واذا ركبنا لبسها ، ثم شكها عليه بخلال ــ وذلك الذى يقول أهل نجد حين ارتدوا كفارا : نحن نبايع ذا العباءة ؟ فلما دنونا من المدينة قافلين : قلت : يا أبا بكر ، انما صحبتك لينفعنى الله بك فانصحنى وعلمنى . قال أبو بكر : لو لم تسألنى ذلك لفعلت . فما نصائح أبى بكر

له ؟ قال : آمرك أن توحد الله ولا تشرك به شيئا ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولا تتأمر على رجل من المسلمين أبدا . وقد وافق رافع على كل تلك النصائح ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ماعدا النصيحة الأخيرة، فقال : « وأما الامارة فانى رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس الا بها ، فلم تنهانى عنها ؟ » قال أبو بكر ، انك استجهدتنى لأجهد لك ، وسأخبرك عن ذلك : ان الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها ، فلما دخلوا فيه كانوا عواذ الله وجيرانه وفى ذمته ، فاياك لا تخفر(١) الله فيتبعك الله فى خفرته ، فان أحدكم يخفر فى جاره ، فيظل ناتئا عضله غضبا لجاره ان أصيبت له شاة أو بعير ، فالله أشد غضبا لجاره . ثم افترقا .

ورافع الطائى — من قصته — نعلم أنه كان لصا فاتكا ولم تمنعه نصرانيته — فى الجاهلية — من السلب والنهب ، والتغلب على الناس بالهرب الى الصحراء القاتلة التى أمنها هو بحيلته وهى الاحتفاظ بالماء فى بيض النعام ، وشأن مثل هذا ليس مؤهلا للامارة وسيادة الناس ، فلما أسلم وغزا شاهد نزاعا حول الامارة فظنها خيرا ونفعا لصاحبها ، ولم ينظر الى جدال القائدين ، فعمرو يتمسك بحق ويدافع عنه ، ويرى نفسه أهلا لقيادة الجيوش ، وأنه ان تأخر اسلامه لا يمنعه ذلك من الحرص على أداء حق الجهاد ، وأنه اختار رسول الله فى البدء به فى تلك الغزوة ورأى أبا عبيدة مددا له . وأبو عبيدة لسابقته فى الاسلام ، ومكانته من الجهاد فى الغزوات كلها ، وأنه قتل

---

(١) لا تنقض عهده .

أباه فى غزوة بدر ، وأنه ثبت فى غزوة أحد حين فر الناس ونزع المغفر من وجه الرسول بثنيته فسقطت فصار أثرم ، وفوق ذلك كله « أمين هذه الأمة » كما يقول الرسول ، له حين يحضر حق الامارة ، ومع ذلك فقد حسم النزاع وسلم القيادة لعمرو بن العاص . لم ينظر رافع لهذا ، وانما نظر اليها وجاهة وعزا وسلطانا ، وشرفا يتنافس الناس فيه ، وكان أن حذره أبو بكر منها ، وبين له غضب الله على من يسىء الى عواذه وجيرانه وهم المسلمون الذين دخلوا فى هذا الدين ، ومتى يسلم الحاكم من خطأ أو ظلم أو اشتغال عن مظلوم بغيره أو تقصير فى البناء والتعمير ؟ أو اهمال غير مقصود ، أو اختيار لموظف غير أمين الى غير ذلك مما يوجب عقاب الآخرة .

وكأن رافعا لم يسترح الى تحذير أبى بكر فى هذا الشأن ، وكأنه يرصده ليرى ماذا يفعل لو عرضت عليه الامارة ، وكان أن أصبح خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهنا يقول رافع : فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر أبو بكر على الناس قدمت عليه ، فقلت له : يا أبا بكر : ألم تك نهيتنى أن أتأمر على رجل من المسلمين ؟ قال : بلى ، وأنا الآن أنهاك عن ذلك . فقلت له : ما حملك على أن تلى أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك بدا ، خشيت على أمة محمد — صلى الله عليه وسلم — الفرقة .

كلمة صدق من صديق ، أول من أسلم من الرجال ، وثانى اثنين اذ هما فى الغار ، واختيار الرسول فى مرضه ليؤم المسلمين فى الصلاة ، شارك فى بناء الدولة الناشئة من أول يوم شع فيه نور الرسالة ، انه يخشى الفرقة ، فمن ثم حين سمع باجتماع الانصار تحت سقيفة بنى ساعدة غشى القوم فى مجتمعهم ، وكان معه عمر رضى الله عنه ، ووافاهما أبو عبيدة بن الجراح ، ولما خطب الأنصار ، وذكر جهادهم فى سبيل الدين ، قال أبو بكر : أما ما ذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ، ولن

تعرف العرب هذا الأمر الا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيد عمر وبيد أبو عبيدة وهو جالس بينهما ، فأبو بكر حين سعى الى اجتماع السقيفة كان ايمانه يدفعه الى حفظ الملة ودفع الفرقة ، ولم يقل أنا ، وانما غيرى ، ونظرته سليمة ، فقريش هى الجمهور الذى بيده اعتدال الميزان فى ذلك الزمان ، فقد كانت العرب محجمة عن الدخول فى دين الله ، فلما أسلمت قريش دخل الناس فى دين الله أفواجا ، فحين يكون الأمر فى أيديهم يمتنع الخلاف ، وتستقر الأمور ، ويؤيد ما نذهب اليه أنه حدث حين أظلمت غاشية الردة أن اجتمع بعض سادة المسلمين للتفكير فى الرجة التى تفاقمت بعد أن انتقل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جوار ربه فمر عليهم عمر ، فقال لهم : ماتصنعون ؟ قالوا نفكر فيما حدث . قال لهم : لو سلكت قريش جحرا لسارت وراءهم العرب ، فهو يدعوهم الى ترك الأمر للخليفة أبى بكر يعالجه بايمانه ورأيه — والأحداث جاءت دليلا قاطعا على ذلك ، فما ان قال عمر لأبى بكر : أبسط يدك يا أبا بكر فبسطها ، فبايعه المهاجرون ثم بايعه الأنصار ، ولم تسمع بعد ذلك خلافا من الأنصار ، انما كان الخلاف فيما بعد بين بطون قريش .

فأبو بكر أزهد الناس فى الرئاسة ، وأبعدهم عن طلبها ، ولعل رافعا الطائى عرف كما عرفنا ، وتنبه لما تنبهنا له . والذين اختارهم أبو بكر للعمل معه لم يخترهم لميل أو هوى انما اختارهم لكفاءتهم ومنزلتهم الدينية والحربية ، ولم ينظر الى من يطلب الامارة أو القيادة ، بل وضع نصب عينيه المصلحة العامة مصلحة الأمة الاسلامية ، فكل من اختارهم أدوا العمل بجدارة واخلاص ، وناهيك بمن اختارهم ، وفى قدمتهم خالد بن الوليد سيف الله المسلول ، وأبو عبيده بن الجراح أمين هذه الأمة ، وقد نزع اللواء من يد خالد بن سعيد الأموى لقولة قالها من

أن هـذا الأمـر يجب أن يكون فى (بنى عبد مناف) يريد أحد رجلين : على بن أبى طالب أو عثمان بن عفان فأبو بكر يريدها صافية نقية بعيدة عن العصبية أو المطلب الشخصى ، وحين اختار من بعده ، اختار رجلا ليس من أسرته وهو عمر بن الخطاب، وهـذا التعيين نفسه قصد به درء الخلاف ، فالجيوش الاسلامية فى اشتباك مع العـدو شرقا وشمالا ، والأمر لا يحتمل الانتخاب والتحزب، وبذلك نجى المسلمين من الفرقـة ، ودفعهم الى الأمجاد .

رضى الله عنه فقد كان للمسلمين اماما فى الصـلاة والسياسـة على السواء .

السيد حسن قرون

الحسنات قسمان :

« الحسنات قسمان : قسم سلبى ، واخر ايجابى وانت
اذا اعتزلت الدنيا فى غار بسـفح جبل تعبـد فيه ربك ولم
تبرحه طول حيـاتك ، تصرف أوقاتك بالتبتل الى الله ، فان
أحسن ما يقـال فى مدحك أنك اتقيت الشر ، ولم تقترف
سيئة تذم عليها .

فعلت من الناحيـة الايجابية من خير : هل حملت كلا ، أو
وذلك من الحسنات الا أنها حسنات سلبية . ولكن ماذا
نصرت مظلـوما ، أو كسبـت معدما أو أطعمت جائعا ، أو
كسوت عاريا ، أو سـاعدت فقيرا ، أو ذدت عن ضعيف أو
هديت ضالا ؟

سليمان الندوى « الرسالة المحمدية »

الحياة والكون بين الدين والعلم

للدكتور عبد الرحمن عميرة

يقف العقل البشرى مذهولا أمام التطـور العظيـم الذى أحـرزته الانسانية فى القرن العشرين فى بعض جوانب المـادة ، هذا التطور الذى لم يحققه جيل من الأجيال السـابقة ولم تحلم بـه البشرية فى تاريخهـا الطويل . فهل استطاع الانسان عن طريق العلم أنيكشف مغاليق الكون ويتعرف على أسرار الوجود ؟

لا يسـتطيع منصف أن ينـكر ما أحرزه الانسان من تقدم فى مجال العلم الطبيعى . ولكن يبقى سؤال آخـر .

هل وفق العـلم فى الاجابة على بعض التساؤلات التى تحـوك فى داخلنا ولا نجد لها جوابا ؟

وعندما أدخل العلم النفس البشرية الى معمله ووضعها تحت مجـاهره ومعـداته أتراه عرف السير داخل دروبها ومسـالكها وفض الأختام عن أسرارها ومعمياتها ؟

يقـول « شاشاوان » مهما يكن تقـدمنا العجيب فى العصر الحاضر علميـا ، وصناعيا ، واقتصـاديا ، واجتماعيا ، ومهما يكن اندفاعنا فى هذه الحركة العظيمة للحياة العملية وللجهاد والتنافس فى سبيل معيشتنا ومعيشة ذوينا ، فان عقلنا فى أوقات السكون والهـدوء ، عظاما كنا أو متواضـعين ، خيارا كنا أو أشرارا يعود الى التأمل فى هـذه المسائل الأزلية .

لم ، وكيف كان وجودنا ووجود هـذا العالم .. ؟ والى التفكير فى العلل الأولى أو الثانية ، وفى حقوقنا وواجبنا .. ؟ (١) من يجيب عـن هذه الآسئلة .. ؟

---

(١) نقلا عن بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ـ د. عبد الله دراز.

أيجيب عنها العلم الجبار المكتسح فى داخل معمله .. ؟

أيجيب عنها العلم المادى أم العلم الانسانى .. ؟

أيجيب عنها علم الطب ، أم علم التشريح ، أم علم النفس .. ؟ لو كان الأمر أمر « شاشاوان » أو مجموعة من الناس ، أو جيل من الأجيال ما كان هناك بأس ..

ولكن الأمر أمر البشرية كلها ، أمر الأجيال السابقة ، والأجيال اللاحقة .

يقول « بارتيلمى سانت هيلير » : هذا اللغز العظيم الذى يستحث عقولنا ، ما العالم .. ؟ ما الانسان .. ؟ من أين جاء .. ؟ من صنعهما .. ؟ من يدبرهما .. ؟ ما هدفهما .. ؟ كيف بدءا .. ؟ كيف ينتهيان .. ؟ ما الحياة .. ؟ ما الموت .. ؟ ما القانون الذى يجب أن يقود عقولنا أثناء عبورنا فى هذه الدنيا .. ؟

هل يوجد شىء فى هذه الحياة العابرة .. ؟ وما علاقتنا بهذا الخلود (١) .. ؟

يقول بعض المفكرين : ان العلم قد أوجد الأصول والقواعد النهائية للحقيقة ولم يترك للمستقبل الا النظر فى التفاصيل (٢) ..

اذن العلم ، والعلم وحده ، هو الساحر الذى يجيب على تساؤلات البشرية وينقذها من هذه الحيرة .

ولم لا .. ألم تترك أوربا المجال للعلم ليقتحم كل شىء .. ويجيب على كل شىء .

ولكن « وليم جيمس » وهو من أشهر مفكرى أمريكا على الاطلاق ، وأحد قادة الفكر الحديث فى التربية وعلم النفس يقول ردا على أولئك الذين بهرهم العلم فسلموا مقاليدهم اليه :

(١) نقلا عن بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان — د. عبد الله دراز.

(٢) كتاب ارادة الاعتقاد تأليف وليم جيمس ترجمة الدكتور محمود حب الله .

ان أدنى تدبر وتأمل فى الحالات الواقعية يبين ضلال مثل هذه الفكرة وبعدها عن الصواب . اذ أنها لا تصدر الا عن شخص ضعفت عنده قوة الخيال العلمية ، فهل من المعقول اذن لعلم محدود مثل هذا ولمعرفة نمت فى وقت قصير ولم تنضج بعد أن يكون أكثر من ومضة من المعرفة الحقيقية للعالم ، حينما يفهم فهما دقيقا ويدرك ادراكا شاملا — ان معرفتنا ليست الا قطرة بجانب بحر ، ألا وان البحر هو جهلنا ، ومهما يكن من يقين أو من عدمه حول كثير من الأشياء فان عالم المشاهدة محاط بعالم آخر أكبر منه ولكننا لا نعرف فى الوقت الحاضر شيئا عما يتصف به من صفات ايجابية (١) ..

ان هذا التقدم العظيم فى مجال العلم والتكنولوجيا وفى مجال الطبيعة والوجود ليس الا قطرة من بحر وذرة من رمل . يقول هذا الكلام رجل عرف خبايا العلم ودرس أصوله وقدراته وعاش فى أمريكا حيث مجالات العلم ومعامل الاختراع التى لا تكف عن الجديد.

وصدق ربى فى قوله :

« وما أوتيتم من العلم الا قليلا » (٢) .

وهذا العجز الذى صوره « وليم جيمس » هو فى عالم الطبيعة عالم المادة فاذا أردنا أن نتعرف على ما وصل اليه العلم بالنسبة لهذا الكائن العجيب الذى يسمى الانسان وتتأمل فى أجهزته الدقيقة « صنع الله الذى اتقن كل شئ » (٣) نرى عالما آخر هو الدكتور «ألكسيس كاريل» يقول :

لست فيلسوفا ولكنى رجل علم فقط ، قضيت الشطر الأكبر من حياتى فى المعمل أدرس الكائنات

---

(١) كتاب ارادة الاعتقاد .
(٢) سورة الاسراء آية رقم ٨٥
(٣) سورة النمل آية رقم ٨٨

الحيــة »، والشــطر الباقى أراقب بنى الانسان وأحاول أن أفهمهم(١).

ماذا كانت ثمرة هــذه الدراسة الجادة الممتدة ... ؟ وبماذا عاد هو وأمثاله من خبرات بعد هــذا العمر الطويل الذى قضــاه فى المعمل ومع الناس .. ؟ يجيبنا على هذا بقوله :

« واقع الأمر أن جهلنــا مطبق ، فأغلب الأســئلة التى يلقيهــا على أنفسهم أولئــك الذين يدرســون الجنس البشرى تظل بلا جواب، لأن هناك مناطق غير محدودة فى دنيانا الباطنية ما زالت غير معروفة »، فنحن لا نعــرف حتى الآن الاجــابة على أسئلة كثيرة مثل :

١ ــ كيف تتحــد جزئيات المواد الكيمــاوية لــكى تكــون المركب والأعضاء المؤقتة للخلية .

٢ ــ كيف تقرر «الجنس» ناقلات الوراثة فى نواة البيضة . صــفات الفرد المشتقة من هذه البويضة .. ؟

٣ ــ كيف تنتظم الخلايا فى جماعات من تلقــاء أنفسها مثــل الأنسجة والأعضاء فهى كالنمل تعرف مقدما الدور الذى قرر لها أن تلعبه فى حياة المجمــوع ، وتســاعد العمليــات الميكانيكية الخفية على بنــاء جسم بسيط ومعقد فى الوقت ذاته .. ؟

وهناك أسئلة أخرى لا عداد لها يمكن أن تلقى فى موضوعات تعتبر فى غاية الأهمية بالنسبة لنا ، ولكنها ستظل بلا جواب .. ؟

ومن الواضح أن جميع ما حققه العلماء من تقدم فيما يتعلق بدراسة الانســان غــير كاف . فان معرفتنا بأنفســنا مــا زالت بدائيــة فى الغالب .. » (٢) .

واذا كانت هذه هى قدرات العلم ووسائله .

تتقدم ولكن فى مجال محدود .

وترسل أضواءها لتكتشف ولكن فى دائرة لا تتعداها .

---

(١) الانسان ذلك المجهول « الكسيس كاريل » .

(٢) المصدر السابق :

وهناك أمور يقف أمامها العلم عاجزا لم يلج معمياتها بعد فماذا تفعل ٠٠ ؟

أنلجأ الى العقل لعله يكشف لنا النقاب عن هذه الأسرار ٠٠ ؟

وهل فى مقدوره اقتحام أسوارها وفض كنوزها ٠٠ ؟

لنسر معه جولة أخرى فمن يدرى ٠

لقد نادى مفكرو عصر التنوير فى القرن الثامن عشر بوجوب سيادة العقل كمصدر للمعرفة على غيره ٠

من هؤلاء الفيلسوف الألمانى ولف Wolf ولسبخ Lessing
وفى انجلترا : لوك joun Lock
وفى فرنسا : فولتير Voltaire
وبايل Bayle ولامترى Lamettree

وللعقل عند هؤلاء الحق فى الاشراف على كل اتجاهات الحياة ، وما فيها من سياسة وقانون ودين ٠

ومن أجل ذلك وجدت الخصومة الفكرية بين العقل والدين ، واتجه التفكير فيه الى اخضاع الدين للعقل ، لذلك عد زمن هذا العصر فترة سيادة العقل ٠

ولكن الفيلسوف « بلانش Ballanche » يهاجم هذا الاتجاه وينقد سيادة العقل كمصدر وحيد للمعرفة ويذكر أن فلسفة التنوير أخطأت عندما قصدت الى أن العقل وحده ومن نفسه يمكن أن يوجد الحقيقة وينظم الجماعة فاذا ما تركنا « بلانش » واتجهنا الى فيلسوف آخر هو « برجسون » نراه يقول عن العقل :

« ان العقل يتصف بعجز طبيعى عن فهم الحياة » وصاحب المذهب التجريبى يقول : « غاية المعرفة الانسانية هى تحصيل علل الظواهر الطبيعية وترتيب آثارها فى دائرة قليلة من العلل العامة أما محاولة كشف علل أخرى لهذه العلل العامة أو كشف علة واحدة مشتركة لها فهى محاولة غير مجدية من الطريق الانسانى ٠ أى لايصل اليها الانسان وصولا علميا يقينيا » (١) ٠

---

(١) الفكر الاسلامى وصلته بالاستعمار الغربى ــ د/ محمد البهى ٠

فالحقائق الدينية لا يمكن أن تعلم أبدا عن طريق الانسان سواء بعقله أو حواسه ــ نقصد بعض الحقائق ــ وانما يصدق الانسان بها فقط فاذا ما اتجهنا الى الاسلام لنتعرف على رأيه بالنسبة للعقل فنراه يقرر أن العقل هو الأداة التى وهبها الله للانسان وزوده عن طريقها بالوسائل التى تحقق له الخلافة فى الأرض ولم يكلفه أكثر مما يطيق ، وفى الكون أمور لا يحيط بها ادراك العقل ولا تستوعبها أدواته المحدودة التى زوده الله بها ولكن مع ذلك وعن طريق هذه الآلة التى تسمى العقل يتحقق لهم ما يريدون فى رحلتهم القصيرة ــ رحلة الحياة ودور العقل فى الاسلام هو التلقى عن الرسول والالتزام بالوحى .

يقول الدكتور عبد الحليم محمود : « وصلة الدين بالعقل تتلخص فيما يأتى :

١ ــ جاء الدين هاديا للعقل فى مسائل معينة هى أولا ما وراء الطبيعة أى العقائد الخاصة بالله سبحانه وبرسله وباليوم الآخر وبالغيب الالهى على وجه العموم .

٢ ــ فى مسائل الأخلاق ــ أى الخير والفضيلة وما ينبغى أن يكون عليه السلوك الانسانى ليكون الشخص صالحا .

٣ ــ فى مجال التشريع الذى ينتظم به المجتمع وتسعد به الانسانية وجاء الدين هاديا للعقل فى هذه المسائل بالذات لأن العقل اذا بحث فيها بحثا مستقلا بنفسه فانه لا يصل فيها الى نتيجة يتفق عليها الجميع .

جاء الوحى هاديا للعقل وقائدا له فى الأمور التى لا يتأتى للعقل أن يلج ميادينها أو يقتحم حماها أو يدلى فيها برأى يتفق عليه الناس » (١) .

وليس من اختصاص العقل فى الاسلام أن يوازن بين مقرراته الخاصة ومقررات الله .

ان له أن يعارض مفهوما عقليا بشريا للنص بمفهوم عقلى بشرى

---

(١) الاسلام والعقل : دكتور عبد الحليم محمود .

آخر هذا مجاله ولكنه ليس حكما فى المقررات الدينية ، ليس حكما له الحرية فى أن يصحح ويبطل ، أو يقبل ويرفض والا لوقع فى دائرة المحظور .

يقول تعالى :

« أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض » .

فاذا ما أردنا أن نتعرف على آراء المفكرين بالنسبة للعقل رأينا المفكر الانجليزى الذى عاش فى القرن التاسع عشر الميلادى يكاد يلخص مذهبه ونتاج فكره فى عبارته التى يقول فيها :

« نحن لا نعرف شيئا وسوف لا نعرف شيئا » (١) .

أفشل العقل اذن وألقى كل أسلحته ؟ أهناك منطقة محرمة عليه لا يمكن أن يطرقها .. ؟

اذن ماذا نفعل..؟ وأين نتجه..؟

أنلجأ الى الدين .. ؟

ولكن قبل أن نطرق بابه ونقف على أعتابه يجب أن نتعرف عليه حتى نكون على بصيرة منه .

ان علماء المسلمين يعرفون الدين بأنه .. الوضع الالهى السائق لذوى العقول السليمة باختيارهم الى الصلاح فى الحال والفلاح فى المآل .

ويمكن تلخيصه بأن نقول : الدين وضع آلهى يرشد الى الحق فى الاعتقادات والى الخير فى السلوك والمعاملات (٢) .

ويقول « شلشرون » فى كتابه (عن القوانين) : الدين هو الرباط الذى يصل الانسان بالله » .

ويقول « كانت » (فى كتابه الدين فى حدود العقل) : الدين هو الشعور بواجباتنا من حيث كونها قائمة على أوامر الهية » .

---

(١) كتاب منبع الأخلاق والدين : هنرى برجسون ــ تعريف سامى الدروبى وزميله .

(٢) كتاب بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان د . عبد الله دراز .

ويقـول « روبرت سبنسر » فى خاتمـة كتاب (المبادىء الأولية) : الايمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية ولا المكانية : هـو العنصر الرئيسى فى الدين (١) •

أما «وليم جيمس» صاحب كتاب ارادة الاعتقـاد فيتوسـع فى معنى كلمة « دين » بقوله : « دلت كلمة الدين فى تاريخ الفكر الانسانى على كثـير من المعـانى ، ولكنى حـين أستعملها الآن أقصد بها ما هو فوق الطبيعة مقـررا بذلك أن ما يدعى بنظـام الطبيعة الذى يتضمن عالم التجربة ليس الا جزءا من مجموعة الكون ، وأن هناك وراء هذا العالم المشاهد عالمـا آخر غير مشـاهد • لا نعرف الآن عنه شيئا ايجابيـا ، ولكننا ندرك أنه ليس لحياتنا هـذه من قيمة الا فى علاقتها وارتباطها به ، وليس للعقيدة الدينية عنـدى من معنى « مهما يكن شأن ما تضمنته من تفاصيل الا الاعتقـاد فى وجود نظـام خفى غير مشـاهد يمكن أن توجد فيه حلول لطلاسم ذلك النظام الطبيعى •

ترى الأديان العليا أن هذه الدار ليست الا مدخلا وطريقا لعالم آخر أكثر منها حقة وأدوم بقاء » (٢) •

ان « وليم جيمس » يقـرر أن الأديان السماوية فيهـا الاجابة على أسـئلة البشرية وفيها حل الطلاسم والألغاز التى تعترض حياتنا » •

الأديان السماوية هى التى تستطيع أن تقرر وتقول : من أين والى أين••

وفى القـرن السـابع عشر قام « سبينوزا » Spinoza ١٦٣١ / ١٦٧٧ م و « وليبنيتز » Leibniz ١٦٤٦/١٧١٦ م • و « لوك » Locke ١٦٣٢ / ١٧٦٤ م •

---

(١) كتاب بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان د. عبد الله دراز.

(٢) كتاب ادارة الاعتقاد ـ وليم جيمس ـ ترجمة الدكتور محمود حب الله .

وأراد ثلاثتهم أن يجمعوا الطوائف المسيحية فى أوروبا الغربية طوائف الكاثوليك وأتباع لوثر ، والمصلحين للاتفاق على معنى الدين ومعرفة أساسه ، وكان مما توصلوا اليه :

« ان الدين هو الايمان الكامل بالوحى الالهى » ..

وعرفوا الوحى الالهى بأنه « ما كان فوق العقل البشرى » ، ولكن ينسجم مع العقل . أى أن الذى يعتبر أن يكون وحيا هو ما لا يستطيع العقل أن يجده من نفسه ، ولكن مع ذلك يمكن أن يفهمه فى وفاق وانسجام مع تفكيره الصحيح » (١) .

ولكن أكل الناس يؤمنون بالدين ويعترفون به ؟ حتى ولو لم يطبقوه على حياتهم وينفذوه فى سلوكياتهم؟

ان هناك أفرادا من البشرية تنكر للدين جملة وترفض الوحى من أساسه وتعلل الديانات تعليلا لا يتفق مع العقل ولا يتوافق مع الواقع من هؤلاء السوفسطائيون الذين يقولون:

« ان الانسان كان فى أول نشأته يعيش بغير رادع من قانون ولا وازع من خلق ، وانه كان لا يخضع الا للقوة الباطشة .

فاذا ما تركنا عصر السوفسطائيين وذهبنا الى عصر التنوير كما كان يسمى فى أوروبا نجد « فولتير » يقول :

« ان الانسانية لابد أن تكون قد عاشت قرونا متطاولة فى حياة مادية خالصة قوامها الحرث والنحت والبناء والحدادة ، والتجارة ، قبل أن تفكر فى مسائل الديانات والروحانيات » .

بل ان فكرة التأليه انما اخترعها دعاة ماكرون من الكهنة والقساوسة الذين لقوا من يصدقهم من الحمقى والسخفاء » (٢) .

---

(١) الفكر الاسلامى وصلته بالاستعمار الغربى — د/ محمد البهى .
(٢) كتاب بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان — د. عبد الله دراز

ولكن معجم « لاروس » للقرن العشرين : يرى أن التدين فطرة ونزعة في داخل النفس لا يمكن الفكاك منها .

ونص عبارة المعجم : أن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها الى الحياة الحيوانية ، وأن الاهتمام بالمعنى الالهى وبما فوق الطبيعة ، هو احدى النزعات العالمية الخالدة للانسانية » .

ويقول أيضا : ان هذه الغريزة لا تختفى بل لا تضعف ولا تذبل الا فى فترات الاسراف فى الحضارة وعند عدد قليل جدا من الأفراد»(١) .

فاذا أردنا أن تتعرف على عالم مثل « فرويد » (٢) نراه أطلق أسطورته الكريهة المبنية على العشق الجنسى الذى يحسه الأولاد نحو الأم .

وعن طريق هذه الأسطورة يبنى جذور الديانات التى عرفتها البشرية .

تقول الأسطورة : ذات يوم فى الماضى السحيق الموغل فى الظلمات ارتكبت البشرية جريمة مروعة .

أحس الأولاد برغبة جنسية نحو أمهم ، ولكنهم وجدوا أباهم حائلا دون الوصول الى هذه الشهوة فقرروا أن يقتلوا أباهم ليخلولهم الطريق ، وبالفعل قتلوه .

وما أن أتموا فعلتهم الشنيعة حتى أحسوا بالندم على ما قدمت أيديهم فأقسموا ليقدسن ذكراه ، فعبدوه ونشأت بذلك أول عبادة فى الأرض عبادة الأب ، التى تحولت فيما بعد الى عبادة الطوطم وهو حيوان تعبده القبيلة كلها وتعتقد أن دماءه تجرى فى دمائها ويحرمون ذبحه الا فى مناسبات دينية خاصة حيث يحتفل بذبحه ، ويأكل منه الجميع لتجرى دماؤه فى دمائهم من جديد .

ثم وجدوا أنهم سيتقاتلون فيما بينهم على أمهم فلا ينالها أحد منهم فحرموها عليهم جميعا .

وكل الديانات التى جاءت بعد ذلك هى محاولات لحل المشكلة ذاتها .

---

(١) كتاب بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان د. عبد الله دراز.
(٢) ولد سيجمند فرويد عام ١٨٥٦ م من أبوين يهوديين وحصل على الدكتوراه فى الطب عام ١٨٨١ م .

احساس الأبناء بالجريمة ، وهى تختلف بحسب مستوى الحضارة التى ظهرت فيها والوسائل التى تطبقها ، ولكنها جميعا تهدف الى شيء واحد وهو رد الفعل لنفس الحدث العظيم (قتل الأب) (١) .

وقد نسى « فرويد » أو تناسى أن الدين كان موجودا من أيام المشاعية الأولى ومن قبل أن يوجد التحريم بين الأم وابنها ، ومن قبل أن تظهر العقدة «الأوديبية » على الاطلاق.

ولكن من أين جاء « فرويد » بأسطورته تلك .. ؟

أعن طريق الحفريات والبحث الجيولوجى فى باطن الأرض .. ؟

أم عن طريق الغوص فى باطن التاريخ المنقوش فى الحفريات وعلى أعمدة المعابد .. ؟

أم تلقفه من أفواه المهوسين والمهوسات والشاذين والشاذات ممن كانوا يأتون اليه فى معمله .. ؟

انه يقرر فى كتابه Totema Toboo أنه أخذ هذه الأسطورة من مثال أورده « دارون » من عالم البقر ، ففى عالم البقر تهيج الثيران فى موسم الاخصاب فتقتل أباها الشيخ ، ثم تقتتل فيما بينها على الأم كل يريد أن يفوز بها لنفسه ، فتموت الثيران الضعيفة أو تخور قواها مما تنزف من الدم ويبقى الثور الأقوى ، يفوز وحده بالأم ويلبى معها داعى الجنس » (٢) .

و« فرويد » فى بساطة وبلا تحرج ولا تأثم ولا تأنيب ضمير ينقل هذه الظاهرة الحيوانية الى عالم الانسان، وينسبها الى البشرية الأولى ، كأنما قد شهد مولدها ، وعاين تحركها وسجل ما جرى لها من الأحداث ، ويغفل فى بساطة ، وبلا تحرج ولا تأثم ولا تأنيب ضمير أن بعض الحيوانات ذاتها يأبى الولد منها أن يطأ أمه ، ولو دفع الى ذلك دفعا وعوقب على الامتناع بالضرب الأليم.

---

(١) دراسات فى النفس الانسانية ـ للأستاذ محمد قطب وكتاب الشيوعية والاسلام ـ د/ مصطفى محمود .

(٢) كتاب الانسانية بين المادية والاسلام ـ محمد قطب .

ولكنه « فرويد » اليهودى المتعصب ..

ليس هذا فقط ولكنه التلميذ المخلص لـ « داروين » [1] .

« داروين » الذى يقول بصراحة: « ان ذلك ـ أى تفسير شئون الحياة بوجود خالق له ارادة فى الخلق ـ يكون بمثابة ادخال عنصر خارق للطبيعة فى وضع ميكانيكى بحت » [2] .

وليس هنا مجال الرد على « داروين » فسنفرد له بمشيئة الله بحثا خاصا ولكن الفيلسوف « هنرى برجسون » يدفع ما يقوله «داروين» بقوله :

« لقد وجدت وتوجد جماعات انسانية من غير علوم وفنون وفلسفات ولكنه لم توجد قط جماعة بغير ديانة » [3] .

بل ان البشرية فى تاريخها الممتد فى القدم وجد فيها الواحد بعد الواحد الذى اهتدى الى التوحيد الخالص وساير فطرة الله التى فطر الناس عليها .

وفى التاريخ اليونانى القديم كان « اكزنوفنس » يسخر من آلهة قومه التى تأكل وتشرب وتلد وتموت ويقول: «ان الناس هم الذين اخترعوا الآلهة وتصوروها بمثل هيئاتهم ، ولو كانت الثيران أو الأسود أو الجياد تعرف التصوير لرسمت لنا الآلهة أشكالها ثورا أو أسدا أو جوادا كلا . ثم كلا .

انه لايوجد غير اله واحد ، هو أرفع الموجودات ، ليس مركبا على

---

(١) داروين ولد فى أحدى مقاطعات ويلز فى بريطانيا عام ١٨٠٩ م ودرس اللاهوت والتاريخ الطبيعى صاحب كتاب أصل الأنواع .

(٢) تراث الانسانية ح ١

(٣) كتاب ادارة الاعتقاد هنرى برجسون .

هيئتنا ولا يفكر مثل تفكيرنا بل كله بصر وكله سمع ، وكله فكر(١) .

وهذا الذى قاله « اكزنوفس » قاله آحاد غيره قبل مبعث الرسالات والرسل قاله رجال من فارس قبل أن ينحرفوا الى القول بالتثنية .

وقاله رجال من الهند قبل اتجاههم الى السلبية .

واهتدى اليه اخناتون فى مصر القديمة . فقد ذكر أنه قال بالتوحيد وآمن بالبعث والنشر ، ومع ذلك أخذت البشرية تتخبط وتتوه فى ركام من الضلالات .

حتى كانت الديانات السماوية فحددت للبشرية طريقها ، وخططت لها حياتها وكان كل نبى يأتى الى قومه بعد فترة ليذكرهم ان نسوا ويوجههم كلما ضلوا . ثم كان خاتم الرسل وخاتمة الرسالات ووضع الله فيها كل ما تحتاج اليه البشرية ، فى حالها ومآلها ولكن البشرية — الا ما عصم ربى — جعلت الديانات وراءها ظهريا وأخذت تأله العلم تارة وتحتكم الى العقل أخرى فما أغنيا عنها شيئا ولم يقدرا على انقاذها من شقوتها أو ينتشلانها من وهدتها وليس هذا انتقاصا من شأن العلم أو تهوينا من مهمة العقل ، ولكن العلم كما قلنا يوصل الى بعض الحقائق لا الى كل الحقائق فالعلم المادى حاليا يقدم لنا ما يحدث ولكنه لا يفسر لنا كثير مما يحدث ان فى مقدوره أن يجيب عن : ما هذا ؟ ، ولكن ليس لديه القدرة على اجابة السؤال .. لماذا ؟

والعقل أيضا دائرة اختصاصه محددة وقدرته على كشف حقائق الوجود لا تتعدى قدرا محدودا ولا يقدح هذا مطلقا فى سلامة العقل . لأن العقل ميزان صحيح وأحكامه فى كثير من الأوقات يقينية وخصوصا فى عالم الرياضيات غير أننا لا نطمع أن نزن به أمورا فوق طاقته ، من ذلك ،

---

(١) قصة الايمان للشيخ نديم الجسر .

الغيبيات فان ذلك طمع فى محال ، فان فعلنا كنا كالرجل الذى رأى ميزانا يوزن به الذهب فطمع أن يزن به الجبال ، وهذا لا يدل على أن الميزان غير صادق فى أحكامه .

ولكن يدل فقط على مدى امكانياته ، وقدرته على استيعاب الأشياء .

الدين اذن هو الذى يجيب على تلك المعميات ويحل تلك الطلاسم التى تأخذ بعقول البشر .

لقد عاشت البشرية ردحا من الزمن وهى تفتش عن الخالق لهذا الكون لتتوجه اليه بالعبادة وتخصه بالنسك ، ولكنها تاهت وضلت فتصورته مرة رعدا وبرقا ، وأخرى صنما وحجرا ، وثالثة شجرا وكوكبا فلما جاء الدين وضع حدا لهذه الاضطرابات ، وأرشد البشرية الى الخالق المالك ، الموجد ، المبدع يقول تعالى :

« قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد » (١) .

وتناكرت البشرية واختلفت فى أصل الخلقة ، وحقيقة الانسان أوجد عن طريق الصدفة .. ؟ أم صنعته الطبيعة ..؟ أم كان نتيجة تطور كائن آخر ..؟ فأجاب الدين عن هذه التساؤلات ورد البشرية الى طريق الصواب بقوله :

« ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين » (٢) .

وهذا الكائن لم يخلق عبثا وانما وجد لغاية ، وخلق لهدف وهو عبادة

---

(١) سورة الاخلاص .
(٢) سورة المؤمنون الآيات : من ١٢ – ١٤

الله .. « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » (١) .

وعمارة الكون :

« وهو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها » (٢) .

والقيام بدور الخلافة :

«انى جاعل فى الأرض خليفة»(٣).

وحياته رحلة قصيرة وأيامه معدودة فوق هذا الكوكب الأرضى وأجزاء الانسان وتركيباته وأطرافه صنعت لتلائم هذا الدور وتتناسب مع تلك المدة فهو لا يبقى فى رحلته أكثر مما قدر له، والا تلفت أعضاؤه وفسدت خلاياه فلا تستطيع القيام بدور أو المشاركة فى حياة ، ولا يكلف هذا الانسان أكثر مما يطيق ، ولا يعطى من المعرفة فوق ما تحتاجه هذه الرحلة ، والا اختلطت عليه الأشياء وتعددت أمامه السبل .

وهذا الكون أيضا مخلوق ليتناسب وقدراته ، ويتلاءم مع مواهبه فلا يرهق من أمره عسرا .

وكل شىء محدود ومقدر ، ليس للصدفة مكان ولا للرأى العجل موضع .

« انا كل شىء خلقناه بقدر»(٤).

« وكل شىء عنده بمقدار »(٥).

وهذا الانسان الفانى الضعيف يستطيع أن يتصل بالقوة الكبرى قوة الله ، يتصل بلا وساطة أوكهانة، أو قطع رحلة من آلاف الأميال .

« ادعونى أستجب لكم » (٦) .

لأنه قريب من عباده أقرب مما يتصورون .

« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب » (٧) .

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦
(٢) سورة الملك آية : ١٥
(٣) سورة البقرة آية : ٣٠
(٤) سورة القمر آية : ٤٩
(٥) سورة الرعد آية : ٨
(٦) سورة غافر آية : ٦٠
(٧) سورة البقرة آية : ١٨٦

وكل انسان يأخذ حقه كاملا لا ينقص منه شيء ، وحياته ليست بقاؤه على ظهر الأرض فقط ، وليست هى الرحلة القصيرة ولكن هناك حياة باقية بعد هذه الحياة الفانية . فما نقص هنا ادخر له هناك ، وما حرم منه فى الدنيا يضاعف له فى الدار الآخرة واذا كان ذلك كذلك فما الداعى الى القلق الذى يمزق الانسان فى داخله ، أو الحسرة على ما فات ، أو التألم على ما حرم منه ؟

ولم تستطع البشرية فى تاريخها الطويل بما اخترعت من مبادىء وأفكار أن توجد الرضا فى داخل النفس ، ولكنها أوجدت التكالب والصراعات والحروب المدمرة .

لأنها لم تستطع أن تسوى بين الأفراد جميعا ولن تستطيع ..

والمذاهب المادية على ما بذلته من وعود ، وما سودته من قرارات لم تستطع أن تزيل الدمامة عن مشوه الصورة .

أو تعوض الانسان فقد عضو من أعضائه .

ولم تستطع بالرغم من تقدمها فى المجال المادى أن تجعل من ضعف النظر قوة ، ومن قصر القامة طولا ، أو من العقم اخصابا ، أو أن تتحكم فى نوع الانجاب ولكن الدين ان لم يفعل ذلك فهو يقدم البديل لذلك كله .

انه يقدم الاطمئنان الى عدل السماء ، وحكمة الخالق .

« وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم » (١) .

« وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم » (٢) .

ومع ذلك فنصيبه مدخر ، وأجره محفوظ ، وقد لا تنكشف لنا حكمة

---

(١) سورة البقرة آية : ٢١٦

(٢) سورة البقرة آية : ٢١٦

الله وعدله عما قريب فعلينا أن نترصد لها .

وحكمة الله مبذولة لخلقه وتعطى لمن يصطفى من عباده :

« يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » (١) .

والهامات الله لا تقف عند حد ، ولا تنتهى عند عصر ، ولا يختص بها جيل من الأجيال .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

«ان لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها » .

وكل انسان يمكن أن يكون قريبا من ربه . ووسيلة القرب معروفة .

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد » (٢) .

ويقول تعالى :

« واسجد واقترب » (٣) .

عندها ينتقل الانسان من ترابية الأرض الى شفافية السماء ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن قتامة الأفكار الى صفاء الايمان . فيعرف ما لم يكن يعرف ويدرك ما لم يكن يدرك . والموت ليس لغزا ، وليس طلسما ، ولكنه مرحلة فى الطريق . ونقله من دار الى دار وسياحة فريدة من رحاب الكون المحدود الى رحاب الخالق الذى لا يحد .. والله أعلم .

دكتور عبد الرحمن عميره

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٦٩

(٢) رواه الامام مسلم وابو داود والنسائى عن أبى هريرة ورواه البزار عن ابن مسعود .

(٣) سورة العلق آية : ١٩

١٤٠٥٨

صفحات من تاريخ القاهرة

للأستاذ محمد كمال السيد محمد

— ١٦ —

جزيرة الروضة

— ١٤ —

جزيرة الروضة فى العصر الحديث :

ذكر لنا على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية (جـ ١٨) بعض أسماء من أعيان عصره كانت تمتلك جزيرة الروضة • واكتفى بذكر الأسماء ولم يذكر تراجمهم باعتبارهم معروفين للقارىء وقتذاك • فنذكر فيما يلى بعض التوضيح لبعض هذه الأسماء وما كانوا يملكون من الجزيرة •

قال على مبارك ان بالجزء الجنوبى من الجزيرة كان المقياس وسراى حسن باشا المناسترلى ومن الناحية الشرقية على سيالة الروضة يوجد من الجنوب سراى وبستان سليم باشا الجزائرى • وشمالا منه بستان السادات الوفائية الذى عرف أخيرا جزء منه بالمندورة • وقد سبق ذكرها • ثم أرض الست البارودية وبها زاوية أبى يزيد البسطامى • وقد سبق أيضا ذكرها • ثم أرض حسن باشا يجن وبستان شاكر بك • ثم بستان وقصر على باشا شريف • ثم بستان وقصر على باشا ذى الفقار • ثم بستان وسراى للخديوى اسماعيل • ويفصل هذه السراى عن سراى والدة عباس باشا الأول الطريق الموصل لجامع قايتباى الكائن بوسط الجزيرة •

وفى شمال الجزيرة البستان الكبير الذى أعده ابراهيم باشا بن محمد على للنزهة. وقال على مبارك : وكان الناس يترددون على اختلاف طبقاتهم على البستان المذكور فى أيام شم النسيم . وهو من أعظم البساتين لاحتوائه على الأشجار المتنوعة المجلوبة اليه من البلاد البعيدة . واحتوائه أيضا على أصناف الحيوانات والطيور . وبه خلجان من البناء تجرى فيها المياه . ومنارة معمولة من الودع . وجبلاية مصنوعة مغروسة بالأشجار والحشائش والأزهار . ويحيط بالبستان المذكور رصيف من الثلاث جهات .

ومن هذه الفقرة الأخيرة يكون موقع البستان المذكور هو محل القصر العينى الجديد وفندق الميريديان فى شمال الجزيرة .

أما الجانب الغربى من الجزيرة على فرع النيل بينها وبين الجزيرة . فذكر على مبارك أنه كان يوجد من الجنوب سراى باشا ثم أرض حسين باشا يجن . ثم أرض على باشا شريف . ثم أرض مغلق الخديوى اسماعيل . ثم أرض أحمد باشا المنكلى . ومنزل وبستان مغلق ورثة خليل بك . ثم القرية المعروفة بالمنيل ثم . ثانية أرض ورثة المرحوم أحمد باشا المنكلى . ثم قصر وبستان قاسم باشا . ويتوصل منه الى الفرع الشرقى بطريق مظلل بالأشجار .

حسن باشا المناسترلى :

هو حسن فؤاد باشا المناسترلى كتخدا مصر فى عهد عباس حلمى الأول من ١ / ٢ / ١٨٥٠ — ٢٩/٣/١٨٥٤ . (١) وأضيفت اليه رئاسة مجلس الأحكام فى سنة ١٨٥٢ — سنة ١٨٥٥ . ثم عين محافظا للقاهرة فى ٢١/١١/١٨٥٤ — ٢٤/١١/١٨٥٥ ثم وكيلا للداخلية فى ٢٤/٢/١٨٥٧ . ثم ناظرا للداخلية فى ٢٥/٤/١٨٥٧ — ١٠/٢/١٨٥٨

ولا تزال آثار سراى حسن باشا المناسترلى باقية للآن جنوبى الجزيرة غربى المقياس . وتستعملها وزارة الثقافة والاعلام فى بعض أوجه نشاطها . ففيها مركز الفن والحياة ويرأسه الدكتور حامد سعيد . ويلقى فيه أسبوعيا محاضرات وفيها معرض لبعض القطع الفنية من

(١) قتل عباس حلمى الأول فى ١٤/٧/١٨٥٤

الخزف والباتيك والتحف والتصوير وغير ذلك • كما تعقد به احدى الجمعيات الموسيقية حفلة كل أسبوع •

وبالجانب البحرى الشرقى للسراى جامع صغير أنشأه حسن باشا المناسترلى سنة ١٨٥١ ــ بدلا من جامع المقياس الذى هدمه ــ ودفن فيه مع الشيخ عبد الرحمن !! • وقد ذكرت مصلحة المساحة فى خرائطها أنه عبد الرحمن ابن عوف الصحابى الشهير • وهذا غير صحيح • فالمذكور توفى سنة ٣٢ هـ (٦٥٢ م) ولم يدخل مصر •

وكان بالجزء الجنوبى من الجزيرة سراى ذكرها الفرنسيون باسم سراى نجم الدين ــ ولعله الصالح نجم الدين أيوب ــ وكانت عند دخولهم قد تهدم أغلبها • وبقيت منها قاعة كبيرة مساحتها ٧٠ر١٣ م س × ٦٠ر١٤ م س •

وذكر على مبارك أن الباقى منها كشك مطل على النيل وبه شبابيك من جميع الجهات • والكشك باق للآن •

وقد نزل السلطان سليم الأول العثمانى بسراى نجم الدين هذه فترة من الوقت بعد فتحه مصر سنة ١٥١٧ • وقد حاول بعض أمراء المماليك اغتياله فى هذه السراى انتقاما لشنق الأشرف طومان باى آخر السلاطين المماليك • ولكن لم تنجح المحاولة •

ابن النحاس وابن محمد الهروى :

ونذكر بمناسبة هذا الموقع من المقياس ماورد فى بعض كتب التراث أن أحمد بن محمد النحاس كان من علماء اللغة فى دولة بنى الأخشيد وله مؤلفات عديدة تقرب من العشرين وكان لئيم الطبع بخيلا شديد التقتير على نفسه • فجلس يوما على درج المقياس بجزيرة الروضة سنة ٩٤٨ م (٣٣٧ هـ) • والنيل فى أيام زيادته • وهو يقطع بالعروض شيئا من الشعر • فرآه بعض العوام • فاعتقد أنه يسحر النيل حتى لا يزيد • فتغلو الأسعار ويسوء الحال • فدفعه برجله فى النيل فلم يوقف له على خبر •

ويشبه هذا ما ذكر فى الحاكم بأمر الله الفاطمى ما بلغه عن جنادة بن محمد الهروى اللغوى النحوى • وكان يقرأ بجامع المقياس • اذ توقف النيل عن الزيادة فى بعض السنين • فقيل للحاكم ان جنادة رجل مشئوم

يقعد بالمقياس ويلقى النحو . ويعزم على النيل . فلذلك لم يزد . فأمر الحاكم بقتله فى ذى الحجة سنة ٣٩٩ هـ (١٠٠٩ م) [١] .

سليم باشا الجزائرى :

وأرضه كانت شرقى المقياس على الفرع الشرقى للنيل . وتصل شمالا الى أرض السادات الوفائية المعروفة بالمندورة .

وقد تولى المذكور عدة وظائف منها حكمدار الأقطار السودانية فى ١٨٥٣/٤/٢٣ الى ١٨٥٤/٧/٢١ . وناظر للمرور والسكك الحديدية من ١٨٦٠/١٠/٢ — ١٨٦١/١/١٠ . ثم رئيس القومسيون المخصوص بمحافظة مصر فى ١٨٦٦/٣/٢٠ . ثم مدير أسيوط فى ١٨٦٦/٣/٩ — ١٨٦٧/٤/٢٠ .

وقد أنعم عليه اسماعيل بـ ٦٠٠ فدان فى ١٨٦٣/٧/١٤ .

وشمالا من أرض سليم باشا الجزائرى كانت أرض السادات الوفائية والمعروف مكان جزء منها الآن بالمندورة . وشمالا منها أرض البارودية التى بها زاوية أبى يزيد البسطامى . وقد سبق ذكرهما .

على باشا شريف :

ثم شمالا منها أرض وسراى على باشا شريف . وكانت بعرض الجزيرة من الفرع الشرقى الى الفرع الغربى للنيل . وهى مساحة واسعة لعلها بمفهوم الوقت الحاضر من شارع الروضة جنوبا حتى قرب محطة الأوتوبيس المعروفة بمحطة الباشا . وبها من المعالم الحاضرة سينما جرين وسينما روضة ومكتب بريد الملك الصالح وزاوية الأباريقى التى أصلها جامع غين . وسيأتى ذكره باذن الله .

وعلى باشا شريف كان رئيسا لمجلس تجار مصر سنة ١٨٧١ م (١٢٨٨ هـ) . وأنعم عليه برتبة اللواء فى مارس سنة ١٨٦٣ (١٢ رمضان سنة ١٢٧٩ هـ) .

وهو ابن السيد محمد باشا شريف والى ألوية الشام فى أثناء حروب ابراهيم باشا بن محمد على . وقد ذكرنا أنه غير محمد باشا شريف الذى كان ناظرا للنظار وعاصر الثورة العرابية وتوفى سنة ١٨٨٤ م .

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموى ج ٤ ص ٢٢٥ ، ج ٧ ص ٢٥٩

كما ذكرنا عند الكلام على الكبارى حول جزيرة الروضة ما رواه الجبرتى عن الاحتفال بعودة ابراهيم باشا بن محمد على فى ديسمبر سنة ١٨١٩ فى الحجاز بعد تغلبه على الوهابيين وأنه نزل بقصر شريف (بك) بالروضة .

وقد قسمت أرض شريف باشا الى شوارع وقطع للمبانى، وبيعت للأهالى بمعرفة شركة أراضى الجيزة والروضة، وكانت منها بقية لغاية الأربعينات من هذا القرن . فمثلا كان حوالى موقع سينما روضة مشتل للمرحوم المهندس الزراعى ابراهيم الجزار . وقد اشتريت منه سنة ١٩٤٧ بعض أشجار الفواكه .

على باشا ذو الفقار

وشمالا من أرض شريف باشا كان بستان وقصر على باشا ذو الفقار .

وقد تقلب المذكور فى الوظائف فكان رئيسا لمجلس الأحكام من من ١٨٥٧/٤/٢٥ (٢ رمضان سنة ١٢٧٣ هـ) (١) — ١٨٦٠/٤/١٣ م .

ثم ناظرا للخارجية من ١٨٦١/١/١٠ — ١٨٦٣/٨/١ .

وأنعم عليه بألف فدان فى يونية سنة ١٨٦٣ فى عهد اسماعيل .

ثم محافظا للاسكندرية من ١٨٦٦/١/١٠ — ١٨٦٧/٩/١٦ .

ثم عضوا بالمجلس المخصوص فى مايو سنة ١٨٦٨ . ثم محافظا لمصر من ١٨٧٠/٢/٢ — ١٨٧٠/٩/٨ .

ثم محافظا للاسكندرية من ١٨٧٠/١١/٢٧ — ١٨٧١/٦/٢٥ .

ثم ثانية محافظا للاسكندرية من ١٨٧٢/٨/٥ — ١٨٧٣/٨/٢٨ .

ثم محافظا لمصر من ١٨٧٣/١٢/٢٨ — ١٨٧٥/٦/١٤ . ثم ثالثة محافظا لمصر من ١٨٧٧/٦/١٥ — ١٨٧٨/٤/١٩

ثم رئيسا لمجلس شورى النواب ، ثم ناظرا للخارجية من ١٨٧٩/٣/٢٦ — ٦ أبريل من نفس السنة وهذا فى الوزارة التى كان يرأسها توفيق ابن الخديوى اسماعيل (٢) . ثم ناظرا

---

(١) كان مجلس الأحكام قد الغى فى آخر سنة ١٢٧١ هـ ثم أعيد فى غرة ربيع الأول سنة ١٢٧٣ برئاسة اسماعيل باشا فى عهد سعيد باشا . واستقال اسماعيل باشا من رئاستة فى غرة رمضان ١٢٧٣ هـ

(٢) فى أواخر عهد اسماعيل سقطت وزارة نوبار باشا وتشكلت أخرى برئاسة ابنه محمد توفيق فى فبراير سنة ١٨٧٩ ولم تمكث طويلا فقد سقطت وتولى محمد باشا شريف رئاسة الوزارة فى ١٨٧٩/٣/٢٩

للحقانية (العدل) من ١٨٧٩/٨/٩ـ ١٨٧٩/٩/٩ . ثم ثالثة محافظا للاسكندرية من٢٦/٩/١٨٧٩ لغاية ١٣/٧/١٨٨٠ م .

ويفهم من وصف على مبارك لزاوية الكازرونى السابق ذكرها . والتى كانت معروفة بزاوية المشتهى أن شرقى الزاوية المذكورة سراى وبستان لاسماعيل باشا . ومعنى هذا أن أرض على باشا ذى الفقار لم تكن واصلة شرقا للفرع الشرقى للنيل . ولعلها كانت من محطة الأوتوبيس بشارع المنيل المعروفة بمحطة الباشا جنوبا حتى الحى المعروف بالغمراوى شمالا .

وكان هناك شارع اسمه شارع نابليون يبدأ من محطة الباشا ويتجه شرقا . وقد تغير اسمه الى شارع على باشا ذى الفقار . وامتداده أيضا بالجانب الغربى من شارع المنيل اسمه أيضا شارع ذى الفقار . وشمالا من الأخير بقليل شارع باسم سعيد باشا ذى الفقار . الذى كان كبير الأمناء فى عهد الملكية الملغاة .

واطلاق اسم نابليون هناك لمناسبة سنذكرها عند الكلام على جامع قايتباى باذن الله .

ويعتقد أن سراى وبستان اسماعيل باشا المذكورين كانا ممتدين شمالا حتى موقع قصر محمد على توفيق الذى أصبح الآن متحف المنيل . وشمالا منه كان البستان الذى أنشأه ابراهيم باشا وسبق ذكره .

حى الغمراوى :

هذا الحى منسوب لعائلة الغمراوى من محافظة بنى سويف . وكان لأحدهم فيلا على شارع المنيل مكانها الآن العمارة التى تحتها مطعم فولى جود للساندويتشات .

ومن أفراد أسرة الغمراوى المرحوم مصطفى بك الغمراوى الذى تبرع بمبلغ ٥٠٠ جنيه لانشاء الجامعة المصرية سنة ١٩٠٦ وكان اسمه بالقائمة الأولى للتبرعات (١) .

---

(١) جامعة القاهرة للدكتور خليل صابات . دائرة معارف الشعب المجلد الرابع ص ٦٥٠ وما بعدها .

هذا عن الجانب الشرقى للجزيرة .

أما الجانب الغربى فقد ذكر على باشا مبارك أن شمال قصر حسن باشا المناسترلى كانت سراى وبستان أمين باشا .

محمد أمين باشا :

وما وصلت اليه من ترجمتــه أنه كان مديــرا للجهـــادية من ١٨٥٠/٢/١ ــ ١٨٥٤/١٠/٢٠ ثم عضـــوا بمجلس الأحـــكام من ١٨٥٥/١٠/١٥ . ثم محافظــا لمصر من ١٨٥٩/٥/٤ ــ ١٨٦٠/١٢/١٦ ثم رئيس مجلس الاســـكندرية فى ١٨٦٣/١/٢٠ بأمـر اســـماعيل (اســماعيل باشـــا تــولى فى ١٨٦٣/١/١٧) ثم أمين بيت المـــال من ١٨٦٤/١/١١ ــ ١٨٦٤/٤/٨ . ثم رئيس مجلس استئناف الاسكندرية سنة ١٨٦٤ . ثم محافظــا لمصر من ١٨٦٨/٤/١٤ ــ ١٨٦٩/٤/٢٩

ويبدو أن أرض أمين باشا كانت ممتـــدة شرقا حتى جامع الريس المعروف الآن بزاوية الكازرونى . فقد ذكـــر على مبارك أن بيته كان شمال هذه الزاوية بحوالى ٢٥٠ مترا .

وشـــمال أرض أمين باشا كانت أرض حسين باشـــا يكن . أو يجن كما يذكره على مبـــارك . ثم أرض على باشا شريف الســـابق ذكرها . ثم أرض للخديوى اسـماعيل . ثم أرض أحمد باشا المنكلى .

احمد باشا المنكلى :

حضر لمصر سنة ١٨٣٦ م فى عهد محمد على . وعينه وكيلا للجهادية فى ١٨٣٧/٢/٢ . ثم حكمدارا على جبال الذهب بالسودان سنة ١٨٤٣ . ثم مأمورا لاســتكشاف المعـــادن بالسودان سنة ١٨٤٤ . ثم رئيســـا للمجلس العسكرى سنة ١٨٤٩ . ثم عضوا بالمجلس المخصوص فى عهـــد عبـــاس الأول وأيضا فى عهد ســعيد ســـنة ١٨٥٤ عند ســفر ســـعيد لاستانبول .

وبعد أرض أحمـــد باشا المنكلى شمالا منها كان بستان ومنزل ورثة خليل بك .

خليل بك :

كان محافظا لدمياط فى عهد محمد على ، ثم عضوا بمجلس الشورى سنة ١٨٢٩ م .

ونذكر أنه لما أراد محمد على أن ينظم جيشا من المصريين ليكون عدته فى مقاومة الحامية العثمانية ويعزز طموحه للتوسع ، فقد كلف مديرى المديريات القبلية بانتخاب بضعة آلاف من أولاد الفلاحين الأقوياء ، وكلف الكولونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوى) بتدريبهم على الأعمال العسكرية ، فقام بهذه المأمورية فى أسوان ، ولما تم تدريبهم حضر بهم الى مصر ، وأمر محمد على بأن يطوف الجيش الجديد بالأقاليم فى احتفالات مناسبة .

وذهب أحد الآلايات (الفرق) الى دمياط ، ففى محفل العرض العسكرى تفوه ناظر السلخانة هناك بعبارات غير لائقة وقال : (صاروا الفلاحين العمى عساكر!! مهما كانوا لا يكونون مثل عساكرنا الترك) . وبلغ محمد على ذلك فأرسل الى خليل بك فى ١٨٢٩/٧/١٣ يأمره بضرب ناظر السلخانة ١٠٠ نبوت على اليته ، وينفى ، وان عاد يصلب (١) .

قرية المنيل وحى الهلباوى :

وشمال أرض ورثة خليل بك كانت القرية المعروفة بالمنيل ، وموقعها الآن تقريبا الحى المعروف بالهلباوى نسبة الى ابراهيم بك الهلباوى المحامى الشهير فى أوائل هذا القرن ، فقد كان بيته هناك ، ويوجد الآن شارع باسمه فى الحى المذكور ، وكانت ابنته تقيم هناك لغاية أواخر الأربعينات ، فقد زرتها سنة ١٩٥٠ فى أثناء بحثى عن شقة للسكن ، وأخبرتنى أن الأمير محمد على توفيق كان يتردد كثيرا على والدها بحكم الجوار .

وشمالا من قرية المنيل كانت أرض أخرى لأحمد باشا المنكلى ، وكان بيته بجوار مسجد الدرينى الآتى ذكره باذن الله .

وبعد ذلك فى شمال الجزيرة كانت أرض وقصر قاسم باشا .

---

(١) تقويم النيل ج ٢ ص ٣٤٥

قاسم باشا :

كان مديرا لمديرية روضة البحرين(١) (المنوفية والغربية تقريبا) من ١٨/١٢/١٨٦٠ — ٢٦/١٠/١٨٦٢ • ثم أحيل لمجلس الأحكام للتحقيق معه • ثم عين مديرا للغربية فى ٢/٢/١٨٦٣ • ثم ناظرا لدائرة اسماعيل الخاصة فى ١١/٣/١٨٦٣ حيث أنعم عليه برتبة الفريق فى ١٤ منه • ثم مفتشا للوجه القبلى فى ١٩/٥/١٨٦٥ — ٢٢ منه • ثم عاد لنظارة الخاصة ثم ناظرا للجهادية من ٢٩/١١/١٨٧٠ الى ٣٠/٩/١٨٧٣ • ثم محافظ مصر من ١٢/٦/١٨٧٤ — ١٤/٦/١٨٧٥ ثم مفتش عموم الأقاليم القبلية من ٢/١١/١٨٧٥ — ١٤/٦/١٨٧٧ • ثم محافظ مصر من ١٥/٦/١٨٧٧ — ١٩/٤/١٨٧٩ •

وكان شمال أرض قاسم باشا طريق يصل الى الفرع الشرقى للنيل • وكان مظللا بالأشجار وهذا قريب من موقع الطريق الحالى بين كوبرى الجامعة وكوبرى محمد على •

وشمال هذا بستان ابراهيم باشا السابق ذكره •

جوامع الروضة :

بجزيرة الروضة عدد كبير من الجوامع والمساجد والزوايا بعضها قديم وبعضها حديث وقد يبلغ عددها ما يقرب من الثلاثين • ولا يتسع المقام هنا لذكرها جميعا • فنذكر منها أهمها من الناحية التاريخية •

وقد ذكرنا جامع الريس الذى أصبح مكانه زاوية أبى يزيد البسطامى • كما ذكرنا زاوية المشتهى التى أصبح مكانها زاوية الكازرونى وأزيلت عند امتداد شارع قايتباى • وذكرنا جامع المقياس الذى هدمه حسن باشا المناسترلى وأنشأ مكانه جامعا صغيرا دفن فيه •

---

(١) ألغيت هذه المديرية فى ٢/٢/١٨٦٣ بعد وفاة سعيد باشا •

وأقدم الجوامع الباقية للآن بجزيرة الروضة جامع غين ومحله الآن زاوية الأباريقى بأرض شريف باشا بالقرب من مكتب بريد الملك الصالح •

جامع غين او زاوية الأباريقى :

وغين المنسوب له هذا الجامع كان أحد خدام الحاكم بأمر الله الفاطمى (٣٨٦-٤١١هـ = ٩٩٦-١٠٢٠م)•

وظلت الخطبة بهذا الجامع الى أن عمر جامع المقياس فبطلت منه •

وكان الناس فى صدر الاسلام يفضلون الصلاة بجامع عمرو بالفسطاط • لأن الوالى كان يؤم المصلين بنفسه • وازداد عمران جزيرة الروضة فى عهد بنى طولون وبنى الأخشيد • فوجد الناس مشقة فى عبور النيل الى الفسطاط • فأنشأ غين المذكور هذا الجامع فى صدر الدولة الفاطمية • ثم انقطعت الخطبة منه بانشاء جامع المقياس •

ولما أنشأ الصاحب بهاء الدين ابن حِنَّا (١) منظرته بالكوم الأحمر بالقرب من فم الخليج تجاه جزيرة الروضة فى عهد الظاهر بيبرس ٦٥٨ - ٦٧٦ هـ = ١٢٦٠-١٢٧٧م) حسَّن للظاهر اعادة الخطبة لهذا الجامع • وصادف هذا الطلب هوى فى نفس الظاهر بيبرس • فقد ذكرنا اهتمامه بتجديد قلعة الروضة • فأمر سنة ٦٦٠ هـ باعادة الخطبة اليه مع استمرارها أيضا بجامع المقياس •

ثم تهدم الجامع المذكور وظلت منه بقية تعرف الآن بزاوية الأباريقى وبها ضريحه •

ترجمة غين :

وغين المذكور ارتفع شأنه فى عهد الحاكم بأمر الله فوصله بالخلع والهدايا وكثير من المال • ولقبه سنة ٤٠٢ بقائد القواد • وقلده الحسبة والشرطتين بمصر والقاهرة والجيزة وكلفه بالتشديد فى مراقبة المحظورات التى قررها الحاكم بأمر الله من عمل الفقاع • وأكل الملوخية • والسمك الذى لا قشر له • والملاهى بأنواعها

---

(١) سبق ذكره فى أول الفصل الثالث من القسم الثانى •

وحضور النساء فى الجنائز • وبيع العسل الا اذا كان أقل من ثلاثة أرطال ولمن لا يظن أنه يتخذه مسكرا وغيرها من المحظورات •

واستمر غين فى منزلته العالية حتى سنة ٤٠٤ هـ فصرفه الحاكم عن الحسبة والشرطتين •

وكان لغين كاتب اسمه على الجرجانى • كان أصلا بخدمة ست الملك أخت الحاكم فانتقل الى خدمة غين فغضبت عليه • فكتب اليها يستعطفها • وذكر فى رسالته شيئا من الأسرار التى وقف عليها أثناء خدمتها • فتشككت فى أمره • وخافت أن يكون دسيسة عليها • فأرسلت كتابه الى الحاكم بأمر الله • فغضب عليه وأمر بقطع يديه •

وقيل سبب آخر لقطع يدى الجرجانى المذكور • أنه كانت ترد الرقاع من أنحاء الدولة من صاحب الخبر للحاكم • فيستلمها غين من صاحب الخبر • ويسلمها الى كاتبه الجرجانى ليتحين فرصة فيسلمها للحاكم بأمر الله • وكان الجرجانى يفض هذه الرسائل ويطلع على مافيها ثم يعيد ختمها • فاطلع فى احداها على خبر يمس سيده بسوء • فقطع من الرسالة ذلك الخبر وأصلح موضعه • وعلم بذلك صاحب الخبر • فطلب مقابلة الحاكم وأطلعه على ذلك • فأمر بقطع يدى الجرجانى •

وبعد ذلك بخمسة عشر يوما أمر الحاكم بقطع يد غين الأخرى • وكان قبل ذلك بثلاث سنين أمر بقطع يده الأولى • فأصبح غين مقطوع اليدين •

ولما قطعت يد غين حملوها الى الحاكم فى طبق • فأرسل اليه الأطباء ووصله بمبلغ كبير من الذهب وبعدد من أسفاط الثياب • وأمر رجال الدولة أن يعودوه •

وبعد ذلك بعشرة أيام أمر بقطع لسانه • فقطع • وحمل الى الحاكم • فأمر أيضا الأطباء بعلاجه ولكنه مات (١) •

---

(١) خطط المقريزى ح ٢ ص ٢٩٧ ، الخطط التوفيقية ح ١٨ ص١٢

جامع قايتباى :

ذكر على باشا مبارك (١) نقلا عن السيوطى أنه ثالث جامع أقيم بالروضة . ويعنى أنه بعد جامع غين وجامع المقياس .

وهذا الجامع كان اسمه عند انشائه جامع الفخر نسبة الى منشئه فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش فى عهد الناصر محمد بن قلاوون حوالى سنة ٧٣٠ هـ (١٣٢٩ م) . وكان فخر الدين أصلا نصرانيا وأسلم وحسن اسلامه وولاه الناصر شؤون المال فتسلط على الدولة بعفة وأمانة . وظل وراء الناصر حتى أقنعه بالغاء منصبى نيابة السلطنة والوزارة وأصبح الأمر كله بيد الفخر ناظر الجيش . ولما مات الفخر سنة ٧٣٢ هـ وله من العمر ما يزيد عن السبعين سنة ترك موجودا عظيما للغاية . أوصى منه بأربعمائة ألف درهم للناصر . ولكن طمع الناصر واستولى على مليون درهم من تركته . وقال الناصر عند ما بلغه موته : لعنه الله !! خمسة عشر عاما ما يدعنى أعمل ما أريد . وبعد وفاة الفخر استبد الناصر وكثر تسلطه على أموال الناس .

وصادره الناصر مرة فى مبلغ أربعمائة ألف درهم . ثم رضى عنه فأمر بردها اليه . فقال انى خرجت عنها للسلطان . فليبن بها جامعا . فبنى بها الناصر جامعه الذى عرف بالجامع الناصرى الجديد بالقرب من فم الخليج . وقد اندثر هذا الجامع .

وقال المقريزى : وأدركت ولد الفخر يتكفف الناس بعد مال لايحد كثرة (٢) .

ثم جدد هذا الجامع الصاحب شمس الدين المقسى الذى سبق أن ذكرنا أنه جدد جامع الحاكم بأمر الله الذى عرف فيما بعد باسم جامع أولاد عنان (٣) فأصبح اسم جامع الفخر جامع المقسى . ونسى اسم الفخر .

---

(١) ذكر على مبارك جامع قايتباى فى ثلاثة مواضع ج ٥ ص ٦٧ ، ٦٩ ، ج ١٨ ص ١٣

(٢) خطط المقريزى ج ٢ ص ٣١١

(٤) بشارع الجمهورية بالقرب من ميدان رمسيس وهدم أخيرا وأنشىء مكانه مسجد الفتح .

ثم جدد هذا الجامع السلطان قايتباى (٨٧٢ ــ ٩٠١ هـ = ١٤٦٧ ــ ١٤٩٥ م) فى سنة ٨٨٠هـ فوسعه وعمله على شكل مدرسة . ثم فى سنة ٨٩١ زاده اتساعا . وبالغ فى الانفاق عليه فعرف بجامع قايتباى وجامع السلطان . ونسى اسما الفخر والمقسى .

ومما نقله على مبارك عن السيوطى أن قايتباى عمل فيه ناعورة (ساقية) على وضع غريب بحيث تدور بحمار ينقل قدميه وهو واقف من غير أن يمشى ولا يدور . وركب عليها طاحونا يدور بدورانها .

وكان هذا الجامع يعرف أيضا بجامع السيوطى لاقامة الشيخ جلال الدين السيوطى فيه أيام نزوله بالروضة .

وذكر الجبرتى فى حوادث سنة ١٢١٦ هـ (١٨٠١ م) أن هذا الجامع احترق بسبب أن الفرنسيين كانوا يستعملون فى جنينة بجواره مكانا لصناعة وتخزين البارود . فصادف دخول رجل من الفلاحين ومعه غلام الى الجنينة المذكورة . ومعه قصبة يشرب بها الدخان . ففتح ظرفا من ظروف البارود والقصبة مشتعلة فى يده . فلحقت النار البارود فانفجر المكان . واحترق الجامع والرجل والغلام . وظلت النار بالجامع طول النهار . ثم جدد الجامع . ولا يزال باقيا للآن وهو من العمائر الاسلامية الجيدة الجديرة بالعناية بها ونظافة مجاوراتها وتسهيل الوصول اليها .

شارع نابليون :

ولعل مصنع البارود هذا فى زمن الفرنسيين هو ما دعا البلدية الى اطلاق اسم شارع نابليون على الشارع الذى أصبح اسمه الآن شارع على باشا ذى الفقار كما سبق ذكره .

مسجد الدرينى :

وبالجهة البحرية من الجزيرة غربى بستان ابراهيم باشا السابق ذكره يوجد مسجد الدرينى . وهو مسجد قديم غير معروف تاريخ انشائه . وقد جددته زوجة الهامى باشا بن

عباس حلمى الأول (وهى والدة السيدة أمينة زوجة الخديوى توفيق التى عرفت بأم المحسنين . وكانت ممن أقيمت لهم أفراح الأنجال كما سبق ذكره عند الكلام على حى المنيرة .

وبالمسجد المذكور ضريح الأستاذ الشيخ عبد العزيز الدرينى !! وذكره على مبارك (جـ ١١ ص ٧٢ وجـ ١٨ ص ١٤) وذكره الشعرانى فى طبقاته (جـ ١ ص ٢٢٤) وقال عنه : الشيخ العابد الزاهد القدوة ذو الحالات الفاخرة والأحوال الشريفة والكرامات المشهورة والمصنفات الكثيرة فى التفسير والفقه واللغة والتصوف وغير ذلك . وله نظم كثير شائع . وكان العلماء يقصدونه لعلمه والناس يتجهون اليه للتبرك . ا هـ . وذكر عنه بعض الكرامات التى تخرج عن حد المعقول . وقال انه توفى سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٧ م) وقبره بقرية ديرين يزوره الناس !! والجامع موجود للآن بالجزء الجنوبى الغربى من القصر العينى الجديد .

جامع صلاح الدين :

وغربى مسجد الدرينى يوجد جامع صلاح الدين أنشىء فى الخمسينات فى عهد الثورة ويطل على ميدان كوبرى الجامعة . وهو جامع فخم أنيق له مئذنتان . ويعتبر من تحف العمارة الاسلامية .

ونكتفى بهذا القدر عن الجوامع . ونحمد الله أن وفقنا فى كتابة ما ذكر عن جزيرة الروضة .

محمد كمال السيد محمد

حسان الهند غلام على آزاد

للدكتور عبد المقصود محمد شلقامى

ليس من الجديد أن نتكلم عن حياة شاعر معين أو نقوم أعماله ولكن الجديد فى مقالنا هذا أن الشاعر الذى نريد الحديث عنه يمثل حلقة من تراثنا العربى خارج الوطن العربى ، ومما يزيد فى جدته ويلفت النظر اليه أن هذا التراث ما زال مغمورا لم يطلع عليه العرب من قبل، وسوف ترى قارئى اصالة وابتكارا وألوانا من البيئة والمتعة فى هذا الشاعر الذى هو واحد من جم غفير من شعراء العربية فى شبه القارة .

اصله ومولده :

هو غلام على آزاد بن نوح الحسينى الواسطى البلكرامى، ولد يوم الأحد ٢٥ من صفر ١١١٦/ ٣٠ يونيو ١٧٠٤ فى حى السادات ببلدة بلكرام من أعمال ولاية لكنئو بالهند، ويرجع نسبه الى زيد الشهيد ١٢٢/ ٧٣٩ ابن على زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب ،ونظرا الى اضطهاد الأمويين للعلويين فقد هاجر كثير منهم الى بلاد الهند واستوطنوها .

وتذكر المراجع أن أحد العلويين واسمه محمد على صغرى كان يعمل فى بلاط السلطان شمس الدين التتمش (ايلتمش) أحد سلاطين المماليك فى الهند والذى حكمها من ٦٠٧/ ١٢١١ الى ٦٣٣/ ١٢٣٥ فأمره هذا السلطان على حمله لتأديب حاكم بلكرام الهندى المتعصب ضد الاسلام فدارت معركة خارجها قتل فيها الراجا الهندى ودخل محمد على صغرى بلكرام فاتحا ٦١٤/ ١٢١٧ فعمرها وأقام بها ومن نسله شاعرنا غلام على آزاد .

كانت أسرة آزاد تحرص على تربية أبنائها تربية دينية عربية ولذا فقد خرجت هذه الأسرة فى بلكرام شيوخا ذاع صيتهم وانتشر نذكر منهم على سبيل المثال: السيد مرتضى

الزبيدى ـ من أبناء عمومة شاعرنا آزاد ومعاصره أيضا ـ صاحب تاج العروس ، واتحاف السادة المتقين بشرح احياء علوم الدين وغيرهما من امهات الكتب وأحد أساتذة الجبرتى ، ومن هذه الأسرة أيضا الشيخ عبد الجليل البلكرامى ١١٣٨/١٧٣٥ جد شاعرنا الذى كان يجيد أربع لغات هى العربية والفارسية والتركية والهندية وله فيها أشعار قال عنه السيد على معصوم صاحب سلافة العصر : ما رأيت لهذا السيد بالهند نظيرا ، ونظرا لتفوقه فقد فوض اليه السلطان أورنك زيب عمل كاتب الوقائع وأمانة المال فى اقليم السند، ثم رغب فيه السلطان فرخسير عن هذا العمل فولاه لابنه محمد وجعل الشيخ من مستشاريه .

نشأته :

نشأ آزاد فى مهد العلم والتدين فتعلم القراءة والكتابة العربية ثم تلقى تعليمه الأولى على أيدى شيوخ أسرته ثم تولاه جده عبد الجليل سنة فى بلكرام وارتحل به الى العاصمة شاهجهان آباد فأقام معه فيها سنتين تعرف فيهما على حياة المدينة ودرس تفنيات أهلها وطريقة تعاملهم وتطلع بشغف الى مجالس العلماء وما يدور فيها ، وقد أدرك جده حسن استعداده وتوسم فيه خيرا فكان يقول: أرجو أن يبقى بك ذكرى من بعدى ، ثم أجازه ورجع الى بلكرام .

أخذ آزاد مكانه بين شباب القرية فى بلكرام يعلم الصغار ويتلقى عن الكبار ، وبعد ما يقرب من عشر سنوات من اجازته عن جده ارتحل الى اقليم سيوستان بالسند لزيارة خاله عامل المال وكاتب الوقائع فيها حيث أنابه خاله منابه ورجع الى بلكرام ليقيم بها سنتين ، ولأول وآخر مرة يتولى آزاد عملا رسميا منظما لمدة سنتين أثبت خلالها قدرة وجدارة فى تصريف هذا العمل ، ثم رجع خاله فتولى عمله بنفسه .

الرحلة المقدسة :

لم تمض ثلاث سنوات بعد رجوعه من سيوستان بالسند حتى أخذه الشوق الى الأراضى المقدسة فخرج هائما على وجهه دون زاد أو راحلة ، ولم يعلم أهله بخرجه لهذا الأمر الا بعد يومين وحينئذ جدوا

فى البحث عنه وذهب أخوه غلام حسن الى مرحلتين أو ثلاث فلم يعثر له على أثر ، وفى هذا يقول آزاد :

هاج البكاء الى منازل رحمة
مسقية بالديمة الهطلاء

ما لاح من نحو الأبار بارق
الا وأذكى النار فى أحشائى

وجلست فى كد على بعد المدى
شتان بين الهند والزوراء

لوكنت أخبر جيرتى وعشيرتى
لتزاحموا بينى وبين رجائى

فخرجت عنهم خائفا مترقبا
شوقى أمامى والأناس ورائى

لولا اعانة جذبة نبوية
أصبحت فى يدهم من الأسراء

لكن لماذا لم يأخذ الزاد ويهيىء الراحلة؟ ولماذاحاول أهله اثناءهعلما بأن هذه رحلة يباركها كل مسلم؟ وتتلخص الاجابة فى أنهم كانوا يحتاجون اليه فى رعاية مصالحهم وتدبير أمور معاشهم ولو أنه أخذ الزاد وهيأ الراحلة لشكوا فى أمره وراقبوا سيره فحالوا بينه وبين مقصده .

اتخذ آزاد أول سفره طرقا غير مسلوكة فى الصحارى حتى لايقع فى قبضة الطالبين له من أهله ثممال بعد أن أمن الى الطرق المعبدة، وقد لاقى فى سفره هذا نصبا وأنشأ أثناءه شعرابالفارسية وسماهالطلسم الأعظم ، ولما وصل الى بلدة «سرونج» من أعمال «مالوة» بالدكن كانت قدماه قد تورمتا واستحال السير عليهما فحمله جندى طيب القلب الى الأمير « آصف جاه » الذى كان يستعد لمعركة من معاركه المتتالية مع « المراهتا »(١) ولم يكن آزاد يرغب فى لقاء الملوك والأمراء غير أنه لما رأى عجزه عن مواصلة السير والابحار حضر مجلسه وأنشده بالفارسيه وطلبمنه أن يعينه على مواصلة الرحلة

---

(١) المرهتا : من القوميات الهندية القديمة تجمعوا فى أقصى جنوب الهند وكانوا دائما حربا على المسلمين وقد استفحلأمرهم فى أواخر عهد الدولة المغولية واستولوا على العاصمة دلهى أكثر من مرة .

الى الأراضى المقدسة فاستمهله الأمير ريثما تنجلى الحال ويعود الأمن فبقى فى جنده نحو شهريقول الشعر ليقوى به عزم المجاهدين ويشترك أحيانا فى الحرب كواحد منهم ومع الأسف فاننا لم نعثر له على شعر عربى فى هذه المناسبة ، ولما عقد صلح بين آصف جاه والمراهتا حمله الأمير الى ميناء « سورت » ومنها ركب السفينة الى جدة فوصلها فى المحرم ١١٥١/ ١٧٣٨

نزل آزاد فى ميناء جده وكان موسم الحج قد انصرم فتوجه الى مكة واعتمر وأقام بها يوما واحدا ثم خرج الى المدينة المنورة فبلغها بعد شهر تقريبا ، وفى جوارالمصطفى صلى الله عليه وسلم أقام آزاد ثمانية شهور تتلمذ أثناءها على الشيخ محمد حياة السندى ١١٥٨ /١٧٤٥ ونال منه اجازة الصحاح الست كما زار المشاهد النبويةوقبر حمزة بن عبد المطلب ، ولما اقترب موسم الحج ترخص من الرسول صلى الله عليه وسلم قائلا :

عليكسلام الله يا أشرف الورى
لقد سال دمعى فى فراقك فانيا
وما أنا الا كالذى جاء منهلا
فذاق ولكن عاد ظمآن باكيا

وصل آزاد مكة فى شوال١١٥١ /١٧٣٩ وأثناء انتظاره لموسم الحج تتلمذ على الشيخ عبد الوهاب الطنطاوى المحدث المصرى ، ولما انتهت مناسك حجه قصد الطائف وتفرج عليها وزار قبر الصحابى عبد الله بن عباس ثم ذهب الى جده وركب السفينة متجها الى الهند فى ٣ من جادى الأولى ١١٥٢/١٧٣٩ فتوقفت به فى مخا أربعة أيام زار خلالها الامام الصوفى على بن عمر الشاذلى وفى ٢٩ من الشهر نفسه وصلت السفينة الى ميناء«سورت» بالهند .

أقام آزاد خمسة شهور تقريبا فى ميناء سورت ثم ذهب الى «اورنك آباد » فاعتكف فى زاوية الشاه مسافر العد جوانى سبع سنوات خرج بعدها ليكون فى صحبة الأمير ناصر جنك الذى تولى حكم الدكن ١١٦١/١٧٤٨ بعد وفاة الأميرآصف

جاه ، وتنقل الشاعر بعد ذلك بين أرجاء الدكن ثم ألقى عصاه أخيرا فى أورنك آباد حيث مات بها سنة ١٧٨٥/٢٠٠٠

شخصية الشاعر :

كان آزاد يعجب بنفسه كثيرا ويفتخر على أمثاله من شعراء الهند فيقول :

آزاد أربى على الأقران ناطقة
والسحر بعد اليد البيضاء معزول

ويقول أيضا فى خاتمة الدفتر الأول من أرجوزة «مظهر البركات» :

بارك الله فيك يا آزاد
قد أرحت الأسماع بالانشاد
قد تجلى سناك بالهند
أين شمع سواك بالهند
أنت سيف مهند والله
للمعانى مجدد والله

بل انه يفتخر على الشعراء عامة حيث يقول :

أبدعت فى النظم طرزا طارفا عجبا
وصرت مشتهرا فى العرب والعجم
طالع دواوين قوم نظموا دررا
هل فى أولئك مثلى ناظم القوم

وقد أخذ عليه مولانا شبلى النعمانى : فقال : ان مثل هذا الفخر والتيه لا يليق بالعلماء . أما مولانا عبد الحى الحسنى فقال: ان مؤلفات آزاد ممتعة ومقبولة ولم يتعرض للفخر والتيه .

والواقع أن الشاعر آزاد كان يعيش فى برج من العاج ينظر من خلاله الى الناس يدرجون على الأرض فعندما رجع من رحلة الحج ورأى ماحل بوطنه من خراب على يد نادر شاه سنة ١١٥٢/ ١٧٣٩ والمصائب التى توالت على الهند بعد ذلك هرب من هذا الواقع الأليم ليعتكف سبع سنوات فى زاوية باورنك آباد حتى اذا ابتسمت له الحياة بتولى صديقه ناصر جنك حكم الدكن هجر الزاوية ليكون فى صحبته ولا يبرحه فى الظعن والاقامة، لقد كان شاعرنا يريد القمة ويسعى اليها .

وذكر صاحب «كل رعنا» أن آزاد بينما كان يمر بأحد الأسواق رأى شاله الذى كان قد ضاع منه أمام أحد التجار معروضا فهم أن يأخذه وسأل التاجر : ممن

أخذت هذا الشال ؟ فراوغ التاجر ولما أفهمه الشاعر أنه ملكه قدضاع منه أنكر عليه التاجر ورفض أن يقول شيئا الا أمام القاضى ولماعلم آزاد اصراره ترك التاجر والشال ومضى قائلا: أنا المدعى لكن لاأحب ولا يليق بى أن أقف أمام القاضى بجانب هذا السوقى .

ومع حبه للعظمة كان يترفع عن الصغائر : سأل بعض أصدقائه يوما أن يطلب من صديقه ناصر جنك منصبا فأبى وقال : مثل هذه الدنيا مثل نهر طالوت غرفة منه حلال والزيادة عليها حرام وفى هذا يقول من أرجوزة مظهر البركات :

قال لى واحد من الخلصاء
عاقل كامل من الفضلاء
ان هذا الأمير يرعاكا
فى كمال الخلوص يهواكا
فاطلب من مراتب الدنيا
واكتسب من مناصب الدنيا
قلت يا ناصحا يكلفنى
مخلصا صادقا يعنفنى
عند من نستعين لاهوتا
هذه الدنيا نهر طالوتا
غرفة منه شربها مشروع
والزيادات شربها ممنوع

وكان آزاد عزيز النفس لايرضى بالهوان ولايقيم على ذل : أراد والده السيد نوح الحسينى وكان يعمل فى قصر الأمير شاهنوازحاكم ولاية « اله آباد »من قبل السلطان محمد شاه أن يحصل له ولأخيه غلام حسن على وظيفتين فى القصر الذى يعمل فيه فأخذهما الى رئيس الحاشية وأوصى بهما ثم انصرف الى عمله غير أن رئيس الحاشية تشاغل عنهما بالتوقيع على أوراق كثيرة وطال وقوفهما دون أن يلتفت اليهما فأخذت آزاد العزة وقال : ان الرجوع الى الخالق أفضل من الوقوف على باب مخلوق وخرج بدون استئذان فسأله الحاجب : الى أين ياهذا ؟ فأجابه آزاد : الى البيت . قال الحاجب : هذه فرصتك الوحيدة وانجئت ثانيا فلم يسمح لك فلم يعره آزاد اهتماما وذهب الأخوان الى البيت وتركا العمل فى القصر .

وكان شاعرنا سريع التفكير سديد الرأى حاضر الجواب : اجتمع مجلس من العلماء والشعراء

يوما فى حضرة الأمير ناصر جنك فأنشد أحدهم بيتا لميرزا صائب :

أهل كمال رالب اظهار خامشىاست
منت بذير ماه تمام هلال نسيت

ومعنى البيت فى الظاهر أن أهل الكمال صمتهم بيان لايحتاج الى تفسير كالبدر لايستمد نوره من الهلال لكن وقع الاختلاف فى المقصود بماه تمام (البدر) اذ ما المناسبة بين أهل الكمال وبين البدر ؟ وبينما المناقشة تدور فى قوة اذ ابتدأ آزاد يقول : ليس المقصود من ماه تمام البدر وانما يراد به هنا الشهر الكامل والمعنى على هذا أن أهل الكمال سكوتهم لايحتاج الى تفسير كمثل الشهر القمرى اذا أتم ثلاثين يوما لايحتاج الناس معه الى رؤية الهلال وبهذا حسم آزاد المناقشة وأقنع الحاضرين .

مدح الملوك والأمراء :

يقول آزاد بعد أن مدح صديقه ناصر جنك وما نظمت قط فى مدح غنى الا هذين البيتين . غير أن آزاد يبالغ فى هذه الدعوى فقد سبق أن عرفنا فى رحلة الحج أنه مدح الأمير آصف جاه كما قرأنا له فى سبحة المرجان قوله :

يأيها الملك الرفيع جنابه
لم يلف فى كل الورى لك ثان
ظل لرب العرش أنت وظاهر
أن لا يكون لواحد ظلان

وقوله :

ان فاق أعصار الملوك زمانه
فالعيد ممتاز عن الأيام

واذا كان آزاد قد أورد هذه الأبيات ولم يشر الى الغرض الذى قيلت فيه فان معناها يجزم بأنها فى مدح ملك أو أكثر ، والذى يمكن أن نطمئن اليه هو أن آزاد لم يجعل مدح الملوك والأغنياء وسيلة للتقرب والزلفى أو كسب المال ، ولهذا خلت دواوينه من مديح الملوك والأغنياء الا ماندر من بيت أو بيتين ولاعتبارات غير التكسب والزلفى .

اعمال الشاعر :

أجاد آزاد ثلاث لغات هى الفارسية والعربية والهندية وله فى الأولى والثانية شعر وتصنيف فله فى الفارسية ديوان شعر يبلغ ٩٠٠٠ بيت ومؤلفات لاتزل مرجع الباحثين فى شبه القارة مثل : مآثر الكرام فى تاريخ بلكرام طبع فى حيدر آباد

بالدكن ١٩١٠م ، خزانة عامرة طبع فى لكنئو ، سرو آزاد طبع بالدكن أيضا ١٩١٣ ، يد بيضاء ، روضة الأولياء ، سند السعادات فى حسن خاتمة السادات ، غزلان الهند ، كشكول ، مآثر الأمراء ، أنيس المحققين •

أما مؤلفاته العربية فهى كمايلى:

١ ــ ضوء الدرارى شرح صحيح البخارى كتبه عندما كان بالأراضى المقدسة ولم يتمه اذ وقف به عند آخر كتاب الزكاة وهو شرح ممزوج بالمتن ملخص من القسطلانى •

٢ ــ سبحة المرجان فى آثار هندستان : طبع فى بمباى ١٣٠٣هـ وهذا الكتاب مشهور بين العرب والعجم ويشتمل على أربعة فصول الأول فى مكانة الهند من خلال الأحاديث والتفاسير القرآنية ، والثانى تراجم لعلماء وأدباء الهند ممن لهم آثار من علم وأدب وهو فى هذا يعد صاحب فضل السبق اذ لم يكتب أحد قبله تراجم لعلماء الهند ورجالها ، ولما يزل هذا الفصل مرجعا للباحثين ، والفصل الثالث فى المحسنات البديعية : محسنات نقلها الى العربية عن الهندية ، وأخرى اخترعها بنفسه ، وثالثة فى نوع من البديع سماه «أبو قلمون» بأنواعه ورابعة فى حسن التخلص ، وأخيرا فى بيان العشاق والمعشوقات وأحوالهم ونفسياتهم •

٣ ــ شفاء العليل : رسالة صغيرة فى اصلاح أخطاء المتنبى شعرا اعتمد فيها على شرح الواحدى •

٤ ــ تسلية الفؤاد فى قصائد آزاد : لم نعثر على هذا الكتاب ويبدو أنه مفقود •

٥ ــ الشجرة الطيبة : فى أنساب السادة من أهل بلكرام •

٦ ــ مرآة الجمال : قصيدة نونية تبلغ ١٠٥ أبيات فى وصف أعضاء المعشوقة من الرأس الى القدم وله عليها شرح •

٧ ــ أرج الصبا فى مدح المصطفى: مجموعة قصائده التى مدح بها الرسول صلى الله عليه وسلم فى

الدواوين المختلفة جمعها فى مجلد واحد .

٩ ـ الديوان العربى : لآزاد شعر كثير فمنه مرآة الجمال ، ومنه ما أنشأه عند تأليف سبحة المرجان وله غير ذلك عشرة دواوين وأرجوزة أسماها مظهر البركات وقد أحصينا أشعاره بما يبلغ أكثر من سبعة عشر ألف بيت .

وعندما أتم الدواوين السبعة الأولى جمعها فى مجلد واحد سماه السبع السيارة وقد رأيت مخطوطتين له فى ندوة العلماء يلكنؤ فى صفحات كبيرة وقد كتب على آخر صفحة من احداهما الرقم ٨١٦ كما توجد مخطوطة للسبع السيارة فى رامبور ناقصة الطرفين صفحاتها ٣٩٨ وقد طبعت مختارات من الدواوين الثلاثة الأولى فى الدكن ١١٨٧ كما طبعت أيضا مختارات السبع السيارة ، ويمتاز الديوان الرابع والخامس فى أن أولهما قد نظمه الشاعر مردفا والثانى مستزادا على طريقة الفرس . أما الديوان الثامن فتوجد له مخطوطة فى مكتبة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ضمن مجموعة عارف أفندى كما توجد فى مكتبه آزاد بجامعة عليكره بالهند مخطوطات الديوان الثامن والتاسع والعاشر الا أنها مخطوطات ناقصة متآكلة الأوراق بخلاف المخطوطة الموجودة فى الندوة لهذه الدواوين الثلاثة الأخيرة حيث توجد فى حالة جيدة وتمتاز بالكمال ووضوح الخط وسلامة الأوراق .

أما أرجوزة مظهر البركات فهى مجموعة قصص صوفية واجتماعية تقع فى سبعة فصول أصغرها يتكون من خمس عشرة حكاية ومعظمها ضعف ذلك .

حسان الهند :

أعجب كثير من علماء الهند وأدبائها بشعر آزاد ومديحه النبوى فأضفوا عليه لقب « حسان الهند » تكريما له واعترافا بمنزلته فيهم لكن هل يستحق آزاد هذا اللقب ؟ وهل هناك وجه يشترك فيه مع شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم حسان ابن ثابت الأنصارى ؟ والواقع أن آزاد قد اشترك مع حسان بن ثابت فاذا كان الأخير قد دافع عن الدعوة

الإسلامية ومدح صاحبها فان آزاد قد اقتفى أثره وأكثر فى المديح وان لم يبلغ مبلغ حسان اجادة وشمولا ، واذا كان الفرس قد أطلقوا لقب حسان العجم على شاعرهم الخاقانى (١) وتعارفوا على ذلك فان آزاد بلا شك يستحق لقب حسان الهند فى نظر أهلها على الأقل بل ان مما يؤيد استحقاقه وجدارته بهذا اللقب فى رأينا أنه أنشأ مديحه النبوى فى اللغة العربية والفارسية بخلاف الخاقانى الذى أنشأه بالفارسية دون سواها •

وقد ثارت معارك أدبية فى الهند ضد أعمال آزاد نذكر من هؤلاء من قام بالاعتراض على شعره العربى وهو محمد باقر آكاه ــ شاعر ومصنف هندى ــ الذى ألف « جهارصد ايراد بركلام آزاد » أى أربعمائة اعتراض على كلام آزاد ، واذا كان آزاد قد رد بنفسه على كثير من هذه الانتقادات فانه لم يعدم المؤيدين له لذلك نجد صاحب « تذكرة ككزار أعظم » لم يذكر من هذه الاعتراضات الأربعمائة سوى أربعة مظهرا عدم الرضا عن آكاه ، وفى رأينا أن معظم هذه الاعتراضات لم يكن مبعثه الفن للفن وانما دافعه شخص يحاول الهدم بتصيد الأخطاء حينا وافتعالها أخرى ومن ذلك تغييره لبعض أبيات آزاد بزيادة حرف أو حذفه حتى يجد مندوحه مثل قول آزاد :

وصل وصد رأفة وقساوة
ما المبتغى من هذه الأوصاف

فيورده آكاه هكذا :

وصل وصد رأفة وقساوة
ما المبتغى لمن هذه الأوصاف

آزار والعرب :

كان آزاد كسائر المسلمين فى الهند يتطلع بعقله وقلبه وروحه الى

(١) هو أفضل الدين ابراهيم بن على الخاقانى الحقايقى الشروانى ولد ٥٢٠/١١٢٦ فى قرية دربند من قرى شروان وتوفى ٥٩٥/١١٩٨ (فرهنك دانش وهنر) .

الأراضى المقدسة ويتمنى أن يعيش فى بلاد العرب ويخاطب الناس بالعربية وقد مكث فى رحلة الحج بهذه الديار أكثر من سنة التقى خلالها بأئمة العرب المسلمين وعامتهم وقال الشعر أمامهم فاستحسنوه وشهدوا له بالسبق ، وعندما ألف سبحة المرجان أرسل نسخة منها الى امام مسقط فرد الامام بالجواب الآتى : من عبيد الله المتوكل عليه المعتصم بامام المسلمين أحمد بن سعيد بن محمد البوسعيدى (١) الى حضرة أوضح الأمة لسانا وأبرعهم بيانا وأحدسهم عقلا وأثبتهم ثقلا الشيخ الأستاذ علامة الدهر وفريدة العصر آزاد الحسينى الواسطى البلكرامى ـ سلمه الله ـ أحيا رسوم الفصاحة بعد أن درست وعفت معالمها وأطلع شمسها بعد أن انكسفت وأجرى مياهها بعد أن غاضت وشيد أركانها بعد أن انهارت .. الخ ويشتمل الكتاب على ما يقرب من خمسين فقرة علاوة على أشعار .

ويقول زبيد أحمد فى كتابه اسهام الهند فى الأدب العربى : ان بعض قصائد آزاد الموحية وصلت الى علماء المدينة المنورة فاستحسنوها وأعجبوا بها ورفعوها هدية الى الحرم النبوى ويقول الشيخ عبد العلى البحرينى فيما يورده له صاحب كل رعنا لجهمى نراين : والله لو ادعى النبوة فى الهند صاحب هذا الديوان ـ يشير الى ديوان آزاد ـ لسمعت دعواه .

د . عبد المقصود شلقامى

---

(١) مؤسس الدولة اليوسعيدية المعاصرة فى عمان .

أخطاء شائعة

للأستاذ عباس أبو السعود

٢٦١ ــ ويقولون للقائم : اجلس كما يفعل المدرسون مع تلاميذهم ، والاختيار ــ على ما حكاه الخليل ابن أحمد ــ أن يقال لمن كان قائما : اقعد ، ولمن كان نائما أو ساجدا : اجلس ، وعلل بعضهم لذلك بأن القعود هو الانتقال من علو الى سفل ، ولهذا قيل لمن أصيب برجله: مقعد ، وأن الجلوس هو الانتقال من سفل الى علو ، ومنه سميت نجد جلسا لارتفاعها ، وقيل لمن أتاها جالس وقد جلس ، ومنه قول عمر بن عبد العزيز للفرزدق :

قل للفرزدق والسفاهة كاسمها
ان كنت تارك ما أمرتك فاجلس

أى اقصد الى نجد ما دمت تهمل أوامرى .

٢٦٢ ــ ويزعمون أن كلمة ريس بزنة كيس عامية ، لكثرة جريانها على ألسنة العامه ، والحق أنها عربية سليمة ، قال الكميت يمدح محمد بن سليمان الهاشمى :

تلقى الأمان على حياض محمد
تولاء مخرفة وذئب أطلس

لاذى تخاف ولا لهذا جرأة
تهدى الرعية ما استقام الريس

٢٦٣ ــ ويقولون : دخل اللص المنزل رغم حارسه ، والحق أن الرغم لا يستعمل ــ ان كان مضافا ، أو مقرونا بأل وبعده من ــ الا مع حرفين .

أحدهما على : فيقال : فعلت كذا على رغم فلان أو على رغم أنفه ، وذلك كناية عن الذل كأنه لصق بالتراب هوانا ، قال زهير :

فرد علينا العين من دون الفه
على رغمه يدمى نساء وفائله

ويقال كذلك : فعلت كذا على الرغم منه :

والحرف الآخر الباء ، كما فى قولك : فعلت كذا برغمه أو برغم أنفه كما فى قول أبى نواس :

رجعت الى العراق برغم أنفى
وفارقت الجزيرة والشآما

وقول مطيع بن اياس :

وبرغمى أن أصبحت لا تراها
العين منى وأصبحت لا ترانى

وقول المتنبى :

برغم شبيب فارق السيف كفه
وكانا على العلات يصطحبان

فان لم يكن مضافا ولا مقرونا بأل جاز أن يكون منصوبا على أنه حال أو مفعولا لأجله كما فى قولك : فعلت ذلك رغما أى كارها أو كرها .

٢٦٤ ــ ويقولون : صمنا الأيام البيض بنصب كلمة البيض على أنها نعت للأيام ، والصواب أن يقال : صمنا أيام البيض باضافة أيام الى البيض ، والكلام فيه حذف ، والتقدير صمنا أيام الليالى البيض ، وهى ليلة ثلاث عشرة ، وليلة أربع عشرة ، وليلة خمس عشرة ، وسميت هذه الليالى بالبيض لاستنارة جميعها بالقمر ، قال المطرزى : ومن فسرها بالأيام فقد أبعد .

٢٦٥ ــ ويخطئون حين يزعمون أن البنادرة هم الذين يقيمون فى المدن ، وأن واحدهم بندرى نسبة الى البندر ، والحق أن البندر والبندرى كلمتان عاميتان ، وأن البنادرة هم أولئك التجار الذين يخزنون البضائع التى يتجرون فيها ، ولا يبيعونها الا حين ترتفع أثمانها ، وأحدهم بندار بالضم وزان عثمان .

أما الذين يسكنون الحواضر فيسمون حضريين ، نسبة الى الحضر بالتحريك والحاضرة ، تقول : فلان من أهل الحضر والحاضرة ، وهو حضرى بين الحضارة ، كما يقال : فلان بدوى بين البداوة ، وهو بدوى يتحضر ، وغيره حضرى يتبدى .

والحضر والحاضرة ، والحضارة بالفتح والكسر ، خلاف البادية ، والحضارة بالفتح الاقامة فى الحضر ولك أن تقول : هم مدنيون ، كما تقول لسكان القرى قرويون ، ولسكان الريف ريفيون ، ولسكان البوادى بدويون ، وتقول تبدى فلان اذا أقام بالبادية ، وتبادى اذا تشابه بأهل البادية .

٢٦٦ ـ ويقولون : فلان بطينى بكسر الياء وفتح الطاء وتشديد الياء ، يعنون أنه مفهوم كثير الأكل والصواب أن يوصف بأنه بطن وزان ضجر وهو من همه بطنه أو الرغيب لا ينتهى من الأكل أو يوصف بأنه مبطان بكسر الميم .

ويقال : بطن فلان بالبناء للمفعول اذا اعتل بطنه ، فهو مبطون ، والبطن بالتحريك داء البطن وعلته ، تقول : أصيب الولد بالبطن والبطن بالكسر والأشر والكظة بتشديد الظاء ، ويقال : رجل مبطن وزان معظم اذا كان خميص البطن ضامرة ، ورجل بطين اذا كان عظيم البطن من كثرة ما أكل .

أما البطانة بكسر الباء فهى السريرة ، والصاحب ، وهى من الثوب خلاف ظهارته تقول : بطن الخياط ثوبى بطانة حسنة ، وبطائن ثيابنا الديباج .

ومن المجاز قولك : فلان فى بطنان الشباب بضم الباء اذا كان فى وسطه ، وتبطن الفلاح الكلأ اذا توسطه ، قالت الخنساء :

فجاء يتشر أصحابه
تبطنت يا قوم غيثا خصيبا

ويقال : فلان عريض البطان بكسر الباء اذا كان غنيا ، وتزت به البطنة اذا أبطره الغنى .

٢٦٧ ـ ويقولون : مع فلان محفظته ثمينة يصون فيها دراهمه ودنانيره ، وكلمة محفظة غير عربية . والفصيح يقال لها حافظة لأنها تحفظ ما يكون فيها من الضياع ، أو يقال لها كيس الدراهم .

أما المحفظة مضمومة الميم بزنة اسم الفاعل فهى الحمية والغضب عند حفظ الجرمة تقول : ألك محفظة ؟

أى حرمة تحفظك وتغضبك ، جمعها محفظات كما فى قول القطامى •

أخوك الذى لا تملك الحس نفسه
وترفض(١) عند المحفظات الكتائف(٢)

ومثل المحفظة فى معنى الحمية الحفيظة جمعها الحفائظ ، تقول : هم الحفائظ والمحفظات ، وفى المثل « المقدرة تذهب الحفيظة » ويضرب فى وجوب العضو عند الاقتدار عليه قال الحطيئة :

يسوسون أحلاما بعيدا أناتها (٣)
وان غضبوا جاء الحفيظة والجد

٢٦٨ ــ ويقولون: فلان شاعر رقيق الوجدان ، ووجه الكلام أن يقال : هو رقيق الاحساس أو رقيق العاطفة، صادق الشعور ، واسع الخيال ، صافى القريحة ، بارع التصوير ، قوى التأثير •

أما الوجدان فهو مصدر لقولك : وجد فلان ضالته يجدها وجدانا ، ووجد عليه فى الغضب بكسر الجيم موجدة ووجدانا ، ومن هذا قول صخر الغى •

كلانا رد صاحبه بيأس
وتأنيب ووجدان شديد

وقد يستعمل الوجدان فى الوجد بضم الواو ، ومنه قول العرب :

وجدان الرقين (٤) يغطى أفن (٥) الأفين ، والمعنى أن اليسار يغطى ما يبدو على صاحبه من ضعف فى عقله •

والوجد بالضم هو اليسار والسعة ومنه قوله تعالى : « أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم » •

٢٦٩ ــ ويقولون للميت جنازة بكسر الجيم ، والفصيح ــ كما قال أبو على الدينورى ــ أن الجنازة

---

(١) ترفض : تتفرق •
(٢) الكتائف : الأحقاد •
(٣) الأناة : الحلم والوقار •
(٤) الرقين : الدرهم •
(٥) الأفن : ضعف العقل ونزقه مأخوذ من قولك : فنته الناقة اذا استنزف الحالب لبنها •

بالكسر هى السرير الذى يحمل عليه الميت ، ولا يقال له دون الميت جنازة وقال صاحب كتاب العين : الجنازة بالفتح هى الانسان الميت ، والشيء الذى ثقل على القوم واغتنموا به جنازة ، وأنشد لصخر .

وما كنت أخشى أن أكون جنازة
عليك ومن يغتر بالحدثان

٢٧٠ ـ ويقولون : هذا المشهد ملفت للنظر ، يعنون أنه معجب يأخذ بمجامع القلوب ، أو مؤلم يثير فى النفوس الحسرات ، وهذا التعبير معيرة لقائلة ، لأن كلمة ملفت اسم فاعل من فعل رباعى لم يرد عن العرب ، وانما الذى ورد عنها هو الثلاثى والخماسى ، على أنهما لا يؤديان المعنى الذى يبتغونه ، تقول : لفته يلفته لفتا من باب ضرب اذا لواه وصرفه ، وللفت ثلاث معان لا صلة لها بما يريدون .

١ ـ الصرف ، تقول : لفته عن رأيه اذا صرفه عنه ، ومنهقوله تعالى: « أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا » ومنه الالتفات كما فى قوله سبحانه : « ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك » أى ولا ينصرف منكم أحد ولا يتخلف الا امرأتك ، ومنه أيضا التلفت كما فى قوله :

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى
وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا

٢ ـ الضرب ، تقول : الفلاح يلفت الماشية اذا ضربها لا يبالى أيها أصاب .

٣ ـ العطف كما فى قولك : لفت ردائى على عنقى اذا عطفته وثنيته .

٢٧١ ـ مما نشر خطأ فى صحيفة الأهرام قول أحد محرريها : قررت شركة السيارات ايقاف الحجز اعتبارا من يوم كذا ، وقد أعلمنا البنك الأهلى ومراسليه بذلك فى كافة

---

(١) الليت بكسر اللام : صفحة العنق .

(٢) الأخدع : شعبة من الوريد .

البلاد ، وفى هذه العبارة على قلة كلماتها أربعة خطأ .

أحدها : أنه استعمل فى تعبيره مصدر الفعل الرباعى فقال : ايقاف ، مع أن علماء اللغة لم يستعملوا الرباعى الا فى قولهم أوقف فلان اذا سكت وأوقف عن الأمر اذا أمسك وأقلع وعن أبو عمر والكسائى أنه يقال للواقف : ما أوقفك ها هنا ؟ أى أى شىء حملك على الوقوف هنا ؟ والفصيح استعمال الثلاثى لازما ومتعديا تقول : وقفت الدابة وقفا ووقوفا ، ووقفها صاحبها ، ويؤيد ذلك قوله جل شأنه : « وقفوهم انهم مسئولون »وقوله : « ولو ترى اذا وقفوا على النار » .

والثانى : أنه قال : اعتبارا من يوم كذا ، والحق أن الاعتبار معناه الاتعاظ والتذكر كما فى قوله تعالى: « فاعتبروا يا أولى الأبصار » ومن معنى الاعتبار الاختبار والامتحان كما فى قوله : اعتبرت الدراهم فوجدتها ألفا ، وكذا التعجب كما فى قولك : اعتبرت من كذا اذا تعجبت وكان عليه أن يقول : قررت الشركة وقف الحجز ابتداء من يوم كذا .

والثالث : أنه قال (البنك) بفتح فسكون ، وهذه كلمة أعجمية عربيتها المصرف وزان المنزل اسم مكان من قولهم : صرف فلان الدراهم اذا باعها بدنانير ، وأصرفها من المصرف اذا اشتراها تقول : فلان صراف الدراهم ، وصيرف ، وصيرفى ، والجمع صيارفة ، والهاء فيه للنسبة وقد جاء فى الشعر صياريف .

وفى اللغة كلمة معربة هى البنك بضم فسكون وزان القفل ، ومعناها أصل الشىء أو خالصه ، والساعة من الليل ، تقول : مكثت على شاطىء البحر بنكا أى ساعة من الليل ، وتطلق أيضا على نوع من الطيب .

والرابع : أنه قال فى كافة البلاد باضافة كافة الى البلاد وهذا فاسد ، لأن كلمة كافة لا تضاف أبدا ، كما لا تدخلها أداة التعريف ، ولا تعرب فى أفصح الآراء الا حالا ، تقول : عاد الحجاج كافة أى جميعا ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : «وما أرسلناك الا كافة للناس »

وقوله: «وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة» وقوله : «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة» فكان عليه أن يقول : فى البلاد كافة.

وقال الأزهرى : ان كافة مصدر جاء على فاعلة كالعافية والعاقبة والباقية ، وهو منصوب على الحال.

وفى القاموس : وجاء الناس كافة أى كلهم ولا يقال : جاءت الكافة لأنه لا يدخلها أل ولا تضاف ، وعاب النووى على الفقهاء فى التهذيب استعمالها بأل أو بالاضافة .

٢٧٢ — ويزعمون أن الفعل أنجب لا يستعمل الا لازما ، اعتمادا منهم على أن معاجم اللغة لم تذكره متعديا ، ففى الأساس أنجب به أبواه ، وفيه قال الأعشى :

أنجب أيام والداه به
اذ نجلاه (١) فنعم ما نجلا

وفى المصباح أنجب انجابا ولد له ولد نجيب ، وفى القاموس : وأنجب ولد ولدا جبانا ضد ، وقد نجب كرم نجابة وأنجب .

والحق أنه يتعدى الى المفعول به ، اذ ورد متعديا فى شعر حفص الأموى الشاعر الاسلامى الذى عاصر كثير عزة ، قال فى سباق أقامه هشام بن عبد الملك وحاز فيه فرسه قصب السبق :

ان الجواد السابق الامامْ
خليفة الله الرضى الهُمامْ

أنجبه السوابق الكرامْ
من منجبات مالهن ذامْ (٢)

وفى الأغانى ص ١٥ من الجزء الثالث عشر أن على بن الخليل وفد على يزيد بن مزيد الشيبانى وقد ولد له ولد ، فقال : أتسمع أيها الأمير تهنئة بالفارس الوارد ؟ فتبسم يزيد وقال هات ، فأنشده .

يزيد يابن الصِّيد (٣) من وائلٍ
أهل الرياسات وأهل المعالْ

---

(١) نجلاه : ولداه .
(٢) الذام : العيب .
(٣) الصيد : جمع أصيد وهو المزهو بنفسه .

يا خـــير من أنجبـــه والد
ليهنــك الفــارس ليث النزال

جاءت به غــرائر ميمونة
والسعد يبدو فى طلوع الهلال

عليــه مـــن معن ومـــن وائل
سيما(١) تباشر وسيما جـلال

وفى مجمع الأمثال فى شرح المثل « أنجب من فاطمـة بنت الخرشب الأنمارية » .

ولا يقــولون منجبة حتى تنجب ثلاثة .

وقال المرحوم على الجارم فى حفل العيد المئوى لوزارة المعـارف على لسان المعارف .

أنجبت للبــلاد أبطــال عزم
هم دروع البلاد فى الأزمات

أنجبت كل عالم بهر الكو
ن بآيات علمــه البينـــات

أنجبت كل شـــاعر عبقرى
صادق الحس بارع اللفتات

٢٧٣ ــ ويقولون : هذا الرجل أخصائى فى فن الطب ، بفتح الهمزة وكسر الخاء وتشديد الصاد مفتوحة وهــذا غير سليم ، لأنه نسب الى كلمة أخصاء كأنه جمع خصيص ، كخيــل وأخــلاء والمفرد والجمع لا وجود لهما فى العربية .

والفصيح أن يقال اخصائى فى كذا بكسر الهمزة وسكون الخــاء نسبة الى مصدر أخصى الرجل اخصاء اذا قصر جهوده على تعلم علم واحــد واتقانه ، أو يقال متخصص فى كذا .

٢٧٤ ــ ويقولون للمتوسط : هو بين البينين ، والصواب أن يقال : هو بين بين ، أى بين الجيد والردىء ، قال عبيد بن الأبرص :

انا اذا عض الثقاف (٢)
برأس صعدتنا (٣) لوينا

(١) السيما : العــلامة .
(٢) الثقــاف : ماتسوى به الرماح .
(٣) الصعدة : القناة المستوية لا تحتاج الى تثقيف .

نحمى حقيقتنا وبعض
القوم يسقط بين بَينا

أى بين العالى والمنخفض ، وقد كان الأصل فى هذا الكلام أن يضاف بين ، فلما قطع عن الاضافة وضم أحد الموسمين الى الآخر ، وحذفت واو العطف المعترضة بينهما بنيا على الفتح كما بنى أحد عشر ، واختيرت له عند بنائه الفتحة لأنها أخف الحركات .

٢٧٥ ـ وكثير من الخاصة يوهمون حين يقولون : نضج الثمر أو اللحم نضوجا ، يعنون انه أدرك وطاب أكله ، وهذا التعبير مشوب بالخطأ ، لأن هذا الفعل ليس من باب دخل . والفصيح أن يقال : نضج الشىء من باب سمع نضجا بالفتح ، والاسم النضج بالضم ، والفاعل ناضج ونضيج ، تقول : هذا ابان نضج العنب وهو نضيج ، ومنضج بصيغة اسم المفعول من أنضجه الله ، ومن المجاز قولك : فلان نضيج الرأى أى محكمه ، وتقول لابنك أنضج رأيك أى أحكمه .

٢٧٦ ـ وما ينبغى أن يعد من الأساليب الأجنبية التى استعملها الخاصة وصف التقبيل والقبلات بالحرارة ، وربما كان هذا الأسلوب من صنيع الانجليز ، ولا يعلم ماذا يريدون بالحرارة فى قولهم : قبلات حارة ، أيريدون بها حرارة النفس والجوف ؟ أم يريدون بها المعنى المجازى ، فيعنون أن القبلات حارة أى لذيذة ، ولا جرم فان الحرارة والدفء كليهما مبعث اللذة والنعمة فى بلادهم الباردة ، كما أن البرودة والخضر مبعث النعمة واللذة فى بلاد العرب الحارة ومن ثم يقولون : أثلج الله صدره ووجه الكلام أن توصف القبلات باللذة أو المتعة فيقال : قبلات لذيذة أو ممتعة .

٢٧٧ ـ ويقولون لمن لا يأتى النساء عجزا أولا يريدهن معنون ، والفصيح أن يقال له عنين وزان سكين ، تقول عنن فلان عن امرأته وآعن عنها بضمهما اذا حكم القاضى

عليه بذلك أو منع عنها بالسحر ، والاسم العنة بالضم ، وهى أيضا الحظيرة من الخشب .

أما المعنون فهو المجنون ، وكذلك هو المجبوس ، تقول : عننت الفرس أعنه من باب قتل اذا حبسته بعنانه فهو معنون والعنين وزان أمير هو من لايقدر على حبس ريح بطنه ، وأصل العنين مأخوذ من عن اذا اعترض ، فكأنه متعرض للنكاح ولكنه لايقدر عليه ، والعرب تسميه أيضا بالسريس وزان سمير ، قال أحد الشعراء .

ألا حيِّيت عنا يا لَمِيسُ (١)
علانيةً فقد بقى النسيس (٢)
رغبتُ اليك كيما تنكحينى
فقلتِ بأنه رجلٌ سريسُ (٣)
ولو جربتنى فى ذاك يوما
رضيتِ وقلت أنت الدربيسُ (٤)

عباس أبو السعود

القــدوة :

« ان نظرية مهما تبلغ من الصحة ودقة الفكر ، وانتعليما مهما يكن رائفا ويقع من الناس موقع الاعجاب ، وان هداية مهما تجمع من صنوف الخير ، كل أولئك لايغنى غناء ولا يثمر ثمرة ولا يبقى على الدهر الا اذا كان له من يمثله بعمله ، ويدعو اليه بأخلاقه وفضائله ، ويعرفه الى الناس بالقدوة والاسوة ، فيقتدى الناس بدعاية من طريق العمل بعد العلم ، معجبين بسجايا هؤلاء الدعاة معظمين لأخلاقهم مكرمين طهارة قلوبهم وزكاة نفوسهم وسجاحة أخلاقهم ورجاحة عقولهم وحصانة آرائهم وسداد أفكارهم » .

سليمان الندوى فى الرسالة المحمدية

---

(١) لميس : اسم امرأة .
(٢) النسيس : بقية الروح .
(٣) السريس : العنين .
(٤) الدربيس : الداهية .

على هامش رحلة الإمام الأكبر إلى أندونيسيا

للدكتور رؤوف شلبي

تمهيد :

فى النصف الثانى من شهر شعبان سنة ١٣٩٦هـ الموافق للنصف الثانى من شهرأغسطس سنة ١٩٧٦م سافر الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الى الجزر الفسيحة الخضراء فى جنوب شرق آسيا المعروفة بأندونيسيا ..

تلبية لدعوة كريمة من حكومة

وكان سفر فضيلة الامام الأكبر أندونيسيا ليشهد فضيلته مواكب احتفالات عيد الاستقلال الأندونيسى الذى أسهمت فيه الحركة الاسلامية بالجهود الأساسية وكانت مصر أول دولة تعترف بدولة اندونيسيا كدولة مستقلة ذات سيادة ، بل وكانت حركة التحرير الأندونيسى تنبع من صحن الأزهر حيث كان طلاب رواق جاوا يؤججون نشاطهم من رحاب الأزهر الشريف ..

بالاضافة الى هذا فقد كانت الدعوة الرسمية من حكومة أندونيسيا الى فضيلة الامام الأكبر لها جانب دينى هام هو : أن يتعرف الامام الأكبر على مستوى العمل الاسلامى الذى ترعاه الحكومة والذى تقوم به المؤسسات الاسلامية الشعبية على مقصد دقيق هو : أن تتعرف الحكومة والشعب الأندونيسى مدى انطباعات الامام الأكبر على ما يشاهده من معالم حضارية فى الثقافة وأسلوب العمل الاسلامى ، ولهذا كانت الرحلة شاقة وكانت الرحلة دقيقة وكانت عناية الله هى التى تسير الركب وتمنح اللفظ المعبر عن الحقيقة .

جغرافية أندونيسيا
ودخول الاسلام اليها :

وأندونيسيا هى أعظم جزر أرخبيل الملايو ، انها أعظم جزر الأرخبيل كثافة فى السكان ، والسكان المسلمين بالذات ، وأعظم من ناحية

الحجم والكم وأعظم من ناحية الثراء الاقتصادى وأعظم من ناحية موقعها الهام الذى يجعلها الأم بالنسبة لبقية جزر الأرخبيل الأخرى والتى يقطنها مسلمون هم فى أمس الحاجة الى حقوق الجوار الاسلامى من أمة الاسلام فى أندونيسيا العظيمة ..

وحسب البيان الذى وزعته الحكومة يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٧٦ فى الاحتفال بافتتاح الاتصال اللاسلكى عن طريق القمر الصناعى فان جزر أندونيسيا تبلغ : ١٣٫٦٧٧ جزيرة الآهل منها بالسكان عدده : ٦٫٠٤٤ جزيرة وتمتد جغرافيا من خط عرض ٦ شمالا الى خط عرض ١١ جنوبا ومن خط الطول ٩٥ الى خط ١٤١ شرقا ..

ومساحتها بالميل المربع ٧٣٥٠٠٠ ميل مربع .

وقد دخلها الاسلام فى القرن الأول الهجرى ــ يقول الدكتور : عبد الملك كريم ــ أمر الله الشهير بـ «همكا» انالاسلام قد انتقل الى هذه البلاد فى القرن الأول الهجرى عام ٥٢هجرية فى عهد معاوية بن أبى سفيان ..

والذى يدل على ذلك أن اتصالا تجاريا بين العرب ومناطق جنوب شرقى آسيا كان موجودا قبل الاسلام ثم ازدهر فى القرن السابع الميلادى على نحو ما ذهب اليه فرنسيس داى الذى يقول : ان العرب والفارسيين كانوا يتخذون من موانى الهند مقرا للراحة وذلك منذ القرن السابع الميلادى .. وقد عثر الباحثون على مذكرات باللغة الصينية ثبت منها أنه فى عام ٦٨٤م كان هناك فى سومطرة الشمالية داعية من أصل عربى .

كما أن الحجاج بن يوسف الثقفى عامل العراق عام ٧١١/٧١٢ م قد أرسل جيشا الى بلاد الهندوستان لتأديب القراصنة الذين خطفوا مجموعة من بنات المسلمين اللاتى مات أباؤهن أو رحلن عن جزيرة (سليون) .. مما يفيد أن جزيرة

سيلون فى القرن السابع الميلادى كان فيها جماعات اسلامية (١) ..

ويمتاز دخول الاسلام الى هذه المنطقة بأنه دليل تاريخى قوى يكذب ما يدعيه المستشرقون من أن الاسلام انتشر بالسيف ، ولهذا كان فضيلة الامام الأكبر يصر فى كثير من محاضراته على أن يستقر فى ذهن الجامعيين والمثقفين فى أندونيسيا أن بلادهم لها امتياز خاص فى التفكير الاسلامى لأنها الدليل على كذب المستشرقين الذين يتهمون الاسلام بأنه انتشر بالسيف ..

مع الامام الأكبر
فى رحلة العمل الشاقة :

ان الذى يطلع على برنامج الزيارة الذى أعدته لجنة من وزارة الخارجية الأندونيسية مع ادارة العلاقات العامة فى وزارة الشئون الدينية يحكم لأول وهلة أن هذه الرحلة عصيبة وشاقة ، فاذا ما أضيف الى هذا تقدير السن أحس الانسان بأن هذه الرحلة مضنية فانها لم تدع لحظة للراحة ولا فاصلا زمنيا يستريح فيه الجسم بين كثرة الأسفار بالطائرة بين الجزر .. ولولا عناية الله بالركب المخلص لدعوته لما كان فى الجسم حول ولا طول يواجه كثرة هذا العمل .

لقد وصل ركب الامام الأكبر الى جاكارتا عصر يوم السبت ١٤ من أغسطس سنة ١٩٧٦ وكان فى استقباله السيد الدكتور عبد المعطى على وزير الشئون الدينية والدكتور محمد ناصر ــ وكيل رابطة العالم الاسلامى ورئيس المجلس الأعلى الأندونيسى للدعوة الاسلامية .

والدكتور همكا ــ رئيس مجلس علماء أندونيسيا .

ومديرو الجامعات الاسلامية .. والسفراء العرب ومعهم السفير المصرى وجموع غفيرة أخرى من رجال الأزهر هناك وكبار رجال وزارة الخارجية والشئون الدينية والأئمة المسلمون .

ومنذ وطئت الأقدام أرض أندونيسيا وقد بدأت الحركة المتزاحمة السريعة .

---

(١) راجع كتاب تاريخ الأمة الاسلامية للدكتور همكا .
وراجع كتاب الاسلام فى أرخبيل الملايو للدكتور رءوف شلبى .

ويمكن القاء الضوء على هذه الرحلة المزدحمة بالأعمال فى هذه الركائز حسب الأماكن التى زارها الوفد .

---

١ – فى جاكرتا :

بدأت الرحلة بمحادثات بين الامام الأكبر شيخ الأزهر والوفد المرافق له وبين وزير الشئون الدينية والمشاركين معه من وزارة الخارجية والتربية والثقافة والبحث العلمى والشئون الدينية وكانت المباحثات فى قاعة من قاعات وزارة الخارجية الفخمة الرائعة التى لا تعدلها قاعة أخرى فى بلاد جنوب شرقى آسيا أو فى غيرها . وتناولت المباحثات :

* انشاء مركز اسلامى فى جاكارتا .
* زيادة عدد المبعوثين الأساتذة وخاصة الى الجامعات الاسلامية .
* زيادة المنح الدراسية .
* تبادل الكتب والمطبوعات .
* زيادة الروابط بين علماء أندونيسيا وعلماء الأزهر .

وجاءت ساعات عيد الاستقلال التى تبدأ يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٧٦ بخطاب فى البرلمان للرئيس سوهارتو ووضع مقعد للامام الأكبر فى مقدمة رجال السلك الدبلوماسى وأضيفت لأول مرة فى تاريخ البرلمان الأندونيسى الترجمة الفورية باللغة العربية ، وفى كلمة الافتتاح حيا الدكتور أدهم خالد رئيس البرلمان شيخ الأزهر وقابل أعضاء النواب المسلمين هذه التحية لفضيلة الامام الأكبر بالتصفيق الحاد اهتزت له القاعة ... وكأنما همس فى الآذان والصدور يردد لقد كان استقلال اندونيسيا ثمرة كفاح المسلمين ولعل شيخ الازهر جاء اليوم ليعيد الى الأذهان ذلكم النداء الذى طرد الاستعمار الهولندى واليابانى ذلكم النداء الاسلامى الصادر من أعماق القلب والفؤاد :

الله أكبر . الله أكبر

وكانت ساعات ائتنس فيها المسلمون لحظة عيد استقلال اندونسيا بشيخ الأزهر وهو فى وقاره الرفيع، راح يسبح الله حمدا وشكرا على ماحققته الحركة الاسلامية لأندونيسيا من حرية واستقلال ... وكان

الرئيس سوهرتو من مقعده يتابع الامام الأكبر بنظراته ... ثم استمر فى كل يوم يسأل عن أحوال الامام الأكبر ، ويستفسر عن رحلاته وصحته بعد أن اطلع على برنامج الرحلة فوجده ممتلئا زاخرا مزدحما بالأعمال والرحلات الطويلة بالسيارة ... ووقع للشيخ المهيب وقار فى نفس الرئيس سوهرتو فأمر أن يوضع كرسى الشيخ فى احتفالات الاستقلال صباح غد ١٧ أغسطس سنة ١٩٧٦ فى القصر بحيث يأتنس الرئيس دائما بالنظر اليه طوال الاحتفال كما ذكر ذلك لى رئيس ادارة البروتوكول بالخارجية السيد : سوتادى .

وفى المساء بالقصر الجمهورى تبدل النظام لأول مرة حيث كان أول مهنىء بعيد الاستقلال هو الامام الأكبر يصحبه مترجما الدكتور وزير الشئون الدينية ، وجرى حديث بالفرنسية مع كثرة الحاضرين عن مصر والاسلام والمسجد الأقصى وفلسطين ..

وانطلقت حركة العمل : لقاء مع وزير التربية والثقافة عن التربية الاسلامية فى مدارس الحكومة الرسمية ، ومقابلة فى نفس اليوم لرئيس البرلمان الدكتور أدهم خالد وحديث طويل عن انشاء المركز الاسلامى ، والعلاقات الطويلة مع الأزهر .

ثم محاضرة طويلة فى جامعة اشريف هداية اللـه عن : (موقف الاسلام من الحضارة) ثم اجتماع مع العلماء وحديث عن : (دور العلماء فى النهضة الحديثة) .

كل ذلك فى الفترة من ١٥ الى ١٨ أغسطس سنة ١٩٧٦ ، وفى صباح الخميس ١٩ أغسطس سنة ١٩٧٦ طرنا الى جاوا الشرقية حيث جابها الركب مدينة مدينة استقبلت الامام الأكبر رسميا وشعبيا .. ومع طول الطريق من سورابايا الى جوجاكارتا كان الامام الأكبر يلقى فى كل جامعة محاضرة .

وفى جاوا الشرقية والوسطى على مدى أربعة أيام ألقى الامام الأكبر هذه المحاضرات ففى جامعة سورابايا : ألقى محاضرة عن :

الاسلام والقضايا المعاصرة

حطم فيها مخطط الاستعمار ، ووضح المفاهيم المغلقة ، ودعا الى يقظة ترد العزيمة الى المجاهدين ...

وفى جامعة منبع العلوم : ألقى محاضرة عن :

عناصر الدعوة وصفات الداعية

وكانت توجيهات لأسلوب العمل الاسلامى ومواصفاته وحثا على اعداد نوع خاص من الدعاة ..

وفى مدينة مديون ألقى الامام الأكبر محاضرة فى مجلس العلماء عن :

« كيف يسهم العلماء مع الحكام فى النهضة الحديثة » .

بين فيها منزلة العالم ، وحكمة الحاكم وأن التوازن بينهما ينتج مجتمعا طيبا ... وحذر العلماء من التهاون فى شأن الشريعة وحذرهم من الخطر المحدق بالاسلام ..

وفى كونتور بالمعهد العصرى تحدث فضيلته عن :

شمول الهدف عند الداعية
وأهمية الأخلاق فى نشر الدعوة

فحدد بذلك عدة مفاهيم عن الحرية والقومية ، والمذاهب والتيارات المعاصرة...ووضع على الطريق معالم للدعاة ..

وفى مجلس علماء جوجاكارتا وهى المدينة السياسية التى تشتهر بأنها عاصمة أندونيسيا القديمة ، ومنها كان كبار زعماء الحركة الاسلامية للاستقلال مثل البروفيسور المرحوم عبد القهار مذكر .. ألقى الامام الأكبر محاضرة عن :

ميثاق الله على العلماء
أن يقيموا شريعته

حمل العلماء مسئولية تطبيق الشريعة الاسلامية ، والعمل على ذلك باعداد جيل وبناء جماعات ، وتهيئة الجو السياسى والاجتماعى لذلك .

ـ ٣ ـ فى سومطرة .

وبالطائرة نعود الى جاكارتا مساء يوم الاثنين ٢٣ أغسطس سنة ١٩٧٦ لنرحل صباح الثلاثاء فى الساعة السادسة الى سومطرة ... جزيرة الثورة الاسلامية وخزينة الاقتصاد

الأندونيسى ففيها البترول والمطاط ، والحـــديد والفحم والخشب ••• والأرز والذرة ••• الخ •

وفى سومطرة كانت الفترة وجيزة ولكنها كانت مجيدة فقد استقبل الامام الأكبر كما يستقبل رئيس أى دولة بالحرس وطوابير الشرف وزاد على ذلك أن طلاب الجامعة لحنـوا نشيدا بعنوان : « مرحبا بك يا شيخ الأزهر » أنشدوه باللغتين العربيــة والأندونيســية وألقى الامام الأكبر فى يوم واحـد عشـناه فى ميــدان بسومطرة الشمالية محاضرتين ••

الأولى : فى الجامعة الاســلامية عن :

العلم والايمان ومنزلة العلماء

والثانيــة : فى مجلس علمـــاء سومطرة الشمالية عن :

اللغة العربية لغة الاســلام
وواجب العلماء نحو نشرها

وسافرنا فى اليوم الثانى بالطائرة الى سومطـرة الغربيــة ، وبنفس المشاعر والحمـاس استقبل الركب الميمون وبنفس المستوى فى العمـل والأداء ألقى الامام الأكبر فى يــوم واحد محاضرتين :

الأولى : فى مجلس علماء سومطرة الغربية عن :

نظريات الاستعمار فى الوطن الاسلامى
وكيف نجـابهها

الثانية : فى الجامعة الاســلامية عن :

منهج الدعوة
وحاجتها الى العلم والعمل معا

وفى ثنايا ذلك زار الامام الأكبر مؤســسة التربيــة الدينية للفتيات المسلمات أسستها احدى المتخرجات فى جامعــة الأزهر من كلية البنات وأنشأت بها كلية للتربية الاسلامية •

كما زار المســتشفى الاســلامى الأهلى الذى أقامته الجهود الذاتية للمسلمين فى هذه المنطقة لمواجهــة خطر التبشير فى هذا المجال ••

وعدنا عصر يــوم الخميس ٢٦ أغسطس ســنة ١٩٧٦ لنستقبل شــهر البركات واليمن والمغفــرة والرضوان مع المسلمين فى جاكارتا ،

وفى يوم الجمعة أم الامام الأكبر خمسين ألفا من المسلمين فى مسجد الاستقلال ذلك المسجد الذى جعل نواة للمركز الاسلامى فى القريب العاجل ان شاء الله .

وفى يوم السبت ٢٨ أغسطس سنة ١٩٧٦ كان يوما مشحونا بالأعمال :

* لقد قابل الشيخ الامام الأكبر الرئيس سوهارتو الذى راح فى اصرار يشرح لمولانا الامام الأكبر ظروف أندونيسيا الاقتصادية وكأنما يريد أن يطلب من الامام الأكبر أن يساعده فى الدول العربية للحصول على استثمارات لرأس المال الاسلامى ..

وفى كلمة الشيخ الى رئيس الجمهورية كانت الحكمة والموعظة الحسنة تترى فى هدى رفيق أن يدعو الى التقدم على أساس من القرآن الكريم والسنة المطهرة وعرض الشيخ على الرئيس انشاء مركز اسلامى ووافق الرئيس وحدد أن يكون المكان فى الأرض الملحقة بمسجد الاستقلال أكبر مساجد دول جنوب شرقى آسيا على الاطلاق .

* ثم خرجنا الى زيارة السيد / على صادقين ـ محافظ جاكارتا وجعل يعرض على الامام الأكبر فى غرفة عمل خاصة مجهوداته فى تعمير جاكارتا وتنميتها ، وبنفس الروح والهدهدة الرفيقة نصحه الشيخ أن يؤسس حضارته على العلم والايمان فان ذلك أضمن الطرق وأفضل الوسائل بالتجربة والتاريخ ..

* ومع وزير الداخلية وهى وزارة تنمية للمحافظات تحدث الوزير من واقع بيانات كانت فى يده عن مساعدة الوزارة للعمل الاسلامى ، وجرى حديث متبادل مع الشيخ الامام الأكبر .

وفى كل مرة كان الامام الأكبر يقدم لهم الدليل تلو الدليل على أن العمران يجب أن يؤسس على التقوى والايمان بالله وشريعة الاسلام .

* ثم عاد آدم مالك وزير الخارجية من كولومبو عاصمة

سيرلانكا وكان شغوفا بمقابلة الامام الأكبر ، وزاره الشيخ وكان الحديث بينهما واضحا وصريحا فى أمور كثيرة من أهمها انشاء المركز الاسلامى ..

* وفى الظهر انعقد المؤتمر الصحفى بوزارة الشئون الدينية وقد وجه الامام الأكبر حديثا خاصا للصحفيين انبهروا منه واندهشوا لأنهم لأول مرة يعرفون واجبهم فى صنع الرأى العام السليم القويم .. وأعلن فى هذا المؤتمر انشاء مركز اسلامى فى جاكارتا يرعاه الأزهر فنيا ويشترك فيه الأندونيسيون اداريا ..

* وعلى التو غادر ركب الامام الأكبر جاكارتا آيبا الى الحرمين الشريفين لعمرة شكر على ما وفق الله فى هذه الرحلة وما أعان عليه من أعمال ..

أما عن نتائج هذه الرحلة ففى مقدمتها :

** انشاء مركز اسلامى ..

** توجيه العلماء الى وظيفتهم ..

** توجيه المسئولين فى اندونيسيا الى بناء الحضارة على أسس من الاسلام الحنيف ..

** تأكيد موقف المسلمين هناك ..

وبقية الآثار أتركها كوظيفة بين السطور للقارىء الكريم ...

وبالله التوفيق .

دكتور : رءوف شلبى

باب الفتوى

للأستاذ محمود محمد رسلان

مما يلفت النظر هذه الأيام كثرة المنادين بتطبيق شريعة الاسلام ولا غرابة فى هذا فان الاسلام دين الفطرة السليمة « فطرة الله التى فطر الناس عليها » ومن ثم كان الرجوع الى ما شرعه الاسلام رجوع الى الحق والرجوع الى الحق فضيلة ومجلة الأزهر نادت وتنادى بتطبيق شريعة الاسلام قولا وعملا وهى اليوم تعيد على سمع الدنيا حكم الله فى « تبرج النساء » وسيطالع القارىء الكريم أسئلة وأجوبة سطرت فى مجلة نور الاسلام ــ المجلد الرابع سنة ١٣٥٢ هـ ص ٣٨٤ وما بعدها ــ ونحن نوردها هنا لنعيد للأذهان حكم الله فى مشكلة من مشاكلنا المعاصرة . مشكلة تبرج النساء !!

حكم الله فى التبرج

الحجاب ــ السفور ــ التبرج ــ صور النساء ــ نشرها فى الصحف التجديد وفى أى شىء يكون ــ تزين الرجال بزينة النساء .

السؤال

ما حكم الله تعالى فى حضور المسلمات حفلات السينما والملاهى التى تبعث فى القلوب ينابيع الشر والفسق والفجور مما هو شائع ومشهور ، أو يوجد فيها اللهو بالآلات المحرمة التى لا تخلو من نظر رجال الأجانب الى وجوه النساء وشعورهن وأعناقهن وغير ذلك ؟

أو بيد النساء مع حضور الرجال ونظرهم الى رءوس النساء وأعناقهن فهل يفترض منع جميع ذلك فى دين الاسلام ؟

الجـواب

الحمد لله رب العـالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين • وبعد :

فقد أجاب على هذه الاستفسارات الأستاذ المرحوم طه حبيب فقال :

ظهور السيدة خارج منزلها :

خروج السيدة من منزلها متبرجة يأباه الدين وتأباه الكرامة باجمـاع المسلمين ، ولا يرضى به الا من هـو بعيد عن الخلق والدين • فاذا خرجت المرأة لمقتض فلا يباح لها الخـروج بحالة تبرج وتزين يكون داعية الى نظر الرجال •

قال الله تعالى : « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » من الآية ٣٣ من سورة الأحزاب،وقد نص الفقهاء على أن بدن السيدة كله عورة الا وجهها وكفيها • فلايجوز أن تبدى شيئا فى الطرقات والأسواق والحفلات والمجتمعات العامة ولو مع أمن الفتنة ، لأن ذلك عورة ، ولا يجوز اظهارها• أما الوجه فانما يجوز النظر اليه لمن يأمن الفتنة • أما من لا يأمنها فلا يجوز له النظر ، ولو أن الوجه غير عورة لأنه لا تلازم بين كونه ليس عورة وجواز النظر اليه ، اذ جواز النظر منوط بعـدم خشية الفتنة •

وصـفوة القـول أنه اذا خرجت السيدة لمـا يقتضى الخروج فينبغى أن يكون خروجها فى حشمة ووقار ، وعلى كيفية لا تجلب اليها أنظـار المـارة من الرجال والشبان ، وظاهر لك من هذا أن خروج السيدة ليـلا أو نهارا لمثل ما جاء فى السؤال من الحفلات الروائية وحفلات السـينما التى تقـول انها تبعث فى القـلوب ينابيع الشر ، وانها لا تخلو من نظر الرجال الى وجوه النساء وأعناقهن ، لا يجوز ، لمـا فى ذلك من الفتنة ، ولمـا فيه من الوقوع فى المحرم فعلا، كنظر الرجال الى أعناق السـيدات وشعورها وغير ذلك مما لا يجـوز النظر اليه •

والقـاعدة أن كل ما فيه فتنة أو فتح باب فتنة محظـور غير جائز ؛

لأن سد الذرائع مقدم على جلب المنافع • ولا شك أن ذهاب المسلمة الى حانوت الحلاق لقص أو حلق شعرها ، بيد رجل أو بيد امرأة ، مع حضور الرجال ونظرهم الى رءوس النساء وأعناقهن ، أمر غير جائز، لأنه فضلا عما فيه من كشف الشعر والعنق — وهما عورتان — هو تبرج ممقوت •

السفور :

وتحدث المرحوم طه حبيب عن السفور فقال :

ولا شك أن الخروج على الوصف الوارد فى السؤال لا يجوز شرعا • وقد التبس الأمر على كثير من الناس ، فظنوا أن مجرد أن وجه المرأة ليس عورة يبيح لها الخروج سافرة ، مهما ترتب على ذلك من فتنته ، كما ظن هؤلاء أنه ما دام الوجه غير عورة يجوز النظر اليه ، وكلا الأمرين غير صحيح • والأساس الذى يجب السير عليه هو خشية الفتنة ، فمتى وجدت لا يجوز الخروج لمن لا يأمن الفتنة•

ولقد ترتب على هذا الظن الخاطىء أن تورط الناس فى ذلك تورطا فاحشا فأصبحت بعض السيدات تغشى الطرقات دون حاجة ، وتختلف الى محلات التجار سافرات متبرجات يستجلبن النظر اليهن ، ولا تخرج احداهن الا متزينة بأبهر زينة سافرة بادية الذراعين والعنق والصدر وبعض الظهر دون حياء أو مبالاة بخلق أو دين • ولقد بلغ من أمر بعض هؤلاء أنهن أصبحن لا يبالين بالأخلاق الفاضلة ، وفقد خلق الحياء بالمرة ، وأصبحن كالنساء فى الجاهلية الأولى • وقد نعى القرآن على أصحابها فى القرآن ، وأمر النساء بترك التبرج •

وقال عن الداعين الى السفور :

وكأنى بأصحاب الدعوة الى السفور يندبون الأخلاق ؛ لأنهم لم يكونوا يتوهمون أن يترتب على ماقاموا به من دعوة الى خروج المرأة سافرة ما عليه النساء الآن، لأن دعوتهم لم تكن الا مصحوبة بطلب الحشمة والوقار ، حتى انهم نعوا حين دعوا على من تستر وجهها بخمار لا يحجب

ماوراءه ويدعو الى النظر . وماكان ذلك الا لأنهم يرون أن جواز كشف السـيدة وجهها يجب أن يكـون مصحوبا بغير تبرج ، كما يجب أن يكون مصحوبا بترك الزينة التى تجلب الأنظار . ولقد كانت دعوتهم الى ابداء الوجه واليدين اعتمادا منهم الى أن ذلك أدعى الى عدم التبرج وترك المهازل التى كان عليها النساء وقت الدعوة من التستر بخمر ولا يغيب ما وراءهـا ، بل تكون داعيـة الى تحديق النظر أكثر مما لو كان الوجه عاريا والزينة متروكة .

تلك كانت دعوتهـم ، ولكنها للأسف لم تفهم على وجهها الصحيح ، فوقعنا فيما نراه الآن : من انهيـار الأخلاق ، وضياع الحشمة والوقار بل وضياع المروءة فى بعض النساء ، حتى أصبحن تبرزن للناس بوجـه ليس فيه حياء ، تكاد الواحدة منهن تخرج عارية . وان لك فيما تراه من الصور التى تنشرها جرائد الصباح والمساء لأكبر العبر فيما وصل اليه الحال الآن .

التبرج والشكوى منه :

وكتب رحمه الله ما يلى : ولقـد راقنى ما قـرأته لبعض الكتـاب فى جـريدة الآهـرام الصـادرة فى ١٧ ربيع الآخر سـنة ١٣٥٢ هـ تحت عنوان : « ما قل ودل » فقد جـاء فى هذا المقـال ما نصـه : « الاسـكندرية فى أوجهـا ، و « ستانلى باى » صباح الأحد هائج مائج . لقد طفح عليه قطار البحر مئات المتلهفين على رؤيته ، الذين تنقصهم الموارد ، والناس يجـذب بعضهم بعضا ، فهذا رجل حائر يدور بآلة التصوير فى يده ، يلتقط عن يمينه وشماله ، ويجتهد فى الحصول على الصور الشاذة الخارجة ، يريد الاحتفاظ بتذكار دائم » الى آخر ما كتبه ذلك الكاتب القـدير من قـوله : « ولكن جزعى ليس من أجـل واحـد أو اثنتين أو عشر فتيات لكن جزعى هو من أجـل المسـتقبل . أخشى عشر السـنين القادمة ، أخشى التحضير عن طريق الاستهتار » الى أن قال فاننا يجب أن ننفخ فى صور الفضائل ، ونمجد اللـواتى يجلسـن الى مكاتبهن السنين الطـوال ، يدرسن ويبذلن شبابهن فى خدمة المجتمع ، فهؤلاء

هن اللواتى يحضرن هذا المجتمع للحرية العاقلة الرزينة الكريمة ، لا اللواتى يقتبسن آخر أزياء البجامات من شاطىء «ستانلى باى» .

صور النساء :

راقتنى هذه الكلمة حقا ، وبقدر ما راقنى الأسلوب البديع للدعوة الى الأخلاق الفاضلة وترك التبرج الممقوت ، ساء لى واليه ما رأيته فى احدى جرائد الصباح من رسم لثلاث فتيات من مدرسة لتعليم الرقص ، ومن رسم فتاتين بثياب البحر ، تلعبان مع صديق لهما بقذفه الى الماء ، ومن رسم الألعاب على شواطىء البحر ، التى سمتها الجريدة « قذفة الخروف » فان هذه الرسوم التى تنشرها جرائدنا على اختلافها ليس اظهارها من صالح مجتمعنا ولا هى تناسب قوميتنا . وظهورها يرغب فتياتنا فى هذا ، وهو ما ينافى أخلاقنا وديننا .

ساءنى هذا — كما ساءنى غيره من كثير مما أراه من الرسوم فى صحيفة الصور التى تنشر فى جرائد الصباح والمساء ، وقلت : حبذا لو أن كتابنا وجهوا عنايتهم واقلامهم البليغة الى محاربة هذا الصنيع الممقوت ، الذى يقف عند النساء بل تعداهن الى الشبان ، فان منهم — والحسرة تملأ القلب — يتزين بزينة النساء ، فيضع المساحيق على وجهه بجميع أنواعها فهذا والله داء وبيل ، وصنيع ممقوت ، وأمر يأباه شرعنا ، وتأباه الفضيلة ، ويدعو الخلق الى تغييره . وانه لمما يدمى له القلب ويضيق له الصدر أن يترك القوم أوامر دينهم التى يؤيدها العقل ، ويسلم بها الطبع السليم ، وتدعو اليها الفضيلة فالام نبقى على تلك الحال السيئة ؟ وأين الآباء والأزواج ؟ انهما مسئولان قبل كل أحد ، مسئولان عن تدهور الأخلاق وراء ما نسميه تمدينا . ألا قاتل الله التمدين اذا كانت هذه آثاره وتلك نتائجه ؟

لقد اعتدنا وا أسفاه على أن نأخذ من عادات الغير ما هو ضار ونترك ما هو نافع . ولو أننا تمسكنا بأخلاقنا وقوميتنا تمسك هؤلاء الذين نقلد بعضهم ، لما وصل حالنا الى ما وصل اليه اليوم . فها نحن أولاء نسمع أن بعض الدول

العظمى قد بلغت أسمى المراتب ، ومع ذلك لا تزال متمسكة بعاداتها التى كانت لها فى العصور الوسطى أما نحن فمع اننا لم نبلغ شأوا فى الدنيا ، فقد تركنا الدين والخلق ، وأخذنا بكل جديد ، دون نظر الى آثاره وما يترتب عليه ، حتى نشأ عن ذلك أن انهارت أخلاقنا،وكثرت فينا المفاسد ، وفشت البدع ، حتى صار القبيح المجمع على قبحه حسنا فى نظر البعض ، يحبذه ويدعو اليه • ولك مما تنشره بعض الجرائد الأسبوعية فى تحسين ما ليس بحسن الدليل القاطع على أننا قد كدنا ننسل من الأخلاق الفاضلة • واليك مثلا أنت الحكم فيه بعد سماعه :

نشرت احدى الجرائد الأسبوعية أن ممثلة من الممثلات عقدت مباراة بين الممثلات ، لابسات البحر ، عرضتهن وهن كذلك على النظارة ، وجعلت الحكم لبعضهم فى أى الفتيات أحسن ، فحكموا لاحداهن، وقد رسمتها هذه المجلة بملابس البحر • أفهل رأيت أو سمعت مثل هذا فى بلد يدعو دينه الى مكارم الأخلاق ؟ انى لا أكاد أصدق أن مثل هذه الأمور بلغ مسامع القائمين بالأمر فينا ، ولو سمعوه لمنعوه وعاقبوا القائمين به ، لأنهذا الضرب من التهتك بل الجنون فى التهتك انتحار لأخلاقنا !

هذا مثل من كثير من تحسين ما ليس بحسن ، والدعوة الى ماينافى الفضيلة • ولا أدرى أى نفس تلك التى تستحسن تحبيذ هذا الفعل القبيح وهو خزى فى الدنيا والآخرة ومعصية تأبى الأديان وجودها ، وتدعو الى قطع شأفتها ومحو جرثومتها ؟ !

وما جاءنا هذا الا من اتباع الهوى وعدم تحكيم العقل ، والتقليد الأعمى فى كل ضار ، وترك تعاليم ديننا ، حتى أصبح الذى يدعو الى خلق حسن وعادة قومية وينهى عما ينهى عنه الشرع ، محلا لسخرية أصحاب الهوى والغرض ، يسكبون عليه جام غضبهم ، ويوجهون اليه كل لوم ، وينسبونه الى الجهل وقلة الذوق مهما كان من أمره • ولو درى الألى يعملن هذا وعلم الذين يدافعون عنهن بأن الكل بهذا قد ذهب بخلق الأمة وهدم قوميتها،

وارتكب محظور دينه — لو علم هؤلاء ذلك وتفطنوا له ، لثابوا الى رشدهم ، وحالوا بين الأمة وماهى فيه من سوء الأدب.ولكن ما الحيلة وقد ابتعد الناس عن الدين والخلق المتين ، حتى كاد ينقض من الأساس وأصبحت تسمع ممن تنصحه الدراية بك والطعن عليك بأنك جاف جامد لا تكاد تصلح للجيل الذى أنت فيه : جيل التجديد والمجددين .

التجديد وبراءة المجددين من امثال هذه المفاسد :

وتحت هذا العنوان كتب رحمه الله فقال : وانى أربأ بالمجددين وعلماء التجديد عن أن يكون منهم نصير أو شبه نصير لمثل هؤلاء ، وأعتقد ان المجددين ودعاة التجديد يدعون أول ما يدعون الى الأخلاق والتمسك بأهداب الفضيلة . ومن الذى يقول ان التجديد غير مطلوب وهو ضرورى لحياة الأمم ؟ ولكن لم يكن معناه فى يوم من الأيام العمل على هدم القومية ، أو ضياع الأخلاق أو الحط من كرامة الدين ، أو العمل على محوه . وانما هو سير مع الظواهر الكونية والنواميس الطبيعية . وهو فى كل شىء بحسبه وبما يلائمه ، ولا يكون التجديد الا فيما يقبله .

ومن البدهيات أن الأديان لا تقبل التجديد ؛ لأنها عقائد وأحكام يجب على أهلها التمسك بها ولا يمكنهم الخروج عنها ، الا اذا خرجوا عن الدين والأخلاق الفاضلة فلا يمكن التجديد فيها ، الا بكثرة الدعوة اليها ، والتفنن فى الأخذ بها ، وصيرورتها ملكة تنطبع فى نفوس الأمة . والمحظورات الدينية لايمكن تغييرها ، ولا المساس بجوهرها ، ولا القول باباحتها . فاذا حظر الشارع أمرا بقى محظورا ، وليس من التجديد أن أفعله والدعوة الى فعله خروج على الخلق والدين ، وليس هذا من التجديد فى شىء بل هو محو وهدم لا يقول به أحد ، اذ لا يمكن القول بأن ما اتفقت العقول والفطر السليمة على أنه خلق حسن ، ومضت الشرائع على أنه واجب ، لا يمكن القول بأن تركه تجديد ، بل الداعى الى ذلك هادم باغ ، عاد على خلقه ودينه .

أما ما يقبل التجديد فاننا لم نجدد فيه ونقبل التجديد ، كنا كمن يريد الخروج من الكون وهو فيه ، والقعود والركب سائر ، وهذا ما لا يقول به أحد . ومن الذى يستطيع القول بعدم الاستفادة من الحوادث والظواهر الكونية ، مع أن الأمور الدنيوية متجددة ؟ فالواجب على ذوى العقول العمل فى تلك الدوائر الواسعة ، واكتناه الحقائق العلمية منها .

كذلك الحوادث التى تقع للناس وليس فيما بين يدينا نص عليها ، يجب علينا الاجتهاد فيها ، والبحث فى عوارضها ، ورد الواقعة الى حكم يتفق مع تعاليم الدين الأصلية ولا ينبو عنها . ولا شك أن هذا تجديد . وهذا النوع من التجديد دعا اليه الشارع واعتبره ، حيث قال تعالى : « فاعتبروا ياأولى الأبصار » والاعتبار ليس موقوفا على فن من الفنون ، ولا على قوم معينين ، ولا على زمن دون زمن بل هو مطلوب ممن قدر عليه ، ولم يتخذ هواه سبيلا اليه .

التجديد بهذا المعنى مطلوب ومرغوب فيه . أما ما يفهمه بعض من لا يستطيع فهم التجديد من أن معناه ترك القديم ولو دينا ، فهذا ما لا يقول به من له مسكة من العقل وها نحن أولاء نرى علماء أوربا قد جددوا واستفادوا ، ومع ذلك لم يقل أحد منهم لواحد من قومه :لاتذهب الى محل عبادتك وللدين عندهم المنزلة السامية . وهذا البابا رئيس الدين له من التجلة والاحترام فى نظر ملوك أوربا وأتباعه ما هو معلوم ، فهو اذا دعا الى أمر دينى تلقته أتباعه بالقبول . ومما يلفت النظر فى أوامره أنه أمر بأن النساء اللاتى يكن عاريات الذراع والمعصم لا يباح لهن دخول المعابد .

راقنى هذا الأمر واستحسنته ، لأنه أمر يدل على أن التبرج أمر ممقوت فى الأديان ، وأن من تتبرج ليست ممن ينظر اليها الدين نظرة قبول ، ولا هى حرية بدخول معابده ومحلات التقرب الى الله .

هذه النصيحة الغالية أمر بها البابا . فهل سمعت أن أحدا من

أتباعه قال : ان هذا رجوع بالناس الى القديم وترك للتجديد ؟ لم يحصل هذا ولن يحصل ، لأن الديانات ليست محل تجديد كما قدمت لك . وهذه الدعوة التى دعا اليها البابا دعا اليها الدين الاسلامى من أكثر من ألف وثلاثمائة سنة . ولكن بعض المسلمين ـ كما شرحنا لك ـ قد غفل كثير منهم عن حكم دينه ، وأبى الا ترك تعاليم الدين ، وما لا يتفق والخلق الحسن .

ويمضى المرحوم الشيخ طه حبيب فى اجلاء ما خفى على بعض الناس مما يدعو اليه الاسلام الحنيف فيقول : ولا يفوتنى أن ألفت نظر المسلمين الى ما دعا اليه ديننا الحنيف انما هو الخير كل الخير . وأن كل خلق دعا اليه هو الفضيلة ، وكل خلق نهى عنه هو الرذيلة . وما نراه الآن ونستحسنه مما يأتينا به الغرب منصوص فى ديننا ، فهذه جرائدنا نقلت على سبيل الاستحسان ما أمر به زعيم ايطاليا من حظر الرقص على الضباط اشفاقا على رجولتهم . فهذا الذى استحسنته جرائدنا ـ وهو حسن فى ذاته ـ دعا اليه ديننا من قبل ثلاثة عشر قرنا . ولكن غفلتنا عن حكم الدين أوقعتنا فى الشرور من حيث لا ندرى ، والا فأى مسلم هذا الذى لا يتقطع قلبه حين يرى بعض الشباب يتزين بزينة النساء ، فيزجج الحاجب ، ويحمر الخد بعد تبييضه ؟ ! انها فضيحة وأى فضيحة أن نرى رجالا يتركون رجولتهم ، ويأبون الا أن يرتكبوا مما حظره الدين على النساء فى الطرقات !

ولست أبالغ اذا قلت ان الحالة فى حاجة الى سن قانون يقضى بعقاب كل شاب يلاحظ عليه التبرج ، وعقاب كل امرأة تخرج متبرجة تتزيا بأزياء الجاهلية ، وتتبرج تبرجهن ففى سن هذا القانون قطع للرذيلة ومحو لها ، وبت لتلك الظاهرة السيئة التى عليها الحال الآن فى الطرقات والمسارح والملاهى .

فحبذا لو أن حكومتنا عملت هذا أو ما يقرب منه ، كوضع عقوبة لأولياء الأمور من آباء وأزواج ، والا فقد طفح الكيل وبلغ السيل الزبى ، فلا حول ولا قوة الا بالله .

محمود محمد رسلان

الوطن الإسلامي :

مأساة أريتريا

للأستاذ محمد نعيم

*** مخطط دموى رهيب لابادة شعب أرتيريا المسلم .**

*** أكثر من نصف مليون لاجىء أريترى يعيشون فى الغابات والجبال .**

*** أين دور الهيئات الاسلامية الايجابى ؟ !**

بقلم الأستاذ محمد نعيم

ما زال شعب اريتريا المسلم يتعرض لأبشع الاعتداءات الوحشية التى تشنها ضده السلطات الأثيوبية الحاكمة ، وقد لقى حتى الآن نحو مائة ألف من السكان الأريتريين العزل من السلاح مضرعهم من جراء القصف الجوى على مناطقهم ، كما قتلت القوات الأثيوبية عددا كبيرا من الأطفال والنساء والشيوخ أثناء العمليات العسكرية على المدن والقرى الأريترية الآهلة بالسكان المدنيين ، ودمرت قرى كاملة بسكانها تدميرا تاما كما طردت نحو نصف مليون من الأريتريين من أراضيهم وممتلكاتهم حيث يعيشون الآن فى الغابات والجبال بلا مأوى ، تهددهم المجاعة ، وتفتك بهم الأمراض ، وتعصف بهم ظروف الطبيعة القاسية .

بالاضافة الى ذلك تقوم السلطات الأثيوبية بمصادرة ممتلكات المواطنين الأرتيريين فى العاصمة أديس أبابا واعتقال الكثيرين منهم

حيث تودعهم السجون وتجرى عليهم أشد أنواع التعذيب كاجراء انتقامى لمطالبة المسلمين الأريتريين بحقهم فى الحرية وتقرير المصير •

وتشير التقارير التى تسربت مؤخرا من أثيوبيا أن السلطات العسكرية الحاكمة تفرض رقابة صارمة على برقيات وكالات الأنباء الأجنبية فى أديس أبابا ومنع دخول الصحفيين الأجانب الى أراضى ارتيريا لاخفاء الأعمال البربرية والوحشية ضد المواطنين الأريتريين الآمنين ، وما يزال مطار أسمرة يخضع لاجراءات بوليسية صارمة خوفا من الأعمال الفدائية المباغتة •

وتؤكد الأحداث الدامية ، واعدام العديد من قيادات الثوار الأريتريين هناك مدى حقد المجلس العسكرى الأثيوبى على الاسلام وأهله بصفة خاصة ، وعلى أهل الديانات الأخرى بصفة عامة ، ومحاولة استئصال الشعب الأريترى المناضل عن أرضه وحرمانه من حقه الطبيعى فى الاستقلال الذاتى •

ورغم المساعى الحميدة التى بدأها الرئيس جعفر محمد نميرى ، رئيس جمهورية السودان الشعبية ، فلم تستجب السلطات الأثيوبية الحاكمة لصوت العقل والضمير وأصرت على موقفها الغير انسانى لافناء شعب اريتريا المناضل •

وهو ما حدا بالرئيس محمد أنور السادات الى مناقشة موقف سلطات أثيوبيا الحاكمة من شعب أريتريا أثناء لقائه بالوفد الأثيوبى الذى زار القاهرة أخيرا ، ومطالبته باجراء حل عادل لانهاء القتال المستمر بين الجانبين على أساس منح شعب أريتريا حقه المشروع فى حياة آمنة ومستقرة •

وقد تفجرت محنة شعب أريتريا بشكل حاد فى شهر يوليو منذ عامين حيث قامت القوات الأثيوبية حينذاك بقتل نحو أربعمائة من سكان مدينة أم حجر ودمرت القرية تماما وشردت مئات الألوف من سكان أريتريا ، ثم امتدت عمليات الارهاب والقتل الى مناطق أخرى كثيرة •

والمعروف أن عدد المسلمين الأريتريين يبلغ أكثر من ثلاثة ملايين مسلم ، وقد بادرت جبهة تحرير أريتريا بالاعراب عن حسن نيتها بعد وقوع التغيير الذى حدث فى أثيوبيا وأدى الى الاحاطة بالامبراطور هيلاسلاسى .. وأعلن شعب أريتريا وقتها عن قبول المفاوضات والحل السلمى وتجميد العمليات العسكرية لفترة من الزمن ، ولكن المجلس العسكرى الحاكم فى أثيوبيا رد على هذه المبادرة بسوء النية من خلال سلسلة من العمليات العسكرية المستمرة ، هذا بجانب حملات التشويه التى يقودها المجلس العسكرى الأثيوبى ضد الثورة الأريترية متهما اياها بالعمالة للدولة العربية ، وتضييع معالم القضية الأريترية وقد ختمهامنذ فترة باعلان « منفستوهيلى ماريام » الذى يقرر تجنيد ستة ملايين أثيوبى لابادة شعب أريتريا .

تحالف اثيوبى ـ اسرائيلى :

وبهذا حدد المجلس العسكرى الحاكم فى أثيوبيا وبلا مواربة سياسته تجاه أريتريا . ولم يترك مجالا للمبادرات والنوايا الحسنة . بل وضع الثورة الأريترية أمام تحد ، ورد الثوار الأريتريين على هذا التحدى ليس من موقع العنتريات ولكن من موقع حقهم الطبيعى فى الاستقلال وتقرير المصير ..

وتشير أصابع الاتهام الى أن اسرائيل تلعب دورا خطيرا لانهاء الوجود الاسلامى فى أريتريا حيث تحارب فصائل أمن من الجيش الاسرائيلى الى جانب قوات أثيوبيا شعب أريتريا ، كما أن هناك وجودا صهيونيا « اقتصادى وفنى » الى جانب الوجود العسكرى وتمتلك اسرائيل فى أراض أثيوبيا عدة شركات تجارية وزراعية .

والسبب وراء تأييد اسرائيل القوى لأطماع أثيوبيا فى أريتريا هو أن أمن أثيوبيا وسلامتها هو ضمان لاسرائيل وأن هذا لن يتحقق الا بخضوع أريتريا خضوعا مباشرا وتاما لأثيوبيا .

ثورة علمانية .. وقرآن محرف :

وحكم أثيوبيا ـ كما هو معروف ـ يقوم الآن على أساس علمانى

لا يقيم وزنا للأديان أو قداسة لما أنزل الله من كتب سماوية .. والمسلمون هناك يعانون أشد المعاناة فى ممارسة شعائرهم الدينية وتعليم أبنائهم مبادىء الاسلام واللغة العربية يحرم تدريسها فى مدارس المسلمين أو التخاطب بها فى أى مكان ، وامعانا فى القضاء على الوجود الاسلامى أصدرت سلطات أثيوبيا طبعات مخرفة من القرآن الكريم باللغة الأمهرية (لغة الحبشة) مما أثار سخط جماعات المسلمين واستنكارهم الشديد، وقد دفع ذلك السلطات الحاكمة الى مزيد من عمليات القمع والتنكيل بالمسلمين فى أديس أبابا والمدن الأخرى .

والى هنا يثور سؤال هام وملح . أين دور الهيئات الاسلامية بالعالم فى التصدى لهذه الجرائم والفظائع المستمرة التى ترتكب ضد شعب أريتريا بوجه خاص والمسلمين المقيمين فى أثيوبيا بوجه عام .. ولماذا يقتصر الأمر ـ كما هو حاصل اليوم ـ على اظهار الامتعاض أو ارسال برقيات الاحتجاج فقط دون اتخاذ موقف متكتل لاثارة القضية فى المحافل الدولية ، وحمل هيئة الأمم المتحدة على الاعتراف بحق الشعب الأريترى العادل فى تقرير مصيره(١) .

محمد نعيم

---

(١) مما يجهله الكثير من الناس أن عدد المسلمين فى الحبشة لا يقل عن ٦٥ ٪ من مجموع السكان وبالرغم من أغلبيتهم الساحقة فانهم محرومون من أبسط الحقوق المدنية والسياسية .

« مجلة الأزهر »

إقبال أمير الكلمة

للدكتور سعد ظلام

في صفاء كصفاء المسلم
وخشوع كخشوع المحرم
جئت للساح بشوق مفعم
أجتلى الحب وأروى نهمى
وأناجى من ضمير مغرم
شاعر الله وشدو الأمم
وأندى صفحة القلب العمى
بضياء كضياء الحرم
ايه « اقبال » وأنتم حلمى
وابتهالى وائتلاف الحلم
ما أنا الا جناح يحتمى
يحمى المشوق ودفء النغم
ما أنا الا فؤاد يرتمى
كجريح بين كفى بلسم
أنا فى الساح مريد كالظمى
أطرق الباب لعلى أنتمى
رونى من نبعك الطهر الهمى
واحتضنى فى سناك الاكرم
وأعرنى روح شاد ملهم
فالهوى يسمو بروح الملهم

* * *

كان « اقبال » كسقراط أمير الكلمة
ورسولا بين رسل الفكر يحيى قلمه
ويحيى موكب الحق ويعلى علمه
فيلسوفا يقدر العقل ويجلو قيمه
ويندى مهجة الانسان يروى نهمه
كان للاسلام قيثارا وضيىء النغمة
ويرى العالم دون الدين رؤيا مبهمه
وبقايا من تعابير بلون الغمغمه
لو تناسى الشرق فى كل الذى قد نغمه
أو جفا الاسلام والمجد الذى قد قدمه
لو تخلى عن هدى الله وروح مسلمه
لاحتواه الغرب شيطانا يردد المشأمه
وأقام الغرب فى ذكراه أقوى ملحمه

* * *

شاعر الاسلام ياقيثاره
صاغه الله من الحس النضير

أزهر الايمان فى أوتاره
وحباه الله مكنون السور

فاذا روحك فى أسراره
خفقة الحس على دفء الوتر

كل معنى من سنا أفكاره
كان فى قلبك قلبا ينفطر

فهو اللحن الذى غنيته
وهو الموج الذى لا ينحسر

وهو المجد الذى أحببته
وتفاخرت به طول العمر

ما ازدهاك الغرب فى أوتاره
قشرة فوق ركام وحجر

وثياب يفتن الغر بها
واذا فتشت تلقاها سقر

ليس فيها واحة الروح اذا
أضنت السارى ومضاء السفر

ليس فيها راحة النفس اذا
أقلق الانسان آلاف الفكر

ليس فيها لمسة الحب اذا
واجه الانسان أشباح القدر

ليس فيها خفقة النور اذا
أظلم الكون بأحداث كبر

فالحياة الدين ان ضاع فلا
أمن السفر ولا لذ سفر

واذا الايمان قد ضاع فلا
ملأ الأمن أحاسيس البشر

* * *

أيها الشادى بتوحيد الاله
ومفدى الروح من كرم السماء
شدك النور الى قدس حماه
وأراك الحق فى أبهى رواء
فقطعت العمر تروى من سناه
ونذرت العمر فى عشق الضياء
قصة التوحيد ماذا ألهمت
حسك الريان من نبع الصفاء
نحن روح فى كيان واحد
وشعور خافق بالانتماء
أولسنا أمة التوحيد والتو
حيد أشواق واشراق اخاء
ربنا الله اله واحد
ونبى هو خير الأنبياء
وحد القرآن فيما بيننا
وتولانا على نهج الوفاء
قبلة واحدة تجمعنا
وأذان يحتوينا فى النداء
وحدة صيغت على عين الهدى
وعلى نور من الله مضاء
منذ كنا كان فجر زاحف
ونشيد كأناشيد الرجاء
أيقظ الكون حدانا فصحا
ورششناه بأنوار وماء

وزرعناه أمانا وهدى
ورويناه بآيات السماء

وبنينا آية المجد فما
أكرم البانى وأجمل بالبناء

وملكناه زمانا ناضرا
فسلوه كيف كنا فى العطاء

لكن الأدواء والحقد الذى
شاع فينا مزقت خفق اللواء

سيطر الخلف على أهوائنا
فتفرقنا على غير اهتداء

فاذا الأمة صارت أمما
واذا الوحدة محض الادعاء

واذا الهمة صارت همما
بعثرتها مرجفات الابتلاء

واذا الناى الذى غنى لنا
يتلاحانا على نفس الغناء
واذا الكون الذى كان بنا

يتباهى عاد مقهور الوفاء
ثم تهنا وتوارت شمسنا

أى جرم ياترى .. أى جفاء ؟

* * *

عـاد مجـد الشرق اكليلا من الورد القديم
ومنى عجفـاء مازالت على كف السـموم
قـم هنـا « اقبـال » تلق الشرق كالطير الكليم
عضـه الأسر وندت منـه صرخات الكـلوم
كثـرت أعـلامه • لكـن كقطعـان اليتيـم
كل بـاغ حمـر العينين بالشر الأثيـ
واحتـوانا كل قيـد فى أعاصير الجحيـم
وبقينـا فى قيـود الـذل والأسر الأليـم
نمضـغ اليـأس ونسـتجدى بقايا من رميم
ثـم نلهـو بترانـيم وأمجـاد القـديم
وحكايا ملهـا الدهـر لترداد سـقيم
أين منا الآن يا « اقبـال » صـوت كالنعيم
يبعث الأحـلام فينـا مثـل شـلال عظيـم
ينـزع القيـد عن الفـكر وعن روح حطيـم
ويلم المـزق الخرسـاء فى صـوت الهزيم

* * *

يا أخـا الاسـلام •• والدنيا صراع
بين حـب ونفـوس بربريه
عصـف الغدر بأحـلام الشراع
ودهـاه بالليـالى الغسـقيه
« قدسنا » فى الأسرفى أيـدى الرعاع
وأذان الله يدعـونا اليـه

« وفلسطين » على كف الضـياع
وحواليهـا ذئـاب البشريه
وحمى الاسـلام يحميه الشجاع
وذوو الايمـان والروح الأبيـه
فانفروا كالأسـد فى شتى البقـاع
وافتـدوه من أيـاد همجيـه
انمـا الاسـلام ذكر ودفـاع
فانهضـوا ياعزمة الله القـويه

د. سعد ظلام

الخوف

● قال تعالى « فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ».

● وقال تعالى « فاياى فارهبون ».

● وقال « فلا تخشوا الناس واخشون » .

● ومدح اهل خشيتـه «ان الذين هم من خشية ربهم مشفقـون وقوله « اولئك يسـارعـون فى الخيرات وهم لها سابقون » .

● وفى المسند والترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت يارسـول الله ، قول الله ، (والذين يؤتون ما أتـوا وقلوبهم وجلة) أهو الذى يزنى ويشرب الخمر ويسرق قال : لا يا ابنة الصديق . ولكنه الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه » .

● قال أبوسليمان : ما فارق الخوف قلبا الا خرب .

أخبار العالم الإسلامى

للأستاذ ابراهيم حامد السويدى

(مصر)

* أصدر الرئيس محمد أنور السادات قرارا بتقليد فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى ، تقديرا لجهوده فى خدمة الاسلام ..

وقام فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر بتقليده هذا الوسام نيابة عن الرئيس السادات ، وذلك فى حفل كبير أقيم لهذا الغرض ، حضره كبار علماء الأزهر والعاملون فيه ..

تحية للرئيس المؤمن على تقديره للعلم والعلماء ، ورعايته للأزهر والأزهريين .. وتأييدا له قائدا ورئيسا وحاميا للأزهر ، وراعيا لدولة العلم والايمان التى أرسى قواعدها ..

* اعتمد فضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار وكيل الأزهر نيابة عن فضيلة الامام الأكبر شيخ الأزهر تعيين ١٥٢ محفظا للقرآن الكريم بالمعاهد الأزهرية ، وذلك فى الدرجات الخالية المخصصة لهم ..

وكان قد سبق تعيين ٢٠٠ محفظ دفعة أولى .. وبذلك يبلغ عدد المحفظين الذين عينوا بالمعاهد الأزهرية خلال هذا العام ٣٥٢ محفظا ..

* طالب فضيلة الدكتور محمد حسين الذهبى وزير الأوقاف وشئون الأزهر من الأئمة والوعاظ دراسة أهداف ومبادىء جماعة التكفير والهجرة ، وكل مبادىء منحرفة .. وناشد فضيلته وسائل الاعلام الكف عن نشر ما يثير الجماهير وبخاصة الشباب منهم ..

السعودية

* تم انشاء مؤسسة خيرية بالمملكة العربية السعودية أطلق

عليها اسم (مؤسسة الملك فيصل الخيرية) ..

ومن الجدير بالذكر أن هذه المؤسسة يرأسها جلالة الملك خالد ابن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية ..

وسيمتد نشاط هذه المؤسسة الى رعاية البرامج العلمية والثقافية والاجتماعية على المستويين المحلى والاسلامى ، وذلك بالاضافة الى النشاط الخيرى الواسع .. ي

* تقرر اذاعة صلاة الجمعة من مكة المكرمة والمسجد النبوى الشريف ، وذلك بالتناوب من اذاعتى الرياض وجدة .

* اعتمدت رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة مبلغ ١٥٠ ألف ريال سعودى لأحسن خمسة بحوث تقدم عن السيرة النبوية ، وشكلت لجنة لهذا الغرض من كبار العلماء ..

أبو ظبى

* تقرر قبول جميع أبناء الجاليات الاسلامية بمراكز مشروع زايد لتحفيظ القرآن الكريم ، وذلك تلبية لرغبة بعض الجاليات الاسلامية هناك .

* دعا حاكم الشارقة الدول العربية البترولية الى تخصيص جزء من دخلها السنوى كزكاة لمساعدة مسلمى العالم الذين يعيشون فى بعض المناطق فى أدنى مستوى ويحاربون أعداء الدين الاسلامى ..

* بحث الدكتور حسن عباس زكى رئيس مجلس ادارة صندوق أبو ظبى للتنمية مع الأستاذ أحمد على رئيس قسم ادارة البنك الاسلامى موضوع ايجاد نظام اقتصادى يتضمن اصدار أوراق تجارية خارجة عن نطاق الربا ، وايجاد طرق للتعامل بدون فوائد ..

السودان

* أعلن الرئيس السودانى جعفر نميرى أنه يجب على مساعديه وكبار المسئولين وجميع موظفى الدولة الامتناع عن تناول المشروبات الكحولية ، والا فقدوا مناصبهم .. وقال : انه لن يتسامح فى أى سوء للسلوك فى الوظائف العامة .

* تقرر عقد مهرجان ثقافى بالسودان فى الفترة من ١١/١٥ الى ١٩٧٦/١٢/١٥ ، وذلك بمدينة الخرطوم ، وستشترك فيه ٢٠ دولة

عربية ، تعرض كل منهـا عن طريق وفودها ألوان الثقافة الخاصة بها من كتب وقصـص وروايات ونـدوات شعرية ومحاضرات أدبية ..

* عقـد بالخرطوم اجتمـاعات مجلس أمنـاء المركز الاســلامى الافـريقى الذى يهـدف الى نشر الاسـلام والثقـافة الاسـلامية فى افريقيا ، ويضـم المركز ٥٠٠ طالب افريقى ، وتسهم فيه المملكة العربية السعودية والكويت ودولة الامارات العربية المتحدة والسودان ..

الكويت

* استنكر وزير العدل والأوقاف والشـئون الدينيـة السيد عبد الله المفرح الحملة الوقحة فى كندا للتهجم على الرسول والاسلام ، وذلك بطبع المناهج الدراسية فى احدى المقاطعات وبها مغالطات لتشويه الاسلام ..

وقال : ان الكويت ستبذل كافة الامـكانات بجميع الوسـائل مـع المسئولين الكنـديين لتصحيح المغـالطات التى تضمنتها المنـاهج الدراسية فى احدى المقاطعات الكندية، والتى تعتبر تشـويها لروح الدين الاسلامى ..

كندا

* قامت وزارة التعليم فى مقاطعة (ونتاريو) الكندية على تعميم كتب مدرسية بها مغالطات تشوه معـانى ومبادىء وقيم الاسلام ، وتسىء الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فعلى الهيئات الاسـلامية التحرك السريع لوقف هذه الحملة على الاسلام ..

أمريكا

* يقبل على اعتناق الاسلام فى أمريكا كل يوم أعداد كبيرة من شباب الجامعات والمدارس ، ومن المفكرين من أبناء البلاد أنفسهم ، وذلك بعد دراسة عميقة لأصوله ومبادئه ..

فقـد وجدوا فى الاسـلام سمو الهدف ، وصدق الأحكام ، وسلامة العقيدة ، وهـذا على الرغـم من المحـاولات التى تبذلهـا الصهيونية هناك لعزل الاسلام .

ابراهيم حامد النويهى

كتاب الشهر:

الجامع الكبير للسيوطي
تقدير علماء الحديث له
وأثره في مكتبة الحديث الشريف

لفضيلة الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشم

الجامع الكبير للسيوطى

تقدير علماء الحديث له
وأثره فى مكتبة الحديث الشريف

محتويات البحث :

الفهـرس

للحديث بدون سند غير الصحابة ، وعلى تخريجه ، وعمل اللجنة ، ورد علماء الحديث ومنهم ابن الأثير عليه .

* منهج الشيخ عبدالجليل عيسى فى الأحاديث التى ذكرها فى جريدة الأهرام وجريدة الأخبار .

* الشيخ عبدالجليل عيسى ومعه الصحافة .

يهاجم السيوطى وأمين مجمع البحوث بالأزهر ولجنة تحقيق الجامع الكبير للسيوطى نتيجة لعدم دراسته لمصطلحات المحدثين والحديث وبيان ذلك بالأدلة .

* رأى المتقى الهندى فى جامع السيوطى .

والله ولى التوفيق .

الجامع الكبير للسيوطى
تقدير علماء الحديث له
واثره فى مكتبة الحديث الشريف

« مؤلف جمع الجوامع » (الجامع الكبير) ومكانته العلمية فى عالم الحديث الشريف » .

هو عبد الرحمن بن أبى بكر ابن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد ابن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبى الصلاح أيوب ابن ناصر الدين محمدبن الشيخ همام الدين الهمام الخضيرى الأسيوطى الشافعى ولد بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانية (٨٤٩) هـ وتوفى ليلة الجمعة تاسع عشر من شهر جمادى الأولى من سنة (٩١١ هـ) سافر الى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتكرور طلبا للعلم قال فى (حسن المحاضرة) ولما حججت شربت من ماء زمزم لأمور : منها أن أصل فى الفقه الى رتبة سراج الدين البلقينى ، وفى الحديث الى رتبة الحافظ بن حجر . ورزقت التبحر فى سبعة علوم التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع) قال (وقد كنت فى مبادىء الطلب قرأت شيئا فى المنطق ثم ألقى الله كراهته فى قلبى وسمعت ابن الصلاح أفتى بتحريمه وتركته لذلك فعوضنى الله تعالى عنه علم الحديث الذى هو أشرف العلوم ..

مؤلفات السيوطى فى عالم الحديث :

نشير الى بعضها لنتبين مدى تحليقه فى سماء الحديث النبوى فى علم أصول الحديث وقواعده الأصيلة .

وفى معرفة رجال الحديث .

وفى معرفة الأحاديث الموضوعة .

وفى جمع الحديث ، له فى هذه المجالات كتب تتلمذ عليها أجيال فى الأزهر الشريف والعالم الاسلامى عامة .

فى علم أصـول الحـديث كتاب (تدريب الراوى فى شرح تقـريب النواوى لخاتمة الحفاظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى) (١) احتل مكانة سـامقة فى جامعـة الأزهـر والجامعات الاسـلامية فى العـالم الاسـلامى كمقياس لقواعد الحديث وأصـوله ومعرفة الصحيح والحسن والضعيف ومسائل الحـديث وقـد درسناه فى قسم الحـديث فى كليـة أصول الدين وقسم الدراسات العليا للحديث ، وعنه ينقـل المؤلفون فى أصول الحديث فى العالم الاسلامى.

قـال السيـوطى فى مقدمتـه : أما بعد فان علم الحديث رفيع القدر عظيم الفخر شريف الذكر لا يعتنى به الا كل حبر ولا يحرمه الا كل غمر (غير مجرب) ولا تفنى محاسنـه على مر الدهـر وكنت ممن عبر الى لجة قاموسه (معظم ماء البحر) .. مع ما أمدنى الله تعالى به من العلوم ثم يقـول فرأيت كتـاب التقريب والتيسير لشيخ الاسلام الحافظ ولى الله تعالى أبى زكريا النواوى كتابا جل نفعه وعلا قدره وكثرت فوائده وغزرت للطالبين فـوائده .. فقوى العزم على كتابة شرح عليه كافـل بايضـاح معانيه وتحـرير ألفاظـه ومبانيه .. فشرعت فى ذلك مستعينا بالله وسميتـه (تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى)وجعلته شرحا لهـذا الكتاب خصوصا ثم لمختصر ابن الصلاح ولسائركتب الفن عموما والله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه..

وفى علم رجال الحديث نذكر له (طبقات الحفاظ) .

حقق طبقـات الحفاظ للسيوطى الأسـتاذ على محمد عمر ونشر فى مكتبة وهبه بمصر ــ قال المحقـق للكتاب فى المقدمة « وكتاب طبقات الحفاظ للسيوطى الذى نقدمه اليوم رتب التراجم فيه طبقا لأجيال المحدثين وطبقاتهم وقد لخص الامام السيوطى طبقـاته هـذه من طبقات الحفاظ لمؤرخ الاسلام الحافظ الذهبى المتوفى سنه ٧٤٨ هـ وجمع فيها تراجم من يرجـع الى اجتهـادهم فى التوثيق والتجريح والتضعيف والتصحيح

---

(١) المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

وذيلها بذكر من جاء بعدهم من الحفاظ والأصوليين والمحدثين ورتبها على أربع وعشرين طبقة تبتدىء الطبقة الأولى من كبار الصحابة وتنتهى بالطبقة الأخيرة بابن حجر المتوفى سنة ٨٥٣ هـ ويقول ان السيوطى كان يختار ويؤلف ولا يلخص فقط

ومن هنا يمكن أن نستنتج أنه لا غنى للباحثين عن كل من الكتابين (طبقات الحفاظ للذهبى وطبقات الحفاظ للسيوطى)وان لكل منهما مزاياه الخاصة . وثمة مظهر آخر من مظاهر شأن طبقات السيوطى هو أنه ذيل عليها بالحفاظ الذين تلوا عصر الذهبى الى طبقة ابن حجر وقد طبع هذا الكتاب ، (طبقات الحفاظ للسيوطى) فى أوربا مع ترجمة فرنسية سنة ١٨٣٣ م « والكتاب تحقيق للنسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية رقم ٥٩ تاريخ مصطفى فاضل بعنوان (طبقات الحفاظ لشيخ الاسلام حافظ العصر بقية المجتهدين أبى الفضل جلال الدين السيوطى الشافعى).

رواية السيوطى وعلمه بالأحاديث

السيوطى من أقدر العلماء على معرفة الأحاديث الموضوعة وجمعها لتنقية السنة منها وللتعريف بها للدارسين وقد جمع الأحاديث الموضوعة فى كتاب سماه (اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة) ليتجنبها العلماء وعندما يقول عالم ان السيوطى جمع الموضوعات فلا يصدق هذا القول الا على كتاب اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة) والكتاب قد طبعته المكتبة التجارية الكبرى من أجل الحفاظ على السنة لا مجمع البحوث، يقول السيوطى فى مقدمته (فان من مهمات الدين التنبيه على ما وضع من الحديث واختلق على سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحابته أجمعين وقد جمع فى ذلك الحافظ أبو الفرج الجوزى كتابا فأكثر فيه من اخراج الحديث الضعيف الذى لم ينحط الى رتبة الوضع بل ومن الحسن ومن الصحيح كما نبه على ذلك أئمة الحفاظ ومنهم ابن الصلاح فى علوم الحديث وأتباعه وطالما اختلج فى ضميرى انتقاؤه وانتقاده واختصاره لينتفع به مرتاده الى ان استخرت الله تعالى وانشرح صدرى لذلك وهيأ لى أسباب المسالك فأورد من الكتاب الذى أورده هو منه كتاريخ الخطيب والحاكم وكامل ابن

عدى والضعفاء للعقيلى ولابن حبان وللأزدى وافراد الدار قطنى والحلية لأبى نعيم وغيرهم بأسانيدهم حاذفا اسناد أبى الفرج اليهم ثم أعقبهم بكلامه ثم ان كان متعقبا نبهت عليه وأقول فى أول ما أزيد (قلت) وفى آخره والله أعلم ...

وسميته (اللآلىء المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة) ثم يقول واعلم أنى كنت شرعت فى هذا التأليف سنة سبع وثمانمائة وفرغت منه فى سنة خمس وسبعين وكانت التعقيبات قليلة وعلى وجه الاختصار وكتبت منه عدة نسخ ومنها نسخة راحت بلاد التكرور ثم بدا لى فى هذه السنة وهى سنة خمس وتسعمائة استئناف التعقيبات على وجه مبسوط والحاق موضوعات كثيرة فاتت أبا الفرج فلم يذكرها ففعلت ذلك فخرج الكتاب عن هيئته التى كان عليها أولا وتعذر الحاق ما زدته فى تلك النسخ التى كتبت الا باعدام تلك وانشاء نسخ مبتدأة فأبقيت تلك على ما هى عليه ويطلق عليها الموضوعات الصغرى وهذه الكبرى وعليها الاعتماد) أ . هـ .

فالسيوطى مدافع عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كعالم للحديث له مقاييسه الصحيحة المتفق عليها عندعلماء الحديث فهو يفرق بين الحديث الصحيح والحسن والضعيف ولا يخلط بين الحديث الضعيف والمكذوب ويعرف ذلك كل من يرجع الى أمهات أصول الحديث ومنها كتاب تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للسيوطى ، وان تعمد الخلط بين أنواع الحديث يعتبر من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

يقول الامام الحافظ أبو العلى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى فى مقدمته تحفة الاحوذى شرح جامع الترمذى فى ذكر الكتب التى ألفت فى الأحاديث الموضوعة منها الذيل على موضوعات ابن الجوزى للسيوطى وذكر منها الموضوعات الكبرى — فى أربع مجلدات لابن الجوزى — وقد أورد ابن حجر فى الذب عن مسند أحمد جملة من الاحاديث التى أوردها ابن الجوزى فى الموضوعات وهى فى مسند أحمد ورد عليها أحسن الرد — وقد شرع ابن حجر فى تأليف تعقيبات على الموضوعات وقد تتبع جلال الدين

السيوطى جملة من الأحاديث ليست بموضـوعة منها ما هو فى السنن الأربعـة والمستدرك فى تأليف سماه (النكت البديعيات على الموضوعات) ولخصها أيضا فى كتاب مع زيـادات وتعقيبات سـماه اللآلىء المصـنوعة فى الأخبـار الموضـوعة) كذا فى الكشف . ومنهـا تنزيه الشريعـة المرفـوعة عن الأخبـار الشـنيعة الموضـوعة للشيخ أبى الحسن على ابن محمد بن عراق الكنانى المتوفى سنة ٩٦٣ هـ جمع فيه بين موضوعات ابن الجوزى والسيوطى ورتب على ترتيبه وأهـداه الى السلطان سليمان خان » (١) .

فالسيوطى امام فى معرفة الحديث وناقد ومدافع عن السنة بمنهج أقره علمـاء السنة ولمنهجـه أثره العظيم فيمن ألف بعده للذب عن سنة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكتاب تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبـار الشـنيعة الموضـوعة هو جمـع لموضوعاته وموضوعات ابن الجوزى ـ وارتضى مقاييسه علماء الحديث فى كل عصر ومصر .

السيوطى وشرح السنة له كتـاب (تنوير الحوالك شرح موطأ الامام مالك

وله شرح على الترمذى (قـوت المغتذى على جامع الترمذى)

ولـه شرح لصحيح مسـلم بن الحجـاج (الديبـاج على صحيح مسلم بن الحجاج) .

أيها القارىء الكريم :

ان السـيوطى صـاحب هـذه التصانيف وغيرها فى مكتبة الحديث هو مؤلف الجامع الكبير فماذا قال العلماء فيه ؟

الجامع الكبير للسيوطى

تقدير علماء الحديث له

يقول فيه المحدث العـلامة علاء الدين بن حسام الدين الشهير بالمتقى الهندى .

انى قد وقفت على كثير مما دونه الأئمة فى كتب الحديث فلم أر فيها أكثر جمعا ولا أكثر نفعا من كتـاب

---

(١) مقدمة تحفة الاحوذى للمباركفورى ص ٣٩٠ .

جمع الجوامع الذى ألفه العلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطى سقى الله ثراه وجعل الجنة مثواه حيث جمع فيه من الأصول الستة (البخارى ومسلم وجامع الترمذى وسنن أبى داود وسنن النسائى وابن ماجه) وغيرها الآتى ذكرها عند رموز الكتاب وأودع فيه من الأحاديث ألوفا ومن الآثار صنوفا وأجاد فيه كل الاجادة مع كثرة الجدوى وحسن الافادة) (١) هذه شهادة محدث من أكبر محدثى علماء الهند والعالم الاسلامى وأعنتها منذ أكثر من ثمانين سنة فى كتابه المطبوع منذ أكثر من ثمانين عاما وملأ الدنيا واحتل الصدارة فى مكتبات العالم الاسلامى وجامعاته وأقرها العلماء المحدثون فى الهند ولم يعترض عليها عالم وأقرها علماء الحديث بمصر والأزهر والعالم الاسلامى ولم نر اعتراضا أو مخالفا من علماء الحديث فى قوله .

وصاحب الرسالة المستطرفة يعد جمع الجوامع من مشهور كتب السنة المشرفة ذكر مولانا الامام السيد محمد بن جعفر الكتانى فى كتابه الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة (٢) قال (والجوامع الثلاثة للسيوطى وهى الصغير وفيه على ما قيل عشرة آلاف حديث وتسعمائة وأربعة وثلاثون حديثا فى مجلد وسط وذيله المسمى بزيادة الجامع وهو قريب من حجمه والكبير وهو المسمى (جمع الجوامع) أ هـ .

ثم يذكر الكتانى المؤلفات التى ألفت حول جمع الجوامع وكانت ثمرة له فى مكتبة الحديث وسأذكرها فى هذا البحث عند الحديث عن أثر جمع الجوامع فى مكتبة الحديث الشريف .

---

(١) مقدمة كتاب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للمتقى الهندى.

(٢) الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة لمولانا الامام السيد محمد بن جعفر الكتانى طبع دار الفكر سنة ١٩٦٤ صفحة ١٨٢

ويقــول صــاحب أهم مرجــع لأحاديث الأحكام وهو كتاب نيــل الأوطار ، محمد بن على بن محمد ابن عبد الله الشوكانى ثم الصنعانى ذكروا فى ترجمته أنه سند المجتهدين الحفاظ وترجمان الحــديث وشيخ الاسلام قال : ومؤلفــات السيوطى محررة لا تصحيف فيها وقد انتشرت فى سائر الأمصار (١) .

وفى كتــاب كشف الظنــون عن أســامى الكتب والفنــون للعــالم الفاضل المؤرخ الكامل مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجى خليفة وبكاتب جلبى (٢) ، قال جمــع الجوامع فى الحديث للسيوطى الشافعى وهــو كبير.. ذكر فيه أنه قصد استيعاب الأحاديث . وأخــذ يعــرف به بلا اعتراض عليه .

ويقول المحدث الشيخ أبو الحسن البكرى فى تأليف جمــع الجــوامع (للسيوطى منة على العالمين وللمتقى منة عليه) (٣) .

ففى رأى المحــدث الكبــير أن السيوطى بتأليفــه الجامع الكبير أسدى للعالمين خيرا وكان له بذلك التأليف منة على العالمين لنشر سنة رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومنهجه الموفق ، وللمتقى منة عليه لأنه رتب جمع الجوامع على الأبواب فى كتــابه (كنز العمــال فى سنن الأقوال والأفعال) ، وعرف بالجامع الكبير للسيوطى صــاحب تحفــة الأحوذى شرح الترمذى فى المقدمة(٤) وهو الامام الحافظ أبى العلى محمد ابن عبد الرحمــن بن عبــد الرحيم المباركفورى : ذكر الجوامع وبــدأ بالجامع الكبير للسيوطى (فقال منها جمع الجوامع لجلال الدين عبد الرحمن أبى بكر السيوطى وهو كبير ذكر فيه أنه قصد استيعاب الأحاديث النبوية وقسمه قسمين : الأول ساق فيه لفظ

(١) مقدمة تدريب الراوى للشيخ عبد الوهاب عبد اللطيف .
(٢) كشف الظنون طبع طهران ج ١ ص ٥٩٧
(٣) أول كنز العمال طبع دائرة المعارف النظامية فى حيدر أباد الدكن سنة ١٣١٢ هـ .
(٤) مقدمة تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى المباركفورى ص ٧٧

الحديث بنصه يذكر من خرجه ومن رواه من واحد الى عشرة أو أكثر يعرف منه حال الحديث مرتبا ترتيب اللغة على حروف المعجم والثانى فى الأحاديث الفعلية المحضة والمشتملة على قول أو فعل أو سبب أو مراجعة ونحو ذلك مرتبا على مسانيد الصحابة،قدم العشرة ثم بدأ بالباقى على حروف المعجم فى الأسماء ثم بالكنى كذلك ثم بالمبهمات ثم بالنساء ثم بالمراسيل وطالع لأجله كتبا كثيرة،، قال فى الجامع الصغير قصدت فى جمع الجوامع جمع الأحاديث النبوية بأسرها قال شارحه المناوى هذا بحسب ما اطلع عليه المؤلف لا باعتبار ما فى نفس الأمر لانافتها على ما جمعه الجامع المذكور لو تم وقد اخترمته المنية قبل اتمامه (١) .

أثر جمع الجوامع فى مكتبة الحديث الشريف :

عرف العلماء المحدثون قدر الجامع الكبير للسيوطى فقامت حوله الدراسات الحديثية وألفت حوله الكتب من كبار علماء الحديث العالميين بمقياس الحديث ورجاله .

يقول صاحب الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة بعد التعريف بالجامع الكبير للسيوطى .

(ولخاتمة المحققين بالحديث بالديار المغربية (أبى العلاء) مولانا المتوفى بها سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف هجرية .

كتاب عرف فيه بأئمة الحديث المخرج لهم فى الجامع الكبير (الفتح البصير فى التعريف بالرجال المخرج لهم فى الجامع الكبير) وله أيضا كتاب آخر فى الكلام على أحاديث الجامع الكبير بالصحة والحسن وغيرهما وسماه الدرر اللوامع فى الكلام على أحاديث جمع الجوامع ولكنه لم يكمل) (٢) .

---

(١) مقدمة تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى للمبار كفورى ص ٧٧.

(٢) الرسالة المستطرفة لبيان أحاديث السنة المشرفة طبعة دار الفكر صفحة ١٨٢ الطبعة الثالثة .

كتاب الجامع الأزهر من حديث النبى الأنور) (١) .

رأى صاحب كتاب الجامع الأزهر أن العلماء اعتقدوا أن جمع الجوامع به جميع الأحاديث لأن السيوطى قال قصدت جمع الأحاديث النبوية بأسرها ولكن قد اخترمته المنية قبل أن يستكمل الأحاديث بأسرها ورأى أن العلماء اذا لم يجدوا حديثا فى الجامع الكبير للسيوطى ظنوا أنه غير موجود ، وذكر أن العلماء المحدثين يعتمدون عليه فى الكشف على الحديث ، وهذا يدل على تقدير العلماء للكتاب واتخاذه مرجعا واقرارهم له ، فرأى مؤلف الجامع الأزهر ، أن يكمل هذا البناء الشامخ العظيم مع المحافظة على ما فى الجامع ، ومثل هذا هو النقد البناء ، قال المباركفورى (٢) (الجامع الأزهر من حديث النبى الأنور) قال مؤلفه فى خطبة الكتاب ما لفظه : ومن البواعث على تأليف هذا الكتاب أن الحافظ الكبير الجلال السيوطى ادعى أنه جمع فى (كتابه الجامع الكبير) الأحاديث النبوية مع أنه فاته الثلث فأكثر فيما وصلت اليه أيدينا فصار كل حديث يسأل عنه أو يريد الكشف عنه يراجع الجامع الكبير فان لم يجده فيه غلب على ظنه أن لا وجود له فربما أجاب بأنه لا أصل له .. فأردت التنبيه على ما فاته فى هذا المجموع فما كان فى الجامع الكبير أكتبه بالمداد الأسود وما كان من المزيد فبالمداد الأحمر أو أجعل عليه مدة حمراء ولم أورد فيه مما فى الكتب الستة الا النادر نشهرتها وكثرة تداولها وسهولة الوقوف عليها فعمدت الى جمع الشوارد والاعتناء بالزوائد واعتمدت فى بيان حال الأسانيد على ما حرره جدنا من قبل الأمهات ولى الدين العراقى والحافظ الكبير نور الدين الهيثمى ومن فى طبقتهم فهم المرجع فى ذلك والعمدة وعليهم الاعتماد والعهدة ولما تم هذا المطلب على هذا النمط

---

(١) انظر مقدمة تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذى للمباركفورى ص ٧٨ .

(٢) مقدمة تحفة الأحوذى .

سميته (بالجامع الأزهر من حديث النبى الأنور) .. مرتبا على حروف المعجم لكونه أسهل كشفا وأقوم ولأن كلا من الطلاب لذلك آلف) .

كتاب منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال للتقى الهندى مطبوع على هامش مسند الامام أحمد وعليه تنبيه نصه «كنز العمال وان اشتهر بين الأنام لكن منتخب كنز العمال الموضوع بالهامش مع احتوائه على المقصود من كنز العمال قد فاق عليه بشيئين كما قال المؤلف فى خطبته (ففاق هذا التأليف على كنز العمال بشيئين أحدهما بحذف التكرار ، والثانى امتزاج أحاديث الأفعال بأحاديث الأقوال ترجمة بعد ترجمة) وقد اشتمل على نحو اثنين وثلاثين ألف حديث خالية عن التكرار فليعلم) .

كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال:

للعلامة المحدث علاء الدين على ابن حسام الدين المتقى الهندى (١) طبع بحيدر آباد الدكن بالهند (٢) وطبع بحلب .. وطبع منشورات مكتبة التراث الاسلامى ضبطه وفسر غريبه الشيخ بكرى حيانى وصححه ووضع فهارسه ومفتاحه الشيخ صفوة السقا . وقدم له فضيلة المحدث الكبير محمد يوسف الحسينى البنورى ، جمع فيه المؤلف الجامع الكبير للسيوطى ، والجامع الصغير للسيوطى وهو عشرة آلاف حديث كما ذكر النبهانى فى كتابه (الفتح الكبير) الذى جمع فيه الجامع الصغير وزيادات السيوطى عليه وذكر النبهانى أن زيادة السيوطى على الجامع الصغير عدها بعض أصحابه فوجدها أربعة آلاف وأربعمائة وأربعين حديثا فيكون مجموع الجامع الصغير والزيادة أربعة عشر ألف وأربعمائة وخمسين حديثا ، جمع كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال الجامع الكبير والجامع الصغير والزيادة على الجامع الصغير ورتب الأحاديث على الأبواب ، قال المتقى الهندى : (وسميته كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال فمن ظفر بهذا التأليف فقد ظفر بجمع الجوامع للسوطى مبوبا

مع أحاديث كثيرة ليست فى جمع الجوامع لأن المؤلف السيوطى رحمه الله زاد فى الجامع الصغير وذيله أحاديث لم تكن فى جمع الجوامع(١) قالوا فيه (كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال لعلاء الدين الهندى البرهان فورى ــ لله دره ــ حيث من بترتيب جمع الجوامع للسيوطى كان ترتيب أحاديثه على وفق حروف الهجاء فسهل الطريق على الطالبين وصيرها مبوبة على ديدن الفقهاء فشدوا الرحال اليه وكان الشيخ أبو الحسن البكرى يقول:(للسيوطى منة على العالمين وللمتقى منة عليه) .

وقد فرغ المؤلف من تأليفه سنة (٩٧٥ هـ فى شهر جمادى الأولى) .

ولمنهج التبويب على طريقة الفقهاء أهميته فى دراسة الموضوع متكاملا وجمع الأحاديث فى مكان واحد يفسر بعضها بعضا فيطلع الباحث على جميع أحاديث البيع مثلا فى مكان واحد أو الزكاة أو الصلاة أو الأخلاق الخ ...

ولمنهج الترتيب على حروف المعجم أهميته ومميزته فلا يغنى منهج عن منهج كما قال صاحب كتاب (الجامع الأزهر من حديث النبى الأنور) :

« جعلته مرتبا على حروف المعجم لكونه أسهل كشفا وأقوم ولأن كلا من الطلاب لذلك آلف » .

ومثال ذلك مسند الامام أحمد رتبه الشيخ البنا فى كتابه القيم (الفتح الربانى) مبوبا على طريقة الفقهاء وهو عمل جليل له مميزاته ولكن لا يقال نستغنى به عن طبع المسند للامام أحمد فهو مع ذلك لا زال يطبع طبعات متعددة ولقد فطن المحدثون لذلك فطبعوا كتب المسانيد ، والمعاجم والجوامع وعن تنظيمهم ومناهجهم وتبويبهم وفهرستهم ، تعلمت أوربا وطوروا منهج التنظيم فأنتجوا مثل المعجم المفهرس لألفاظ الحديث لونسنك وغيره .

---

(١) كنز العمال ص ٣ طبع حيدر أباد الدكن بالهند سنة ١٣١٢ هـ .

منهج السيوطى فى الجامع الكبير : (جمع الجوامع)

قال السيوطى (هذا كتاب شريف حافل بجميع الأحاديث النبوية كامل قصدت فيه استيعاب الأحاديث النبوية وقسمته قسمين : الأول ـ أسوق فيه لفظ المصطفى بنصه وأطوق كل خاتم بفصه وأتبع متن الحديث بذكر من خرجه من الأئمة أصحاب الكتب المعتبرة ومن رواه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين) •

ويرمز السيوطى « لدرجة الحديث الصحيح (صح) والحسن (ح) والضعيف (ض) ووضع رموزا لأسماء الكتب التى يعزو اليها مثل (خ) لصحيح البخارى و (م) لمسلم و (ق) فى الجامع الصغير لما اتفق عليه البخارى ومسلم وأما فى الجامع الكبير فهى رمز (للبيهقى) و (د) لأبى داود و (ت) للترمذى و (م) للنسائى و (حم) لأحمد فى مسنده و (حب) لابن حبان فى صحيحه الى آخر ما ذكره فى المقدمة وقال فى جمع الجوامع : وجميع ما فى الكتب الخمسة صحيح، البخارى ومسلم وصحيح ابن حبان والمختارة للضياء المقدسى والمستدرك للحاكم سوى ما فيه من التعقيب فينبه عليه والعزو اليها معلم بالصحة وكذا ما فى موطأ مالك وصحيح ابن خزيمة وأبى عوانه وابن السكن والمنتقى لابن الجارود والمستخرجات فالعزو اليها معلم بالصحة أيضا وفى سنن أبى داود ما سكت عليه فهو صالح وما بين ضعفه نقلت وفى النسائى والترمذى وابن ماجة ومسند الامام أحمد وزوائد ابنه ومصنف عبد الرازق وابن أبى شيبة ومسند أبى يعلى والطبرى فى المعجم الكبير والصغير والأوسط ـ والدارقطنى والحلية لأبى نعيم والبيهقى فى الشعب ـ والسنن ، يقول فيها صحيح وحسن وضعيف فأبينه غالبا وكل ما كان فى مسند أحمد فهو مقبول فان الضعيف الذى فيه يقرب من الحسن وكل ما عزى للعقيلى فى الضعفاء ولابن عدى فى الكامل وللخطيب فى تاريخه ولابن عساكر فى تاريخه والديلمى فى

مسند الفردوس فهو ضعيف فيستغنى بالعزو اليها أو الى بعضها عن بيان ضعفه) .

وذكر السيوطى (١) أسماء الكتب التى اطلع عليها حتى اذا اخترمته المنية يكمل من يريد بعده من غير الكتب التى جمعها فى الجامع الكبير .

قال المتقى الهندى (وجد بخط الشيخ جلال الدين السيوطى رحمه الله ما صورته (الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى هذه تذكرة مباركة بأسماء الكتب التى انتهيت من مطالعتها على تأليف جمع الجوامع خشية أن تهجم المنية قبل تمامه على الوجه الذى قصدته فيقضى الله من يذيل عليه فاذا عرف ما انتهت مطالعته استغنى عن مراجعته ونظر ما سواه) فذكر مما انتهت الكتب الستة البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى واليسائى وابن ماجة والموطأ ومسند الامام أحمد ومسند الشافعى وأخذ يعد أكثر من ثمانين كتابا ختمها بمصنف عبد الرازق ومصنف ابن أبى شيبة والترغيب فى الذكر لابن شاهين .

من كتب السنة المعتمدة ما يشتمل على الصحيح والحسن والضعيف ولكن لا يشتمل على الموضوع :

علمنا من دراسة منهج السيوطى فى التنبيه على درجات الحديث وكتبه أن من كتب السنة المعتمدة عند علماء الحديث ما يشتمل على الحديث الصحيح والحسن والضعيف مثل سنن أبى داود ، وسنن النسائى ، وجامع الترمذى أو صحيح الترمذى كما يطلق عليه علماء الحديث وسنن ابن ماجة ومسند الامام أحمد ومصنف عبد الرازق ومصنف ابن أبى شيبه وسنن البيهقى) .

وليس فيها الموضوع كما سيذكر لنا السيوطى وعلماء الحديث فهناك فرق بين الضعيف والموضوع .

فمن الضعيف ما يقرب من درجة الحسن كما ذكر السيوطى فى قوله (وكل ما فى مسند أحمد فهو مقبول

---

(١) مقدمة كنز العمال للمتقى ص ١١ ج ١ طبع الهند .

فان الضعيف الذى فيه يقرب من الحسن) .

السيوطى وعلماء الحديث

(يحذرون من رواية الأخبار الموضوعة ويحرمونها) .

(ويدافعون عن السنة وكتبها) .

(ويفرقون بين الضعيف والموضوع) .

يقول الشيخ ابن الصلاح : الموضوع هو المختلق المصنوع واعلم أن الحديث الموضوع شر الأحاديث الضعيفة ولا تحل روايته لأحد علم حاله فى أى معنى كان الا مقرونا ببيان وضعه بخلاف غيره من الأحاديث الضعيفة التى يحتمل صدقها فى الباطن حيث جاز روايتها فى الترغيب والترهيب) مقدمة ابن الصلاح .

ويقول الامام النووى فى كتابه التقريب[1] (الموضوع هو المختلق المصنوع وشر الضعيف وتحرم روايته مع العلم به فى أى معنى كان الامبينا) .

ويقول السيوطى فى كتابه تدريب الراوى شرح تقريب النواوى فى النوع الحادى والعشرين (الموضوع هو الكذب المختلق المصنوع وهو شر الضعيف وأقبحه وتحرم روايته مع العلم بوضعه فى أى مكان سواء فى الأحكام والقصص والترغيب وغيرها الا مبينا أى مقرونا ببيان وضعه وذلك لحديث الامام مسلم عن النبى — صلى الله عليه وسلم — قال من حدث عنى بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين) .

وقال النووى فى التقريب (قد أكثر جامع الموضوعات فى نحو مجلدين أعنى أبا الفرج بن الجوزى فذكر كثيرا مما لا دليل على وضعه بل هو ضعيف) فالمحدثون يفرقون بين الموضوع والضعيف .

مقاييس ابن حجر والسيوطى المعتمدة فى الذب عن السنة وكتبها

ذكر السيوطى فى كتابه التدريب « قال قد اختصرت هذا الكتاب

(١) تدريب الراوى شرح تقريب النواوى للسيوطى ص ١٧٨ .

(الموضوعات لابن الجوزى) فعلقت على أسانيده وذكرت منها مواضع الحاجة وأثبت بالمتون وكلام ابن الجوزى عليها وتعقبت كثيرا منها وتتبعت كلام الحفاظ فى تلك الأحاديث خصوصا شيخ الاسلام ابن حجر فى تصانيفه وأماليه ثم أفردت الأحاديث المتعقبة فى تأليف وذلك أن شيخ الاسلام ألف « القول المسدد فى الذب عن المسند » (مسند أحمد) أورد فيه أربعة وعشرين حديثا فى المسند وهى فى الموضوعات وانتقدها حديثا حديثا (فأخرجها عن الوضع) ومنها حديث فى صحيح مسلم وذكر ذلك فى الموضوعات غفلة شديدة ــ قال السيوطى وذيلت على هذا الكتاب بذيل فى الأحاديث التى بقيت فى الموضوعات من المسند وهى أربعة عشر مع الكلام عليها ثم ألفت ذيلا بهذين الكتابين سميته « القول الحسن فى الذب عن السنن(١) » أوردت فيه مائة وبضعة وعشرين حديثا ليست بموضوعة منها ما هو فى سنن أبى داود وهى أربعة أحاديث ومنها ما هو فى جامع الترمذى وهو ثلاثة وعشرون حديثا ومنها ما هو فى صحيح البخارى رواية حماد بن شاكر ومنها ما هو فى تأليف البخارى غير الصحيح كخلق أفعال العباد أو تعاليقه فى الصحيح أو فى مؤلف أطلق عليه اسم الصحيح كمسند الدارمى والمستدرك وصحيح ابن حبان أو فى مؤلف معتبر كتصانيف البيهقى فقد التزم ألا يخرج فيها حديثا موضوعا ومنها ما ليس فى أحد هذه الكتب وقد حررت الكلام على ذلك حديثا حديثا فجاء كتابا حافلا (٢) .

وبهذه القوة العلمية والمقاييس الدقيقة دافع ابن حجر والسيوطى عن السنة وكتبها وبصروا المحدثين بدرجات الحديث النبوى وكتبه وتتلمذ العلماء على كتبهما وكتب ابن الصلاح والنووى فى المحافل

(١) تدريب الراوى للسيوطى ص ١٨٢
(٢) انظر تدريب الراوى فى أصول الحديث ص ١٨٢ طبع المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

العلمية والجامعات الاسلامية وتأليف كتب أصول الحديث النبوى الشريف •

أيها القارىء الكريم :

قد أكون أطلت وأسهبت ولكن من أجل غاية نبيلة « الدفاع عن كتب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم » •

ولعل بعد هذه الدراسة الموضوعية العلمية المدعمة بالمراجع الأصلية وليس لنا فيها الا شرف اظهار الحقيقة والاشارة الى قسماتها الوضاءة لعلنا نتفق على نتائج حاسمة صادقة نسميها •

نتائج البحث

١ ـ السيوطى صاحب مكانة فى الحديث النبوى وعلومه بمؤلفاته فى أصول الحديث • وعلم رجال الحديث وطبقاته ـ وفى الدلالة على الأحاديث الموضوعة والتحذير منها ـ وفى شرحه الحديث وجمع الحديث وتخريج الحديث وبيان درجته •

٢ ـ كتاب جمع الجوامع والجامع الصغير وزوائد الجامع الصغير •

طبعت منذ أكثر من ثمانين عاما مبوبة على طريقة الفقهاء ، وكان تخريجها ودرجاتها كما خرجها السيوطى ونشرت باسم (كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال) ـ واستقبله علماء الحديث بالتقدير وحفلت به مكتبات العالم الاسلامى فى الهند ومصر فى مكتباتها العامة والخاصة ومنها مكتبة الأزهر وكلية أصول الدين والشريعة بالأزهر وعرفه العامة والخاصة بما فيهم فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ولم يعترض عليه معترض بل ظفر بثناء العلماء المحدثين ودراساتهم فى العالم الاسلامى فى الهند والمغرب ومصر وأشاد به مدونو كتب الحديث واعتبروه من كتب السنة المشرفة ولم يدع عالم مطلقا فى العالم الاسلامى بأنه من كتب الموضوعات وقد عمت شهرته وتعددت طبعاته فى القديم والحديث فى الهند ودمشق وبيروت •

٣ ـ مجمع البحوث بالأزهر قد سبق من علماء الحديث فى العالم الاسلامى بالعناية بكتاب الجامع

الكبير ولم يعترض معترض مطلقا بل أثنى العلماء على هـذا العمـل الجليل .

٤ ـ الجامع الكبير (جمع الجوامع للسيوطى) ضـمن محتوياته كتب أصول السنة المعتمدة صحيح البخارى وصحيح مسلم وجامع الترمذى وسنن أبى دواد والنسائى وابن ماجة والموطأ للامام مالك ومسند الامام أحمـد ومعلوم أن مسند الامام أحمـد وحده يضم أربعين ألف حديث بالمكرر وثلاثين ألف حديث بغير المكرر(١) .

٥ ـ يفرق علماء الحـديث بـين الضعيف الذى قد يوجد ضمن كتب السنة المعتمدة كمسند الامام أحمد وجامع الترمذى وسـنن أبى داود وابن ماجة وغيرها وبين الموضوع .
أئمة علوم الحديث ابن الصـلاح والنووى وابن حجر والسـيوطى وغيرهم يحـرمون رواية الحـديث الموضوع ويوجبون النص عليه بأنه موضوع والاكان أحد الكذابين كما روى لنا السـيوطى حديث الامام مسلم عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « من حدث عنى بحـديث يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين » ..

فى ضـوء هـذه النتائج تنهـار الدعاوى الصحفية التى أثارها فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبـد الجليل عيسى حول الجامع الكبير للسيوطى فتعال معى لنناقش قضـاياه ونرى مدى صحتها :

أولا ـ هل صحيح ما نشره فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى حول الجامع الكبير للسيوطى أم هو كلام جرائد كما يقولون ؟ فلنناقش ذلك ..

« (قال الشيخ عبد الجليل عيسى فى صفحة الفكر الدينى عدد الجمعة بجريدة الأهرام ٢٣ يناير سنة ١٩٧٦م وفى جريدة الأخبار الصفحة الثـالثة

---

(١) مقدمة مسند الامام أحمد فى مناقب الامام أحمد والتعـريف بمسنده ملخصة من طبقات الامام ابن السبكى الكبرى ـ المطبعة الميمنية ج ١ ص ٢ فى المقـدمة ..

يوم الجمعة ١٩٧٦/٤/٢٣ م « من المسئول فى الأزهر عن نشر ٩٠ ألف حديث مكذوب » الأهرام فى الأخبار « (سؤال موجه الى مجمع البحوث لماذا الاصرار على نشر كتاب يضم ٩٠٠ ألف حديث مكذوب ؟) » •

ومن الناحية الشكلية فليس من المعقول أن يزيد فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى العدد من ٩٠ ألف حديث مكذوب كما نشر فى الأهرام فى شهر ١/سنة ١٩٧٦م الى ٩٠٠ ألف حديث مكذوب كما نشر فى الأخبار شهر ٤/سنة ١٩٧٦م وننزه فضيلة الشيخ عن ذلك فلابد أن تكون هذه الزيادة من كلام الجرائد وأثارتها لا من الشيخ عبد الجليل عيسى •

والدليل على ذلك أن الكتاب (الجامع الكبير ليس فيه هذا العدد ٩٠٠ ألف حديث) ولا يوجد كتاب فيه هذا العدد ، قال النبهانى فى كتابه « الفتح الكبير فى ضم الزيادة الى الجامع الصغير » وهما لجلال الدين السيوطى (طبع مصطفى الحلبى) قال الشيخ عبد القادر الشاذلى تلميذ السيوطى فى كتابه حلاوة المجامع قال السيوطى أكثر ما يوجد على ظهر الأرض من الأحاديث النبوية القولية والفعلية مائتا ألف حديث ونيف جمع المصنف منها (السيوطى) مائة ألف حديث فى هذا الكتاب الجامع الكبير واخترمته المنية » (١) فما نشر فى الأخبار من العدد ٩٠٠ ألف منهار من أساسه ومن البطلان وتصحيف صحفى أو غير صحفى لا يليق بمكانة السنة والغيورين عليها •

يبقى الرد على ما نشر فى الأهرام (من المسئول عن نشر ٩٠ ألف حديث مكذوب ؟) •

وتنهار هذه الدعوى أيضا ويتأكد فى يسر عدم صحتها بعد أن علمنا من علماء الحديث المعتمدين بالاجماع بأن الجامع الكبير للسيوطى ضمن ما يشتمل عليه كتب أصول السنة

---

(١) الفتح الكبير للنبهانى طبع الحلبى فى المقدمة ج ١

وصحاحها بصحيح البخارى وصحيح مسلم وجامع الترمذى وسنن أبى داود والنسائى وابن ماجة والموطأ ومسند أحمد ، ومسند أحمد وحده يضم أربعين ألف حديث بالمكرر وثلاثين ألف حديث من غير المكرر هذا فضلا عن باقى كتب السنة المعتمدة للبخارى ومسلم والترمذى وأبى داود والموطأ وغيرها فهل أحد يصدق أن هذه الكتب فيها الموضوع من الحديث يا فضيلة الشيخ ؟

أو موضوعة ؟ انه أمر واضح البطلان لا يحتمل المناقشة ويتأكد بذلك كذب ما نشره الشيخ فى الأهرام أو الأخبار معا .

ثانيا — هل صحيح قول فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى فى الأهرام؟

فى قوله : والغريب أن هذا الكتاب لم ينشر ولم ير النور من قبل ؟

والرد واضح بأن ذلك الكلام غير صحيح مطلقا بعد أن علمنا أن الجامع الكبير نشر منذ أكثر من ثمانين عاما وألفت حوله الدراسات وملأ المكتبات وتكررت طبعاته وأقره العالم الاسلامى ولم يعترض عليه الشيخ عبد الجليل عيسى ولا غيره ، ولكن الشيخ يدعى أنه لم ينشر ويعلل عدم نشره بقوله (والسبب أن السيوطى نفسه قرر أن فيه كذبا كثيرا والدليل على ذلك أنه استخلص منه ١٠ آلاف حديث جمعها فى كتابه الجامع الصغير وقال فى مقدمته) — (راجعت ماجمعت وفحصته وأبعدت ما جاء به وضاع أو كذاب) ا هـ كلام الشيخ عبد الجليل عيسى .

وبناء على ذلك عمل الشيخ حسبة فى ذهنه على الفور فطرح عشرة آلاف حديث (الجامع الصغير) من مائة ألف حديث الجامع الكبير فيكون الباقى وهو ما يتكون منه الجامع الكبير ٩٠ ألف حديث مكذوبا وهو الموضوع الذى اعترف به السيوطى نفسه والاعتراف سيد الأدلة وهو السر فى عدم نشر كتاب الجامع الكبير الذى يشتمل على ٩٠ ألف حديث مكذوب .

وأقول للشيخ عبد الجليل كما أن دعوى عدم نشر الكتاب غير صحيحة التعليل أيضا غير صحيح .

التحريف من الشيخ لكلام السيوطى والتقديم والتأخير من الشيخ لعبارة السيوطى هو الذى أوجد الخطأ وليس ذلك من أمانة النقل والعلم واليك ما قال السيوطى فى مقدمة الجامع الصغير بنصه :

قال السيوطى : هذا كتاب أودعت فيه من الكلم النبوية ألوفا ومن الحكم المصطفوية صنوفا اقتصرت فيه على الأحاديث الوجيزة ولخصت فيه من معادن الأثر أبريزة وبالغت فى تحرير التخريج فتركت القشر وأخذت اللباب وصنته عما تفرد به وضاع أو كذاب ففاق بذلك الكتب المؤلفة لهذا النوع كالفائق والشهاب وحوى من نفائس الصناعة الحديثية ما لم يودع قبله فى كتاب ورتبته على حروف المعجم مراعيا أول الحديث فما بعده وسميته الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير لأنه مقتضب من الكتاب الكبير الذى سميته جمع الجوامع وقصدت فيه جمع الأحاديث النبوية بأسرها) ا هـ كلام السيوطى مقدمة الجامع الصغير للسيوطى .

فانظر أيها القارىء الكريم كيف استقام المعنى عندما صح النقل وحذف الموضوع من كلام الشيخ عبد الجليل فى النص فالسيوطى لم ينسب الكذب للجامع الكبير ولم يقل قصدت فيه جمع الموضوعات وانما قال قصدت فيه جمع السنة النبوية بأسرها ..

« اختصار كتاب من كتاب ليس معناه الغاء الكتاب المختصر منه » .

ولو ظن الشيخ أن اختصار كتاب من كتاب معناه الغاء المختصر منه واعتراف صاحبه بذلك لكانت سنن النسائى الصغرى تلغى الكبرى والتاريخ الصغير للبخارى يلغى التاريخ الكبير له ومعجم الطبرانى الصغير اعتراف بالغائه للكبير وليس الأمر كذلك ولم يقل أحد بذلك ولذا لم يفهم هذا الفهم من كلام السيوطى أى عالم للحديث وليس من الأمانة تحريف النصوص .

أيها القارىء الكريم :

لعلك تبينت الآن وأيقنت أن كل ما ذكره الشيخ عبد الجليل عيسى منهار من أساسه ولا صحة له ويمكن أن نكتفى بذلك عن المناقشة التفصيلية المتشعبة خاصة وأن فى مقالات الشيخ ظاهرة غريبة لا ندرى سرها وهى تدخل الصحفيين بالتأييد والاثارة والتعليق فى مقالاته سواء فى الصفحة الدينية فى جريدة الأهرام أو الأخبار وكأن بينهم وبين المجمع أو التراث الاسلامى ثأرا ، يتجلى ذلك واضحا فى كتابتهم وتعليقهم على الشيخ عبد الجليل وذهاب المحررين اليه ويتجلى ذلك فى تدخلهم فى المقال الذى رد به فضيلة الأمين العام لمجمع البحوث فيعنونون له باصرار المجمع على الكذب ، ويعلقون بقولهم « وأخيرا تكلم أمين المجمع » وهذه غوغائية صحفية بعيدة عن المنهج العلمى الذى يدعيه الشيخ عبد الجليل والمعلقين عليه فى الصفحات التى تنتسب للدين ..

نعم كان من الممكن أن نكتفى بهذه الجولة معه ولكن حبا فى زيادة التوضيح فلنستمر فى الجولة .

« اعتراض الشيخ عبد الجليل على منهج السيوطى فى روايته للحديث بدون سند غير الصحابى وتخريجه الحديث وعمل اللجنة » .

يقول محرر حديث الشيخ عبد الجليل فى جريدة الأخبار عدد الجمعة ٢٣/٤/١٩٧٦م :

ونسأل الشيخ المجاهد المحقق عن كيفية تخريج الأحاديث فيقول :

والتخريج هو أن نذكر جميع رواة أى حديث بترتيبهم من مبدأ السماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى آخر من دون الحديث فى كتاب البخارى ومسلم .

ويقول : ان علم الحديث فن لا يقدر عليه الا أولو العزم من العلماء المتخصصين ولا يتقن هذا الفن فى الأزهر اليوم الا عدد قليل من العلماء فى الخارج (ونطمئن الشيخ على الازهر ففيه علماء فى الداخل والخارج وهم كثرة والحمد لله .

وأقول للمجاهد المحقق الكبير هل تعترف بكتاب التاج الجامع

للأصول فى أحاديث الرسول تأليف الشيخ منصور على ناصف ـ طبع الحلبى ـ .

انه لا يذكر من السند الا الصحابى فقط ويذكر الكتاب الذى خرج الحديث مثل عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين ـ رواه الشيخان فالتخرج أن يذكر الكتاب الذى خرج الحديث وذكره وهذا يغنى عن السند يقول صاحب الكتاب جمعت فيه الأصول الخمسة واكتفيت من السند براوى الحديث فى أوله ومخرجه فى آخره (جـ ١ صفحة٨)

وهل اطلعت على جامع الأصول لابن الأثير وهو من هو فى علم الحديث :

يقول ابن الأثير فى مقدمة كتابه (اننى حذفت الأسانيد كما فعله الجماعة ولنا فى الاقتداء بهم أسوة حسنة لأن الغرض من ذكر الأسانيد كان أولا لاثبات الحديث وتصحيحه وهذه كانت وظيفة الأولين رحمة الله عليهم وقد كفونا تلك المئونة فلا حاجة الى ذكرها وقد فرغوا منه وأغنونا عنه فلم أثبت الا اسم الصحابى الذى روى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ان كان خبرا أو اسم من يرويه عن الصحابى ان كان أثرا وأذكر من خرجه .

وهذا ما سارعليه السيوطى ولجنة تحقيق الجامع الكبير بالازهر الشريف ..

فهل فى منطق فضيلة الشيخ أن ابن الاثير أخطأ كما أخطأ صاحب التاج والسيوطى ونطالب بعدم نشر جامع الأصول وغيره ، أى منطق هذا يا فضيلة الشيخ ؟ رفقا بالمجمع والأزهر والصحافة وكتب السنة والتراث الاسلامى .

منهج الشيخ عبد الجليل عيسى فى الأحاديث التى ذكرها فى جريدة الأهرام والأخبار .

اليك أيها القارىء أمثلة مما نشره فضيلة الشيخ عبد الجليل فى جريدة الأهرام الجمعة ٢٣ يناير سنة ١٩٧٦م :

ان الشيخ لم يتحر النص فى رواية الحديث وذكرها من غير راو لها فلم يذكر الصحابى ولا غيره من

الرواة ولم يخرج الحديث فلم يذكر ما ذكره السيوطى من درجة الحديث والكتاب الذى خرجه وراوى الحديث ..

مع أنه فى جريدة الأخبار لا يرتضى التخريج وذكر الحديث الا بذكر جميع السند ..

ولقد بحثت عن الأحاديث التى ذكرها فى الأهرام بحسب كلماتها الأولى فى الجامع الصغير كما ذكر فلم أوفق لأنه ذكرها بالمعنى محرفة .

فرجعت الى كتب تخريج الحديث لأصحح الأحاديث أولا ثم أكشف عليها فى مواطنها فى الجامع الصغير ثانيا وأرى ما قاله السيوطى فى تخريجها ودرجتها واليك الأمثلة :

قال الشيخ عبد الجليل قال السيوطى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كلوا العدس فان الله قد مدحه على لسان أربعين نبيا »

ووجدته فى مجمع الزوائد للهيثمى فى جـ ١ ص ٤٤

عن واثلة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« عليكم بالقرع فانه يزيد فى الدماغ وعليكم بالعدس فانه قدس على لسان سبعين نبيا » رواه الطبرانى وفيه عمرو بن الحصين وهو متروك .

وفى الجامع الصغير للسيوطى (عليكم بالقرع فانه يزيد الدماغ وعليكم بالعدس فانه قدس على لسان سبعين نبيا (طب) .

عن واثلة (ض) الجامع الصغير جـ ٢ ص ٦٤ طبع الحلبى .

ومعنى (طب) رواه الطبرانى فى الكبير ومعنى (ض) ضعيف فالحديث خرجه الهيثمى صاحب الكتاب العظيم مجمع الزوائد وضعفه الهيثمى وضعفه السيوطى .

فهل يطالب الشيخ عبد الجليل ومحررو مقالاته الصحفية بالغاء كتاب مجمع الزوائد للهيثمى ومعجم الطبرانى وحرقها لذكر هذا الحديث كما يطالب بعدم نشر الجامع الصغير والكبير للسيوطى لأن فيه ذلك ؟ وكان على الشيخ أن يبين فى الجريدة رأى السيوطى فى درجة الحديث وأنه ضعفه للانصاف والأمانة

العامية والمنهجية العلمية التى ينادى بها هو والصحفيون ..

أليس فى تخريج الحديث واعطاء درجته من الهيثمى والسيوطى فائدة جليلة ؟

ويقول الشيخ عبد الجليل يروى السيوطى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « فى الجنة اثنان وسبعون زوجة » الحديث ولم أجده فى لفظ لكل فى الجامع الصغير ثم وجدته فى كتاب (مجمع الفوائد(١)) جـ ٢ ص ٧٧٢ «ان أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر الى جنانه وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة » رواه الترمذى .

وفى الجامع الصغير للسيوطى « ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر الى جنانه وأكرمهم على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ وجوه يومئذ ناضرة الى ربهاناظرة» (ت) (ض) عن ابن عمر يعنى رواه الترمذى ..

والحديث ضعيف ومروى عن ابن عمر فخرج السيوطى الحديث للترمذى وضعفه وذكر راويه كما فعل كتاب مجمع الفوائد .

فهل يريد محرر مقال الشيخ فى الصحافة والشيخ أن يذكرنا بمافعل عثمان من حرق المصاحف فنحرق الجامع للترمذى ومجمع الفوائد وكتب السيوطى ونلجأ اليهم فى المختار من الأحاديث طبقا لمقاييسهم؟ رفقا بالسنة وكتبها والصحافة وعقول المسلمين وتراثهم يا فضيلة الشيخ ويا أصحاب الصحافة .

الشيخ عبد الجليل عيسى ومعه الصحافة :

يهاجم السيوطى وأمين مجمع البحوث ولجنة تحقيق الجامع الكبير تتيجة لعدم دراسته لمصطلحات المحدثين والحديث واليك البيان والدليل .

ذكر فى صحيفة الاخبار (٢) تحت العنوان الخطأ (لماذا الاصرار على

---

(١) مجمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد لابى محمد بن محمد بن سليمان ــ ملتزم الطبع والنشر السيد عبد الله اليمانى ــ المدينة المنورة .

(٢) جريدة الأخبار يوم الجمعة ١٩٧٦/٤/٢٣ م .

نشر كتاب يضم ٩٠٠ ألف حديث مكذوب) مع أنه كما بينا لا يوجد كتاب فيه هذا العدد ولا كل كتب السنة ولكن ليس هذا هو المقصود فقد رددنا عليه .

وانما المقصود قوله تحت هذا العنوان (كلام أمين المجمع والعجب العجاب) .

ويذكر الشيخ عبد الجليل عيسى دليل العجب العجاب فى رأيه ومنهجه فيقول : (وفى حدود كلام الأمين العام للمجمع وعندما ننظر فى الكتاب سنجد العجب العجاب !! فان أكثر الأحاديث المنشورة فى الكتاب لا تحظى بأى جهد علمى دراسة أو تخريجا أو تعليقا أو تنبيها على أنها صحيحة أو ضعيفة أو مكذوبة !!

هناك مثلا حديث فى الكتاب يقول (ان لله ملائكة ما بين شحمة اذن أحدهم الى ترقوته مسيرة سبعمائة عام للطير السريع الطيران) هذا الحديث ورد فى الكتاب دون ذكر سنده أو تخريجه . فقط فيما أوردت نصه حم ع و حب و ض عن جابر : ماذا يفهم من هذا ؟) أ هـ كلام فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى .

وأقول لفضيلة الشيخ أما أنه لم يذكر السند فقد صدقت فيها ولكن قد بينت لفضيلتكم بأن جامع الأصول للمحدث الكبير ابن الأثير لم يذكر السند وتاج الأصول . والتجريد الصريح لأحاديث الجامع الصحيح للزبيدى،لأن التخريج يغنى عن ذكر السند كما ذكر لك ابن الاثير فلا تحاول أن تشوش على العامة لأنك لا شك تعرف هذه الكتب المشهورة المقدرة عند الجميع .

أما أن تقول ان الحديث لم يخرج بعد ذكرك لهذه الرموز التى ذكرتها فهذا هو المؤسف حقا ، وكذلك قولك متعجبا «ما يفهم من ذلك ؟)والسبب يافضيلة الشيخ عبد الجليل أنك جرىء تتحدث عن الأمر وتعترض عليه ، وكان عليك أن تدرسه قبل ذلك فلو كلفت نفسك بالاطلاع على مصطلحات المحدثين والكتب لعرفت انظر فى مقدمة كنز العمال أو منتخب كنز العمال أو الجزء الأول مقدمة الجامع الصغير أو مقدمة الجامع

الكبير لتعرف بأنه يفهم من ذلك الآتى :

(حم) معناها أن الحديث رواه الامام أحمد فى مسنده و (ع) لأبى يعلى فى مسنده و (حب) لابن حبان فى صحيحه ، و (ض) للضياء المقدسى فى مختاره و (د) كل الدنيا تعرف هـذا الرمز فى كل كتب الأحاديث معناه لأبى داود فى سننه •

أفبعد ذلك تقول وتستحل وتتعجب من السيوطى وأمين مجمع البحوث واللجنة وتدعى بأن الحديث لم يخرج ، ان العجب العجاب فى منهجك يا فضيلة الشيخ لا فى منهجهم •

ولو قرأت يا فضيلة الشيخ عبد الجليل المصطلحات لما تورطت فى قولك بأن الحديث لم ينبه عليه أنه (صحيح أو ضعيف أو مكذوب) وانى قد فرحت بتعبيرك هذا لشىء واحد لأنك فرقت فيه بين الضعيف والمكذوب وهذا حق كنت أحب أن تعترف به وتعتبره •

أما أن الحديث لم ينبه عليه ولم تعرف درجته فهذا غير صحيح لقد نبه السيوطى وذكر فى منهجه أن ما روى فى بعض الكتب الصحيحة •

منها البخارى ومسلم وصحيح ابن حبان فالعزو اليها معلم بالصحة فالرموز التى ذكرتها تفيدك الحكم بصحة الحديث فاعلم ذلك يا فضيلة الشيخ واعلم فائدتها •

فالعجب العجاب يا فضيلة الشيخ الناقد أن الحديث خرج وصحح وأنت لا تدرى أو تدعى ذلك لتهاجم السيوطى وأمين المجمع ولجنة الجامع الكبير للسيوطى والأزهر ••

وهذا الحديث الذى ذكرته يا فضيلة الشيخ ذكره كتاب مجمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد لأبى محمد بن محمد بن سليمان جـ ٢ ص ٦٠٧ •

اذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ما بين شحمة أذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة رواه أبو داود فى سننه وأخرجه المنذرى فى تخريج السنن /١١٧/٧ وسكت عنه وأخرجه الجامع الصغير للسيوطى أيضا — بالنص الذى ذكره صاحب مجمع

الفوائد وعلق عليه (د) سنن أبى داود والضياء عن جابر ورمز اليه بالصحة (صح) •

فالمذكور الضياء عن جابر لا كماذكرت الصحيفة فى مقالك (العظم عن جابر) فهذا تصحيف من الصحيفة أو منك يجب أن تصان عنه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم •
فهل بلبلة الأفكار يا فضيلة الشيخ عبد الجليل فى احياء التراث الاسلامى أم فى مساعدة الصحف على التصحيف والتحريف فى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى الحكم عليه ــ تحريف فى العناوين وتحريف فى النصوص وتحريف فى المقاييس •
ان للحديث قداسة وللعلماء قداسة يجب مراعاتها ••

أيها القارىء الكريم :

هذا هو المنهج الصحفى فى الأهرام والأخبار فى الصفحات الدينية التى كتب فيها فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى ومنهجه كما علمت شكلا وموضوعا ودراسة •

وبعد فلنترك الكلام على منهج الشيخ عبد الجليل عيسى بعد أن تبين وتعال معى لنختم الحديث برأى صاحب كنز العمال المحدث الكبير علامة الهند المتقى الهندى فى الجامع الكبير للسيوطى فهو أعلم من محررى الصحف قال :

« انى قد وقفت على كثير مما دونه الأئمة فى كتب الحديث فلم أر فيها أكثر جمعا ولا أكبر نفعا من كتاب جمع الجوامع الذى ألفه العلامة عبد الرحمن جلال الدين السيوطى سقى الله ثراه وجعل الجنة مثواه حيث جمع فيه من الأصول الستة (البخارى ومسلم وجامع الترمذى وسنن أبى داود وسنن النسائى وابن ماجة « وغيرها » من الموطأ ومسند أحمد وصحيح ابن حبان وغيرها « وأودع فيه من الأحاديث ألوفا ومن الآثار صنوفا وأجاد كل الاجادة مع كثرة الجدوى وحسن الافادة (١) » •

هذا والله الموفق للصواب ••

---

(١) مقدمة كنز العمال فى سنن الأقوال والافعال للمتقى الهندى ــ طبع الهند ...

الفهــــرس

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

وكيل أول

رئيس مجلس الادارة

على سلطان على

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٦/١٦٧

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٠٠٢ ١٩٧٦/٦/١٧ ٥

مدير التحرير والإدارة
الدكتور
عبد الودود شلبى

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر
فى أول كل شهر عربى

العنوان
إدارة الأزهر
بالقاهرة
ت { ٩٠٥٩١٤
٩٠٥٥٠٦

الجزء العاشر — السنة الثامنة والأربعون — ذو الحجة سنة ١٣٩٦ هـ — ديسمبر سنة ١٩٧٦ م



بسم الله الرحمن الرحيم

موقف الدين من :
الفن والعلم والفلسفة

لفضيلة الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

كثيرا ما يلتبس على بعض الناس المفهوم الحقيقى لزاوية من زوايا الثقافة وكثيرا ما يلتبس عليهم أيضا موقف الدين من جانب من جوانبها .

ونحب هنا — بتوفيق الله تعالى — أن نتحدث فى صورة تخطيط عام ، أو فى اجمال مجمل عن علاقة الدين ببقية موضوعات المعرفة .

ولعله ينبغى — من أجل الوضوح — أن نقول كلمة فى تعريف كل من هذه الموضوعات ، ولسنا بصدد تعريفات نناقش فيها ونجادل ونورد ما سبق منها باحثين متفحصين أو ناقدين مختبرين ، كلا ، وانما نورد تعريفات موجزة تعطى الفكرة ولا تجانب — ان شاء الله — الصواب .

ونقول :

١ — ان ما بنى على الوحى فهو دين وهو شريعة .

٢ ــ وما كان مرده الى الذوق والعاطفة والوجدان فهو فن •

٣ ــ والقواعد والقوانين التى قامت على الملاحظة والتجربة والاستقراء : علم •

٤ ــ أما مجال ما وراء الطبيعة ومجال الأخلاق بمعناها الشامل ، هذا المعنى الذى يدخل فى نطاقه التشريع ونظام المجتمع ، فان مابنى من ذلك كله على العقل البحت فهو : فلسفة •

وعلى أساس من هذه التعريفات التى لا نشك فى أنها لا تبتعد عن الصواب نسير فى هذا البحث باذن الله •

ما موقف الدين من الفن ؟

وجوانب الفن متعددة : انها الشعر ، وهى القصص : مسرحيات أو روايات ، وهى التصوير ، وهى النحت ، وهى السينما وهى المسرح

ما موقف الدين من ذلك ؟

ونبدأ بالشعر •

يقول الله تعالى عن رسوله صلى الله عليه وسلم :

« وما علمناه الشعر »

لقد نفى سبحانه أنه علمه الشعر • هل لذلك من تعليل ؟

لقد قال الله تعالى :

« وما ينبغى له » •

هناك اذن مستويات من الانسانية هى فى سموها ترتفع عن مستوى الشعر •

ومن هذه المستويات : مستوى الرسل ولعل مستوى الصديقية فى قمته لا يناسبه أيضا مستوى الشعر ولم يكن أبو بكر رضوان الله عليه وهو قمة الصديقين : شاعرا •

ولكن الله سبحانه وتعالى تحدث عن مستوى محمد صلى الله عليه وسلم أى تحدث عن أعلا مستوى المخلوقات •

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ فيما رواه الامام مسلم ــ ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل، واصطفى من ولد اسماعيل بنى كنانة ، واصطفى من بنى كنانة: قريشا ، واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم •

وكل من يحاول ــ فى صدق ــ أن يرتقى صاعدا فى المستوى

الروحي ليكون الرسول صلى الله عليه وسلم له أسـوة وقدوة فانه يتنزه شيئا فشيئا عن الشعر •

ان الله سبحانه لم يعلم رسـوله صلى الله عليه وسلم الشـعر ولم ينشىء رسول الله صلى الله عليـه وسلم الشعر بل وكان صلى اللـه عليـه وسـلم يتحـرج عن رواية الشعر •

يقول الامام الألوسي :

لا يرد أنه عليه الصلاة والسلام قال يوم حنين ، وهو على بغلتـه البيضاء ، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بزمامها ، ولم يبق معه عليـه الصلاة والسلام من الناس الا قليل:

« أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » ، لأنا لا نسـلم أنه شعر ، فقد عرفوه بأنه الكلام المقفى الموزون على سبيل القصد ، وهذا مما اتفق له عليه الصلاة والسـلام من غير قصد لوزنه ومثله يقع كثيرا في الكلام المنثور ، ولا يسمى شعرا ، ولا قائله شاعرا » •

ولكن الآية الكريمة على كل حال لا تأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم قوله ، يقول صـاحب روح المعاني :

« وليس في الآية ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وسلم ، لا ينبغي له التكلم بشعر قاله بعض الشعراء والتمثل به ، وفي الأخبار ما يدل على وقوع التكلم بالبيت متزنا نادرا كما روى أنه عليه الصلاة والسلام ، أنشد بيت ابن رواحة :

يبيت يجـافي جنبه عن فراشـه
اذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وانشـاده اياه كذلك مذكـور في البحر ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم أصاب أصبعه الشريفة حجر في بعض غزواته فدميت فتمثل بقول الوليد بن المغيرة :

على ما قاله ابن هشام في السيرة ، أو ابن رواحـة على ما صححه ابن الجوزي :

ما أنت الا اصبع دميت
وفي سـبيل اللـه ما لقيت

وأحيانا كان يتمثل رسول اللـه صلى الله عليه وسلم ببيت من الشعر ، ولكنه يتمثل به غير موزون ، ومن

ذلك ما روى أنه عليه الصلاة والسلام أنشد :

ستبدى لك الأيام ماكنت جاهلا
ويأتيك من لم تزود بالأخبار

فقال أبو بكر رضى الله عنه :

ليس هكذا يا رسول الله ؟ فقال عليه الصلاة والسلام :

« انى والله ما أنا بشاعر ، ولا ينبغى لى » .

ويتحدث المفسرون والمحدثون عن أمثال هذا ، ومن ذلك ما أخرجه الامام أحمد ، وابن أبى شيبة عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا استراث الخبر تمثل ببيت طرفة وتأتيك من لم تزود بالأخبار .

وأخرج ابن سعد، وابن أبى حاتم عن الحسن أنه صلى الله عليه وسلم كان يتمثل بهذا البيت ، كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا .

فقال أبو بكر : أشهد أنك رسول الله ما علمك الشعر،وما ينبغى لك.

وأخرج ابن سعيد عن عبدالرحمن ابن أبى الزناد أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للعباس بن مرداس : أرأيت قولك :

أتجعل نهبى ونهب العبيـ
ـد بين الأقرع وعيينه

فقال له أبو بكر : رضى الله تعالى عنه بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، ما أنت بشاعر ، ولا راوية ، ولا ينبغى لك انما قال « بين عيينة والأقرع » .

وروى أنه قيل له عليه الصلاة والسلام : من أشعر الناس ؟ فقال: الذى يقول :

ألم تريانى كلما جئت طارقا
وجدت بها وان لم تطيب طيبا

والشطر الثانى من البيت هو : وجدت بها طيبا وان لم تطيب

وأخرج البيهقى فى سننه بسند فيه مجهول ، عن عائشة قالت : ما جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت شعر قط الا بيتا واحدا :

تفاءل بما تهوى يكن فلقلما
يقال لشىء كان الا تحقق

قالت عائشة : ولم يقل تحققا لئلا يعربه فيصير شعرا » .

ولقد كان المكيون يحاولون أن يقللوا من شأن القرآن الكريم ، ويقللوا من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان من وسائلهم فى ذلك قولهم عن القرآن ، انه شعر ، وعن الرسول انه شاعر ، وكان القرآن يرد عليهم فى ذلك .

ويقول الله تعالى :

« فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ، انه لقول رسول كريم ، وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ، تنزيل من رب العالمين » .

ولقد كان كثير من العرب أنفسهم — حتى غير المسلمين منهم — ينفون عن القرآن أنه شعر :

وعن الرسول صلى الله عليه وسلم ، أنه : شاعر .

هذا فيما يتعلق بالرسول صلى الله عليه وسلم .

أما فيما يتعلق بالشعر نفسه ، فان الله تعالى يقول :

« والشعراء يتبعهم الغاوون » .

ثم يعلل الله تعالى هذه القضية ، فيقول :

«ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون»

« وأنهم يقولون مالا يفعلون »

ومن الطرائف التى لها معناها العميق لمن يتدبرها رغم أنها طرائف ما يرويه الحافظ بن كثير قال :

اختلف العلماء فيما اذا اعترف الشاعر فى شعره بما يوجب حدا . هل يقام عليه بهذا الاعتراف أم لا ؟ لأنهم يقولون ما لا يفعلون — على قولين : وقد ذكر محمد بن اسحق ومحمد بن سعد فى (الطبقات) والزبير بن بكار فى كتاب (الفكاهة) أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه استعمل النعمان بن عدى بن نضلة على ميسان ، من أرض البصرة . وكان يقول الشعر ، فقال :

ألا هل أتى الحسناء أن خليلها
بميسان يسقى فى زجاج وحنتم
اذا شئت غنتنى دهاقين قرية
ورقاصة تجثو على كل مبسم

فان كنت ندمانى فبالأكبر اسقنى
ولا تسقنى بالأصغر المتلثم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تنادمنا بالجوسق المتهدم

فلما بلغ ذلك أمير المؤمنين عمربن الخطاب رضى الله عنه ، قال : اى والله ! انه ليسوؤنى ذلك . ومن لقيه فليخبره أنى قد عزلته . وكتب اليه عمر: «بسم الله الرحمن الرحيم. حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير ». أما بعد فقد بلغنى قولك :

لعل أمير المؤمنين يسوؤه
تنادمنا بالجوسق المتهدم

وأيم الله ! انه ليسوؤنى ذلك . وقد عزلتك) .

فلما قدم على عمر بكته ـ بتشديد الكاف ـ بهذا الشعر . وقال : والله ! يا أمير المؤمنين ! ما شربتها قط . وما ذاك الشعر الا شىء طفح على لسانى . فقال عمر : أظن ذلك . ولكن ، والله ! لا تعمل لى عملا أبدا وقد قلت ما قلت .

فلم يذكر أنه حده على الشراب ، وقد ضمنه شعره . لأنهم يقولون ما لا يفعلون . ولكن ذمه عمر ولامه على ذلك وعزله به .

وحكى الزمخشرى عن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله:

فبتن بجانبى مصرعات
وبت أفض أغلاق الختام

فقال : قد وجب عليك الحد . فقال : يا أمير المؤمنين ! قد درأ الله عنى الحد بقوله (وأنهم يقولون ما لا يفعلون) .

وما من شك فى أن وجهة نظر الفاروق رضى الله عنه أن من يتولى ولاية لا يجوز له أن يكون عابثا بالقول أو بالسلوك .

وانه لمن المؤسف أن يوجد فى البلاد الاسلامية الولاة الذين ديدنهم العبث يجاهرون به أحيانا ويسرون به أحيانا ولكن أمرهم حين يسرون به يعلنه ندماؤهم وأخدانهم وهؤلاء لا يصلح بهم مجتمع ولا تستقيم لهم به أمور .

واذا كان الشعر لا ينبغى لبعض المستويات • فهل نأخذ من ذلك : أنه حرام ؟ هل نأخذ من ذلك أنه مكروه ؟

ونجب قبل الاجابة على هذا السؤال أن نذكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يشجع حسان بن ثابت على قول الشعر ، ويشجع غيره من شعراء الصحابة على قوله دفاعا عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، وردا على المشركين •

وقد أنصت الرسول صلى الله عليه وسلم لكعب بن زهير وهو ينشد قصيدته المشهورة :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول
متيم اثرها لم يفد مكبول

وفيها يمدح كعب الرسول وصحبه بقوله :

ان الرسول لنور يستضاء به
مهند من سيوف الله مسلول

فى فتية من قريش قال قائلهم
ببطن مكة لما أسلموا : زولوا

زالوا فما زال أنكاس ولا كشف
يوم اللقاء ولا ميل معازيل

وقد بلغ من اعجاب الرسول بهذه القصيدة • وهذا المديح الجميل أن خلع عليه صلى الله عليه وسلم بردته الشريفة التى احتفظ بها ، واحتفظ بها ورثته من بعده زمنا غير قليل •

وهناك فى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم القصائد العصماء من أمثال البردة والهمزية : انها درر نفيسة ترضى الذوق والوجدان والشعور الراقى ! واننا جميعا نسعد حينما نقرأ لشوقى فى معارضته لهمزية البوصيرى قوله :

فاذا سخوت بلغت بالجود المدى
وفعلت ما لا تفعل الأنواء (١)

واذا عفوت فقادرا ومقدرا
لا يستهين بعفوك الجهلاء

واذا رحمت فأنت أم أو أب
هذان فى الدنيا هما الرحماء

---

(١) النوء : المطر •

واذا غضبت فانما هى غضبة
في الحق لا ضغن ولا بغضاء

واذا رضيت فذاك فى مرضاته
ورضى الكريم تحلم ورياء

واذا خطبت فللمنابر هزة
تعرو الندى (١) وللقلوب بكاء

واذا قضيت فلا ارتياب كانما
جاء الخصوم من السماء قضاء

واذا حميت الماء لم يورد ولو
أن القياصر والملوك ظماء

واذا أجرت فانت بيت الله لم
يدخل عليه المستجير عداء

واذا ملكت النفس قمت ببرها
ولو أن ما ملكت يداك الشاء

واذا بنيت فخير زوج عشرة
واذا ابتنيت فدونك الآباء (٢)

واذا صحبت رأى الوفاء مجسما
فى بردك الأصحاب والخلطاء

واذا أخذت العهد أو أعطيته
فجميع عهدك ذمة ووفاء

واذا مشيت الى العدا فغضنفر
واذا جريت فانك النكباء (٣)

وتمد حلمك للسفيه مداريا
حتى يضيق بعرضك السفهاء

فى كل نفس من سطاك (٤) مهابة
ولكل نفس فى نداك رجاء

ويمكن أن يسأل انسان : وماذا كان موقف الصحابة والتابعين من الشعر ؟

وموقفهم هو موقف الرسول صلى الله عليه وسلم منه ، وعن ذلك نذكر ما يلى :

عن عمر الركاء ـ بسنده عن الجوهرى والمهلبى ـ قال :

بينا ابن عباس فى المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه ، اذ أقبل عمر ابن أبى ربيعة فى ثوبين مصبوغين موردين أو ممصرين (فيهما شىء

---

(١) الندى : النـاد .
(٢) البناء بالأهل: الدخول عليهن . والابتناء : أن يصبح ذا بنين .
(٣) النكباء : ريح تهب بين ريحين .
(٤) سطا : جمع سطوة .

من صفرة) حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عباس فقال : أنشدنا، فأنشده :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر
غداة غد أم رائح فمهجر ...

حتى أتى على آخرها ، فأقبل عليه نافع بن الأزرق فقال : الله يا ابن عباس ! انا نضرب اليك أكباد الابل من أقاصى البلاد نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا ، ويأتيك غلام مترف من مترفى قريش فينشدك :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت
فيخزى واما بالعشى فيخسر

فقال : ليس هكذا قال ، قال : فكيف قال : قال :

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت
فيضحى واما بالعشى فيخصر

فقال : ما أراك الا وقد حفظت البيت ! قال : أجل ، وان شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك اياها !

قال : فانى أشاء ، فأنشده القصيدة حتى أتى على أخرها .

وفى رواية: أن ابن عباس أنشدها من أولها الى آخرها ، ثم أنشدها من آخرها الى أولها مقلوبة ، وما سمعها قط الا تلك المرة صفحا (أى مرورا) قال : وهذا غاية الذكاء ! فقال له بعضهم : ما رأيت أذكى منك قط ! فقال : لكنى ما رأيت قط أذكى من على بن أبى طالب عليه السلام .

وكان ابن عباس يقول : ماسمعت شيئا قط الا رويته ، وانى لأسمع صوت النائحة فأسد أذنى كراهة أن أحفظ ما تقول !

قال : ولامه بعض أصحابه فى حفظ هذه القصيدة : (أمن آل نعم ..) فقال :

انا نستجيدها ــ قال الزبير بن بكار فى خبره عن عمه : فكان ابن عباس بعد ذلك كثيرا ما يقول : هل أحدث هذا المغيرى شيئا بعدنا ؟

قال : وحدثنى عبد الله بن نافع ابن ثابت قال :

كان عبد الله بن الزبير اذا سمع قول عمر بن ربيعة (فيضحى واما

بالعشى فيخصر) قال : لا ، بل : (فيخزى ، واما بالعشى فيخسر) .

وفى هذا الخبر : ثم أقبل – أى ابن عباس – على ابن أبى ربيعة فقال :

أنشد فأنشده : (تشط غدا دار جيراننا) وسكت فقال ابن عباس:

(وللدار بعد غد أبعد) فقال له عمر : كذلك قلت أصلحك الله – أفسمعته ؟ قال : لا ، ولكن كذلك ينبغى .

وعن هشام الكلبى أن عمر بن أبى ربيعة أتى عبد الله بن عباس وهو فى المسجد الحرام فقال : متعنى الله بك ! ، ان نفسى قد تاقت الى قول الشعر ونازعتنى اليه ، وقد قلت منه شيئا أحببت أن تسمعه وتستره على!

فقال : أنشدنى ، فأنشده : (أمن آل نعم أنت غاد فمبكر) .

فقال له : أنت شاعر يا ابن أخى، فقل ما شئت ، قال : وأنشد عمر هذه القصيدة طلحة بن عبد الله ابن عوف الزهرى وهو راكب ، فوقف وما زال شانقا ناقته حتى كتبت له !

وعن عبد الجبار بن سعيد المساحقى عن أبيه قال : دخلت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع نوفل بن مساحق ، فانه لمعتمد على يدى اذ مررنا بسعيد بن المسيب فى مجلسه وحوله جلساؤه فسلمنا عليه فرد علينا ، ثم قال لنوفل: يا أبا سعيد ، من أشعر : صاحبنا أم صاحبكم ؟

يريد : عبد الله بن قيس أو عمر ابن أبى ربيعة ، فقال نوفل : حين يقولان ماذا يا أبا محمد ؟

قال : حين يقول صاحبنا :

خليلى ما بال المطايا كأنما
نراها على الأدبار بالقوم تنكص
وقد قطعت أعناقهن صبابة
فأنفسنا مما يلاقين شخص
وقد أتعب الحادى سراهن وانتحى
بهن فما يألو عجول مقلص (١)

(١) المقلص : المشمر الجاد فى سيره .

يزدن بنا قربا فيزداد شوقنا
اذا زاد طول العهد والبعد ينقص

ويقول صاحبك ما شئت .

فقال له نوفل : صاحبكم أشعر فى الغزل ، وصاحبنا أكثر أفانين شعر .

فقال سعيد : صدقت . فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر ، جعل سعيد يستغفر الله ويعقد بيده حتى وفى مائة ، فقال البكرى فى حديثه عن عبد الجبار : قال مسلم : فلما انصرفنا قلت لنوفل : أتراه استغفر الله من انشاد الشعر فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقال : كلا ! . هو كثير الانشاد والاستنشاد للشعر فيه . ولكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه .

بعد كل ذلك نتساءل : هل موقف الدين من الشعر الاباحة انشاء وانشادا ، وسماعا ، دون قيد أو شرط ؟

كلا !

وعن ذلك سنتحدث فى مقال تال ان شاء الله تعالى .

(الحديث موصول)

دكتور عبد الحليم محمود
شيخ الأزهر

● طويلة اليد :

عن عائشة أم المؤمنين قالت : قال النبى صلى الله عليه وسلم لأزواجه : يتبعنى اطولكن يدا ، قالت عائشة : فكنا اذا اجتمعنا فى بيت احدانا بعد النبى صلى الله عليه وسلم نمد أيدينا فى الجدار نتطاول ، فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش فكانت امراة قصيرة ، يرحمها الله . ولم تكن أطولنا ، فعرفنا حينئذ أن النبى صلى الله عليه وسلم انما أراد بطول اليد الصدقة .

نحن الآن فى المغرب

لسماحة الشيخ العلامة أبو الحسن الندوى

قدرت لى زيارة أكثر الأقطار الشرقية الاسلامية فى شرخ الشباب، وفى فجر الحياة وظهرها ، وتأخرت زيارة المغرب الاسلامى العربى الحبيب — لحكمة يعلمها الله — الى أن دنا الأصيل ومالت شمس الحياة الى المغرب •

لقد تأخرت زيارة المغرب الحبيب جسديا وبحساب الشهور والأعوام، ولكن لم تتأخر زيارته والتعرف به فى ظلال العلم والدراسة ، وفى رحاب المكتبة الاسلامية العالمية الواسعة ، التى يشغل فيها المغرب الاسلامى حيزا كبيرا وله فيها ركن خاص هو من أغنى أركان المكتبة وأجملها ، وقد عشت فى أطيافه ، وعشت مع أعلامه ونوابغه ، ردحة من الزمن ، وتقلبت بين مدنه وعواصمه ، وجوامعه وجامعاته ، وحكوماته وحضاراته ، وبطولاته ومغامراته ، وعثرته ونهوضه ، وسايرت ركب تاريخه الطويل المليىء بالألوان المختلفة ، والأحداث الجسيمة ، التى تمر بها جميع الشعوب الحية الكريمة القوية الراجحة فى ميزان الشعوب والأمم ، الغيور على رسالتها وشخصيتها ، المحاطة بالأعداء والمنافسين من كل جانب •

وقد حتم على المغرب لكونه على مقربة من أوربا وعلى آخر حدود العالم الاسلامى فى جهة الغرب ، أن يكون مرابطا دائما ، فليس « الرباط » هو المدينة الواحدة التى هى عاصمته اليوم ، بل المغرب كله الرباط ، وقد أثبت التاريخ أنه كان رباط الفتح •

وكان المغرب المدخل الذى دخلت منه الكتيبة المؤمنة تحت قيادة طارق ابن زياد فى الأندلس ، ونقطة انطلاق للمد الاسلامى والاشعاع العلمى

العقلى فى أوربا ، فكانت دولة ، وكانت حضارة ، وكان علم ، وكان عقل ، وأصبحت الأندلس أمنية الفاتحين ، وأغنية الشعراء والمتغزلين ، وموضوع المؤرخين والجغرافيين ، وكانت جنة الدنيا ، وسوق العلم ، ومثابة العلماء ، ومنتجع الشعراء ، وكانت ذات مدرسة فى الفقه والشعر والأدب ، والفلسفة والفن المعمارى ، وكانت فيها « مرسية » و «بلنسية» و « جيان » و «شاطبة» و «قرطبة» و «اشبيلية» و «غرناطة» وكانت فيها مدينة « الزهراء » وقصر « الحمراء » .

والأندلس مدينة للمغرب الأقصى فى فترات كثيرة من تاريخها ، فكان المغرب سندا لها ومددا ، يغيثها فى أحلك فترات التاريخ وأدقها ، بأبطال مجاهدين وقادة مغامرين ، ينقذونها من الاحتضار والانهيار ، ويمنحونها قسطا من الحياة والقوة ، نخص بالذكر منهم أمير المسلمين يوسف ابن تاشفين بطل وقعة « الزلاقة » (سنة ٤٧٩ هـ) ، وهو الذى اختط مدينة « مراكش » والقائد المجاهد أبا يوسف يعقوب المنصور الموحدى بطل معركة «مرج الحديد» (٥٩١هـ) وهو الذى بنى « رباط الفتح » تذكارا لهذا الفتح المبين ، والمجاهد العظيم على الشريف الحسنى (٧٦٢ — ٨٤٧) جد الملوك السجلماسيين العلويين فى المغرب الأقصى وجد الأسرة الحاكمة اليوم ، دخل عدوة الأندلس للجهاد مرارا ، ودعى الى الملك فزهد فيه ، وقال لا أريد أن أحبط عملى وأشوبه بمنفعة دنيوية .

وعفوا أيها المغرب الحبيب من الانتقال السريع الى الأندلس ، ودخولها فى هذا الحديث الخاص بالمغرب الأقصى ، فقد هبت على نفحة من هذا الفردوس المفقود وجاءنى أريج من أجوائه العطرة وتربته الندية الزكية التى اختلطت بها دموع المسلمين ودماؤهم ، وتجلت فيها عبقريتهم وانسانيتهم فى أروع مظاهرها ، فالأندلس على علوة من المغرب اذا وقف الواقف على مضيق جبل الطارق ، ولقرب المكان حكم ليس للبعد .

كان المغرب الاسلامى والعربى الذى نشأ وتكون فى أواخر القرن الاسلامى الأول دليلا على انسانية رسالة الاسلام ، وعلى قدرته العجيبة على اخراج الأقاليم والشعوب من اطارها الضيق ومن زاوية الخمول التى عاشت فيها قرونا طويلة ، وفى بعض الأحيان آلافا من السنين ، الى العالم الفسيح ، ومن الانطواء على نفسها والانشغال بالمنافسات القبلية والحروب الداخلية ، والنظرة الضيقة الى الحياة والى الكون الى مسايرة الركب الانسانى السيار ، بل والى قيادته وتوجيهه أحيانا وتمثيل دور خاص فى بناء الحضارة وتكوين العلوم ، والعناية بالقضايا البشرية ومشكلاتها وأزماتها ، فقد عاش هذا الحزام الشمالى الغربى الممتد من ليبيا الى المحيط الأطلسى ، مفصولا عن العالم المتحضر المتطور المائج بالحركات والنشاطات والدعوات الدينية والمدارس الفكرية ، لا شأن له بالعالم الخارجى ، لا تتصل به الامبراطورية الرومانية الا من الناحية العسكرية ، والاستعمار الرومانى ، ليست له شخصية متميزة ، ولا رسالة كريمة ، ولم تعرف هذه البلاد المنتشرة من طرابلس الى مراكش فى تاريخ القرن السادس والسابع الميلاديين فى أكثر الأحيان الا بالقسوة والفروسية وشدة الشكيمة ، وتمرد أهلها على الفاتحين ، حتى ضرب بسكانها الأصليين — ومعذرة الى من ينتمى الى هذه الأصول الكريمة — المثل فى الوحشية والنخوة فكانت كلمة «البربر» و «البربرية» مرادفتين لهما فى المعاجم والآداب واللغات الكثيرة ، ولم يعرف عنها نشاط حيوى الا التشاغل بالحروب الداخلية وشدة التمسك بالعادات القديمة والتقاليد القبلية ، لا لغة راقية ، ولا حضارة رقيقة ، ولا دين معقول ، ولا مدينة مشهورة ، وكل ما أثر عنها من المدنية والعلم فى العصر القديم اندثر ودفن تحت ركام المبانى وأنقاض المدن .

وكان دليلا كذلك على قدرة الاسلام العجيبة على اشعال المواهب وتفتيق القرائح ، وتنمية الملكات ،

وتحريك الميول والرغبات، وتوجيهها الى غايات نبيلة وجهود هادفة ، ومشاريع بنائية ايجابية ، والنظرة الواسعة المتفتحة الى العالم والى الشعوب والأمم ، وتسخير الطاقات واستخدام الوسائل لصالح الانسانية ، فلما هبت على هذه الناحية القاصية المجهولة لكثير من المطلعين والدارسين والمؤرخين والجغرافيين ــ نفحة الاسلام ، قفز الى الوجود عالم جديد ، كل شىء فيه جديد •

وقامت فيه مدينة « قيروان » و «فاس» و «مكناس» و «مراكش» و «باجه» و «سوسة» و «سرقسطة» و «بجاية» و «تلمسان» و «تونس» أنجبت أفذاذا فى الحديث والتفسير، والفقة والتصوف ، والشعر والأدب، والنقد والتاريخ ، والفلسفة وعلوم الحكمة ، يطول استقصاؤهم ، وكانت فيها مدارس كجامع القرويين، وجامع الزيتونة ،وتخرج منها ودرس فيها أئمة فى العلوم والفنون ، وخلفوا آثارا باقية بقاء اللغة العربية والعلوم الاسلامية •

وقد خاض المغرب الاسلامى العربى معارك دامية وتعاقبت حكومات ودول ، وأسر وعشائر ، وواجه اضطرابا فى الحكم وانتقال القوة والقيادة من يد الى يد ومن بيت الى بيت ، ولكنه لم يزل محافظا على شخصيته الاسلامية وطابعه العربى والحضارى الجميل، وعلى هيامه بالعلم والثقافة ، فلم تركد ريح العلم ولم تفتر حركة التدريس والتأليف فى فترة قصيرة ، ولم تزل الجوامع والمدارس تبلغ رسالتها وتؤدى أماناتها ، ولم يزل العلماء الربانيون والدعاة المخلصون يقولون كلمة الحق ويدعون الى سواء السبيل ، فكانت هذه التطورات والانقلابات سطحية عابرة لا تمس جوهر الشعب العربى المسلم ولا تؤثر فى شخصيته وعقيدته ، وكانت التحولات السياسية وتعاقب الملوك على عرش الحكم من أسر مختلفة وتبدل العواصم ومراكز الحكم لا يختلف عن انتقال الملك من يد الى يد فى أسرة واحدة وتوارث الأبناء للآباء فالدين هو الدين ، والثقافة هى الثقافة ، والذوق هو الذوق •

ثم منى أخيرا باستعمار ـ وبالأصح احتلال ـ هو من أقسى أنواع الاحتلال وأكثرها ذكاء وشمولا ، وأدقها تخطيطا وتصميما ، وأبعدها غايات ومرامى وهو الاستعمار الفرنسى يرافقه الاستعمار الأسبانى فى بعض المناطق ، وكان استعمارا يجمع بين الصرامة والرقة ، وبين الوضوح والدقة ، مسلحا بأقوى أسلحة التطوير وأحدثها ، وكان يرمى الى ابادة شاملة . ابادة فكرية ثقافية علمية حضارية ، وكان مما استعان به هذا الاستعمار فى الوصول الى غاياته البعيدة ، الدعوة الى التمييز العنصرى والتفريق بين العرب والبربر ، واشعار السكان الأصليين القدامى بقوميتهم وحضارتهم وأعرافهم قبل دخول الاسلام والعرب فى هذه المنطقة ، ولا ينسى الجيل الذى هو فى مرحلة الكهولة والشيخوخة « الظهير البربرى » الذى يدعو البربر المسلمين الى العودة الى عهدهم قبل الاسلام والى أن يحيوا لغتهم ويكتبوا بها ، فكانت مؤامرة استعمارية من أدق المؤامرات التى عرفت فى تاريخ الاستعمار وأكبرها خطرا على الوحدة الاسلامية والوجود الاسلامى .

ولكن المغرب الاسلامى العربى واجه كل ذلك بشجاعة واستقامة ووعى ، وأثبت البربر المسلمون أن ايمانهم لايقل عن ايمان العرب ، واعتزازهم بالدين الاسلامى وحضارته وثقافته لايختلف عن اعتزاز العرب أنفسهم بها .

وخرج المغرب بعنصريه العربى والبربرى ظافرا منتصرا من هذه المعركة ، محتفظا بشخصيته الاسلامية العربية وبعقيدته وبلغته ، ونخوته المغربية ، وزال الاستعمار وأشباحه ، وجلا الفرنسيون والأسبان ، فكان دليلا على قوة هذا الشعب وجدارته لمواجهة الأخطار والتحديات والمشكلات والأزمات ، ودليلا على تغلغل الاسلام فى أحشائه وجريانه منه مجرى الروح والدم واخلاص أولئك الرجال الذين وطئوا هذه الأرض فى فجر تاريخ الاسلام ودعوا البربر الى أن يشاركوا العرب فى سعادتهم

ويأخذوا من هذه الثروة الانسانية المشتركة نصيبا غير منقوص ، ولهم أن يسبقوا العرب أنفسهم فى بعض الأحيان فى قوة الايمان والاعتزاز بالاسلام والتحلى بفضائله ومحاسنه والقرب عند الله ، وقد أعلن رب العزة عن ذلك بقوله : «يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم (١) » • فكان منهم علماء وزهاد ، ومربون ومصلحون ، ومدرسون ومؤلفون ، وقد انصهروا فى بوتقة الاسلام كما انصهرت بعض شعوب العجم التى حسن اسلامها فى بلاد العجم •

* * *

ويخوض المغرب الاسلامى العربى الآن معركة هى أشد من كل معركة حربية جربها وخاضها فى تاريخه الطويل ، ومن معركة الاستعمار الأجنبى المباشر فى الزمن الأخير ، فكانت المعارك الأولى تحدثنا بها معارك سافرة مكشوفة يستعمل فيها السلاح وتنفع فيها الشجاعة والفروسية ، وتقرر مصيرها التضحيات فى النفوس والأموال ، وينتبه ويثور لها الشعب على اختلاف مستوياته العلمية والعقلية ، فكانت حربا بين كفر واسلام ، ومعركة بين أبناء البلاد والأجانب •

ولكن معركة اليوم معركة صامتة هادئة ، معركة دقيقة مقنعة ، هى معركة الصراع بين فكرتين : الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية بأوسع معانيهما وآفاقهما وأبعادهما ، هى معركة نستطيع أن نلخصها فى قولنا : هل يبقى هذا الشعب وهذه البلاد اسلامية — بكل معانى الكلمة — تنظر الى الدين الاسلامى كدين يكفل سعادة البشر فى جميع مجالات الحياة وكدين كامل له تخطيطه الشامل للحياة والمدنية ، وصياغة للأجيال ، وسياسة للتربية ، وحق التدخل فى كل قضية تمس دينه ومقاصده من قضايا الحياة الانسانية ،

---

(١) سورة الحجرات الآية : ١٣

بل له أكثر من ذلك حق الوصاية والاشراف على سير الحياة ، وحق القيادة والتوجيه لركب المدنية ، وتنظر الى الاسلام كدين خالد دافق بالحوية ، زاخر بالقوة يساير كل عصر بل يسبقه ويحل كل مشكلة ، بل يمنع من وقوعها فى الحياة التى يسيطر عليها ، وفى البيئة التى له فيها الكلمة العليا .

أم هو دين عقيدة وايمان فحسب ، وقضية شخصية لا شأن لها بالمدنية وتخطيط الحياة وسياسة التربية والتعليم وصياغة الأجيال وفق عقائده وقيمه ومثله ، وتشريع القوانين وحق التدخل فى الحياة ، فليبق المسلم مسلما بالعقيدة والعبادة والاسم والقومية والطقوس والتقاليد عند الولادة وعند الموت ، والتخطيط هو التخطيط الغربى الشامل ، والمدنية هى المدنية الغربية فى كل مظاهرها الخارجية والداخلية والشخصية والاجتماعية ، والقيم هى القيم التى يؤمن بها الغرب ودعا اليها فلاسفته ومفكروه ، والمثل هى المثل التى يقدسها الغرب ويكافح فى سبيلها ، والأخلاق هى الأخلاق التى نشأت واختمرت فى البيئة الأوربية التى خضعت للمادية ، وكان للمسيحية فيها أثر ضئيل ، ثم أثر فيها العصر الصناعى التكنالوجى والتسابق الاقتصادى .

ويبدو للفاحص المطلع أن الغرب استفاد بتجاربه الطويلة المريرة فى محاولة القضاء على العقيدة الاسلامية واجتثاث جذورها من قرارة قلوب المسلمين وتحويلهم عن دينهم بشكل سافر والدخول فى ديانة أخرى كالنصرانية كما وقع فى أسبانيا ، وعدل عن فكرة التنصير الضيقة التى تثير الجماهير وتخلق مشكلات وقد تحدث موجة رد فعل عنيفة ، وذلك فى ضوء تجاربه ودراساته ، عدل عنها الى خطة تجريد المسلم عن شخصيته المتميزة الواسعة ، وعن حضارته التى نشأت وتكونت فى ظلال عقيدته وتعاليم القرآن والآداب والأخلاق الاسلامية ، وروعيت فيها التسهيلات لأداء واجباته وشعائره الدينية ، وكانت خاضعة لتصور اسلامى خاص للطهارة — وهى أكثر من النظافة وأدق — وموازين خاصة فى مفهوم الاقتصاد والاسراف والتبذير وقد انبثقت هذه المدنية

فى شكلها البدائى والأساسى ـ لا فى تفاصيلها ومظاهرها التى توسع فيها المسلمون وتأنقوا فى أوج حضارتهم ورفاهيتهم ـ عن تعاليم الشريعة السمحة والسنة النبوية المطهرة .

والحضارة عميقة الجذور فى أعماق النفس الانسانية وفى مشاعر الأمة وأحاسيسها ، وتجريد أمة من حضارتها الخاصة التى نشأت تحت ظلال دينها وتعاليم شريعتها ، وكان فى صياغتها نصيب كبير للذوق الدينى الخاص ، وطابع هذه الأمة الخاص ، مرادف لعزلها عن الحياة وتحديدها فى اطار العقيدة والعبادة والطقوس الدينية الضيق وفصل حاضرها عن ماضيها ، وأثر هذا التحول كان عميقا دائما فى حياة الأمم والمجتمعات البشرية ، فانها ذابت تدريجيا فى بوتقة الأمم التى اقتبست منها هذه الحضارة بمعانيها الواسعة ، وكان انسلاخها عن العقيدة التى بقيت متمسكة بها سهلا .

وليس المقصود من ابراز ناحية خطر الحضارة الغربية واقتباسها على الشخصية الاسلامية وكيان الأمة المسلمة هو تحريم الاستفادة من الحضارة الغربية فى مرافق الحياة واقتباس بعض ما توصل اليه العلم والصناعة والاختراع فى الغرب من وسائل تسهيل وترفيه ، واغلاق الباب على مصراعيه ، فان ذلك لا يقوله عاقل فضلا عن مطلع على روح الدين وتعاليمه ، والاسلام لم يزل ولا يزال واسع الأفق متفتح القلب والنظر فى الاستفادة بكل ما يصلح وينفع ، ولكن مفهوم الحضارة الغربية فى هذا المقال هو أوسع من اقتباس الآلات والمخترعات والتجارب المفيدة فى الحياة العامة ، انها تشمل الأفكار والقيم والمفاهيم والمثل وصبغ الحياة كلها بالصبغة الغربية والتخطيط المدنى الشامل واقتباس أساليب الحياة التى لا تتفق مع تعاليم الاسلام ومعاييره فى الطهارة والنظافة والاعتدال والاقتصاد والوقوف عند الحدود التى رسمتها الشريعة الاسلامية ، ويعسر على المسلم معها التأدب بآداب الشرع والعمل بالسنن النبوية الكثيرة ، ويبتعد بها عن الحياة

الاسلامية التى عاشها الرسول والصحابة والتابعون لهم باحسان ابتعادا كليا ، وتضفى على الأمة شخصية أجنبية لا تعرف فيها الا بالأسماء الاسلامية أو بالازياء التى لا تزال بعض الشعوب العربية أو الاسلامية محافظة عليها ، أو عندما يرتفع صوت الأذان من منائر مساجدها ، أو عندما تدخل فى المساجد على قلة عدد الداخلين فى بعض البلاد وكثرتهم فى بعضها ، فلا يربطها بالاسلام الا خيط رقيق من عقيدة وتقاليد دينية ، اذا انقطع هذا الخيط ـ لا سمح الله بذلك ـ انقطع كل شىء .

وأعتقد أنه من الميسور جدا الجمع بين التسهيلات المدنية والاستفادة بالآلات والمخترعات وما وصل اليه العلم الحديث ، وبين ما تمتاز به الحضارة الاسلامية من جمال وبساطة وجدية وعناية بالطهارة والنظافة والابتعاد عن الاسراف والتبذير والاغراق فى المظاهر الخارجية ، اذا وفقت الحكومات الاسلامية والمجتمعات الاسلامية للتخطيط المدنى المستقل ، البعيد عن التقليد الأعمى والارتجالية ومركب النقص ، واذا توفر عندها الذكاء والأصالة والايمان بفضل التعاليم الاسلامية والحضارة الاسلامية التى تنبثق عنها وتقوم عليها ، والاعتداد بشخصيتها ، وكان هذا التخطيط أجمل وأفضل وأكثر جلبا للأنظار واستهواء للقلوب وأبعث على الاحترام والتقدير ، ويؤم هذه المدن عدد أكبر من السياح بل من قادة الفكر ورواد العلم من العدد الذى يؤمها الآن من المنتزهين ، وربما يكون هذا الطراز الجميل الأصيل من المدنية باعثا لكثير من الأقطار الغربية على تقليد بعض هذه الجوانب واقتباسها وعلى الأقل على التفكير فيها وتقديرها ، كما كان الشأن مع الحضارة الاسلامية الأندلسية التى كان لها تأثير عميق فى الحضارة الغربية وفلسفتها وآدابها .

ولكن مع الأسف الشديد لم يوفق لذلك قطر واحد من الأقطار الشرقية والغربية العربية والحكومات الاسلامية ، ولم تكن عند أحدها جراءة كافية تحملها على مجرد هذه التجربة ، وكانت النتيجة أن أصبحت

هذه الأقطار كلها نسخة ناقصة من المدنية الغربية وصورة شاحبة لها ، لا تسترعى اهتمام الغربيين ولا تحرك فيهم مشاعر الاجلال والاحترام ، وانما يقولون اذا زاروا هذه المدن متفرجين أو مشاهدين : « بضاعتنا ردت الينا » .

وأشد من ذلك خطرا هو سياسة التربية والاعلام التى لا أداة أقوى تأثيرا وفعالية منها فى صياغة الجيل الصاعد وتكوين عقليته ومشاعره وأخلاقه ومثله ،، فانها هى المرضعة والحاضنة ، وهى المعلمة والمربية ، وهى التى تستطيع أن تنحت من أمة ذات عقائد ومبادىء ومثل ، أمة جديدة لا تتصل بآبائها الا بالولادة والدم والنسل وبالأسماء واللغة أحيانا ، بل أكثر من ذلك أمة ثائرة على هذه العقائد والمبادىء والمثل ،، ترى من أول واجباتها محاربة هذه العقائد والمبادىء والمثل وازالة هذه الأنقاض والركامات ،، ولو استنفد هذا العمل السلبى معظم جهدها وطاقاتها وأوقاتها وشغل البلاد والمجتمع بحرب مسعورة هى فى كثير من الأحيان أشد وأطول من الحرب مع الاستعمار والعدو الأجنبى .

انها حرب ابادة معنوية أشد خطرا على الأمة من حرب ابادة نسلية أو جنسية ، لو ألهمها بعض قادة ابادة نسلية فى الماضى السحيق وارتقت عقولهم وسياستهم الى التفكير فيها واستخدام وسائلها ، لتوصلوا الى غاياتهم من غير أن يشتهروا فى التاريخ بالقسوة والوحشية واراقة الدماء بل ربما أضفى عليهم التاريخ نعوتا وألقابا مشرفة ، ووصفوا بنشر الثقافة واحتضان العلم وتشجيع المعارف .

ان قصة القيادات فى العالم الاسلامى فى هذه الفترة التى تمتد على نصف قرن ،، هى قصة محاربة طبيعة الشعوب الاسلامية الدينية ومحاولة التخلص منها أو التغلب عليها بكل حيلة ووسيلة ، الحرب الشعواء التى أسفرت فى أكثر الأقطار الاسلامية عن الاخفاق والفشل ، ولكنها استهلكت جهود هؤلاء القادة وطاقات هذه الشعوب من غير أن تعود عليها بجدوى ، وقد كانت جهود أقل منها تقوم على

معرفة هذه الحقيقة وتقرير هـذا الواقع تعـود على الأمة والبـلاد بحاصل كبيروتوفر الوقت والجهـد على هؤلاء القادة .

وقد دلت حرب التحرير فى الجزائر التى استخدمت الحماس الاسـلامى والايمـان المودع فى هـذا الشعب المسلم فى اجلاء المستعمر وتحـرير البلاد ، ودلت المسـيرة التى قادها جلالة الملك الحسن الثانى فى شوال ١٣٩٥هـ — نوفمبر ١٩٧٥م بمقدرة وحكمة وحققت الغـرض المطلوب وكان لها دوى فى العالم كله ، على أن هذه الأمة لا تستجيب لدعـوة ولا تتحمس لها الا اذا اقترنت هذه الدعوة بصبغة دينية ومست قلوبها ومشاعرها الايمانية ، وأنها لا تفهم الا لغـة الايمـان والحنـان التى تخاطب القـلوب قبـل أن تخاطب العقول ، تجربة تكررت عشرات من المرات فى مشارق العالم الاسـلامى ومغاربه ، فلا يسوغ المنطق السليم والعقـل العملى حتى السـياسة الرشيدة الواعية والقيادة الحكيمة العاقلة أن تتجاهل هـذه القـادات هذه الطريقة السهلة للاستفادة من هذه الشعوب وتلتجىء الى طـرق وأسـاليب لا تتجاوب معها هـذه الشعوب الا مقهـورة مغلوبة على أمرها ، وتضيع الوقت والجهد فى تحويل هـذه الشعوب عن طبيعتها أو مصارعتها فى غير طائل ، وتكون العاقبة كما قال الشاعر :

ومكلف الأيام ضـد طباعهـا
متطلب فى المـاء جـذوة نار

ومن هذه القيادات قيادات تحب الاسـلام وتجله وتفكر فى تطبيـق تعاليمه فى مناطق نفـوذها وتتمتع باحترام الشـعوب التى تحكمهـا وبثقتها ، ولكنها مصابة بالتكاسـل والتسـويف ، وضـعف الارادة ، والتسامح الزائد للعناصر المحـاربة للاسلام ، وفسح المجال لهـا للعمل والنفوذ فى مجال التربية والاعلام والصحافة ، فما يكون جـزاء ذلك الا أن هـذه العنـاصر تنتهز أول فرصة لاقصـاء هـذه القيـادات المسلمـة الضـعيفة ، عن الحـكم والسـيطرة على الجهـاز الادارى والحكومى ، وتقع هـذه الشعوب

المسلمة الوادعة تحت رحمة هؤلاء اللادينيين أو العلمانيين أو الشيوعيين» وتساق الى غايات وأوضاع لا تحبها ولا تتفق معها ، كما تساق القطعان من الغنم والخراف الى زريبتها بعصا الراعى » لا تملك من أمرها شيئا ، وما ذاك الا بضعف هؤلاء القادة المسلمين وتكاسلهم وتضييعهم الفرص وتمكينهم لأعدائهم وأعداء الاسلام ، وعلى أنفسهم وبلادهم جنوا ، وهذه قصة بلاد قريبة من الأرض التى تتحدث اليها وما الأمر بسر حتى يحتاج الى اكتشاف •

وأرجو أن يستفيد المغرب الاسلامى العربى العزيز بجميع هذه التجارب القاسية التى مرت فى تاريخ الأقطار الاسلامية الشرقية والغربية ، والحوادث التى حدثت فى الماضى القريب » وكما يقول الحديث النبوى الشريف : « السعيد من وعظ بغيره » •

ولا ينقذ هذه البلاد وهذه الأمة من هذه الأخطار الداهمة الا القائد القوى الأمين ، والبطل العصامى الذى يضحى فى سبيل عقيدته ومبدئه ، بلذته وراحته ، وبكل ما يحبب الى النفس من تمتع ورخاء » ومدح واطراء ، وملك زائل وسلطان راحل ، ولا لذة فوق لذة الايمان والكفاح لانقاذ البلاد والعباد ، وحماية الاسلام والمسلمين ، وتأمين مستقبلهم ، وارضاء الله » والانخراط فى سلك المجاهدين والمجددين الذين قيضهم الله لكل فترة حالكة ومحنة قاسية ، وقد جرت سنة الله بأن يجزيهم بأعظم نصيب ، من شرف وكرامة ، وطيب الأحدوثة ، وانتشار الذكر فى الآفاق » والخلود فى التاريخ ، والمحبة فى النفوس والقلوب ، يتضاءل أمامه ويتلاشى ما يطمع فيه الطامعون ، من جاه ومنصب ، وملك وسلطان ، وشهرة زائفة » ودعايات مصطنعة •

وتحياتى العطرة وتشكراتى الخالصة لاخواننا فى المغرب الحبيب الذين غمرونا بحبهم واحتفائهم وأخوتهم الاسلامية الصادقة وكرمهم العربى الأصيل ، وكانت الأيام القصيرة التى قضيناها بجوارهم وفى أرضهم الجميلة الزاهية من أجمل أيام العمر ومن أطيبها •

ابو الحسن الندوى

التسامح فى الإسلام

لسماحة العلامة أبو الأعلى المودودى

اذا كان لديك شيء واحد يقول عنه رجل انه أبيض ، والثانى انه أسود والثالث انه أخضر ، والرابع انه أصفر ، فليس من الممكن لك أن تصدقهم جميعا وكذلك اذا كان رجل يمدح فعلا من الأفعال ويأمر به ، والثانى يذمه وينهى عنه فمن المحال أن يكون كلا الرجلين صحيح الرأى صادق الحكم على ما بينهما من خلاف واضح بين وان كل من يصدق بمثل هذه الأقوال المتضاربة ويقول بصحة مثل هذه الأحكام المتعارضة جميعا ، فهو اما يريد أن يسترضى الناس جميعهم ، أو أنه يبدى رأيه فى الأمور بدون أن يفكر فيها وبدون أن يجيل فيها النظر ويعيرها ما يقتضى الحكم عليها من الجد والاهتمام . ولا يمكن أن يخلو أمره من احدى هاتين الحالتين، وكلتاهما متنافية مع العقل والصدق الصريح ولا يليق بمن يحب العقل أن يصدق عدة رجال فى آرائهم المتعارضة لأى سبب من الأسباب .

قد يظن الناس أن تصديقهم لمختلف الأفراد فى آرائهم وأفكارهم المتعارضة المتضاربة هو «التسامح» ، مع أن الحقيقة أنه ليس بالتسامح ، بل هو نوع من أشنع أنواع النفاق، لأن التسامح معناه أن نتحمل عقائد غيرنا وأعمالهم مع كونها باطلة فى نظرنا ، ولا نطعن فيهم بما يؤلمهم رعاية لعواطفهم وأحاسيسهم ، ولا نلجأ الى وسائل الجبر والاكراه لتصريفهم عن عقائدهم ومثل هذا التحمل واعطاء الناس الحرية فى العقيدة والعمل على هذا الوجه ما هو بفعل مستحسن فحسب ، بل هو مع ذلك أمر لابد منه لابقاء جو السلام وحسن التفاهم بين عدة جماعات مختلفة العقائد متباينة

المبادىء • أما أن نكون على عقيدة واضحة المعالم والجوانب ، ثم نأتى نصدق غيرنا فى عقائدهم المتضاربة لمجرد كسب رضاهم ، أو نكون متبعين لمنهج خاص ودستور معين للحياة ثم نقول لدعاة المناهج والدساتير الأخرى انكم جميعا على الحق ، فهذا هو النفاق الصريح الذى لا يمكن بأى وجه من الوجوه أن نعبر عنه بالتسامح •

ان التسامح الحقيقى المحمود هو ما قد جاء به الاسلام ودعانا اليه حيث يقول سبحانه وتعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم • كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون » (١) ويقول مثنيا على أهل الايمان : « والذين لا يشهدون الزور » (٢) : « واذا مروا باللغو مروا كراما » (٣) • ويقول : « قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون »(٤) : « ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ماعبدتم »(٥): ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين » (٦) • ويقول : « لا اكراه فى الدين »(٧) • ويقول: « ويدرءون — أى المؤمنون — بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون • واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، سلام عليكم لانبتغى الجاهلين » (٨) ويقول : « فلذلك فادع ، واستقم كما أمرت ، ولاتتبع أهواءهم ، وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ، وأمرت لأعدل بينكم ، الله ربنا وربكم ، لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا ، واليه المصير » (٩) ويقول : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » (١٠) •

---

(١) الأنعام : ١٠٨ •
(٢) الزور هو : الكذب والباطل •
(٣) الفرقان : ٧٢
(٤) بالنسبة للحال •
(٥) بالنسبة للمستقبل •
(٦) الكافرون •
(٧) البقرة : ٢٥٦ •
(٨) القصص : ٥٤ — ٥٥ •
(٩) الشورى : ١٥ •
(١٠) النحل : ١٢٥

نعم ان هذا هو التسامح الذى يمكن أن يتبعه رجل سليم الفطـرة يحب الصدق ويناصر الحـق . انه يعض بالنواجذ على عقيدته التى رآها صحيحة بصدق واخلاص وايمان . ويصدع بها ويدعو اليها الناس بكل جرأة وحماسة ولكن بدون أن يؤلم غيره ويجرح قلبه أو يشاتمه ويلاعنه أو يتحامل على عقائده أو يحـول بينه وبين أداء طقوس دينه ومراسمه أو يكرهه على اعتناق دينه قبل أن يقنعه على صحته . واما أن يقـال للحق انه باطل ، أو يقال للباطل انه حق مع علمه بكونه باطلا . فأمر لا يمكن أن يصدر أبدا عن رجل صادق جرىء . وهو من أسـوأ أنـواع المجاملة ، لا سيما اذا كان الانسان لا يفعله الا ارضاء للناس . وليست مثـل هـذه المجاملة بأمر شـنيع مستقبح من الوجهة الخلقية فحسب، بل هو كذلك محاولة لا طائلة تحتها من الوجهة العملية أيضا ، اذ قلمـا ينجح الانسان فى غايته التى لأجلها يتـذرع بتلك المجاملة ويرضى أن يتردى فى هذه المكانة المنحطة ، وفى ذلك يقول تبارك وتعـالى مخاطبـا رسوله ـ صلى الله عليه وسلم : « ولن ترضى عنـك اليهـود ولا النصـارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله هو الهـدى ولئن اتبعت أهواءاهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير »(١)

لا شك أن التسامح المشبوه قـد يتذرع باعـلانه لبلوغ الأهـداف السياسية ... لأن رجال السياسـة فى الغرب قد فصلوا الأخـلاق عن السياسة ، الا ان الذى يدمع العين ويحرق القلب أسفا هو فكرة أولئك (الباحثين العظام) الذين بدون أن يكلفوا العقل بالتأمل والفكر بالنشاط يعلنون مبدأ بحوثهم الدينية الذى يقـول : « الأديان كلها على حق » اننا كثيرا ما نسمع هذه الجملة من ألسنة الذين يزعمون أنهم لا يتكلمون بكلمة ولا يسلمون بها مالم يزنوها بميزان العقل ، لا أنه من الحقيقـة

(١) البقـرة : ١٢٠ .

أن ميزان العقل يأبى أن يقيم لتحقيقهم الطريف هذا أى وزن ، لأن الأديان التى يحكمون بها ويقولون انها على الحق ، نرى بين أصولها ومبادئها من الفرق الهائل والبون الشاسع ما بين السماء والأرض أو الأسود والأبيض . يقول أحدها : بأن الاله واحد . ويقول الثانى : بأن هناك الهين اثنين ، ويقول الثالث: بأن هناك آلهة ثلاثة ويقول الرابع : بأن هناك عدة قوى هى كلها مشتركة فى الألوهية ، ويقول الخامس: بأن ليس هناك شىء يعرف بالاله ، فهل من الممكن أن تكون هذه الأديان الخمسة كلها على الحق بصفة واحدة ؟ يرتفع أحدها بالانسان الى مقام الألوهية ، والثانى ينزل بالله الى منزلة الانسان ، والثالث يجعل الانسان عبدا والله معبوده ، والرابع لا تصور فيه أصلا للعبد ولا للمعبود فهل يجوز بحكم العقل أن تجتمع هذه الأديان كلها ولا يكون بينهما من فرق باعتبار صدقها ؟ يجعل أحدها مدار النجاة على العمل وحده ، والثانى على العقيدة وحدها ، والثالث لابد فيه تحقيق النجاة من العقيدة والعمل كليهما ؟ فهل يمكن أن تكون هذه الأديان الثلاثة صحيحة فى آن واحد ؟ يختار أحدها طريق النجاة خارج الدنيا وحياتها والثانى يشق طريق النجاة وسط مشاغل الحياة الدنيا ومصاخبها ، فهل من الممكن أن يكون كلاهما على الحق والصواب بدرجة واحدة؟ ولعمرى أنه اذا كان من الجائز أن يعبر « بالعقل » عما يحكم على مثل هذه الأمور المتضاربة المتنافية بالصدق والصحة والصواب ، فالواجب أن يعبر عما يحكم باستحالة الاجتماع بين الأضداد بكلمة أخرى غير كلمة « العقل » .

نعم ، هناك تصورات مشتركة فى مختلف الديانات ، ولكن من دواعى الأسف أن الذين لا ينظرون من الأشياء الا قشورها ، لا يريدون أصلا أن يعرفوا حقيقة هذه التصورات المشتركة ، وانما يرتبون المقدمات ترتيبا فاسدا ويستنتجون

منها نتائج خاطئة مع أن هذا الاشتراك يرشدنا الى حقيقة مهمة ، وهى أن جميع هذه الأديان متفرعة من أصل واحد، وأن هذه التصورات والتعاليم ليس لها الا مبدأ بعينه، وأن هناك وسيلة للعلم بعينها هى التى قد أعلمت الأنسان فى مختلف الأوطان والأزمان والألسنة بهذه الحقائق المشتركة ، وأن هناك بصيرة بعينها حصلت للناس جميعا على كل ما كان بينهم من بعد المشرقين وفترة المئات والآلاف من السنين ، فهم بهذه البصيرة لم ينتبهوا الا الى نتائج متقاربة من نوع واحد ، ولكن لما تباعدت الأديان عن أصلها تسربت اليها تصورات خارجة ومعتقدات أجنبية وأن هذه الامور البعيدة لم تكن مأخوذة من ذلك المبدأ المشترك وتلك البصيرة المشتركة ، بل وضعها الناس الذين تضاربت طبائعهم وتباينت ميولهم وتنوعت مستويات علمهم وعقلهم . ولأجل ذلك فان الأبنية التى أسسوها على هذه الأسس المشتركة أصبحت مختلفة فيما بينها كل الاختلاف باعتبار صورها وهيئاتها وأشكالها .

فعلى ذلك ان جاز أن يحكم بالحق والصدق على شىء فانما يجوز أن يحكم بهما على ذلك الأصل المشترك الذى يوجد فى جميع الأديان ، لا على تلك الصور والهيئات التفصيلية المختلفة التى تقوم عليها هذه الأديان اليوم ، لأن الحق انما هو جنس بسيط – فى اصطلاح المنطق – يستحيل الاختلاف بين أجزائه . فكما أنه من الممكن أن نطلق كلمة « اللون » بكل سهولة على الأبيض والأسود والأخضر والأحمر كذلك ليس من الممكن أن نطلق كلمة « الحق » على مختلف الأحكام مثل أن الله واحد ، وأن الالهين اثنان ، وأن الآلهة متعددة .

أما أن الأديان كلها من أصل واحد وأن هناك حقيقة بعينها أعطيت لمختلف الأمم فى مختلف الأزمان فأمر جاء بيانه بكل صراحة فى غير واحدة من آيات القرآن الحكيم : فقد قيل مثلا : « ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا »[1] وقيل : « وان من

(١) النحل : ٣٦ .

أمة الا خلا فيها نذير » (١) وقيل : « جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير » (٢) وقيل : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان » (٣) أى ما كان مختلف الانبياء والرسل يتلقون رسالة الصدق والحق الا من ينبوع واحد بعينه وانهم جميعا ما كانت لهم الا رسالة واحدة هى : « أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » (٤) وأنهم جميعا ما كان يوحى اليهم الا وحى واحد : « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون » (٥) وأنه ما قال واحد منهم لقومه : « ان الذى أعرضه عليكم وأدعوكم اليه هو من نتائج فكرى وعقلى ، بل قد ظلوا جميعا يقولون لاقوامهم : « وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا الا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا » (٦) وأنه ما دعا واحد منهم قومه الى عبادته وانما دعاهم الى عبادة الله ربه وربهم «ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لى من دون الله ولكن كونوا ربانيين » (٧) .

فهذا هو التعليم المشترك الذى جاء به الى جميع الأمم قادتها الدينيون ومما يبينه القرآن الحكيم أن الناس ما كانوا جميعا فى أول أمرهم الا أمة واحدة ، أى كانوا على حالة انسانية فطرية خالصة stete of natuxe وكان قد جاءهم من الله العلم بصراطه المستقيم(٨) . ثم ظهر فيهم الاختلاف لا لشىء الا لأن

(١) فاطر : ٢٤ . (٢) آل عمران : ١٨٤ .
(٣) الحديد : ٢٥ (٤) النحل : ٣٦
(٥) الأنبياء : ٢٥ (٦) ابراهيم : ١١ ، ١٢ (٧) آل عمران : ٧٩
(٨) مما يجب أن يلاحظ بصفة خاصة فى هذا المقام أن من بيان القرآن الحكيم على العكس من نظرية النشوء والارتقاء وفلسفة التاريخ الانسانى فى هذا الزمان أن النوع البشرى ما بدأ حياته على وجه الأرض فى ظلمة الجهل ، بل بدأها فى ما أعطاه الله من نور العلم ، فقد أكرم سبحانه وتعالى آدم ــ وهو أول انسان على وجه الأرض ــ برسالته ، وأعطاه بطريق الالهام من العلم ما كان ضروريا للانسان لقضاء حياته فى الأرض وفقا لمرضاته وقانونه .

بعضا منهم حاولوا الخروج عن حدهم المشروع ، والحصول على مرتبة أعلى من مرتبتهم الفطرية ، واقامة حقوق لأنفسهم أكثر من حقوقهم الفطرية . فهناك شرع الله سبحانه وتعالى يرسل اليهم رسله ليعطوهم العلم الصحيح بالحق ويقيموا بينهم العدالة الاجتماعية soeial tustice

وتلك كانت رسالة جميع الانبياء فى الدنيا ، فالذين تلقوها بالقبول ، واتبعوا ما آتاهم أنبياؤهم من العلم اتباعا صحيحا كاملا، واهتدوا بهديهم، هم وحدهم على الحق وليس غيرهم، كائنا من كان ، الا على الباطل سواء أكان ممن أبو اتباع الأنبياء أو ممن حرفوا تعاليمهم وبدلوها حسب أهوائهم وأغراضهم الشخصية. ففى ذلك يقول عز وجل : « وما كان الناس الا أمة واحدة فاختلفوا »(١) ويقول : « كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم »(٢) . « فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم »(٣) ويقول : « لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب

---

(١) يونس : ١٩

(٢) البقرة : ٢١٣ معنى كلمة «البغى» المستعملة فى هذه الآية هو تعدى الحد المشروع وتجاوزه . فالذى يقرره القرآن أساسا لكل ما يتورط فيه الناس من الضلال الاعتقادى والظلم الاجتماعى . هو أن بعضهم يحاولون تعدى حدودهم المشروعة الفطرية فمنهم من يتخذ نفسه الها لغيره ويأمرهم بعادته . ومنهم من لا يتجرأ على اتخاذ نفسه الها لغيره . ولكن يظهر بمظهر السادن أو الحاجب أو الخادم لصنم أو اله وهمى . ثم يفرض على الناس طاعته والاعتراف بسلطانه متوسلا بهؤلاء الالهة ومنهم من ينصب نفسه حاكما دينيا للناس ويزعم انه يحتكر نجاتهم وفلاحهم وهكذا ينجم فى الدنيا فرق البرهمية والبنوية ومنهم من يستغل غناه المالى ورغدة عيشه ليجعل منهما وسيلة لاختيار عدة أنواع لسلب الناس أموالهم . وجملة القول أن «البغى» هو الذى يخرج الناس من حالتهم الفطرية ويغرس فيهم بذور الشقاق والخلاف من الوجهتين : الاعتقادية والاجتماعية .

(٣) البقرة : ٢١٣

والميزان » (١) • « ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس »(٢) • ويقول: « فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى • ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى » (٣) •

فهذه هى نظرة القرآن فى التاريخ ••• أو تفسيره المعنوى للتاريخ Moral interfnstation of history الذى يفسر أسباب الخلافات الدينية بكل سهولة • وبهذه النظرة يتبين لنا بكل وضوح أن أنبياء الله ماجاءوا الى مختلف امم الأرض الا ليرجعوا بها الى منهاج الحياة الفطرى الذى كانت قد عدلت عنه بغيا وعدوانا ، ويقيموها على طريق الحق والعدالة الحقيقى •

ثم ان الدعوى التى يعرضها القرآن بعد هذا ، هى أن الاسلام الذى يدعو اليه الناس ما هو الا ذلك الدين الحقيقى الذى مازال جميع الأنبياء السابقين يدعون اليه الأمم المنتشرة فى مختلف بقاع الأرض منذ البداية • وأنه ما جاء محمد — صلى الله عليه وسلم — برسالة جديدة لا عهد بها للبشرية من ذى قبل : « قل ماكنت بدعا من الرسل» (٤) بل قد جاء بنفس تلك الرسالة التى جاء بها كل نبى الى قومه فى كل زمان : «انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده» (٥) • وانه ما بقيت ناحية من نواحى الأرض كجزيرة العرب أو مصر أو ايران أو الهند أو الصين أو اليابان وأوربا وأميركا وافريقية وما اليها محرومة من الاستنارة بنور هذه الرسالة ، حيث جاء اليها رسول الله بكتبه ولا يستبعد أن يكون بوذا، وكرشن ، وراما ، وكونفوشيوس وزرداشت ، ومانى ، وسقراط ، وفيثاغورث وغيرهم من هؤلاء

(١) المراد بالميزان فى هذه الآية ذلك النظام الاجتماعى المتكامل فى الاعتدال والتوازن الذى أرسله الله تعالى الى الناس بواسطة الأنبياء فى شريعته الغراء حتى يقيم بينهم العدل .

(٢) الحديد : ٢٥ (٣) طه : ١٢٣ ، ١٢٤ .

(٤) الأحقاف : ٩

(٥) النساء : ١٦٣

الرسل ، الا أن الفرق بين محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهؤلاء الرسل أنه قد ضاعت تعاليمهم الأصلية فى مجاهل اختلاف الناس ولاتزال تعاليمه عليه الصلاة والسلام محفوظة فى صورتها الأصليةدون أن يداخلها شىء من تحريفات الناس .

فالحقيقة أن الاسلام هو الدين الأصلى لسائر البشرية ، وما يوجد فى غيره من الأديان من الحق والصدق انما هو البقية الباقية من أثر ذلك الاسلام الذى جاء الى الجميع ولكنهم أضاعوه فى اختلافاتهم ، أما ما تختلف فيه هذه الأديان مع الاسلام فلا شك فى بطلانه ، ومن الظلم الصريح الحكم عليه بالصحة والصدق . وبدل أن نتظاهر بالتسامح الكاذب يجب علينا أن نقول بكل صراحة لجميع اخواننا فى الانسانية فى مشارق الأرض ومغاربها : «هلموا أيها الاخوة كفوا عما أنتم عليه من العصبية وضيق الصدر ، واقبلوا الحق الصراح والصدق الخالص الذى لا تشوبه شائبة ، ولا تظلوا متشبثين بأهداف الأشياء التى قد اختلط فيها الحق مع الباطل والصدق مع الكذب واليقين مع الشك ، وليس الحق بوقف على الأمة التى تعرف اليوم بالأمة الاسلامية بل هو ميراث تشترك فيه البشرية بأجمعها . وقد كان الله سبحانه وتعالى وزعه على جميع الأقطار والأمم ، فان كان غيرنا قد أضاعوه ودسوا عليه سم (بضم السين) عبادة المخلوق والظلم والعدوان والتقاليد الزائفة والامتيازات الجائرة الغاشمة ، فانما كان ذلك من سوء حظنا وحظكم معا ، فما الذى يدعوكم اذن الى أن تبقوا متشبثين بسوء الحظ هذا لا لسبب الا لأن آباءكم كانوا قد تورطوا فى هذه الغلطة . وانه اذا كان محمد ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد نال هذا الميراث ثم بلغه كما هو ، وسلم الميراث من أن يختلط به سم عبادة المخلوق والعادات القائمة على الظلم والعدوان والامتيازات الجائرة ، فذلك من عين حسن حظنا وحظكم وحظ النوع البشرى كله ،فاشكروا الله على هذه النعمة ولا تترددوا فى الاستمتاع بها بحجة انها واصلة

اليكم بواسطة رجل من العرب ، واعلموا أن الحق من نعم الله رب العالمين كالهواء والماء والنور » فاذا كنتم لاتأبون الاستمتاع بالهواء اذا كان آتيا اليكم من جهة الشرق ولا تترددون فى شرب الماء واستساغته بحجة أن عينه قد انبثقت فى الأرض الفلانية ولا تأبوا الاستمتاع بالنور لأنه ينبثق من مصباح فلان ، فما بالكم تترددون فى قبول نعمة الحق الخالص النقى التى قد وصلت اليكم بواسطة محمد العربى ــ صلى الله عليه وسلم ــ بحجة أن الذى قد جاء بها ليس مولده فى وطنكم أنتم ؟

أبو الأعلى المودودى

ابن القيم يصف الداعية :

لا تملكه اشارة ، ولا يتعبده قيد ، ولا يستولى عليه رسم ، حر مجرد دائر مع الأمر حيث دار يدين بدين الأمر أنى توجهت ركائبه ويدور معه حيث استقلت مضاربه ، يأنس به كل محق ويستوحش منه كل مبطل ، كالغيث حيث وقع نفع ، وكالنخلة لا يسقط ورقها ، وكلها منفعة حتى شوكها . وهو موضع الغلظة منه على المخالفين لأمر الله والغضب اذا انتهكت محارم الله . فهو لله ، وبالله ، ومع الله ، قد صحب الله بلا خلق ، وصحب الناس بلا نفس ، بل اذا كان مع الله عزل الخلائق عن البين وتخلى عنهم ، واذا كان من خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها ، فواها له . ما أغربه بين الناس . وما أشد وحشته منهم ، وما أعظم أنسه بالله وفرحه به ، وطمأنينته وسكونه اليه .

مدارج السالكين ــ ابن القيم ..

دراسات قرآنية :

الغلام الحليم والأضحية

لفضيلة الأستاذ الشيخ مصطفى الطير

قال الله تعالى :

« فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر » الآيات ١٠١ — ١٠٧ من سورة الصافات .

البيـان

يمضى عيد الأضـحى كل عام ولا يذكر المسلمون من أمره الا أنه عيد اسلامى يبتهجون فيه وينعمون بلذيذ الطعام من أضحيته ، دون أن يفكروا فى منشـئه والأغراض الجليلة التى شرع من أجلهـا ، حتى تكون منهم موضع العبرة والادكار ، والاخلاص فى العقيدة والعمل لله رب العالمين ، والعطف على البائسين والمعوزين .

فلهذا رأينا أن نتحدث الى اخواننا المسلمين فى هذا العدد الخاص بشهر ذى الحجة الحرام — حيث يحجون فيه ويضحون — عن منشأ الأضحية ومتى شرعت ، وعن الغـلام الحليم الذى هم بذبحه ابراهيم ، ثم افتداه ربه بذبح عظيم ، وعن الحكمة فى هذا كله ، حتى يكونوا منه على بينـة ، ويكون فى وعيهم وادكارهم كلما مر بهم هذا العيد السعيد .

نبذة فى ابراهيم والد الذبيح

ولمـا كان موضوع المقال وثيـق الصلة بابراهيم عليه السلام ، فلهذا آثرنا أن نتحدث عنه حديثـا قصيرا ينتهى بنا الى الموضوع ، فنقـول وبالله التوفيق .

أرسل الله ابراهيم عليـه السلام الى قوم من الصابئة يؤلهون الكواكب ، ويتخـذون الأوثان أربابا ، زاعمين أنهـا ترمز الى الكواكب التى يؤلهونها ، وكان موطنه الأصلى بابل

حيث يعيش قومه من الصابئة ، فأرسله الله اليهم ، فدعاهم الى نبذ ما يؤلهون من الكواكب والأوثان ، ويخصون عباتهم بالله رب العالمين ، فلما لم ينفعهم نصح ولا ارشاد ، حطم أوثانهم بمعوله ليلا ، ليظهرهم على فساد ربوبيتها ، بعجزها عن حماية نفسها ، وفى ذلك يقول الله تعالى « فراغ عليهم ضربا باليمين » فلما اتضح لهم أنه هو الذى حطمها « أقبلوا اليه يزفون » أى يسرعون، ولما ناقشوه فيما صنع بها : « قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون • قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم • فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين » اذ نصره الله عليهم ونجاه من مكرهم ، فجعل النار عليه بردا وسلاما ، ورأى بعد يأسه من قومه ، أن يهاجر الى أرض أخرى يتمكن فيها من عبادة ربه ، فهاجر الى بيت المقدس قائلا: «انى ذاهب الى ربى سيهدين » ثم دعا ربه أن يرزقه ولدا يأنس به فى غربته فقال: «رب هب لى من الصالحين» فاستجاب الله دعاءه وبشره بغلام حليم ، وقد انطوى فيها بشريات ثلاث (١) أنه سيرزق غلاما (٢) وأنه سيكون حليما (٢) وأنه يبقى ويعيش ، لأن الصغير لا يوصف بالحلم •

رؤيا خطيرة عن الغلام الحليم

حقق الله لابراهيم بشراه فرزقه غلاما صالحا « فلما بلغ معه السعى » أى كبر وبلغ أن يسعى مع أبيه فى دنياه معينا له على أعماله ، رأى فى منامه عن ولده رؤيا مفزعة ، فقال له : « يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى » وهذا السؤال يشعر بأن الغلام كان راجح العقل ، يحسن وزن الأمور ، ولا ينزعج لكوارثها ، بل يعطى رأيه فيها عن صواب وحكمة ولو كان هلاكه فيه •

وقد كان ابراهيم عليه السلام مترددا فى تنفيذ منامه الخطير ، لأن فيه هلاك ولده الوحيد وقتئذ ،وقد رزقه فى شيخوخته الواهنة ، قال مقاتل : رأى ابراهيم هذه الرؤيا ثلاث ليال متتابعات،ويروى أن الليلة الأولى منها كانت ليلة الثامن من ذى الحجة ، فقد رأى فيها من يقول له: ان الله يأمرك بذبح ابنك،فلما أصبح

روى فى نفسه ــ أى فكر : أهــذا الحلم من الله أم من الشيطان، فسمى هــذا اليوم يوم التروية ، فلمــا كانت الليلة الثانية ، رأى رؤياه هذه مرة أخرى ، فلمــا أصبح عرف أن ذلك من اللــه ، فسمى يوم عرفة ، ثم رأى مثله فى الليلة الثــالثة ، فهم بنحره فسمى يوم النحر ،

موقف الغلام من رؤيا أبيه

اعتبر الغلام رؤيا أبيه وحيا وأمرا صادرا من اللــه تعــالى لا بد من تنفيذه ، فلهذا قــال لأبيه « ياأبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين » فلما رأى استجابة ولــده الوحيد لأمر ربه ، شرع فى تنفيذه ، مع أن هذا التنفيذ سيكلفه حياته •

قال محمد بن كعب : كانت الرسل يأتيهم الوحى أيقاظا ورقــودا ، فان الأنبياء لا تنــام قلوبهم ، وقال ابن عباس : رؤيا الأنبياء وحى ، واستدل بهذه الآية ، وفى حديث مرفوع قال صلى الله عليه وسلم : « انا معاشر الأنبيــاء تنــام أعيننــا ولا تنام قلوبنا » •

محنة الغلام وأبيه

لا يبتلى أحد من البشر بأعظم من أن يؤمر بذبــح ولده الوحيد أمرا واجب التنفيذ ، ولا نعلم أحــدا من الأنبياء قبل ابراهيم أو بعده امتحن بمثل ما امتحن به ، ومع أن هذا أمر يتجــاوز طاقــة البشر فقد احتمله ابراهيم وغلامه بصبر يتجاوز الخيال، ويفوق حد الاحتمال ، وجاءت ذروة المحنــة عند التنفيذ « فلما أسلما » أى انقادا واستسلما لأمر الله « وتله للجبين » أى صرعه على شقه فصار جبينه الى الأرض كما يفعل بالشاة ، والجبين أحد شقى الجبهة •

وقيل معناه أنه كبه على وجهــه باشارته ، لكيلا يرى منه ما يوجب رقة تحول بينه وبين تنفيذ أمر اللــه تعالى ، جاء فى الخبر أن الذبيح قال لابراهيم عليهما الســلام : يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب ، واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها شىء من دمى فتراه أمى فتحزن ، وأسرع مر السكين على حلقى ليكون الموت أهون على ، واقذفنى للوجه لئلا تنظر الى وجهى فترحمنى ، ولئلا أنظر الى الشفرة فأجزع ، واذا أتيت الى أمى فأقرئها منى السلام ، فلما جبر ابراهيم

السكين ضرب الله عليه صفيحة من نحاس فلم تعمل السكين شيئا ، ثم ضرب به على جبينه وحز فى قفاه فلم تعمل السكين شيئا ، فذلك قوله تعالى « وتله للجبين » فنودى « يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا » فالتفت فاذا بكبش .. الخ — ذكره المهدوى .

وهذا الكبش هو ما ذكره الله تعالى فى قوله: «وفديناه بذبح عظيم» والمراد بعظمه أنه كبير الجسم أو سمين، أو أنه فدى به نبى ، فكان عظيما لذلك .

وحينئذ تقدم ابراهيم فذبح هذا الكبش فداء لولده عليهما السلام ، واختلف فى المكان الذى أراد ذبحه فيه ، فقيل بمكة بالمقام ، وقيل بمكان النحر بمنى عند الجمار التى رمى بها ابليس حين وسوس له — قاله ابن عباس وابن عمر وغيرهما .

قال ابن عباس رضى الله عنهما : لما أمر الله ابراهيم بذبح ابنه ، عرض له الشيطان عند جمرة العقبة ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم مضى ابراهيم لأمر الله تعالى .

من هو الذبيح ؟

ولد لابراهيم ولدان ، أولهما اسماعيل من هاجر ، وثانيهما اسحق من سارة ، واختلف العلماء فى أيهما الذبيح ، فأكثر العلماء على أنه اسحق — كما ذكره القرطبى — وممن قال بذلك العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله ، وابن مسعود وعلى ابن أبى طالب وغيرهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال به من التابعين مجاهد والشعبى وعلقمة وابن جبير وغيرهم ، وعلى هذا أهل الكتاب واختاره النحاس والطبرى وغيرهما ، قال سعيد ابن جبير : أرى ابراهيم ذَبْح اسحق فى المنام ، فسار به مسيرة شهر فى غدوة واحدة ، حتى أتى به المنحر من منى ، فلما صرف الله عنه الذبح وأمره أن يذبح الكبش فذبحه سار به مسيرة شهر فى روحة : طويت له الأرض والجبال .

الرأى الراجح أنه اسماعيل

ومع أن الجمهور يرون أن الذبيح اسحق ، فان غيرهم يرون أنه اسماعيل وممن قال بذلك أبو هريرة وأبو الطفيل ، وروى عن ابن عباس وابن

عمر فى رواية أخرى عنهما ، وقال به سعيد بن المسيب وغيره من التابعين •

وعن الأصمعى قال : سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح ، فقال يا أصمعى : أين عزب عنك عقلك ؟ ومتى كان اسحق بمكة ؟ وانما كان اسماعيل بمكة ، وهو الذى بنى البيت مع أبيه ، والمنحر بمكة ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم روايتان ، احداهما تؤيد أنه اسماعيل والأخرى تؤيد أنه اسحق

والذى نرجحه ونرى أنه هو الحق هو أن الذبيح اسماعيل ، لما تقدم فى اجابة أبى عمرو ابن العلاء للأصمعى ولأن الله وصف اسماعيل بالصبر دون اسحق ، وذلك فى قوله سبحانه : « واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين » ووصفه بصدق الوعد « انه كان صادق الوعد » لأنه وعد أباه أن يصبر على الذبح فوفى ، ولو كان الذبيح اسحاق لكانت محاولة الذبح ببيت المقدس لا بمنى •

ومن أقوى ما يستدل به لكون الذبيح اسماعيل ، أنه تعالى عقب قصة الذبيح فى سورة الصافات بقوله : « وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين » أى وبشرناه جزاء صبره على ذبح وحيده اسماعيل باسحاق يولد له بعد هذه القصة ، وأنه يكون نبيا من الصالحين •

رأى وسط

وقال الزجاج : الله أعلم من هو الذبيح ؟ ولعله قال ذلك احتياطا ، لعدم ذكر اسم الذبيح صراحة ، وهو مذهب وسط يقتضى الايمان بما جاء به القرآن عن الذبيح ، ويفوض العلم بشخصه الى علام الغيوب ، وسواء أكان الذبيح هذا أم ذاك ، فان فضل الله على ابراهيم وآل بيته بفدائه لا يقادر قدره ، فقد حقن الله به دم هذا الغلام الحليم فبقى قرة عين لوالديه ، كما أنه أذهب الحرج والأسى عن ابراهيم عليه السلام ، وأدخل السرور فى قلوب هذه الأسرة الكريمة التى امتحنت بأشد ما يمتحن به البشر ، ولهذا قال الله تعالى تعظيما لهذه المنة : « انا كذلك نجزى المحسنين » يعنى أن هذه هى سنة الله تعالى مع المحسنين الصابرين ، اذ يخلصهم من الشدائد ،

ويجعل لهم من ضيقهم فرجا ، ومن متاعبهم مخرجا .

ولا وجه لتعصب أهل الكتاب لاسحاق حيث جعلوه هو الذبيح حسدا لاسماعيل ، ولا داعى لترجيح هذا الرأى استنادا الى ما يقوله أهل الكتاب ، فكلنا نعلم ما صنعوه فى كتبهم ، ولا أستبيح لنفسى ولا لغيرى أن يطمئنوا الى ما قيل من أن الجمهور يرى أنه اسحاق ، فما أكثر ما نراه من الاسرائيليات والأحاديث الموضوعة مدسوسة فى كتب المفسرين زورا وبهتانا .

والرأى الأمثل أنه هو اسماعيل لما قدمناه من الأدلة ، أو ترك البحث عن شخصه ، وترك العلم به الى علام الغيوب كما جنح اليه الزجاج طلبا للاحتياط .

الحكمة فى أمر ابراهيم بذبح ولده

لا شك فى أنه تعالى لا يأمر بشىء يخلو عن الحكمة ، فكل ما يأمر به مشتمل على حكم قد تظهر لنا وقد تخفى علينا ، وكذلك كان الشأن فيما كلف به ابراهيم عليه السلام من ذبح ولده ، فانه عليه السلام أبو الأنبياء وامام للناس ، قال تعالى مخاطبا له : « انى جاعلك للناس اماما » ولهذا ترى أصحاب الملل فى أرض النبوات يشرفون بالانتساب اليه حتى المشركين ، فانهم يزعمون أنهم على ملته ، والغرض الأساسى من تكليفه بذبح ولده — فيما نرى والله أعلم — تذكير من جاء بعده من أصحاب الملل ، بأن امامهم ابراهيم لم يبخل على ربه بحشاشة كبده ، بل هم بذبحه مرضاة له وطاعة لأمره ، ولولا فداؤه لنفذ فيه أمره ، وأن عليهم أن يقتدوا به فى امتثال ما يأمرهم به الله وينهاهم عنه ، وكل ما شرعه لهم فهو مقدور لهم ، ولا يمكن أن يصل فى صعوبته وشدته الى هذا الذى كلف به ابراهيم فشرع فى تنفيذه ، ومن المسلمات أن قصة الذبيح هذه معلومة لجميع أصحاب الملل فى أرض النبوات وغيرها .

العيد والأضحية والعبرة

جعل الله اليوم الذى فدى فيه الذبيح يوم عيد للمسلمين ، ينبغى أن يذكروا فيه نعمته على هذا البيت

الكريم ، وسن فيه الأضحية والذبح اقتداء بخليله ابراهيم ، وتعبيرا عن الفرح بنجاة ولده ، وشكرا له تعالى على نعمة الفداء وبرا بالمساكين الى جانب اطعام الأسرة ، فلم تشرع الأضحية ليستأثر بها المضحون وحدهم ، ولم يشرع العيد ليكون قاصرا على المرح الأجوف والفرح الخالى من العبرة والبر .

ومن المقاصد التى شرعت لها الأضحية المشوبة بالبر ، أن يرجو المضحى أن يجعلها الله سببا لحفظه وأسرته من النوائب كما حفظ بها الذبيح ووقى من كارثة الموت ذبحا بيد أبيه ، ولذا كان النبى صلى الله عليه وسلم يحرص على الأضحية ويحض عليها ، بل كان يذبح أيضا عن غير القادرين من أمته .

وهى واجبة عند أبى حنيفة على القادرين المقيمين من أهل الأمصار ، وسنة مؤكدة عند غيره من أصحاب المذاهب ، ولا تسن للحاج بمنى الا عند الشافعى .

ومن قال انها سنة عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما ، قال عكرمة : كان ابن عباس يبعثنى يوم الأضحى بدرهمين أشترى له لحما ويقول : من لقيت فقل : هذه أضحية ابن عباس ، وكان بعض الصحابة يرى رأيه هذا ويفعلون فعله — أى لا يضحون أحيانا — ليبينوا للأمة أنها ليست واجبة ، دفعا للحرج عن الناس ، فهم أئمتهم ، وعليهم أن يعلموهم ويرشدوهم بالقول والعمل .

واختلفوا : هل الأضحية أفضل أم التصدق بثمنها ، فعلى الأول مالك وأصحابه وأحمد بن حنبل وغيرهم ، وبه قالت عائشة رضى الله عنها ، وعلى الثانى بلال والشعبى وأبو ثور وغيرهم ، روى عن بلال أنه قال أن لا أضحى الا بديك ، ولأن أضعه فى يتيم قد ترب — أى افتقر — أحب الى من أضحى به ، وحسبنا ما ذكرناه والله تعالى أعلم .

مصطفى محمد الحديدى الطير

أضواء على سيرة الإمام الماوردى ومؤلفاته وعصره

للباحث الإسلامى المحقق الأستاذ عبد العزيز عبد الحق

— ١ —

١ ـ مقدمة :

لا تظفر بالكثير عن سيرة الامام أبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى المتوفى عام ٤٥٠ هـ عن ست وثمانين سنة فيما رجعنا اليه من كتب التراجم وهى على ترتيب وفيات مؤلفيها: تاريخ بغداد للخطيب والأنساب للسمعانى والمنتظم لابن الجوزى ومعجم الأدباء لياقوت ووفيات الأعيان لابن خلكان والبداية والنهاية لابن كثير والنجوم الزاهرة لابن تغرى بردى وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلى •

وكلها باستثناء طبقات الشافعية للتاج السبكى تعد من التراجم الموجزة • وسار على هذا النهج من الاختصار المستشرق الألمانى بروكلمان فى مادة الماوردى التى كتبها فى الموسوعة الاسلامية القديمة •

وكما يسترعى النظر أن أقدم تراجم الماوردى هى أكثرها ايجازا مع أن مؤلفها وهو الخطيب البغدادى المتوفى عام ٤٦٣ هـ كان معاصرا للماوردى • اذ بعد أن ذكر الخطيب من أخذ عنهم الماوردى ومن أخذوا عنه لم يزد على القول انه كان ثقة من الثقات وانه أخذ عنه • وترى أن الخطيب مادام قد كتب عنه فالماوردى يعد شيخا من شيوخه • وعلى ذلك فقد كان من واجب الخطيب على هذا الاعتبار أن يستوفى ترجمة الماوردى قضاء لحق أستاذه •

وقد نهض بهذا الواجب أحد أعلام القرن الثامن الهجرى وهو اسماعيل بن كثير المتوفى عام ٧٧٤ هـ

فقد ذكر فى كتابه البداية والنهاية فى ترجمته المختصرة للماوردى (حـ١٢ ص ٨٠) أنه استقصى ترجمة الماوردى فى كتاب الطبقات ٠والاسم الكامل لهذا الكتاب من كتب ابن كثير هو طبقات الشافعية كما نص عليه ابن حجر فى الدرر الكامنة (حـ ١ ص ٤٠٠) ٠

وهذا يقودنا الى مصادر أخرى لم تتيسر لنا وهى بالاضافة الى كتاب ابن كثير الذى سبقت الاشارةاليه٠

كتاب طبقات الشافعية لابن الصلاح الشهرزورى المتوفى عام ٦٤٣هـ وقد نقل عنه التاج السبكى فترة طويلة ٠ وكتاب آخر بنفس العنوان لعبد الرحيم بن الحسن بن على الأسنوى المتوفى عام ٧٧٢ هـ٠ والعقد المذهب فى طبقات علماء المذهب لعمر بن على بن الملقن المتوفى عام ٨٠٤هـ ، وطبقات الشافعية لأحمد بن محمد بن عمر ابن قاضى شهبة المتوفى عام ٨٥١هـ وقد لخص ماورد فيه عن الماوردى ابن العماد الحنبلى فى شذرات المذهب (حـ ٣ ص ٢٨ ــ ٢٨٧) ٠

وهناك تفصيلات أخرى عن سيرة الماوردى نستمدها من مصدرين : أولهما أخبار أحداث السنوات التى وردت فى المنتظم لابن الجوزى وفى الكامل فى التاريخ لابن الأثير فهى تصور لنا العصر الذى عاش فيه الماوردى وما قام به من وساطات بين الخلفاء والعباسيين والأمراء البويهيين فضلا عما عساه يكون لهذا العصر من أثر فى تحديد اتجاهات الماوردى وآرائه ٠ وثانيهما الدراسة النقدية لمؤلفاته ٠

٢ ـ عصر الماوردى :

تستغرق حياة الماوردى عهود ثلاثة من الخلفاء العباسيين هم الطائع لله (٣٦٣هـ ــ ٣٨١هـ) والقادر بالله (٣٨١هـ ــ ٤٢٢ هـ) والقائم بأمر الله (٤٢٢هـ ــ ٤٥٠هـ) والأول خلع سنة ٣٨١هـ والثالث نفى عام ٤٥٠هـ وشهد الماوردى سقوط دولة البويهيين عام ٤٤٧هـ عندما دخل طغرلبك السلجوقى بغداد فى هذه السنة ٠

وهذه الفترة فى تاريخ الخلافة العباسية تعد امتدادا لانحلالها

واطرادا لتقلص نفوذها فلم يبق لها سوى المظاهر والرسوم كأن يصدر الخليفة تقليدا بتولية أحد المتغلبين أو يمنحه لقبا أو خلعة استبقاء لمودته واستدامة لرعايته اياه . وصحب هذا تطاول الأقوياء وعبثهم بالأمن . وصارت أحداث السنوات لا تكاد تخلو احداها من نشوب الفتن وتفاقم الاضطرابات . والخلفاء لاحول لهم ولا طول فى الحيلولة دون وقوعها .

والدولة البويهية التى اغتصبت نفوذ الخلافة العباسية فى هذا العصر، أنشأها أبناء أبى شجاع بويه الثلاثة: على والحسن وأحمد . ودخل أحمد بغداد فى عام ٣٣٤هـ فجعله الخليفة المستكفى أميرا للأمراء . ولقبه بلقب معز الدولة ولقب أخويه على والحسن فى الوقت نفسه بلقبى عماد الدولة وركن الدولة . ومع ذلك لم يشفع للخليفة المستكفى تشريفه لهم اذ لم يلبث البويهيون أن خلعوه وسملوا عينيه .

ولعل أقدم من كتب عن بداية حكم البويهيين على بن الحسن المسعودى صاحب مروج الذهب المتوفى عام ٣٤٦ هـ فقد عاصر السنوات الأولى من حكمهم . وقد ختم كتابه الآخر التنبيه والاشراف الذى فرغ من كتابته عام ٣٤٥ هـ أى قبل وفاته بعام واحد بقوله : «والغالب على أمر الخليفة المطيع (٣٣٤هـ ــ ٣٦٣هـ) والقيم بتدبير الحضرة الى هذا الوقت أحمد بن بويه الديلمى المسمى بمعز الدولة ». وأضاف قائلا « ان رسوم الخلافة قد زالت فى وقتنا هذا وهو سنة ٣٤٥هـ ولم أعرض لوصف أخلاق المتقى والمستكفى والمطيع ومذاهبهم اذ كان هؤلاء الخلفاء كالمولى عليهم ، لا أمر ينفذ لهم . أما ما نأى عنهم من البلدان فتغلب على أكثرها المتغلبون الذين استظهروا بكثرة الرجال والأموال ، واقتصروا على مكاتبة الخلفاء بامرة المؤمنين والدعاء لهم . وأما بالحضرة فتفرد بالأمور غيرهم فصاروا مقهورين خائفين قد قنعوا باسم الخلافة ورضوا بالسلامة » .

ولدينا مثال بارز يوضح ضعف الخلفاء فى العصر البويهى حين أنفذ بختيار الى المطيع يطلب منه مالا

يخرجه فى الغزاة ذكر ابن الأثير فى الكامل (حـ٨ص٢٢٢) فى أحداث عام ٣٦١هـ أن المطيع قال : « ان الغزاة والنفقة عليها وغيرها من مصالح المسلمين تلزمنى اذا كانت الدنيا فى يدى وتجبى الى الأموال • وأما اذا كانت حالى هذه فلا يلزمنى شىء من ذلك وانما يلزم من البلاد فى يده ، وليس لى الا الخطبة ، فان شئتم أن أعتزل فعلت » •

وأضاف ابن الأثير أن الرسائل ترددت بينهما حتى بلغوا الى التهديد، فبذل المطيع أربعمائة ألف درهم واحتاج الخليفة الى بيع ثيابه وأنقاض داره •

ونظرا لأن البويهيين كانوا من الديالمة الشيعيين فقد أضافوا الى صيغة الأذان عبارة حى على خير العمل كما استحدثوا فى بغداد النوح والولولة على مقتل الحسين رضى الله عنه فى العاشر من المحرم كل عام وكذلك الاحتفال بعيد غدير خم وذلك بناء على الرواية التى جاء فيها أن النبى عليه الصلاة والسلام فى منصرفه من الحديبية فى السنة السادسة من الهجرة قال لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه بغدير خم : «من كنت مولاه فعلى مولاه» وذلك فى الثامن عشر من ذى الحجة (التنبيه والاشراف ص ٢٢١) •

وقد قرب البويهيون اليهم المعتزلة والفلاسفة • ومن مفارقات هذا العصر أن البويهيين على تشيعهم أبقوا على الخلافة العباسية كى يكسبوا سلطانهم صفة شرعية أى أنهم كانوا يغلبون السياسة على الدين • ويقول كلودكاهان فى هذا الصدد فى مادة بنى بويه فى الموسوعة الاسلامية : «لم يحدث أن البويهيين أقدموا على الغاء الخلافة ذلك لأن معز الدولة كان يدرك أن الشيعة ليسوا الا أقلية وأنه لو قضى على الخلافة فى بغداد لكان من المتوقع أن يعود هذا النظام فى مكان آخر • ومن ثم كان من الخير له أن يحتفظ بالخلافة فى قبضته حتى يكسب سلطانه الصفة الشرعية على السنية فى ممتلكاته ويقوى علاقاته بالعالم الخارجى بفضل السلطان الأدبى النافذ الذى كان لا يزال الأمراء السنيون ينعمون

به شرعا . والحق أن البويهيين قد استمدوا سلطتهم الرسمية من الخلافة وتصرفوا تصرف من يؤمن حقا بشرعيتها » .

أى أن البويهيين اتبعوا سياسة الوفاق بين السنية والشيعة رغم تشيعهم ولم يعمدوا قط الى اضطهاد السنية . ومما ساعد على ذلك أيضا أن جيشهم كان يتألف من الفريقين : الديالمة الشيعة والأتراك السنيين

وقد بلغ البويهيون أوج نفوذهم فى عهد عضد الدولة . ولكن دب اليهم الضعف فى النصف الأول من القرن الخامس الهجرى بسبب ما نشب بين أفراد بيتهم من تنازع على السلطة وتمرد الجيش واخفاق سيادة الوفاق الدينى بالاضافة الى عوامل أخرى خارجية لا يتسع المقام لذكرها . وترتب على هذا الانحلال قيام كثير من الفتن والاضطرابات التى عجز البويهيون المتأخرون عن حسمها والقضاء عليها . وهذا الضعف الذى حل بالبويهين أطمع الخليفتين القادر بالله والقائم بالله فى التطلع الى استعادة نفوذ الخلافة العباسية وتتمثل هذه المحاولة فى تأليف الماوردى لكتابه الأحكام السلطانية كما سنوضحه فيما بعد .

وهذه الفتن التى كانت بغداد بصفة خاصة مسرحا لها والتى تزخر بأخبارها أحداث العصر البويهى المتأخر كما أوردها ابن الجوزى فى المنتظم وابن الاثير فى الكامل يمكن تقسيمها الى نوعين : الاول ما كان مبعثه الرغبة فى التسلط من جانب احدى الطوائف كالترك أو الديلم أو العيارين وهؤلاء فئة منحرفة من جماعة الفتوة وما يترتب على هذه الفتن من النهب والسلب وسفك الدماء . والثانى ما يرجع الى المنازعات المذهبية .

ومن أمثلة النوع الأول ما ذكره ابن الجوزى فى أحداث عام ٤٢٦هـ (المنتظم حـ ٨ ص ٨٢) وقد بلغ فيها من سخط الخليفة القائم بأمر الله أن أمر القضاة بالامتناع عن الحكم والخطباء بألا يحضروا املاكا ولا يعقدوا عقدا . ومن أمثلة الفتن الدينية ما حدث فى عام ٤٠٢هـ فى عهد خلافة القادر بالله : (المنتظم حـ ٨ ص ٤١ ـ ٤٣) .

« فقد كان يخطب فى جامع براثا فى بغداد من يذكر فى خطبته مذهبا فاحشا من مذاهب الشيعة فقبض عليه . وأسند الى أبى منصور بن تمام ان يخطب بدلا منه . فلماصعد المنبر دقه بعقب سيفه على ما جرت به العادة . والشيعة تنكر ذلك . وخطب خطبة قصر فيها عما كان يفعله من تقدمه فى ذكر على بن أبى طالب . وختم قوله بأن قال : اللهم اغفر للمسلمين ولمن زعم أن عليا مولاه .

« فرماه العامة بالآجر ودموا وجهه ونزل عن المنبر .. وعرف الخليفة ذلك فغاظه وأحفظه .. فأمر بمكاتبة الحضرة الملكية والوزير أبى على بن ماكولا . ومما جاء فى كتاب الخليفة : « اذا بلغ الأمر الجرأةعلى الدين وسياسة الدولة والمملكة — ثبتها الله من الرعاع والأوباش — فلا صبر دون المبالغة بما توجبه الحمية . وبغير شك بلغ أمير الجيوش ما جرى فى مسجد براثا الذى يجمع الكفرة والزنادقة .وقد تبرأ الله منه فصار أشبه شىءبمسجد الضرار .

« وذلك أن خطيبا كان فيه يجرى الى ما لا يخرج به عن الزندقة والدعوى لعلى بن أبى طالب عليه السلام ، ما لو كان حيا فسمعه لقتل قائله . وقد فعل مثل ذلك من الغواة أمثال هؤلاء الغثاء الذين يدعون لله ما تكاد السموات يتفطرن منه . فانه كان فى بعض ما يورده هذا الخطيب قبحه الله ، بعد الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فيقول : وعلى أخيه أمير المؤمنين على بن أبى طالب مكلم الجمجمة ومحيي الأموات البشرى الالهى، ومكلم فتية أصحاب الكهف الى غير ذلك من الغلو المبتدع الذى تقشعر منه الجلود ويتحرك منه المسلمون وتنخلع له قلوبهم ويرون فيه الجهاد» ثم طالب الخليفة «بعقاب الكفرة الفجرةوأخذ البرىء بالسقيم واباحة الدماء الواجب سفحها » .

وتستوقفنا عبارة أخذ البرىء بالسقيم اذ كيف يعاقب الأبرياء دون ذنب جنوه ؟ لعل الخليفة بلغ من الحنق مبلغا يذكرنا بما جاء فى خطبة زياد بن أبيه البتراء فى البصرة عام ٤٥ هـ وقد قال فيها : « وانى أقسم

بالله لآخذن الولى بالمولى والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والصحيح منكم بالسقيم » فرد عليه أبو بلال مرداس بن أدية قائلا : أنبأنا الله بغير ما قلت . قال الله عز وجل : « وابراهيم الذى وفى . ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان الا ما سعى » (النجم ٣٧ : ٣٩) فوعدنا الله خيرا مما واعدت . فقال زياد : « انا لا نجد الى ما تريد أنت وأصحابك سبيلا حتى نخوض اليها الدماء (تاريخ الطبرى حـ ٦ ص ١٢٤ ، ١٢٥) .

هذا ولم يأل الخليفة القادر بالله جهدا فى تبيان عقائد أهل السنة والرد على الفرق المبتدعة . فقد جاء فى سيرته أنه صنف كتابا فى الأصول ذكر فيه فضائل الصحابة على ترتيب أصحاب الحديث وأورد فيه فضائل عمر بن عبد العزيز وانكار مقالات المعتزلة ومزاعمهم فى خلق القرآن . وكان الكتاب يقرأ فى كل جمعة فى حلقة أصحاب الحديث وكان يحضر الناس سماعه .

وفى سنة ٤٠٨ هـ استتاب القادر بالله فقهاء المعتزلة الحنفية . فأظهروا الرجوع وتبرأوا من الاعتزال . ثم نهاهم عن الكلام والتدريس والمناظرة فى الاعتزال والرفض والمقالات المخالفة للاسلام . وأخذ خطوطهم بذلك ، وأنهم متى خالفوه حل بهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم .

وامتثل محمود الغزنوى الملقب بيمين الدولة وأمين الملة أمر الخليفة واستن بسننه فى أعماله التى استخلفه عليها من خراسان وغيرها فى قتل المعتزلة والرافضة والاسماعيلية والقرامطة والجهمية والمشبهة وصلبهم وحبسهم ونفيهم . وأمر بلعنهم على منابر المسلمين وابعاد كل طائفة من أهل البدع وطردهم من ديارهم وصار ذلك سنة فى الاسلام (المنتظم حـ ٧ ص ٢٨٧) .

وواصل القائم بأمر الله خطة أبيه القادر فى الرد على أهل البدع والزندقة بنشر العقيدة الصحيحة كما صاغها القادر فيما يسمى بالاعتقاد القادرى . جاء فى المنتظم (حـ ٨ ص ١٠٩ : ١١١) : ان الامام القائم بأمر الله فى سنة ٤٣٣ هـ أخرج الاعتقاد القادرى الذى ذكره القادر فقرىء

فى الديوان وحضر الزهاد والعلماء وكتب الفقهاء خطوطهم فيه ان هذا اعتقاد المسلمين ومن خالفه فقد فسق وكفر . ويلى ذلك نص الاعتقاد الذى أورده بطوله ابن الجوزى ويبلغ ما يقرب من ثلاث صفحات . ويعد وثيقة هامة فى تاريخ العقائد الاسلامية .

ومع جهود القادر والقائم فى مقاومة الفرق الضالة والرد عليها فقد نبغ فى هذا العصر القاضى عبد الجبار بن أحمد المعتزلى المتوفى عام ٤١٥ هـ وله مؤلفات هامة فى أصول الاعتزال . بل كان يسكن بغداد ابو الحسين محمد بن على الطيب البصرى المتوفى عام ٤٣٦ هـ ترجم له ابن خلكان (٤٨٢/١) ووصفه بالمتكلم على مذهب المعتزلة وأن له التصانيف الفائقة منها المعتمد وهو كتاب كبير أخذ منه فخر الدين الرازى كتاب المحصول وله تصفح الأدلة فى مجلدين وغرر الأدلة فى مجلد وشرح الأصول الخمسة وكتاب الامامة وغير ذلك . وذكر ابن الجوزى فى ترجمته (١٢٦/٨) أنه كان يدرس مذهب الاعتزال فى بغداد هذا بالاضافة الى قول ابن خلكان: ان الناس انتفعوا بكتبه يدل على أن جهود الخليفتين لم تثمر الثمرة المطلوبة .

كما نهى الخليفتان عن المناظرة مع أصحاب الفرق الضالة . ومع ذلك فقد جاء فى ترجمة أبى اسحاق الاسفراينى المتوفى عام ٤١٨ هـ (طبقات التاج السبكى ج ٣ ص ١١١ : ١١٤) ان مناظرة دارت بينه وبين القاضى عبد الجبار المعتزلى . ولفظها كما يلى :

قال عبد الجبار فى ابتداء جلوسه للمناظرة : سبحان من تنزه عن الفحشاء . فقال الاسفراينى مجيبا: سبحان من لا يقع فى ملكه الا ما يشاء . فقال عبد الجبار : أفيشاء ربنا أن يعصى ؟ فقال الاسفراينى : أيعصى ربنا قهرا ؟ فقال عبد الجبار: أفرأيت ان منعنى الهدى وقضى على بالردى أحسن الى أم أساء ؟ فقال الاسفراينى : ان كان منعك ما هو لك فقد أساء . وان منعك ما هو له فيختص برحمته من يشاء . فانقطع عبد الجبار .

٣ ـ وساطات الماوردى

أجمع المترجمون للماوردى على أنه كان رجلا عظيم القدر مقدما عند السلطان . ولا يقصد بالسلطان هنا اللقب الذى اتخذه بعض الحكام وانما هو قدرة الملك أى أن مجراه مجرى المصدر كما فى تاج العروس. وفى معجم ألفاظ القرآن الكريم السلطان القهر والغلبة ويستعمل فى الحجة والبرهان وهو فى القرآن أكثر استعمالا فى الحجة والبرهان وفى الآية ٨٠ من سورة الاسراء : « واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا » أى غلبة وقهرا .

وفى الآثار المروية : السلطان ظل الله فى الارض يأوى اليه كل مظلوم ، وان الله ليزع بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن . ويؤيد هذا المعنى الذى نشير اليه ما جاء فى كتب الأدب فقد استهل كل من ابن قتيبة كتابه عيون الأخبار وابن عبد ربه كتابه العقد الفريد بكتاب السلطان فقد عرف الأخير السلطان بمعنى القهر والغلبة بقوله : السلطان زمام الأمور ونظام الحقوق والقطب الذى عليه مدار الدنيا. وهو حمى الله فى بلاده وظله الممدود على عباده ، به يمتنع حريمهم وينتصر مظلومهم وينقمع ظالمهم ويأمن خائفهم . وأضاف ابن عبد ربه : فحق على من قلده الله أزمة حكمه .. ومكن له فى سلطانه وروى أن رجلا أغلظ لمعاوية فحلم عنه . فقيل له : أتحلم عن هذا ؟ فقال انى لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين سلطاننا .

هذه النصوص تدل على أن المراد بالسلطان هو ما نعبر عنه باللغة الحديثة بالحكومة القائمة وليس اللقب الذى اتخذه بعض الحكام لأنفسهم وكان أول من تلقب به محمود الغزنوى المتوفى عام ٤٢١ هـ

نعود الى وساطات الماوردى : ذكر ياقوت فى معجم الأدباء (حـ ١٥ ص ٥٣) أن الماوردى « كان ذا منزلة من ملوك بنى بويه يرسلونه فى التوسطات بينهم وبين من يناوئهم . ويرتضون بوساطته ويقفون بتقريراته » . ولم يذكر ياقوت شيئا عن أولئك المناوئين للبويهيين . ولكن كانت هناك وساطات أخرى للماوردى بين الخليفة والبويهيين كان الماوردى فيها معبرا

عن لسان حال الخليفة . جاء فى المنتظم فى أحداث عام ٤٢٣ هـ (حـ ٨ ص ٦٥) : « بعث الخليفة القائم بأمر الله القاضى أبا الحسن الماوردى ومبشرا الخادم الى الملك أبى كاليجار الى الأهواز بكتاب » .

قال الماوردى : « قدمنا عليه فتلقانا وأنزلنا دارا عامرة ... ثم جرى الخوض فيما طلبوه من اللقب . واقترحوا أن يكون اللقب السلطان المعظم مالك الأمم . فقلت هذا لا يمكن . لأن السلطان المعظم هو الخليفة وكذلك مالك الأمم .

فعدلوا الى ملك الدولة . فقلت ربما جاز . وأشرت أن يخدم الخليفة بألطاف . فقالوا يكون ذلك بعد التلقيب . فقلت : الأولى أن يقدم ثم ففعلوا وحملوا معى ألفى دينار سابورية ... الخ » .

غير أن مسألة اللقب تجددت بعد ذلك . ذكر ابن الجوزى فى المنتظم فى أحداث عام ٤٢٩ هـ (حـ ٨ ص ٩٧ : ٩٨) : أنه « فى رمضان من تلك السنة استقر أن يزاد فى ألقاب جلال الدولة لقب شاهنشاه الأعظم أى ملك الملوك . فأمر الخليفة القائم أن يخطب له به . فنفر العامة ورموا الخطباء بالآجر . فكتب الخليفة الى الفقهاء فى ذلك .

فكتب أبو عبد الله الصيمرى الحنفى أن هذه الأسماء يعتبر فيها القصد والنية . وقد قال الله تعالى : (ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) وقال تعالى: «وكان وراءهم ملك» . واذا كان هذا فى الأرض جاز أن يكون بعضهم فوق بعض لتفاضلهم فى القوة والامكان . وجاز أن يكون بعضهم أعظم من بعض . وليس فى هذا ما يوجب التكبر ولا المماثلة بين الخالق والمخلوقين . وكتب أبو الطيب الطبرى ان اطلاق ملك الملوك جائز ويكون معناه ملك ملوك الأرض . فاذا جاز أن يقال كافى الكفاة وقاضى القضاة جاز ملك الملوك . فاذا كان فى اللفظ ما يدل على أن المراد به ملك الأرض زالت الشبهة . وفيه قولهم اللهم أصلح الملك فينصرف الكلام الى المخلوقين .

وكتب التميمى الحنبلى نحو ذلك . وذكر محمد بن عبد الملك الهمذانى أن الماوردى منع من جواز ذلك .

« وكان الماوردى مختصا بخدمة جلال الدولة . فلما امتنع عن الكتابة (أى الامتناع عن الافتاء بتلقيبه بشاهنشاه) استدعاه جلال الدولة . فمضى على وجل شديد يتوقع المكروه . فلما دخل على الملك قال له : أنا أتحقق أنك لو حابيت أحدا لحابيتنى لما بينى وبينك مع كونك أكثر الفقهاء ايمانا وأوفاهم جاها وحالا ، وما حملك على مخالفتى الا الدين ، وقد قربك ذلك منى وزاد محلك من قلبى وقدمتك على نظائرك عندى » .

ونفهم من هذا النص أن الماوردى كان غنيا عظيم الجاه ومع ذلك فلم يكن حريصا على رغد العيش بل كان لديه من الشجاعة الأدبية ما حمله على الامتناع عن اصدار الفتوى فى مسألة اللقب أسوة بغيره من الفقهاء وذلك ارضاء لضميره واستجابة لما يقضى به معتقده ، معرضا بذلك نفسه لاستثارة غضب جلال الدولة . غير أن جلال الدولة قدر هذه الشجاعة الأدبية حق قدرها ، فزاد تقديره له واعزازه اياه .

وهذا ينفى ما زعمه بروكلمان فى مادة الماوردى فى الموسوعة الاسلامية القديمة اذ قال : «وعندما طلب جلال الدولة البويهى فى سنة ٤٢٩هـ من الخليفة المقتدى (أخطأ هنا بروكلمان لأن المقتدى بويع بالخلافة عام ٤٦٧ هـ أى بعد وفاة الماوردى بسبع عشرة سنة) أن يمنحه لقب شاهنشاه أى ملك الملوك اعترض الماوردى على ذلك فى فتوى أصدرها أكسبته عداوة البويهيين والنص السابق ينفى زعم بروكلمان ؛ لأن الفتوى زادت من اعظامهم للماوردى .

وقد علق ابن الجوزى على مسأله اللقب بقوله : ان الذى ذكره الأكثرون فى جواز أن يقال ملك الملوك هو القياس اذا قصد به ملوك الدنيا الا أنى لا أرى الا ما رآه الماوردى لأنه قد صح

فى الحديث مايدل على المنع ولكن الفقهاء المتأخرين (هم) عن النقل بمعزل .

وأورد التاج السبكى قصة هذه الفتوى ومعارضة الماوردى اياها وعقب على ذلك قائلا (الطبقات حـ ٣ ص ٣٠٥) : « ما ذكره القاضى أبو الطيب الطبرى هو قياس الفقه الا أن كلام الماوردى يدل عليه حديث ابن عيينة ... عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أخنع اسم عند الله تعالى يوم القيامة رجل يسمى ملك الأملاك » . رواه الامام أحمد . وقد سئل أبو عمرو الشيبانى عن أخنع فقال أوضع .

وفى حديث عوف ... عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اشتد غضب الله تعالى على رجل تسمى بملك الملوك لا ملك الا الله تعالى » . ثم أضاف التاج السبكى « أن دولة بنى بويه لم تمكث بعد هذا اللقب الا قليلا ثم زالت كأن لم تكن . ولم يعش جلال الدولة بعد هذا اللقب الا أشهرا يسيرة ثم ولى العزيز منهم ثم انقرضت دولتهم » .

ومن وساطات الماوردى ما ذكره ابن الجوزى فى أحداث عام ٤٣٤ هـ (المنتظم حـ ٨ ص ١١٣ : ١١٤) .

« أن الجوالى افتتحت فى أول المحرم (يراد بالجوالى مال الجوالى وهو الجزية المفروضة على أهل الذمة) فأنفذ الملك أبو طاهر من منع أصحاب الخليفة عنها وأخذ ما استخرجوه منها . وأقام فيها من يتولى جبايتها . وشق ذلك على الخليفة القائم وترددت المراسلات. ولم تنفع. فأظهر الخليفة العزم على مفارقة البلد وتقدم باصلاح الزبازب (أى السفن) وروسل وجوه الأطراف والقضاة والفقهاء والشهود بالتأهب للخروج فى صحبة الخليفة. وتحدث الناس بأن الخليفة قد عمل على غلق الجوامع ومنع الصلاة يوم الجمعة سابع هذا الشهر .

قال أبو الحسن على بن محمد بن حبيب الماوردى :« أخرج التوقيع من الخليفة وكنت أنا الرسول ... وقلت : ليس يخفى على ذى عقل

غلط ما أتاه جلال الدولة من عدوله عن عهوده والوفاء بعقـوده ، وأن الايمـان المؤكـدة اشـتملت على ما لافسحة فى نقضـه ولا سبيل الى حله • وفيما جرى من الاعتراض على الجوالى فى حياتيهما بعد تسليمها الى الوكـلاء نقض لمـا عقـده والتعـويل على عهـده ، فانطلقت الألسن بما لا يصان عن مثله • فان ذكر أن ضرورة دعت الى ذاك فهلا راسلنا على الوجه الأجمل • ولو أنه لمـا أراد ما أراد جعـل الوكـلاء القائمين به يحملونه اليه لكان ذلك أولى • فأما العدول عن هذه الطريقة فظاهر الغرض فيه•••ولولا ما عليه الوكلاء من الاضافة لرأينا ترك القول فى مال هذه الجوالى مع نزارة قدره• لكن للضرورة حـكما يمنـع من الاختيـار • وان روعى الوكـلاء يدفعـون أيامهم والا فلهم عنـد الضرورات متسع فى الأرض ونحن نقاضيه الى الله تعالى وهو الحكم بيننا » •

وقد اقتنع المتغلبة بهـذه الحجج ونجحت وسـاطة المـاوردى ، لأن الجواب كان من الملك الاعتـراف بوجوب الطاعة للخليفة • ثم قـال الملك : « نحن نائبون عن الخـدمة نيابة لا تنتظم الا باطـلاق أرزاق العساكر » •

عبد العزيز عبد الحق

● قال احدهم : ما شـكوت من الزمان ولا برمت بحكم السماء الا عندما حفيت قدماى ، ولم أستطع شراء حـذاء فدخلت جامع الكوفة وأنا ضيق الصدر فرأيت رجلا بلا رجلين فحمدت الله وشكرت نعمته على .

● اذا ضـاق الزمان عليـك فاصـبر
ولا تيـأس من الفـرج القـريب
فطب نفسـا فان الليـل حبلى
عسى يأتيـك بالولـد النجيب

● قيل لحاتم : على ماذا بنيت أمرك قال : علمت انى ميت فلم أركن الى الدنيا ، وعلمت أن عملى لا يعمله غيرى فاشتغلت به ، وعلمت أن الموت يأتى بغتة فبادرت بالتوبة .

مصر الأزهر فى فكر إقبال

رسالة إقبال إلى الشيخ المراغى وجوابها

للأستاذ سمير عبد الحميد

الحديث عن مكانة مصر ــ وحين أقول مصر فاننى أعنى مصر الأزهر ــ فى فكر أقبال ، حديث ممتع وجذاب ويحمل أكثر من معنى ، فهو يستلزم استعراض فكر اقبال بصورة موجزة ثم عرض للوضع الثقافى لمصر ودور الأزهر فى زمن اقبال . وأخيرا أثر الأزهر الواضح فى فكر مسلمى شبه القارة الهندية . والشواهد الواضحة الجلية لهذا التأثير والتطلع الى المزيد ويتمثل هذا فيما سأعرضه من طلب قام به العلامة اقبال وقدمه الى شيخ الأزهر آنذاك وهو الشيخ مصطفى المراغى . يطلب فيه أحد أساتذة الأزهر للقيام بنشر الدعوة الاسلامية فى شبة القارة الهندية . وهذا له دلالة واضحة لا تحتاج الى المزيد من التحليل . بل هو دليل قاطع على ذيوع صيت الأزهر ومكانته العلمية وشهرة أساتذته فى أنحاء العالم الاسلامى شرقا وغربا . منارة تقشع ما حولها من ظلام كاد أن يسيطر على دنيا الاسلام على أثر هجوم وتهجم صليبى الغرب والشرق على السواء .

زار اقبال مصر قبل حضوره المؤتمر الاسلامى بالقدس فى ٧ ديسمبر ١٩٣١م . وفى مصر رحب به ترحيبا طيبا وأقيمت له حفلة حضرها مفكرو مصر وعلماؤها فقد كانت شهرة العلامة اقبال قد ذاعت آنذاك وتجول العلامة اقبال فى شوارع القاهرة . وزار الاهرام ورأى أبا الهول ومشى على شاطىء النيل وتحدث فى الأمور التى كانت تشغل العالم الاسلامى ، وكان اقبال على دراية كاملة بكل مايدور فى مصر من أفكار وحركات دينية كانت أو

سياسية أو اجتماعية • فقد كان الارتباط بين خطوط الفكر الاسلامى فى مصر وبين مثيلها فى شبه القارة الهندية واضحا جليا •

ففى عهد الخديو اسماعيل بدأ الطريق ينفتح أمام التدخل الغربى فى مصر • وقام العلامة جمال الدين الأفغانى بمحاربة هذا التدخل بكافة صوره وحين توطدت عرى الصداقة بين الشيخ محمدعبده وبين الأفغانى سنة ١٨٧٩ م انطلق محمد عبده يحذر من التقليد الأعمى للتعليم الغربى والحياة الغربية وأن هذا التقليد لا يمكن أن يحدث ثورة حقيقية اذ أن أولئك الذين يبحثون عن الرقى لدى الغرب الآن انما يحملون بداخلهم رغبة فى تقليد النظام الاجتماعى الغربى وعادات وتقاليد أهل الافرنج •

والحقيقة أن مصر فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانت تموج بمسائل تبحث عن حلول لدى المفكرين القادة • وتتلخص فى الوطنية المصرية والخلافة الاسلامية والقومية العربية والصراع بين القديم والجديد •وباختصارا غرق أهل مصر فى متاهات عبر عنها اقبال بقوله :

« غرق أهل مصر فى دوامة أمواج النيل » •

والحقيقة أن نظرة قادة المسلمين فى مصر وفى شبه القارة الهندية كانت واحدة فى هذا الصدد • فقد كان اقبال يرى أن العالم الاسلامى بالشكل الذى يدعو اليه المتفرنجة أنما هو من الناحية الحضارية « مغلوب الغرب » وقد نظم اقبال كثيرا من الأشعار يوضح فيها هذه الفكرة ويحذر المسلمين من الوقوع فريسة أضواء الغرب الخادعة • يقول اقبال فى ديوان « صليل الجرس » :

« بالأمس رأيت حلما غير بين ، رأيت مسلمى مصر والهند وقد غرقوا فى دوامة الوطنية •

يا زائرى ديار الافرنج ، اننى أصرخ فيكم ، انهم ليسوا قادة لنا • من الخير لكم أن تبتعدوا عنهم » •

والحقيقة أن أهم ما يميز فكر اقبال أنه بأكمله تفكير اسلامى • اذا انه جمع أفكاره مباشرة من القرآن كما أن الروح الاسلامية

واضحة فى شعره ومقالاته وكتاباته . فقدكان هدف اقبال هوبناء مجتمع انسانى متقدم سواء تقدما روحيا أو ماديا فعن طريق التقدم المادى والروحى يصل الفرد الى الصلاح والفلاح الأخروى فقام اقبال يدعو المسلمين الى تحصيل المعرفة الحقيقية الحديثة ولكن بطريقة محترمة ومستقلة مع تقدير تعاليم الاسلام فى ضوء هذه المعرفة وهكذا كان يخشى أن يتيه المسلمون وسط مجاهل الغرب ومتاهاته المادية، ففكر اقبال يتمثل فى التكامل أى الربط بين المادة والروح والفرد والمجتمع ، ويتمثل فى الوسطية أى البعد عن الطرفين الحادين للانحراف والعنف . أما الحركة فى فكر اقبال فتتمثل فى القدرة على مواجهة التطور والبعد عن الجمود وعنده أن الحركة فى الجماعة الاسلامية بالاجتهاد .

أما عن مسألة الوطنية فهى لم تعجب « اقبال » حين زار مصر ، ولذا لم يعجبه الزعماء الذين قاموا فى ذلك الحين بالدعوة الى فكرة الوطن .. وتناسوا الدعوة الى جمع شمل المسلمين بدلا من تفتيتهم تحت فكرة الوطن . ولم يكن اقبال يؤمن بفكرة القومية بمعناها المعروف فى أوربا . اذ أنها عنده تقوم على أساس مجتمع انسانى ينطوى تحت الأحكام الالهية والارشادات النبوية وتحرر الفرد من امتيازات الجنس اقبال لا يفتأ يحذر المسلمين من هذه النعرة الخادعة . وقد هاجم أحد قادة المسلمين بالهند لأنه قام يدعو الى فكرة الوطنية . يقول اقبال مخاطبا حسين أحمد الديوبندى . «يامن أعلنت على المنبر من أن الأمة بالوطن ، انك لا تدرى شيئا عن مقام محمد العربى »

وهكذا كان الحال فى مصرنا . اذ قام بعض الزعماء بالدعوة الى الوطنية وسموا فيما بعد بالوطنيين (وفى رأى اقبال أنها تسمية طيبة لأنها ميزت بينهم وبين أخوة الاسلام الداعين الى الوحدة الاسلامية) .

وظل اقبال يوالى نصائحه للمسلمين بألا يقعوا فى شراك سحر الوطنية وأضوائها البراقة وها هو يشير الى مصر ويقول :

« أيها المسلم ما زلت فى هذه الحياة على معبر ... فاترك وانزع عنك قيد المكان ...

أترك مصر .. واترك الحجاز واترك الشام أيضا ...

ان من نزهه عمله عن كل غرض ... سينال جزاء عظيما ..

فاترك الحور .. واترك الخيام ... واترك الصبا والكأس ... »

وكان العالم الاسلامى — ولا يزال — يتطلع الى قائد يوضح له الطريق ويقوده وسط خضم الاضطرابات التى كانت — ولا تزال تلف العالم الاسلامى . وأوضح اقبال بكل جرأة نظريته قائلا :

مصرع : « عصا نه هو ، تو كليمى هـ ، كار بـ بنياد »

ومعناه : لو أن موسى عليه السلام موجود ولا عصا معه ، فلا أساس حينئذ لعمله »

ويكمل اقبال فكرته ويقول ولو ولد الكليم (موسى) مرة ثانية فمن أين له بالعصا — وموسى رمز للقوة الروحية والعصا رمز للقوة المادية . والعصا هذه الأيام فى يد الجيوش الا أن هذه العصا لا يمكنها أن تجعل من حاملها « كليما » آخرا . ويضغط اقبال على هذه الفكرة مرة ثانية وهو يوجه حديثه الى مصر ويقول ان القوة تظهر أحيانا فى سيف محمد وأحيانا فى عصا الكليم . كما يشير الى أن أبا الهول هو نفسه أخبره بهذه الحقيقة: يقول اقبال فى نظم بعنوان الى أهل مصر:

أهل مصر

خودأبو الهول نيه نكته أهل مصرسكهايا مجهكو
وه أبو الهول كه هصاحب أسرار قديم
دفعه جس سے بدل جاتى هـ تقدير أمم
هـ وقت كه حريف اسكى نهين عقل حكيم
هر زمان مين دكر كون هـ طبيعت اسكى
كبهى شمشير محمد هـ كبهى جوب كليم

يقول اقبال مخاطبا أهل مصر :

« ان أبا الهول نفسه هـو الذى علمنى هذه الحكمة يا أهل مصر .. أبو الهول صاحب الأسرار القديمة أن هناك قوة تتغير بها تقادير الأمم .. قوة لا يضارعها عقل أى حكيم.

قوة لها طبيعة تتغير مع كل زمان .. فتظهر أحيانا فى عصا الكليم وأحيانا فى عصا محمد .

وجنبا الى جنب سارت فكرة الخلافة بمحاذاة فكرة الوطنية . واقبال فى الواقع بدأ حياته الفكرية والشعرية فى هذه الحقبة العصيبة من تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية والعالم الاسلامى فكان من الضرورى أن يطلع على ما فيه من حركات وأن يتجاوب معها وفى العصر الذى اشتدت فيه وطأة الاستعمار الغربى على العالى الاسلامى لم ير اقبال بصيصا من الأمل الا فى تركيا على أساس أن فى مقدورها قيادة الأمة الاسلامية كلها . ولكن هذه الأمانى تحطمت وتحولت الى سراب بعد حركة مصطفى كمال المناهضة للاسلام ، فتحول شعر اقبال الى شرارة ضد هذه النزعة المناهضة للاسلام وضد أتاتورك والأتراك ويتحسر اقبال : « انكم أيها الأتراك أخذتم جوار أوربا وصحبتها مع أنكم كنتم بفضل الاسلام على مقربة من النجوم والكواكب » .

وفكرة الجامعة الاسلامية panhum alisw عند اقبال كفكرة سياسية ليس لها وجود ولو أنها وجدت أحيانا فان ذلك يكون فى خيال الذين يتصلون بسلطان تركيا ، وجمال الدين الأفغانى الذى يرتبط اسمه بحركة الجامعة الاسلامية كان يحلم فقط بتحقيقها فى صورة حكومة سياسية واحدة للمسلمين . ويقول اقبال : « انه من الجدير بالذكر أن نقول انه لا توجد مثلا فى لغة اسلامية عربية كانت أو فارسية أو تركية أو أردية فقرة ترادف كلمة panhum alisw وعلى كل حال فان الاسلام نظام اجتماعى لكل البشر وهو لم يقل أبدا بحدود قومية أو جغرافية ، ولو وضع هذا المفهوم

الانسانى نصب العين فان الانسان أى انسان سوف يفضل اللفظ البسيط الواضح « الاسلام » عن لفظة pan islamism وهنا يمكن أن نعد pan islamism موجودة وستبقى دائما . « ويستمر اقبال فى الحديث عن فكرة الجامعة الاسلامية فيقول :

« اننى أعتبر أن لفظة pon isleimism جعلت لتعنى نوعا من المكيدة فأفهم المسلمون فى العالم ضرورة التخطيط لنوع من الوحدة بين الدولة الاسلامية ضد الدول الأوربية .. أما عن الأفغانى فأنا لا أدرى هل استعمل هذا الاصطلاح نفسه أم لا ... ولكن الحقيقة أنه نصح كلا من أفغانستان وايران وتركيا أن يتحدوا ضد التوسع الأوربى وهذا يعتبر قياس دفاعى نقى وأنا شخصيا أعتقد أن جمال الدين الأفغانى كان على حق فى رأيه . وهنا وهناك حالة أخرى ينبغى استخدام هذه الكلمة فيها وهى أنها تحوى تعاليم القرآن وفى تلك الحالة فهى ليست موضوعا سياسيا ولكنها تجربة اجتماعية . والاسلام لا يعترف بالجنس أو اللون أو الطبيعة وفى هذه الحالة فان panhum alsw تعنى فقط الجماعة الاسلامية وهنا فان كل مسلم يكون panhum alsw بل نأمل أن يكون كذلك وعلينا أن نحذف كلمة pan islamism لأن الاسلام هو تعبير يغطى تماما المعنى الذى ذكرته سابقا » ولكن ماذا يقصد اقبال من كل هذا ... ؟

اقبال واضح وصريح ، والاسلام ديننا واضح لا غموض فيه ولا تعقيد ، واقبال يتخذ فكره مباشرة من القرآن الكريم والاسلام فى رأيه لا يعنى اقامة التشكيلات السياسية أو غيرها بل يعنى ببساطة تنفيذ شعائر الدين واطاعة أوامر الخالق .

واقبال حين وصل الى مصر ورأى حالها وقد مالت بعض الآراء الى اعادة الخلافة بل اتجهت الى تنصيب الملك خليفة ــ رأى أن يوجه خطابا مهذبا الى الملك والى أصحاب هذا الرأى ، يوضح لهم فيه أن فكرة الخلافة لا تعنى الملك والتاج فالخلافة أسلوب عمل اسلامى ينبع من داخل القلوب المؤمنة بربها

الخاشعة لخالقها . ويتساءل اقبال : من أين يأتى الفاروق « عمر » مرة ثانيــة ليفهم فاروق « ملك مصر » معنى الخلافة ... فما كان فى ذهن العلامة اقبال هــو خلافة أبى بكر وعمر .. وتســاؤل مستمر ، هل يمكن أن يعود هــذا الزمان الطاهر فى عصرنا هــذا ولأن فلسفة اقبال تقوم على الحركة ، فهــو يتمنى أن تهب رياح الصحراء من الجـزيرة العربيــة حيث نزلت الرســالة على سيد المرسلين ، وأن تثير أمواج نيل مصر ، وأن تقوم هذه الرياح المحملة بعطر النبوة ونقاء الرسالة المحمدية بابلاغ رسالة الفاروق « عمر » الى ملك مصر فاروق . يقول اقبال :

(هبى يارياح الصــحراء مــن جزيرة العرب .

وأثيرى موج نيل المصريين .

وبلغى فاروق رسالة الفاروق .

بأن يمزج الفقر والملك فى نفسه .

الخلافة هى أن يكون الفقر قرينا للتاج والملك .

فمــا أحسن هــذه الثروة التى لا تنتهى .

يا صاحب الحظ الفتى .

لا يفلت من يدك هذا الفقر .

فبدونه تموت المملكة بسرعة .

ان من يعرف أسرار اليقين .

يجعل النظرتين نظرة واحدة .

وقد مزجنا بنور قنديلين .

فــلا تفكر فى التفرقــة بين الملك والدين) .

وينهى اقبــال حديثــه الى الملك قائلا :

(المسلم الذى امتحن نفسه

جعل غبار طريقه سماء

اذا كان لديك شرارة من شوق فاحتفظ بها

فيمكن أن تخلق بها شمسا)

ونلمح من خلال هذه الأشعار ما تنبأ به اقبال للملك من زوال ملكه .. وقد تحقق ما تنبأ به لأن التجافى عن

تعاليم الاسلام كان علة العلل فى سقوط ملك مصر عن فاروق فهو فى نصحه له يكرر على سمعه ضرورة أن يستجيب لداعى العقل والقلب ، ويوصيه بأن يكون ذلك المؤمن الموقن الذى تبلغ به روحانية الدين ذروتها ويريد أن يرشده الى قصد السبيل على أن يطرح القشور ويهتم باللباب • ففى نظره أن الحصيف هو الآخذ بالجوهر لا بالمظهر • فهذا المفكر الاسلامى يريد أن يبدى برأيه فى سياسة الملك على أساس من مبادىء الاسلام ومثله وهى مبادىء ومثل أخذ بها حكامه الأولون • فتأتى لهم أن يقيموا أعظم دولة عرفها التاريخ • أثرت فيما لا يحصى من شعوب فى المشارق والمغارب تأثيرا يكشف كل يوم عن مزيد وجديد •

وكما ذكرت من قبل كان العلامة اقبال على دراية كاملة بالحركات السياسية التى تدور فى العالم الاسلامى وكما نعرف قاد عرابى حركته القومية الشهيرة ثم جاء بعده المهدى « السودانى » فقاد حركة اسلامية داخلية وجاءت هذه الحركة بعد حركة عرابى مباشرة ، واقبال كان يعرف أن مصر والسودان بلد واحد وهو هنا يشير الى المهدى السودانى قائلا : « الدرويش المصرى » يقول اقبال :

بوى خوش ازكلشتجنت رسيد
روح آن درويش‌مصر آمد بديد»

أى (انبعثت الروائح الزكية من بستان جنته وظهرت روح ذلك الدرويش المصرى) •

ولقد ضمن الدكتور عبد الودود شلبى هذه القصيدة بحثه للدكتوراه وأنصح القارىء بالرجوع اليها • وخلاصة القول أن اقبال يذكر مصر وأحوالها فى أماكن كثيرة من أشعاره الفارسية والأردية • الا أننى الآن أنتقل الى نوع جديد من الكتابة حيث يكون الناس على سجيته •• الا وهى كتابة الخطابات حيث يكتب الانسان الى صديقه أو زميله يعبر بصدق عن مشاعره واحساساته ، اقتبس هنا بعض ما كتب اقبال عن ذكرياته وهو يعبر الأراضى المصرية متوجها الى أوربا • والسطور

التالية مقتبسة من خطاب لاقبال كتبه الى أحد أصدقائه من كمبردج فى نوفمبر ١٩٠٥ م وهو خطاب من خمس صفحات كاملة تعبر عن مشاعره وهو فى السفينة من عدن حتى السويس :

« وصلنا الى السويس ••• طلع الينا فى السفينة عدد كبير من أصحاب الدكاكين المسلمين •• اشتريت بعض السجائر من شاب مصرى وأخذنا الحديث فقلت له اننى مسلم الا أنه لم يصدق وقال بعد أن نظر الى «الطاقية الانجليزية» على رأسى : لماذا تلبس «البرنيطة» • وكان عجيبا أن يتكلم الشاب بالأردية « المكسرة » فحين أخبرته اننى مسلم قال لى : تم بهى مسلمان هم بهى مسلمان « أنت مسلم وأنا مسلم أيضا » • وقد سررت كثيرا وقلت له مستفسرا : ألا يشرف الاسلام بوضع البرنيطة على الرأس •• فأجاب على الفور اذا كان المسلم بلا لحية فعليه أن يلبس الطاقية التركية « الطربوش » والا فما هى علامة كونه مسلما •وقلت بينى وبين نفسى : « ليت هذا المنطق الطيب ينتشر فى بلادنا (أى الهند) •••»

وكان هذا الصديق المصرى حافظا للقرآن فبدأت أرتل عليه بعض آيات القرآن الكريم ففرح وأمسك يدى يعتصرها بين يديه حبا والتف حولى جميع الباعة وأخذوا يرددون : ما شاء االله ما شاء الله وأخذوا يدعون لى بالتوفيق فى رحلتى •• وهكذا كانت الدقائق البسيطة التى هدفت الى بيع وشراء ليس الا •• كانت تعبيرا قويا عن قمة الأخوة الاسلامية •

ويستمر اقبال فى التعبير عن خواطره فيقول :

« ومرت بنا مجموعة من الشباب كان بينهم شاب يتكلم اللغة العربية بطريقة جميلة وكأنه يقرأ مقامات الحريرى ••• ووصلنا الى بورسعيد

حيث رأينا المدارس والمساجد وأرسلت بعض الخطابات الى بعض الأصدقاء الا أنه للأسف لم يصل أى منها حتى الآن ... » .

وعن نفس الذكريات يكتب اقبال الى أحد معاونيه فى لاهور يقول :

«وصلنا الى بورسعيد وكانت الساعة الثالثة صباحا وكنت نائما فأيقظنى دكتور مصرى اسمه سليمان فاستيقظت وجلست معه وتقابلت مع مجموعة من الشباب المصرى وكلهم أعضاء فى « جمعية الشبان المسلمين » ولقد سررت كثيرا بهذا اللقاء وأرسل الينا لطفى بيه وهو من أشهر المحامين بالقاهرة سلاما على لسان الدكتور سليمان وقدم لنا دعوة لزيارة القاهرة ...» .

وأود أن أقدم فى الصفحات التالية دليلا قاطعا وبرهانا ساطعا على ما كان لمصر وما كان للأزهر من مكانة فى قلب وفكر اقبال . فاقبال كان يعرف جيدا مكانة الأزهر ودوره فى الحفاظ على التراث الاسلامى وأترك الآن اقبال يحدث شيخ الأزهر الشيخ مصطفى المراغى :

من الدكتور محمد اقبال الى حضرة صاحب الفضيلة العلامة الشيخ مصطفى المراغى

شيخ الأزهر الشريف

أدام الله مجده

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

ان الأزهر الشريف له أهمية كاملة فى العالم الاسلامى ، وهو مركز علمى وحيد ولذلك يسرع اليه كل عطشان ليغترف من بحاره وهو المشار اليه عند كل حاجة علمية ودينية ولنا أيضا حاجة اليكم ..

انا أردنا أن نؤسس فى قرية من قرى البنجاب ادارة مهمة لم يسبق اليها أحد الى الآن ويكون لها شأن مع المعاهد الدينية الاسلامية ان شاء الله ..

اننا نريد أن تجمع عدة رجال من الذين فازوا فى العلوم الجديدة مع عدة من الذين تخصصوا فى العلوم الدينية ويكون فيهم صلاحية ذهنية بأعلى ما تكون وهم مستعدون لصرف وقتهم فى خدمة الدين الاسلامى ونجعل لهم رواقا متنحيا عن شعب الحضارةالجديدة والثقافة الحديثة ليكون لهم مركزا علميا اسلاميا ونرتب لهم فيه مكتبة يكون فيها كل ما يحتاج اليه من الكتب الجديدة والقديمة وما عدا ذلك يعين لهم قائد كامل صالح تكون له بصيرة تامة فى القرآن الحكيم ويكون خبيرا بما يحدث فى العالم الحاضر ليعلمهم روح كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويعاونهم على تحديد التفكر الاسلامى فىشعب الفلسفةوالحكمة والاقتصاديات والسياسيات كلهم يجاهدون بعلمهم وبأقلامهم فىسبيل احياء التمدن الاسلامى .

وهذا الاقتراح لا يحتاج أن يبين أهمية لصاحب الفضيلة كمثالكم ولذلك أرجو منكم أن تتفضلوا علينا بارسال رجل عالم مصرى متطوز على نفقة جامعة الأزهر ليساعدنا فى هذا الأمر وينبغى أن يكون ماهرا فى العلوم الشرعية وفى تاريخ التمدن الاسلامى ويجب أيضا أن يكون قادرا على اللغة الانكليزية ا . هـ . »

ولقد حصلت على هذا النص العربى لخطاب اقبال من أحد الأساتذة بلاهور وهو الأستاذ رفيع الدين هاشمى محاضر اللغة الأردية . وهناك تكملة للخطاب لا توجد فى هذا النص الموجود حاليا بل توجد فى ترجمة أردية للخطاب ووردت فى « اقبال ناهه الجزء الأول ص ٢٥١ ــ ٢٥٣ » وهذه ترجمة عربية لهذه التكملة التى لم ترد فى النص الموجود لدينا :

« هذا بالاضافة الى أن أعضاء الوفد المصرى الأزهرى الذى شرفنا بزيارته منذ أيام قد أخبرنى بأن الجامع الأزهر ينوى ارسال بعض الأساتذة على نفقته الى الهند .

واننى أطلب من سيادتكم تلبية طلبنا اذ أن هذا المركز الاسلامى الذى ذكرته لفضيلتكم سابقا أحق وأولى بأن ترسلوا اليه هؤلاء الأساتذة الذين يقومون بنشر الدعوة الاسلامية • واننى اذ أتمنى بل أدعو الله أن ينبعث نور دين الحق من هذا المركز الى جميع أطراف واكناف الهند أتمنى أن تتفقوا معى فى الرأى • وسوف أكون شاكرا لكم لو تفضلتم بسرعة اطلاعى على رأيكم فى هذا الصدد • مع وافر الاحترام والسلام » •

ولكن ما هى قصة هذا الوفد الأزهرى وما قصة هذا المركز الذى يشير اليه اقبال ••

فى سنة ١٩٣٦ م عقد جماعة من الهنادكة «الاجهوت» مؤتمرا أعلنوا فيه رغبتهم فى تغيير عقيدتهم بعقيدة أخرى • فبدأت جمعية تبليغ الاسلام نشاطا كبيرا لادخالهم فى الاسلام كما قامت صحف مصر بنشر هذا الخبر الذى نال اهتماما كبيرا من الأزهر فرأى ارسال وفد من العلماء الأزهريين الى الهند لتقصى الحقائق •

وطلب شيخ الأزهر الشيخ المراغى من العلامة اقبال الاستفسار عن امكانية توفير بعض المترجمين لمرافقة الوفد أثناء زيارته للهند فكتب اقبال الى نائب رئيس جمعية حماية الاسلام بلاهور حتى توفر الجمعية المترجمين وقال فى خطابه الى نائب رئيس الجمعية :

وصلنى خطاب من الشيخ المراغى شيخ الجامع الأزهر وقد نشر هذا الخطاب فى جريدة « احسان » اذ تنوى جامعة الأزهر ارسال وفد من العلماء الى الهند لنشر الدعوة الاسلامية وقد طلب منى الاجابة عن امكانية توفير مترجمين للوفد لترجمة خطبه وتقاريره ومرافقة الوفد فى جولته بالهند ••• وسوف تكون زيارة الوفد لمدة ثلاثة أشهر ••• أرجو أن تعرض الأمر على المجلس حتى أتمكن من الاجابة على شيخ الأزهر فى أسرع وقت ••»

ويصل الوفد المصرى القادم من جامعة الأزهر الى بمباى فى ١١ ديسمبر ١٩٣٦ م ومنها الى دلهى وبشاور ثم يصل الى لاهور وكان رئيس الوفد الشيخ حبيب أحمد أفندى ونائب رئيس الوفد الشيخ صلاح الدين النجار • وقد التقى الوفد بعلماء الهند والمفكرين المسلمين وقاموا بمعاينة الادارات والهيئات الاسلامية وفى لاهورالتقى الوفد بالعلامة اقبال • وأقيمت للوفد مأدبة غداء فى فندق سبنسر الذى لا يزال قائما حتى الآن بلاهور وذلك فى ٢٧ يناير وبعدها التقطت بعض الصور للوفد مع علماء الهند وهى موجودة حتى الآن وفكراقبال أن يصحب الوفد الى احدى المقاطعات الاسلامية فقد يفيد هذا فى تطوير النظم التعليمية للمقاطعة وكتب اقبال الى شمس الدين قريشى وزير التعليم فى مقاطعة بهاولبور (وهى المقاطعة التى رفضت الانضمام الى الهند بعد التقسيم رغم ما عرضته الهند من أموال على حاكمها الذى فضل الانضمام الى باكستان الدولة التى نشأت لتطبق الحياة الاسلامية فى حرية وبعيدا عن اضطهاد الهنادكة) •

كتب العلامة اقبال الى قريشى فى ٢٤ يناير ١٩٣٧ م قال فيه :

« ان علماء مصر (جامعة الأزهر) قد وصلوا صباح أمس من بشاور الى لاهور ، ويهدف وفد العلماءالى دراسة الحالة التعليمية لمسلمى الهند، وفى رأيى أنه من الضرورى أن يقوم الوفد بزيارة بها ولبور ان شيوخ مصر من العلماء الأفاضل والأساتذة العلماء الدارسين • واننى على يقين من أن سعادتكم وجميع أهل بهاولبور سوف تسرون جدا بلقائهم •

ويقيم الوفد الآن فى فندق الفلاتيز بلاهور وسوف يقيم حتى ٢٧ — ٢٨ (يناير) فاذا تفضلتم بدعوتهم فلتبرقوا اليهم على العنوان التالى: الوفد المصرى — فندق الفلاتيز — لاهور • والسلام » •

أما عن المركز الذى يشير اليه اقبال فتتلخص قصته فى أنه فى عام ١٩٣٥ م فكر رجل مسلم ويدعى

جودهرى نياز أحمد (توفى فى ٢٤ فبراير ١٩٧٦)فى اقامة مركز اسلامى وذلك بعد تقاعده من الخدمة الحكومية حتى يتمكن من خدمة الدين الجليل • واتصل الرجل باقبال وسمع منه اقبال وفرح بالفكرة واقترح عليه أن يكون المركز فى مكان تتوفر له جميع مقومات البيئة الاسلامية ويتتلمذ فيه شباب المسلمين ممن لديهم استعداد حتى يمكنهم أن يوجدوا قيادة اسلامية صحيحة فى العالم الاسلامى•ووافق جودهرى نياز على اقتراح اقبال فاشترى قطعة من الأرض (٦٠ فدانا) ووقفها لتعليم القرآن وألحق بها مسجدا ومكاتب للدرس ومكتبة ودارا لاقامة الطلبة وأماكن للسكن وغير ذلك ومما هو جدير بالذكر أن جودهرى نياز خان قد اتصل أيضا بالأستاذ أبى الأعلى المودودى وتشاور معه وقد وافقه الأستاذ المودودى على الفكرة وقدم اليه النصائح والارشادات ورأى العلامة اقبال أن يتصل بالشيخ المراغى حتى يرسل أحد أساتذة الأزهر الأفاضل ليقدم خدماته الى هذا المركز • وبسرعة تدل على ما كان عليه الأزهر من احساس بالمسئولية ــ ولا يزال ــ تجاه العالم الاسلامى يجيب شيخ الأزهر الشيخ المراغى :

حضرة الأستاذ الكامل الدكتور محمد اقبال

السلام عليكم ورحمة الله • قرأت خطابكم المؤرخ فى ٥أغسطس سنة ١٩٣٧ ويسرنى جدا ما عزمتم عليه من انشاء معهد يضم رجالا مثقفين على الطريقة الحديثة ورجالا مهروا فى العلوم الدينية • وقد طلبتم منى ارسال عالم على نفقة الأزهر يكون ماهرا فى العلوم الشرعية وتاريخ التمدن الاسلامى وقادرا على اللغة الانجليزية •

وانى آسف جدا اذ أصرح لكم بأنه لا يوجد عندنا أحد من علماء الأزهر قادرا على اللغة الانجليزية • فلم تدخل اللغة الانجليزية الأزهر الا فى السنة الماضية لطلاب الكليات ••

ولا أظن أنى استطيع اجابة طلبكم الا بعد عودة البعثة التى أرسلت فى العام الماضى الى انجلترا، وترانى هنا مستعدا لكل ما أقدر عليه . وستجدنى صريحا معك غاية الصراحة فى كل ما تريد ..

ولك تحياتى الخالصة ..

محمد مصطفى المراغى

ولو عاد اقبال ثانية لرأى جامعات باكستان ومدارسها تعج بأساتذة الأزهر الكرام يحققون رغبة اقبال وأمنيته القديمة .. يعلمون اللغة العربية والعلوم الاسلامية .. يرفعون اسم مصر عاليا ويرفعون اسم أزهرها فى الآفاق .. ويرجون مرضاة الله .. حفظ الله مصر وأزهرها ووفقنا جميعا الى خدمة الاسلام والمسلمين .

سمير عبد الحميد ابراهيم

● **وقفة عند آية :**

قال تعالى: «أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون » .

قال الحسن : هذا مثل قل والله من يعقله من الناس . شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه ، أفقر ما كان الى جنته وان أحدكم والله أفقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا .

وفى صحيح البخارى عن عبيد بن عمير قال : قال عمر يوما لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيم يرون هذه الآية نزلت (أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل).. الآية قالوا : الله أعلم . فغضب عمر فقال : قولوا نعلم أو لا نعلم ، فقال ابن عباس : فى نفسى منها شىء يا أمير المؤمنين فقال عمر: قل يا ابن أخى ولا تحقر بنفسك ، قال ابن عباس : ضربت مثلا لعمل قال عمر : أى عمل ، قال ابن عباس : لعمل. قال عمر : لرجل عمل بطاعة الله ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصى حتى أغرق أعماله .

طريق الهجرتين

تذكرة الحاج والمعتمر

لفضيلة الأستاذ الشيخ منشاوى عبود

تمهيـد :

بمناسبة شهر ذى الحجة رأيت أن أذكر بعض أحكام الحج والعمرة . لتكـون منارا يضىء معـالم هاتين العبـادتين ، وتعين على تصـحيح أدائهما ، وزادا يصـحبه المؤمن فى الوصول الى تقـوى ربه ، والفوز برضوانه ، كما أرشد الى ذلك قوله ـ جلت حكمته ـ « وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب (١) » .

معنى الحج :

الحج لغة : القصد والاتجاه الى شىء معظم .

وشرعا : زيارة أماكن مخصوصة بفعـل خـاص فى وقت معـين ، (الأماكن المخصوصة) المواضـع التى تؤدى فيها مناسك الحج،وهى الكعبة ، والصفا والمروة ، وعرفات، والمزدلفة ، ومنى .

(والفعل الخاص) العمـل الذى حدد الشارع القيام به فى كل مكان من هذه الأمكنة مع رعاية شرطه .

(والوقت المعين) أشهر الحج ، وهى شوال ، وذو القعدة ، وعشر ذى الحجة .

حكمة مشروعية الحج :

شرع الله تعالى الحج لمقـاصد كريمة ، وأهـداف سامية نجتزىء منها بما يأتى :

١ ـ فى التجـرد من الملابس المعتادة عند الاحرام بالحج ـ تذكير بأحـوال الآخـرة فيسـتعد لهـا المؤمن ، ويتزود من صالح الأعمال .

---

(١) سورة البقرة : آية ١٩٧

٢ ـ فيه تطبيق عملى لمبدأ المساواة بين الناس ، وأنه لا فضل لأحد على غيره الا بقدر التنافس فى الخير ، والاخلاص فى أداء العبادة .

٣ ـ تأليف القلوب ، واجتماعها على الطاعة ، وتوجيهها الى التعاون على البر والتقوى .

٤ ـ تعويد النفوس الصبر ، واحتمال المشقات ، ومحاولة التغلب على الصعاب ـ بعد الايمان بنبالة القصد ، وسمو الغاية .

٥ ـ الحج مؤتمر عام يتبادل فيه المسلمون التعرف على أحوالهم ، واقتراح العلاج الحاسم لحل مشاكلهم ، واعداد العدة لسلوك الطريقة المثلى فى تحقيق عزتهم ، وعلو مكانتهم .

٦ ـ وسيلة الى أن يشاهد المسلم مهبط الرسول الأمين ، وصحابته الأكرمين ، فيذكر مدى ما احتمله ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ من أعباء الدعوة حتى أظهر الله تعالى دينه ، وأتم نوره ، وأكمل نعمته ، ويذكر أيضا مقدار ما بذله أصحابه رضوان الله عليهم ـ من مؤازرة ومناصرة ، وتضحية وفداء ، وفى هذا التذكر دفع الى الاعتزاز بذلك الدين ، ومواصلة الجهاد فى سبيل اعزاز شأنه ، وتطبيق أحكامه ، ورفع رايته .

٧ ـ فى الحج شكر على ما أسبغ تعالى على عباده من نعمة العافية والمال .

حكمة الحج :

الحج فرض فى العمر مرة واحدة على كل فرد من ذكر أو أنثى ، اذا توفرت الشروط التى سنذكرها فيما بعد .

والصحيح أنه يجب حينئذ على الفور ، فمن قدر عليه يكون آثما بتأخيره .

دليل فريضته :

يدل على فرضيته الكتاب والسنة والاجماع ، أما الكتاب فقوله تعالى: « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » (١) .

---

(١) سورة آل عمران : آية ٩٧

وأما السنة : فروى البخارى عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله،وأن محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة، والحج ، وصوم رمضان) .

وأما الاجماع فقد اتفقت الأمة كلها على فرضيته ، فيكفر منكره ، لانكاره معلوما من الدين بالضرورة.

ويدل على فرضيته فى العمر مرة واحدة ما رواه أحمد ومسلم والنسائى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (يأيها الناس ، قد فرض الله عليكم الحج ، فحجوا ، فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ؟ فسكت حتى قالها ثلاثا ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لو قلت : نعم لوجبت ولما استطعتم) .

ويدل على وجوبه على الفور عند القدرة عليه ما يأتى :

١ — روى أحمد عن ابن عباس — رضى الله عنهما — عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (تعجلوا الى الحج ، يعنى الفريضة ، فان أحدكم لا يدرى ما يعرض له) .

٢ — روى سعيد فى سننه والبيهقى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : لقد هممت أن أبعث رجالا الى هذه الأمصار ، فينظروا كل من له جدة ولم يحج فيضربوا عليه الجزية ، ما هم بمسلمين ، ما هم بمسلمين . قوله : (جدة) أى غنى وقدرة .

فحديث ابن عباس ظاهر فى وجوب التعجيل نظرا لما تدل عليه صيغة الأمر وأثر عمر ظاهر أيضا فى الدلالة على وجوب المبادرة ، فان التهديد بوضع الجزية على من ترك الحج مع القدرة عليه، والاخبار بنفى الاسلام عنه — لا يكونان الا على ترك واجب.

شروط وجوبه :

هى التى اذا وجدت يفترض الحج، ويلزم الانسان ، وعددها ستة :

١ — الاسلام ، فلا يجب الحج على الكافر ، ولا يصح منه لأن من شرط صحته النية ، ولا تصح من كافر .

٢ ـ البلوغ ، فلا يجب على الصبى ، وان فعله صح منه ان كان مميزا ، ولا يجزئه عن الفريضة بعد البلوغ ، لقوله صلى الله عليه وسلم:

(أيما صبى حج عشر حجج ، ثم بلغ فعليه حجة الاسلام) .

٣ ـ العقل ، فلا يجب على مجنون ، ولا يصح منه .

٤ ـ الحرية ، فلا يجب على العبد .

٥ ـ الوقت ، فلا يجب الحج الا بعد دخول أشهره التى سبق ذكرها .

٦ ـ الاستطاعة ، وهى القدرة على الزاد والراحلة ، بشرط أن يكونا زائدين عن حاجياته الأصلية وعن نفقة من تلزمه نفقتهم مدة غيابه الى أن يعود .

والمراد بالراحلة ما يركبه من أراد الحج سواء كان طائرة ، أو باخرة أو سيارة ، أو دابة .

شروط وجوب أدائه :

هى التى اذا وجدت يلزم الشخص انجاز فعل الحج ، ويأثم بتأخيره .

ويشترط لوجوب الأداء خمسة شروط :

١ ـ صحة البدن ، فلا يجب الأداء على مقعد ، أو من أصابه شلل مثلا .

٢ ـ زوال المانع الحسى ، بألا يكون الشخص محبوسا .

٣ ـ أمن الطريق ، بأن يكون الغالب فيه السلامة ، سواء كان ذلك بحرا ، أو برا ، أو جوا .

٤ ـ كون المرأة غير معتدة من طلاق ، أو وفاة لقوله تعالى : « لا تخرجوهن من بيوتهن » (١) والحج يمكن أداؤه بعد انقضاء وقت العدة فى العام القادم .

٥ ـ وجود زوج أو محرم للمرأة ، والمحرم هو الذى لا يحل له زواجها ، ويشترط فيه أن يكون مأمونا ، بالغا ، عاقلا ، لأن مهمته لا تتأدى الا بتوفر هذه الشروط فيه .

---

(١) سورة الطلاق آية ١

ويـدل على اشـتراط الزوج أو المحرم فى أداء الحـج للمرأة ـ ما رواه البخـارى ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سـمع النبى صلى الله عليـه وسلم يخطب يقول : (لا يخلون رجل بامرأة الا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة الا مع ذى محرم ، فقام رجل ، فقال: يا رسول اللـه ، ان امرأتى خرجت حاجة ، وانى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا ، قـال : فانطلق ، فحج مع امرأتك) فليفطن لهذا من يتساهل فى خروج المرأة للحج من غير زوج ولا محرم .

شروط صحته :

هى التى اذا تحققت كان الحج معتبرا شرعا .

ويشـترط لصـحة أدائه أربعـة شروط .

(١) الاسـلام (٢) الاحـرام (٣) الوقت المخصوص (٤) عدم الجماع قبل الوقوف بعرفة .

أركان الحج :

للحج ركنـان فقـط : الأول : الوقوف بعرفة ، ولو لحظة .

ووقته : من زوال شمس يوم عرفة الى طلوع فجر يوم النحر .

دليله : ما رواه الخمسة عن عبد الرحمن بن يعمر أن ناسا من أهل نجد أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهـو واقف بعـرفة ـ فسألوه ، فأمر مناديا ينادى : الحج عرفة ، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك .

(قـوله : ليلة جمـع) أى ليلة المبيت بالمزدلفة ، وهى ليلة النحر ، فمن وقف بعرفة فى جزء من هـذا الوقت أجزأه ذلك عن ركن الوقوف .

الثانى : طواف الزيارة (ويسمى طواف الافاضة) .

ووقته : من طلوع فجر يوم النحر الى آخر العمر .

دليله : قوله تعـالى : وليطوفوا بالبيت العتيق (١) ويلاحظ أن بعض

---

(١) سورة الحج الآية ٢٩

أئمة الفقه ذهب الى أن أركان الحج أكثر من ذلك ، ولكن نرى الاقتصار على ما ذكر — وهو مذهب الحنفية — لما فيه من التيسير .

وقت الحج :

هو كما سبق — شوال ، وذو القعدة ، وعشر ذى الحجة لقوله تعالى : «الحج أشهر معلومات» (٢) وقد فسرها العلماء بما ذكر .

معنى الاحرام :

نية الدخول فى الحج أو العمرة مع اقتران النية بالتلبية ، أو بمطلق ذكر لله تعالى — وللاحرام مواقيت لا يجوز للانسان أن يتجاوزها بدون أن يحرم بحج أو عمرة .

مواقيت الاحرام :

للاحرام ميقات زمانى : وهو الوقت المخصوص الذى سبق بيانه ، وميقات مكانى : وهو يختلف باختلاف الجهات — فأهل مصر والشام والمغرب ميقاتهم الجحفة : وهى قرية بين مكة والمدينة ، وهى خربة الآن ، ويقوم مقامها القرية المعروفة برابغ .

وأهل العراق ميقاتهم ذات عرق ، وهى قرية على مرحلتين من مكة .

وأهل المدينة ميقاتهم ذو الحليفة ، وهى موضع بينه وبين المدينة خمسة أميال .

وأهل اليمن والهند ميقاتهم يلملم ، وهو جبل على مرحلتين من مكة .

وأهل نجد ميقاتهم قرن ، وهو جبل مشرف على عرفات ، وعلى مرحلتين من مكة .

وهذه المواقيت لأهل هذه الجهات المذكورة ، ولكل من مر بها أو حاذاها برا أو بحرا أو جوا وان لم يكن من أهل جهتها ، فمن مر بميقات أو حاذاه قاصدا الحج أو العمرة وجب عليه الاحرام منه ، ولا يجوز له أن يتجاوزه بدون احرام .

---

(١) سورة البقرة : آية ١٩٧

واجبات الحج :

انشاء الاحرام من الميقات – مد الوقوف بعرفات الى الغروب – الوقوف بالمزدلفة فيما بعد فجر يوم النحر وقبل طلوع الشمس – ايقاع طواف الزيارة فى أيام النحر – السعى بين الصفا والمروة – ويشترط أن يقع السعى بعد طواف معتد به – بدء السعى من الصفا بداءة كل طواف بالبيت من الحجر الأسود – رمى الجمار – الحلق أو التقصير – طواف الوداع .

سنن الحج : منها الاغتسال ولو لحائض أو نفساء – عند ارادة الاحرام – لبس ازار ورداء جديدين أبيضين – الاكثار من التلبية بعد الاحرام – طواف القدوم لغير المكى .

كيفية الاتيان بافعال الحج مرتبة :

اذا أراد الشخص الدخول فى الحج فانه يقص شعره ، وينظف بدنه ، فيغتسل ، أو يتوضأ والغسل أفضل ، لأنه أبلغ فى التنظيف ، ويخلع ملابسه المعتادة ، ويلبس الرجل ازارا يستر النصف الأسفل من بدنه ورداء يستر النصف الأعلى ، والأفضل أن يكونا جديدين أبيضين ، ويتطيب ، ويصلى ركعتين ، ثم ينوى الحج ، ويقول : اللهم انى أردت الحج فيسره لى وتقبله منى ، ويقرن النية بالتلبية ، وهى : (لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك) (١) وبهذا يصير محرما ، فيحرم عليه الرفث (جماع الزوجة) والمعاصى ، وقتل صيد البر ، والاشارة اليه ، والدلالة عليه ، ولبس المخيط ، والحلق أو التقصير ، وتغطية الرأس والوجه ، ويجوز له الاغتسال ، والاستظلال بالخيمة ونحوها ، وبالمظلة – فاذا وصل مكة يقصد المسجد الحرام ملبيا فى دخوله ، خاشعا لربه ، مصليا على النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم يطوف حول الكعبة سبعة أشواط ، يفتتح كل شوط بالحجر الأسود ، ويختتمه به ، ويسمى هذا الطواف (طواف القدوم) وبعده يصلى ركعتين فى

(١) معنى (لبيك اللهم لبيك) : أجبتك الى ندائك لى بالعبادة والطاعة اجابة بعد أخرى .

مقام ابراهيم ، أو فى أى موضع آخر من المسجد ، ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط ، يبدأ بالصفا ماشيا بسكينة الا بين الميلين الأخضرين ، فيسرع ، ويختم الشوط بالمروة — وبعد السعى يقيم بمكة محرما ، ويطوف بالبيت كلما بدا له ، فاذا طلعت شمس اليوم الثامن من ذى الحجة ذهب الى منى ، وبات بها ، وبعد أن تطلع شمس اليوم التاسع يذهب الى عرفات فيقيم بها ، ويصلى مع الامام الظهر والعصر جمع تقديم بعد زوال الشمس ، ويسمى هذا جمع تقديم ، لأن صلاة العصر أديت قبل وقتها ، ثم يتوجه المحرم بالحج الى جبل عرفات ، فيقف عليه ولو لحظة ، ويطلب منه أن يستمر الى الغروب ، ثم بعد الغروب يذهب الى المزدلفة ، ويصلى بها المغرب والعشاء جمع تأخير ، ويبيت بها ليلة اليوم العاشر ، وفى صباح هذا اليوم يصلى الفجر ، ثم يقف بالمزدلفة ولو لحظة مجتهدا فى الدعاء كما يجتهد فيه أيضا أثناء وقوفه بعرفة — وفى أثناء وجوده بالمزدلفة يجمع منها الحصى لتيسر وجوده بها ، ثم يفيض منها قبل طلوع الشمس ، فيأتى منى ويرمى جمرة العقبة بسبع حصيات ، ثم يذبح المفرد شاة ان أحب ، ثم يحلق أو يقصر ، وحينئذ قد حل له كل شىء كلبس المخيط واستعمال الطيب الا الاتصال بالنساء — فيأتى الى مكة ، ويطوف حول الكعبة سبعة أشواط ، وهذا الطواف هو الركن الثانى — ومتى انتهى منه حل له النساء ثم يعود الى منى ، فيقيم بها ، فاذا زالت شمس اليوم الحادى عشر رمى الجمرات الثلاث : الصغرى ، فالوسطى ، فالكبرى (جمرة العقبة) كل جمرة بسبع حصيات ، وكذلك يفعل فى اليوم الثانى عشر .

والآن قد تم حجه ، فيرجع الى مكة ، ويطوف بالبيت طواف الوداع ، ويصلى بعده ركعتين ، ثم يأتى زمزم ، فيشرب من مائها ، وينوى بشربه ما شاء ، وكان ابن عباس رضى الله عنهما اذا شربه

يقول : اللهم انى أسألك علما نافعا، ورزقا واسعا ، وشفاء من كل داء.

وبعد شربه يأتى الى الكعبة ، ويتشبث بأستارها ساعة يتضرع الى الله تعالى بالدعاء بحسن القبول وسعادة الدنيا والآخرة •

والمرأة كالرجل فى جميع ما تقدم غير أنها لا تكشف رأسها ، ولا تسرع فى سعيها ، ولا ترفع صوتها بالتلبية ، ولا تحلق ، ولكن تقصر، فتأخذ من رأسها بقدر الأنملة • ويحل لها لبس المخيط •

العمرة

معناها :

العمرة لغة الزيارة ، يقال : أعمره اذا زاره — وشرعا زيارة البيت الحرام على وجه معين سيأتى بيانه •

حكمها :

سنة مؤكدة فى العمر مرة واحدة ويرى بعض الأئمة فرضيتها كالحج، ولكن نختار القول الأول ، لما فيه من التيسير ، ولما يأتى من ذكر الدليل •

دليلها :

يدل على سنيتها وأنها ليست فرضا ما رواه ابن ماجه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (الحج مكتوب والعمرة تطوع) •

وقتها :

تصح فى أى وقت من السنة ، ولكنها تكره تحريما فى يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق ، وتستحب فى رمضان ، لما رواه الجماعة الا الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (عمرة فى رمضان تعدل حجة) والمراد تعدلها فى الثواب ، لا أنها تقوم مقامها فى اسقاط الفرض •

ميقاتها :

ميقات الحج لمن كان خارج مكة؛ وأما من كان بمكة؛ سواء كان من أهلها أو غريبا فان ميقاته فى العمرة الحل ، وهو ما عدا الحرم (الذى يحرم التعرض فيه للصيد) وأفضل الحل التنعيم ، وهو مكان يسمى الآن بمسجد عائشة •

كيفيتها :

أن يحرم بها من الميقات ، بأن يغتسل ، أو يتوضأ ، ويلبس ملابس الاحرام (الازار والرداء) ويصلى ركعتين ، وينوى العمرة ، ويقول : اللهم انى أردت العمرة فيسرها لى وتقبلها منى ، ويقرن النية بالتلبية ، فيقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لاشريك لك. وبهذا صار محرما بها ، فاذا دخل مكة يطوف حول البيت سبعة أشواط ، ثم يصلى ركعتين ، وبعد صلاتهما يسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط ــ على نحو ما ذكر فى الحج ــ ثم يحلق أو يقصر ، وبهذا تمت أعمال العمرة .

ما يجوز لمن أراد الاحرام :

من أراد الاحرام فهو مخير بين أمور ثلاثة : (١) الافراد (٢) التمتع (٣) القران .

أما الافراد :

فهو الاحرام بالحج وحده ، وتقدمت لك كيفية الأداء لمن أحرم بالحج وحده .

وأما التمتع فمعناه لغة : الارتفاق والانتفاع وشرعا : أن يحرم الشخص بالعمرة أولا فى أشهر الحج ، وبعد الاتيان بأفعالها والتحلل منها يحرم بالحج ويكون ذلك فى سفر واحد.

كيفيته :

أن الشخص بعد أن يغتسل أو يتوضأ ، ويلبس ملابس الاحرام (الازار والرداء) ويصلى ركعتين ينوى من الميقات الاحرام بالعمرة وحدها ، ويقول : اللهم انى أردت العمرة فيسرها لى ، وتقبلها منى ، ويقرن النية بالتلبية ، فيقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك . وبهذا صار محرما بها ، فبعد دخول مكة يؤدى أفعالها ، فيطوف حول البيت سبعة أشواط ، ثم يصلى ركعتين ، ويسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط ، ثم يحلق أو يقصر ، وبهذا تحلل من احرامه ، فيحل له كل شىء كان محظورا عليه بسبب

الاحرام ، ويبقى حلالا الى أن يأتى يوم الثامن من ذى الحجة ، فيحرم بالحج من نفس مكة ، ويأتى بجميع أفعاله على الترتيب الذى تقدم فى بيان كيفية أعمال الحج .

هدى الشكر :

فاذا رمى جمرة العقبة يوم النحر (العاشر من ذى الحجة) وجب عليه ذبح شاة ، أو اشتراك مع ستة فى ذبح بدنة ، وهى الواحدة من الابل أو البقر ، ووجب عليه هذا الذبح شكرا لله تعالى ، حيث يسر له أداء العمرة والحج فى سفر واحد ، وتلك نعمة كبرى تستوجب الشكر بالذبح ، فان لم يجد ما يذبح فعليه أن يصوم ثلاثة أيام قبل يوم النحر وسبعة بعد تمام الحج ، وان صامها بمكة بعد فراغه من الحج ، وبعد مضى أيام التشريق جاز لقوله تعالى : « فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة » (١)

وقوله تعالى : « اذا رجعتم » يراد به فرغتم من أعمال الحج ، اذ الفراغ سبب الرجوع الى الأهل ، فكان الأداء بعد السبب فيجوز .

وأما القران :

فمعناه لغة الجمع بين شيئين وشرعا الاحرام بحج وعمرة معا .

كيفيته :

أن الشخص بعد أن يغتسل أو يتوضأ ، ويلبس ملابس الاحرام (الازار والرداء) ويصلى ركعتين ينوى من الميقات الجمع فى الاحرام بين الحج والعمرة ، ويقول : اللهم انى أردت الحج والعمرة فيسرهما لى ، وتقبلهما منى ، ويقرن النية بالتلبية ، فيقول :

لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، ان الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ، وبهذا يصير محرما بهما ، فاذا دخل مكة بدأ بأفعال العمرة ، فيطوف حول الكعبة سبعة أشواط ، ثم يصلى ركعتين ، وبعد صلاتهما يسعى بين

---

(١) سورة البقرة : ١٩٦

الصفا والمروة سبعة أشواط ، ولكنه لا يحلق ولا يقصر لبقاء احرامه بالنسبة للحج فيشرع فى أعمال الحج ، فيطوف طواف القدوم ، ويصلى ركعتين ، ويسعى بين الصفا والمروة ، ويتم هذه الأعمال على الترتيب الذى تقدم فى بيان كيفية أعمال الحج •

هدى الشكر :

فاذا رمى جمرة العقبة يوم النحر وجب عليه ذبح شاة،أو اشتراكه مع ستة فى ذبح بدنة ، وهى الواحدة من الابل أو البقر — ووجب عليه هذا شكرا لله تعالى ، حيث يسر له أداء العمرة والحج ، وتلك نعمة كبرى تستوجب الشكر بالذبح ، فان لم يجد ما يذبح فعليه أن يصوم ثلاثة أيام قبل يوم النحر وسبعة بعد تمام الحج ، وان صامها بمكة بعد فراغه من الحج ، وبعد مضى أيام التشريق جاز لقوله تعالى : «فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة » (١)

والنص وان ورد فى التمتع فالقران مثله،لأن القارن أيضا متمتع ومرتفق بأداء النسكين — وقوله تعالى « اذا رجعتم» يراد به — كما سبق — فرغتم من أعمال الحج ، اذ الفراغ سبب الرجوع الى الأهل فكان الأداء بعد السبب فيجوز •

ويدل أيضا على وجوب الهدى على القارن ما رواه الشيخان عن عائشة رضى الله عنهما أنه صلى الله عليه وسلم (ذبح عن نسائه البقر يوم النحر وكن قارنات » •

المفاضلة بين الافراد والتمتع والقران:

اختلف الفقهاء فى الأفضل من هذه الأنواع والذى نختاره أن التمتع أفضل من الافراد لما فيه من الجمع بين النسكين ، وأن القرآن أفضل من الافراد والتمتع ، لأن فيه مع الجمع بين النسكين أنه أشق لكونه أدوم احراما ، ولأن فيه مسارعة الى العبادة ، ولأنه الثابت من حال النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع ، روى الشيخان عن أنس رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبى بالحج والعمرة جميعا يقول :

(لبيك عمرة وحجا) وروى أحمد والبخارى وابن ماجة وأبو داود

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بوادى العقيق يقول : (أتانى الليلة آت من ربى ، فقال : صل فى هذا الوادى المبارك ، وقل عمرة فى حجة) وفى رواية أخرى للبخارى : (وقل عمرة وحجة) •

((حكم من ارتكب محظورا من محظورات الاحرام)) :

محظورات الاحرام تنقسم من حيث ما يترتب على ارتكابها الى ستة أقسام •

الأول : ما يفسد الحج ، الثانى : ما يوجب ذبح بدنة (وهى الواحدة من الابل التى مضى عليها خمس سنين ، أو من البقر التى مضى عليها سنتان وسميت بذلك لوفرة بدنها وجسمها) •

الثالث : ما يوجب ذبح شاة (وهى الواحدة من الغنم التى مضت عليها سنة) •

الرابع : ما يوجب صدقة قدرها نصف صاع •

الخامس : ما يوجب صدقة قدرها أقل من نصف صاع •

السادس : ما يوجب القيمة •

فأما الذى يفسد الحج فهو الجماع اذا حصل من المحرم قبل الوقوف بعرفة وأما ما يوجب بدنة فأمران : أحدهما : الجماع بعد الوقوف بعرفة وقبل الحلق ، ثانيهما أن يطوف الشخص طواف الزيارة وهو جنب ، أو تطوف المرأة وهى حائض أو نفساء •

وأما ما يوجب ذبح شاة : فهو أن يلبس الرجل الثوب المخيط ، أو أن يستر رأسه يوما كاملا ، أو يحلق ربع رأسه ، أو يقص أظافر يد أو رجل ، أو يترك أى واجب من واجبات الحج التى تقدم بيانها •

وأما ما يوجب صدقة قدرها نصف صاع فهو ما لو لبس الرجل المخيط أقل من يوم كامل ، أو ستر رأسه كذلك ، أو حلق أقل من ربع رأسه أو قص ظفرا أو ظفرين ، ويصح دفع قيمة المقدار الواجب بالنقود ، ويقدر بخمسة عشر قرشا مصريا تقريبا •

وأما ما يوجب صدقة أقل من نصف صاغ : فهو ما لو قتل المحرم قملة أو جرادة فيتصدق بما شاء •

وأما ما يوجب القيمة :

فهو ما لو قتل المحرم صيد البحر ، فيقومه عدلان فى مكان قتله أو فى مكان قريب منه ، فان بلغت قيمته ثمن هدى (شاة مثلا) خير الشخص بين أمور ثلاثة :

أحدها : أن يشترى بهذه القيمة هديا يذبحه فى الحرم •

ثانيها : أن يشترى بها طعاما يتصدق به على الفقراء فى أى مكان لكل واحد نصف صاع •

ثالثها : أن يصوم بدل كل نصف صاغ يوما ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال أمره » (١) •

وان كانت قيمة الصيد أقل من ثمن الهدى خير الشخص بين الاطعام والصيام — وتتعدد قيمة الصيد بتعدد القاتلين المحرمين ، وان لم يقتل الجانى الصيد وانما نقصه ، فأخرجه عن القدرة على الامتناع بنفسه ، وأصبح فى متناول الأيدى — فعليه قيمته كذلك ، لأنه بعد أن صار عاجزا عن الفرار كان فى حكم المقتول •

(مسائل)

لأهمية بعض المسائل أحببت التنبيه عليها على الوجه الآتى :

١ — يجوز تقديم الاحرام على الميقات ، لأنه مسارعة الى الطاعة •
وان لم يخرجه النقص عن القدرة على الامتناع بنفسه — فعلى الجانى قيمة النقص فقط ، لأن جزاء كل جناية يقدر بقدرها •

ما لا يجب بقتله شىء :

لا يجب شىء بقتل غراب ، وحدأة ، وعقرب ، وثعبان ، وكلب عقور ،

---

(١) سورة البقرة : ١٩٦

لأن قتل مثل هذا لا يعتبر تعـديا ، اذ يراد به دفع الأذى •

حكم المحرم المريض أو المضـطر الى فعل محظورات الاحرام :

من كان مريضا ، أو كان مضطرا الى حلق رأسه ، أو لبس قميصـه مثلا لحر أو برد ــ أبيح له ذلك ، ولزمته الفـدية ، وهى صيام ثلاثة أيام ، أو اطعام ستة مساكين ، لكل مسكين نصف صـاع من بر ، أو صاع من غيره ، أو ذبح شاة ، كما قال تعالى : « فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » (١) •

وروى البخارى ومسلم عن كعب ابن عجـره رضى الله عنـه قال : حملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقمـل يتناثر على وجهى فقال ما كنت أرى الوجع بلغ بـك ما أرى ، أتجد شـاة ؟ قلت لا ، قال : تصوم ثلاثة أيام ، وتطعم ستة مساكين ، لكل مسكين نصف صاع)•

والحديث وان كان ظاهره تقديم النسك (ذبح الشاة) على النوعين الآخرين ــ اذا وجد ــ الا أن ظاهر الآيـة الكريمـة وسـائر روايات الحديث ــ تفيد التخيير بين الأنواع

٢ ــ من جاوز الميقـات بدون احرام ، ثم عاد اليه ، وأنشأ الاحرام منـه لا يلزمـه شىء ، لأن سبب المخالفة قد زال •

٣ ــ يجـوز للمحرم أن يشد على وسطه الحزام الذى يضع فيه النفقه •

٤ ــ اذا أقيمت الصلاة والمحرم يؤدى الطواف أو السـعى ، صلى وبنى بعد صلاته على ما فعله قبلها •

٥ ــ عند الطواف يستلم الشخص الحجر الأسود ويقبله بلا ايذاء لأحد وعند الازدحام يستقبله مشيرا اليه بباطن كفيه ، وتكره المزاحمـة على استلامه ــ روى الامام أحمد قولـه صلى لله عليه وسلم : (يا عمر انك رجل قوى ، فلا تزاحم على الحجر ،

---
(١) سورة المائدة : ٩٥

فتؤذى الضعيف ، ان وجدت خلوة فاستلمــه ، والا فاستقبله وهــلل وكبر) .

٦ ــ اذا حــدث للمرأة حيضــ أو نفاس ، فذلك لايمنع من الاحرام، فتحرم وتمضى فى جميع أعمال الحج من الوقوف والرمى وغيرهما ، لكنها لا تطوف ، ولا تسعى حتى تطهر ، لأن الطــواف والســعى مكانهمــا المسجد ، وهى فى هذه الحالة ممنوعة من دخوله .

٧ ــ الهدى الذى يجب ذبحه على القارن أو المتمتع يجوز لكل منهما الأكل منه ، لأنه دم شكر على الجمع بين النسكين .

وأما الهدى الذى يجب ذبحه بسبب ارتكــاب محظور مــن محظورات الاحرام فلا يجوز الأكل منه ، لأنه دم جناية على الاحرام ، فيطعم كله للفقراء .

٨ ــ يجــوز لمن عجــز عن رمى الجمار لمرض أو كبر سن أو حمل ــ أن يوكل من يرمى عنه لقوله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » (١) .

ولأن زمن الرمى يفــوت ، ولا يشرع قضــاؤه ، بخلاف غيره من المناسك كالطــواف والسعى ، فلا تجوز الاستنابة فيهما .

٩ ــ حصى الجمار لا يلزم لقطه من المزدلفة ، بل من أى موضــع لقط المحرم منه الحصى أجزأه ذلك ، ولا يستحب غسل الحصى قبل أن يرمى به ، لأن ذلك لم ينقل عن النبى صلى الله عليــه وســلم ، ولا عن أصحابه رضوان الله عليهم .

١٠ ــ ينبغى للمســلم أن يتمثل الاخــلاص والخشــوع فى جميع مراحل العبادة ويكثر من العمــرة والحج ما وسعه ذلك ــ ليظفر بما أعد لهذا من مغفرة وتطهير ، وفضل سابغ وعطاء جزيل ــ روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) سورة التغابن : ١٦

(العمرة الى العمرة كفارة لما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة) .

« زيارة النبى صلى الله عليه وسلم »

تمهيد : يجدر بمن من الله تعالى عليه بالحج أن يتجه الى زيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام ، فان ذلك مظهر من مظاهر الود والوفاء والتكريم له صلوات الله وسلامه عليه ، فانه الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، والقائد الرشيد الى كل ما يتم لنا من هدى مستنير ، وسلوك قويم ، فليس عجبا أن يعتبر التقصير فى هذه الزيارة — بعد تيسرها — لونا من ألوان الجفاء ، والتنكر للمعروف ، روى ابن عدى والطبرانى أنه صلى الله عليه وسلم قال :

(من حج ولم يزرنى فقد جفانى) .

حكم الزيارة :

من أفضل المندوبات والمستحبات ، ويسن لمن توجه الى زيارة قبره عليه الصلاة والسلام — أن ينوى أيضا زيارة المسجد النبوى ، فانه أحد المساجد الثلاثة التى تشد اليها الرحال ، وفيه يضاعف ثواب الصلاة أكثر من غيره الا المسجد الحرام .

روى الامام أحمد وابن ماجة عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عيه وسلم قال : (صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه) .

منهج الزائر :

يطلب منه أن يكثر من الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى الطريق الى المدينة ، وقبل دخولها يغتسل ان أمكنه ، أو يتوضأ ، ويتطيب ويلبس أحسن ثيابه ، ويدخلها متواضعا عليه السكينة والوقار ، فاذا وصل الى المسجد استحب له أن يقدم رجله اليمنى عند دخوله ، ويقول — كما يقول عند دخول كل مسجد — : بسم الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم ، اللهم افتح لى أبواب رحمتك ، ويصلى ركعتين تحية

المسجد ، ويدعو بعدهما بما أحب من خيرى الدنيا والآخرة ، وان صلاهما فى الروضة الشريفة فهو أفضل وأعظم أجرا — لما رواه الامام أحمد والشيخان والنسائى عن عبد الله بن زيد المازنى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة) ثم ينهض ، فيتوجه الى قبره صلى الله عليه وسلم فيقف بمقدار أربعة أذرع بعيدا عن المقصورة الشريفة ، بغاية الأدب ، مستدبر القبلة محاذيا رأسه صلى الله عليه وسلم ووجهه الأكرم ، ملاحظا نظره اليها وأنه يسمع كلامك ، ويرد عليك سلامك ، فتقول : السلام عليك يا سيدى يا رسول الله ، السلام عليك يا نبى الله ، السلام عليك يا حبيب الله ، السلام عليك يا نبى الرحمة ، السلام عليك يا شفيع الأمة ، السلام عليك يا سيد المرسلين ، السلام عليك يا خاتم النبيين ، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين ، جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ، ورسولا عن أمته ، أشهد أنك رسول الله ، قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وأوضحت الحجة ، وجاهدت فى سبيل الله حق جهاده ، وأقمت الدين حتى أتاك اليقين ، وتبلغه سلام من أوصاك ، فتقول : السلام عليك يا رسول الله من فلان ثم تصلى عليه بما شئت .

ثم تتحول قدر ذراع حتى تحاذى رأس الصديق أبى بكر رضى الله عنه وتقول : السلام عليك يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، السلام عليك يا صاحبه وأنيسه فى الغار ، ورفيقه فى الأسفار ، وأمينة فى الأسرار ، جزاك الله عنا أفضل ما جزى اماما عن أمة نبيه ، فقد خلفته بأحسن خلف ، وقاتلت أهل الردة والبدع ، ووصلت الأرحام ، ولم تزل قائما بالحق ناصرا للدين وأهله حتى أتاك اليقين .

ثم تتحول قدر ذراع كذلك حتى تحاذى رأس أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضى الله عنه ، فتقول : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، السلام عليك يا مظهر الاسلام ، السلام عليك يا مكسر الأصنام ، لقد كفلت الأيتام ، ووصلت الأرحام ،

وجمع الله بك شمل المسلمين،وكنت لهم اماما مرضيا وهاديا مهديا ، جزاك الله أفضل الجزاء ، ويسن للزائر زيارة قبور البقيع وقبور الشهداء ، وقبر حمزة رضى الله عنه لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان يزورهم ويدعو لهم ، ولما أخرجه مسلم من قوله عليه الصلاة والسلام: زوروا القبور فانها تذكركم الآخرة.

وأخرج مسلم أيضا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعلم أصحابه اذا زاروا القبور أن يقولوا :

السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية .

ويستحب أيضا للزائر أن يزور مسجد قباء ، ويصلى فيه ، لما فى ذلك من عظيم الأجر والجزاء — فقد روى الشيخان عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يزور مسجد قباء راكبا وماشيا ، ويصلى فيه ركعتين .

وروى الامام أحمد والنسائى وابن ماجة والحاكم عن سهل بن حنيف رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من تطهر فى بيته ، ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة كان له كأجر عمرة .

وفقنا الله تعالى لحج مبرور ، وعمل مشكور ، ومنحنا على ذلك موفور الجزاء وسابغ العطاء .

منشاوى عثمان عبود

استدراك :

وقع سهو فى الجزء الثامن من السنة الثامنة والأربعين فى ص ١٢٢٠ سطر ٩ وصحة الآية : « ومن آياته أن خلق لكم .. الخ الآية فوجب التنويه » المجلة .

رسالة من سجين أمريكي

التحرير

أكتب اليكم هذه الرسالة من سجنى فى ولاية أوهايو بالولايات المتحدة ، وأود أولا أن أبين لكم أننى مسلم سنى ، اعتنقت الاسلام سبيلا لى فى الحياة عندما من الله على برحمته فهدانى الى الاسلام عندما دخلت هذا السجن •

ولقد قررت الكتابة اليكم بعد أن قرأت نسخة من بيان « حرب فلسطين » الذى أصدرته جمعيتكم قبل حين ، ولقد قرأت كذلك كتبا ونشرات أخرى عن الصهيونية وما يحاول الصهاينة أن يفعلوه تدريجيا وببطء فى هذا العالم وعن حقيقة أهدافهم ، كما أنى درست بروتوكولات حكماء صهيون ، ولا بد لى أن أضيف هنا أنه لو أمسكت سلطات السجن بهذه الكتب فى أيدى السجناء المسلمين لكانت ثمة مشكلة كبيرة جدا ، أما عن أهداف الصهيونية فلا يسعنى الا أن أقول ان المرء اذ ينظر الى التاريخ والى ما يجرى اليوم فى العالم يتبين كيف يحقق الصهاينة أهدافهم تدريجيا ، لا فى منطقة الشرق فحسب ، بل وفى الولايات المتحدة كذلك ، وأعتقد يقينا أن الوسيلة الوحيدة للحيلولة دون وصول الصهاينة الى أهدافهم النهائية هى أن يقف المسلمون فى سائر أنحاء العالم صفا واحدا لايقاف الصهاينة عند حدهم باستخدام القوة ، وأعتقد جازما أنه لا يمكن أن يحل السلام فى العالم الا اذا تكاتف المسلمون فى كفاح منسق ضد الصهيونية ، وانى أشعر بتعاطف كامل واتفاق فى الرأى مع أولئك الذين يقاتلون لاسترجاع فلسطين واخراج اليهود منها وآمل أن أستطيع فى يوم قريب أن أشارك

كمسلم فى الكفاح للتغلب على ما يجرى فى هذه الأيام ..

أعود فأقول اننا معشر المسلمين فى هذا السجن نشعر تماما بما يجرى فى الشرق ونحس أننا نعانى البلاء على أيدى الصهيونية والماسونية التى يديرها اليهود ، وعلى أيدى أولئك الذين يسيطرون على الولايات المتحدة بما لهم من ثروات ضخمة ، ولكن الأمر الذى يبعث الحيرة فى نفسى ولا أستطيع فهمه ، هو كيف ينخدع كثير من المسلمين فى البلاد الاسلامية بالحياة الغربية وأساليبها ، فلقد لاحظت أن الدول التى تسعى لاقامة نظام اسلامى قد تركت الغرب بما يقدم من أموال وقروض ـ يضع فى الحكم فى هذه الدول أشخاصا يعارضون قيام أية دولة اسلامية ، واننى لا أستطيع أن أفهم كيف يتنكب أبناء هذه البلاد منهاج الاسلام ويتبعون الأساليب الغربية فى الحياة ، كيف بالله يترك هؤلاء الاسلام بعد ما عرفوا عن الغرب وما فعله الغربيون فى كل أنحاء العالم ... ؟ أفلا ينظرون الى تعاطى الشباب فى الغرب المخدرات وانتشار ادمان المسكرات ، وكثرة حوادث الانتحار بين الشباب الصغار ثم ألا ينظرون الى التفرقة العرقية ، وما يعانيه السود فى أمريكا .. ؟ أو الى ما يعانيه الفقراء من البيض .. ؟ أفلا يرى أولئك المسلمون فى هذا انذارا بعاقبة من يقلدون الغرب تقليدا أعمى .. ؟ اننى اذ أسمع عن الضحايا المسلمين الذين يتساقطون فى بلدان كثيرة ، وعن الشيوخ والنساء والأطفال الذين قتلهم اليهود فى قرى فلسطين أشعر أنى أريد أن أصرخ فى وجه اخوانى المسلمين ليكفوا عن تقليد الغرب وليعملوا بما أنزل الله كى يتخلصوا مما هم فيه ، فلو أن كل الاخوة والأخوات من المسلمين فى العالم يفيقون مما هم سادرون فيه فان الله يؤيدنا وينصرنا ، ولئن نصرنا الله فأى عدو نخشاه .. ؟

بعد هذا أود أن أحدثكم شيئا عن المسلمين فى هذا السجن ، وهو حديث ينطبق الى حد كبير على سجون الولايات المتحدة كلها ، وأود أولا أن أعود الى ما قبل عام

١٩٦٩ أى الى الفترة التى بدأ فيها الاسلام يدخل الى نفوس المسلمين هنا ، ولقد كان سجننا هـــذا قد افتتح حـــديثا ، أما فى الســـجن القـــديم ،، فقد كانت الحال أنه اذا ما أسلم سجين ، وحصل على نسخة مترجمة من القرآن ثم عرف عنـــه المسئولون ذلك فانه يوضع فى حفرة السجن لفترة معينة ، وتصادر ترجمة القرآن منه ، واذا شـــوهد يؤدى الصلاة فان جزاءه هو أن يوضع فى حفرة السجن شهورا • ثم جاء بعض الأخوة من العالم الحر فاجتمعوا بنا وشاهدوا أحوالنا فى السجن • وقد عملت زيارتهم الى تغيير الأوضاع الى ما اعتقدنا أنه أفضل ، ثم عندما دشن هذا السجن الجديد نقل اليه من بين من نقـــل ،، ثلاثة وستون مسلما ، لذلك طالبنـــا بأن نعطى عنبرا خاصا نكون فيـــه مجمـــوعة اسلاميـــة ، وننظم دروسا تعليمية ولكن طلبنا هـــذا رفض فهـــددنا بأن ننظم اضرابا داخـــل السجن ، ولذلك ووفق على طلبنـــا باعطائنا عنبرا خاصا ليضم مجموعة السجناء المسلمين ، وابتـــدأنا ننظم دروسا لقراءة القرآن • وتعليم الصلاة فى جماعة ،، واستمرت هذه الحال فترة لم تطل ، ثم سمعنا أن السجناء غير المسلمين فى السجن يبيتون لنا أمرا ، وأن مشـــكلة ستنشب نكون فيها طـــرفا ، فذهبنـــا وتحـــدثنا الى بقية السجناء غير المسلمين ، فنفوا أن يكونوا يبيتون لنا شيئا نكرهه وقالوا ان تلك اشـــاعات رددها السجانون للوقيعة بيننا ،، وتحققنا بعد هـــذا من صـــدق كلامهم ، ثم سمعنا اشـــاعات عن أن بعضا منـــا سيعدمون أو يقتلون لأنهم يكونون لأنفسهم زعامة داخل السجن ، ولكن هذا كان باطلا ، فكل ما كان اخواننا يفعلونه هو أن يبينوا لغير المسلمين من السجناء حقيقة الاسلام ، وما أعده الله تعالى من رحمة ونعمة لمن يؤمن به ••

وذات ليـــلة •• جاء الحـــراس الى عنبرنا حوالى الساعة الرابعـــة صـــباحا ،، وأمرونا بالخـــروج من زنزاناتنا ، وأخذوا يفتشـــونها ، ثم زعموا أنهم وجدوا بعض الأسلحة فيهـــا ولكن جميـــع اخواننـــا ينكـــرون أنهم كانـــوا يعلمـــون أى شىء عن وجـــود أى سلاح ،

ومـع هـذا فقـد أخـذ بعض الاخـوة الى محكمة السجن ثم وضـعوا فى حفـرة السجن لفترة وعندما خرجوا منها لم يعـادوا الى عنبر السجناء المسلمين ، وانما نقلوا الى عنابر أخـرى ،، كمـا أبلغنـا المسئولون فى السجن أننا سنوزع على مختلف العنـابر ، واننا لن نستطيع بعـد الآن اقامة الصـلاة جماعة ،، أو أن ننظم دروسا خاصة بنا ، واننى أمسك عن أن أسـطر خطيا ما عاناه بعض الأخوة فى هذه المحنة ، والسبب الرئيسى فى هـذا الذى حدث هوفى رأيى أن السلطات قد أدركت أنها لن تستطيع بعد الآن أن تخـدعنا ببرامجها التى تنظمها داخل السجن ،، وأن محاولتها لابقاء غالبية المساجين خاضعين لها فكريا ستبوء بالفشل حتما •

اخوتى فى الاسلام ••

اننى أعرف أنكم لا تسـتطيعون أن تقدموا لنا أية مساعدة ، ولكن معرفتنا هنا بأن بعض اخواننـا فى أنحاء بعيدة من العالم اذ يطلعون على ظروفنا وأحوالنا فيه بعض المساعدة فلربما ينفع اطلاعكم هذا فى احباط الخدع التى ينصبها الغـرب لفتن بعض المسلمين عن اسلامهم ليتبعوا منهج الحياة الغربى • فلقد كاتبت أخا من الباكسـتان يدرس فى نيـويورك ، وحدثنى أن شـخصا مسلما قد تعـرض لاغراء كى يترك الاسلام مقابل آلاف من الدولارات تدفع له جزاء ذلك •

ان اقامة مجتمع مسلم فى المجتمع الأمريكى المسمى « العـالم الحر » أمر شاق عسير اذ توضـع العقبات الكثيرة فى سبيل ذلك لأن الاسلام يفتح أعين الناس على حقيقة ما يجرى فى هذه البلاد ، فأصـحاب الثروات الذين لا يزيدون عن ١٪ من الشعب لا يريدون أن يعـرف النـاس الحقيقة ،، ولهـذا فهم يشعرون أن الاسلام خطر على نظام حياتهم •

اننى أعرف كيف كنت وأنا سجين قبل اعتناقى الاسلام ، أنه لم يكن لدى أى أمل ولم أكن أسـتطيع أن أرى لنفسى أى مستقبل قريب أو بعيـد ، ولم أكن أعـرف أين ألتفت والى من أتجه وأى سـبيل

أسـلك ، ولكنى بعد أن عـرفت الاسلام ، ودرست تعاليمه ومنهجه ، فى السـنوات القليلة الماضـية ، أصـبحت أعيش حيـاة جـديدة لن يسـتطيع أحـد أن يأخـذها منى ، أو أن يبـدلنى بغـيرها ان شاء الله ، وأحب أن أقول لكم أن الاسـلام ينمو بسرعة فى الولايات المتحدة ، وفى سجونها ، ويجدالناس فيه الأمـل ، ان الذين اعتنقـوا الاسلام فى هذه السجون كانوا من المجـرمين ، ولكنهم قد ولدوا من جديد بعد أن اهتدوا الى هـذا الدين وهم يحـاولون الكفاح من أجل الاسلام ومن أجل اقامة منهج جديد فى الحياة .

وفى ختـام هـذه الرسالة أطلب منكم يا اخـوتى الدعاء لنا ، وأن يهدينا الله جميعا ويثبت خطانا على صراطه المستقيم ..

والسـلام عليكم ورحمـة الله وبركاته .

أخوكم فى الاسـلام

سـجين رقم ٢٤٢ ـ ١١٤
أوهايو ـ أمريكا

عن مجلة الغرباء

AL — GHORABA
14. Liver pool Road
LONDON — NN — LA

سئل أبو بكر الشبلى : ما علامات العارف بالله ؟

قال : صدره مشروح ، وقلبه مجروح ، وجسمه مطروح .

الإسلام والغرب :

جهود المسلمين الأوائل

للدكتور عبد الجليل شلبي

لكى نقدر ما قدمه المسلمون الى الأوربيين من فكر ومنهج علمى نعرض فى ايجاز عاجل ما بذل هؤلاء فى تكوين فكر أو علم اسلامى فالمسلمون فى الشرق بذلوا جهودا جبارة فى نقل التراث العلمى من مصادر شتى ، فلما تكون لديهم فكر اسلامى يصطبغ بصبغتهم الخاصة قدموه الى الأوربيين خالصا من الشوائب مصفى من الشعبذة والخرافات .

وقامت فى الأندلس وصقلية حركة نشيطة حقا فى ترجمة الفكر الاسلامى ، ونقله الى اللاتينية وغير اللاتينية ، وفى قمة الذين باءوا بشرف هذه الحركة فريدريك الثانى فى صقلية ، والفونس الحكيم ملك قشتالة فى طليطلة ، ولا يزال الكتاب الأوربيون يشيدون بالجهد الذى بذلوه هم ومعاصروهم ،

ومدارس الترجمة التى رعوها ، وهم حقا جديرون بهذه الاشادة ، ولكن ينبغى أن يذكر هؤلاء الكتاب أيضا للعرب فضلهم ، فلولا الحركة التى بذلها مسلمو الشرق ما وجد مترجمو الغرب هذه المادة التى ما كلفتهم غير النقل من لغة لأخرى . لكن هؤلاء يعنيهم دائما أن يهونوا من جهد العرب وأن يعزوا أعمالهم العلمية الى اليهود والنساطرة والمستعربين .

وقد تحدث المستشرق «رويسلر» عن نمو المكتبات فى بغداد فعزاه الى البرامكة وتوجهم وحدهم بشرف هذه الحركة ، فقال : ان الوزير « البرمكى ــ وهو يعنى جعفرا ــ سليل أسرة قديمة كان من أسلافها منذ قرون « الدلاى لاما » ــ أى كبير رهبان الدير البوذى ، وقد عرف هؤلاء البرامكة

كيف يرغبون الخلفاء وحاشيتهم فى تذوق الدراسات والكتب ، وجعلوا من بغداد مركزا علميا قدر له ان يطغى على سمرقند بجميع الروائع الأدبية والصينية والسنسكريتية والايرانية من الشرق ، والمؤلفات السورية والبيزنطية من الغرب فى وقت واحد (١) .

وعزوا هذه الحركة منذ عهد الرشيد الى البرامكة وحدهم مما يجحف كثيرا بحق المسلمين السابقين واللاحقين ، فلا الحركة العلمية بدأت بالبرامكة ولا توقفت بعدهم وما بذله المأمون فى هذا السبيل كان أوسع وأكبر مما بذله الرشيد .

ويقول أوليرى : « كان الخليفة المنصور هو الراعى الذى فعل أكثر ما يمكن لاجتذاب الاطباء النساطرة الى مدينة بغداد التى أسسها ، وكان كذلك أميرا يسعى جهده لتشجيع المتصدين لاعداد ترجمات المؤلفات الاغريقية والسيانية والفارسية» (٢)

واذن فالحركة قد بدأت قبل البرامكة ، ولا ننكر أنهم كانوا من المشجعين على نشر العلم ولكنهم ليسوا مبتدعيها ولاذوى الفضل الأكبر فى نشأتها .

فاذا أردنا أن نرجع بهذه الحركة الى بدايتها وجدنا خالد بن زيد الأموى كان أول من تصدى لهذا العمل ، ويقول ابن النديم انه أول من ترجم له كتب الطب والنجوم وكتب الكيمياء ، وكان يقول : انى طمعت فى الخلافة فاختزلت دونى فلم أجد منها عوضا الا أن أبلغ آخر هذه الصناعة » (٣) .

وقد ترجمت له هذه الكتب من اليونانية والقبطية ، وكان يسمى حكيم الأمويين (٤) .

وقد ذكر المستشرق الالمانى «روسكا» أن النشاط الذى ينسب لخالد هذا لا يعدو أن يكون قصصا ، (٥) ونجد ابن النديم

---

(١) الحضارة العربية ترجمة غنيم عبدون ص ٩٨ ، ٩٩
(٢) انظر ص ١٢٦ الفكر العربى .
(٣) الفهرست (٥١١ ط الاستقامة) .
(٤) حتى ص ٣٢٠
(٥) المصدر نفسه . وردسكاهو يوليوس .

يتحدث عنه بشيء من التحفظ اذ يقول : ويقال والله أعلم : انه صح له عمل الصناعة ، وله فى ذلك عدة كتب ورسائل وله شعر كثير فى هذا المعنى رأيت منه نحو خمسمائة ورقة ، ثم ذكر خمسة كتب أخرى رآها له . (١)

ومهما تكن المبالغة فيما نسب لخالد فان التمحيص الدقيق يثبت له نشاطا غير ضيق فى هذا المجال ويقول ابن خلكان : انه « كان من أعلم قريش بفنون العلم وله كلام فى صنعة الكيمياء والطب ، وكان بصيرا بهذين العلمين متقنا لهما ، وله رسائل دالة على معرفته وبراعته ، وأخذ الصنعة عن رجل من الرهبان يقال له مريانس ، - وخالد توفى سنة ٨٥ هـ (٧٠٤) م . ولسنا نعرف فى تاريخ أمة ما أنها بدأت هذه المعرفة قبل أن تسلخ قرنا من تاريخها غير الأمة الاسلامية .

وينسب أيضا لجعفر الصادق أحد الأئمة الاثنى عشر نشاط فى هذا المجال ، وهو استاذ جابر بن حيان . (٢)

وعلى أى حال لم تظهر فى العصر الأموى الذى تقوض عرشه نهائيا سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠) م حركة ترجمة واسعة ، وهذا أمر طبيعى فالفترة التى مرت فترة قصيرة ، وملئت بالحروب والمنازعات الداخلية ، وما قامت به من نقل العلوم الأجنبية لا يعد شيئا هينا لأنه لم يحدث مثله فى الدول الأخرى .

ويظهر نشاط الترجمة بقوة على يد أبى جعفر المنصور ، فقد ترجم له أبو يحيى بن البطريق الكتب الكبيرة لجالينوس وأبقراط كما

---

(١) الفهرست ص ٥١٢

(٢) الامام جعفر هو ابن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين ابن على ، توفى سنة ١٤٨ هـ هـ (٦٧٥) م . ودفن بالبقيع مع أبيه وجده والحسن بن على فى قبر واحد ، وأمه هى فروة بنت محمد بن القاسم بن أبى بكر .

ترجمت فى هذه الفترة كتب قيمة لبطليموس واقليدس ، ولم تقف الترجمة عند الطب كضرورة تحمل على طلبه ، بل تعدته الى الهندسة والفلك (١) .

وفى عصر الرشيد والمأمون نهضت الترجمة حتى استوعبت التراث اليونانى كله ، ثم روجعت التراجم التى حدثت قبلهما فى عصر المنصور والى هذا العهد انتهى عصر الترجمة وبدأ عصر الزيادة والتأليف كان الرشيد قد أحضر مخطوطات من أنقرة ومن عمورية ، وكان معظمها يتناول مسائل وشئونا طبية ، وهذه عمل فى ترجمتها « يوحنا بن ماسويه » ، وهو من أقدم المترجمين ومن مشهوريهم وكان المترجمون كثرا ولكنهم كانوا مدارس مختلفة .

وكان جبريل بن بختيشوع طبيب المأمون رئيس مدرسة وهو أستاذ يوحنا بن ماسويه ، ويوحنا أستاذ حنين بن اسحق ، كما أن حنينا أيضا تلميذ لابن بختيشوع ، وأستاذ لابنه اسحق بن حنين وابن أخيه حبيش بن الحسن الأعسم ، وعيسى بن يحيى وكثيرين .

وذكر ابن النديم ليوحنا نحو عشرين كتابا (٢) وكان لعلمه بالطب مقدما عند الملوك خدم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل (٣) وكان يعاصره ويشاركه فى خدمة هؤلاء بختيشوع بن جبريل ، وكان أكثر من يوحنا شهرة بالطب ولكنه أقل منه كتبا .

أما حنين فيدعى شيخ المترجمين، تعلم اليونانية عن كبر فنبغ فيها، وتفوق على أستاذه يوحنا ، وكان يعرف السريانية والعربية ، دار البلاد لجمع الكتب القديمة ، وهو الذى أرسله بنو موسى ابن شاكر للحصول على كتب أغريقية وأكثر نقوله كانت لهم ، وكانت لهم مكتبة عامة أمام بيت الحكمة وكانوا

(١) انظر مروج الذهب جـ ٢٩١/٨ وما بعدها

(٢) الفهرست ٤٢٥ — ٢٦

(٣) المصدر نفسه .

يدفعون للمترجم خمسمائة دينار راتبا شهريا وكان المأمون يدفع لحنين وزن ما يترجمه ذهبا ، ثم اختاره رئيسا على بيت الحكمة ، وذكر ابن النديم أن له ما يقرب من أربعين كتابا مما ألف سوى ما نقل وربما كانت هذه مبالغة ، ولكن يقال ان كثيرا من الكتب التى تنسب اليه من عمل تلاميذه ، كما أنه أحيانا كان يترجم من اليونانية الى السريانية ثم ينقل تلاميذه ترجمة الى العربية (١) ونسبة كتب التلاميذ للاساتذة معروفة ، وجائزة لأن الأستاذ كان يوجه عددا من التلاميذ لعمل كتاب واحد ويشرف هو على أعمالهم وكان اسحق ابن حنين أقدر من أبيه فى العربية (٢) وله شهرة كشهرة أبيه ، ولكن بينما استكثر حنين من ترجمة كتب الطب استكثر اسحق من كتب الفلسفة (٣) ولكل منهما كتب ونقول فى الهندسة والموسيقى والاكثار من نقل الكتب غير الطبية يدل على أن العرب كانوا يهتمون بالعلم للعلم لا للحاجة العارضة من الصحة الجسدية أو كسب المال ، وهذه تهمة ألصقها الأوربيون بالعرب الأوائل ، ولا يحتاج تفسيرها الى مجهود ، لأن من بين الكتب التى أوردها ابن النديم لهؤلاء المترجمين الأوائل كتب فى الجغرافيا والتاريخ والفلك والديانات ، وترجم حنين جزءا من الترجمة السبعينية للتوراة وعنى الأستاذ العقاد برد هذه التهمة بطريقته (٤) وهى فى واقعها نوع من الحقد والتحامل الذى أشرنا اليه .

وذكر ابن النديم أيضا مؤلفات قسطا بن لوقا البعلبكى وهى كثيرة جدا ، وقال انه يستحق أن يقدم على حنين ، ومن بين كتبه رد على رسالة لأبى عيسى بن المنجم فى نبوة محمد عليه السلام والفردوس فى التاريخ وكتب فى نوادر اليونانيين وأخرى فى شرح مذاهبهم

---

(١) انظر حتى ٣٨٩
(٢) الفهرست ٢٢٩
(٣) ابن خلكان / ٨٢
(٤) انظر The Aralis Tmpact on European Crubsation 83

وفى علل الشعر والفصل بين النفس والروح ، و « قسطا » طبيب متقدم فى صناعة الطب وله فيه كتب عديدة ومع هذا كتب فى غيره من مواد الفلسفة والأدب فلم تكن الترجمة كما ظنوا لدافع الحاجة والنفع المادى .

وحين كان هؤلاء يقومون بهذا الجهد ، كانت هناك مدرسة أخرى يرأسها ثابت بن قرة ، وهى مدرسة الحرانيين من الصائبة وبلغت هذه المدرسة قمتها فى عهد الخليفة المتوكل .واستكثرت من الرياضيات والفلك وكان من نشاطها أن راجعت أعمال المدرسة السابقة . مدرسة الحيرة التى ذكرنا ــ وكان لثابت مكانة كمكانة حنين وابنه ، فكان سنان بن ثابت ، وثابت بن سنان من بعده وابراهيم وأبو الفرج وحقدة آخرون وتلاميذ ذوى شهرة وأعمال ممتازة فى الترجمة والتنقيح .

وقبل أن ينتهى القرن الثالث الهجرى كانت مؤلفات أرسطو كلها قد نقلت الى العربية وفى يد القارىء العربى . ومن مزايا هذه الحركة أنها نقلت كتبا فقد أصلها اليونانى ولم يبق للباحثين فيها مرجع غير ما ترجم هؤلاء ، وكانت ترجماتهم هى المرجع الوحيد للدارسين الأوربيين فى عصر النهضة .

وقد نمت هذه الحركة وازدهرت فى الشرق ولكن كان الأندلسيون ينهلون منها ويعلون ، اذ كانت البعوث العلمية تتجه الى الشرق ويهاجر الطلبة الى بغداد وغيرها من العواصم الشرقية للاستفادة منها ثم يعودون الى بلادهم بعد أن تزودوا بما يشتهون .

وهذه اشارة عابرة الى هذا الجهد الذى بذله المسلمون ولمن شاء أن يتابع بقية أطرافها فهى خليقة أن تكون مؤلفا ممتعا فى تاريخ الفكر الاسلامى .

د. عبد الجليل شلبى

الإسلام : دعوة شاملة كاملة

للدكتور يوسف القرضاوى

— ٢ —

شمول العبادة فى الاسلام :

وتتمثل ظاهرة الشمول الاسلامى فى عبادته كما تمثلت فى عقيدته •

فالعبادة فى الاسلام تستوعب الكيان البشرى كله ، فالمسلم لا يعبد الله بلسانه فحسب أو ببدنه فقط ، أو بقلبه لاغير أو بعقله مجردا ، أو بحواسه وحدها • بل يعبد الله بهذه كلها : بلسانه ذاكرا داعيا تاليا ، وببدنه مصليا صائما مجاهدا ، وبقلبه خائفا راجيا محبا متوكلا ، وبحواسه كلها مستعملا لها فى طاعته سبحانه •

ان عبادة كالصلاة تتجلى فيها عبادة اللسان بالتلاوة والتكبير والتسبيح والدعاء ، وعبادة الجسم بالقيام والقعود ، والركوع والسجود ، وعبادة العقل بالتفكر والتأمل فى معانى القرآن وأسرار الصلاة ، وعبادة القلب بالخشوع والحب لله ، والشعور بمراقبة الله •

وعبادة كالحج ، يتجلى فيها عمل الجسم بالرحلة والانتقال والطواف والسعى ، وعمل اللسان بالتلبية والتهليل والتكبير والذكر والدعاء ، وعمل القلب بالنية والاخلاص ، بالاضافة الى بذل المال ، ومفارقة الأهل والوطن تقربا الى الله تعالى •

ومعنى آخر للشمول فى العبادة ، وهى أنها تتسع للحياة كلها ، فلا تقتصر على الشعائر التعبدية المعروفة من صلاة وزكاة وصيام وحج ، بل تشمل كل حركة وكل عمل ترتقى به الحياة ويسعد به الناس •

فالجهاد فى سبيل الله ، دفاعا عن الحق ، وذودا عن الحرمات ، ومنعا للفتنة ، واعلاء لكلمة الله •• عبادة لا تعدلها عبادة •

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: مر رجل من أصحاب رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ بشعب فيه عيينة من ماء عذبة ، فأعجبته ، فقال: لو اعتزلت الناس ، فأقمت فى هذا الشعب ! (يعنى لأتعبد) ولن أفعل حتى أستأذن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ فذكر ذلك لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال : لا تفعل . فان مقام أحدكم فى سبيل الله تعالى ، أفضل من صلاته فى بيته سبعين عاما ! ألا تحبون أن يغفر الله لكم ويدخلكم الجنة ؟ اغزوا فى سبيل الله . من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة (١) .

وعنه أيضا قال : قيل : يارسول الله ، ما يعدل الجهاد فى سبيل الله؟ قال : لاتستطيعونه ! فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا ، كل ذلك يقول : لا تستطيعونه . ثم قال: مثل المجاهد فى سبيل الله ، كمثل الصائم القائم، لا يفتر من صلاة ولا صيام ، حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله (٢)

وكل عمل نافع يقوم به المسلم ، لخدمة المجتمع ، أو مساعدة أفراده ، وخصوصا الضعفاء وذوى العجز والفاقة منهم .. هو كذلك عبادة أى عبادة .

من ذلك ما جاءت به الأحاديث الكثيرة التى تحث على الصدقة كل يوم تطلع فيه الشمس ، حتى جعلت اماطة الأذى عن الطريق صدقة ، وحمل الرجل الضعيف على دابته صدقة ، بل تبسمك فى وجه أخيك صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وكل معروف صدقة .

ويدخل فى دائرة العبادة : سعى الانسان على معاشه ومعاش أسرته، ليغنيهم بالحلال ، ويعفهم عن السؤال ، فالرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ قد اعتبر من فعل ذلك « فى سبيل الله » أى فى جهاد ، كجهاد الميدان وقتال أعداء الله .

وأكثر من ذلك أنه جعل من وضع شهوته فى حلال كان له بها أجر ،ولما عجب الصحابة من ذلك ، قال لهم

(١) رواه الترمذى وقال : حديث حسن والحاكم وقال : صحيح على شرط مسلم وأقره المنذرى فى الترغيب .

(٢) رواه البخارى ومسلم واللفظ له .

النبى : أليس لو وضعها فى حرام كان عليه وزر ؟ قالوا : بلى . قال : فكذلك لو وضعها فى حلال كان له أجر ! أتحتسبون بالشر ، ولا تحتسبون بالخير ! (١)

شمول الأخلاق فى الاسلام :

ويبرز الشمول كذلك فى ميدان الأخلاق والفضائل . فالأخلاق الاسلامية ليست هى التى تعرف عند بعض الناس « الأخلاق الدينية » التى تتمثل فى أداء الشعائر التعبدية واجتناب أكل لحم الخنزير وشرب الخمر ، ونحو ذلك لا أكثر . فمن صام وصلى وأقام الشعائر ، ولم يشرب الخمر ، فهو الانسان « الفاضل » والرجل « الصالح » ! وان كان قاسيا على الضعفاء ، ظالما للفقراء ، آكلا لأموال الناس بالباطل ، مضيعا لحقوق المجتمع ، متلاعبا بمناصب الدولة !!

هكذا تصور بعض الكاتبين « الأخلاق الدينية » . ولو صح هذا التصور فى معيار دين ما ، ما صح ولا كان له ذرة من قبول فى معيار الاسلام .

فالاسلام يجعل العدل والاحسان والرحمة والعفة عن الحرام وأداء الأمانات الى أهلها وغير ذلك من « الأخلاق الاجتماعية » من أعظم الفضائل التى يتقرب بها الى الله ، وتقود صاحبها الى الجنة .

كما يجعل أضدادها من الظلم والعقوق والقسوة والفجور والخيانة من كبائر الاثم ، وعظائم الذنوب ، التى تجر أصحابها الى النار ، وهى دليل على خراب القلب من الايمان الصحيح بلقاء الله وحسابه يوم الدين « أرأيت الذى يكذب بالدين . فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين . فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون ويمنعون الماعون »

ولقد استغل بعض الكتاب هذا الجانب الأخلاقى الاجتماعى فى الاسلام ، فزعم أنه هو المقصود والمطلوب ، وليس التعبد ولا

---

(١) انظر فى شمول العبادة كتابنا : « العبادة فى الاسلام » فصل « مجالات العبادة فى الاسلام » ط ثانية أو ثالثة .

التقرب بالشعائر والفرائض والنوافل ، محاولا حشد النصوص الكثيرة لتأييد هذه الدعوى •

وكلا الاتجاهين مرفوض فى «الخلقية الاسلامية » فالاسلام لا يصف الانسان بالفضل والصلاح لمجرد الجانب الانسانى الاجتماعى فيه ، ولا لمحض الجانب التعبدى التنسكى أيضا •

ان الأخلاق الاسلامية تشمل هذا وذاك ، ولم تدع جانبا من جوانب الحياة الانسانية : روحية أوجسمية، دينية أو دنيوية ، عقلية أو عاطفية، فردية أو اجتماعية ، الا رسمت له المنهج الأمثل للسلوك الرفيع • فما فرقه الناس فى مجال الأخلاق ، باسم الدين وباسم الفلسفة ، وباسم العرف أو المجتمع ، قد ضمه القانون الأخلاقى فى الاسلام فى تناسق وتكامل وزاد عليه :

١ ــ ان من أخلاق الاسلام ما يتعلق بالفرد فى كافة نواحيه :

(أ) جسما له ضروراته وحاجاته • بمثل قوله تعالى : « وكلوا واشربوا ولا تسرفوا »(١) وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : «ان لبدنك عليك حقا»(٢)

(ب) وعقلا له مواهبه وآفاقه ، يقول القرآن : «قل انظروا ماذا فى السموات والأرض (٣) » « قل انما أعظكم بواحدة : أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا » (٤) •

(ج) ونفسا لها مشاعرها ودوافعها وأشواقها « قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » (٥) •

٢ ــ ومن أخلاق الاسلام مايتعلق بالأسرة :

(أ) كالعلاقة بين الزوجين « وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن

---

(١) الأعراف : ٣١
(٢) رواه الشيخان .
(٣) يونس : ١٠١
(٤) سبأ : ٤٦
(٥) الشمس : ٩ ــ ١٠

تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا » (١) .

(ب) وكالعلاقة بين الأبوين والأولاد : « ووصينا الانسان بوالديه احسانا » (٢) « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق،نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا » (٣) .

(ج) وكالعلاقة بين الأقارب والأرحام « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى » (٤) « وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل » (٥) . —

٣ — ومن أخلاق الاسلام مايتعلق بالمجتمع :

(أ) فى آدابه ومجاملاته ، مثل « لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ، ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون » (٦) .

(ب) وفى اقتصاده ومعاملاته « ويل للمطففين . الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون . واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون »(٧) « يأيها الذين آمنو اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله » (٨) .

(ج) وفى سياستة وحكمه « ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل » (٩) .

---

(١) النساء : ١٩
(٢) الأحقاف : ١٥
(٣) الاسراء : ٣١
(٤) النحل : ٩٠
(٥) الاسراء : ٢٦
(٦) النور : ٢٧
(٧) المطففين : ١ — ٣
(٨) البقرة : ٢٨٢
(٩) النساء : ٥٨

٤ـ ومن أخلاق الاسلام ، ما يتعلق بغير العقلاء من الحيوان والطير ، كما فى الحديث « اتقوا الله فى البهائم المعجمة ، فاركبوها صالحة ، وكلوها صالحة » وفى الحديث الآخر « فى كل كبد رطبة أجر » .

٥ ـ ومن أخلاق الاسلام ما يتعلق بالكون الكبير .

من حيث انه مجال التأمل والاعتبار والنظر والتفكر والاستدلال بما فيه من ابداع واتقان ،على وجود مبدعه وقدرته، وعلى علمه وحكمته كما قال تعالى: «ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، لآيات لأولى الألباب . الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك » !

ومن حيث انه مجال للانتفاع والاستمتاع بما أودع الله فيه من خيرات وما بث فيه من قوى مسخرة لمنفعة الانسان ، وما أسبغ فيه من نعم ، تستوجب الشكر لواهبها والمنعم بها ، كما قال تعالى : « ألم تروا أن الله سخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة » .

« يأيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله» .

٦ ـ وقبل ذلك كله وفوق ذلك كله ما يتعلق بحق الخالق العظيم الذى منه كل النعم وله كل الحمد «الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . مالك يوم الدين . اياك نعبد واياك نستعين . اهدنا الصراط المستقيم » فهو وحده الحقيق بأن يحمد الحمد كله ، وأن ترجى رحمته الواسعة ، وأن يخشى عقابه العادل يوم الجزاء . وهو وحده الذى يستحق أن يعبد ويستعان وأن تطلب منه الهداية الى الصراط المستقيم .

الشمول فى فلسفة الأخلاق الاسلامية:

وبهذا ، يتجلى شمول الأخلاق الاسلامية ، من حيث موضوعها ومحتواها ولكن الشمول فى الأخلاق الاسلامية يبدو كذلك اذا نظرنا الى فلسفتها ومصدر الالزام بها .

فلقد رأينا المذاهب الفلسفية تختلف اختلافا بينا فى تفسير الأخلاق ، وبيان مقياس الحكم الخلقى أو مصدر الالزام الخلقى . ما بين مذاهب المثاليين من القائلين بأن المقياس هو العقل ، أو الضمير ، أو الحاسة الخلقية الخ .. ومذاهب الواقعيين من أصحاب المدارس المختلفة : مدرسة اللذة أو المنفعة ، أو التطور ، أو القوة ، أو الوضعية الاجتماعية .. الخ ..

أما الاسلام فقد شاء الله أن يكون الرسالة العامة الخالدة ، فهو هداية الله للناس كافة ، من كل الأمم ، وكل الطبقات ، وكل الأفراد ، وكل الأجيال . والناس تختلف مواهبهم وطاقاتهم الروحية والعقلية والوجدانية ، وتتفاوت مطامحهم وآمالهم ، ودرجات اهتمامهم ، ولهذا جمعت الفكرة الأخلاقية فى الاسلام ما فرقته الطوائف الدينية ، والمذاهب الفلسفية ــ مثالية وواقعية ــ فى نظرتها الى الأخلاق وتفسيرها لمصدر الالزام الخلقى . فلم يكن كل ما قالته هذه المذاهب والنظريات باطلا ، كما لم يكن كله حقا . انما كان عيب كل نظرية أنها نظرت من زاوية ، وأغفلت أخرى ، وهو أمر لازم لتفكير البشر ، الذى يستحيل عليه أن ينظر فى قضية ما نظرا يستوعب كل الأزمنة والأمكنة ، وكل الأجناس والأشخاص ، وكل الأحوال والجوانب ، فهذا يحتاج الى احاطة اله عليم حكيم .

فلا غرو اذا كانت نظرة الاسلام ، جامعة محيطة مستوعبة ، لأنها ليست نظرية بشر ، بل وحى من أحاط بكل شىء علما ، وأحصى كل شىء عددا .

لهذا أودع الله فى هذا الدين ما يشبع كل نهمة معتدلة ، وما يقنع كل ذى وجهة سليمة ، ويلائم كل تطور محمود .

فمن كان مثاليا ينزع الى الخير لذات الخير ، وجد فى أخلاقية الاسلام ما يرضى مثاليته فى العمل ابتغاء وجه الله .

ومن كان يؤمن بمقياس السعادة، وجد فى الفكرة الاسلامية ما يحقق سعادته وسعادة المجموع معه فى مثل قوله تعالى « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » .

ومن كان يؤمن بمقياس المنفعة ــ فردية أو اجتماعية ــ وجد فى الاسلام ما يرضى منفعته فى مثل قوله تعالى « ان أحسنتم أحسنتم لأنفسكم » «من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها » .

ومن كان يؤمن بالترقى الى الكمال ، وجد فيه ما يحقق طلبته .
ومن كان همه التكيف مع المجتمع ، وجد فيه ما يلائم اجتماعيته .

حتى الذى يؤمن بأهمية اللذة الحسية يستطيع أن يجدها فيما أعد الله للمؤمنين فى الجنة من نعيم مادى ، ومتاع حسى « وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين » (١)

وبهذا تسمع كل أذن الأنشودة التى تحبها ، وتجد كل نفس الأمنية التى تهفو اليها .

شمول التشريع فى الاسلام :

والتشريع فى الاسلام تشريع شامل كذلك .

انه لا يشرع للفرد دون الأسرة ، ولا للأسرة دون المجتمع ، ولا للمجتمع منعزلا عن غيره من المجتمعات .

ان تشريع الاسلام يشمل التشريع للفرد فى تعبده وصلته بربه ، وهذا ما يفصّله قسم «العبادات» فى الفقه الاسلامى ، وهو ما لا يوجد فى التشريعات الوضعية .

ويشمل التشريع للفرد فى سلوكه الخاص والعام ، وهذا يشمل ما يسمى « الحلال والحرام » أو الحظر والاباحة .

ويشمل التشريع ما يتعلق بأحوال الأسرة من زواج وطلاق ونفقات ، ورضاع ، وميراث ، وولاية على النفس والمال ونحوها . وهذا يشمل ما يسمى فى عصرنا « الأحوال الشخصية » .

---

(١) الزخرف : ٧١

ويشمل التشريع للمجتمع فى علاقاته المدنية والتجارية ، وما يتصل بتبادل الأموال والمنافع ، بعوض أو بغير عوض،من البيوع والاجارات والقروض والمداينات والرهن والحوالة والكفالة والضمان وغيرها، مما تتضمنه فى عصرنا القوانين المدنيه والتجارية •

ويشمل التشريع ما يتصل بالجرائم وعقوباتها المقدرة شرعا كالحدود والقصاص ، والمتروكة لتقدير أهل الشأن كالتعازير ، وهذا يشمل ما يسمى الآن بـ «التشريع الجنائى» أو « الجزائى » وقوانين العقوبات•

ويشمل التشريع الاسلامى ما يتعلق بواجب الحكومة نحو المحكومين ، وواجب المحكومين نحو الحكام ، وتنظيم الصلة بين الطرفين ، مما عنيت به كتب السياسة الشرعية والخراج، والأحكام السلطانية فى الفقه الاسلامى ، وتضمنه فى عصرنا «التشريع الدستورى» أو«الادارى» و « المالى » •

ويشمل التشريع الاسلامى ما ينظم العلاقات الدولية فى السلم والحرب، بين المسلمين وغيرهم ، مما عنيت به كتب « السير » أو « الجهاد » فى فقهنا الاسلامى ، وما ينظمه فى عصرنا « القانون الدولى » •

ومن هنا لا توجد ناحية من نواحى الحياة الا دخل فيها التشريع الاسلامى آمرا أو ناهيا ، أو مخيرا •

وحسبنا أن أطول آية نزلت فى كتاب الله تعالى ، نزلت فى تنظيم شأن من الشئون المدنية ، وهو المداينة ، وكتابة الدين •

ويبدو شمول التشريع الاسلامى فى أمر آخر ، أو بعد آخر ، وهو النفاذ الى أعماق المشكلات المختلفة، وما يؤثر فيها ، وما يتأثر بها ، والنظر اليها نظرة محيطة مستوعبة ، مبنية على معرفة النفس الانسانية،وحقيقة دوافعها وتطلعاتها واشراقها ، ومعرفة الحياة البشرية وتنوع احتياجاتها وتقلباتها ، وربط التشريع بالقيم الدينية والأخلاقية ، بحيث يكون التشريع فى خدمتها وحمايتها ، ولا يكون معولا لهدمها •

ومن عرف هذا جيدا ، استطاع أن يفهم موقف التشريع الاسلامى وروعته من قضايا كثيرة ، كالطلاق

وتعدد الزوجات ، والميراث ، والربا ، والحدود والقصاص ، وغيرها . مما أثبتت الدراسات المقارنة ، وأثبت الاستقراء التاريخى والواقعى فضل الاسلام فيه وتفوقه على كل تشريع سابق أو لاحق .

ان عيب البشر الذى هو من لوازم ذواتهم المحدودة أنهم ينظرون الى الأمور والأشياء من جانب واحد ، غافلين عن جانب أو أكثر من جوانبها الأخرى . والحقيقة أنهم لا ذنب لهم فى هذا القصور ولا حيلة ، لأن النظرة المحيطة الشاملة ، التى تستوعب الشىء من جميع جوانبه ، وتعرف كل احتياجاته ، وتدرك كل احتمالاته وتوقعاته لا يقدر عليها الا رب البشر وخالق الكون . « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » .

د. يوسف القرضاوى

قيل : فما المتصوف ؟

قال : التأليف ، والاعراض عن التكلف ، وأحسن منه ، تصفية القلوب لعلام الغيوب ، وأحسن منه ، التعظيم لأمر الله ، والشفقة على عباد الله ، وأحسن منه ، من صفا من الكدر ، وخلص من العكر ، وامتلأ من الفكر ، وتساوى عنده الذهب والمدر (أى الحجر) .

كلمات مضيئة

التحرير

شهد الأنام بفضله حتى العدى
والفضل ما شهدت به الأعداء

* * *

١ ــ كلما قلبنا النظر فى القرآن تملكتنا الروعة والوجل لكننا سرعان ما نشعر نحوه بجاذبية تنتهى بنا حتما الى الاكبار فهو بين الكتب المقدسة نموذج عال رفيع وسوف يحيا تأثيره فى النفوس فى جميع الأجيال والعصور حتى يتطور العالم الى السمو والكرامة عندما يدين له ويعمل به •

جوته

٢ ــ الدستور الاسلامى قانون شامل يوحد بين الجميع من الرأس المتوج الى أبسط الأشخاص لأنه يقوم على حكمة أنتجتها أوسع العقول علما بهذه الحياة ••

جيبون

٣ ــ هناك ظاهرة فريدة فى التاريخ المحمدى هى أنه ينفرد بانشاء ثلاث مؤسسات عمرانية : أمة ، وامبراطورية ، ودين وهو الأمى الذى لم يعرف القراءة والكتابة •

بودورث سميث

٤ ــ ليس فى الاسلام كهنوت ولا سلطة كنائسية ولكنه يضع للحكومات دستورا يطابق روح الدين •

لواندر كودرد

٥ ــ من المسلم به أن محمدا لم يكتب ولم يقرأ ولم يتلق تعليما مدرسيا لكنه عرف منذ نشأته بالرجولة وسمو التفكير والأمانة وأصالة الرأى فى كل ما يقول وما يعمل وتاريخ حياته يثبت أنه كان دائما رجلا اجتماعيا وصديقا صدوقا ومخلصا ودودا •

كارليك

٦ – القرآن دستور اجتماعى مدنى تجارى حربى نضالى وهو فوق هذا كله قانون سماوى عظيم •

دافير بورث

٧ – جميع حجج القرآن طبيعية ودالة على عناية الله بالبشر ورعايته لهم وتأمين مستقبلهم •

وليم موير

٨ – لا بد أن تعتنق الامبراطورية البريطانية النظم الاسلامية قبل نهاية هذا القرن ولو أن محمدا بعث فى هذا العصر وكانت له الدكتاتورية على هذا العالم الحديث لنجح تماما فى حل جميع المشكلات العالمية وقاده الى السعادة والسلام •

ارثر هاملتون

٩ – ليدرس الهندوس الاسلام كما درسته فسيحترمونه كما احترمته ولقد أصبحت مقتنعا بأن الاسلام لم يأخذ مكانته فى الوجود بحد السيف بل انه أخذها بالبساطة وانكار الذات والشجاعة التى اتصف بها النبى محمد القائد الأمين والزعيم المخلص •

غاندى

١٠ – يجب أن نبحث عن دين أقوم من هذا الذى ندين له يجب أن يكون الدين الجديد دين أخوة ووحدة وانصاف وقوة، يربط البشر أجمع بعضه ببعض لتكن العزة لله وللمجاهدين الأحرار من البشر •

هتلر

١١ – ان اكبر كلمة تثير الحزن والأسى هى التى قادت العالم الى حالته الراهنة (انها كلمة الالحاد) ••

تولستوى

١٢ – لم يقم الاسلام بالسيف ولم ينتشر بالعنف ولم ينشىء امبراطوريته بالاستبداد ، ولكنه قام وانتشر وساد وحكم العالم بالحجة والبرهان والدليل العقلى وأخيرا استعمل السيف •

جون كندرى

استاذ القانون المقارن

بجامعة اكسفورد

صوت من التاريخ :

أمة محسودة

للأستاذ السيد حسن قزون

لا يوجد فى تاريخ الأمم أمة محسودة مثل أمتنا العربية ، فمنذ كان لها كيان وسلطان ، والقلوب تتمزق غيظا وحسدا لها فقد كانت هينة على جيرانها ، تعيش على السلب والنهب والفوضى مما جعل أرباب السلطان حولها ينتقصونها من أطرافها ويستقطبون أناسا منها يجعلونهم ملوكا ليحولوا بينهم وبين الاغارة عليها أو الأخذ بأسباب الحضارة وبناء الكيان فلما جاءهم رسول منهم بكتاب فيه دستورهم ونظام حياتهم ، والتفوا تحت لوائه ، ومشوا على صراطه المستقيم ، وصارت لهم دولة لها قائدها وعلمها زادت البغضاء فى القلوب ، والحقد فى النفوس ، والتآمر عليها للقضاء عليها حتى لا تزاحمهم فى السيادة وتنافسهم فى معالى الأمور ، والقرآن يقول : « ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ان الله على كل شىء قدير (١) » .

وحين فاضت الجزيرة العربية على التخوم التى تجاورها لتخلص العرب من سلطان الأجنبى تحرش بها الطغاة من الفرس والروم بالجيوش الكثيفة ، والأسلحة المخيفة ، فخاض أبطالها الميامين ميادين الحرب والنزال راغبين فى احدى الحسنيين النصر أو الشهادة ، فأتاهم الله نصرا بعد نصر ، وعزة بعد عزة ، فسقطت حصون ، وثلت عروش ، وبرز الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قائدا أعلى للجيوش العربية الاسلامية يوجهها الى ميادين القتال

---

(١) سورة البقرة : ١٠٩

مزودا لها بارشاداته وتعليماته النيرة فأكل الحسد قلوب الفرس والروم، ولجأوا الى التآمر ، فكان أن اغتيل ذلك الخليفة وهو يقيم صلاة الصبح بيد أثيم من البلاد المفتوحة كان يعلن «لقد أكلت العرب كبدى» وكان قتل الخليفة عمر اشارة خطر يجب أن يتنبه لها الغافل ، ويصحو النائم ،ويرعوى باغى الرئاسة ، ولكن الحادث الجلل مر كأنه جرح يحتمل ، وفى عز قوة هذه الأمة الهائلة ، وصولتها الجارفة ، ووثبتها الخارقة تسلل المغرضون الحاسدون الى دائرة السلطة علهم يجدون ثغرة ينفذون منها الى نواياهم الخبيثة ، فكان الصراع على الخلافة هو المنفذ الذى بلغوا به مايريدون وانك لو نظرت الى موسم الحج سنة ٦٦ هـ لهالك ما ترى من تفرق هذه الأمة الفتية أربعة جيوش بأرباض مكة تستعد للقتال والنزال حين أداء فريضة هى ركن من أركان الاسلام المهمة التى من شأنها أن تجمع ولاتفرق ، وتوفق ولا تمزق انه الحج وموسمه،ونداء ابراهيم وابنه ، أربعة جيوش :لبنى أمية جيش ، ولعبد الله بن الزبير جيش،وللخوارج جيش ، ولمحمد بن الحنفية جيش ، كل مستعد لسحق خصمه ، ومن خصمه؟انهم المؤمنون والمؤمنون اخوة ولولا رجال عقلاء مشوا للسلم حتى تؤدى الفريضة لسالت الدماء ، وانتثرت الأشلاء وكثرت الأيامى واليتامى ، ومن هنا تسلل الموالى ليكونوا اجنودا بين هذه الجيوش ، وظهر منهم من اندمج فى جيش (المختار بن أبى عبيدة الثقفى) ليأخذوا بثأر الحسين رضى الله عنه .

وظهر منهم أناس ذوو ذكاء وخبث اتخذوا من الكلمة المختلفة دعاية لأغراضهم ينسبونها الى صاحب الرسالة ــ صلوات الله وسلامه عليه ــ ليأتوا على البناء من قواعده ، ومازالوا يتحينون الفرص ، وينضمون الى كل ناعق حتى وجدوا ضالتهم المنشودة فى حزب بنى هاشم ، وكان أن انتقلت دعوة هذا الحزب الى خراسان فوجدت مربعا ومرتعا ، وبعد أن كان الموالى تبعا صاروا رأسا ، واستغل دعاة بنى عباس هوى شعب خراسان كما استغل شعب خراسان الدعاة ، وظهر الحسد،وبدت المطامع المكبوتة،

واستغلوا مأساة الحسين استغلالا ذكيا فكانت الدعوة (للرضا من آل محمد) ونشروا مساوىء حكم بنى أمية ، ووصفوهم بالجور والجبروت والحكم بالهوى ، والعمل للدنيا واكتناز الأموال ، وسفك الدماء ووجه الخليفة المنتظر (ابراهيم الامام العباسى) من (الحميمة) منشورا الى أبى مسلم الخراسانى وفيه : « ان استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعل » وفطن والى خراسان (نصر بن سيار) لما يجرى حوله ، ورأى أبا مسلم يفرق بين العرب باذكاء نار الخلاف ، فأقبل العرب يقتل بعضهم بعضا ، وهنا صاح نصر بن سيار صيحته المنذرة:

ألا أبلغ ربيعة فى (مرو)واخوتهم
فليغضبوا قبل أن لا ينفع الغضب

ولينصبوا الحرب ان القوم قد نصبوا
حربا يحرق فى حافاتها الحطب

ما بالكم تلقحون الحرب بينكم
كأن أهل الحجا عن رأيهم عزبوا

وتتركون عدوا قد أظلكم
بما تأشب لا دين ولا حسب

قوما يدينون دينا ما سمعت به
عن الرسول ولم تنزل به الكتب

فمن يكن سائلا عن أصل دينهم
فان دينهم أن تقتل العرب

فالأمر عند نصر والى خراسان أكبر من وضع خليفة مكان خليفة ، أو أسرة محل أسرة ، انما الأمر عنده سيادة أمة تهون ، ودين تنتهك حرماته ،ونظام دولة يخشى سقوطه، ولغة يخاف اندثارها وانهيارها ، ولذلك كان تعجبه •

فقلت من التعجب ليت شعرى
أأيقاظ أمية أو نيام ؟

ومات الرجل مقهورا مفجعا أمام زحف الجيوش التى تلبس السواد حزنا على شهداء بنى هاشم من العلويين ، واذا كان السواد حزنا على هؤلاء الشهداء فلم لم تكن الخلافة لأبنائهم ؟ انهم أمالوها لغيرهم ليشركوهم فى أمرهم ، فيكونوا القادة والسادة والولاة •

قضى الأمر ، وتم النصر للعباسيين وأنصارهم من غير العرب • فماذا أصاب العرب من الخلافة الجديدة ؟

يقول التاريخ : ان الوضع تغير تماما ، أقصى العرب عن مراكزهم ، وأسقطت أسماؤهم من ديوان الجند، وحيل بينهم وبين الوظائف المهمة ، بل ألغى ديوان بطون قريش ، لأن تيما وعديا حرموا الهاشميين الخلافة، وكان من الطبيعى أن يتجه العرب بما فيهم قريش الى الزراعة والصناعة والتجارة والحرف الأخرى،وانتهزت الشعوبية هذا الاتجاه فشفت غليلها بالحط من شأن العرب فى جاهليتهم واسلامهم ، ونعوا عليهم معيشة البداوة وشد الأطناب وامساك العصا مما دعا الجاحظ الى الرد عليهم ، وكشف ما يملأ قلوبهم من الحسد والحقد ، وكان لهذه الحرب الكلامية آثارها فى نفوس العرب ، فخمدت فيهم الكبرياء والتمدح بالآباء ، ونظروا الى الأعاجم نظرة الاكبار بعد أن كانوا على عهد الأمويين ينكرون عليهم أن يلوا شيئا من أمور الناس ولو لامامة الصلاة، ولا يغرنك قتل أبى جعفر المنصور أبا مسلم الخراسانى ولا نكبة البرامكة على يد الرشيد فتلك أمور مردها الى حب الاستبداد والانفراد بالسلطة والا فبم نفسر موقف أبى جعفر المنصور من عمه عبد الله بن على ؟ فقد قتله لأنه توجس منه خيفة على ملكه ، وكم له من ضحايا من العلويين وهم هاشميون مثله ! والشأن كما هو اقصاء العرب وتقريب غيرهم من الفرس والترك وغيرهم ممن يعيشون فى فلك الدولة .

وحين أراد العرب أن يستعيدوا سلطانهم على عهد محمد الأمين ثار الفرس وأفسدوا بين الأخوين : الأمين والمأمون ، ودارت معارك طاحنة على مدى عامين ، وانتهت الحرب بانتصار المأمون ، أى انتصار الفرس وهزيمة العرب . وهذه الهزيمة كانت القاضية جعلت المعتصم يتخلص من العرب والفرس معا ، فاستعان بموال من الترك بنى لهم مدينة (سر من رأى) فكانوا (سوء من رأى) لم يعرفوا للخلافة حرمة ، ولا للشريعة مكانة ، ولا للحدود موضعا ، قتلوا الخلفاء وسملوا عيونهم ، وولوا الصغار وأهملوا الكبار وعاثوا فى الأرض

فسادا ، مما دعا الولاة الى الانفصال بالأقطار التى يحكمونها ، وتنبه للخطر الجديد شاعر عربى أصيل هو (يزيد المهلبى) حين قتل المتوكل على الله ، فقال محذرا يخاطب بنى العباس وقريشا والعرب جميعا .

لما اعتقدتم أناسا لا حلوم لهم
ضعتم وضيعتم ما كان يعتقد
ولو جعلتم على الأحرار نعمتكم
حمتكم السادة المذكورة الحشد
قوم هم الجذم والأنساب تجمعهم
والمجد والدين والأرحام والبلد
اذا قريش أرادوا شد ملكهم
بغير (قحطان) لم يبرح به أود

ولكن صرخته ذهبت أدراج الرياح،وراح العرب بالمجد يحلمون والخلفاء يتعذبون . وأشد ما آلمنى وأنا أتتبع نهاية بنى العباس والعرب معهم أنى وجدت الخليفة العباسى فى مصر يقف بين يدى(قنصوه الغورى) فى موسم ينشده شعرا يمدحه به . رجل ورث المجد والخلافة من مئات السنين يمدح مملوكا من المماليك. أى هوان بعد هذا ؟ ؟

واليوم يعيد التاريخ نفسه ، فبعد أن انتصرنا فى رمضان ١٣٩٣ أكتوبر ١٩٧٣ حربيا وسياسيا واقتصاديا على الأعداء ،وتجاوبت أندية العالم ومجتمعاته ووسائل اعلامه بالعربى بشهامته وشجاعته ووحدته عدنا الى وساوس الشيطان ، وألاعيب الحساد ، وحل الخلاف محل الاتفاق ، والفرقة مكان الوحدة وصار لبنان مستنقع الهوان ، وتركنا عقولنا ، واستجبنا لهوانا دون نظر للعواقب، وما يناله الأعداء من وراء تلك الدماء العزيزة ، انى لأسمع صوت التاريخ مدويا منذرا محذرا لنا من أعدائنا:

فمن يك سائلا عن أصل دينهم
فان دينهم أن تقتل العرب

فهل نصغى لصوت التاريخ أو أننا أمة ليس لها تاريخ ؟ .

السيد حسن قرون

نحو عقيدة عسكرية إسلامية

للأستاذ محمد جمال الدين

— ٨ —

أصبحت نظرية « الردع » مفتاح الاستراتيجية العسكرية فى القرن العشرين وخاصة بعد أن تحقق ما يسمى « بالتوازن الذرى » بين الكتلتين المتنافستين الشرقية والغربية، ومعنى التوازن الذرى امتلاك كل منهما لأسلحة الدمار النووية كالقنابل الذرية والهيدروجينية بقدر متكافىء تقريبا بحيث لا يكون لاحداهما تفوق محقق وساحق على الأخرى .

وقد تولد عن هذا التوازن اقتناع لدى كل من الكتلتين بعدم جدوى الحرب ، وبأن نشوبها بينهما هو عملية « انتحار » رهيبة ، وذلك لأن كلا منهما تملك القدرة على الردع والانتقام اذا تلقت الضربة المدمرة أولا ، وفى ذلك يقول كبار القادة العسكريين العالميين : ان أية حرب عالمية فى هذا العصر قد تكون انتحارا عاما ونهاية للحضارة التى نعرفها . ان كلا من الدولتين العظميين لن تخاطر بعواقب استخدام هذه الأسلحة النووية ، لأن الدمار الذى سيترتب على الضربة الانتقامية لأى منهما سيكون مروعا كما أن كلا منهما لن يكون على يقين تام من النصر .

وهكذا يتبين أن «القوة» حققت أهدافها فى منع قيام الحرب بقوة « الردع » . لكن العالم لم يصل الى تلك النظرية الا فى القرن العشرين وبعد معاناة قاسية وطويلة فى حروب طاحنة اكتوى بنارها . كما عبر عن ذلك الاستراتيجى الكبير الجنرال أندريه بوفر (١) فى قوله : « ان رجل القرن العشرين الذى تلاحقه مآسى

---

(١) فى كتابه « الردع والاستراتيجية » .

الحربين العالميتين ١٩١٤ – ١٩١٨ ، ١٩٣٩ – ١٩٤٥ ، هذا الرجل المسلح بكل وسائل العلم الحديث ربما وجد أخيرا الوسيلة لمنع وقوع مثل هذه المآسى ، وهى استراتيجية الردع ، – ان العنصر الحاسم اليوم هو الردع بلا جدال •

هذه النظرية « الردع » التى لم تتبلور فى ذهن خبراء الاستراتيجية العسكرية الا فى هذا العصر هى احدى النظريات التى سبقت بها العسكرية الاسلامية منذ أربعة عشر قرنا • فان اعداد القوة واظهارها لارهاب الأعداء واخافتهم من عاقبة عدوانهم هو موقف مبدئى للاسلام تجاه أعدائه وأعداء أمته ، وهو بعض ما يفهم من قوله تعالى «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » وقد طبق الرسول القائد عليه الصلاة والسلام تلك النظرية فى صراعه ضد أعدائه منذ القرن السابع الميلادى •

غير أن الدراسة المقارنة تكشف عن الكثير مما تنفرد به نظرية الردع الاسلامية من الخصائص الفاضلة والمقاصد النبيلة ، وليس هذا غريبا فهى تتفق بداهة مع جوهر الاسلام الذى هو دين السلام •

فلقد نشأت نظرية الردع الحالية مرتبطة – كما ذكرنا – بالتوازن الذرى الناشىء من تملك كل من الكتلتين لقدر متكافىء تقريبا من الأسلحة النووية ومن قدرة كل منهما على الردع والانتقام اذا ما هوجمت أولا •

وهذا الارتباط بين نظرية الردع وبين التوازن الذرى لا يوحى بالاطمئنان ، ولا يؤدى الى الثقة فى قيام سلام حقيقى فى هذا العالم• فان « فقدان » هذا التوازن أو اختلاله – وهو احتمال وارد – بحصول احدى الكتلتين على تفوق ساحق على الأخرى ، سوف يؤدى حتما الى اندلاع حرب ذرية • وهذا ما جعل الجنرال اندريه بوفر يتساءل قائلا « ولكن هل سنسير نحو السلام ؟ •• وبالتأكيد كلا •• لأن تعشق الرجال للقوة مضافا اليه القوى الغامضة التى تحكم التطور الاقتصادى والبيولوجى للانسان ،

ستفتش دائما عن مساحة للتوسع والامتداد » .

وهنا تتضح احدى حسنات نظرية الردع الاسلامية ، ذلك لأنه اذا تملكت الأمة الاسلامية القوة المتفوقة على خصومها بحيث يصبح ميزان القوى فى جانبها فان ذلك لن يغريها باستخدام القوة ضدهم ما داموا يمتنعون عن العدوان . فالأمة الاسلامية لا تتعدى حدود الردع ما دام يحقق الهدف منه وهو اخافة العدو ومنعه من استخدام القوة وذلك لسببين :

ــ أن القصد من اعداد القوة فى الاسلام هو ارهاب العدو ليمتنع عن استخدام القوة والعدوان .

ــ وأن العدوان ليس غاية من غايات الحرب فى الاسلام ، ولم يشرع القتال الا اعلاء لكلمة الله ودفاعا عن الأمة الاسلامية ضد الاعتداء .

ولعل أبلغ دليل عملى على ذلك غزوة الفتح ، فلقد كانت كل الظروف مهيأة أمام المسلمين لتحقيق نصر عسكرى ساحق على قريش ، لكن الرسول القائد عليه الصلاة والسلام قرر أن يتم الفتح بدون قتال ، فكانت خطته العبقرية فى اظهار قوة المسلمين كفيلة « بردع » الأعداء ومنعهم من استخدام القوة وهو ما ينطق به قول زعيمهم أبى سفيان : يا معشر قريش ، هذا محمد جاءكم بما لا قبل لكم به .

ومن المزايا التى تنفرد بها نظرية الردع الاسلامية أيضا أنها لا تؤدى الى سباق التسلح الذى يعانى منه العالم اليوم بسبب فقدان الثقة بين الأمم ، وانتشار الأطماع التوسعية والاستعمارية ، وسيادة منطق القوة لتحقيق المصالح والغايات بأساليب لا أخلاقية .

فان استمساك الأمة الاسلامية بتوجيهات دينها الذى يحرم الاعتداء والسلب ولا يقاتل الا لرد العدوان، يبعث فى الأمم المسالمة التى تريد أن تعيش فى أمن وسلام ، كل الطمأنينة والثقة فى حسن نوايا الأمة الاسلامية ، فتتجه بطاقاتها ــ فى ظل هذا الأمن من الغدر ــ نحو ما فيه الخير لها والخير للبشرية جمعاء ، لا الى التسابق فى التسلح الذى

يرهق اقتصادها ويزيد من حدة التوتر ويغرى باشعال الحروب .

وتهىء نظرية الردع الاسلامية الفرص الحقيقية لحل المنازعات بالوسائل السلمية دون اللجوء الى الحرب ، وهو ما لا تتسامى اليه كل اجتهادات القادة والزعماء والمنظمات الدولية قديما وحديثا . فان ما تتميز به العسكرية الاسلامية من الامتناع عن العدوان ، وفى نفس الوقت ، القدرة على رد العدوان وقهره ، يقنع الأمم الأخرى بالامتناع عن اللجوء الى القوة لحل المشكلات وبأن طريق السعى لحلها بالوسائل السلمية ليس مفتوحا فحسب ، بل هو طريق مضمون النتائج لا تحيط به الشكوك ولا تنعدم الثقة ، وليس فيه مخاطرة بالتنازل — تحت تهديد القوة — عن شىء من حق أو كرامة، ولكن تحوطه كل معانى حب السلام والحق والعدل والتسامح وحسن النوايا وحب الخير للبشر أجمعين ، وتلك هى شرعة الاسلام التى نفت عن القوة كل معانى العدوان والعدر والظلم .

ومن المبادىء المعروفة فى الاستراتيجية العسكرية « أن التوفيق السليم بين الغاية والوسيلة قد يؤدى الى اقتصاد تام فى القوة»

والواقع أن نظرية الردع الاسلامية هى أرقى منهج يوفق بين الغاية وهى اعلاء كلمة الله والدفاع عن الأمة الاسلامية وبين الوسيلة لتحقيق تلك الغاية بتطبيق نظرية اظهار القوة لارهاب العدو واخافته من عاقبة عدوانه .

هذا التوفيق الكامل بين الغاية والوسيلة ، يؤدى الى منع نشوب القتال ، وبالتالى الى الاقتصاد التام فى القوة ماديا ومعنويا . ولو لم يكن لنظرية الردع الاسلامية من آثار فى الاقتصاد فى القوة سوى حقن الدماء لكفاها .

لقد كان فيلسوف الحرب كلاوزفتيز (١) يقول : « قد يتصور

---

(١) كارل فون كلاوزفيتز (١٧٨٠ — ١٨٣١) قائد عسكرى المانى مشهور ومن أبرز واضعى النظريات الحربية . ويعتبر كتابه عن الحرب من أشهر المؤلفات النظرية التى اعتمد عليها الكثيرون من القادة العسكريين فى العصر الحديث .

المحبون للخير بسهولة أنه توجد طريقة بارعة لنزع السلاح الذى فى يد العدو والتغلب عليه دون اراقة كثير من الدماء ، وأن هذا هو الاتجاه السليم لفن الحرب (١) .. تلك غلطة يجب أن نمحوها .. ! » .

فلم يكن كلاوزفتيز يرى الا وسيلة واحدة لتحقيق الغايات هى « الحل الدموى » وكان يؤمن بأن فكرة « القتال » يجب أن تكون أساس تفكير القائد ، وكأن معنى الاستراتيجية العسكرية عنده هو « استخدام المعركة الحربية » .

ولقد تعرضت نظريته تلك للنقد الشديد من جانب رجالات الاستراتيجية العسكرية الذين أبرزوا الأخطار التى تنطوى عليها ، والتى ظهرت آثارها المفجعة فى الحروب التى قادها من أخذوا بتلك النظرية من أمثال نابليون ، كما أدى تطبيق تلك النظرية فى الحرب العالمية الأولى الى عمليات دموية تشبه المذابح . ثم ان العسكرية الاسلامية وان كانت ذات طبيعة دفاعية ، الا أنها لا تقبل الاستسلام ، فان اقتران استراتيجية الردع الاسلامية (ترهبون) بالقوة ورباط الخيل (من قوة ومن رباط الخيل) يفهم منه بكل وضوح أنه لا بد أن تتوفر فى تلك القوة القدرة الهجومية التى تقنع العدو – حين يضع حساباته وتقديراته – بأنه سوف يكون هو الخاسر لو تحرك بعدوان .

---

(٢) يطلق اصطلاح فن الحرب Military Art أو الفن العسكرى او الفن الحربى على جميع المسائل المتعلقة باعداد وادارة شئون الحرب ، وهو يحتوى على مستويات ثلاثة تتدرج نزولا من أعلى مستوى فى الدولة حتى الجندى المقاتل فى الميدان كما يلى :

- المستوى الأول يسمى الاستراتيجية العليا .
- المستوى الثانى يسمى الاستراتيجية .
- المستوى الثالث يسمى التكتيك .

ولتوضيح هذه المستويات يمكن أن نقول مثلا أن وزارة التربية والتعليم تختص باستراتيجية التعليم بينما المدرسة تختص بالجانب التكتيكى منه .

وقد أبرز الاستراتيجيون المحدثون هذا المبدأ حين أكدوا «أن العقيدة[1] العسكرية ذات الطابع الدفاعى لن تكون لها الا قيمة ضعيفة فى الردع الا اذا توفرت لديها القوة الهجومية».

والحركة والمفاجأة — من وجهة نظر العلم العسكرى — عنصران من أهم عناصر الاستراتيجية العسكرية وخاصة فى العمليات الهجومية .. وهذان العنصران يعبر عنهما (رباط الخيل) من الآية الكريمة ، فالرباط هو الحراسة والاستعداد للقتال الفورى عند الخطر ، والخيل تعبير يشير الى السرعة وخفة الحركة والمباغتة ، وذلك ما يفهم أيضا من قول الله تعالى : « والعاديات ضبحا فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا » (العاديات ١ — ٥)

ففى هذه الآيات يقسم الله تعالى بخيل الجهاد المسرعات التى يسمع لأنفاسها صوت هو الضبح من شدة الجرى ، ويتطاير الشرر من تحت حوافرها من شدة قدحها للأرض الحجرية والتى يهجم بها فرسانها على العدو فى وقت الصباح فتدخل وسط جمع الأعداء فتشتته ، وتنطوى الآيات على تنبيه المؤمنين ليكونوا دائما على أهبة الاستعداد فيها بهم من تحدثه نفسه باضعافهم ، وقد فهم بعض المفسرين المحدثين معنى أوسع من الخيل وهو كل ما يعدو ويغير ويثير الغبار ويرسل الشرر .

---

(١) العقيدة العسكرية اصطلاح عسكرى Military Doctrine يعنى السياسة العسكرية المرسومة التى تعبر عن وجهات النظر الرسمية للدولة فيما يتصل بالمسائل الأساسية للصراع المسلح وما يتعلق بطبيعة الحرب وغاياتها (من وجهة نظرها) وطرق ادارتها وأسس اعداد البلاد والقوات المسلحة للحرب . وتحدد العقيدة العسكرية على أعلى مستوى فى الدولة أى بمعرفة القيادة السياسية والعسكرية العليا لتحقيق الأهداف والغايات القومية العليا .

وهــكذا يتضافر عنصرا الحركة والمفاجأة مع عنصر القوة لانجــاح العمليات الهجومية ، وتتجلى العبقرية العسكرية فى استغلال هذين العنصرين بحيث يؤثر كل منهما على الآخــر يمهد له طريق العمل ويدعمه :

● فالحركة تولد المفاجأة .

● والمفاجأة بدورها تمنح قــوة دفع للحركة وتمهد لها الطريق للتغلب على العدو بسرعة وفاعلية ..

محمد جمال الدين

صوت الحق يرتفع فى شركة مصر للطـيران :

توضيحا لموقف الطيــارين بخصوص حمــل الخمور على طائرات شركة مصر للطيران نؤكد ايماننا كطيارين بما أرساه السيد الرئيس من مبادىء ســيادة القــانون ودولة العــلم والايمــان .

وانطلاقا من هذه المبادىء ، ومن ايماننا بالتخصص الذى هو ســمة العصر . فاننا نؤكد أننا ملتزمون بمــا جاء بكتاب فضيلة الامام الأكبر شــيخ الأزهر الى السيد رئيس مجلس الادارة ، ويتضــح منه أن الطيــارين والمضــيفين يعتبرون مسئولين شرعا عن حمل الخمر على الطائرة ، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق . وبما أن هذا الكتاب هو الوثيقة الوحيدة الموجودة طرفنا ، والصادرة من جهة لها كل الاحترام والاجلال فى نفوسنا جميعا فعلينا الالتزام بما جاء به ، وتود رابطــة الطيارين أن تشيد بروح الزمالة التى تجلت فى موقف أعضائها من الأخوة المسيحيين الذين رفضــوا حمــل الخمــور على طائراتهم مشاركة منهم لشعور زملائهم .

عن رابطــة الطيارين

طيار / مصطفى رفعت الشقنقيرى

مع أدب القرآن :

اشتروا الضلالة

لفضيلة الدكتور إبراهيم أبو الخشب

— ٦ —

هؤلاء المنافقون الذين تأرجحت بهم الارادة ، وتذبذبت بهم الطباع، ولعبت بهم الأهواء ، وعبثت بهم الشياطين ، فلم يستطيعوا أن يلتزموا حدا ، أو تقف بهم أقدامهم على أرض صلبة لا تهتز تحتهم ، أوتميد بهم ، اذ كانوا على أحوال متباينة ، وأشكال متناقضة ، يتابعهم الخزى، ويلاحقهم العار ، ويفضح أمورهم التلون الذى لا يقربهم على عقيدة، ولا يثبت بهم عند حقيقة واحدة ، من حق الانسانية أن تعاملهم بمقتضاها ، أو تحاسبهم عليها ، يصفهم الله سبحانه بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى ، وهو صنيع يدل على الحمق ، وينبىء عن السفه ، ويوحى بالطيش ، ويخفى وراءه ما كانوا عليه من قلة التمييز ، وعدم الادراك ، وخطل الرأى ، وخطأ الفهم ، وأن آدميتهم الرخيصة نزلت بهم الى مصاف العجماوات التى فقدت خواص الترجيح والاختيار والميل الى جانب الخير من الأشياء ، لأن العاقل لا يشترى الا ما ينفعه ، ولا يطلب الا ما كان فيه صلاحه وفلاحه، وغنمه وخيره ، أما اذا انحدر به طبعه ، وجمحت به نفسه ، وأسفت به غايته،وخانه ذوقه وعقله،وضميره ووعيه ، وتفكيره ورأيه ، وآثر جانب الشر على جانب الخير ، وناحية الهلاك على ناحية السلامة والنجاة ، فذلك من المرضى من غير شك،وهذا المريض أو هؤلاء المرضى الذين اشتروا الضلالة بالهدى ، فما ربحت تجارتهم ، يحملون وحدهم وزر ضلالهم ، وجريمة انحرافهم ، وسوء مصيرهم لأن الله جل وعلا لم يتركهم سدى ، ولم يخلقهم هملا ، ولم يجردهم من وسائل الهداية ، ولم يحل بينهم وبين أسباب النجاة

والفوز .. ولهذا يصور أحوالهم المتخبطة ، وشئونهم المتضاربة ، فى أمثلة من الحمق والسفه تجعلهم أحقر من لا شيء – كما يقولون – فهم أمام النار التى قد أضاءت لهم مواضع أقدامهم ، ومسالك أمورهم ، ومسارب عيشهم ، وسبل الخير الذى كان من حق الناس أن يبتغوه ، ومن شأن الآدميين أن يطلبوه « فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون ، صم بكم عمى فهم لا يرجعون » وما كان بهم من عمى ينحرف بهم عن السبيل ، أو يجعلهم يضلون الطريق ، وانما هو العناد والطيش ، والصدود والاعراض ، وعدم استعمال قواهم المدركة ، وبصائرهم النافذة ، وعقولهم المميزة ، وافكارهم المرجحة ، وأفئدتهم الدالة ، كأنهم كانوا قد فقدوا الوسائل وهنالك استحالت عليهم الغاية ، وليس هنالك أبلغ فى معنى الطيش والحمق ، والسفه والنزق ، من أن تتهيأ للرجل الوسيلة ثم لا يجعلها سبيلا الى غايته ، أو طريقا الى هدفه ، أو سلما الى غرضه ..
ويقول المتنبى :

ولم أر فى عيوب الناس عيبا
كنقص القادرين على التمام

وقد كانت القدرة على التمام موفورة لهؤلاء . والنار التى استوقدوها هى العقل الذى أودعه الله فى الانسان أو القرآن الذى أنزله الله على رسوله يدعوهم به الى الهداية ، ويناديهم الى الصواب ، ويقودهم الى الحق ، ويرشدهم الى الصراط المستقيم ، لكن اعراضهم وعنادهم ونفورهم وعدم استعدادهم للاصاخة والتلقى بوأهم لعنة الله ، وغضب رسوله ..

والمثل الثانى الذى صور القرآن به حالهم الحقيرة ، وموقفهم الذليل ، وصنيعهم المرذول ، ورأيهم الآفن هو قوله تبارك وتعالى : « أو كصيب » والصيب المطر المنحدر من السماء دون هوادة أو انقطاع . وهو الذى يحيى به الأرض من بعد موتها ، وشبهت به هذه الشريعة التى جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ليخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد ، ولا يشك عاقل حصيف فى أن للقرآن تلك الخصائص لانه

دستور الحياة وقانون السماء ونظام العمران ،ودليل الخير ، وعنوان السعادة ، وبشير اليمن ، ورصيد الهداية ، ومعلم الانسانية ، لا ينشد أحد أسلوبا للبر،ولا طريقا للرشاد ، ولا سبيلا للنجاح،ولا دربا يوصل الى أنبل الغايات ، الا وجده دالا عليه،وموجها اليه،ومبينا له ..

وربما كان المقصود من الظلمات والرعد والبرق التى كانت تشيع الرعب فى نفوسهم ، والقلق فى أفئدتهم ، والفزع فى ضمائرهم ، الى الحد الذى كانوا معه «يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت» هو ما كان يتضمنه من وعيدهم بالمصير الذى يترقبهم ، والنهاية التى تنتظرهم ، والعاقبة التى تلاحقهم ، وقد كانوا لتذوقهم بلاغته ، وادراكهم للحد الذى يصل اليه من التأثير والروعة يشعرون كأن جهنم تفتح فاها لتبتلعهم ، وأنعذاب الله يناديهم ، وأن الجحيم يحيط تهم من أيمانهم وشمائلهم وفوق رؤوسهم وتحت أرجلهم، وكانوا هكذا من غير وعى ولا ادراك يخرجون عن وقارهم ، ويغيب عنهم تماسك أجزائهم ، وتناسق أعضائهم ، فيأخذهم الفزع والهلع كأنما هى أمام الأمر الواقع « يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق حذر الموت »

وعلى الرغم من أن هذه الحالةعنوان على فقدان الوعى ، وذهاب الادراك، وحيرة العقل ، فان الله لم يفقدهم هذه المعانى ، ولم يجردهم تجريدا بحتا من تلك القوى ، وقد كان هذا البرق الذى يضىء لهم يملأ يقينهم بأنهم وقد مشوا فيه سلكوا الجادة ، واهتدوا الى الغاية ، واتجهوا الى الحق ، فاذا أظلم عليهم قاموا ، ولا يضارع هذه الحيرة بين الاقدام والاحجام ، والمضى والعودة ، والاطمئنان والاضطراب ، والسكون والقلق ، الا هذه الصورة التى تجىء بها الآية: «كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا » ويعرف لها قدرها من الايلام أو العذاب هذا الذى يسير فى مغارة مظلمة لا دليل

له يرشده ، ولا أنيس معه يسلبه ، وهو مع هذه الحال التى يسيطر عليها الذعر والخوف ، يبدو له الضياء فيمشى ، ويفارقه فيقف ، ولو أنه فقد هذا الضياء الذى يلوح له تارة بعد أخرى لكان ذلك راحة له ، لأنه يقطع أمله فى المضى ، ويجعل له الحجة فى عدم مواصلة السير « ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم » لكنه أراد وهى وسائل النجاة ، وأسباب الهداية ، أن تكون أسباب حيرتهم ، وعوامل قلقهم ، ودواعى شقاوتهم وايلامهم ، لأنهم حولوها عن الصراط السوى ، فجعلها حجة عليهم ، أو عدوا لدودا يناصبهم الشر ، أو يبيت لهم الكيد والأذى ، وهكذا كان الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز يضرب الأمثال للناس ارشادا لهم ، وتهذيبا لعقولهم ، وترقيقا لأفئدتهم، وتوجيها لقلوبهم ، وتصحيحا لمسيرتهم ، ليختاروا سبيل الرشد ، وطريق الحق ، وجانب الخير ، وسعادة الدارين ، حين يستجيبون له ، وينزلون على ارادته ، ويؤمنون برسله ، الا أنهم كانوا يتمردون على الحق ، ويحاربون المنطق ، ويجادلون بالباطل ، ويصدون عن سبيل الله ، ويقاومون الفطرة ، فى حين أن دعوة الله كانت دائما أبدا تؤيدها الفطرة، ويؤازرها العقل ، ويواكبها المنطق ، ويساندها الحق ، والاعراض عنها لا تؤيده حجة ، ولا يقره صواب ، أو يعترف به رأى ولا ذوق .

د/ ابراهيم على ابوالخشب

مجلة الأزهر والإسلام في التاريخ الحديث

التحرير

فى مجلة (العربى) العدد (٢١٣) أغسطس ١٩٧٦ مقال للأستاذ عباس محمود العقـاد نقلته المجلة على أنه « من التراث الحديث » تحت عنوان «الاسلام فى التاريخ الحديث» وهذا العنوان عنوان كتاب لمستشرق اسمه (ولفريد كانتول سميث) أستاذ الدراسـات الاسـلامية بجامعة (مونتريال) ومجلة الأزهر لا ترى بأسا فى الاشارة الى هـذا المقال وابراز ما جاء فيه عنها، لأن هذا المقال والكتاب الذى كان موضوعه مرآة المجلة تنظر فيه نفسها فى العـالم الغربى المعاصر .

أرخ العقاد لصاحب الكتاب وعلق على آرائه فقال عنه : انه أقام زمناً فى لاهور بالباكستان ، وساح فى بلاد الشرق الأوسط وبعض البلاد الاسـلامية فى القارتين الآسيوية والافريقية ، وتغلب عليه نزعة يسارية تتراءى من خلال تفسيراته المـادية ولكنه يجامل الشـعور الاسـلامى مجاملة الرجل الذى ترتبـط أعماله بالمسلمين من حين الى حين ، ويتجنب المسائل الشائكة من وراء المنازعات الطائفية أو السـياسية مكتفيا من المعـلومات بما يشـبه الاحصاء ، والشواهد « الرسمية » وقال عن الكتـاب انه اشتمل على فصـول مسهبة عن الهند والباكستان وتركيا والبـلاد العربيـة وبعض الأمم الاسلامية الأخرى بايجـاز ، وأفرد جزءا من دراسته لمصر بالـكلام عن (مجلة الأزهر) ورسالة العلماء على الاجمال . وينقل العقاد ملاحظات المستشرق المؤلف الذى ينفى عنـه الخطـأ فيها ، وان كان قد أحاطها بشىء من الاغـراب يوهم القارىء

الأوربى أن هنـاك أمرا غير طبيعى فى « النفسـية » الاسـلامية عند المقابلة بينها وبين المؤثرات الدينية فى غير المسلمين . يقـول انه ما من دين استطاع أن يوحى الى المتدين به شعورا بالقوة كالشعور الـذى يخـامر المسـلم فى غير تكلف ولا اصطناع ، وان الفخر بالعربيـة قد يمازج هذا الشعور أحيـانا فيعتبر المسلم العربى آداب المروءة قبـل الاسلام قدوة للأخـلاق والعـادات ويشترك العربى فى هذا الفخر ولولم يكن من المسلمين ... كما صنـع جرجى زيدان وفيليب حتى وغيرهما من مؤرخى العرب المسيحيين . ولكن اعتزار المسلم بدينه يعم المسلمين على اختلاف القومية واللغة ، وكـون الانسان مسلما باعث من بواعث الحمد تسمعه من جميع المسلمين .

وبين المسـلم المعاصر وسـائر المعاصرين من الغربيين فارق عميق فى النظر الى العالم والى المستقبل ؛ فان الأمريكى مثلا يواجه المستقبل بتجارب عصره ، ويغلب القيمة العملية الواقعية على قيم العاطفة والخيـال فى تقديره للأشياء وعلاقاته مع الناس ولكن المسلم على خلاف ذلك ينظر الى المستقبل ليقيمه على أساس من المـاضى المجدد ... وبعد أن وازن المؤلف بين العمل الاسلامى ونظرة التجديد عند المسـلمين المعاصرين أضـاف الى ذلك رأى (جب) المستشرق المشهور وهو أن مستقبل الاسلام فى هذه الحركة وغيرها من حركات الدفاع يستقر حيث استقر ماضيه بين أيدى حراسه وهم طائفة العلماء . ومن هنـا استطرد الى الكلام على مجلة الأزهر ، لأنها خط من خطوط هذا الدفاع يرسمه المعهد الاسلامى الذى يضـم اليه العدد الأكبر من علماء الاسلام . فماذا قال عنهم وعن مجلتهم ؟ قال ان هـذه المجلة ظهرت أولا باسم (نور الاسلام) وظهرت منها الأعداد الأولى بهـذا الاسم ، ثم سميت من عددها السادس باسم (مجلة الأزهر) (١٣٤٩ هـ ــ ١٩٣٠م) وأشرف على تحريرها العالم الأزهرى الشيخ الخضر حسين ، ثم أسندت رئاسة تحريرها الى المجدد العصرى الأستاذ محمد فريد وجدى ولم يزل يشرف على تحريرهـا الى سنة ١٩٥٤م ، وقد ذكر المؤلف أنه اتخذ المجلة موضـوعا لدراسـته

التى قدمها الى جامعة (برنستون)، سنة ١٩٤٨م باسم (مجلة الأزهر ــ عرض ونقد) ولم ينقطع عن مراجعتها بعد ذلك الى حين اصداره الكتاب الأخير باسم «الاسلام فى التاريخ الحديث» ويقول الكاتب أنه لاينظر الى الآراء الخاصة التى تنشرها المجلة للعلماء ولغير العلماء الا من زاوية واحدة، وهى الزاوية التى تشير الى اتجاه عام يتقبله المسلمون كافة، أوتتقبله جمهرة منهم على التعميم . ورأيه فى الاستاذ الخضر أنه يمثل المدرسة السلفية بمنهج الدفاع عن الاسلام وأن الأستاذ فريد وجدى مجدد عصرى لاتزال طريقته فى التجديد على قواعد المعرفة الحديثة مقبولة عند أنصار التجديد، وان يكن بعض آرائه منظورة اليه اليوم كأنه تفكير فات أوانه وظهر بعده ما هو أوفق منه لزمنه . ولا اختلاف بين الاستاذ وجدى وبين السلفيين أو المجددين المتأخرين فى رأى واحد يتفقون عليه وهو أن العلم الحديث لا ينقض حقائق الاسلام ــ وأن القليل منه عند المتعلمين المتعجلين هو الذى يغريهم بالانصراف عن العقيدة الدينية، ولكنهم لاينصرفون عنها بل يزدادون ايمانا بها مع التوسع فى العلم الحديث والتوسع فى العلم والدين .

ويقول صاحب الكتاب فى مقابلته بين منهج الشيخ الخضر ومنهج الاستاذ وجدى أن أولهما يعتبر الاسلام وحيا تاما قد تنزل على صورته الكاملة منذ عصر الرسالة المحمدية فلا اضافة اليه، ولا سيادة عليه، ولا تحوير فيه، وانما الايمان بالاسلام هو الذى يحتمل القوة والضعف كما يحتمل زيادة المعرفة أو النقص فيها، أو يحتمل المراجعة من عصر الى عصر لتفقد الآثار العصرية فيه . وليس الاستاذ الخضر كما يرى المؤلف من أنصار الحنين الى الماضى، بل هو من أنصار الدعوة التى لا زمان لها؛ لأنها صالحة لكل زمان، ومهما تتجدد مذاهب المعرفة، فالمسلم يسلم أمره الى ارادة الله كلما هدته معارفه الى فهم تلك الارادة الالهية بالدرس أو الالهام . وقد تساوى فى نظر الخضر كلا الطرفين من المسلمين فى الحاجة الى التصحيح والاصلاح، وهما ــ على تعبير المؤلف

- طرف اليسار من المتعلمين الذين جاوزوا حدود الاسلام ، وطرف اليمين من الجامدين وأتباع الطرق الصوفية الذين ضيفوا حدوده عليهم وان لم يجاوزوه ، أما الاستاذ وجدى فخطته فى الاصلاح تتجه قبل كل شيء الى احياء الشعور الروحانى فى ضمير الرجل العصرى ؛ لأنه يرى أن الفكرة المادية طغت على العقول فلم تسلم منها العقائد والأخلاق ، وان مشكلة الانسان العصرى مشكلة أخلاقية نفسية تستدعى من المصلح أن ينهض بمثله العليا فى معيشته الدينية والدنيوية معا ليعود بها الى حظيرة المثل الروحانية ، وهى الخليقة بعد ذلك أن ترده الى شعائر الدين ونصوص الكتاب والسنة النبوية .

ويعلق العقاد على هذا كله تعليقا عاما قائلا : وليس المقام يتسع هنا لشرح التعليقات التى عقب بها المؤلف على أحوال الاسلام فى الباكستان والهند ، والبلاد التركية ، والايرانية وسائر الأمم الاسلامية ، ولكن تعليقاته التى أجملناها عن مصر نموذج حسن للتعريف بمقصده من البحث وتقديره للحركات الاسلامية بين تلك الأمم : وزبدتها أن الحضارة الغربية قد أزعجت أمم الاسلام فنهضوا للدفاع عن عقيدتهم فى وجهها وشعروا بأنهم يعيشون فى عالم غير عالمهم معها ، وأنهم ليقبلون هذه الحضارة أو يرفضونها ، ولكن القليل منهم هو الذى يؤثر ترك الاسلام للسير مع الحضارة الأوربية فى ركابها . وانما يتفقون - معظمهم - على صبغ الحضارة بصبغتهم ونقلها الى عالم جديد لا ينفصلون فيه عن عالمهم القديم ولم يظهر بعد كيف يكون هذا العالم المنظور ولا كيف تكون العلاقة بينه وبين العالم العربى على اختلاف مناخه ؟ وكل ما هو واضح اليوم - ولا حاجة به الى المزيد من الايضاح - أن دعاة الحضارة الأوربية يفقدون عطف العالم الاسلامى اذا حاولوا أن يعاملوه غدا كما عاملوه أمس معاملة السيد العليم للجاهل التابع ؛ اذ لا سبيل الى التفاهم على غير أساس المساواة .

هكذا كانت دراسة هذا المستشرق لمستقبل العالم الاسلامى واتجاهه نحو المعاصرة فى ضوء ما شعت به مجلة الأزهر من اتجاه وآراء .

اعداد : السيد حسن قرون

صوفيون في رحاب الأزهر

للأستاذ عبد الحفيظ فرغلي القرني

مكانة الأزهر العلمية والأدبية :

مرت على الأزهر حقبة من الزمن كان هو المنارة الوحيدة للعلم فى الشرق ، والدرع الواقية للدين والملجأ الأمين لرجاله الذين توافدوا اليه من شتى الأقطار فرارا بدينهم من بطش الطغاة وجبروت الغزاة ، وجعلوا منه منبر ثورة وحصن مقاومة ومقر قيادة .

ومن قبل هذه الفترة كان الأزهر جامعة علمية شامخة منذ أنشأه المعز لدين الله الفاطمى قبل ألف عام من تاريخنا اليوم ، يتلقى الطلاب فيها علومهم ، ويحج اليها العلماء ينهلون من فيضها ويقبسون من لألائها ويفيدون ويستفيدون ..

ومن بعد ذلك سار الأزهر على دربه يواصل رسالته فى صبر وأناة ، يتحدى العوائق ، يصبر على اللأواء حينا ويثور عليها حينا آخر حتى وصل الى ما وصل اليه من تطور اتسعت فى ظله رسالته وتعددت روافده ..

هذا هو الأزهر العتيد أقدم جامعة علمية عريقة فى العالم . تخرج فى أروقته الكثيرون الذين يستعصون على العدو ويفوقون الحد ، ممن طبقت شهرتهم الآفاق دينا وعلما وورعا ..

وكما حفظ الأزهر للعلم روعته حفظ للدين جوهره ، ولم تقف علومه عند حد الفقه والتوحيد والنحو والصرف والبلاغة ، ولكنها تعدتها الى الطب والهندسة والحساب والفلك ، والى جانب ذلك كان علم التصوف فنا له أربابه يدرسونه ويتحققون به ويتخلقون بأخلاقه .

ازدهار التصوف فى رحاب الازهر :

وقد ازدهر التصوف فى رحاب الأزهر أيما ازدهار ، فقد فهم العلماء الغاية منه ، فهموها على اعتبار أنه علم مقيد بالشريعة غير خارج عليها ، بل هو الذى يعنى بحقيقة الدين ولبه ، ولا يكمل الصوفى الا اذا كان على ميزان دقيق من الشرع ، يحكمه الورع وتحرسه الفضيلة وتلازمه التقوى .

فالصوفى ـ كما يقول السهروردى فى عوارف المعارف ـ « هو الذى يضع الأشياء فى مواضعها ويدبر الأوقات والأحوال كلها بالعلم ، يقيم الخلق مقامهم ، ويقيم أمر الحق مقامه ، ويستر ما ينبغى أن يستر ويظهر ما ينبغى أن يظهر ـ ويأتى بالأمور فى مواضعها بحضور عقل وصحة توحيد وكمال معرفة ورعاية صدق واخلاص » .

وكان علماء الأزهر لدراستهم الدينية ومعرفتهم بالأصول وفهمهم للكتاب والسنة أقرب الناس لمرمى التصوف وأهدافه ، وأولاهم بمعرفة آداب الدين التى هى أخص رسالة التصوف .

فالتصوف الصادق المستقيم ـ كما يقول الدكتور الشرباصى ـ فى دائرة معارف الشعب هو لب الاسلام وروحه وصفوة طريقته لأنه طريق الأولياء والصديقين والصالحين المحسنين الذين يقول فيهم القرآن الكريم : « للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» ويقول : «ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى » ، وليس هناك تناقض لدى العلماء بين التصوف وعلماء الشرع ، يوضح ذلك الامام السيوطى بقوله : « وقد ظهر لى أن نسبة علم الحقيقة ـ أى التصوف ـ الى علم الشريعة كنسبة علم المعانى والبيان الى علم النحو ، فهو سره ومبنى عليه ، والحقيقة سر الشريعة ولبها الخالص كما أن المعانى والبيان سر النحو ولطائفه » وللامام الشعرانى عبارة تقرب من هذه وستأتى بعد .

ويؤكد هذا المعنى الامام الغزالى رضى الله عنه قائلا : وليست الحقيقة خارجة عن الشريعة ، بل الحقيقة طافحة باصلاح القلوب بالمعارف والأحوال والعزوم والنيات ، فمعرفة أحكام الظواهر معرفة لجل الشرع ومعرفة أحكام الباطن معرفة لدق الشرع .

فاذا كانت علوم الشريعة تعنى بأحكام الظواهر فان علوم التصوف تعنى بأحكام البواطن . روى عن سفيان الثورى رضى الله عنه أنه قال : لولا أبو هاشم الصوفى ما عرفت دقيق الرياء . وفيما نقلته دائرة المعارف الاسلامية بتحرير الشيخ مصطفى عبد الرازق — رحمه الله — قال سفيان: كتب منبه الى مكحول : انك امرؤ قد أصبت فيما ظهر من الاسلام شرفا فاطلب بما بطن من علم الاسلام عند الله محبة وزلفى .

بل لقد أصبح يطلق على التصوف علم الخلق لقيامه بشئون الأخلاق وعنايته بها — قال ابن القيم فى مدارج السالكين : واجتمعت كلمة الناطقين فى هذا العلم أن التصوف هو الخلق ، ويقول فى موضع آخر : ان هذا العلم مبنى على الارادة فهى أساسه ومجمع بنائه ، وهو يشتمل على تفاصيل أحكام الارادة وهى حركة القلب ولهذا سمى علم الباطن، كما أن علم الفقه يشتمل على تفاصيل أحكام الجوارح ولهذا سمى علم الظاهر ، وبذلك يتبين أن أول خطوات التصوف فى سبيل التكون العلمى كانت عبارة عن نشأة علم الأخلاق الاسلامى .

وعلى هذا فلا يكون الصوفى صوفيا حتى تزكو أعماله وتحسن أخلاقه ، وتصفو معاملته وربما أمكن تحقيق هذا الفهم من الأثر الوارد : الدين المعاملة .

كان لفهم رجال الأزهر دينهم — اذن — أثر كبير فى تصوف الكثيرين منهم حتى أصبح العديد من رجال التصوف المشهورين ينتمون الى الأزهر ويتخرجون فيه.

وربما كان منهج التصوف سلوكا عمليا لازما لطلابه فى الصدر الأول

بعد عهــد الفاطميين ، حين أصبحت الدولة للأيوبيين فأشاعوا المــذهب الســـنى وأبطلــوا المــذهب الشيعى ، وكان السلطان النــاصر صلاح الدين الأيوبى صالحا متصوفا ـ والناس على دين ملوكهم كمــا يقال ـ فبنى الخوانق للفقراء ورسم عليها الأوقاف وأكرم الزهاد وقرب العلماء .

ولكن الأزهر ـ وان لم ينل عناية السلطان فى ذلك الوقت لأن السلطان كان حريصــا على اخفــاء كل أثر للفــاطميين والأزهر فاطمى الا أن العلماء الذين سبق أن تخرجوا فيه واستظلوا بظله كانوا هــم أنفسهم أســاتذة المــدارس التى أنشــأها الأيوبيــون وعلى هؤلاء العلمــاء تخرج تلاميذ هذه المدارس ، ولم يمنع ذلك أن أصبح هؤلاء التلاميذ يلوذون بالأزهر ويتخذ بعضهم من أروقته أماكن للعبادة ومنابر للتذكير ، ومن بــين هؤلاء التلاميذ المبرزين الذين أصــبحوا بدورهم علمــاء صوفيين عظمــاء نذكر منهــم على سبيل المثال : عمر بن الفارض الشاعر الصوفى المشهور المتوفى سنة ٦٦٠ هـ ، وعبد الرحيم القنــائى المتــوفى عام ٥٩٢ هـ والسيد أحمــد البــدوى المتوفى سنة ٦٧٥ هـ والســخاوى المصرى صاحب التفسير المتوفى سنة ٦٤٣ هـ .

هؤلاء وغيرهم نشأوا بعيدا عن الأزهر ولكن عماد علمهم كان على يــد علمــاء الأزهــر الذين تولوا التدريس فى مختلف المدارس التى نشأت فى ظل هذه الدولة .. يقــول المرحوم فضيلة الشيخ عبد الرحيم فوده فى كتــاب مساجد ومعاهد : كانت هــذه المدارس الكثيرة التى أنشئت من حول الأزهر امتــدادا لعمــله فى تنمية الثقــافة العربية والاســلامية ؛ اذ ليس من السهل على أى باحث أن يرى هذه الحركة تنمــو وتشــتد وتزدهــر وتثمر ثــم يصــدق مع ذلك أن الأزهر كان يعيش فى ظلام فكرى أو جمود عقلى ، وكل ما حدث هــو توزيع أهــله فى أماكن قريبة منــه ، ولئن غاض ماء الأزهر فى بنائه فقد فاض فى أبنية أخــرى ومعاهد أخرى ثم عادت اليــه مكانته وزعامته . ثم يقول : ومعنى هذا أن هذا المسجد الجامع أصبح جامعة تموج بطوائف

مختلفة الجهات والأجناس ، فانه أصبح كذلك موئلا لأرباب الطرق الصوفية يقيمون فيه حلق الذكر ومجالس الوعظ .

والمتتبع لتاريخ العلماء الذين لمعت أسماؤهم فى هذا المعهد يجد كل هذه الظواهر التى أشرنا اليها — فمثلا ابن الفارض الصوفى المشهور كان يقيم بالأزهر ، ووالده أبى أن يقبل وظيفة قاضى القضاة وآثر الانقطاع الى عبادة الله بقاعة الخطابة بالأزهر .

من رجال التصوف فى الأزهر :

ولا يجهل أحد مكانة ابن الفارض الذى أطلق عليه سلطان العاشقين . وقد ولد فى مصر سنة ٥٧٦ هـ ونشأ بها فى ظل الدولة الأيوبية ، ورحل الى مكة وقضى بها خمسة عشر عاما عاد بعدها الى القاهرة حيث مكث بها حتى وافته منيته سنة ٦٣٢ هـ بعد أن بلغ فى العلوم الصوفية مبلغا كبيرا ، وقد ضمن خلاصة معرفته أشعاره التى سرت مسرى الشمس ووضع حولها الشراح كثيرا من الشروح والتعليقات وكان أهم أشعاره قصيدته المشهورة التائية الكبرى المسماة نظم السلوك .

ولو رحنا نعدد علماء الصوفية الذين تخرجوا فى الأزهر لأعيانا الحصر ، ولكنا نكتفى بالاشارة الى بعض المشهورين منهم فى مختلف مراحل الأزهر .. فمن هؤلاء :

ابن عطاء الله السكندرى :

واسمه بالكامل أحمد بن محمد ابن عبد الكريم بن عطاء الله ولقبه تاج الدين ، وهو من أسرة علماء تعتز بالعلم وطلبه والحرص عليه ، وقد ولد ابن عطاء الله بالاسكندرية سنة ٦٥٨ هـ وفيها نشأ وتعلم فى معاهدها ، والتقى فيها بشيخه الصوفى أبى العباس المرسى رضى الله عنه ، ولزمه حتى أصبح علما من أعلام التصوف بارشاده ، فقد قال له : الزم يا أحمد فلئن لزمت لتصبحن مفتيا فى المذهبين .

وتحققت فراسة شيخه فيه فأفاض الله عليه من علمه ونوره وعلمه ما لم يكن يعلم .

وبعد وفاة شيخه المرسى سنة ٦٨٦ هـ رحل الى القاهرة حيث اشتغل بالتدريس فى الجامع الأزهر وظل كذلك حتى لقى ربه راضيا مرضيا سنة ٧٠٩ هـ ، وترك من بعده ثروة علمية صوفية رائعة ، يكفى أن يكون منها كتاب « الحكم » .

وقد ترجمت هذه الحكم الى مختلف اللغات نظرا لأهميتها الروحية وبلغت حدا كبيرا من الشهرة والروعة وشرحت شروحا مختلفة واحتفل بها الناس فى مختلف الأقطار واليك مقتطفات من هذه الحكم :

ـ اشتغالك بما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك .

ـ احالتك الأعمال الى وجود الفراغ من رعونات النفس .

ـ من ظن انفكاك لطفه عن قدره فذلك لقصور نظره .

وقد انتهت هذه الحكم الرائعة بصور من المناجاة الرائعة التى تدل على قرب من الله ومشاهدة لقيوميته ومعرفة به ، ومن ذلك قوله :

الهى أنا الفقير فى غناى فكيف لا أكون فقيرا فى فقرى ؟

الهى أنا الجاهل فى علمى فكيف لا أكون جهولا فى جهلى ؟

الهى عميت عين لا تراك عليها رقيبا وخسرت صفقة عبد لم يجعل له من حبك نصيبا .

الشعرانى :

فاذا ما تخطينا القرون الى القرن العاشر الهجرى وجدنا الامام الشعرانى بقامته العلمية السامقة التى تطاول الجبال وتعنو لها الجباه وتثبت للأجيال مقدرة الرجال .

ولد الشعرانى بقرية قلقشندة فى سنة ٨٩٨ هـ ثم انتقل به أبوه الى ساقية أبى شعرة التى ينتسب اليها.. نزح الى القاهرة سنة عشر وتسعمائة والتحق بالأزهر وقضى فى رحابه فترة من الزمن تلقى فيها العلم والمعرفة على يد شيخه على الشونى.

ثم سلك طريق التصوف جامعا بين علومه وعلوم الشريعة حتى بلغ

شأوا لا يلحق وأصبح قمة عالية من قمم التصوف لا سيما بعد أن التقى بشيخه على الخواص رضى الله عنه.

وللشعرانى مؤلفات عدة فى التصوف وغيره ومؤلفاته تقرب من ثلاثمائة مؤلف بعضها مبتكر ، وقد شهد له العلماء والمفكرون واعترف بفضله المستشرقون وأثنوا عليه ثناء مستطابا .

ومن أقواله عن علم التصوف : اعلم يا أخى رحمك الله أن علم التصوف عبارة عن علم انقدح فى قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة ، فكل من عمل بهما انقدح له من ذلك علوم وآداب وأسرار وحقائق تعجز الألسنة عنها ، نظير ما انقدح لعلماء الشريعة من الأحكام حين عملوا بما علموه من أحكامها ، فالتصوف اذن انما هو زبدة عمل العبد بأحكام الشريعة اذا خلا من عمله العلل وحظوظ النفس ، كما أن علم المعانى والبيان زبدة علم النحو .. وقد أجمع القوم على أنه لا يصلح للتصدر فى طريق الله عز وجل الا من تبحر فى علم الشريعة وعلم منطوقها ومفهومها وخاصها وعامها وناسخها ومنسوخها وتبحر فى لغة العرب حتى عرف مجازاتها واستعاراتها ...

وللشعرانى الفضل الأكبر فى محاولة التقريب بين مذاهب الفقهاء والأئمة ، وقد ضمن ذلك كتابه الميزان ، ومحاولة التقريب بين فقهاء الشريعة والحقيقة بكتابه كشف الغمة وهما كتابان جديران باهتمام العلماء الآن ..

شمس الدين الديروطى :

وقد ألف الشعرانى كتاب الطبقات الكبرى ، ذكر فيه كثيرا من شيوخه العلماء الذين تخرجوا فى الأزهر وبلغوا فى التصوف شأوا بعيدا من أمثال القطب الامام جلال الدين السيوطى صاحب المؤلفات النادرة القيمة والامام زكريا الأنصارى شارح حكم ابن عطاء الله السكندرى .

ومن أمثال الامام الصالح الورع الزاهد شمس الدين الديروطى الواعظ الذى يقول عنه :

كان فى الجامع الأزهر أيام السلطان قنصوه الغورى ، وكان

رضى الله عنـه مهيبا عنـد الملوك والأمراء ومن دونهم ، زاهدا ورعا مجاهدا صائما قائما آمرا بالمعروف ناهيـا عن المنكر ، وقـد حضرت مجلس وعظه فى الجامع الأزهر مرات فرأيت مجلسه تفيض فيه العيون ، وكان اذا تكلم أنصتوا بأجمعهم ، وكان يحضر مجلسـه أكابر الدولة ويقوم كل واحد منهم من مجلسـه متخشعا صغيرا ذليلا .

ومن أمثلة عزة هذا الواعظ أنه حط مرة على السلطان الغورى فى ترك الجهاد وقال له بعـد أن عنفه فى ترك رد السـلام عليه حين ألقى السلام : لقد نسيت نعم الله عليك وقابلتها بالعصيان ، أما تذكر حين كنت نصرانيا ثم أسروك وباعـوك من يـد الى يـد ثم من الله عليك بالحرية والاسلام ورقاك حتى صرت سلطانا على الخلق ؟

ثم ذكره بالموت والحساب حتى انزعج السـلطان وحـاول ترضيته وعرض عليـه عشرة آلاف دينـار يستعين بها على بناء برج دمياط ، ولكن الشيخ أبى قبولها وصمم على اصلاحه على نفقته الخاصـة ، فلم ير أعز من الشيخ فى هـذا المجلس ولا أذل من السلطان فيه .

وأنفق الشيخ على عمارة هـذا البرج نحـو أربعين ألف دينار لم يساعده فيها أحـد وكان صـاحب تجارة .. ومن مظاهر عزته أنه كان يرفض راتب وظيفة الفقهاء وينفـر طلبته من أكل أموال الأوقاف وقبول الصدقة ويخبرهم ــ كمـا يقـول أستاذنا الامام الأكبر فى كتابه عن ابن أدهم ــ أنها تسود قلوبهم ..

عزة العلمـاء :

والحديث عن عزة العلماء الصوفية يطول ، وقد صنعت لهم هذه العزة زعامتهم الشعبية الرائعة فى قلوب الجماهير حتى أرهبوا بذلك الغزاة والحكام الجائرين وأصبحوا يعملون للعلمـاء ألف حسـاب وحسـاب ويحاولون عن طريقهم تأليف قلوب الشعب ، ولكن هؤلاء العلماء كانوا عند حسن ظن شعوبهم فلم يستغلوا ذلك لجاه خاص أو اقتناص منصب

أو استيلاء على سلطة ومن أمثـلة هذه العزة ما يرويه المرحوم الشيخ عبد الرحيم فودة فى كتاب مساجد ومعاهد عن أحـد هؤلاء العلمـاء الصوفية ، وهو الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد الحق السنباطى الذى قال عن داود باشا الذى صـارت اليه ولاية مصر سنة ٩٤٥ هـ وقـد مر بموكبه فى شـعبان سنة ٩٥٠ : انه رقيق ولا يجـوز له أن يتولى الأحـكام ، وأن أحكامه باطلة ما لم يحصل على عتقه •

وقد ثار الباشا لذلك وهم بالفتك به ولكن الجند تمردوا عليه وانحازوا للشيخ فما كان من الباشـا الا أن كتب للسلطان بهذه الحادثة فأعتقه وطلب منـه أن يشـكر الشـيخ ويترضاه ••

وأمثلة ذلك كثيرة فتاريخ الأزهر حافل بمثل هـذه المواقف البطولية المستمدة من روح الدين الذى كان للتصوف أثر كبير فى تقويته ، فقد حرر التصوف الانسان من الخوف ووثق صلته بالله وعلمه أن العزة لله ولرســوله وللمؤمنين ، وجعله على ثقة فى قول النبى صلى الله عليــه وسلم : « لو اجتمع أهـل السموات والأرض على أن ينفعـوك بشىء ما نفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعـوا على أن يضروك ما ضروك الا بشىء قدكتبه الله عليك» •

الشيخ حسن رضوان :

واذا كان لنا أن نذكر من علماء الصوفية الذين سعد الأزهر بطلعتهم فى عصوره المتأخرة فلنذكر الشيخ حسن رضوان صاحب كتاب روض القلوب المستطاب • هـذا الكتاب لم يتـرك صـغيرة ولا كبـيرة فى التصـوف الا وأفاض فيهـا ببيان شاف وحديث واف وعبـارة رائقة ، ومن العجيب أن يكون هذا الكتاب كله شعرا ، ومـع ذلك فقد تمكن صاحبه أن يطوع الشعر لذلك العلم العميق الصعب ، وما هذا الا لبراعة فائقـة ومقـدرة نادرة وتمكن من ناصية اللغة وقوافى الشعر ولقـد

كان الجانب الالهامى يسيطر على تأليف هذا الكتاب •

وقد ولد الشيخ حسن رضوان فى مدينة بيا سنة ١٢٣٩ هـ وهاجرت به أمه الى القاهرة بعد وفاة أبيه وألقته فى يم الأزهر وتخرج فيه صغيرا ، وبلغ مقام التدريس وهو ابن سبع عشرة سنة ، ثم تعرف على شيخه فى الطريق الشيخ خالد على ، حيث لزمه وأحسن ملازمته وكان بالنسبة له كابن عطاء الله بالنسبة الى المرسى ، حتى بلغ فى التصوف شأوا بعيدا ومنزلة لا تلحق ، وانتقل الى المنيا حيث أقام فى قرية اسمها : بردونة الأشراف من أعمال مركز بنى مزار وأنشأ فيها مدرسة توافد اليها الطلاب من شتى البقاع ، وكان يقوم بأودهم جميعا من مأكل ومشرب وملبس وتعليم ، ومازالت داره حتى الآن عامرة بالقرآن الكريم •

ولهذا الشيخ مؤلفات عدة غير الكتاب المشار اليه منها : رسالة فى شرح قوله صلى الله عليه وسلم : من بنى لله مسجدا • والفتح المبين فى أحكام النون الساكنة والتنوين فى القراءات ، ونفحات فيض الرضوان فى الدلالة على سلوك طريق العرفان وغيرها ••

وكان يقصده كبار العلماء للتلقى عنه والتبرك به ، ومن هؤلاء العلماء الأجلاء الذين عرفوا له قدره وزاروه مرارا فى مقره : الشيخ حسن الطويل والشيخ محمد البسيونى والشيخ محمد المغربى والشيخ محمد عبده والشيخ أحمد أبوخطوة والشيخ عبد الرحيم فودة رحمهم الله جميعا •

وبعد ، فهذه سطور يتسع الحديث فيها لكل باحث عن مكان التصوف والمتصوفة فى رحاب الأزهر المعمور ، الذى أراد الله أن يكون بنيانا شامخا للعلم والدين • نسأل الله عز وجل أن يصل حاضره بماضيه ويحفظه على الأيام ذخرا للعرفان ومنارا هاديا لأهل الصدق والاخلاص والمتحققين بالعبودية الدارجين فى مدارج الكمال •

عبد الحفيظ فرغلى على القرنى

قراءات أهمتنى

للأستاذ محمد نجيب المطيعى

أما ما أكسبنى هما وغما فذلك ما قرأته فى بعض الصحف اليومية التى تحفل صفحاتها بالقضايا الدينية فعن لبعضها أن يقتحم علم الحديث فيكتب حلقات بعنوان ثقافة حديثية. ولو كان الذى وضع كلمة ثقافة وأطلقها على المعلومات العامة وهو المرحوم الدكتور محمد حسين هيكل باشا فى السياسة الأسبوعية يعلم أنها ستطلق على علوم الحديث فى أدق فنونه وأعلى معارفه وأخصها لحدد حدودها وحجر على هذا التوسع العقيم المبتذل .

فقد جاء فى مقال لأحدهم تحت عنوان (دفاع عن البخارى) ما يعد فى حقيقته هجوما على البخارى واليك البيان قال :

١ — ان فى البخارى ثمانين رجلا من رواته ضعفوا .

٢ — ان فى البخارى عيوبا موضوعية فترى بابا تحته أحاديث كثيرة ومنها ما هو عنوان بدون حديث .

٣ — وأما الأحاديث فضعفوا نحو مائة حديث ما بين مقطوع أو موقوف أو شاذ .

أما بالنسبة للدعوى الأولى فان ما عيب على البخارى انما هو من حسناته لأن الذين أوخذ البخارى بسببهم كان من بعض الحاسدين له ولهم . ذلك أن أول من فتح باب الغلو فى اطالة اللسان بالمخالفين الخوارج فجاء قادتهم الى عامتهم من باب التكفير لتستحكم النفرة من غيرهم وتقوى رابطة عامتهم بهم ثم سرى هذا الداء الى غيرهم وأصبح غلاة كل فرقة تكفر غيرها وتفسقه أو تبدعه أو تضلله حتى قيض الله تعالى لهذه الأمة الامام

البخارى فقام فى وجه الغلاة فزيف آراءهم وعرف لخيار كل فرقة قدرهم وأقام لكل منهم ميزان أمثالهم ، فصدع بالرواية عنهم ولو كانوا ينتسبون الى الاعتزال أو الارجاء أو التشيع أو الخوارجية أو غير ذلك من أنواع الفرق ، ووضع شروطا لمن يروى عنه من أهل هذه الفرق .

١ – ألا يكون داعية الى نحلته أو مذهبه فى مبالغة تخرجه عن حد العدالة .

٢ – أن يكون اعتقاده لنفسه فى غير غلو يشين عنده ميزان عدالته ولو كان غير داعية .

٣ – أن تكون روايته لحديث لا يخدم معتقده ولا مقالته التى يعتنقها ولا مذهبه الذى يراه .

ومن هنا جاء فى كتابه الرواية عن بضعة وسبعين رجلا ممن لهم آراء لم يبال البخارى بطعن من طعن فيهم من أجلها بعد أن عدلهم وأوضح تاريخهم وعذره فى الرواية عنهم فى تاريخيه الكبير والصغير .

والحقيقة أن صنيع البخارى هذا من أعظم ما يرفع قدره فى الأئمة ويوضح حبه لحرية الرأى وعدم تعصبه لمذهب بعينه فخرج عن كل عالم صدوق ثبت من أى فرقة كان كعمران بن حطان وداود بن الحصين وأبى جعفر الطبرى واسماعيل بن أبى أويس ابن أخت مالك وحماد بن سلمة وخليفة بن خياط وسعيد بن أبى عروبة وأبى البخترى والقاضى شريك وعثمان بن غياث وعثمان بن فرقد وعطاء بن أبى مسلم الخراسانى ابن القائد العباسى المشهور وأبى نعيم وغندر ومحارب بن دثار ومعمر بن راشد وهشام بن عروة بن الزبير ووهب بن منبه وليس له فى البخارى سوى حديث واحد عن أخيه همام ثم يحيى بن أبى كثير وأبى بكر بن أبى موسى الأشعرى وغيرهم من الثقات والأثبات الذين عابوا عليه الرواية عنهم . وذلك لأن البخارى يرى أن كل مجتهد مأجور أخطأ أم أصاب ، وقد أجمع العلماء على أنه تعرف ثقة الراوى بالتنصيص عليه من راويه أو ذكره فى تاريخ الثقات

أو تخريج أحد الشيخين أعنى البخارى ومسلما له فى الصحيح قالوا : وان تكلم فى بعض من خرج له فلا يلتفت اليه •

فعرف بذلك تعديل رجال البخارى فقد عرف أولو العلم قدرهم وسن هو للناس طرق التعصب والتحزب والتصافح على الأخوة الايمانية وتبادل الاراء والأفكار وسماع الحكم ومدارك الاستنباط من ذويها، ولذلك قالوا : من روى له البخارى فقد اجتاز القنطرة •

٢ ـ أما العيوب الموضوعية فهذه فى الحقيقة لا ترجع الى عيوب فى تنظيمه فى مادته وانما يرجع ذلك الى قصور فى درك فلسفة البخارى فى تنظيم كتابه فانه أحيانا يأتى على باب من الأبواب التى كثر فيها الخلاف ويرى الأحاديث الصحيحة الواردة فيها من الكثرة بحيث ترجح وجها من أوجه الخلاف بين الناس فيوردها ثم يأتى على باب من الأبواب التى كثر فيها الخلاف فلا يجد فيها حديثا صحيحا فيأتى بترجمة خالية من الأحاديث ليدل بذلك على أن هذا الرأى لم يصح عنده فيه حديث ، فيكون خلو الترجمة من دليل نبوى أعظم من أى مقال يكتب فى زيف ذلك الرأى •

٣ ـ بقى الزعم الكبير والفرية العظمى أنهم ضعفوا مائة حديث فى البخارى ، ولا أدرى من هم الذين ضعفوا ؟ وأين قابلهم الكاتب، ولا أجد فى كتب المسلمين هذا الرأى ولم يقل أحد من أهل الحديث ولا من أهل الفقه ولا من أهل الكلام هذا الاحصاء العجيب اللهم الا كتاب رددنا عليه بالتفصيل وفندناه بالتحليل وأثبتنا وهمه وخطل رأيه فى أعداد مجلة الأزهر السابقة وأوضحنا خطأ من يرى رأيه ولو كان ممن يشار اليه بالنواصى والابهام •

٤ ـ ثم بقى الزعم بأن البخارى فيه موقوفات ومثل هذا مثل من يقول : ان سيبويه أدخل كان وأخواتها على الجملة الاسمية فرفع اسمها ونصب خبرها فهل يعاب على

البخارى أن يورد أقوالا للصحابة أو التابعين أو الأئمة أو غيرهم، وهل زعم أحد بأن الموقوف يعد المرفوع أليس من تمام الاستيعاب وكمال التقصى أن يكون للرأى مؤيدون من الصحابة أو معارضون وهو أمر منبث فى كتب السنة جميعا ومنها عرفنا مذاهب الصحابة والتابعين وبما قالوا به وأخذوا من أحكام الفروع . والقرآن وهو كلام الله تعالى روى الله تعالى فيه عن لقمان وهو يعظ ابنه وعن نوح وما قال لقومه وشعيب ولوط وما كان بين مريم والروح ولم يقل أحد أن القرآن خالف نهجه فى رواية كلام غير كلام الله تعالى .

أما القول بأن البخارى فيه منقطعات فتلك فرية لو علم الكاتب شروط البخارى فى ألا يثبت فى كتابه الا عمن ثبتت صحبته لمن يروى عنه وطالت صحبته لعرف أنه يستحيل أن يأتى فيه منقطعات.

أما القول بأن فيه الشاذ فتلك لعمرى قاصمة الظهر وقبل أن تدفع هذه التهمة نحب أن نبصر الكاتب بأن الشاذ هو المخالف للمحفوظ فأى كتاب تحت أديم السماء يروى حديثا محفوظا يخالف حديثا شاذا فى البخارى ، والقاعدة أن كل ما خالف البخارى قدم البخارى عليه لأن كل ما فيه محفوظ وكل ما خالفه فهو بين مرجوح أو شاذ أو منكر .

أما الغريب فلا ننكر أن فى البخارى كثيرا منه وليس الغريب من الضعيف وانما هو الذى روى من طريق الفرد المطلق كحديث «انما الأعمال بالنيات» فانه غريب من طرفه الأول اذ لم يروه عن النبى صلى الله عليه وسلم الا عمر بن الخطاب ولم يروه عن عمر الا علقمة بن وقاص الليثى ولم يروه عن علقمة الا محمد بن ابراهيم التيمى ولم يروه عن محمد التيمى الا يحيى بن سعيد الأنصارى ، ومع ذلك فقد قال العلماء وعلى رأسهم الامام الشافعى رضى الله عنه ان هذا الحديث ثلث العلم .

ونسأل الله أن يبصرنا بنور السنة وأن يجنبنا الزلل .

محمد نجيب المطيعى

فيم يفكر الشباب

إعداد وتقديم : الدكتور عبد الودود شلبي

— ٢ —

السؤال الاول :

(ا) هل لليهود لغة خاصة بهم ؟

(ب) وهل صحيح أن الأرض التى يقيمون فيها ليست أرضهم ؟

(جـ) واذا كان الأمر كذلك فكيف حصلوا عليها ؟

محمد سعيد على
طالب عمانى
بهجت عبد العزيز
فرانكفورت ـ ألمانيا الاتحادية

السؤال الثانى :

ما أصل الشريف ؟ وكيف يكون المرأ شريفا ؟

من أولاد النبى والحال أن أغلبية أولاده ماتوا قبل الزواج ؟

عبد العزيز طه احمد / موظف :
خالد عبد العزيز / طالب :

الاجابة على السؤال الأول :

(أ) نعم هناك لغة خاصة باليهود وهى اللغة العبرية التى يحاولون احياءها بشتى الوسائل كرباط ثقافى تلتزم به الجماعات اليهودية فى مختلف بلاد العالم وقد لعبت الحركة الصهيونية دورا هاما فى احياء هذه اللغة لاختلاف وجهات النظر بين المحافظين الذين كانوا يحتجون بأن استعمال اللغة العبرية التى نزلت بها التوراة كفر ما بعده كفر — وبين أساتذة المدارس الذين كانوا يطالبون بضرورة احياء اللغة العبرية كلغة قومية .

ولما كان المهاجرون اليهود قد نزحوا الى فلسطين من جميع أنحاء العالم وكانوا يتكلمون بلغات البلاد التى قدموا منها فقد تعذر التفاهم بين هؤلاء المهاجرين لاختلاف

لهجاتهم ولغاتهم .ومن ثم استجابت الوكالة اليهودية لرغبة المطالبين بتعليم اللغة العبرية كوسيلة للتفاهم بين هؤلاء المهاجرين من كل قطر ودولة ..

(ب) أما أن الأرض التى يملكها اليهود فى فلسطين ليست أرضهم فهذا من الحقائق التاريخية الثابتة، لذلك ... كان من الضرورى أن نشير الى الأصل التاريخى لهذه القضية حتى نلم بأطراف الموضوع من كل ناحية ، وحتى يعرف الأخ السائل جناية الاستعمار والصهيونية على حقوق العرب الشرعية فقد ظهرت البذور الأولى للقضية الفلسطينية فى أواخر القرن التاسع عشر اثر حملات الابادة والكراهية التى كانت تثار ضد اليهود فى دول أوربا . فقام رجل يهودى يدعى « هرتزل » بالدعوة الى انشاء وطن قومى يجمع اليهود المشتتين فى كل ناحية ، ولم يشأ هرتزل أن يحدد لهذا الوطن بقعة معينة بل ترك ذلك للرأى العام اليهودى فى أول مؤتمر يعقد لدراسة هذه القضية فلما تقرر عقد هذا المؤتمر فى منتصف عام ١٨٩٧ بمدينة «بال» فى سويسرا ، واجتمع ممثلو اليهود للمرة الأولى منذ ثمانية عشر قرنا حول مائدة واحدة ، اتجهت أنظار اليهود الى فلسطين كأفضل مكان لتحقيق هذه الفكرة ، وسميت هذه الحركة بالحركة الصهيونية نسبة الى جبل صهيون القائم فى الديار المقدسة ، ولما كانت فلسطين تابعة — فى هذا الوقت — للدولة العثمانية فقد حاول اليهود انتهاز الضائقة المالية التى كانت تمر بها هذه الدولة ، فتوجه « هرتزل » الى تركيا لمقابلة السلطان عبد الحميد وعرض عليه مساعدة اليهود المادية ودفع اتاوة سنوية معينة لقاء حصولهم على وعد بانشاء وطن قومى لهم فى البلاد الفلسطينية ، الا أن جهود هرتزل ذهبت أدراج الرياح حين رفض السلطان اعطاءهم هذا الوعد واكتفى بمنح اليهود حرية الاقامة فى الأناضول والعراق وسوريا دون فلسطين ..

وحينما شبت نيران الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ دخل الأتراك هذه الحرب بجوار المانيا

والنمسا ضد انجلترا وفرنسا ، فانتهز اليهود هذه الفرصة وكونوا منهم بعض الكتائب لتقاتل فى صفوف الحلفاء من الانجليز والفرنسيين ، حتى اذا خسرت المانيا الحرب ، وزحفت قوات الحلفاء بقيادة اللنبى على فلسطين ، لم تمض سنة واحدة حتى كانت الأراضى الفلسطينية وما وراء نهر الأردن قد ضاعت من أيدى الأتراك بعد حكم دام ثلاثة قرون ..

وتعرضت بريطانيا بعد ذلك لأزمة شديدة بسبب ضعف انتاج مادة الأستيون اللازمة لصنع المواد المتفجرة . فانتهزت الحركة الصهيونية هذه الفرصة وذهب رجل منهم يدعى « حاييم ويزمان » الى وزارة الحربية البريطانية يعرض عليها انتاج هذه المادة ، حتى اذا كللت تجاربه بالنجاح ، وأرادت الحكومة البريطانية مكافأته قال أنا لا أريد حاجة لنفسى ، أريد أن تعملوا شيئا من أجل شعبى أريد أن يكون لليهود وطن قومى فى فلسطين ..

وفى غمرة الانتصار الذى كسبته بريطانيا بالدهاء والخيانة نسيت العهود والمواثيق التى أعطتها للعرب وهم يقاتلون فى صفوف جيوشها ضد أبناء دينهم العثمانيين ، فاستجابت للحركة الصهيونية باصدار تصريح بلفور المشئوم وفيه تتعهد بريطانيا بانشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين ، وكان عدد اليهود المقيمين فى فلسطين فى هذه الفترة لا يزيدون على ٧٪ من مجموع السكان الأصليين ، وكانوا يملكون من الأرض ما لا يزيد على ٦٪ والباقى فى أيدى العرب أصحاب البلاد الحقيقيين

(ج) أما كيف تم لليهود امتلاك فلسطين ، وكيف انتزعوا أرضها من العرب بعد حين ، فان مسئولية هذه الجريمة تقع على بريطانيا التى مكنت لليهود بالقوة والغدر والتقتيل . فقد فتحت أمام اليهود أبواب الهجرة . ومنحتهم الأراضى الشاسعة فى كل مدينة وقرية ، وخصت اليهود بأكثر وظائف الدولة ، ثم حرمت العرب من

حقوقهم الشرعية المكتسبة وأغلقت فى وجوههم أبواب الوظائف، وضاعفت عليهم الضرائب ، وضيقت على الفلاحين سبل الزراعة ليتخلصوا من الأرض ، ثم جردتهم من السلاح فى الوقت الذى بدأ اليهود يكونون فيه جيشا خاصا بهم . فلما ثار العرب لرد هذا الخطر الداهم ، دمرت قراهم ومدنهم ، وقتل نساؤهم وأطفالهم ، وشنق زعماؤهم وقوادهم ، حتى اذا انتهت الحرب العالمية الثانية ، واستكمل اليهود كل ما يتصل بقيام دولة أعلنت بريطانيا فجأة أنها ستنسحب فوثب اليهود المسلحون على العرب وارتكبوا معهم أبشع وسائل التقتيل والنهب . وفى هذا يقول المؤرخ الانجليزى المعاصر « أرنولد توينبى » : ان الحكومة البريطانية مسئولة عن كارثة فلسطين وقد أوجدتها بعمد وتدبير ..

الاجابة على السؤال الثانى :

الشرف فى الأصل معناه الحسب والجاه ..

« فالشريف » بهذا المعنى هو الرجل المنسوب الى الحسب والجاه وقوة النفوذ والسلطان .. ولهذا كانت المجتمعات حتى منتصف القرن التاسع عشر طبقات ... طبقة الأشراف — وطبقات أخرى من العمال . والفلاحين . والارقاء ..

هذا من حيث المعنى الأصلى لهذه الكلمة ..

الا أن « الشريف » فى مجتمعنا الاسلامى يطلق عادة على الرجل الذى ينتهى نسبه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم — من أولاد فاطمة الزهراء رضى الله عنها ...



فاذا كان الرجل شريفا بهذا المعنى فلابد أن يكون متحليا بالصفات الطيبة . والخلال الحميدة والتزام الطاعة والتقوى ... والا فان هذا الشرف لا يغنى عنه من الله شيئا ..

يقول الرسول — صلى الله عليه وسلم — لفاطمة :

اعملى .. فانى لا أغنى عنك من الله شيئا ..

وحين سرقت امـرأة من قريش أراد بعض الناس أن يتوسطوا لها عند رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ حتى لا يقيم عليها الحد ويقطع يدها .. فغضـب النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ من ذلك وقال :

« انما أهلك من كان قبلـكم : انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق الضعيف قطعوه »

ويرفض النبى ــ صلى الله عليه وسـلم ــ أن يعطى لأهـله بعض الامتيازات حين جاؤا يطلبون منه ذلك ويقول : « لا يجيئنى النـاس بالأعمال وتجيئوننى بالأنساب » .

انما كل واحد وعمله ، وشرف الرجل فى تقواه لا فى نسبه ..

فاذا اجتمع بعـد ذلك للرجـل شرف العمـل والتقـوى ، وشرف النسب والقرابة فذلك غاية ما يطمح اليه انسان فى هذه الدنيا ..

* * *

فاذا قيل بعد ذلك كيف يكون الرجل « شريفا » من أحفاد النبى والحال أن أغلبية أولاده ماتوا قبل الزواج ؟

فالجواب عن هذا :

ان أولاد البنت يعتبرون من ذرية الرجل وأولاده .

وقد ذهب رسول الله ــ صلى الله عليـه وسـلم ــ للصـلاة فى المسجد فصلى . حتى اذا سـجد جاء الحسـين ابن فاطمـة رضى الله عنهما وهو طفل فركبه ، فبقى النبى ساجدا حتى نزل الحسين من فوقه. فلما رفع وسـلم قال الصـحابة : ظننا أن قد حدث لك شىء ..

فقال النبى :

ان ابنى ارتحلنى فكـرهت أن أنزله حتى ينزل فسمى الحسين ابنه وهو كما نعرف ولد فاطمة الزهراء رضى الله عنها ..

والقرآن الكريم يقرر هذا :

فقد حدث أن بعض الناس انكر أن يكون أولاد فاطمـة من ذرية النبى ــ صلى الله عليـه وسلم ــ

والذرية انما تكون من ولد الابن لا من ولد البنت ..

فأجيب :

بأن أولاد البنت كأولاد الابن من غير فارق كما جاء بذلك القرآن عند الحديث عن ابراهيم عليه السلام وذريته فى سورة الأنعام آية ٨٤ ، ٨٥

يقول الله تعالى :

« ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزى المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين » .

فالآية تقرر أن عيسى عليه السلام من ذرية ابراهيم والثابت أنه ولد من غير أب كما هو معروف فى كل الدنيا الا أن أمه البتول الطاهرة من ذرية ابراهيم ، فاعتبر ولدها كذلك فى النسبة الى هذه الذرية .

* * *

د/ عبد الودود شلبى

حسان الهند غلام علی آزاد

للدكتور عبد المقصود محمد شلقامى

فى العدد السابق كانت لنا جولة مع الشاعر حيث تحدثنا عن أصله ونشأته وشخصيته وأعماله ولقبه الشعرى « حسان الهند » وطرف من علاقاته مع العلماء والأدباء من عرب وهنود ، وهانحن على الدرب نواصل هذا الحديث .

— ٢ —

أغراض شعره :

قال آزاد الشعر فى أربعة أغراض رئيسية هى حسب الترتيب فى الكثرة: الغزل ، والمدح ، والرثاء، والتقريظ، وهناك أغراض أخرى كالوصف والطبيعة وشعر الحكم والأمثال جاءت فى درج أغراض عامة ، أما الغزل والمدح فيكادان يستأثران بانتاجه لذلك رأينا أن نتكلم عن كل منهما تحت عنوان مستقل وقد تركنا التقريظ لقلته من ناحية وكونه داخلا فى غرض المديح من ناحية أخرى .

والرثاء عند آزاد من النوع المتفجع فاذا رثى بكى وناح وفقد الصبر ونسى التأسى وكأنما الدنيا قد تخربت والفلك قد انتثر نظامه وتهاوت كواكبه كما يقول فى رثاء السيد طفيل محمد :

والدهر مد يد العدوان حيث طوى
بساط عافيتى طى الطوامير

فصار مولاى روح الكون مرتحلا
وزلزل الحزن أركان الدهارير

اذا تذكرت أيامى به هملت
عيناى كالسحب البيض المقاطير

ضاقت على الطباق السبع واضطرمت
بمارج من عذاب كالتنانير

لا يرتجى الصبر منى فى مصيبته
اذ حزنه جل عن حصر المقادير

فى المديح النبوى :

لما كان آزاد من أسرة تنتمى الى البيت النبوى وتقوم حياتها على الدين وخدمته ويتربى أبناؤها على مبادئه منذ نعومة أظفارهم فقد مدح آزاد رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبا منه الشفاعة والقبول كما فعل غيره من الشعراء ، ولعل بعد موطنه وتأثير ثقافته قد أججتا فيه عاصفة الحب والاعجاب ففاض قلمه بهذا المديح . يقول :

آزاد عبد عتيق من سلالته
لكنه فى ارسال الحب مجبول

وهذا المدح فى رأيه عبادة وقربى:

لله وصف الذى فاقت خلائقه
يفوح عرف البشام الرطب من قالى

ما أحسن المنطق الموزون أحسبه
يوم الموازين من أخيار أثقال

وأهم عمل يتقدم به الشعراء هو مدح الرسول صلى الله عليه وسلم :

حصلت بالمدح الكريم سعادة
هذا أخص عبادة الشعراء

توصيف غيرك بعد مدحك مشبه
بيتا تضمن وصمة الاقواء

منهجه فى المديح :

اتخذ آزاد كعب بن زهير أستاذا له حيث يقول :

نسجت كابن زهير برد مدحته
لقد غدا قلم الأستاذ منوالى

وتتجلى تبعيته لكعب فى طريقة الافتتاح كما كان يفعل الجاهليون واختصار المديح وتضمين بعض ألفاظه ورغم أن آزاد مكثر فى المديح فقد جاء مديحه مختصرا مما جعل معظمه يكاد يكون متشابها ولو أنه مال الى البسط لكان أحسن ويعلل آزاد طريقة الاختصار هذه بقوله :

أوصافه من قبول الحصر آبية
ما طول مدحته أولى من القصر

كيف الموصف يقضى حق مدحته
يرى مزاياه فوق الأنجم الزهر

يمشى يراعى وينوى قصر مدحته
قصر العبادة حكم الله فى السفر

آزاد بين المادحين :

اطلع آزاد على مدائح الفحول وأعجب بها غير أنه رغم تبعيته يدعى

أحيانا أنه يساويهم او يتفوق عليهم حيث يقول :

أثنى عليك فحول فاق ألسنهم
كلامهم فى مقام المدح ياصول (١)

لاضير ان كنت فى الاخوان منتقصا
يوم الوغى أحسن الأرماح مهزول

ورب ذى كبر يعلوه ذو صغر
لايبلغ الخال فى الاعجاب ثؤلول(٢)

واذا طالعنا دواوين المادحين علمنا أن آزاد يغالى بنفسه وبشعره فهاهو ذا البوصيرى يقول متواضعا :

عذرا اليك رسول الله من كلمى
ان الكريم لديه العذر مقبول

لم أنتحلها ولم أغصب معانيها
وغير مدحك مغصوب ومنحول

وما على قول كعب أن توازنه
فربما وازن الدر المثاقيل

ويتأدب شمس الدين النواجى قائلا:

روضة ابن زهير طاب مغرسها
فزهرها بندى كفيه مطلول

وان نسجت على منوال بردته
طراز مدح له بالدر تكليل

ان لم أفز بقبول فى متابعتى
بانت سعاد فقلبى اليوم متبول

كما نلاحظ أن شوقى فى العصر الحديث قد تواضع كثيرا أمام البوصيرى وشهد له بالسبق والابداع رغم أنه فاقه فى بعض المواضع اجادة وشمولا حيث يقول :

الله يعلم أنى لا أعارضه
من ذا يعارض صوب العارض العرم

تناول آزاد فى قصائده المختلفة أحداث السيرة النبوية من قبل الميلاد الى الوفاة باحثا عن جانب العظمة مسجلا عواطفه طالبا الشفاعة وحسن القبول وسوف تتكلم هنا عن بعض المعانى التى تفرد بها أو اشترك فيها مع غيره •

يقول آزاد فى أصحاب الفيل :

أولو الأفيال قد ذاقوا المنايا
كأن أولاء ماتوا بالأرون (٣)

بل الغاوون صاروا مثل عصف
تغيره الحرارة فى البطون

---

(١) الياصول : الأصل الذى يقوم به الشىء •
(٢) الثؤلول : بروز فى الجسم لونه أسود.
(٣) الأرون : دماغ الفيل يقال ان آكله يموت فى الحال •

فان البيت الثانى يعطى تصويرا دقيقا لأصحاب الفيل بعد هلاكهم حيث تفتتت أجسامهم مختلطة بدمائهم فشبههم الشاعر بعلف فى بطون الحيوانات لم يتم تمثيله ،ولم يتفق لشاعر — فيما نعلم — أن انتبه الى هذا المعنى وانه ليعد — والله أعلم — أقرب تفسير لقوله تعالى : « فجعلهم كعصف مأكول » .

ويقول فى المعجزة :

نسيم اعجازه لو هب لابتسمت
موتى المقابر كالأكمام فى الكفن

أومى الى فلك الدنيا بأصبعه
فالبدر خر له خرا على الذقن

كأنه نصف التفاح فى طبق
أو درهما زائفا من خازن الزمن

فان صورة الموتى يبسمون من خلف أكفانهم بعيدة عن صورة الأكمام المتفتحة للحياة ولكنها المعجزة قد قربت بينهما وناسبت على غير العادة فجاء التعبير ملائما للمقام ، وتشبيه القمر المنشق بنصفى تفاحة أو بدرهم زائف قد كسر نصفين بعيد أيضا فذلك فى السماء وهذان فى الأرض ولا مناسبة بينهما سوى الشكل الخارجى وان الذهن ليقطع المسافة بينهما بعد جهد كبير ولكنه على كل حال يجد فى الجمع بينهما طرافة من ناحية واعجازا من أخرى ولا شك أن الذى يتحكم فى الحياة والموت ويقهر الفلك ويذلله لأمره جدير به أن يعظم ويذعن لأمره .

وشاعرنا فى بحثه عن العظمة يكثر من المعجزات ويتوسع فيها ويولد أحيانا من المعجزة الواحدة معجزتين . يقول فى انشقاق القمر :

أشار فانشق صدر البدر مؤتمرا
والالتئام لعمرى خارق ثانى

وقوله فى عودة الشمس :

وقلت للشمس عودى وهى غائبة
فطاوعت أمرك العالى على رشد

كأنما دحرجت فى طسته كرة
فقهقرت ثم عادت عود مقتصد

فقد جعل انشقاق القمر معجزة وانشقاقه أخرى ، وكذلك رجوع

الشمس عن الغروب معجزة، وعودتها الى ما كانت عليه معجزة أخرى ، ولم يلتفت أحد المادحين — فيما نعلم — الى مثل هذا .

ويشير آزاد الى ما روى أنه جيء بعلى بن أبى طالب فى غزوة خيبر وقد تورمت عيناه فمسحهما الرسول صلى الله عليه وسلم فشفيتا بقوله :

طابت شقائق صارت نرجسا نضرا
لما شفيت مريض الطرف من رمد

وفى هذا يقول البوصيرى :

وعيون مررت بها وهى رمد
فأرتها ما لم تر الزرقاء

فقد امتاز آزاد على البوصيرى فى وصف المرض بعينى على — رضى الله عنه — حيث شبههما بشقائق النعمان فى الحرة والتورم ثم يختلف الشاعران فى وصف العيون بعد الشفاء فينظر آزاد الى الناحية الجمالية فيصفها بالنرجس وينظر البوصيرى الى قوة الابصار فيضعها فوق عينى الزرقاء .

ويقول آزاد فى الاسراء والمعراج :

سرى الى الفلك الأعلى فشرفه
لقد أتم به نور الكمالات

ويقول الامام البرعى ٤٥٠/١٠٥٨

والعرش يهتز من تعظيمه طربا
اذ شرف العرش والكرسى مقدمه

فرغم عدم الدقة فى قول آزاد سرى الى الفلك الأعلى فان فى بيته شمولا للملأ الأعلى وزيادة تشريف له بجعله يقتبس مزيدا من النور من صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم .

ويقول شاعرنا آزاد فى الزهد :

آوى اليه الفقر فقرا ساذجا
ورمى النعال على جبال العسجد

ان قيمة الانسان فوق كل قيمة ولذا فان محمدا صلى الله عليه وسلم ذلك الانسان الكامل لايكترث لهذا الغالى النفيس الذى يتهافت عليه الناس فأى صورة أقوى بايحائها فى احتقار المال من هذه الصورة التى يقذف فيها بالنعال القديمة فوق جبال من ذلك النضار الغالى المتلألىء فى أشعة الشمس

يبهر الأبصار ويذهب بالعقول وأى بيان لقيمته واجلاء لقدره أقوى من هـذه الصورة . نعم لقـد أحسن البوصيرى حيث يقول :

وراودته الجبـال الشم من ذهب
عن نفســه فأراهـا أيما شمم

مصورا المـال بامرأة تراود فتاها عن نفسه فيأبى فى شمم وعفة غير أن صورة امرأة آزاد عذراء لم يفترعها أحد من قبله أو يتسامى اليهـا أحد بعـده .

وفى عظمة الرسول صلى الله عليه وسلم يقول آزاد :

سكن الملائك فى حوائط بيتـه
مثـل الحمائم فى كوى الجدران

وقفوا كما تقف الشموع بسوحه
ودموعهم فى غايـة الهمـلان

جلسـوا على بسط الوقار تأدبا
نسى الجناح طريقـة الطـيران

فقد رسم الشاعر هنا ثلاث صور للملائكة ـ الأولى : صورة الحمائم تقف فى الكوى ساكنة ، والثانية : صورة الشموع تتساقط منها حبات سائلة شفافة تحت تأثير الحـرارة والثالثة : جماعة تجلس فى خشوع وابتهار ، وهـذه الصـور الثلاث تتشابك بظلالها وتتعاون بايحاءاتها لتكون صورة رائعـة لعظمة النبى صلى الله عليه وسلم .

ويقول آزاد فى شرعية القتال :

فى رمحـه المسموم آية حكمـه
كم من عظيم النفع أودع عقربا

وقد جاء هذا المعنى فى قول شوقى :

الحرب فى حق لديـك شريعة
ومن السـموم الناقعـات دواء

وصف الأماكن المقدسة :

أكثر شاعرنا فى وصف الأماكن المقدسـة وتشـوق اليها وتمنى أن يقضى حياته فى ربوعها ويموت بهـا ليدفن فى ترابها .

يقول فى وصـف المدينة المنورة والمسجد النبوى :

روحى الفـداء لروضة قـدسية
مملوءة بلطـافة وصـفاء

بلغ المغارب والمشارق ضـوؤها
ترنو اليهـا الشمس كالحـرباء

ما أحسن القبر الذى فى حجره
خير البرية سيد البطحاء
طوبى لطيبة حيث ضم ضريحها
جسما تسنم فوق سبع سماء
ولها شبابيك بأحسن صنعة
صادت قلوبا من أهيل ولاء
هى فى جوانبها منافذ رحمة
أو أحدقت بنواظر العرفاء
بدت القناديل اللطاف وسقفه
مثل السماء وشهبها الغراء
لابل قلوب مضرم فيها اللظى
علقت هنا بسلاسل الأهواء

* * *

لقد أبدع آزاد فى تصوير الرسول صلى الله علية وسلم بالرحمة تشع من داخل النوافذ والمؤمنون يتزاحمون حولها ويحدقون فيها ويتعلقون بها كما كان له سبق فى وصف سقف الروضة والمصابيح معلقة فيها بالسماء تزينها النجوم ثم أبدع حين ترقى به الخيال فأضرب عن تصوير المصابيح بالنجوم بجعلها قلوبا متحرقه مقيدة بسلاسل الهوى والهيام والحب فى ذاته ولذاته، ويقول فى قصيدة أخرى:

سوح المدينة ما أجل ترابها
تجد البصائر فيه فعل الاثمد
وغبارها المحسوس فوق هوائها
كحل اليقين لمقلة المتردد
نصب لمن ضل الطريق بسوحها
علم الهدى من اصبع المتشهد
أشجارها قامت على ساق الهدى
وظلالها مأوى الرجال السجد
أملاك أطباق السماء طيورها
وصفيرها ذكر الاله السرمد

* * *

فيضفى على المدينة جلالا وقدسية ويحرك فيها معانى العبادة والتدين ويؤلف من الأرض والهواء والشجر والظلال والأحياء صورة موحية ذات لحن أبدى يثير الشوق والهيام ويوحى بالوحدة والانسجام، ثم يزيد فى هذه الحيوية بالحوار الآتى :

قالت لطرفاء الفلاة حمامة
لم تمرحين وتفخرين فأرشدى
قالت لها أو ما ترين مكانتى
قد كان منا منبر لمحمد

* * *

ولو أن شاعرنا أكمل الحوار لكانت الصورة أجمل والمنظر أمتع والحوار أنفع ، ولا شك أن من

يقرأ البوصيرى وغيره فى وصف الروضة الشريفة سوف يجد أن روضة آزاد أكثر حركة وأقوى نبضا وأعمق ايحاء وأغنى بالخلفيات الروحية ؟ نعم لقد تأثر آزاد بالبوصيرى وتطفل عليه فى معنى أو معنيين ولكن ذلك لا يغض من سبقه وتفوقه .

ولآزاد قصيدتان فى الكعبة الشريفة نذكر منهما قوله :

حسناء مكة عطلت معشوقة
شامية بالحسن والخيلاء

ان أصبحت فى الغانيات عتيقة
فجمالها أسنى من العذراء

قيس أحب جمال ليلى واحد
وقيوسها جلوا عن الاحصاء

لا تكتسى فى العام الا مرة
والوجه منكشف على العقلاء

شعر الغزل :

للمرأة فى شعر آزاد نصيب كبير فلا يكاد ديوان من دواوينه العشر أو قصيدة من قصائده تخلو من الغزل لكن من هذه المرة التى تغزل فيها آزاد ؟ وما مدى عاطفته نحوها؟

ومن الاجابة على هذين السؤالين يمكن لنا أن نعرف من أى نوع غزل آزاد ، وباستعراضنا لشعره وجدنا أنه تغزل فى كثيرات مثل عزة وأسماء وسعاد ، وسلمى،وقد يجمع بين أكثر من واحدة فى قصيدة واحدة مثل قوله :

أهلا بضيفك يا سعاد ومرحبا
هو عندنا أحلى من الانصاف

وبعد ثلاثة أبيات :

خلف المواعد شيمة مذمومة
اياك يا سلمى من الاخلاف

* * *

بل قد يجمع بينهما فى بيت واحد كقوله :

ركنت الى سلمى وعزة بعدها
فبورك فى عشق المحب المخضرم

وأكثر معشوقاته العربيات ، بيد أنه تغزل فى غيرهن ، منهن الهندية مثل قوله :

أمامة أصبحت بجمالها فى
نساء الهند صاحبة الكرامه

لقد أحببتها حبا عظيما
ووردى دائما بى بى أمامه

والفارسية :

أقبلت أعجميـــة ســـحرا
فقلت بالفارسى : آنزديك (١)
فأشـــارت الى مقتلهـــا
فى حضور الرجال : لا آتيك

والتركية :

تركيـــة سفكت دمى وهى التى
أسلافهـــا أخنوا على المستعصم
حمراء صينت بالأسـنة والظبـا
حتم أذى الأشواك دون الحوجم(٢)
كيف العــلاج ولا أنال لقـاءها
بالصـلح أو بالحرب أو بالدرهم

* * *

ومن هذا التكثر يسوغ لنـــا أن نحكم بأن غزله لم يكن عذريا كما أنه لم يكن عمريا ماجنا لأن الماجنين يمتاز شعرهم بالواقعية والتجـربة بخـلاف آزاد الذى لم ير معظم الأماكن التى شهدت لقاءه الخيالى بمعشوقاته العربيات فى نحد وتهامة واليمن ، ولهذا يمكن أن نحكم على معظم غزله بالتصنع قاله اسـتجابة فنية لتقاليد القصيدة العربية كمـــا يقول مالك بن أبى زغبة الباهلى :

ومـــا كان طبى حبهـــا غير أنه
يقام بسلمى فى القوافى صدورها

* * *

واستقصاء للفن ومجاراة لغيره ، ومن أجل ذلك ظهر فى غزله العفة والمجون فجاء فاترا هزيل العاطفـة فى الغالب ، وقد طرق فى هذا التقليد للغزل معانى السابقين : فيقـــول مثلا فى لغة العيون :

ما كلمتنى أمس خوف لداتها
أدركت هذا السر من نظراتها
ألفيت مقلتها الكريمة مصقعا
متحـير سحبـان فى كلماتهـا
لا يعقـل الرقبـاء أمرا بيننا
ما أبدع التقـرير فى لحظاتها

ولسنا فى حاجة أن نذكر أن هذا المعنى معاد ومكرور ، أما الأطلال فلم يكتف آزاد فيهـا بالافتتـاح

(١) آ : فى الفارسية بمعنى تعالى ، نزديك بمعنى قريب أى تعالى قريبا .

(٢) الحوجم : الورد الأحمر .

وانما جعلها غرضا مستقلا وأفرد لها قصيدة سماها « القصيدة الطللية» أدار الحديث فيها حول الأطلال وقصره عليها ومطلعها :

ضاعت ربوع النقا بالوابل الهتن
وضاع قلبى اذ أقفرن بالحزن

ومنها :

أجل فى دمن الوعساء أحجرها
حتى تخيل أنى عابد الوثن

راحت عن الدار من كانت تعمرها
لايسكن الروح طول الدهر بالبدن
أطوى مسافة عمرى فى الاطلال مختزنا

يا ليتنى فى وعاء الدهر لم أكن
كادت تخر السماوات الرفيعة اذ

خرت أساطينها خرا على الذقن
لم تترك الريح من جدرانها أثرا

لكن خوالدها الأمجاد فى الأمن
لقد أغارت على الدهناء عاصفة

فأوصلت أحجرا منها الى اليمن
يا بارك الله فى توفيق صادحة

تذرى الدموع معى فى هذه الدمن

ويقول فى لحظات الفراق :

هملت دموعى يوم سارت أينق
بترنم الأجراس ثم الحادى

وكأن قلبى طائرا فى اثرها
جرس تكسر فانهوى من هادى

ويصور ما ألم به فى الفراق قائلا:

ما شخص الحكماء سقم طبيعتى
حتى ابتلوا بكثيرة الأمراض

قالوا جميعا أنت أعلم ربنا
بسقام هذا المدنف المراض

لما تكلم باسم عزة قائل
كشف الجوى نبضى على النباض

وفى الأبيات الآتية وصف دقيق لما يعانيه قلب المحب فى شوقه الى اللقاء فكل اهتزازة غصن أو لمعة برق أو شبح على الطريق صورة لحبيبته :

أرى فؤادى ذكر النجد يشفيه
يأيها القوم قولوا كيف أسليه ؟

ما باله حركات البان تزعجه
وبرق سارية الجرعاء يوريه

يخال شيئا فشيئا لا وجود له
مستيقنا أنه شىء يمليه

يرتب الشكل من أشياء سولها
مستخرجا عنه مطلوبا يرجيه

تبكى المشوق خيالات وتضحكه
يبكى أحباؤه من حالة فيه

يرى من البعد انسانا فيرصـــده
خيـاله أنهـا أسـماء تأتيـه

واها له قصر آمال مسولة
على رمال من الصـحراء يبنيـه

ويقول فى الصد والهجر :

بالخير أدعو للحسـان وان رأت
عيناى فى حب الحسـان متاعبا

غيد أغـرن على فى أم القـرى
وأرى اغارتهن عـين مواهبـا

واذا يرين الصب يجهـر حبـه
يقطبن بالغضب الخفى حواجبـا

ورغم الجور والصد فلن يحيد :

لا أنثنى عن حب سلمى الى أبد
هى الحبيبة ان جارت وان عدلت

وفى اخلاف المواعيد يقول :

وعدت بتسلية المشوق فما وفت
واهـا لمعتمـد على كلماتهـا

أمسى وأصـبح راقبـا لأريجها
حتام هـذا المكث من نسماتهـا

ويقول أيضـا :

عهـود الغانيـات لهـا رياش
ألم ترها تطـير على الهــواء

ويقول مهددا العزول :

يا عاذلا بسط الملامة فى الهـوى
هل أتركن بهـا الغزال الأعفـرا

دعنى أمت فى حب غزلان اللوى
أصـبحت فى عتبـاتهن معمـرا

انى لأقتـل عـاذلا لا غـيره
ألفيت كل الصيد فى جوف الفرا

ويقتحم الأهوال الى محبوبته كما فعـل كثير عزة ، ويخـاطر بنفسه مباهيا بشجاعته كمـا فعـل امرؤ القيس حيث يقول شاعرنا آزاد :

ذهبت الى دار الحبيبـة ليـلة
فقالوا سيفنى فى الغرام قتور (١)

ولا بد أن يلقى حماما معجـلا
فراش على رأس السراج يـدور

الى أن يقـول :

يخوفنى شخص جبـان عـداوة
يقـول ألا حـول الفتاة غيـور

غيور الحمى عندى رجيل معطل
أيخشى من الضأن الضئيل هصور

قتلت أسودا مارسوا حومة الوغى
اذا انتضى الصمصام فهو فرور

---

(١) القتور : قليل العيش قصير العمر .

أما مشـــهد اللقــاء فحــافل بالأحاسيس :

قال المبشر للمشـــوق كرامـة
تلقــاك من تهـوى ببرقة ثهمد

فكنست بالأهداب موطىء نعلها
ونضحت بالعينين أرض الموعـد

قدمت ويلمـع بالدلال جبينهـا
لله جلـوة كوكب متوقـــد

لمحت الى عنـاية ولمحتهـــا
أما اللســان فكل خوف الحسد

فكأن تصـويرين ثمـــة صـورا
والله يعلم حالة القلب الصـدى

وقـع التكلم باللواحظ بيننـا
رعيـا لصحبتنـا بذاك المشـهد

مقاييس الجمال فى نظر الشاعر :

قلنا ان آزاد متصنع فى غزله ولذا تراه مرة عذريا وأخرى عمريا واذا ذهبنا تتلمس مقـاييس الجمـال فى شعره وجدنا أنه لا يكتفى بحسن الشكل وانما يطلب بالاضافة اليـه الدلال والجاذبية كما يقول :

لهـا جمـال محلى بالدلال وما
عند الجآذر غير المنظـر البهج

لايحسب الحسن حسنا بالعيون فقط
لا بل للمقل النجلى من الغنج(١)

واذا كانت مع ذلك ممشوقة العقد سمراء كانت أجمل :

سـمراء معتـدل القـوام كأنهـا
قصـب وسـكره حـلى تدلل

ان أبصر الطاووس زينـة ثوبها
يخفض لحضرتهـا جنـاح تذلل

ويقول أيضا :

مسـكية فاقت البيضـان أجمعهم
نعـم تنزل بدر التم من زحـل

واذا كانت المرأة بيضاء أحب فيها سواد الشعر ونقطة الخال :

ذؤابتك الطولى سـواد مفصـل
لحسنك والاجمـال نقطة خالك

ومن الملاحظ أنه يصدر فى هـذا عن المتعة الحسـية ولا يلتفت الى المعـانى الروحيـة ويجـرى وراء الجزئيات من القوام والشعر واللون ونقطة الخال ولا يأخذ فى اعتباره الصورة الكليـة ولذلك وجـدناه يصف الأعضاء ويجسم الشـــهوة

---

(١) الغنج بفتحتين : حسن دل المرأة ، أو ملاحة العينين .

وأجدنى بعد ذلك فى غير ما حاجة الى ايراد شىء من ذلك .

معنى الحب

يختلف الناس فى مدلول الحب وتتباين آراؤهم حوله ولعل ذلك أنه راجع الى درجة الحب عند كل منهم ونوعه وطبيعته وقد أعطانا آزاد للحب أوصافا كثيرة فهو نار ونور :

الحب طورا ضرام وهو آونة
ماء فذلك أورانا وأروانا

وهو هدية القدر الى أصحاب القلوب وذوى الاحساس الرقيق :

يا ساليا قصد الهوى متصنعا
أو أنت تربع باليد الشلاء
ما أنت للعشق المقدس قابلا
هو جوهر مهدى الى الكملاء

ولن يتحمل أعباء الحب سوى الرجال :

لاحظ الا للرجال من الهوى
من لم يفز بالحب فهو مؤنث

والحب فى كل حالاته ألم وعذاب :

دنت سعاد الى المشتاق أو بعدت
تجرع الهم فى الحالين من شيمى
ان الفراش من الظلماء فى ألم
وحين يظفر بالمصباح فى ضرم

وهو مركب صعب :

الحب منهاج أحد من الظبا
والسير فيه كرامة المجتاز

ولكن الى الآن لم يكشف لنا الشاعر عن معنى الحب وفحواه كما لم يستطع انسان ما أن يقدم جوابا شافيا فى هذا السبيل غير أننا يمكن أن نقول : ان هناك أشياء لا ندرك حقيقتها ولكن نحس آثارها فينا فننتفع بها ونرتفق والحب من هذا القبيل كما يقول شاعرنا :

حارت عقول الناس فى سر الهوى
بعض الجلامد يجذب الفولاذا
لا تدرك الألباب سر الكهرباء
أضحى لتبن يابس أخاذا

نعم ان الحب فوق العقل ولذلك تراه لا يخضع لتفسيره :

شأن الغرام أجل من شأن الحجا
قدر العقيق عن الحصاة بعيد

ويقول أيضا :

النطق عن شرح الصبابة قاصر
سبحان فيها باقل والله

ولأن النــاس لا يدركون معنــاه
فانهــم ينســبون المحبين الى الجنون
وهم أعقل ما يكون :

تحصيل مرتبــة الصــبابة دولة
مجنــــون ليــلى عاقــل والله

التعفف فى غزل آزاد :

كمــا حاكى آزاد العمــريين قلد
العذريين وفى غزله حيزكبيرمن ذلك
قوله :

لا أشتكى والله من جفواتهـــا
أنا طالب للذات لا لصفاتها

وقوله :

بتنــا نصــاحب فى كمــال مسرة
وذيولنــــا طهــرت عن الأدناس

وقوله :

أتحسب حب عــزة لى حديثــا
عكفت على صــبابتهــا جنينــا

أزال العشــق عن قلبى ســواها
حبــاه الله ســلطانا مبينا

لقــد أبصرت فى الدنيــا حسانا
ولم أر مثل من أهــوى حســنا

وقوله :

محــال أن أغــادر حب ليــلى
وهل يدع المكان أبو دلامة (١)

(يتبع)

د. عبد المقصود محمد شلقامى

---

(١) ابودلامة : جبل .

رد .. على .. رد :

حق القرآن الكريم أوجب

لفضيلة الشيخ كمال أحمد عون

ومن هـذا الحق المقدم للقرآن الكريم على كل حـق سواه ، كتبنا ما كتبناه من ملاحظات على بعض أحزاب التفسير الوسيط التى ظهرت حينـذاك (التسـعة الأول) ونشر المـكتوب فى جـزأى ذى القعـدة وذى الحجة من مجلة الأزهر الغراء عـام ١٣٩٥ هـ ـ وردت اللجنـة الموقرة عاتبة بل غاضبة ونشر ماكتبته اللجنـة فى جزء ربيع الأول سـنة ١٣٩٦ هـ .

وكان من اليسير التجاوز عن آثار الغضب حتى ولو بدت بعض عباراته بعيدة كل البعد عما ينبغى صدوره من لجنة تضم صفوة من كبار أهل العلم ، يعيشون فى جـو كتاب الله تعـالى وهـداه ، ومعـانى آياته النورانية .

نعم كان التجاوز يسـيرا وهينا فيمـا يتعلق بالناحيـة الشخصية ، سواء من هذا الرد ما كان خاصا ، وُجِّهَت صورة منه الىَّ ، عن طريق صـاحب الفضـيلة الأمين العـام للمجمع ، وفى الرد ما فيه مما سنشير آسفين الى بعض ما فيه ، أو كان ذلك الرد عاما معروضا على قـراء مجلة الأزهر محتكما اليهم فيه أقول كان التجاوز يسيرا لو أن رد اللجنة الموقرة استوفى النقاط الأكثر أهمية ، والتى وصفت الملاحظات التفسـير الوسيط فى مواضعها بأنه خطأ صراح ، لا يجوز أن يحمل على معانى كتاب الله تعالى .

ولو قـد استوفت اللجنـة الرد لاستبانت وجهـة نظرها ان كانت صوابا فحمد لها ذلك ، أو سلمت بصواب الملاحظات ، وخطأ المخطأ

من التفسير الوسيط ، واستدركت ذلك الخطأ بالتنبيه القريب فى أعداد تالية : صيانة لمعانى كتاب الله من التحريف ، فتكون بذلك قد أنصفت كتاب الله أولا ، وأنصفت القراء الذين يطالعون هذا التفسير ثانيا ثم أنصفت كذلك مكانتها العلمية بفضيلة الرجوع الى الصواب •

وحتى لا يتشعب الحديث فى غير الضرورى نوجزه فيما يلى :

١ ــ من واقع حق القرآن الكريم على كل مسلم ، ثم على أهل العلم منهم ، ومن حق ما يصدر عن الأزهر فى علوم الدين ورسالته على أبنائه كانت العناية بالتفسير الوسيط ، ومتابعته أولا بأول ، حتى قرىء الحزب الأول فى طبعته الأولى ، وقرىء ثانية فى طبعته الثانية ، وكانت الملاحظات التى تعن أثناء المطالعة نشار اليها على هامش النسخة الخاصة •

٢ ــ مضى الحزب الأول جيدا ، لا تغض منه بعض ملاحظات ، ومضى الثانى أجود وأجمع للمعانى ، ومضى الثالث بما فيه ، وجاء الرابع كثير الأخطاء علمية ومطبعية •

وتحدثت الى بعض اخواننا فى مجلة الأزهر فقال لى أحدهم : انه محرر هذا الحزب ، وانه يرجو جمع ما يكون من ملاحظات للنظر فيها عند اعادة طبعه •

٣ ــ وظهر الخامس وفيه من الأخطاء ما لا يجوز السكوت عليه وما لا يليق بمسلم يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى أن يتورط فيه ، فضلا عن لجنة تضم صفوة من كبار علماء الدين ــ وتلاه السادس الى التاسع •

وتحدثت مع فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ خلف السيد الأمين العام لمجمع البحوث ، فأشار بلقاء اللجنة ومناقشتها فيما يلاحظ على التفسير خدمة لكتاب الله تعالى ، ولم أمانع ، وتفضل فكلف أحد المسئولين فى مكتبه بالاتصال تليفونيا باللجنة وكانت يومها مجتمعة ، فاعتذرت عن اللقاء بضيق وقتها ، وأرجأته الى يوم آخر لم تتكرم بتحديده •

٤ ـ وكتبت الملاحظات وبعثت بها من طنطا ـ حيث عملى واقامتى ـ الى فضيلة الأمين العام ، فحولها الى اللجنة فى حينها ، كما علمت ذلك من رد اللجنة الذى تفضلت به ، ووصلنى بعد أكثر من ستة شهور على ما تشهد به تواريخ الرد والمكاتبات .

ورأيت فى الرد اجمالا ما يلى :

أولا : لم تكن المناقشة الا فى القليل النادر مناقشة علمية منصفة ، بل كانت مناقشة من مكانة الأستاذية التى رأتها اللجنة لنفسها على كاتب الملاحظات ، ناهيك بأنها أستاذية غاضبة كما قلنا .

ثانيا : فى بعض ما ردت به لم تعن بالمراجعة الجيدة عند الرد ، ولم تتحر الدقة فيما تنسبه الىّ من الرأى ، ولا فيما تنسبه لبعض الأئمة وعلى سبيل المثال ما عزته للامامين البخارى والطبرى فى تفسير قوله تعالى : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » على ما سنبينه بعد .

ثالثا : ناقشت ما شاءت من الملاحظات ، وتركت النقاط التى وصفتها الملاحظات بأنها خطأ واضح ـ وصرحت بأنها اكتفت بما ذكرته من مناقشات حتى لا يعوق ذلك عملها ، ويوقف بعض جلساتها .

وازاء ذلك لم يكن بد من التنبيه العلمى ، أداء لبعض الواجب نحو كتاب الله الكريم .

أين التشهير ؟

واللجنة الموقرة ترى فى مجرد ابداء ملاحظات على عملها فى التفسير من رجل يتعلم العلم ويعلمه فى الأزهر قرابة نصف قرن والحمد لله رب العالمين « تطاولا منه على أشياخه ، وتجافيا عن تصون أبناء الأزهر نحو شيوخهم ، وغضا من منازلهم وسابقتهم » كما ترى فيما نشر بمجلة الأزهر الغراء « تشهيرا باللجنة فى الصحف ـ هكذا ـ بلا مبرر ، وشغلا لها واستنزافا لوقتها بدون جدوى .. » وللمنصف أن يسأل أين التشهير ؟ وكيف تحسب الملاحظات العلمية تطاولا

واستنزافا للوقت .. ؟ وهل هناك ما هو أولى وأليق من مجلة الأزهر ميدانا للتنبيه على ما يكون فى التفسير من هنات أو ملاحظات ، وهل هناك من هو أحرى وأوفق من عالم أزهرى يستدرك على عمل علمى جليل يقوم به الأزهر وينتظره العالم الاسلامى ، ما عسى يحتاج الى استدراك .

ولو قد أخذت اللجنة الموقرة الملاحظات من أول أمرها بالروح العلمية الواجبة لأغنتنا وأغنت نفسها ، وكان فى ذلك الخير ، خدمة واجبة للتفسير الوسيط .

على اللجنة :

وعلى اللجنة غير مأمورة أن تبادر الى تصويب ما يجب تصويبه مما يظهر لها ، أو يتبين من استدراكات بعض أهل العلم فى أقرب الأحزاب ظهورا ، خدمة لكتاب الله ، وللقراء ، بدل أن ترجىء ذلك سنوات وسنوات حتى يتم التفسير كله على ما ذكرته فى ردها بمجلة الأزهر .

كما أن عليها أن تبدى رأيها فيما وصفته الملاحظات بأنه خطأ لم نر من تورط فيه سوى اللجنة ، وذلك من مثل تفسير النسيان فى قوله تعالى : « ربنا لا تؤخذنا ان نسينا أو أخطأنا » تفسير النسيان بالترك عمدا ، وتفسير الخطأ « بفعل أو ترك الصواب من الواجبات — أو المنهيات — كسلا أو غواية أو انحرافا » (ص ٥٠٥) .

واذا كان النقل عن الفخر الرازى أو عن الألوسى على ما يبدو ببعض الألفاظ والشواهد ، فمن سوء الحظ أن كاتب التفسير الوسيط ، قد تصرف فيما نقله بزيادة ونقص من غير الدقة الواجبة ، فقلب المعنى تماما بما زاده ، وشوه باقيه بما نقصه منه . ففى كل من الفخر الرازى والألوسى ثلاثة معان فى تفسير الآية الكريمة أولها : تفسير النسيان بالترك — فزاد المفسر وصف الترك بقوله : عمدا فقلب المعنى — ونقص من العبارة فى تفسير الخطأ بما تراه مضطربا فى تفسير الوسيط . اذ يفسره بأنه : فعل أو ترك الصواب .. الخ فكيف يكون فعل الصواب خطأ ؟

والعبارة فى موضعها من التفسيرين : الرازى والألوسى سليمة ونصها فيهما :

« والمراد من الثانى (الخطأ) العصيان ، لأن المعاصى توصف بالخطأ الذى هو ضد الصواب ، وان كان فاعلها (المعاصى) متعمدا ، كأنه قيل : ربنا لا تعاقبنا على ترك الواجبات ، وفعل المنهيات » •

نعم على اللجنة أن تبدى رأيها فى بقية الملاحظات وبخاصة ما أشرنا اليه ثانية وأمثاله ، من كل ما وصف بأنه خطأ ، أو أن تسلم بصحة الملاحظات وتنبه على الصواب فى أقرب أعداد تظهر •

أين صحة النقل ؟

واذا كنا لا نناقش اللجنة فى كثير مما أجابت به عن الجزء الذى تعرضت له من الملاحظات ، وان كانت أجوبتها فى أكثرها مجرد رغبة فى الرد ، اكتفاء بما كتب فى الملاحظات سابقا ، ولكننا سنعرض لمسألة واحدة هامة كنموذج لما قلناه عن السرعة فى الكتابة وقد حالت دون التثبت فى النقل والدقة فى المعنى فكان الخطأ أولا ، ثم الاصرار عليه ثانيا ، وذلك فى تفسير قوله تعالى : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها •• » فقد ذكر التفسير الوسيط فى سبب نزول الآية رواية عزاها لابن جرير والبخارى عن البراء ونصها قال :

« كانوا اذا أحرموا فى الجاهلية أتو البيت من ظهره فأنزل الله « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها •• الآية ــ وكأنهم كانوا يتحرجون من الدخول من الباب »• فسبق الى وهم كاتب هذا الحزب من التفسير الوسيط أن المراد بالبيت هو البيت الحرام بمكة فقلنا له ان المراد هنا بيت الرجل يأتيه من بابه ، أو يأتيه من ظهره تحرجا فى زعمه ، وأما البيت الحرام فلا مجال لاتيانه من بابه أو من ظهره ، وانما يطاف حوله •

فجاء رد اللجنة عجيبا يزيد فى الرواية وصف البيت بالحرام ، واننى سلمت بورود هذه الرواية المزيد فيها من أصحاب التفسير عن

الامامين ، ثم تنكرت لها اذ يقول فى جملة كلام طويل ما نصه :

« .. ان البخارى وابن جرير رويا أن دخولهم البيت الحرام من ظهره هو سبب نزول الآية الكريمة » فكيف سوغت لنفسك أن تتنكر لرواية البخارى وابن جرير فى سبب نزول الآية الى أن يقول : فكيف تجعل الصواب خطأ . وأين الاستدراك ؟ ا هـ .. وأقول : شهد الله أننى حاولت أن أجد فى أمهات كتب التاريخ والموثوق به من موسوعات السيرة ما يمكن أن يستند اليه فى أن العرب كانوا يأتون الكعبة من ظهرها كما كانوا يفعلون فى بيوتهم فلم أعثر على شىء فيما بين يدى من مراجع وأما كتب التفسير والحديث وبخاصة ابن جرير والبخارى والرواية عنهما فاليك البيان موجزا بقدر الامكان .

جامع البيان فى تفسير القرآن للطبرى :

عند تفسير الآية الكريمة قال الامام الطبرى : القول فى تأويل قوله تعالى « وليس البر .. الخ » قيل نزلت هذه الآية فى قوم كانوا لا يدخلون اذا أحرموا بيوتهم من قبل أبوابها . ثم قال على طريقته ذكر من قال ذلك : ثم ساق بسنده عن البراء قال : كانت الأنصار اذا حجوا ورجعوا لم يدخلوا البيوت من أبوابها ، فجاء رجل من الأنصار فدخل من بابه فقيل له فى ذلك فنزلت هذه الآية ..

ثم ساق بسند آخر عن البراء مثل هذا .

وساق مثله عن : قيس بن جبير، ومجاهد ، ومغيرة بن ابراهيم ، والزهرى ،» وقتادة ، والسدى،وابن عباس ، والربيع ، وعطاء ، فى جملة روايات بلغت ثلاث عشرة بأسانيدها، لم تخرج واحدة عن هذا المعنى » وليس فى بعضها ما يشير من قريب أو بعيد الى أن الكلام فى البيت الحرام .

صحيح البخارى :

جاء فى كتاب الحج من صحيح البخارى باب قوله تعالى : وأتوا البيوت من أبوابها .. بسنده عن

ابن اسحق قال سمعت البراء رضى الله عنه يقول : نزلت هــذه الآية فينا ، كانت الأنصــار اذا حجــوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها ، فجــاء رجل من الأنصار فدخل من قبــل بابه ، فــكأنه عُيِّرَ بذلك فنزلت « وليس البر .. الخ » .

مفاتيح الغيب للفخر الرازى :

المسألة الأولى فى ســبب نزول الآية قال : ذكروا وجوها .. وكلها تدور حــول بيوتهم ينقبونهــا من ظهرها أو يتخذون سلما يصــعد أحدهم عليه الى سطح داره وينحدر منــه .. فاذا كان من أهــل الوبر (البادية) خرج من خلف الخباء ..

رواية التفسير الوسيط :

جــاءت ـ بنصها فى الألوسى عن البراء ــ كما جاءت عن البراء فى ابن كثير وليس فى السياقين وصف البيت بأنه البيت الحرام ، ولا ما يفهم منه أنه المقصود ــ بل جاءت بقية الروايات فى ابن كثير عن البراء نفســه ــ وعن الحسن البصرى ، وكلها تدفع ما سبق الى وهم كاتب التفسيرالوسيط من أن المراد بالبيت البيت الحرام ، حتى جعل ما توهم أصلا ، وأنهم كانــوا يفعلــون فى بيوتهم مثل ما كان يحدث منهم فى البيت الحرام .

وحينئــذ فالاســتدراك قائم كمــا كان على صاحب التفسير الوسيط وعلى المراجع ، وعلى كاتب الرد ، أما الامامان ابن جــرير الطبــرى والبخارى ومن نهــج نهجهم فــلا اعتراض على رواياتهم لســلامتها . وتضافرها على المعنى الصحيح .

زيادة مسيئة : ومن مثل التصرف السريع فى النص والزيادة عليه بما يخرجه عن الصواب كما سبق أو عن اللائق فى التعبير ما قاله صاحب التفسير الوسيط فى ســبب نزول قوله تعــالى : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم ..» اذ قال أخرج ابن جرير أنها نزلت فى الصــديق رضى الله عنه لمــا حلف ألا ينفق

على مسطح ابن خالته وكان من الفقراء المهاجرين حين وقع فى افك عائشة رضى الله عنها ، ولاحظنا أن التعبير باضافة الافك الى عائشة رضى الله عنها غير كريم بل هو افك من جاءوا به فجاء الرد يؤكد أن العبارة كلها لابن جرير عن ابن جريج : وأنه لا حيلة لهم فى النص، وفى آخر جوابهم « فهل هذه ملاحظة يا أستاذ ؟ »

أقول بل الملاحظة قائمة ، ونسبة النص بأكمله الى ابن جرير عن ابن جريج غير صحيحة ، والنص بتمامه عن ابن جريج هو فقط : نزلت فى أبى بكر فى شأن مسطح » اهـ : وزاد المفسر ما ظنه توضيحا فوقع هو فى التعبير المشار اليه ، وجاء من تولى الرد من أصحاب الفضيلة فظن العبارة كلها لابن جريج وليس كذلك (راجع جـ ٢ ص ٢٢٧) .

اقتراح :

من عظيم حق القرآن الكريم علينا جميعا أقترح تأليف لجنة علمية محايدة تراجع التفسير الوسيط لا لتزنه بجهد رجل واحد من القدامى أو المحدثين ممن صدقوا خدمة كتاب الله تعالى ، وانما تراجعه : فتحسن من أسلوبه ما يحتاج الى احسان ، وتصلح من تعارضه ما تبدو المعارضة فيه ظاهرة جلية يدركها كل قارىء ، أو دقيقة خفية لا يدركها الا الخبير ، وتصوب ما أخطأ فيه المفسر ، وتحذف كل نقل تراه غير جدير بأن ينقل الى تفسير يرتضيه الأزهر ، وهو امام المسلمين الأكبر لأكثر من عشرة قرون والى ما شاء الله تعالى .

وأخيرا :

فلجنة التفسير الوسيط لها تقديرنا مجتمعة ، ولكل عضو من أعضائها تقديرنا كعالم باحث فاضل ، ولعمل اللجنة فى تفسير كتاب الله تعالى مجتمعة أو منفردة حق الاهتمام به ، ولغيرهم من أهل العلم حق النقد ، والتنبيه على الخطأ حيثما يكون والاشارة بما يراه أفضل لخير العمل الجليل .

وكم رأينا لفضيلة الشيخ مصطفى الطير من بحوث ومؤلفات قيمة ، وربما كتب فى المطروق فأتى بالجديد المفيد ، وللأستاذ الجليل على عبد العظيم مكانته العلمية وقد راسلنى نيابة عن اللجنة لأحضر من طنطا اليه فى الادارة العامة بعد أكثر من عشرة شهور ، وكان فى لقائه متفهما ومقدرا ..

عتب اللجنة :

وشكرا للجنة الموقرة على عتبها ، وبودى لو كان غير مقرون بما يغض منه من مثل ما جاء فى ردهم بل وعيدهم وتهديدهم بتاريخ ٢١/٢/١٣٩٦هـ قبيل مانشر فى عدد ربيع الأول سنة ١٣٩٦هـ بما سمى خلاصة رد اللجنة ، ولم يبدأ فيه باسم الله تعالى ، ولا باسم نبيه صلى الله عليه وسلم ، وانما بدأ فى أعلى الصفحة يمينا بالمثل العربى تسمع جعجعة ولا ترى طحنا وبأعلاها يسارا المثل الفرنسى زوبعة فى فنجان — ثم من مثل قولهم : ان المعترض ينكر ما تعلمه الطلاب فى بواكير الفصول الدراسية ، وانه يتصيد الأخطاء ، وان باقى استدراكاته أكثر اصطناعا وتهافتا ، وانه يريد التشهير بنا ، واننا لسنا من سنه ولا مناسبين له فى عمل ، ولكننا نعمل فى حقل بعيد عن سلم تدرجه ، فما وجه هجومه الظالم — ولا شك أن هذا الغضب كله خرج بالرد أو كاد عن المنهج العلمى ، وكان جديرا بالاغضاء لولا أن حق الكتاب الكريم أوجب .

احمد كمال عون

التقرير السنوى لنشاط المركز الإسلامى فى اليابان

لقد مضت سنة ونصف فقط منذ أن أعلمنا اخوتنا المسلمين فى العالم أننا افتتحنا مقرا بسيطا للمركز مكونا من حجرتين صغيرتين على مقربة من مسجد طوكيو ، وأننا تعمدنا اختيار المكان لربط رسالة المركز برسالة المسجد ، ومنذ ذلك الحين بدأت البذرة بالانبات ثم بالنمو تدريجيا باذن الله وأخذ المركز يشق طريقه على بركة الله يخدم الاسلام بقوة ويرفع صوته عاليا وسط دوى المصانع وضجيج الزحام وتعالى الصيحات الأخرى وقد أحدث بفضل الله حركة شملت اليابان من الجنوب الى الشمال قد يكون مردودها من الناحية العددية قليلا ولكن أثرها فى المستقبل سيكون كبيرا باذن الله ٠

فقبل كل شىء حرك الجمعيات الاسلامية القائمة حينئذ فى طوكيو وخارجها وعبأها للعمل الاسلامى وشارك معها فى وضع وتنفيذبرامج للدعوة ، كما أن الله سبحانه عز وجل وفق المركز الى ادخال مجموعات متعددة فى الاسلام وهذه المجموعات شكلت بمحض اختيارها جمعيات ومنظمات خاصة بها،ومنها:

١ ــ جمعية المؤتمر الاسلامى فى طوكيو ٠

٢ ــ الجمعية الخيرية الاسلامية فى طوكيو وخارجها ٠

٣ ــ حركة الشباب المسلم فى مدينة كانزاوا بغرب اليابان وأعضاؤها نخبة من الشباب المسلم الواعى الذى يحرص على تفهم

الاسلام والتدريب على الدعوة لاعداد قيادات المستقبل ان شاء الله .

٤ ــ حركة الكشاف المسلم فى جزيرة شكوكو والتى لا تزال فى مرحلة الاعداد

بالاضافة الى عدد من الأفراد هداهم الله للاسلام بواسطتنا وهم من خيرة الدعاة الى الله الآن .

الرحلات التبليغية والمحاضرات :

لقد بذل المركز خلال العام الماضى كل ما فى وسعه لتبليغ الدعوة الاسلامية للشعب اليابانى . وكان الهدف من ذلك تبيان حقائق الاسلام للناس أفراداً وجماعات . وفى الحقيقة أن نشاطات المركز كانت جميعها تهدف فى الأساس الى تبليغ الدعوة .

١ ــ نظم المركز بالتعاون مع جمعية الصداقة الاسلامية بكيوتو والجمعية الاسلامية فى ناروتو وطوكشيما وجمعية مسلمى اليابان فى طوكيو برنامجا للدعوة يغطى اليابان كلها نفذ الجزء الأول منه الخاص بجنوب اليابان حيث زرنا جامعة هيروشيما وجامعة ياماكوجى ومقاطعة طوكوياما وألقينا محاضرات عن الاسلام على الطلبة والأساتذة وعامة الناس وقد كان لهذه المحاضرات أثر طيب مما دفع بجامعة هيروشما الى أن تدعونا مرة ثانية بعد شهر من الزيارة الأولى فذهب فريق من المركز وعلى رأسه سعادة سفير الجزائر لدى اليابان السيد ابراهيم جافه وألقى سيادته محاضرة قيمة عن الحضارة العربية الاسلامية ومواجهة التحديات المعاصرة ، وقد استمع للمحاضرة نخبة من أساتذة الجامعة وطلابها .

كما وأن الاستعدادات والاتصالات قد تمت لتنفيذ برنامج المحاضرات للمحافظات الشمالية من اليابان خلال الشهر الثامن من هذا العام ان شاء الله .

٢ ــ نظم المركز بالتعاون مع الجمعية الخيرية الاسلامية فى طوكيو زيارات لكل من محافظة شيباومدينة

ساكو فى محافظة ناجانو ، وقد أسلم فى الأولى عدة أشخاص وكونوا نواة لأول تجمع اسلامى فى المنطقة • أما فى مدينة ساكو فقد أسلم تاجر كبير للأبقار واللحوم مع عدد من عماله ، وبدأ هؤلاء مع الجمعية الخيرية الاسلامية مشروع تزويد اللحم الحلال للمسلمين فى اليابان ولشركات الملاحة الجوية والبحرية والفنادق ودور الطلبة وبذلك حلت مشكلة توفير اللحوم الحلال فى اليبان والحمد لله ، كما اتصلنا بالمسئولين فى الادارة المحلية لمدينة ساكو ورجوناهم التعاون فى تحقيق مشروع انشاء مسجد فى المدينة ، والفكرة تحت الدراسة •

وسنزور مع الجمعية الخيرية مدينة مايباشى فى أول أغسطس (أب) ان شاء الله للدعوة •

٣ — زار فريق من المركز مدينتى ناروتو وطوكشيما فى جنوب غربى اليابان وتم الاتصال مع مسلمى المنطقة والتحدث فى المسائل التى التى تعزز الدعوة الاسلامية ، والمسلمون هناك لديهم مشروع انشاء كلية اسلامية بحثناه معهم وشجعناهم على القيام به ، وقد زرنا المركز التجارى والمركز الثقافى فى طوكشيما وكذلك عمدة مدينة ناروتو • ومما هو جدير بالذكر أن المركز الثقافى يرأسه مسلم هو الأخ يوسف ناكاجيما وقد عملت الترتيبات لالقاء محاضرة عن الاسلام مع فلم ملون عن الحج فى المركز الثقافى يوم ١٩٧٦/٧/٢٧ ان شاء الله يحضرها ٣٠٠ شخص من مختلف الطبقات والقاء محاضرة أخرى فى مدينة كوجى التى تبعد حوالى ١٥٠ كيلو عن مدينة طوكشيما وذلك فى يوم ١٩٧٦/٧/٢٩ ان شاء الله •

٤ — دعى ممثل من المركز الاسلامى من قبل جمعية اليونسكو فى مدينة فوكوكا بجزيرة كيوشو فى أقصى جنوب اليابان فى الشهر الماضى لالقاء محاضرة عن الاسلام وقد تم بحث وسائل التعاون فى المستقبل مع هذه المنطقة ، كما دعى ممثل للمركز لالقاء محاضرة عن

الاسلام والشرق الاوسط فى طوكيو يوم ١٩٧٦/٧/٢٧ م ، والحضور هم من كبار رجال الأعمال فى اليابان ونائب رئيس الوزراء اليابانى المستر فوكودا .

٥ ـ أن المركز يقوم بتفقد ومعرفة وزيادة أماكن قدماء المسلمين اليابانيين فى طوكيو وكيوتو وناجويا ونارا وغيرها من المدن وقد أحرزنا والحمد لله بعض النتائج المشجعة .

٦ ـ زار فريق من المركز بصفة شخصية كوريا الجنوبية وشاركوا فى احتفالات افتتاح المسجد المركزى والمركز الاسلامى لتشجيع المسلمين فى ذلك البلد وكانت الزيارة ما بين ٥/٢٠ ١٩٧٦ ـ ١٩٧٦/٥/٢٦

٧ ـ بدأ المركز برنامج زيارة البيوت فى المحلة المحيطة بمقره حيث تقوم مجموعات مكونة من ٣ ـ ٥ أشخاص بزيارة البيوت واحدا واحدا حيث يجرى التعريف بالاسلام بصورة مختصرة وتقدم الكتب الاسلامية باللغة اليابانية وتجرى زيارة ٤٠ ـ ٥٠ بيتا أسبوعيا وكانت التجربة نافعة ومشجعة .

٨ ـ يقوم المركز بزيارة وتشجيع الطلبة الأجانب والمتدربين الذين يأتون من البلدان الاسلامية فى محلات اقامتهم فى طوكيو وخارجها ويزودهم بالكتب الاسلامية باللغة اليابانية لتوزيعها على معارفهم من اليابانيين وندعوهم للمشاركة فى نشاطات المركز المختلفة .

فصول عربية ويابانية :

يقدم المركز دروسا للغة العربية لليابانيين ويعطى دروسا للغة اليابانية للأجانب .

فصول التعليم الاسلامى :

يعقد المركز فصولا مستمرة ومنتظمة لتعليم الاسلام للمسلمين الجدد وخصوصا حول العقيدة والعبادات والأحكام المتعلقة بها وقد أثبتت هذه الدروس جدواها وأعطت نتائج طيبة والحمد لله .

حلقة دراسية لمحررى الصحف الشبان :

يعقد المركز حلقة دراسية مرة كل أسبوعين يحضرها محررو الصحف

اليابانيــة من الشبـاب وكـذلك المسـلمون الجـدد والأشـخاص المهتمون بالدراسات الاسـلامية • وألقيت حتـى الآن المحـاضرات التالية :

١ ـ الاسلام ـ تعريف عام •

٢ ـ الجاهلية العالمية عندظهور الاسلام •

٣ ـ المذاهب الفقهية فى الاسلام•

٤ ـ مكانة المرأة فى الاسلام •

٥ ـ الحل الاسلامى للمشاكل الاجتماعية •

٦ ـ مقارنة الاسـلام بالأديان الأخرى •

٧ ـ الاسلام والغرب •

وستقدم محاضرات عن الجهـاد فى الاسـلام وتاريخ الدعـوة الاسـلامية فى اليابان ومواضيع أخرى وسيتم ان شاء الله طبع هذه المحاضرات فى مجلة المركز (السلام) وفى رسائل مستقلة •

لقاءات الجمعة والأحد :

يزور المركز عدد من المسـلمين اليابانيين وغيرهم بعد صـلاة كل جمعـة حيث يتذاكر الجميـع فى المواضيع الاسلامية المختلفة • كما يوضح الاسلام لغير المسلمين ممن يحضر هذا اللقاء • ويجرى الحديث على فنجان من الشاى فى جو خالٍ من الشكليات ، كما يشارك المركز فى لقاء يوم الأحد فى مسجد طوكيو بعد الظهر حيث يزور المسجد عدد من اليابانيين الذين يريدون التعرف على الاسلام أو اعتناق هذا الدين•

رحلات تربوية :

هيأ المركز رحلة تربوية الى منطقة هاكونى التى تبعد حـوالى ١٢٠ كيلو عن طوكيو وأجر لها «بصين» وشارك فيها ٨٥ شخصا من المسلمين اليـابانيين وغيرهم وذلك فى يـوم ٢٥/٤/٧٦ وأعد برنامج مشـوق ترفيهى برىء مـع صـلاة الجمـاعة وكان لهـذه السفرة أكبر الأثر فى تعـارف وتآلف قـلوب المسـلمين وتعميق المعانى الانسانية الاسلامية•

الاتصال بالهيئات الدينية غير الاسلامية :

يقوم المركز بالاتصال بالهيئات الدينية غير الاسلامية لاثبات الوجود الاسلامى فقد قمنا بزيارات متبادلة مع منظمة بوذية تدعى (شوكوسيكاى) وأجرينا حوارا مع زعيمها أثبتنا فيه تفوق الاسلام (أتباع هذه الفرقة أربعة ملايين ونصف) ونشر هذا الحوار فى مجلة المركز (السلام) العدد السادس . كما زرنا منظمة بوذية أخرى هى صوكو كاكاى وكذلك بعض المنظمات المسيحية .

المشاركة فى الحلقات الدراسية والمؤتمرات :

يشارك المركز فى مختلف الحلقات والمؤتمرات المحلية ومن هذه الحلقات الدراسية مؤتمر دولى للشباب عقد لمدة يومين فى ضواحى طوكيو وحضره أكثر من مائة شخص من مختلف الأديان وحضره عن المركز مندوبان ، وقد أحيل المؤتمر كله الى مناقشة عن الاسلام وساد انطباع عام عن سمو مبادىء الاسلام . وقد أرسلنا لكافة المشتركين مطبوعات المركز الاسلامى عن الاسلام .

كما شارك المركز فى مؤتمر عقد فى طوكيو وحضره فضيلة الشيخ محمد محمد الفحام شيخ الأزهر السابق .

الفريق العامل فى المركز :

ان المركز حين افتتاح مقره قبل سنة ونصف كان يعمل به متفرغ أجنبى واحد ولم يكن معه أى متفرغ يابانى ، أما الآن وبفضل الله فيعمل فى المركز خمسة أجانب متفرغين وخمسة يابانيين مسلمين

الترجمة والطبع والنشر :

ان توفير الكتاب الاسلامى المقروء باللغة اليابانية نال القسط الأوفر من اهتمام المركز ، وقد طبعنا والحمد لله حتى الآن الكتب التالية :

(١) ما هو الاسلام .

(٢) مبادىء الاسلام .

(٣) الصلاة .

(٤) الصوم .

(٥) حكمة الصوم •

(٦) الزكاة •

(٧) الحج •

(٨) الآداب الاسلامية •

(٩) محمد صلى الله عليه وسلم•

(١٠) الأسرة فى الاسلام •

وان الكتب التالية مترجمة وهى قيد التصحيح وتنتظر دورها فى النشر •

١ ــ مكانة المرأة فى الاسلام •

٢ ــ تعدد الزوجات فى الاسلام

٣ ــ القرآن والحديث •

٤ ــ الأنبياء والرسل •

٥ ــ تفسير القرآن الكريم (المائدة والأنعام) •

٦ ــ ختم النبوة •

٧ ــ هذا الدين •

٨ ــ التعاليم الاسلامية من الكتاب والسنة •

٩ ــ حكايات الصحابة •

هذا ويوجد قيد الترجمة عشرة أبحاث مهمة تشمل الجوانب المتنوعة من الاسلام لكبار الكتاب الاسلاميين سوف ننشرها ان شاء الله فى رسائل مستقلة •

ان عملية الترجمة والتأليف عن الاسلام فى اللغة اليابانية مهمةصعبة حيث أن الكتاب يمر بمراحل عديدة من التدقيق والمراجعة حتى يرى النور والأمر يقتضى نحت كلمات واصطلاحات جديدة حتى لاتختلط المعانى الاسلامية بمعانى الأديان المشركة الأخرى • وان كافة هذه الكتب توزع مجانا على الجمعيات الاسلامية القائمة وعلى الجامعات والمكتبات العامة ونوادى الشباب والجمعيات النسائية والسفارات •

مجلة السلام :

ان المركز يصدر مجلة باسم (السلام) وقد بدأت بثلاثين صفحة وهى الآن تصدر فى عددها السادس بمائة وأربع صفحات وتحتوى على أحدث المقالات والبحوث الاسلامية بأقلام يابانية وغير يابانية • وهى

واسطة بين القراء والمركز وهى المجلة الاسلامية الوحيدة من نوعها فى اليابان وتوزع مجانا كذلك . ونأمل أن نوزعها على نطاق تجارى ابتداء من هذا العدد السادس ان شاء الله فقد وصلت الى المستوى اللائق وهى باللغة اليابانية .

التقويم الاسلامى :

يصدر المركز تقويما بالتاريخ الهجرى وأوقات الصلاة على مدار السنة .

المنح الدراسية :

أنهى المركز الترتيبات اللازمة لارسال سبعة طلاب يابانيين مسلمين للدراسة فى معهد اللغة العربية بجامعة الرياض وذلك فى منتصف شهر رمضان القادم ان شاء الله .

دعوات للأساتذة اليابانيين :

بناء على اقتراح المركز هيأت وزارة التعليم العالى فى المملكة العربية السعودية مشكورة دعوات لأساتذة الحضارة الاسلامية اليابانيين ، فقد زار الجامعات السعودية كل من البروفسر الدكتور مياجيما البروفسير الدكتور ايتاجاكى بناء على ترتيبات اعدتها مشكورة جامعة الرياض . كما أن جامعة الملك عبد العزيز بجدةوجهت الدعوة للدكتور عمر كاوابانا والأستاذ يوسف نكاجيما لزيارة الجامعات السعودية وهذان الشخصان من زعماء المسلمين فى جنوب اليابان .

أسبوع الفقه الاسلامى :

قام المركز بالتعاون مع رابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ومعهد القانون المقارن فى اليابان بالاعداد لاقامة أسبوع للفقه الاسلامى فى اليابان وذلك فى شهر ابريل نيسان ١٩٧٧ ان شاء اللهومن المؤمل أن يشارك فى هذا الاسبوع كبار الأساتذة والعلماء من البلدان الاسلامية المختلفة .

مؤتمر الثقافة الاسلامية :

ان المركز على اتصال بأساتذة الثقافة الاسلامية وقد دعونا عددا منهم وتباحثنا معهم فى مجالات التعاون واتفقنا مبدئيا على إقامة

مؤتمر للثقافة الاسلامية فى اليابان يشتركون فيه ويحضره علماء وأساتذة من البلدان الاسلامية ربما فى أواخر العام الحالى ان شاء الله .

تعضيد الجمعيات الاسلامية والأفراد:

ان المركز يقدم كافة المساعدات الأدبية والمادية لتعضيد أى نشاط اسلامى فى اليابان مهما كان نوعه . وانه يقدم المساعدات المادية المستمرة للمنظمات الاسلامية وكذلك لبعض المسلمين من ذوى الحاجة .

تقديم خدمات استشارية :

أصبح المركز والحمد لله هيئة معروفة داخل اليابان ولذا يقصده مختلف الناس لطلب الاستشارة . يأتيه التجار المسافرون للبلدان الاسلامية ليتعرفوا على عقائد وعادات الناس وعادات الشعوب المسلمة . يريدون التعرف على بلاد الاسلام. حتى أن هيئة الاذاعة اليابانية N.H.K. وهى أكبر اذاعة فى اليابان حينما أرادت تصوير حياة المسلمين فى جنوب شرق آسيا استعانت بالمركز لتسهيل مهمتها وان بعثة زراعية كانت تريد زيارة البلدان العربية والاسلامية طلبت نصائح المركز. وان وزارة الخارجية اليابانية بدأت تدرك دور المركز فى تقوية العلاقات الثقافية بين اليابان والبلدان الاسلامية وذلك لكثرة الشهادات التى نرسلها للتصديق عليها من أجل ارسال الطلبة اليابانيين والأساتذة للدراسة فى البلدان العربية والاسلامية . والمركز يقدم استشارات لسفارات الدول الاسلامية فى طوكيو وللهيئات الاسلامية والجامعات فى البلدان الاسلامية .

الصحافة :

ان المركز يرصد ماتكتبه الصحافة من مقالات مضادة للاسلام ويتصدى لتوضيح المغالطات فى الحال كما أن المركز يزود الصحافة اليابانية بين الحين والآخر بمقالات عن الاسلام والبلدان الاسلامية .

معهد الدراسات العربية والاسلامية :

قدم المركز الى معالى الشيخ حسن ابن عبد الله آل الشيخ وزير التعليم العالى السعودى مشروع اقامة معهد دراسات عربية اسلامية فى اليابان وقد وافق معاليه على المشروع وأحاله

لجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية لتنفيذه •

التعاون مع مسلمى البلاد المجاورة :

تردنا استفسارات وطلبات للكتب من البلدان المجاورة لليابان مثل الفلبين وكوريا وهونج كونج وحتى أندونيسيا ونقوم بتنفيذ ما نستطيع كذلك نبعث مطبوعاتنا على الخصوص الى مسلمى كوريا حتى يسهل عليهم ترجمتها ويوفر عليهم استحداث الاصطلاحات الاسلامية لأن الكتابة الكورية واليابانية بينها شبه كبير •

توفير اللحم الحلال :

قام المركز والحمد لله منذ أول نشوئه بتوفير اللحم الحلال للمسلمين فى طوكيو وقد هدى الله الى الاسلام مجموعة من اليابانيين قبل أكثر من شهر وبدءوا فى أداء المهمة بما يغطى احتياجات اليابان بأجمعها كما ذكرنا فى أول التقرير •

شهادات الاسلام والزواج :

يقوم المركز بتزويد المهتدين الجدد بشهادات عن الاسلام وكذلك شهادات الزواج •

ان مقر المركز الاسلامى ليس بناء شامخا بل غرفتان صغيرتان على بعد خمس دقائق مشيا من مسجد طوكيو والزائر له يجب ألا يتوقع أن يرى الآلاف تدخل وتخرج بل انه يرى فى أصغر الغرفتين خمسة شباب يابانيين عقلوا أرجلهم وانكبوا على مكاتبهم من الصباح الى هزيع من الليل يراجعون الترجمات ويعيدون صياغة الكتاب الاسلامى بأسلوب يابانى سلس خال من أثر الترجمة • ويشرفون على اخراج مجلة (السلام) وحولهم أكداس من الكتب المطبوعة التى نحتار أين نخزنها • أما الغرفة الأخرى فقد يرى فيها نهارا بعض الزوار اليابانيين جاءوا يسألون عن مصلحة لهم أو عن الاسلام • أما اذا زار المركز أحد فى ساعة متأخرة من الليل فيرى المكان قد تحول الى فندق حيث يرقد ضيفان أو ثلاثة فاذا أذن الفجر لفت الفرش ووضعت فى المخازن وهرع الضيوف وبعض

العاملين فى المركز والساكنين قربه الى مسجد طوكيو الوحيد لأداء صلاة الفجر جماعة • والحمد لله يحرص أعضاء المركز الآن على فتح المسجد لكافة الصلوات بعد أن ظل مهجورا لسنين عديدة لا يفتح الا وقت صلاة الجمعة ومساء الأحد• ان أغلب نشاطات المركز تقام خارج هاتين الغرفتين الصغيرتين •

الاجتماع السنوى والهيئة الادارية الجديدة :

عقد الاجتماع السنوى العام لأعضاء المركز الاسلامى يوم ٧٦/٧/١١ وانتخب أعضاء الهيئة الادارية للعام الجديد (المدراء) وبعد الاقتراع السرى فاز السادة التالية أسماؤهم :

١ ــ الحاج عمر ميتا (يابانى)
٢ ــ الحاج خالد كيبا (يابانى)
٣ ــ الأخ موسى محمد عمر (عربى)
٤ ــ الحاج مصطفى كومورا (يابانى)
٥ ــ الحاج أحمد سوزوكى (يابانى)
٦ ــ الأستاذ تميم الدار محيط (تركى)
٧ ــ الأخ رمضان صفا (تركى)
٨ ــ الأستاذ أبوبكر تشو (صينى)
٩ ــ الأخ مطلوب على (باكستانى)
١٠ ــ الأخ عبد الرحمن صديقى (باكستانى)
١١ ــ الدكتور صالح مهدى السامرائى (عربى)

وبعدها أجتمع المدراء الجدد وانتخبوا من بينهم السادة التالية أسماؤهم :

١ ــ الحاج عمر ميتا
أمين عام شرف
٢ ــ الحاج خالد كيبا
أمين عام
٣ ــ الأخ موسى محمد عمر
مساعد أمين عام
٤ ــ الأخ رمضان صفا
أمين صندوق
٥ ــ الحاج مصطفى كومورا
رئيس لجنة الدعوة والتبليغ
٦ ــ الأخ مطلوب على
رئيس لجنة الطبع والنشر

بــاب الفتــوى

للأســتاذ محمـود محمد رسلان

زكاة الذهب والفضة وما فى حكمهما

السؤال :

كيف تخـرج الزكاة عن النقدين وما فى حكمهما ؟ وما الدليـل على ذلك ؟ مع بيان بعض الاحكام المتعلقة بهذه المعاملات ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين والصـلاة والسـلام على أشرف المرسـلين سـيدنا محمد وعلى آله وصـحبه أجمعين • وبعد :

فلعل الحـديث عن الزكاة اليوم لا يأخذ حقه من العناية ، بالقـدر الكافى الذى نراه مثلا عن الصلاة ، أو الحج ، وان كانت كتب الفقـه لم تغفـل هـذا الركن الثالث من أركان الاسلام ، ولكن الحديث عنه بين المسلمين لا يكاد يكون الا فى المناسبات ، ربما لأن أنواع الزكاة كثيرة ومتشـعبة ، أو لأن اخراج الزكاة مرتبط بالمـال الذى هو قرين النفس وأثيرها مصـداقا لقول الله تعالى : « وانه لحب الخير لشديد» سورة العاديات آية ٨ (الخير = المـال) وقوله : « وتحبون المـال حبا جما » سورة الفجر آية ٢٠

مع أن الزكاة هى التكافـل الاجتماعى الحقيقى لكل المجتمعات، وكان الأجدر لهذا الركن أن يأخذ حقه من العناية والتمحيص على كل المستويات الاسلامية ، ومن ثم فان هذا الباب سوف يقوم ــ ما أمكن ــ بشرح وبسـط هذا الركن بمشيئة الله ، بادئا بزكاة النقدين ، فنقول وبالله التوفيق :

الأصـل فى وجوب زكاة الذهب والفضة قول الله تعالى :

« والذين يكنـزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله

فبشرهم بعذاب أليم» وفى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« ليس فيما دون خمس أواق من الورق ــ بكسر الراء ــ صدقة » وفى مسلم مثله من رواية جابر ، والأوقية الحجازية الشرعية أربعون درهما بالنصوص المشهورة واجماع المسلمين .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدى منها حقها الا اذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها فى نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره ، كلما بردت أعيدت له فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى الله بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار » .

أما الاحكام ففيها مسائل .

احداها : تجب الزكاة فى الذهب والفضة بالدليل المتقدم والاجماع سواء فيهما المسكوك والتبر والحجارة منهما والسبائك وغيرها من جنسها ..

ثانيها : لا زكاة فى الذهب حتى يبلغ نصابا ، ونصاب الذهب عشرون مثقالا ، ونصاب الفضة مائتا درهم ، وهى خمس أواق بأوقية الحجاز والاعتبار بوزن مكة ، فأما المثقال فلم يختلف فى جاهلية ولا اسلام وقدره معروف ، والدراهم المراد بها دراهم الاسلام ، وهى التى كل عشرة منها سبعة مثاقيل الدرهم = ٣ جرامات .

وما الحكم اذا نقص النصاب حبة أو بعض حبة ؟

قال جمهور العلماء لا زكاة فيه..

وقال مالك : ان نقصت المائتان من الفضة حبة وحبتين ونحوهما مما يتسامح به ويروج رواج الوازنة وجبت الزكاة ، وعن أحمد نحوه ، وعنه ان نقصت دانقا أو دانقين ــ الدانق = $\frac{1}{6}$ الدرهم انظر القاموس المحيط كلمة (دنق) ــ وجبت الزكاة ، وعن مالك رواية أنها اذا نقصت ثلاثة دراهم وجبت الزكاة ، واحتج لهما بأنهما كالمائتين فى

المعاملة ، واحتج أصحابنا والجمهور بالحديث السابق : « ليس فيما دون خمس أواق من الورق صدقة » . والأوقية : أربعون درهما .

ثالثها : لا يضم الذهب الى الفضة ، ولا هى اليه فى اتمام النصاب بلاخلاف كما لا يضم التمر الى الزبيب ويكمل النوع من أحدهما بالنوع الآخر والجيد بالردىء .

رابعها : واجب الذهب والفضة ربع العشر ، سواء كان نصابا فقط أم زاد زيادة قليلة أم كثيرة ...

خامسها : يشترط لوجوب زكاتهما أن يملكهما حولا كاملا بلا خلاف فلو ملك عشرين معظم السنة ، ثم نقصت ولو نقصا يسيرا ثم تمت بعد ساعة انقطع الحول الأول ، ولا زكاة حتى يمضى عليها حول كامل منحين تمت نصابا وهذا لاخلاف فيه ، نص عليه الشافعى رضى الله عنه ...

سادسها : اذا كان الذهب أو الفضة الذى وجبت فيه الزكاة كله جيدا أخرج جيدا منه ، أو من غيره فان أخرج دونه معيبا أو رديئا أو مغشوشا لم يجزئه ...

سابعها : اذا كان له ذهب أو فضة مغشوشة فلا زكاة فيها حتى يبلغ خالصها نصابا ، هكذا نص عليه الشافعى رضى الله عنه ..

أما ما يفهم عن الكنز من قول الله سبحانه وتعالى : « والذين يكنزون الذهب والفضة » فعن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا أديت زكاة مالك فقد قضيت ما عليك » رواه الترمذى . قال حديث حسن ، وعن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : « والذين يكنزون الذهب والفضة » كبر ذلك على المسلمين فقال عمر رضى الله عنه : أنا أفرج عنكم ، فانطلقوا فقالوا : يا نبى الله انه كبر على أصحابك هذه الآية فقال صلى الله عليه وسلم : « ان الله تعالى لم يفرض الزكاة الا ليطيب بها من بقى من أموالكم ، وانما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم فكبر

عمر رضى الله عنه ثم قال : ألا أخبركم بخير ما يكنز ؟ المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته ، واذا أمرها أطاعته ، واذا غاب عنها حفظته » .

وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : « كنت ألبس أوضاحا — قلادة — من ذهب فقلت يا رسول الله أكنز هو ؟ فقال : ما بلغ أن تؤدى زكاته فزكى فليس بكنز » رواه أبو داود فى أول كتاب الزكاة باسناد حسن .

قال صاحب الحاوى : قال الشافعى الكنز : ما لم تؤد زكاته وان كان ظاهرا ، وما أديت زكاته فليس بكنز وان كان مدفونا ...

أما زكاة الورق — بفتح الراء — وهى العملة الرمزية التى يتعامل بها أهل هذا العصر على اختلاف أجناسهم وأمصارهم فانها تقابل بما يساويها ذهبا أوفضة .

وسبب اصطلاح الناس واصطفاقهم على استعمال الذهب والفضة ما أودعه الله تبارك وتعالى من خصائص فى هذين المعدنيين نجملها فيما يأتى :

١ — ثباتهما وعدم تغيرهما بملامسة الماء أو الهواء لما فيهما من خواص تكسبهما مناعة ضد التآكل والصدأ وانطفاء البريق وقلة الجودة كالمعادن الأخرى .

٢ — ثبات القيمة نسبيا لأن النقل اذا كان متقلبا غير مستقرفانه يؤثر على الرخاء العام ، وعلى الحياة الاقتصادية فلا تكون معيارا دقيقا ثابتا تقدر به الأشياء .

٣ — تجانسهما فى كل أنحاء العالم اذ لايستطيع الانسان بالغا مابلغ حذقه أن يميز بين الذهب الذى يستخرج من قارة استراليا والذى يستخرج من نيجيريا أو غيرها ولذا كان السعر واحدا فى جميع أسواق العالم .

٤ — امكان تجزئتهما مع بقاء قيمتهما .

٥ — التزين بهما وامكان صنعهما على أشكال ونقوش يتزين بها النساء .

٦ ـ صعوبة الغش فيهما بسهولة تميز الزائف بمجرد الرؤية وسماع الرنين ، ثم صنعت الدولماينوب عن هذين النقدين وهى قراطيس تتميز بنقوش أو صور وعبارات تحدد قيمة التعامل بهذه القراطيس وهى سندات يقابلها فى العادة رصيد معدنى من الذهب والفضة ، وصارت كتعهد بدفع قدر محدد من الذهب أو الفضة ، وتنحصر النقود الورقية فى ثلاثة أنواع : ـ

نائبة ، ووثيقة ، والزامية ، يقابلها على الترتيب الآتى : ـ

كمبيالة ، شيك العملة المتعامل بها ،

ولما كان التعامل بالفضة أصبح معدوما أو فى حكم المعدوم ، بقى التعامل بالذهب أوبمايعادله موجودا بين الدول وهذا من رحمة الله فبقاء العملة الذهبية معيار مضمون يقيم الناس عليه معاملاتهم فى هذه الحياة

ومن ثم فان نصاب الذهب وهو عشرون مثقالا منه تساوى عشرة دنانير ، والدينار يساوى جنيها من الذهب .

فاذا كان الجنيه من الذهب يساوى اليوم ٢١ جنيها مصريا مثلا فيكون النصاب الواجب اخراج الزكاة عنه هو ٢١ × ١٠ = ٢١٠ جنيها مصريا تقريبا والله أعلم .

ومن أراد المزيد فعليه بالرجوع الى الأستاذ محمد نجيب المطيعى فى كتابه القيم ـ المجموع شرح المهذب ـ جـ ٥ ص ٤٦١ ـ ٤٧٩ فمنه استقينا المعلومات الطيبة بتصرف .

حكم زواج المرأة وعمتها

السؤال :

ورد للمجلة السؤال التالى من المواطنة ... من الزرقا مركز فارسكور محافظة دمياط تقول فيه:

تزوجت من أحد المواطنين من بلدة اخميم ، وأنجبت منه ولدا وبنتا ثم تعرف على عمتى أخت والدى من الأم ، وهرب معها وعقد عليها عقد زواج وأنجب منها طفلا فما حكم هذا العقد ؟

الجواب :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
وبعـد :

فقـد توجهنا بهـذا السـؤال الى الأسـتاذ العلامة محمد نجيب المطيعى فأجاب عنه مشكورا بقوله :

ان عقد زوجك ـ أيتها الأخت السائلة ـ على عمتك غير الشـقيقة باطل ، ولا يترتب عليه أى أثر من الآثار الشرعية ، ويجب التفـريق بينهما فورا ، وسبيلك الى التفريق أن ترفعى دعوى تفريق لا دعـوى طـلاق ، أمام المحـاكم الشرعيـة (الأحوال الشخصية) فى الدائرة التى وقع فيها التعاقد (بين زوجك وعمتـك) فانهـا ستحكم بالتفريق فورا ، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن الجمـع بين المـرأة وعمتها ، والمـرأة وخالتها حتى اذا كانت غير شقيقة ، ولو كانت عمة من الرضاع ، أو خالة من الرضاع أيضا لقوله صلى الله عليه وسلم :

« يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب » .

كما أن هناك مسئولية جنائيـة تقوم على التزوير فى أوراق رسمية لأنهما عند التعاقد يسألان عن الموانع الشرعية فهما لاشك قد أجابا بالنفى مع وجود هذه الموانع مما يوقعهما تحت طائلة قانون العقوبات .

حتى المأذون الذى عقد العقـد يعـاقب اذا كان يعـلم بالتزوير ، وكذلك الشهود يعـاقبان اذا علما أنهما تزوجا زواجا غير شرعى .

والله أعلى وأعلم .

محمود محمد رسلان

من تراثنا الحديث

كتاب الشهر:

المحاضرة الأزهرية

للعلامة المرحوم الشيخ يوسف الدجوى
عضو جماعة كبار العلماء

نص المحاضرة التى ألقاها على جمهور من طلبة العلم
بالجامع الأزهر فى الرابع من المحرم سنة ١٣٣٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جل سلطانه • وعظم برهانه • وأشرقت أنواره • وبهرت آثاره • تشامخ ملكه عن أن يحدده البحث ويحيط به العلم وتعاظم تدبيره عن أن يخضع لفهم أو يذل لوهم (فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير) والصلاة والسلام على ذلك الرسول الأمين • الذى أبان الطريقين وأرشد الى السعادتين وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين •

أما بعد فقد منى الاسلام من أبنائه بما شوه وجهه الجميل وكاد يذهب بروائه وبهائه ويمثله لجاهليه فى شكل المعتقدات الخرافية أو الصور الخيالية فكان من الواجب على كل عالم أن لا يألو جهدا فى بيان أسرار الدين وما اشتمل عليه من سعادة الدنيا والآخرة كما ينبغى له أن يطفىء نيران تلك الماديات التى أوغل فيها الناس حتى جهلوا الروحانيات (ومن جهل شيئا عاداه) فحرموا بذلك من أبهى اللذات وأشرف المعلومات •

نعم يجب عليه ذلك حتى يعيد الى النفوس صحتها والى القلوب بهجتها كما يجب عليه من آن لآخر أن يستثير محبة الله تعالى من مكامن أفئدة عباده ببيان نموذج من نعمه عليهم • وشرح قليل من بدائع صنعه فى مخلوقاته حتى يتجلى لهم جماله وجلاله • وبهذا تتم انسانيتهم • وترتفع عن حضيض الحيوانات درجتهم • ويكونون بذلك قد وفوا حق ما خلق فيهم من ذلك الاستعداد الرفيع وأودع فى نفوسهم من ذلك الوجدان الرقيق وذلك العقل السامى (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون • فتعالى الله الملك الحق لا اله الا هو رب العرش الكريم) وقد حدا بى ذلك الذى أعتقده واجبا على كل غيور على دينه محبا لأبناء وطنه أن أنشر لاخوانى المسلمين تلك المحاضرة التى ألقيتها

بالجامع الأزهر يوم أن زاره صاحب العظمة سلطان مصر (فؤاد الأول)• وقد جعلتها مشتملة على ستة فصول

(١) حاجة الانسان الى الشريعة•

(٢) بيان شيء مما يغرس محبة الله تعالى فى النفوس •

(٣) مقارنة الشريعة بالقوانين الوضعية •

(٤) شهادة فلاسفة أوربا للدين الاسلامى •

(٥) تأييد المكتشفات الحديثة جاء فى ذلك الدين الحنيف •

(٦) تقرب الأوروبيين من الاسلام يوما فيوما من حيث لا يشعرون •

نعم أرى السير على ذلك النهج واجبا وتحريك ذلك الاحساس من النفوس لازما حتى يتبين أن الاسلام دين المدنية والعمران دين الدليل والبرهان والذوق والوجدان دين يحث العقول على النظر فى الكائنات ويدعوها الى التأمل فى الآيات ويوافى القلوب بمشتهياتها الروحية • والأجسام بمطالبها الطبيعية • ويحث على مصالح الدنيا كما يرغب فى ثواب الآخرة • ولا يريبنك ما عليه كثير من المسلمين الآن من سوء الحال واختلال الأعمال • فان ذلك بمقتضى أهوائهم لا من طبيعة دينهم•وان شئت فانظر اليهم فى عهدهم الأول حينما كانوا متمسكين به آخذين بتعاليمه • وانك لو نظرت (بصرك الله) الى ما جاء به من اصلاح النفوس ومداواتها من جميع أدوائها حتى تكون منابع خيرات تفيض على هذا المجتمع الانسانى • ومصادر بركات يترقى بها العمران ويصبح بها جميع النوع البشرى على غاية ما يكون من الصفاء والهناء لعلمت أنه تنزيل من حكيم حميد يشهد لنفسه بنفسه • ويقيم برهانا على صحته من طبيعة ذاته ولا شيء منظره دون مخبره وكل ما يقال عنه دون حقيقة جوهره مثل الاسلام • دين لو شئت أن أعرفك ما جاء فيه بالاختصار قلت لك أنه جاء بكل ماتحكم به الفطر السليمة والعقول الكبيرة والوجدانات الصافية والاذواق الرفيعة وما يقتضيه

العمران ويوجبه الاجتماع البشرى العام • وانى موقن (لو عنيت بدرسه درسا صحيحا) وجدت فيه أعظم المدنيات وأحسن المعاملات وأصفى الأسرار وأبهر الأنوار حتى توقن أنه بمقتضى حقيقته هذه يجب أن يكون هو الدين الباقى الذى لايعتريه نسخ ولا يطرأ عليه زوال وتعلم أنك قد عثرت على ما لم يعثر عليه ذلك الفيلسوف الذى يرى ان الديانات لابد ان تضمحل وتتلاشى قائلا : (ان الدين كان يبقى غير قابل للزوال والتلاشى اذاكانت قواعده مطلقة عن الحدود ونواميسه مجردة عن القيود كما هو استعداد الانسان للكمال المطلق وأهليته للرقى الذى لايحده وصف الواصف) وتعلم أن الاسلام جاء بكل ما يقول ذلك الفيلسوف بأتم معانيه وأبعد مراميه • ويتجلى لك أوضح من الشمس أن هذا ليس هو الدين الذى يقول عنه (لاروس) ان الدين يقول لمتبعيه (اعتقد وانت أعمى) كلا ثم كلا ان الاسلام يقول لمتبعيه تفكروا تبصروا تدبروا انظروا الى كثير من أمثال ذلك مما ورد فى القرآن • ولست أدرى ماذا أقول لاخوانى من بنى الانسان الذين أحب لهم الحياة الطيبة التى تسرى فيها روح الحياة بكل معناها لا الحياة التى ظاهرها صفاء وباطنها يذيب القلوب أسفا وحسرة •

فاذا نظرت لهم وجدت جسومهم
فى جنة وقلوبهم فى نار

انا نقول لهم بصوت يملأ الخافقين • ويسمع الثقلين حاكموا هذا الدين أمام العقل حاكموه أمام الوجدان • حاكموه أمام البرهان حاكموه أمام المدنية والعمران حاكموه أمام شرائع المشرعين • وقوانين المقننين • وآداب المؤدبين • حاكموه أمام اخلاقكم ومستحسن عاداتكم • حاكموه أمام فلسفتكم وروحانيتكم قارنوا بين تاريخه وتاريخ الدول والأديان • أنظروا فيه بالمكروسكوب والتلسكوب • حللوه بما شئتم من التحليلات • امتحنوه بما أردتم من الامتحانات على شرط الانصاف وعدم التعصب فستنطق ظواهره الطبيعية والروحانية بأنه منبع كل

خير وجماع كل فضيلة قارنوا بينه وبين شرائع الأنبيــاء قبلــه • حتى تعلموا أن بعضــها جثمــانى لاحظ للروحانيات فيه وبعضها روحــانى ليس لاجسمانيات فيه نصيب حتى دعا الى خراب الدنيا (وقال لايدخل الغنى ملكوت الله حتى يدخل الجمل فى سم الخياط) وستعلمون من آياته ومعجزاته • الباهــرة أن العــلوم الطبيعية تخــدمه على غير علم من ذويها حتى صارت نصوصه فى هذا العصر كما قال بعض الفضلاء أوضح من الضياء وأسهل جولانا فى العقل من الشعاع فى الماء فلا قاعدة دلت عليها التجارب ولا نظرية تأسست بشهادة المشاعر يكون لهــا أثر فى ترقية الانسان وتحسين بناء العمران الا وهى صدى صوت آية قرآنية أو حديث نبوى (ولتعلمن نبأه بعد حين) •

حاجة الانسان الى الشريعة

ان النفوس الانسانية تمــرض كما تمرض الأبدان بل هى مستعدة لذلك أكثر منهــا بمقتضى لطافتهــا وشدة تأثرها بكل ما تراه وتسمعه وبقــوة انفعالها بميولها وشــهواتها وان أمراضها لأكثر من أمــراض البدن على كثرتها وقد يصــل بهــا المرض الى حد الموت الروحــانى بابطال خاصة الانسانية من العلــوم والمعــارف والأسرار والأنوار واذا لاينفعها الارشاد ولا يجديها التعليم ولذلك يقول القرآن : يريــد النبى عليه السلام (لينذر من كان حيا) وقد سمى الجاهل الضال ميتا فقال (أو من كان ميتا فأحييناه) ويقول: (يأيها الذين آمنوا اســتجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) كما أثبت لها المرض فى آيات كثيرة • وأن كل ضلال فى العالم وكل شر على وجــه الأرض ليس منشؤه الا مرضا من أمراض النفوس وقــد أرســل الله الأنبياء عليهم الســلام أطباء لتلك الأمــراض يعالجونهــا بأنواع العلاج ويرسمون لها قانون حفظ الصحة ان كانت مــوجودة بالحمية عن دنس الأخــلاق ورذائل العــادات وتعــديل الميول ومراقبة النزعات والأهواء وردها ان كانت

مفقودة ، ومعلوم أن الانسان مركب من جزء علوى سماوى، وجزء سفلى أرضى أو تقول من جزء روحانى وجزء جسمانى وان الانسان لا يسعى لمطالب الجزء الجسمانى من المطعم والمشرب واتقاء الحر والبرد الى غير ذلك الا من حيث انه حيوان لا انسان فان ذلك مشترك بينه وبين غيره من الحيوانات وان كان هو أوسع منها تفننا يستحق أن يسعى به سيد الحيوانات • وتعلم رعاك الله أنه لا قيمة لما تشاركك فيه الحيوانات وان الانسان لا يكون انسانا على الحقيقة الا اذا وجدت فيه خاصة نوعه والا كان انسانا بظاهره وصورته لا بباطنه ومعناه • فلهذا جاءت الشرائع الالهية ترقيك من حضيض الحيوانية الى أوج الانسانية وتذيقك شيئا من حلاوة ذلك العالم الروحانى • عالم البهاء والصفاء • وتمتعك برياضه المونقة وحياضه المتدفقة • وتنزهك فى جمال الملك والملكوت والعظمة والجبروت • فتنفتح عين بصيرتك لاستطلاع ذلك الجمال الالهى

الذى ظهر على صفحات الموجودات وتجلى بأروع ما يكون فى مرايا تلك المبدعات فتارة تقرأ فى خلال تلك السطور من العزة القعساء والعظمة والكبرياء ما تنشرح له الصدور وتبتهج به النفوس وتارة تطالع من حكمته تعالى فى خلقه وأسراره فى أرضه وسمائه ما تتحير فيه العقول وتخر لعظمته ساميات الأفكار وتارة تجول فى سعة الملك وعظمة الملكوت فتعرف أن أرضنا هذه جزء من ألف ألف جزء وأربعمائة ألف جزء تقريبا بالنسبة الى الشمس وأن الشعرى أكبر من الشمس بأضعاف مضاعفة وأن نور الشمس جزء من خمسين جزءا من نور الشعرى وأن المشترى يقطع فى الساعة الواحدة ثلاثين ألف ميل وزحل يسير فى الساعة ستين ألف ميل وأن الآلات الحديثة والنظارات المقربة قد اضمحلت وتلاشت فى جنب ذلك الملك العظيم • والاكتشافات الحديثة على عظمتها وكبريائها خرت ساجدة تنادى بالعجز والتقصير أمام تلك العظمة القاهرة والقدرة الباهرة ويعلم الله ما وراء الشعرى من العوالم والنيرات

(سبحانك ما عرفناك حق معرفتك)
هذا ولا يزال استطلاع الأسرار واستفاضة الأنوار ومطالعة الجمال غير المتناهى يستولى على قلوب بعض عباد الله المستعدين لذلك حتى أنهم ليصلون به الى حد التوله فى محبة ذلك المبدع العظيم والتدله بما يبهرهم من جمال ذلك القادر الحكيم • ولا يسارعن الى انكار ذلك بعض من تراكمت عليه الظلمات وأحاطت به الآفات فليس من الانصاف أن ينكر الانسان كل مالم يصل اليه بحجة أنه لم يصل اليه • فما أضعف ذلك احتجاجا • وأسمجه برهانا فلعل هناك حاسة أخرى باطنية لم تخلق فيه وفى أمثاله •

لعمرك ما هذا بهزء وانما
حديث غريب من بديع الغرائب

فاعرف قدرك أيها الانسان فما أنت الا مخلوق ضئيل فى مخلوقاته وكائن صغير فى جانب مكوناته واذ كنت لست الا عالما من عوالم هذه الأرض الكثيرة العدد وأرضك بكل ما فيها ليست الاشيئا يسيرا بجانب الشمس وليست الشمس الا شيئا يسيرا بجانب الشعرى • وليس ذلك كله الا شيئا يسيرا بجانب بقية العوالم التى لم نعرف لها نهاية ولا وقفنا لها على غاية • وقد قال فى كتاب الأرواح نقلا عن الدروس الأولية •

أقرب كوكب لنا بعد نظامنا الشمسى يبعد عنا أكثر من ٢٥٠ر٠٠٠ر٠٠٠ من الأميال ومن الكواكب ما يكون بعيدا جدا حتى ان النور الذى يقطع فى الثانية الواحدة مائة وستة وثمانين ألف ميل وثلثمائة يحتاج الى الآلاف من السنين حتى يجىء من الكوكب الى أعيننا والمنظور بالعين المجردة فى السماء ستة آلاف نجمة منها ثلاثة آلاف ظاهرة ، وثلاثة آلاف خفية ويرى بالمنظار المعظم (التلسكوب) خمسمائة مليون من النجوم •

وليس من المدهش ان نرى كوكبا بأعيننا وضوؤه لا يصل الينا الا بعد مائة سنة أو أكثر وقد عرفت سرعة سيره وأنه يسير فى الثانية الواحدة ١٨٦و٣٠٠ ميل فتأمل هذه المسافات

العظيمة التى لا تستطيع أن تحسبها وانظر الى تلك الكواكب التى لا يعلم عددها الا الله كيف قدرت وبأى طريق خلقت وبأى علم نظمت •

وهل يعقل ان هذه النظامات العجيبة والآيات البديعة تخلق سدى وتذهب شعاعا وتكون باطلا (ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار) •

(وقال فى محاسن المنظار المقرب (التلسكوب) يرينا نحو ٠٠٠ر٠٠٠ر١٠٠ من النجوم) ولكن المنظر الطيفى أظهر ملايين الملايين • ثم قال : ان كثيرا من النجوم ضئيلة النور لفرط بعدها عنا فلا قبل لنا برؤيتها حتى بالمقرب (التلسكوب) ثم قال ان الشعرى اليمانية تبعد عن الشمس فى الدقيقة ألف ميل • الى أن قال ان ثلاثا من بنات نعش (مايا) و (الكترى) و (السيون) يفضحن الشمس ويفقنها نورا ونارا الأولى بأربعمائة ضعف والثانية بأربعمائة وثمانين والثالثة بألف ضعف • أما (سهيل) فهو أسنى من الشمس بألفين وخمسمائة مرة و (السماك الرامح) أسطع منها بثمانية آلاف مرة •

فعلى الحقيقة ليست الشمس أم نظامنا السيارى وما هى الانجمة صغيرة وكم حسبها الناس أكبر الأجرام السماوية وأسطعها •

ثم قال أما السماك الرامح فهو على حد علمنا أسرع النجوم سيرا وأشدها تألقا وأكبرها حجما تقدر سرعته بثلاث مائة ميل وكسور فى الثانية الواحدة ونوره ثمانية آلاف ضعف نور الشمس وحجمه ثمانون ضعف حجمها

أما بعده عنا فتخيله لنفسك عندما تعلم أن نوره لا يصلنا فى بضع دقائق كنور الشمس وهى على بعد ٠٠٠و٥٠٠و٩٢ ميل منا بل فى سنين كثيرة لا تقل عن مئين من السنين •

ثم قال وأما (الشعرى) فنورها الواصل الينا بعد سفرة طويلة مقدارها ١٦ سنة ضئيل جدا بالنسبة الى نورها وما هو الا جزء من ألفى مليون من نورها الحقيقى الى أن

قال ان النجمة المعروفة بعدد ١٨٣٠ (غرومبرودج) تسير ١٢٫٠٠٠ ألف ميل فى الدقيقة و (السماك الرامح) ٢٢٠٠٠ ميل تقريبا فى مثل هذا الوقت القصير وهناك نجوم بعيدة عنا جدا بحيث تمر آلاف من السنين ولا يكاد يظهر أدنى تغيير فى منظر القبة الزرقاء ٠

ولذلك قال بعض فلاسفة الأوروبيين من عظمة ذلك الملك (يا لله ما أعظمك وأجلك وما أبهر قدرتك وأوسع علمك ليت شعرى من ذلك المجنون الذى اجترأ فسماك لأول مرة ٠ الله ٠) فماذا تكون نسبتك أيها الانسان الشامخ بأنفك الجاهل بقدرك بجانب تلك المخلوقات وعلام تتبجح كبرا وتيها وأنت الصغير (وكبير عليك اسم الصغير) أمام عظمة رب الأرض والسموات وليت شعرى بعد هذا ما شأن ذلك العرش الذى يصفه القرآن بالعظمة ولم نقف له على عين ولا أثر لا بأبصارنا ولا بنظاراتنا وناهيك أمر يعظمه القرآن

الله أكبر هذا البحر قد زخرا
وهيج الريح موجا يقذف الدررا

فصل

فمن كان يحب أن يعطى الروح حظها من ذلك العلم الأعلى ويمتع بصيرته فى رياض ذلك الجمال الأسنى فليرتفع عن الانغماس فى الظلمات السفلية والغواشى الجسمانية وليربأ بنفسه أن يندرج فى سلك ذلك الفريق الذى لاخبر لديه عن مبدعه الحكيم والهه العظم ولا يدرى من أين جاء ولا الى أين يذهب ولا يعرف غير لذة الحيوانات والتغلغل فى أودية المحسوسات ولذلك يقول الله فيهم (والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم) ويقول فى آية أخرى « ان هم الا كالأنعام بل هم أضل » فحرك من نفسك الشوق الى عالمك الأعلى عالم الصفاء والبهاء الذى هو وطنك الأصلى قبل أن تأسرك جنود الشهوات وتحيط بك تلك الظلمات فعسى ان لا تكون قد بطلت منك تلك الحاسة الفاضلة التى هى أجل حواسك وأعظم مواهبك فتعرف

معنى ذلك الصفاء وتدرك معنى تلك اللذة وتحس باشراق ذلك النور فترجع اليك سلامة فطرتك الأولى فتحيا حياة طيبة لا يشوبها كدر ولا يعتريها زوال بل تذوق من تلك اللذة التى يعرفها أربابها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما أرجو لى ولك أن يتحرك من قلوبنا محبة الله عز وجل فانها غذاء الروح وحياة القلوب وبهجة النفوس ومن وصل اليها فقد وصل الى محل الأمن من آفات الدنيا والآخرة فيسعد السعادة الأبدية ويرقى الى أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

فصل

(فى الالماع الى ما يستثير محبة الله تعالى من النفوس المستعدة)

بادر لدرك الذى قد فات من عمرك
ولتتخذ زادك التوحيد فى سفرك

مليك الورى يا منتهى أملى
ما أشوق السر والمعنى الى خبرك

ما ظل لى أمل فى غير مشهدكم
ولا قرأت كتابا ليس فى سيرك

اذا كنت تحب أحدا لما يبهرك من علمه وسعة نظره من علماء الأمم فأحب الله تعالى الذى أتقن هذه العوالم كلها وأودع فيها من الأسرار ما أدهش فلاسفة أوروبا اشراق شعاع من نور شمسه حتى قال سبنسر الانجليزى ما ترجمته (ليس الغرض من علم الطبيعة معرفة تلك الظواهر الطبيعية وانما الغرض الأسمى أن يشرف الانسان على ذلك السر الباهر ويستطلع تلك العظمة الالهية من وراء تلك الحدود التى ينتهى اليها علم الطبيعة) ويكفيك ما اشتمل عليه الانسان من الأسرار المدهشة التى تكفل بها علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء مما بهر علماء الفزيولوجيا فطأطأوا له الرؤوس وعشوا أمامه كما يعشو الخفاش أمام الشموس . وان كنت تحب أحدا لمزيد شجاعته وعظيم قوته وحسن تدبيره من القادة والساسة فأحب أحكم الحاكمين

واقدر القادرين وقيوم السموات والأرضين ورب العالمين • ومدبر الخلق أجمعين • من أمره بين الكاف والنون • واذا أراد شيئا فانما يقول لـه كن فيكون • وان كنت تحب أحدا لاحسانه ومزيد انعامه وعظيم تبريره فى باب الفضل والمكارم فأحب منبع النعم ومعدن الكرم وأين كل ما تتخيله اذا قسته بقطرة من بحار فضله ؟ وماذا نعدد لك من نعمه أو نسرد عليك من آثار كرمه بعد ما علمت أنه المفيض لكل نعمة فى الوجود وأنه رب الكرم والجود (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم) ولعمر الانصاف ان هذا لمقام يجب أن تتكسر فيه الأقلام وتخرس فيه الألسن فلن تطيق شرح نعمة واحدة من نعمه وانظر ان شئت لنعمة الهواء التى يتوقف عليها وجود كل حى الى آخر ما يتفرع منها ويتشعب عنها وان شئت فانظر الى نعمة الضياء أو الماء وما أودعه فى الأشياء من الكهرباء بباهر حكمته وعظم تدبيره (ذلك تقدير العزيز العليم) (وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار) وقد أحس بتلك العظمة المدهشة وذلك الانعام الفائض على كل من فى الوجود ذلك الرجل العظيم صاحب النفس المطلقة من القيود ، الفيلسوف لينه الفزيولوجى الفرنسى الذى كان يدعوه وجدانه فيجيبه ويناجيه شعوره الحى فلا يتغافل عنه قال : ان الله الأزلى الكبير العالم بكل شىء قد تجلى لى ببديع صنائعه حتى صرت مندهشا مبهوتا فأى قدرة وأى حكمة وأى ابداع أودعه مصنوعات يده سواء فى أصغر الأشياء أو أكبرها ان المنافع التى نستمدها من هذه الكائنات تشهد بعظيم رحمة الله الذى سخرها لنا كما أن جمالها وتناسقها ينبىء بواسع حكمته وكذلك حفظها عن التلاشى وتجددها يقر بجلاله وعظمته) ولنرجع الى أصل الموضوع فنقول

(اذا كنت تحب نفسك وكمالها فأحب من أوجدها فى أحسن تقويم وشق سمعها وبصرها وأسبغ عليها

نعمه ظاهرة وباطنة ولم يقتصر كرمه على افاضة الضروريات والحاجيات بل أعطاك من الكماليات ما تتنوع به لذتك وتتم به بهجتك فليس من الوفاء أن تعرض عنه وقد غمرتك نعماؤه وأشرق عليك ضياؤه وعذب لك ماؤه ولطف هواؤه وأنعشتك بدائع أكوانه من رياض غناء وصحارى فيحاء وأثمار شهية وألوان بهية ونغمات شجية ومناظر تطير بالقلوب الى حضرة علام الغيوب من شموس وأقمار وأطيار وأزهار وليل ونهار) أما يجب أن تقول عند رؤية تلك الآيات المدهشات والدلائل الناطقات والنعم الفائضات ما قال ذلك البدوى الذى لم تشغله المدنية وزخرفها عن أن يرجع الى قلبه ويستمع من حديث لبه حيث يقول:

هاج القلب من هواه ادكار
وليال خلالهن نهار
وجبال شوامخ راسيات
وعيون مياههن غزار
ونجوم تلوح فى جنح ليل
مشرقات فى كل يوم تدار
وشموس مضيئة للبرايا
فى نهار وفى الدجا أقمار
ورياح تهب من كل فج
وبروق وراءها أمطار
ان شأن الآله شأن كبير
جل ربا وجلت الآثار
والذى ذكرت دل على اللـ
ـه نفوسا لها هدى واعتبار

أو تقول كما قال غيره مخاطبا نفسه مستحثا لها على العبرة واطالة الفكرة حيث يقول :

تبصر حيث كان لك التبصر
وفى ذات الآله دع التفكر
وان ترد المهيمن حين تذكر
تأمل فى نبات الأرض وانظر
الى آثار ما صنع المليك

فأنوار المهيمن ساطعات
وأفكار الخلائق حائرات
ولكن الأدلة واضحات
أصول من لجين زاهرات
على أغصانها ذهب سبيك

شموس في البرية مشرقات
نجوم في الدياجى لامعـات

بطول الدهر دوما سابحات
الى ما لسـت أدرى طائرات

يطير بها له الجرم السميك

رياض مونقـات منعشـات
وألوان لعينـك مدهشات

وأغصـان تسرك ناضرات
على قضب الزبرجد شـاهدات

بأن الله ليس لـه شريـك

أو يقول كما قال ذلك القائل :

يقـولون أين الله أين عجائبـه
وذاالكون سفر واضح وهوكاتبه

يشكون والايمان ملء قلـوبهم
ويبدون ما تلك القلوب تكذبه

فأى امرىء فى الجو يرسل طرفه
اذا ما بدت أقمـاره وكواكبـه

وليس يقول الله فى عرش مجده
وهذى حواشيه وهذى مواكبه

وأى امرىء ما سبح الله مرة
اذا راقب الأزهار وهى تراقبـه

عجـائب ربى فى الأنام عظيمة
ولكن جهل المرء لا شك غالبـه

أو يقول وقـد امتلأت نفسـه بالوجود الحق الذى ظهر فى جميع الأشـياء وتجلى نوره فى عـوالم الأرض والسـماء وان غـاب عن الأبصار وجل أن يـدرك بالأنظـار

ظهر الوجود الحق فى الأشـياء
متجليـا جهرا بغـير خفـاء

ان الوجود عن البصائر غـائب
من حيث ما هو ظـاهر للرائى

والفىء يكشف أن ثمـة شاخصا
متحكمـا فيـه بغـير مراء

فرأيتـه من حيث لم تعلم بـه
وعلمته فى رتبة الأسمـاء

والشمس لا تسطيع رؤية ذاتها
لتـألق فيهـا وفرط ضـيـاء

أو يقول ما قال ذلك الرجل الذى رآه ظاهرا فى آثاره ظهور الشمس وان تعالى بحقيقته عن العقول :

حسن تراءى فى المـرائى
وبه تحـير كل رائى

والكـائنـات جميعها
موج على صفحـات ماء

والأمـر أمر واحـد
فيـه التقـارب والتنائى

والكــون غرس زينت
ذى الأرض فيــه مــع السـماء

بكــــواكب ومــواكب
والـنجم خفــاق اللــواء

والطبـــل أجســـام الملا
والزمـــر أرواح الفضــاء

وصــدا جميـــع الكائنــا
ت أخى من أشـهى الغنـــاء

هــو باطن هــو ظــاهر
فاحــذره من وجــه الخفــاء

واطلبـه من وجـــه الظهــو
ر تجــده فى كل المراء

شــمس وكــل الخلــق فى
أنوارهــا مثـــل الهبـاء

لكن اذا انكرتهــا أصــبحت من
حمقى الخلائق لا من العقــلاء

يا قـــوم كيف عقولنـــا
لا تضــمحل من البهــاء

أو يقول عندما يرى الأشــجار تتهادى فى حلل الأوراق والأزهار معجبا برؤيتها متعجبا من قــدرة خالقهــا :

يا صــاحبى تعجبــا للابس
قــد حاكها من لم يمد لها يــدا

فقل لى بعيشك هل من الحيــاء (والحياء خلق كل كريم) أن تتمتع بما خلق الله لك من الأضـواء ، والاصباح والامساء ، وما أوجـد لك من بديع الأشياء ، وسخر لك من الأرض والسماء ، وكان الأمر على ما يقول عــز وجل : (وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنــة) ثــم لا تؤدى شكره ولا تعرف قــدره

انى لأعجب ممن قد رأى طرفا
من فرط لطفك ربى كيف ينساك

فان كان لا يؤثــر فى نفســك فائض انعامه ومزيد احســانه ولا ما هو عليه من قدرة يتحير فيهــا الناظرون وعظمة لا يصفها الواصفون وعلم لا يعزب عنه مثقــال ذرة فى الأرض ولا فى السماء وحكمة أتقن بها جميع الأشياء ولا ما هو متصف به عــز وجــل من نعوت الجــلال وصفات الكمال وكان لا يستولى على نفسك الا سلطان الحسن الذى تشاهده بعينك أو تلمسه بيــدك فاعلم أن كل جمال يقع عليه حسك أو يتصل به لمسك فانما هو ظل من

ظلال ذلك الجمال المطلق الذى يجل عن الحدود ويتعالى عن القيود وليس يعطيك أى مظهر من مظاهره الا بعض سرائره ولا تمثل لك أى مرآة من مراياه الا بعض مزاياه •

وأنى يسع المحدود من لا يقبل التحديد وكيف لا يضيق المقيد بمن لا يدخل فى سجن التقييد •

ان قلت هـذا فان الحد يحصره
أو قلت ذا فكلام لست أدريه

أو قلت عندى جاء الظرف يطلبه
والظرف حق ولكن ليس يحويه

ما ان رأيت وجودا لست أدريه
الا الذى أنا معنى من معانيه

فطوبى لمن شم عرف شذاه أو شام برق سناه وهنيئا لمن شرب قليلا من مدامه ولو مزجا أو نظر اليه ولو شذرا • فاذا لم يدر ما هو تائق اليه ومتلهف عليه قال :

شىء به فتن الورى وهو الذى
يدعى الجمال ولست أدرى ماهو

وقد قال بعض الحكماء لتلاميذه ان الناس كلهم يشتاقون الى الله أتدرون لماذا ؟ لأنهم يتوقون الى اصلاح لا يتناهى ،وجمال لا يتناهى، وكمال لا يتناهى وليس ذلك الا الله •

فارجع الى سلامة فطرتك وحدق بصر بصيرتك وطالع ذلك الجمال الالهى الذى تجلى على صفحات الموجودات • واقرأه بين سطور تلك المبدعات ثم انظر رعاك الله الى أى حد انتهيت ولا أظنك ان كنت رقيق الوجدان لطيف الشعور قوى الاحساس بالجمال الا وقد وصلت الى معنى يصغر بجانبه اسم الحسن اذ تجدك أحسست بجمال لا يتناهى وغرقت فى بحر من الجلال لا يحد ولا يأتى عليه التغيير •

فطورا فى الجلال على التذاذ
وطورا فى التذاذ بالجمال

وعند ذلك ينطق لسان حالك منشدا :

عجبت لعاقل فى الناس أضحى
يرى هذا الجمال ولا يهيم

ويترنم بلبـل روحـك مغردا :

لعمرك كل الحسن من بعض حسنه
وما الحسن كل الحسن الا جماله

فاستجلى هذا الحسن رعاك الله فى كل شى تراه من العلويات والسفليات

ان شئت فى فلك أو شئت فى ملك
أو شئت فى مدر أو شئت فى حجر

فالـكل ينطـق أن الله خالقـه
وهو المليك ورب النفع والضرر

وهل الشمس وهى أظهر ماعلمت وأبهر ما رأيت وأجمل ما وقع عليه البصر وأبهى ما وصل اليه النظـر الا أثر من آثاره ونور من أنواره قد كتبت عليها سطور البهاء والجمال والعزة والجلال فنحن نقرأ فيهـا قدرة نخر لها سـاجدين وحكمـة نقف أمامها مبهوتين وجمالا يذوقه الوجدان وان كان لايكفيه، وتمتلىء به النفوس وان كانت لا تعـرفه ونطالع فيها رحمة تجعلنـا قائلين بلسان الشاكرين: (تبارك الله أحسن الخالقين) وحقه وما أكبر حقـه لو تفرغت من الشواغل التى أخـذتك ولم تدع منك شيئا لعشقت فذقت فنطقت فقلت :

تراه ان غـاب عنى كل جارحة
فى كل معنى لطيف رائق بهـج

وفى مسـاقط أنداء الغمام على
بساط نور من الأزهار منتسـج

وفى مسـارح غزلان الخمائل فى
برد الأصائل والاصباح فى البلج

وفى مساحب أذيال النسـيم اذا
أهدى الى سـحيرا أطيب الأرج

عظـم والله البرهان • وامتـلأ الوجدان • ووصل الأمر الى حـد العيان • وليس بعد العيان بيان • ولكن قويت الأنـوار • فغشـيت الأبصـار • وكـل ما اعتيـدت مشـاهدته • وتكررت رؤيتـه • سقط عن القلب وقعه • وان عظم نفعه • ولكن الهمة أن تكون من المستبصرين • لا ممن أخـلد الى الأرض من الغافلين الجامدين :

خليلى قد طال المقام على القـذا
وحال على ذا الحال ياقوم أحوال

فاطلب رعاك الله مرافقة سكان الملكوت • وعشاق الجبروت • فان

كنت تحب أحدا لما بينك وبينه من التشاكل والتناسب فأحب الملأ الأعلى سكان ملكوت الله تعالى فان فيك ما يشاكلهم تمام المشاكلة (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) وليس غذاء هذا الجوهر النفيس الا العلوم والمعارف ولا مطلبه الا الصفاء والهناء ولا أمنيته الا الاطلاق من جميع التقييدات والاطلاع على جميع المغيبات • وهو من عالم التقديس والتطهير ولكنك نسيت عالمك الأول مذ فارقته واشتغلت بمطالب هذا الهيكل الجسمانى الذى لابد له من الفناء فأنست بالظلمات وتمرنت على احتمال الآفات :

من يهن يسهل الهوان عليه
ما لجرح بميت ايلام

ولذلك يصف القرآن من هذا حاله بالموت لأنه أمات أفضل غريزة فيه بل أمات خاصيته التى هو بها انسان على الحقيقة فيقول : (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) وقد استولت عليك هذه المطالب الجسمانية حتى أنستك عالم البهجة والبهاء وصرت لا تعرفه ولا تحس به وانه لموطن روحك ومحل أنسك وليست الروح تحب هذه الملاذ الجسمانية الا لأجل بدنها لا لأجل ذاتها، وأما مطلبها الذاتى وغذاؤها الأصلى فهو الأسرار والأنوار ولما طال بها العهد وهى فى سجن الظلمات ومحل الآفات نسيت ما هى مستعدة له ومخلوقة لأجله وهو فى الحقيقة نسيان لنفسها (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) فكأن لم يكن لها عهد بالصفاء ولا علاقة بعالم الجمال •

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يسمر بمكة سامر

أسأل الله أن يعيد لأرواحنا صحتها الأولى ويخلصها من أمراضها التى أضعفت منها تلك الحاسة العليا التى هى مناط لذتها الكبرى وشرفها الأعلى وخاصيتها الأولى ويرزقنا محبة الله ومحبة الأنبياء الذين هم أطباء الأرواح وأساتذة النفوس بمنه وكرمه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير •

المقارنة بين الشريعة والقوانين الوضعية

لعل قائلا يقول ان القوانين الوضعية تغنى عن الشرائع الالهية فنقول له سر معنا على شرط الانصاف وترك الاعتساف ونحن نوقفك على فروق جوهرية اجمالية بين الشريعة والقانون بها تعرف مقدار رجحان الشريعة وتفوقها وأن كل ما عداها من النظامات والقوانين منها بمنزلة أجرام النجوم من الشمس :

قد علمت أن الشريعة جاءت بمطالب الروح والبدن جميعا وكفى بذلك فرقا كبيرا بينهما ولكنا نزيدك فروقا أخرى فان القانون لا يطلب الا حفظ النظام العام ولا يعنيه الا وحدة الأمة وراحة الحكومة ولا يهمه شؤون الأفراد ولا من وظيفته اصلاح حالهم وأما الشريعة فقد تكفلت باصلاح الأفراد كما تكفلت باصلاح الأمم فرسمت لكل انسان خطة واضحة يسير عليها فى نفسه وفى أسرته وفى جيرانه وفى الناس أجمعين وحظرت عليه أخلاقا تعوقه عن كماله ورقيه الى أحسن أحواله فطهرته من الحقد والغل والحسد والشره وسوء الظن الخ الخ حتى أمرته أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه وطلبت منه أن يكون خيرا محضا وأن تكون سريرته أفضل من علانيته وعلمته أن يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة وتعلم رعاك الله أن الأمة لا تصلح فى مجموعها الا اذا صلحت أفرادها والا كانت كالبناء المرتفع أمام الأنظار من خارجه المتفتت الأجزاء فى داخله وان شئت فألق بنظرك الى ثروة أمتنا المصرية تجدها قد ذهبت ثلاثة أخماسها تقريبا فاذا بحثنا عن سبب هذا وأردنا أن نشخص ذلك الداء الذى سرى فى جسم الأمة سريان السل فى جسم الرجل العظيم وجدناه راجعا الى عدة أمور تحرمها الشريعة كل التحريم فمنها الربا الذى ورد فيه الوعيد الشديد فى القرآن والسنة ومنها المقامرة التى جعلها القرآن من عمل الشيطان وناط الفلاح

باجتنابها حيث يقول : (انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) ومنها المنازعات التى ما جاء الدين الا ليستأصل شأفتها من النفوس ، ومنها كثرة صرف المال فى غير محل الضرورة ولا موطن الحكمة وقد ذم الله المبذرين حتى جعلهم اخوان الشياطين فقال : (ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا) الى غير ذلك مما يعرفه المستبصر ولا يخفى على الباحث .

فلو أن الأمة تربت تربية دينية وحافظت على شريعتها لحفظت عليها ثروتها ولكانت الآن من أغنى الأمم التى على وجه الأرض .

فماذا أغنى عنها القانون وقد تركت شريعتها فذهبت ثروتها التى هى أساس مجدها ومناط حياتها على الحقيقة ، بل يمكننا أن نقول ان الشريعة أبلغ فيما يريده القانون أيضا من منع الناس عن ارتكاب الجرائم والتعديات ، فان الانسان لا يخاف القانون ولا يرهب سلطانه الا اذا لم يكن له وسيلة الى الخلاص منه .

فاذا عممنا التربية الدينية نكون قد وطدنا دعائم الأمن العام أكبر توطيد بمقتضى ما يغرسه الدين فى القلوب من أن الله يعلم السر وأخفى وأنه يحاسب على الفتيل والنقير (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وأن من روع أخاه لم يؤمن الله روعته يوم القيامة الى آخر ما جاء فى الكتاب والسنة وهو كثير ، فلا فرق اذا بين أن يكون الانسان فى العواصم حيث متناول الأحكام بمرأى ومسمع من الحكام وبين أن يكون فى الصحراء الكبرى حيث لا ديوان ولا سلطان .

فالخلاصة أنه لا يوجد شىء أنفع للحكومة والأمم والأفراد فى أحوالها الاقتصادية والاجتماعية من التربية الدينية ، فمن فوائدها للحكومة أنها تردع الناس عن الجرائم لأنها ترجع طمعهم فى الدنيا الى الحد المعتدل فلا يتهالكون عليها هذا التهالك الشديد . فالفرق بينها وبين القوانين

من هذه الوجهة أن القوانين لاتخفف محبة الدنيا من القلوب (ومحبة الدنيا كما تعلم أساس المنازعات والمخاصمات ومنشأ التعدى وكل أنواع الايذاء حتى أخذ الرشوة والسرقة) ولا تطهر النفوس من رذائلها كالحرص والحسد والشره والبغى والحقد والغضب الى غير ذلك ولا يخفى ما يترتب على تلك الرذائل فى المجتمع الانسانى من الشرور وسوء المعاملة بمقتضى تلك العوامل الخبيثة التي تسوق صاحبها الى هلاكه وهلاك غيره شاء أم أبى.
والفرق الثانى أن مراقبة الله لاتثمرها القوانين فيمكن أن يتقى الانسان غائلة القانون بالتحايل والاختفاء بخلاف الشريعة .

والفرق الثالث أن القوانين لا تكفل نظام الأفراد ولا تتعرض لشئونهم ولا لاصلاح حالهم فى أنفسهم .

والفرق الرابع أن الشريعة تعطى الروح حظها من معرفة الله وتستحث القلوب على التنزه فى الجمال المطلق الذى لأجله بحثت كل أمة عن آله تعبده . هذا ولا نزال نكرر أن الأمة المصرية لو كانت على الدين الصحيح ما ذهب شىء من ثروتها التى كادت تتلاشى بالكلية ، لأنها لم تذهب كما قلنا الا بالربا والمقامرة والاسراف والتبذير والدخول فيما لا يغنى والتفاخر والتنافس وكل ذلك يحرمه الدين) وانظر الى الأمة الاسلامية فى بدء أمرها حيث سادت جميع الأمم فى أقل من قرن بفضل سيرها على تعاليم دينها الذى يقول لها (علو الهمة من الايمان) ويعلمهم أنهم يخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وأنهم لا يخافون فى الله لومة لائم وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وأن الآخرة خير وأبقى وأن الله يعلم سرهم ونجواهم ، ويعلمهم أن ينفروا اذا دعوا خفافا وثقالا وجماعات ووحدانا ، وأوجب عليهم الهجرة من أرض الذل ، وأمرهم بحسن المعاملة مع كل أحد والاعتدال فى كل شىء وحذرهم من الافراط والتفريط وحض على طاعة المرءوسين للرؤساء ومشاورة الرؤساء للمرءوسين وقد قال لنبيه عليه السلام (وشاورهم فى الأمر) ، بل أمر باحترام الطبقة

الدنيا للطبقة العليا عموما . فعل كل ذلك كى تتم المحبة بين الجميع وتكون الروابط على أكمل وجوهها. بالغ فى الحث على التعاون والاتحاد وطلب من كل أحد أن يعمل من الخير ما يعود على عشيرته وأمته حتى جعل اماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الايمان وهو القائل : (وتعاونوا على البر والتقوى) ، (يد الله مع الجماعة)،وأمر باستعمال العقل فى كل شىء ونهى عن اتباع الظن حتى قال : (ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) ونعى على قوم سوء حالهم بقوله : (ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيئا) وبنى عقائده على صرائح العقول ومقتضى البراهين الى آخر ما جاء فيه ولذلك كان غير قابل للنسخ،لأنه لا يتأتى أن يجىء زمان يحسن فيه ترك الاعتدال ومجاوزة الحدود والتباعد عن مكارم الأخلاق فلا غرو أن يصبحوا بفضل هذه التعاليم من أعز الأمم وأرفعها مع راحة القلوب واطمئنان

النفوس وابتهاج الأرواح والتبريز فى كل خير وفضيلة فالمسلمون اليوم وان كانوا على أقبح صورة فالاسلام عند من يعرفه على أجمل صورة ولذلك نقول : ان نقص المسلمين وتأخرهم لنقص تربيتهم الدينية لا لنقص فى دينهم . وعلى الجملة فالتربية الدينية أعظم وسيلة الى توطيد الأمن العام وتحسين العلاقات الوطنية والمعاملات التجارية وجميع الشئون الاقتصادية وأكبر شىء معين على حفظ الثروة وترقية الأمة وتقوية الروابط الودية فيما بين أفرادها عند ما تكون لها تلك النفوس الطاهرة فتتمكن منها عرى المحبة والاخاء بمقتضى قول الدين : (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا) وانا لنتمنى تحقيق تلك الأمنية التى لا شىء أنفع للأمة منها فى هذا العصر الميمون ان شاء الله (وما ذلك على الله بعزيز) وأما التربية غير الدينية التى عنيت بها مدارسنا الآن فلا تطفىء تلك النيران المتأججة ولا تلطف من سورتها ولا تحدث مراقبة الله فى النفوس بل تجعل المتربى بها يعتقد

أنه أولى بالثروة والرفعة من غيره فيحتال لذلك بكل أنواع الحيل وتمتلىء نفسه حسدا على كل من سواه ، وربما جرت تلك التربية الى الالحاد ونبذ المعتقدات فأصبح لا يعنيه الا الدنيا ولا يهمه الا التنافس فيها بلا مراقبة لله تعالى (لأنه لا يعرفه) ولا طمع فى الآخرة (لانه لا يؤمن بها) .

فصل

كنا نتمنى أن يعرف المسلمون دينهم كما عرفه فلاسفة أوروبا وأثنوا عليه الثناء العاطر مثل توماس كرليل الانجليزى . وتولستوى الروسى . والدكتور موريس الفرنسى . والكونت هنرى كاستلى . والفيلسوف كاين تيلر . وجوزيف تومبسون لوازون . والدكتور مارقس دودس . والدكتور مودسلى . والميسوتشارلس وغيرهم (انظر كتابنا الجواب المنيف فى الرد على مدعى التحريف فى القرآن الشريف) وانهم هناك ليقدسون الامام الغزالى وابن رشد وابن خلدون على حين أن المسلمين لا يعرفون عنهم شيئا ها هنا .

الاسلام أمره عظيم وشأنه جسيم وهو الضالة المنشودة لطالب السعادة ومحب الهناء ولكن فرط علماؤه فى بيان أسراره وعوامه فى التمسك بأحكامه حتى أظهروه بأقبح المظاهر وأبشع الصور ولكن هذه فى الحقيقة صورة المسلمين لا صورة الاسلام . الاسلام فقد مجده منذ زمان بعيد بسبب تفريط أبنائه وانحراف أمرائه وتقصير علمائه وقد أصبح الأوربيون يتقربون منه شيئا فشيئا من حيث يشعرون أو لا يشعرون لكون مبادئه يشهد لها العقل وتحكم بها الفطرة ولنعقد لك فصلا نذكر فيه شيئا عن هذا ونلحق به تأييد المكتشفات الجديدة لما جاء فى الدين الاسلامى فنقول :

فصل

الاسلام هو الدين العام لجميع الأمم الباقى فى جميع الأزمان الكفيل بحاجات الانسان الروحية والبدنية فى كل زمان ومكان بل كلما تقدمت

العصور وترقت الأمم ظهر برهان جديد على صحة الاسلام ورفعة شأنه وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه • فقد كان كثير من المسائل يعتبر تعبديا فى العصور السابقة لا يعقل له معنى ولا يعرف له وجه ، فأصبح الآن بفضل تقدم العلم معقول المعنى معروف السر كتتريب الاناء الذى ولغ فيه الكلب والمبالغة فى غسله • وكتحريم لحم الخنزير الذى عرف الآن انه يولد فى الجسم أدواء كثيرة من أخصها الدودة الوحيدة والشعرة الحلزونية وعملهما فى الانسان شديد ، وكثيرا ما يكونان السبب فى موته، وأما الكلب فكثيرا ما تكون فيه ديدان مختلفة الأنواع ومنها دودة شريطية صغيرة جدا فاذا ولغ فى اناء أو لمس انسان جسده بيده أو بلباسه انتقلت بويضات هذه الديدان اليه ووصلت الى معدته فى أكله وشربه فتثقب جدرانها وتصل الى أوعية الدم وتصل الى الأعضاء الرئيسية فتصيب الكبد ويكون استسقاء زقيا وتصيب المخ فينشأ عنه صداع شديد وقيء متوال وفقد للشعور وتشنجات وشلل فى بعض الأعضاء وتصيب القلب فربما مزقته فيموت الشخص فى الحال • وقد أوضح ذلك كله الدكتور توفيق بك صدقى •

ومن ذلك تحريم الخمر • أبان العلم أن بها أضرارا كثيرة تضعف القلب • وتفرى الكلى • وتمزق الكبد • وتضعف النسل • وتضر بالعقل • الى غير ذلك من المسائل التى جاء بها الاسلام وأيدها العلم•

وقد أصبحت أوربا تتقرب من الدين الاسلامى شيئا فشيئا وتأخذ بمبادئه وتسير على قواعده يوما فيوما من حيث تشعر أولا تشعر بعد أن عادته أشد العداء زمانا طويلا فقد كانوا يندون على مسألة الطلاق فى الاسلام فعندما رأوا أنها ضرورية للعمران ولا معنى لأن يعيش الرجل مع امرأة تباينه ميولا وأخلاقا اضطروا الى العمل بالمبدأ الاسلامى فى ذلك وعندهم الآن سجلات يزداد فيها عدد الطلاق عاما فعاما وكذلك مسألة تعدد الزوجات وهى من أشد ما كانوا ينقمونه على

الاسلام ويترنمون بحديثه ، هدتهم الحوادث وأرشدتهم الكوارث الى ما فيه من المصالح للوطن بازدياد رجاله وتضاعف قوته وترقية شؤونه فى كل فن من فنون الحياة وخصوصا فى تلك الحروب الآكلة التى ضاعت فيها الألوف المؤلفة من الرجال وتأيم فيها ما لا يحصى من النساء وفيه من الحكم الكثيرة ما لا أستطيع أن أذكره الآن وقد رأيت منذ زمان أن بعض الفلاسفة هناك يغبطون المسلمين الذين يصيرون ذوى عدد كثير فى زمان يسير بفضل كثرة الزواج ولذلك رأينا على صفحات بعض الصحف أنهم أصبحوا يستحسنون بل يوجبون الاكثار من الزواج تلافيا لذلك الخطر الذى يتهددهم ويكاد يأتى على بنيانهم من القواعد ، ومن ذلك ما اهتدت له ألمانيا من منع المضاربات الا على وجه مخصوص يقربها من الدين الاسلامى كما اهتدت انكلترا الى منع الزنا رسميا حينما رأت فيه ضياع الانساب المؤدى الى فقد العصبية وترك التناصر وادخال الغش على ذوى الأنساب بجعل الأجنبى الذى ليس منهم قريبا لهم وداخلا فيهم وتمليك الأموال بمقتضى الميراث لغير مستحقيها وضياع الولد لعدم من يربيه حق التربية وافساد الألفة الصحيحة بين الرجل والمرأة واحداث الشقاق الذى قد يؤدى الى القتل بمقتضى الغيرة الطبيعية ... الى غير ذلك من مفاسد الزنا ومن ذلك ما قال بعض المتعربين (المستشرقين) الفرنسيين : (ان فى الدين الاسلامى دواء ناجعا فى تخفيف ويلات الفوضويين الذين هددوا بناء العمران وزعزعوا أركان الأمن العام فى ربوع أوربا ذلك ما فرضه الاسلام فى مال الأغنياء للفقراء كل عام وأوجب على الحاكم أن يأخذه منهم ولو بقتال كتنفيذ الأحكام القضائية) ولو اتسعت معلوماته لعرف أن الاسلام ندبهم بعد ذلك الى الصدقات سرا وجهرا مع المبالغة فى الحث عليها حتى أوجبها بعض العلماء ثم رغب أيضا فى اقراض المحتاج حتى وعد عليه من الثواب

أكثر مما وعد على الصدقة وأوجب
أن يكون ذلك من غير ربا ولا منفعة
تعود على الغنى من الفقير وجعل
ذلك حقا من حقوق الانسانية الى
غير ذلك مما ورد فى الاسلام من
مواساة الأقوياء للضعفاء ومشاركة
الجميع فى تحمل أعباء الحياة وهذا
الدواء بعينه كاف فى اقناع الحزب
القائم هناك ضد أرباب المصارف
الذين تركتهم الحكومة وشأنهم فلم
تأخذ منهم شيئا بخلاف أرباب
الأملاك الأخرى من الأطيان
والعقارات واذا اجتمعت بالواقفين
على أحوالهم عرفت أن هناك أحزابا
كثيرة تدعو الى مبادىء كثيرة من
مبادىء الدين الاسلامى فى مسائل
وأسرار لا يمكننا فى هذه العجالة
الا أن نرمز اليها رمزا ونكل تفصيلها
الى الباحثين ، واجمال القول أنه قد
تضافرت البراهين الحسية والعلمية
والتجريبية على صدق الدين
الاسلامى فيما جاء به ، حتى فى أشد
المسائل بعدا عن المحسوس وأعظمها
انكارا لدى العصور السابقة ، فقد
كانوا يهزءون بما جاء به الاسلام من
فناء العالم وذهاب النيرات وطى
السموات حتى أثبتت لهم
الاكتشافات الحديثة أن العالم
العلوى المرئى مركب من نحو أجزاء
هذا العالم مثل البوتاسا التى
اكتشفوا انها داخلة فى أجزاء
الشمس وتبين لهم أن حرارة الشمس
تتناقص شيئا فشيئا وأن نواميس
هذا الكون السفلى سائدة أيضا
على تلك العوالم العلوية وان كان
هناك فرق بينهما • وقد سبق لك أن
الاسلام دين تخدمه العلوم الطبيعية
على غير علم من ذويها ، بل أقص
عليك ما يزيدك فى أمر هذا الدين
عجبا ويملأ قلبك منه روعة ، وهو أن
المسلمين أنفسهم لم يعرفوا مغزى
كثير من نصوصهم القرآنية الا
بفضل تقدم العلوم الطبيعية مثل
تلقيح الرياح للأشجار الذى لم
يكتشف الا منذ عهد قريب وقد
نص عليه كتاب ذلك النبى الأمى
منذ ثلاثة عشر قرنا فى قوله :
(وأرسلنا الرياح لواقح) فكنا
نفسره على حسب ما يقتضيه
استعدادنا وعلوم عصورنا الماضية

حتى جاءت الاكتشافات الحديثة فعرفتنا ما يرمى اليه الكتاب العزيز وكان آية من آياته وكذلك ما كان يقول منذ ذلك الزمان البعيد (وأنبتنا فيها) أى الأرض (من كل زوج بهيج) ويقول : (ومن كل شيء خلقنا زوجين) ويقول:(سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) وكان يفسره المفسرون حسب استعدادهم وما هدتهم اليه أبصارهم وعلومهم حتى أبانت لنا العلوم الطبيعية أن فى كل نبات ذكراوأنثى فعلمنا بذلك سر هذه الآيات ومغزاها وكان كثير منا يفهم فى مثل قوله تعالى : (حتى اذا أتوا على وادى النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) أن هذا ضرب من التمثيل ونوع من المجاز حتى أبان لنا علماء الحيوان شيئا كثيرا من أعاجيب النمل فعلمنا أن الآية على حقيقتها بشهادة العلم بل رأينا فى القرآن أبلغ شيء فى هذا الموضوع مما دهش له علماء أوربا حتى قال بعض المتعربين ليس هناك ما يبين رفعة شأن الحيوانات مثل قول القرآن:(وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) وكذلك لم نكن ندرى أى خطر للشعرى حتى يقول القرآن فى معرض الثناء عليه تعالى : (وأنه هو رب الشعرى) حتى أبانت لنا الاكتشافات الحديثة أن الشمس أكبر من الأرض بما يزيد على ألف وثلثمائة . وأن الشعرى أكبر من الشمس بأضعاف مضاعفة وأن نور الشمس جزء من خمسين جزءا من نور الشعرى فنصر الله العلوم الطبيعية التى عضدت الاسلام وعضدها الاسلام وليت شعرى ما وراء ذلك . الا أن فى الأرواح نزوعا الى ذلك البحر الذى تسمع عجيجه ولا تراه .

هذا ، وهناك مسائل فلكية وطبية وجغرافية عرفت حقائقها وما أراد منها القرآن بفضل تقدم العلوم الطبيعية وشأنه فى المسائل الاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية

لا يقل عن ذلك فى انتصار المباحث العلمية له وتأييد الفلسفة الحديثة اياه (فلماذا لا نقول بعد ذلك ان الاسلام دين تخدمه العلوم الطبيعية على غير علم من ذويها) .

كانوا يهزءون بما جاء فى الدين الاسلامى من الحياة الأخرى وما يذكر فيه من الروحانيات واثبات عوالم أخرى غير العوالم المحسوسة ويعدون ذلك من الخرافات حتى بدا لهم شعاع ضئيل من نور شمس ذلك العالم باستحضار الأرواح الذى أصبح الآن لمس اليد ورأى العين فعرفوا أن ذلك التخريف كان منهم لا من الدين وأيقنوا بما قال القرآن (وما يعلم جنود ربك الا هو) وعرفوا بما شاهدوه من أفاعيل الأرواح التى خرقت لهم كل نواميس المادة سر قوله تعالى : (قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا) ومن تلك الاكتشافات التى أيدت الاسلام غير ما تقدم النهى عن استعمال الماء المشمس فى اناء من نحاس فى بلد حار . ومن ذلك ما ورد فى بعض الروايات الاسلامية من أن أكل الملح قبل الطعام نافع من سبعين داء وقد أخبرنى بعض الأطباء أنه كان ينكر ذلك كل الانكار حتى رأى فى بعض المجلات الطبية ذلك الاكتشاف الذى يقول صاحبه : ان مصل الملح نافع من كل داء فآمن وصدق (١) .

ومن ذلك ما عرف من أسرار الوضوء وانه ينفع من أمراض الاسنان والأنف بل هو من أهم الموانع للسل الرئوى (اذ قال بعض الأطباء ان أهم طريق لهذا المرض الفتاك انما هو الأنف) وان أنوفا تغسل فى النهار خمس عشرة مرة لجديرة بأن لا تبقى فيها جراثيم هذا الداء الوبيل ولذا كان هذا المرض فى المسلمين قليلا وفى الافرنج كثيرا

(١) كيفية عمل ذلك المصل أن يؤخذ ثمانية جرامات من الملح وتجعل فى الف جرام من الماء ثم يحقن بها تحت الجلد .

فضلا عما فيه من الفوائد الأخرى ومما يلتحق ببالك ما بينه القرآن من أن الناس كلهم خلقوا من تراب فى وقت كانت تلك الحقيقة فيه مجهولة كل الجهل حيث يقول : (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون) وقد أصبح الآن ذلك واضحا لا يتمارى فيه • فان النطفة من الأغذية وهى من الحيوانات المتولدة من النبات أو النبات المتولد من الأرض • ومن ذلك ما أخبرنى به بعضهم ، أن بعض الأوربيين وأظنه مستشرقا قد اعتنق الاسلام لما وجده من وصف القرآن للبحر وصفا شافيا مع كون النبى صلى الله عليه وسلم لم يركب البحر طول عمره وذلك مثل قوله تعالى (أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها) ومما يحسن ذكره فى هذا المقام أن القرآن يقول: « وينزل من السماء من جبال » وقد عرف الآن أن الثلوج تكون جبالا على وجه الماء وهى التى يسمونها (آيزبرج) وهى كلمة ألمانية ومعناها جبل من الثلج وقد حدث فى سنة ١٩١٢ أن اصطدمت بجبل من تلك الجبال التى كانت تسير على وجه المحيط الاطلانطيقى أكبر باخرة فى العالم وهى التى تسمى (تيتانيك) التابعة لشركة (ويت سنارلاين) أثناء سفرها لأول مرة من انجلترا الى أمريكا وكانت حمولتها(٤٦٠٠٠) طن وكان عدد الركاب بتلك الباخرة التى صدمها ذلك الجبل الهائل الذى لم تتاومه قوتها وصلابتها وهى أعظم باخرة فى العالم كما قلنا لا يقل عن ٢٥٠٠ شخص فسبحان الواحد القهار • ومن ذلك قوله تعالى (بل هم فى لبس من خلق جديد) وقد علم القرآن أن الانسان فى تجدد دائم وان الجسم يذهب كله ويجىء غيره كل مدة من الزمان ولا يزال فيه التحليل والتعويض على الدوام •

ومن ذلك ما أخبر الله به من تعذيب اليهود وبقائهم تحت حكم غيرهم فى الأسر والاستعباد حيث يقول (واذ تأذن ربك ليبعثن عليهم

الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) فقد تشتتوا فى أقطار العالم وعذبهم الفرنسيون فى الجزائر وغيرها وطردهم الروس وهى مبغوضون فى كل دولة • وفى القرآن من الاخبار بالمغيبات شىء كثير جدا وقد ذكرنا طرفا كبيرا من ذلك فى كتابنا رسائل السلام ورسل الاسلام مثل قوله تعالى (سيهزم الجمع ويولون الدبر) (ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم) (ستدخلن المسجد الحرام) (وهم من بعد غلبهم سيغلبون) (سنريهم آياتنا فى الآفاق) وقد أرتنا الاستكشافات الحديثة من عجائب الأرض والسماء ما لم يكن فى حسبان من المغيبات الكثيرة وقد جاء فى السنة النبوية من الاخبار عن المغيبات أيضا ما لا يكاد يحصى مما لا يسعه المقام وهو غير خاف على من طالع كتب دلائل النبوة مثل كتاب حجة الله على العالمين وغيره • هذا وقد أثنى كثير من فلاسفة الأوربيين على الدين الاسلامى وما جاء فيه (انظر كتابنا : الجواب المنيف)

ومن ذلك ما قال بنتام الانكليزى الشهير وهو من أكابر علمائهم مبينا بعض أسرار الطهارة فى الدين الاسلامى قال : من واظب على أغسال الدين الاسلامى لم يصدر منه ذنب ولا جريمة) ومن عجيب أمر الاسلام انك لا ترى مسألة خلافية بين علماء العمران مثلا كمسألة الزواج والطلاق أو بين مقررى الآداب والعادات كمسألة استقلال المرأة وحريتها المتناهية أو بين علماء الاقتصاد أو غيرهم كعلماء القانون الا وجدته أتى على آخر رأى فيها مما رجعوا اليه بعد اختلاف وطول المطاف وناهيك أن هناك جمعية كبرى قامت تؤسس ديانة سموها « الديانة الطبيعية » كل أسسها مأخوذة من الدين الاسلامى • بل جاء بأتم منها وأوسع بما لا يقدر قدره • وينبغى أن يلتحق بهذا الفصل ما يصح حمل القرآن عليه أو استنباط اشارة منه اليه فى آيات كثيرة • فمن ذلك ما يأخذ بعضهم من الاشارة الى دوران الأرض من قوله تعالى (كل فى

فلك يسبحون) بعد ذكر الأرض والشمس والقمر ولذلك أتى بواو الجمع ، ومن ذلك ما يقول بعضهم : ان قوله تعالى (وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) بعد قوله : (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم) اشارة الى المطاود (المناطيد) الهوائية ويكون الضمير فى قوله لهم على هذا عائدا على الذرية كما هو الظاهر منه (على ما يقول ذلك البعض) ويمكن أخذ المطاود والسيارات الكهربائية والجوالات (الاتوموبيلات) من قوله : (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون) فان مالايعلمون بعد ذكر الخيل مايأتى مما يؤدى عملها واستلفت نظرك الى حكمة ذكرها بعد الخيل والبغال كما أنه يسهل عليك أن تستدل على أن الأرض جزء من الشمس كما يقول الفلكيون الآن بقوله تعالى: (أولم يروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) أو أن تستدل على أن السموات كانت كتلة واحدة من السديم وهو نوع من الدخان لقوله تعالى: (ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها الخ) هذا والموضوع مترامى الأطراف بعيد المدى فيكفيك منه قطرات فى طيها اشارات وبالله التوفيق .

خاتمة

فيما يجب على الأمة عموما
وعلى مشيخة الازهر خصوصا بازاء نشر تعاليم الاسلام

لسنا نريد أن نبين أن التربية الدينية يمكن أن تكون بالمعاهد الدينية أرقى مما هى عليه الآن ؛ ولا أن نفيض فى أنه يجب ادخال التربية الدينية بمدارسنا المصرية والاعتناء بها على ما يليق بشأنها ولكنا نريد فى مقالنا هذا أن نبين الوسيلة الحقة الى نشر تعاليمه الصحيحة بين أفراد الأمة وقد أفضنا القول فى كتابنا (سبيل السعادة) فى بيان أن الدين قد تصدى للكلام فيه من لايحسنه ثم أتبعنا ذلك بهذه المقالة وهاك نصها :

ما أجدر مشيخة الأزهر وأرفقها بالمسلمين وأهداها الى موضع الضعف منهم لو عنيت بهذا الموضوع (وهو أول ما يعنى به) وما أرشد الحكومة وأغناها بحاجة الأمة لو ذللت العقبات فى ذلك السبيل فاختارت من أفاضل العلماء من يكون أوسعهم نظرا وأقواهم حجة وأعرفهم بحال معاصريهم حتى يشخصوا الداء ويصفوا الدواء ثم تخصهم بأمر الدين وبيان ما يرمى اليه من روح السعادة ومكارم الأخلاق وشرح ما يحبب أبناءه فيه والخوض بهم فى كل ما يقع فيه الاشتباه أو تذكره الجرائد أو المجلات من أعداء الدين أو جهلة المسلمين ويكون من أعمال أولئك المختارين اصدار مجلة علمية دينية تأخذ الناس الى سعادتهم من حيث يعرفون لا من حيث يجهلون ومن حيث يأنسون لا من حيث ينفرون مع ايداع ذلك من روح العلم وسر الدين ولب الحق ما يأتى على أصول أمراضهم ويذهب بأسباب الشقاء من نفوسهم شأن الطبيب الحاذق الذى لا تنسيه شدة المرض ولا شغفه بمقاومته أن يلاطف المريض ولا تمنعه ملاطفة المريض أن يضع له الأدوية الحادة الفعالة فيما يستحليه ولا

يستبشعه ويسير به فى سبيل نجاته من حيث يشعر ولا يشعر فتكون تلك اللجنة هى مرجع الأمة فى كل شأن من شؤون دينهم ، اليها القول الفصل ، ولديها الحكم العدل بالأدلة المقنعة والبراهين القاطعة حتى تجهز بذلك على تلك الفوضى الدينية التى هى أضر الأشياء وأس كل بلاء .

هذا وعلى الأمة أن تعرف لذلك مكانه من الرشد والحكمة ومنزلته من حاجتها اليه واستفادتها منه .

ان الأمة كثيرا ما نراها تسخو نفوسها بالمبالغ الطائلة وتقف الأوقاف الجمة على مالا قيمة له فى نظر العقلاء وليس له من الفائدة التى يعتد بها الا ما يمليه عليها الجهل أو يحركه الغرض من وهم كاذب وخيال باطل، فلو عنيت بأمر دينها عنايتها ببعض تلك الشؤون فاختارت من فضلائها من تثق بهم فخصتهم بما يرفع شأنها ويعز به دينها . فيظهر ما فيه من الحكم والأسرار ، وما انطوى عليه من الفضائل ومكارم الأخلاق مما يورثهم حياة جديدة يعود اليهم فيها مجدهم الأول ويذوقون فيها معنى الاخلاص فى العمل ويتمتعون فيها بحلاوة الصدق والمحبة والاتحاد ويذهب عنهم هذا التفرق الذى أوهن عزائمهم وفكك روابطهم فترجع اليهم تلك القلوب التى لاتخاف غير الله ولا تخشى غير الله فيسرى فيها روح التوحيد الذى لا يبقى معه شىء من ضعة الهمة وسفاسف الأخلاق وقد قال تعالى فى حق غير الموحدين: (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله) ومن ذلك تعرف ما يكون فى قلب الموحد من الشجاعة والثبات واليقين لوأرشدت الأمة الى ذلك — وعسى أن يكون قد حان وقت رشدها — لوجدت من علمائها وفضلائها ما تقر به عينها ويجذبها الى سعادتها من أعماق نفوسها لا من أطراف جسومها ولرأت من مزايا دينها ما يصلح به أودها ولعرفت من حقائقه الناصعة ما تبتهج به كل الابتهاج فاذا لم تقم الحكومة -ولها العذر- بما كان يجب عليها من تأليف تلك اللجنة قامت الأمة وهى أعلم بأمراضها وأدرى بمواقع الداء منها

فاختارت من ترتضيهم لذلك وفصلتهم عن كل علاقة لهم بالحكومة ولا نجاح لعمل لا يكون أساسه الحرية فرتبت لهم المرتبات الكافية وطالبتهم بما تريد منهم .

نحن لا نريد من الأمة أن تسمح بما تسمح به أوربا وأمريكا لمبشريها ولا معشار عشير ذلك وانما نريد من الأمة أن تقدم لذلك العدد القليل الذى تختاره بما يكفل له حاجته ويحفظ عليه مروءته ويستعين به على ما شاء من ترجمة المجلات العلمية والفلسفية الجديدة والآراء الأوربية .

وبالجملة كل ما يقرره العالمون بالدين الاسلامى الذين يشهدون له أو الجاهلون به الذين يطعنون عليه .

وانى أعتقد أن كل ما يحاوله الكاتبون والمرشدون والمقننون والمصلحون لا يمكن أن يأتى بنتيجة أو يكون له أثر صالح حتى ترجع الأمة الى دينها الصحيح وتعاليمه الحقة ــ والا أخلت بالتنفيذ وان أصابت فى أصل التقنين ــ وكان نصيبها من ذلك كله نصيب من يداوى الظاهر ويترك الباطن .

أما اذا رجعت الأمة الى تعاليم دينها وصلحت أنفسها بما يغرسه الدين فيها فلابد أن تفيض الأعمال المبرورة والآثار الجميلة من منابع تلك النفوس بلا سائق يسوقها ولا مسيطر يهيمن عليها وكان كل فرد منها أمة وحده والا فمهما وضعت من القواعد وعملت من النظامات وقررت من الاصلاحات فلن تجد من يقوم به على وجهه بل تدفعه الأغراض الى التوسع فى التأويل وسوء التنفيذ ــ وكل من يحيطون به من البيئة التى هو فيها على شاكلته لا تهمهم الا مآربهم الشخصية ومطالبهم الذاتية وان كانوا يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ــ فيكون ذلك شبحا لا روح فيه وصورة ليس وراءها معنى فما لم تطهر

نفوس الأفراد من ملكاتها الخبيثـة وصفاتها الحاكمة عليها ــ ولاطهارة لها الا بالدين القويم ومراقبـة الله عز وجل فى السر والعلانية ــ فلن يفيد عناء الحكماء ولا تقنين الكبراء وكان قولا باللسان فلم يجاوز الآذان .

أسأل الله أن يعيـد للنفوس رشدها وللأمة مجدها . وهذا آخر مـا سمحت به الفرصة والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد معدن الأسرار ومنبع الأنوار وعلى آله وصحبه وسلم .

يوسف الدجوى

اعلان عن اشتراكات المجلة

تعلن ادارة المجلة الى قرائها الكرام فى ج. م. ع والعالم الاسلامى والعربى ، أنه قد تقرر ابتداء من العام الهجرى ١٣٩٧ الغاء الاشتراكات داخل ج.م.ع وخارجها نظرا لكثرة الشكاوى من عدم وصول المجلة الى الأخوة المشتركين ، ويمكن لقراء المجلة داخل ج. م. ع الحصول عليها من باعة الصحف ، أو الاتصال بشركة توزيع الأخبار بالنسبة الى الخارج .

ادارة المجلة

الفهرس

فهرس أبجدى عام

للمجلد الثامن والأربعين من مجلة الأزهر سنة١٣٩٦ الهجرية

صفحة

(أ)

صفحة

(ب)

(ت)

صفحة

(ث)

(ج)

(ح)

(خ)

صفحة

(د)

(ذ)

(ر)

(س)

(ش)

(ص)

صفحة

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

صفحة

(ك)

(ل)

(م)

صفحة

(ن)

(هـ)

صفحة

(و)

(ى)

هدايا صدرت مع المجلة

١ ـ السنة الهجرية والأعياد الاسلامية من الوجهة التاريخية .

٢ ـ صور من جهاد الأزهر فى القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع الميلادى) .

٣ ـ الرحمة المهداة .

٤ ـ أصول المجتمع الاسلامى من سورة الحجرات

٥ ـ الاجتهاد والثبات فى الشريعة الاسلامية

٦ ـ القانون الاسلامى فى مواجهة التحديات .

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

وكيل اول

رئيس مجلس الادارة

علي سلطان علي

رقم الإيداع ١٦٧ / ١٩٧٦

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

١٠١٠٤ س ١٩٧٦ - ١٠٠٢

and the other base, met there was the tendency for the bad to beat the good out of circulation."
(Indian Philosophy; Vol. I; p. 119; second edition).

The pecularity of the Quran is that it refused to enter into any compromises in the field of beliefs. In its unitary and transcendental concept of God; it is definite and inelastic. This rigidity however; does not prevent it from observing tolerance towards other beliefs. But it certainly refuses to enter into compromises with them.

The Quran bases its concept of God on the inherent universal urges of human nature. It has not made of this concept a riddle which only a special class of intellect alone can solve. What is the universal human feeling about life ? It is that this universe has not come into being by itself; it has been created : and so it must have a creator. What the Quran points out is only this much. Anything over and above this which it deals with does not enter into the doctrinal belief. All that is left to be thought over by man individually; or to be experienced personally.

"And whoso maketh efforts for us; in our ways we guide them : for God is assuredly with those who do righteous deeds." (Q : 26 69).

On Earth are signs for men of firm belief and also in your own selves : Will ye not then behold them ?" (Q. 51 : 21—2)

ENGLISH SECTION

lerance is given the latitude to water down your own beliefs and affect your decisions, then; it ceases to be tolerance.

Compromise is a necessity of life. In fact life is one long compromise. But there should be limit to it. A line will have to be drawn somewhere, and once it is drawn; one's belief begins to live on its own. So long as you do not feel the inward urge to alter that belief, you are bound by it. You will certainly respect the beliefs of others, but you will insist on your right not to let your own belief weaken on that acount.

How numerous are the incidents of history which have followed a violation of this condition. Intensity of belief has at times led people to set aside all considerations of tolerance, and foreibly invade the beliefs and ways of life of others. At other times; tolerance has been given so great a latitude that strength of belief has ceased to bear any meaning. Example of the former may easily be furnished from the history of religious persecutions; and those of the latter from the history of India. Here in India ; the highest flights of the human mind could not remain immune from the touch of superstition. The process has gone on of compromise between knowledge and intellect on the one hand; and ignorance and supersition on the other. These compromises have disfigured the Indian intellect. The beatty of the Indian mind and all its great achievements have been clouded by super stiton and image worship. The talented Hindu writer; Dr. S. Radhakishnan ; while reviewing the impact of the non-Arayan culture of India on the culture of the Aryan settlers here observes :

"The explanation of the miscellaneous character of the Hindu religion whith embraces all the intermediate regions of thought and belief from the wandering fancies of savage superstitions to the highest daring thought; is here. From the beginning; the Aryan religion was expansive ; self-developing and tolerant. It went on accommodating itself to the new forces it met within its growth. In this can be discerned a refined sense of humility and sympathetic understanding. The Indian Aryan refused to ignore the lower religons and fight them out of existance. He did not posses the pride of the fanatic that his was the one true rligion. If a god stisfies the human mind in its own way; it is a form of truth. None can lay hold upon the whole truth. It can be won only by degrees, partially and provitionality. But they forgot that intolerance was sometimes a virtue. There is such a thing as Gresham's law in religious matters also. When the Aryan and the non-Aryan religions; one refined and the other vulagar ; the one good

observed in India between the common people and the elite was the result of the practical sense of compromise which prevailed here. Here, every form of religious belief or exercise was given a home, and every thought, the freedom to grow and develop. Religious differences, which among other nations led to internecine civil wars, came to be regarded here as but subjects of compromise. Adaptability was the spirit of life here. A vedantist knows that communion with Reality is infinitely higher than image worship. But he never sets his face against image worship; for, he thinks that this is the first stage in the journey to God, and that whatever path one may choose to traverse, the ultimate goal for one and all is but one and the same. Prof. C. E. M. Joad makes a special reference to this peculiar feature of Indian History, even as some of the earlier writers had done.

The spirit of tolerance which has characterised Indian History, no doubt, deserves a meed of praise. But life is an expression of action and inter-action, unless we draw a limit or line for every type of activity, canons of knowledge and morality will get disturbed, and we shall cease to possess any refinite sense of moral values. Tolerance is a good thing, but strength of belief and opinion, and integrity of thought are also factors of life which we cannot discard. A line of demarcation for the expression of each quality in us needs to be drawn. For, moral injunctions cannot otherwise be put into effect. Once these lines are disturbed or weakened, the edifice of morality begins to totter. Forgivenes for instance, is a good and beautiful quality. But this very forgiveness, once it oversteps its legitimate boundary, ceases to be forgiveness; it becomes timidity or cowardice. Courage is the highest human quality, but this very quality once it develops in exess, no longer remains courage; it becomes terror and oppression.

Here are two situations. You cannot deal with them in the same way. One situation is this. We are face to face with a belief. We have a firm and a definite opinion about it. The question arises : what should be our line of action in respect of it ? Shall we waver or remain firm in our attitude ? The other situation is this. Others, even like us, have reached certain definite conclusions about one and the same thing, but adopt a different line if action. What should be our attitude towards them ? Have they or have they not right to go their own way ?

Tolerance is to acknowledge the right of another to hold to his own views and follow his own way. Even when his way is clearly the wrong way, you cannot deny him the right to pursue it. But if to-

tion which the prophets occupy in the scheme of the Quran. Over and over again does the Quran point out that the prophet of Islam is but a human being and a servant of God. The very basic belif in Islam runs : "I affirm that there is no God except Allah and I affirm that Muhammad is his servant and his message-berare". In this formula the affirmation of the unity of God is as emphatic as the affirmation of the position of the Prophet as but a servant of God and the bearer of His message. Why was this made the basic doctrine of Islam ? It was done simply to prevent the Prophet from ever being hailed as an Avatar, or raised from the position of a servant of God to that of God Himself. No one can enter the fold of Islam who does not suscribe to the belief that the Prophet is but a servant of God, even as he subscribes to the belief in the unity of God.

That was the reason why notwithstanding the numerous dissensions that arose among Muslims after the death of the Prophet, no difference was entertained among them on the question of his personality. Not many hours had passed after he had passed away when Abu Bakr, the Prophet's father-in law and the first Khalif of Islam ascending the pulpit proclaimed ;

He who worshipped Muhammad, let him know that Muhammad is dead and he who worshipped God, let him know that God ever lives. He has no death."

One Concept For All Prior to the advent of the Quran distinction was made between the common people and the elite in the imparting of religious knowledge. In India, three grades were fixed. For the common people image worship was prescribed, and for the elite the method of communion with God, while for the elite of the elite the privilege of pantheistic experience. The same was the case in Greece. It was considered that the concept of an abstract deity was possible to be conceived only by those who were versed in philosophic learning and that it was safe for the common people to engage themselves in the worship of demi-gods only. The Quran brushed aside this distinction. It presented to one and all but a single way of approach to God, and afforded but a single view to them of divine attributes. It offered to both philosophers or the gnosties and the common people one and the same glow of Reality. It opened for them all but one door of belief and faith. The concept of God which it presented was intended to satisfy alike the philosopher and the gnostic, and the peasant and the shepherd.

There is another aspect of this question which calls for consideration. The distinction which was

not draw the boundary line for it. The result was that the founder of a religion or of a School of philosophy was hailed sometimes as an Avatar, sometimes as the Son of God, and sometimes as Partner of God, and where this was not possible, he was, at any rate, offered the honour and depotion usually offered to God. The Jews, for instance, after their early period of ignorance, although they did not take to image-worship, they did erect statues over the remains of their prophets and endowed them with a holiness auch as was associated with places of worship. There is absolutely no room for image-worship in the teaching of Buddha. In fact his last testament which has reached us was : "See that you do not worsip my ashes. If you do, the path of salvation will be closed for you." But what his followers have actually done is all before us. They not only erected places of worship over Buddha's ashes and relics, but as the means for propagation of his religion, they spread images of throughout the world. The fact is that a larger number of images of Buddha exist today in the world than of any other personality or deity. Likewise, as we know, the real teaching of Chrisianity concentrated on the unity of God, but within one hundred years of its advent, Christ himself was raised to the position of God.

Unity In Attributes. But the Quran gave so perfect a picture of unity in attributes that it closed the door forever for every such aberration. It did not simply lay its supreme emphasis on the unity of God, but blocked all avenues for polytheism and this is its principle peculiarity.

The Quran asserts that God alone is worthy of worship. If you turn to any other in devotion, you cease to be a believer in the unity of God. It says that He it is who answers the cry of man and fulfils his prayers, So, if you associate any other with Him in your prayers or supplications, you simply associate that other in the divinity also of God. All forms of devotion are meant to be links between man and God. If you associate anyone else in your devotion, the spirit of devotion is vitiated. Indeed, your belied iteself in the unity of God gets tainted. That is why in the Surat-ul-Fatiha, the form or prayer is set : "Thee alone do we serve and from Thee alone do we seek aid".

The emphasis is on the Thee alon. Such great stress does the Quran lay on this 'unity' of God in His attributes that there is hardly a page in the whole of the Quran where the truth is not pointedly brought to view.

The most important question with which the Quran concerns itself is that of the exact posi-

THE 'QURANIC' CONCEPT OF THE UNITY OF GOD

By

(late) **Maulana Abul Kalam Azad.**

The Quranic concept of the unity of God is so perfect and definite that we scarcely find the like of it prevailing before. If God is unique in His essence, it follows that He must be unique in his attributes also. For, the greatness of his uniqueness cannot be sustained, if any other being is to share his attributes. Every other religion before the delivery of the Quran had emphasized the postive side of the unity of God, but had made no attempt to present the negative side of it. The positive side is that God is one. The negative is that there is none like unto Him. And when there is none like unto Him, it follows that whatever attributes that might be assigned to Him cannot be assigned at the same time to any other. The former postulate is called 'Unity in Essence', and the latter 'Unity in Attributes'. Prior to the Quranic concept, stress was no doubt laid on the concept of unity in essence, but the niceties implicit in the concept of the unity in attributes was yet to be fully appreciated.

It is why we find in every earlier religion the belief in the unity of God subsisting side by side with image and hero-worship. In India, probably from the very beginning, it was tacity admitted that hero-worship and the worship of demi-gods were indispensable for the masses, reserving the concept of the unity of God for the elite only. The same was the case in Greece. The Greek thinkers were certainly not unaware of the fact that the gods of Olympus had no reality about them. Still save Socrates none had felt the need for interfering in the people's belief in those gods. Their view was that if the worship of the gods was bot maintained, the religious life of the people would get disturbed. It is said of Pythagoras that when he completed his system of arithmetic, he, in gratitude, offered to the gods the sacrifice of a hundred bullocks.

Limits of Prophethood. In this connection, the aspect which calls for special attention is the status accorded to the founder of a religion or to the propuonder of an idea. True that no teaching can acquirethe reputation of greatness, so long as, the personality of the teacher does not itself display the quality of greatness. But there are limits to greatness of personality. It is here that many have stumbled, because they could

repenatance for the learned. This is so because knowledge gives life to the hearts from ignorance and works as a lamp for the sight during darkness. Man reaches the rank of the selected ones of God and reaches supreme heights through knowledge both in this world and Hereafter. To ponder in matters of knowledge is equivalent to fasting and studying it is equivalent to praying throughout the nights, Knowledge brings one closer to his relatives and verses him with the facts of the prohibited and permitted things. Knowledge remains the leader while actions remain the followers. It inspires the forunate and deprives the wicked.

Fruits of Islamic Encouragement of Knowledge.

The result of the Islamic encouragement was staggeringly great. Muslims rushed to seek knowledge in every field whether piritual, theoretical or physical. Suddenly there emerged an Islamic civilization which produced men of learning like Jabir bin Hayyan in Chemistry, Ibn el-Haysam, in physics Abu Bakr Erazi and Ibn Sina in Medicine and Philosophy, Gazzali in spiritualism, Ibn Rushd in Philosophy and Rationalism, Ibn Khaldun in Sociology and Historiography, Khawarzumi in Algebra and so many others.

(*to be continued*).

The Almighty Lord has addressed His Prophet saying.

"Say : No reward do I ask of you for this (Quran) Nor am I a pretender." XXXVII : 86

Ibn Abbas reported that the prophet said.

"Some of my people will be versing themselves with religious knowledge. They will be reading the Quran saying.

"We will approach the rich, enjoy a share of their worldy possessions and preserve our religion to ourselves. Such is impossible.

One can only pluck thorns from a thorny tree. In the same way the wealthy peaple one can never share but, according to Mohammed bin Sabbah. "sins."

Omar bin Khattab said the following to one of the Sahabas (companions of the Prophet) :

"Do you know what destroys Islam ?"

He said, "No."

Omar added, "The slip of the learned, arguments of the hypocrites in matters pertaining to the Quran and the rule of such leaders who mislead."

Abu Hurairah reports that the Messenger of Allah said,

"Any person who possess some knowledge and withholds it when asked about it, well be bridled with fire on the Day of Judgement."

The Companions of The Prophet and Knowledge.

The Muslims in encouraging and inducing people to pursue knowledge followed the Quran and the noble traditions of the Prophet. In reference it may suffice to quote Ma'z bin Jabal as reported by Imam el-Gazzalie in his "Ihya-el-Uloom." Ma'z Ibn Jabal reports from the Prophet as having said.

"Selk knoledge. Seeking it purely for Allah's sake is fearing Him ; pursuing it is worshipping Him ; discussing it is remembering Him; searching it is Jehad; imparting it to others is charity and spending it for the benefit of the family is affinity All this is because knowledge is the boarderline between the prohibited and permissible ; the light to the inroads to heaven; the friend in isolation ; the companion in travel, the person to discuss with in solitude; the guide in happiness and sorrow ; bringer of peace to the enemy, and an ornament to the intimate friend. With the power of knowledge Allah raises a people and make them leaders of virtues. Their footsteps and deeds are imitated and people conclude with their opinions. The angels show anxiousness in their friendship and spread their wings for them Every animate being prays for their salvation ; the fish and creatures in the sea, the animals and beasts on the land, all ask for

them and God registered them among His intimate Ones."

Moaweya reported that the Messenger of Allah said,

"With whom Allah desires goodness He endows with understanding in religion. Verily Allah is the Giver of knowledge and I am the distriboutor."

Ibn Masood reports that the Prophet said,

"May Allah brighten and cherish the person who hears my statement, remembers it, understands it and fulfils its obligations. There are many that are versed in religious understanding and yet don't understand. Many well versed is religious understanding convey my message to those who understand it better. A Muslim's heart never envies three things :

1 — Sincerity in deeds solely performed for Allah.

2 — Advice to Muslims.

3 — Loyalty to their congregational units. Their prayers disrupt those who remain aloof.

Ibn Abbas reports that the Prophet said,

"A single person endowed with understanding (learned in religion) is better than a thousand worshippers (who not understand)."

Abu Sufyan reports that Omar bin Khattab once asked Ka'b, "Who are the learned people ?''

He replied, "Those who act upon the things they know ; whose actions correspond with their knowledge."

He asked further, "What has caused knowledge to disappear from the hearts of the learned ?"

He replied, "Greed and covetousness."

Abu Hurairah reports that he treasures the following tradition from the Prophet.

"At the commencement of each century Allah raises a reformer in this nation who is responsible for its renaissance.''

Some Etiquettes and Manners of the "Ulema"

The Prophet has warned the learned and has cautioned them. He outlined the necessary etiquettes and manners expected from people of learning and their attitude towards knowledge itself. These exhortations are many but it would suffice here to mention a few.

Abdullah bin Masood reports that the Prophet said,

"O People ! Whoever learns something should speak it out. And who has not learnt anything should say 'Allah known best' It is knowledge, in the case of a person who does not know, to say 'Allah knows best.'

observed and commemorated But every devotee turning to Allah and We send down from the sky rain charged with blessing and We produce therewith Gardens and Grain for harvest : and tall (and stately) palm-trees, with shoots of fruit stalks, piled one over another ; as sustenance for (God's) servants : and We give (new) life therewith to land that is dead ; thus will be the Resurrection." L : 6-11

"Do they not look at the camels how they are made ?" "And at the sky how it is raised high ?" " "And at the mountains, How they are fixed firm ? "And at the earth how it is spread out ?"

LXXIX VIII : 17-20.

We have quoted abundantly from the Quran. These verses are absolutely unambiguous in their import. They enhance and induce the Muslim nation to study the Open-Book of Nature, to make deep researches in matters pertaining to the world and its various complexities and in general, make a thorough study of the heavens and the earth and all that exist in them.

"Soon will We show them our Signs in the (furthest) Regions (of the earth) and in their own souls, until it becomes manifest to them that this the truth. Is it not enough that thy Lord doth witness All things ?"

XLI : 53.

The Significance of Theology and Religious Learning.

Despite the fact that we have hitherto, in general, discussed aspects of knowledge pertaining to the Natural, phenomena and matter which is observed and felt and despite the fact that various questions and verses of the Quran have been cited to show how Islam encourages learning in general, there is no doubt that there are numerous traditions that reflect on the importance and significance of theology itself. Whatlver we have mentioned in the form of quitations, speaking generally of knowledge and especially of theology is in no way a full study of the matter. We are only mentioning some highlights of it.

It is reported by Ibn Abbas that the Prophet said,

"The people who are nearest in rank to prophethood are the learned and the men of Jehad. The former guide mankind to the teachings of the prophets and the latter fight in the way of the Lord with their swords according to the dictates of the prophets."

Abu Hrairah reported that the Prophet said.

"Whenever a people gathered in any place of worship and recited the Quran and studied its contents together it has been certain that peace enveloped them, mercy overwhelmed them, the angels welcomed

same water, yet some of them We make more excellent than others to eat behold, verily in these things there are Signs for those who understand ."

Out of His Grace and Mercy by way of these verses, Gold, showers bounties upon the whole of mankind. For the intelligent and enlightened ones He illustrates examples. He does this to induce them to make researches and studies and concenrate their attention to what God says in the following verses :

"So (give) Glory to Allah when ye reach eventide and when ye rise in the morning." "To Him is all praise due in the heaven and on the earth;. and in the late afternoon and when the day begins to decline." "It is He Who brings out the living from the dead and brings out the dead from the living, and Who gives life to the earth after it is dead; and thus shall ye be brought out (from the dead).'' "Among His Signs is this that He created you from dust ; and the behold, ye are man scattered (far and wide)." "And among His Signs is he creation of the heavens and the earth, and the variations in your Languages and your colours : verily in that are Signs for those who know." "And among His Signs in the sleep that ye take by night and by day and the quest that ye (make for live lihood) out of His bounty ; verily in that are signs for those who hearken." "And among His Signs He shows the lightning by way both of fear and of hope, and He sends down rain from the sky and with it gives life to the earth after it is dead ; verily in that are Signs for those who are wise." "And among His Signs is this, that heaven and earth stand by His Command then when He calls you by a sigle call, from the earth behold, ye (straightway) come forth." "To Him belongs every being that is in the heavens and on earth : all are devoutly obedient to Him." "It is He Who begins (The process of) creation ; then reparts it : and for Him it is most easy to Him belongs the loftiest similitude (we can think of) in the heavens and the eath ; for He is Exalted in Might full of Wisdom."

XXX : 17-27

The Quran rounds up the whole subject by making it clear that God has made the whole universe subservient to man :—

"Seest thou not that Allah has subjected to your (use) all things in the heavens and on earth.''

XXI : 20

Do they not look at the sky above them ? How We have made it and adorned it and there are no flaws in it. And the earth We have spread it out and set thereon it out mountains standing firm, and produced therein every kind of beautiful growth (in pairs) to be

ISLAM AND KNOWLEDGE-III

By
Dr. Abdul Halim Mahmoud
The Grand Sheikh of Al-Azhar

As the Quran exhorted the Muslims to study the historicity of creation, to think hard and deep on the question of the stars and the planets, in the same way is has, in general, induced them to think and ponder deeply about the universe. The Quranic verses assist and co-ordinate the efforts of man in trying to discover the laws operating in the Kingdom of Nature which is God's Nature Book.

"Behold : In the creation of the heavens and the earth in the ilternation of the Night and Day in the sailing of the ships through the ocean for the profit of mankind in the rain which God sends down from the skies and the life which He gives therewith to an earth that is dead ; In the beasts of all kinds that He scatters through the earth ; in the change of the winds, and the clouds which they trail like their slaves between the sky and the earth ; (Here) indeed are Signs for a people that are wise." II : 16b

"Behold ! In the creation of the heavens and the earth and the alternation of Night and Day there are indeed Signs for man of understanding." III : 190

Chapter XIII, The Ra'd or Thtnder commences with the following Verses :

"Alif. Lam. Mim. Ra. These are the Signs (Verses) of the Book: That which hath been revealed unto thee from thy Lord is Truth; But most men believe not." "Allah is He who raised the heavens without any pillars that ye can see ; is firmly established on the throne (of Authority) He has subjected the sun and the moon (to His Law!) Each one runs (its course) for a term appointed he doth regulate all affairs, explaining the Signs in Detail that ye may melive with certainty in the meeting with your Lord." "And it is He Who spread out the earth, and set thereon mountains standing firm and (flowing) rivers ; and fruit of every kind He made in pairs two and two He draweth the Night as a veil o'er the Day. Behold, verily on these things there are Signs for those who think." And in the earth are tracts (Diverse though) neighbouring, and gardens of vines and fields sown with corn and palm trees growing out of single roots or otherwise : watered with the

away all artificial differences and fractions from the human community.

Examining the influence of Islam on humanity in general and on the destiny of mankind. the great scholar and the learned author, Amir Ali, explains the state of things existing in the world until the prophet Muhammad proclaimed the practical equality of mankind and broke the chains which had held in bond the nations of the earth to pieces.

He abolished every privilege of caste and emancipated labour : "In the West, as in the East, the condition of the masses was so miserable as to defy description. They possessed no civil rights or political privileges. These were the monopoly of the rich and powerful, or of the sacerdotal classes. The law was not the same for the weak and the strong, the rich and the poor, the great and the lowly. In Sassanide Persia, the priests and the landed proprietors, the 'Dehkans', enjoyed all power and influence, and the wealth of the country was concentrated in their hands. The peasants, and the poorer classes in general, were ground to the earth under a lawless despotism. In the Byzantine Empire, the clergy and the great magnates, courtezans and other nameless ministrants to the vices of Caesar and proconsul, were the happy possessors of wealth. influence and power. The people grovelled in the most abject misery. In the barbaric kingdoms — in fact, wherever fuedalism had esablished itself — by far the largest proportion of the population were either serfs or slaves.

Villeinage or serfdom was the ordinary status of the peasantry. At first there was little distinction between praedial and domestic slavery. Both classes of slaves, with their families, and their goods and chattels, belonged to the lord of the soil, who could deal with them at his own free will and pleasure. In latter times the serfs or villeins were either annexed to the manor, and were bought and sold with the land to which they belonged or were annexed to the person of the lord, and were transferable from one owner to another. They could not leave their Lord without his permission and if they ran away, or were purloined from him, might be claimed and recovered by action, like beast or other chattels. They held, indeed, small portions of land by way of sustaining themselves and their families, but it was at the mere will of the lord, who might dispossess them whenever he pleased. A villein could acquire no property, either in lands or goods; but if he purchased either, the lord might enter upon them, oust the villein, and seize them to his own use".

(to be continued)

and sea, and have made provision of good things for them and, have preferred them above many of those whom We have created with a marked preferment" 17 : 70. It is a common privilege for all people.

4 — Human freedom : Islam has totally rejected any kind of compulsion as means for driving people to embrace a certain religion, faith or doctrine. Forbidding such compulsion God says in His Holy Book :

« أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

It means : "Would you compel people until they are believers". 10 : 99. It has ensured all the human freedoms, namely those of faith, speech, work and residence. The general human brotherhood was recommended by Islam as a code of conduct among people of different religions, races and lands. The Quran has also strictly forbidden any interference in the affairs of non-Muslims in an Islamic State, and guarnteed their liberties in all walks of life :

« لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين » .

It means : "Allah forbids not those who warred not against you on account of religion and drove you not out from your homes, that you should show them kindness and deal justly with them. Lo ! Allah loves the just dealers" 60 : 8

5 — Human Unity : By strictly forbidding any kind of compulsion in faith, doctrine or work, by establishing necessity to believe in all prophets imperatively, and by calling the people to work for communal amity and harmony, Islam aims at establishing human brotherhood and human unity in the world. The following Quranic verse emphasises that the belief in one God and one human community is an essential part of Isamic faith. God says :

« وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون » . سورة لقمان (آية ١٠)

It means : "Lo (O mankind) ! This your community is one community. And I am your Lord. So keep your duty unto Me." 23 : 52.

The above principles of human relations apply to states and governments in the same way they apply to individuals and communities. In fact what an individual is required to do is also expected from a community as represented in the state. Islam, therefore, recognised human cooperation and communal amity as the spring of human brotherhood and world understanding. It also condemns the attempt of the developed country for domination over backward people or countries. In this way Islam called to sweep

principle of Unity of makind nor should it be the cause of conflict but rather of acquaintance with each other and of mutual friendship. God says :

« وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » .

It means : "And We have made you nations and tribes that you may know one another". 49 : 13

Islam promulgated the rules and laws of individual, social, national and international relations in the following cardinal princples :

1 — Human equality : The Holy Quran declared in clear verses that the ultimate purpose of differences among people, in races and tribes, is their acquaintance with each other and promotion of understanding and cooperation among inrividuals and societies. This acquaintance and cooperation could exist only between two equals and not between parties of differing ranks. Among the causes of human miseries in our contemporary age is unjust fanaticism and racial discrimination in the human treatment and understanding. Islam, therefore, announced the principle of relations and cooperation among people in the following words :

« وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

It means : "Help you one another unto righteousness and pious duty. Help not one another unto sin and aggression." 5 : 2.

2 — Justice : Justice is the only criterion whereby Islam regulates relations between people in both peace and war times. It is the dominant feature of Islam in its relations with friendly or hostile people. The Holy Quran has stressed this ideal principle in the following verse :

« ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى » .

It means : "Let not hatred of any people seduce you that deal not justice. Do justice that is nearer to your duty (towards Allah)" 5 : 8

3 — Human dignity : Islam, through its principles and teachings, foster dignity and self-respect in the hearts of its followers and educates them to respect dignity and honour of others. This honour is due for man's humanity and not because of his colour, race, or social status. To make distinction between people according to their colour or race is the fundamental cause of crisis on this earth. There could be no justice and peace in this world without respect for human dignity in every man and on every land. The Quran declares this basic principle in the following verse :

« ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا » .

It means : "Verily We have honoured the children of Adam and We carry them on the land

MAJALLATU'L AZHAR

(AL-AZHAR MAGAZINE)

MANAGER : Dr. ABDUL WADOOD SHALABY

Dhu'l-Hijjah 1396	ENGLISH SECTION	DECEMBER 1976

ISLAM AND HUMAN RIGHTS

By

Dr. Mohiaddin Alwaye

Islam organises the course of Human relations on the basis of the 'Common Origin of all mankind. It condemns any form of discrimination whether it is class division or racial prejudices between man asd man. The Holy Quran, the eternal miracle of Islam declares that all people are one community ; they emanate from one origin and share the same end though they differ in races, colours, tongues, tribes or nations. The Holy Quran says :

« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » .

It means : "O mankind ! Be careful of your duty to your Lord who created you from a single soul and from it created its mate and from them twain hath spread a multitude of men and women"

The theory of common origin of mankind was stressed by the Prophet :

« كلكم لآدم وآدم من تراب » .

(You all are Adam's offspring, and Adam is of earth).

The differences of people, in colour, tongue, tribes and races are due to different areas and climates. The creation of earth and the skies and the difference of the colours and tongues of the people, despite their common parentage, are of the signs of God in the Universe and its aspects :

« ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف السنتكم والوانكم » .

It means : "And of His signs is the Creation of heavens and earth and the difference of your languages and colours" 30 : 22. This difference would not clash with the